شؤون فلسطينية

٤١/٤٢
كانون الثاني/شباط ١٩٧٥

١٩٦٥ - ١٩٧٥

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤١/٤٢ كانون الثاني/شباط ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن هذا العدد الخاص : ٧ ل.ل. في لبنان ، ٨ ل.س. في سوريا ، ٩٠٠ فلس في الكويت والعراق ، ٩ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

شؤون فلسطينية

عيد فتح هو عيد فلسطين . وهو عيد الثائر العربي ، والثائر في كل مكان . عيد صاحب الحق الذي يرفض ان يرضخ للظلم .

لكننا لا نعيد لنبتهج . فالبهجة الكاملة لا تصح الا عند النصر الكامل ، وهو لا يزال بعيداً . ولا نعيد لنتباهى لان النضال واجب وليس اريحية نتصدق ، ونتشدق ، بها . ولا نعيد لنرتاح لان لا راحة قط لحاملي اثقال قضيتهم .

نحن نعيّد لنتذكر ، ولنتعلم ، ولنتأمل ، ولنستعد .

نتذكر كفاح الاعوام العشرة التي لم تنته . كيف سرنا فيها ، نحن الشعب الفلسطيني مع فتح وبقيادة فتح ، من موقع الى موقع ، وسقطنا وقمنا ، وعثرنا وقفزنا ، وضربنا وضربنا ، ووصلنا في النهاية الى مواقع أكثر تقدما وأكثر خطورة .

ونتعلم من أنفسنا وخبرتنا ، بعد ان درسنا تجارب غيرنا من رواد الكفاح المسلح بين الشعوب الأخرى . ونصحح ونعدل في أوضاعنا وفي نظراتنا وفق ثقافتنا العملية المكتسبة بالتجربة .

ونتأمل في الطريق الطويل الممتد الى قلب فلسطين ، ليشمل جميع فلسطين ، نتبوء اننا قادمون ، ومنتصرون .

ونستعد . فالذكريات للاستعداد . والتعلم للاستعداد . والتأمل للاستعداد . نستعد ، بالتدرب وبالشحذ وباليقظة . نستعد لان تكون الاشواط القادمة أكثر قسوة وأكرم بذلا حتى تصبح نهايتها أوفر ثمرا وأجزل منالا .

هذا هو عيدنا ، عيد فتح — عيد فلسطين ، عيد الثائر أينما كان .

الانسان يولد مرة واحدة . ومرة واحدة يموت . أما الشعوب فانها لا تولد ولا تموت . ولكنها تغفو وتنبعث ، مرات ومرات . وفي مطلع ١٩٦٥ حصل انبعاث جديد للشعب الفلسطيني . وفي عشر سنوات فقط بلغ سن الرجولة ، وأصبح ، نتيجة النضال والتصميم ،

قوة مشرقة لانفعالها ولحركاتها دوي واصداء في اربع زوايا الارض . وأصبح مفعول هذا المارد الفلسطيني على طرف نقيض مع المعطيات الطبيعية للشعب الفلسطيني — من حيث حجمه الصغير بملايينه الثلاثة ، وتشتته الجغرافي خارج أرضه ، ومعاناته المأساوية ومصائبه وهمومه الكثيرة .

واذ يحاول المرء ، في هذا العدد الخاص من مجلة شؤون فلسطينية ، ان يؤرخ لهذه السنوات العشر وان يقيّمها ، يتعرض لتجاذب من جهتين : فهو ، من الناحية الاولى ، وبحكم انتمائه الكامل للثورة والتزامه بأهدافها ومشاركته في مسيرتها ، وبحكم موقعه الفكري والضميري والمسؤول في أحد خنادقها ، عرضة للجنوح نحو تناول الموضوع بعواطفه وبتمنياته ونحو الارتياح بالجانب المشرق والاقتصار على المنجزات البارزة . وهو ، من الناحية المقابلة ، وبحكم عقلانيته وتربيته ومفاهيمه وممارساته الجامعية والعلمية ، ميّال الى سلوك النقد والحذر والمحاسبة الجائفة . والواقع ان المعالجة بالامنيات تنفع ، الى حد ، لانها تدفع نحو التضحية والتحمل ومواصلة المسيرة ، كما ان المعالجة بالحذر تنفع ، الى حد أيضا ، لانها تدفع نحو النظر البعيد وتفتح المجال امام التقييم الحكيم . الا ان ايا من هذين الطرفين يجب الا يغالى به ويجب الا يكتفى به على حساب الآخر .

ولذلك كانت الخطة التي وضعناها لهذا العدد الخاص من مجلتنا ، المعني بما حفلت به الاعوام العشرة من أحداث وما ادت اليه من نتائج ، ان نتناول هذه الاحداث والنتائج ، على الاصعدة الفلسطينية والعربية والاسرائيلية والعالمية ، دون ان تشط في أي من المنحيين آنفي الذكر : فلا نبالغ في وصف المنجزات وكأن الهدف قد تحقق وعادت فلسطين لاهلها ، ولا نبالغ في ابراز المصاعب والعقبات وكأن نور الامل بالنصر قد خبا . اننا نريد من هذا العدد — الكتاب ان يكون سجلا واقعيا وصادقا للآثار وللمؤثرات الرئيسية للثورة الفلسطينية في مسيرة السنوات العشر ١٩٦٥ — ١٩٧٥ . لكننا لا نزعم اننا نغطي جميع هذه الآثار والمؤثرات . وليس هناك عدد ولا كتاب يستطيع ان يطمح الى هذا الشمول التام — مهما تضخمت صفحاته وتعدد كتّابه . ثم ان هذا المجلد ما هو الا مجرد عدد خاص من مجلة شهرية تنتهي به سنتها الرابعة وتبدأ قريبا سنتها الخامسة . مما يعني ان الكثير من المعالجات التي كان يجب ان يتضمنها هذا العدد الخاص قد سبق ان نشرت في واحد من الاعداد الاربعين السابقة ، وخطتنا في المجلة كانت ولا تزال الا نكرر المواضيع نفسها

قدر الامكان . كما ان حجم العدد ، الذي أردناه مزدوجا (لشهري كانون الثاني وشباط معا) ، فاق الحدود المعقولة بحيث اضطررنا ، في اللحظة الاخيرة ، الى تأجيل نشر حوالي مائتي صفحة الى أعداد قادمة . فقد خشينا ان ينفر القارىء من العدد اذا بلغ ثمانمئة صفحة ، وحاولنا ان نحصره في ستمئة صفحة (وهي ، بحد ذاتها ، حجم غير معهود). هذا دون ان نتكلم عن عدد قليل من المواضيع التي كانت ضمن خطة هذا العدد الخاص ، وأوكل أمر اعدادها الى بعض الاخوان لكنهم تأخروا في كتابتها وتسليمها بحيث ارسلت المواد الى المطبعة قبل ان تكون تلك المقالات جاهزة ، ولعلها تصلح للنشر في اعداد قادمة . فقد حرصنا ان يصدر هذا العدد في موعده المحدد ، شأن كافة الاعداد الاخرى (اليوم الاول من الشهر)، والا تؤدي ضخامته ، واغلاق المطبعة بسبب الاعياد ، الى تأخيره ولو ليوم واحد . وان كنا دائما نحرص ان نصدر في المواعيد الثابتة المعلنة ، فاننا في هذا الشهر نحرص على ذلك أكثر من أي وقت آخر .

فبينما كان العمل يسير بشكل طبيعي وحثيث في اعداد المجلة وفي كافة نواحي النشاط في مركز الابحاث ، في صباح اليوم العاشر من كانون الاول (ديسمبر) الحالي ، وهو ، بالمناسبة ، اليوم العالمي لحقوق الانسان ، ضرب عملاء اسرائيل مبنى مركز الابحاث بأربعة صواريخ أصابت ثلاثة منها مكتبة المركز اصابات مباشرة وتحوّل الرابع الى احدى الشقق السكنية في المبنى واصاب غرفة فيها اصابات مباشرة ايضا .

وبالطبع ، لم تكن هذه الضربة هي الاولى من نوعها . فقد تعرض مركزنا لضربتين سابقتين . وقد مهدت اسرائيل لضربتها هذه المرة ، كما فعلت في السابق ، بسلسلة من التهديدات العلنية والمباشرة الرسمية وغير الرسمية ، عبر الاذاعة والصحف والبيانات والتصريحات. وكالمرات السابقة ، اعتبرنا الاجرام الاسرائيلي وساما جديدا يتقلده مركز الابحاث (ومجلة شؤون فلسطينية) ، واستأنفنا العمل . واقول استأنفنا العمل بحذافير الكلمة ، فبعد ساعة من الحادث كان النشاط الطبيعي يعود الى المركز ، وكأن لا خسائر ولا حطام ولا دمار . ذلك اننا نؤمن ، جميع العاملين في المركز ، ان الرد الوحيد الذي نملكه في وجه الصواريخ والقنابل واصابع الديناميت هو انْ نستمر في العمل ، ان نمضي في تقديم المعلومات الصحيحة ونشرها في العالم عن هذا العدو الذي قد تغفر البشرية له الف خَطيئة ولكنها لن تغفر له هجومه المتعمد على الفكر وعلى المكتبات وعلى الاوراق والوثائق . لقد دفع العرب ، لمدة ثلاثة عشر قرنا ، ثمن

اكذوبة أطلقها الغرب حسدا وحقدا تزعم انهم احرقوا مكتبـــة الاسكندرية في اواسط القرن السابع للميلاد ، دفعوا ، من كرامتهم وسمعتهم ، الشيء الكثير وهم من التهمة ابرياء . وعلى اسرائيل ، وهي تغطي هزيمتها وتلملم فضائحها وتلعق دماءها ، ان تدفع غاليا ثمن غارتها المتعمدة على مركز للثقافة والفكر ، يحاربها بالكلمـــة وبالكتاب وبالحجة والمنطق .

لقد شاءت الصدف ان يأتي هذا الهجوم ونحن نستعد للذكرى العاشرة لمولد ثورتنا، وهي ايضا الذكرى العاشرة لمولد مركز الابحاث نفســـه . ولكن ليس من الصدف ان يتوافق الهجوم مع المكاسب الرائعة التي حققتها الثورة الفلسطينية في الاشهر الاخيرة ، وعلى راسها إعتراف الدول بها كحقيقة راسخة والاستماع الى قائدها ، وادانة اسرائيل وجرائمها في عدة مجالات دولية ومن بينها منظمة اليونسكو . وكأن اسرائيل ارادت ان ترد على طردها من المؤسسة الثقافية الدولية الكبرى بأن تحرم الشعب الفلسطيني من احـــدى مؤسساته الثقافية ، بحرق الكتب وقتل المفكرين .

وقراء شؤون فلسطينية ، وسائر المؤمنين بدور الفكر في معركتنا المصيرية الكبرى ، مدعوون للرد معنا على اسرائيل . واننا نرى وسيلتين ليكون الرد عاما وليكون نافعا .

اولاهما ان نبلّغ العالم ، كل العالم ، وبكل السبل ، عن هذا العمل البربري . ان وجه اسرائيل الملطخ بالوحل وبالدم وبحطام الكتب يجب ان يظهر في الخارج على حقيقته . وكفى العالم اعتقادا انه وجه للحضارة والتمدن في الشرق المتخلف . وكفاه زعما وتصديقا ان اسرائيل منارة لنا وواحة عطاء في صحراء قاحلة . وكفاه اعجابا وترديدا بما لديها من جامعات ومكتبات واعداد من الكتب والمثقفين يتباهون بكثرتها . وما قيمة ذلك كله ، حتى لو صح وجوده ، ما دام هذا هو المسلك الحقيقي لاسرائيل وهذا هو اسلوب مواجهتها للكتاب وللفكر الفلسطينيين . ونحن ، كأفراد وكمواطنين عاديين ، نستطيع ان نفعل الشيء الكثير في فضح اسرائيل ونقل صورتها الحقيقية للعالم: بأن نكتب في الصحف الاجنبية ، ونزودها بالصور والحقائق بدون أية مبالغة ، وبأن نكتب الى اصدقائنا ومعارفنا في الخارج ، والى ابنائنا وجيراننا واقاربنا المنتشرين في انحاء العالم مهاجرين وطلابا وسياحا وتجارا ، بأن ندعوهم جميعا الى نشر هذه المعلومات بأية طريقـــة ممكنـــة .

وثانيتهما ان نسهم في بناء مكتبة مركز الابحاث من جديد. لقد بنيت

هذه المكتبة الرائدة ، بالعرق وبالتعب ، في عشر سنوات ، حتى اضحت اكبر مكتبة متخصصة بالشؤون الفلسطينية في البلاد العربية. وبلغ من قوتها انها اخافت العدو فضربها. وحري بنا ان نعيد تعميرها مرة اخرى : بأن نزودها بالكتب ، اية كتب ، في القضية الفلسطينية وعن الشعب الفلسطيني وعن الصهيونية واسرائيل ، سواء كانت بالعربية او بأية لغة اخرى ، وسواء كانت مع الحقيقة او ضدها ، وسواء كانت دراسات او ادبا او فنا ، المهم ان نقدم للمكتبة ما نستطيع تقديمه من منشورات ومطبوعات تعالج المواضيع الفلسطينية . هذا نداء نوجهه الى ضمير قارىء مجلتنا ، اليه هو بالذات ، وليس فقط للحكومات وليس فقط للمسؤولين الرسميين . نريد من قارئنا ان يساعدنا ، اذا كان يشاركنا الايمان بدورنا الخاص في المعركة ، في الرد على اسرائيل بأن تعود المكتبة ، كما كانت ، قوة تهابها اسرائيل وتحسب حسابها .

لقد اتصلت بي سيدة تضررت من القنابل الاسرائيلية بخسائر مادية تزيد على عشرة آلاف ليرة لبنانية قائلة : خذوا العشرة آلاف ليرة التي يراد التعويض بها على خسائري المادية . فأنا استطيع ان أعيش بدون غرفة طعام فخمة وأقدم الماء في كؤوس من الزجاج بدل الكرستال . أما انتم فلا تستطيعون ان تعملوا بدون مكتبة . خذوا المبلغ واشتروا به كتبا .

انها مواطنة فاضلة ، ولكن لا يمكن ان تكون هي المواطن الوحيد الذي يقدّر أهمية الكتاب لمركز الابحاث . ولعلنا نستطيع ان نكتب ، في افتتاحية مطلع العام القادم من شؤون فلسطينية ، اننا قد أوصلنا المكتبة الى حيث كانت عليه ، بفضلك انت ، قارىء شؤون فلسطينية ان كنت انت ، بالذات ، تشارك تلك السيدة رأيها ، وشكرا منذ الآن.

انيس صايغ

رسالة أبو عمار
القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية
الى رفاق السلاح والنضال في الذكرى
العاشرة لانطلاق الثورة

عام التصعيد والتلاحم

أيها الاخوة رفاق النضال

أيها الاخوة رفاق السلاح

يوم أن انطلقت الثورة الفلسطينية في الفاتح من عام ١٩٦٥ واجهت التحديات منذ اللحظة الاولى لأنهـا كانت تدق عهود الظلم والتيه بسواعد ثوارها الذين زادتهم الأيام والمحن اصرارا وعنادا وقوة . يومها قيل باستخفاف أنه لن يصدر البلاغ العاشر . والآن ها نحن نودع عامنا العاشر ونستقبل العـام الجديد ، عاما هاما من عمر ثورتنا المظفرة في مسارها في الدرب الكبير حاملة في طياتها معاني عظيمة وسامية وتؤكد بأن هذه الثورة الرائعة هي ثورة شعبنا المثابر الصامد تسير وفي ركابها الخير والتصميم وتتحرك وفي أعطافها العزة والارادة . وتسجل في كل هذا التحرك ارادة شعبها الـذي لا يقهر وتثبت في مجموع هذه المسيرة تصميم أمتنـا التي لا تلين ، وتقرع ابواب التاريخ بقوة وعزيمة واخلاص وتفان تسطره وتتعانق معه في ابداع ثوري متسام ونسج نضالي فريد . ولتترك بصماتها القـوية الواضحة على التراث العربي وتتلاحم مع الحضارة البشرية تغذيها وتتغذى منها وترفدها وترفد منها على ايقاع الكفاح مع حركة المـد الثوري المستمر .

عشرة اعوام مضت يا رفاقنا ويا اخوتنا ويا أحباءنا وفي كل يوم عمل ونضال وفي كل سنة كفاح واصرار تتلاحق فيها الايام والاشهر والسنون بما حملت في طياتها من آلام ومتاعب ومآس وذكريات .

وما انطوت عليها الأحداث العظام من انتصارات ومكاسب ومـــا صاحبها من نكسات وتراجعات .

ولكن الثورة بالرغم من تكالب أعدائها من الامبرياليين الدوليين والصهاينة الغزاة وبالرغم من تكاثر وتجمع المؤامـــرات عليها بقوة وتركيز ، استطاعت وبكل الايمان والتحدي في جذورها وأسسها أن تخترق طريقها وتشق دربها حاملة معهـــا من الجراح أثخنها ومن الآلام أشقها ومن الانتصارات بسماتها .

وهي في زخمها هذا وفي تحركها ذاك انما كانت تصنع المعجزة مع التكامل الرائع في مسار الثورة العظيم .

وتشكل مع جميع المناضلين وجميع الثوار من أجـــل الحرية في العالم كله هذه الجبهة القوية المتراصة لتصنع تراثا حيا ومتجددا للانسانية المعذبة ولتضع حـــدا للاضطهاد والظلـــم وللاستعبـــاد والاستعمار الذي ترزح تحت وطأته البشرية التي تقف اليوم متكاتفة متعاونة أمام طغيان القوى الامبريالية والمؤامرات الصهيونية وجشع الاحتكارات العالمية .

وثورتكم وهي تحث الخطى في هذه المسيرة الصعبة والقاسية لا تنسى انها مع اخواننا المناضلين في أمتنا العربية وانها جزء لا يتجزأ من حركة التاريخ فيها ومنها . ولا تنسى أصدقاءها الأوفياء في الدول الاشتراكية الصديقة ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية الشقيقة ورفاق السلاح في حركات التحرير في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية واننا جميعا نقف في خندق نضالي واحد .

يا رفاق الدرب الثوري

كثيرة هي الملاحم الثورية التي خاضتها ثورتكم الأصيلة في مراحلها الماضية وفتراتها السابقة . ولكن هذا العام الذي انصرم تميز عن غيره من أعوام الكفاح بتلاحق في الأحداث لم يشهد له مثيل سابق في اتون معاركنا النضالية عبر السنوات السابقة ، فقد تميزت هـــذه

الحقبة من الزمن بعديد من الملاحم خضناها سويا على أكثر من صعيد وفي أكثر من درب داخل الأرض المحتلـــة حيث شهدت هذه الأرض الطيبة تكثيفا ملحوظا وقويا للعمـــل العسكري مـــن خلال تصاعد عمليات ثوارنا ، وتصعيدا موسعا للعمل الجماهيري عبر التنظيمات الشعبية والجماهيرية والتي تركزت في الجبهة الوطنية داخل أرضنا المحتلة باعتبارها الذراع السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية بين جماهيرنا في أرضنا المحتلة .

وكذلك تميزت بوعي كبير وبصورة فائقة من صور الكفاح الشعبي عبر الانتفاضة الجماهيرية الرائعة لجموع شعبنـــا الصامد المثابر البطل — ولتعطي برهانا ثابتا للالتحام المتعاظم بين الشعب وثورته وبين الجماهير وقيادتها معلنة باصرار وعناد أروع اطار للاستفتاء الشعبي الحقيقي طالما حاولت القوى المعادية لشعبنا ان تطمسه وطالما جهدت جهود العدو الصهيوني وحلفائه وعملائه ان تنال منه وتشكك فيه . بل لقد أتى في وقت هام ودقيق من نضالنا ليعطي هذا التلاحم الرائع صورته الحقيقية ، وليحيط الثورة بهذا الدرع المتين من قوى وجماهير شعبنا ، وليهب الأمثولة المقدسة على مدى تعاظم المد الشعبي واهميته في دعم الثورة ودفعها بقوة وثبـــات في دربها الطويل .

ويتعاظم اللحن الثوري من خلال الدماء الزكية البريئة التي سالت لتتوج هذا كله بأعمق معاني التضحية والفداء من خلال استشهاد الزهرتين البطلتين منتهى ورباب مع بقية من استشهد من أهلنا أثناء انتفاضة التحدي أمام دبابات العدو وحرابه ورصاصه .

وتتكامل هذه الصور وتتلاحم مع صـــور الصمود والبطولة التي تقفها جماهيرنا العظيمة في مخيماتنا وأهلنـــا وأشقائنا في الجنوب اللبناني تتحدى بأجسادها بلحمها بدمهـــا بأرواحها غطرسة العدو وطائراته واغاراته وصواريخه وتواجه وحشية الصهاينة ومدفعيتهم ونابالهم وقنابلهم .

وتقف الجماهير الصامدة الصابرة المثابرة في وجه هذه الهدايـــا

الامريكية الصهيونية التي تنهال عليهم ، بكبرياء عظيم وصبر أصيل وصمود رائع لهذه الجماهير المكافحة .

وكأنه يا رفاق السلاح قدر أسطوري لشعبنا البطل ان يسخو في العطاء وعلى أكثر من جبهة وفي أكثر مـن موقع عطاء سخيـا ويتصدى لآلة الحرب الجهنمية التي يمتلكها عدونا والتي تهيلها عليه أمريكا حليفته الدائمة وحاميته المستمرة ولا يجد شعبنا في أحيان كثيرة الا مهجته يطعمها لجنازير دباباتهم ومدرعاتهم ولتدمير قنابلهم وصواريخهم .

وكأنه يحاول بذلك أن يصنع من أجساده موانع لتعميق هذا العدو الغازي من اكمال اجتياحه للربوع كلها .

فما أعظمك يا شعبنا المعطاء ، يا شعبنا البطل يا شعب الكبرياء والبطولات ، يا شعب التضحيات والشهداء .

بوركت من شعب أصيل تنتمي بحق وصدق الى هذه الامة العربية العظيمة : أمة التحديات والخلود ، أمة العزة والسؤدد .

يا اخوتي رفاق الدرب

كيف كان الصمود ، وكيف كان الثبات ، وكيف كان التحدي . تلك هي قصة تروى وستروى للأجيال القادمة . ترويها أجيال الثورة وصناعها وحملة مشاعلها . يرويهـا أولئك الذين سيكتب لهم أن يعبروا الجسر البشري الذي تنسجه الثورة من أجساد الشهداء وآلام الضحايا وعذاب الجراح للمستقبل ، للغد المشرق ، للأجيال القادمة، يرويها هؤلاء بكل فخر واعتزاز وكبرياء بأسطر ساطعة ناصعة في سفر التكوين الحي لمستقبل أمتنا وغدها المشرق وبالعلامات المضيئة على الطريق الطويل طريق النضال الشاق والصعب . ولتكون برهانا قويا على صلابة هذه الثورة ، وروعة هذه الثورة ، وقدرة هـذه الثورة بالرغم من كل ما احاط ويحيط بها من المؤامرات والمتآمرين ومن المكائد والدسائس ومن المعاناة والمصاعب ومن الاهوال والآلام

ـ ومع ذلك تتقدم ثورتكم لتشق بعزيمة اصيلة وارادة جبارة رافعة راية النضال عالية وعلم الثورة خفاقا .

يا شعبنا الصامد المثابر

لقد كانت السنة المنصرمة سنة حافلة بآلام كثيرة ، ومصاعب جمة، حاولت قوى كثيرة أن تنال من وحدتنا ومن تراص صفوفنا . حاولت أن تنفذ ـ « عبثا » ـ الى اللبنات القوية متوهمة انها تستطيع أن تهز قناعات الثوار بزيف السراب ، وان تضعضع ايمان المناضلين بخداع أكاذيبهم .

ولكن الشعب والثورة كانا أقوى من كل مخططاتهم وأصلب من جميع دسائسهم . وبقيت الثورة شامخة أصيلة ، ثابتة الجنان ، عزيزة الجانب وظل الشعب وفيا للمسيرة النضالية في دربها الثوري الكبير .

وتوجت هذه المسيرة الثورية بكل هذا الزخم مـن الانتصارات المتتابعة على كل صعيد وفي كل اتجاه . في الأصعدة العربية وفي الأصعدة الدولية . مع العمل العسكري ومع العمل الشعبي . من خلال التحرك السياسي والتحرك الديبلوماسي وكانت في كل خطوة تخطوها تثبت قضايا شعبها وأهداف أمتها .

رغم كل ما حيك حول ثورتكم يا شعبنا الأصيل وما خطط لها من قبل الامبريالية العالمية والصهيونية الغادرة ومن القوى العميلة في منطقتنا ، استطاع الثوار ـ الثوار الحقيقيون ـ أن يجتازوا المحن الكثيرة والآلام المتشعبة ليصبوا في هذا النهر الخالد ، نهـر العطاء ، الثوري دماءهم وأرواحهم وتضحياتهم ، يهبونها مختارين بلا ملل أو تردد وبكل الكبرياء الثوري المتأصل في نفوسهم .

وليصنعوا المعجزة وليفجروا الطاقـات الكامنة ويسطروا الملاحم الثورية لتتهاوى الاساطير الباطلة أمام هذا العناد الجبار لشعبنا وثواره . وتنحسر اللجج بعـد طوفانها الصاخب ـ فلا يبقى الا الجلمود الثوري المتسامي المقدس لهذا الشعب وثواره يصهرون في

بوتقة نضالهم وكفاحهم كل المعطيات وكل الايجابيات وليحولوا الى حقائق مادية ثابتة راسخة في منطقتنا العربية — بأن هذه الارض عربية وستظل عربية ولن يبقى فيها الا ارادة واحدة هي ارادة أمتنا العربية العظيمة .

ويظل الثائر كالحقيقة الازلية في تراثنا الوطني قابضا بيد من حديد على بندقيته لتظل مشرعة تحمي اغصان الزيتون في ربوعنا الحبيبة خضراء يتفيأ بظلها اطفال الغد وجيل الغد من شعبنا وأمتنا .

بل ان ايمانه الكبير يتزايد بعظمة وخيلاء وهــو في مكمنه وفي معسكره وفي أعالي جبالنا وبين أحراش ودياننا وفي سهولنا الخضراء وفي صحارينا الدافئة ، يظل يترنم بأهازيجنا الشعبية الحبيبة واثقا من خطاه متأكدا من حتمية انتصار شعبه وثورته .

يا شعبنا العظيم

يا ثوارنا الابطال

يا مناضلينا المثابرين

لتتحد كل الجهود ولتتعانق جميع البنادق ولتتلاحم جميع الأيدي لمواجهة المرحلة المقبلة ، لمواجهة العام الجديد بكــل ثقة واطمئنان وثبات وتحد ، لمواجهة العام الجديد من عمر ثورتنا ، عــام التصعيد والتلاحم الثوري ،

وما يترتب على هذا من مسؤوليات جسام كثيرة واعبــاء ثقيلة وخطيرة وكفاح مكثف ومركز ينفذ فيه المناضلون الى الآفاق النضالية الجديدة بخطوات واثقة وايقاعات مؤمنة ثابتة وبعزيمة لا تكل وارادة لا تلين .

وانها لثورة حتى النصر .

اخوكم
ابو عمار
٧٥/١/١

شهادات

[١]
كانوا ملح الارض ... وعادوا

احمد بهاء الدين

لا أعرف لماذا اثار السؤال حين طرحته علي مجلة « شؤون فلسطينية » خـواطر شخصية ، ولا اعرف هل استرسل قليلا مع هذه الخواطر أم لا ، ربما لانها على وجه اليقين نموذج لفلسطين وكيف ألقيت بذرتها في ضمير كل عربي .

كان ذلك سنة ١٩٤٨ قبل الحرب العربية الاسرائيلية الاولى . وكنت قد تخرجت منذ شهور من كلية الحقوق وعملت وكيلا للنيابة الادارية ، وارسلني العمل لتحقيـق احدى القضايا في بور سعيد .

كنت أرى بور سعيد لاول مرة . وفي غير ساعات العمل ، ومـع الغروب ، سرت اتمشى في الشارع الموازي للميناء ، بجوار السور الحديدي الذي يفصل الميناء عـن المدينة . وفجأة رأيت الناس يتجمعون حول السور . وانحشرت وسطهم لارى عـدة قوارب شراعية اضناها الموج ، تقترب من الشاطىء مع برودة الغروب وتحت سماء مجللة بالسحب .

كان كل قارب قد امتلأ حتى آخره بالنساء المتشحات بالعباءات السوداء والاطفال ، وفي الغالب معهم رجل عجوز . وسرت الكلمة بين الناس انهم فلسطينيون طردهـم الارهاب الصهيوني وقد قطعوا البحر من يافا الى بور سعيد . وبسرعة احاط جنود الشرطة بالميناء ، واحاط اخرون بالقوارب ذاتها . وزاد تزاحمنا . ثم علا صيـاح الناس . واظنهم فهموا ان ركاب القوارب في محنة ، وانهم لن يدخلوا المدينة بسرعة ، والبرد يشتد والليل يقترب . واغرورقت عيناي بالدموع . فكأي مهتم بالسياسة كنت اتابع الاحداث في الصحف ولكن لم اتصور انني سأراها فجأة بعيني . اما اهالي بور سعيد ، فقد نبت وسطهم من يحملون اقفاصا من الخبز والموز والبرتقال ، واخـذوا يقذفون بها في الهواء فوق رؤوسنا ، ورؤوس صفوف البوليس ، ليسقط بعضها في الماء ، وبعضها في القوارب .

كانت الاوامر لم تأت من القاهرة بعد عن ماذا تفعل السلطات بهؤلاء . وصارت المدينة تغلي بالسخط على ابقائهم في القوارب . وهبط الليل واضيئت الانوار . وبدأت تطير من فوق رؤوسنا هذه المرة المعاطف والبطاطين . من الناس من خلع ما عليـه والقاه في الهواء . ومنهم من روى ان التاجر فلان ارسل كل ما في متجره من بطاطين .

وكاد الامن يختل في المدينة الساهرة ، ووجدتني أنسى وظيفتي الرسمية وأسير في مظاهرات الناس الهاتفة ، حتى انتصف الليل ، وجاء الاذن لهم بالدخول . وتدافع الناس يعرضون ايواءهم .

وعدت ليلتها الى فراشي وقد خرجت القضية بالنسبة لي من الورق الى الواقع الحي . فقد لمست القضية بروحها ودمها ولحمها الحي . ولم يبرحني هذا الشعور منذ تلك الليلة قط . ولم تعد فلسطين بالنسبة لي ابدا موضوعا اناقشه بمجرد العقل البارد على الورق .

وانكر انني ليلتها تذكرت فتاة يهودية ، كانت أول فتاة احببتها في حياتي . وكلمة حب هنا كلمة كبيرة ، فقد كنت وقتها تلميذا في الرابعة عشر من العمر ، وكانت تكبرني بسنة تقريبا ، فهو تلك الصداقة التي نسميها ونحن غارقين فيها انها حب عنيف .

كان ذلك في الاسكندرية حيث كنت اسكن مع اهلي ، وفي السنوات الاولى للحرب العالمية الثانية . وكانت الاسكندرية بالذات في قلب المعركة . فهي أكبر قاعدة للاسطول البريطاني في البحر الابيض ، وبالتالي فهي من اكبر اهداف الغارات الجوية التي يشنها الطيران الالماني والايطالي .

كانت الطائرات غير الطائرات . لم تكن لها سرعة طائرات اليوم ، فكانت صفارات الانذار تدوي قبل وصول الطائرات بنصف ساعة . وكان النظام أن سكان الادوار العليا يهبطون بسرعة الى شقة الدور الارضي كمخبأ ، يتراكمون فيه ، وتصل الطائرات ، ونسمع صوت القنابل المتفجرة ساعات طوال ، والكشافات تجول في السماء حتى تقع على الطائرة ، ثم تنطلق المدافع المضادة للطائرات من البر ومن سفن البحر ، وكان هذا يستغرق ساعات ، ويصبح الصباح والقتلى بالمئات ، والدمار في انحاء المدينة ، والمواصلات مقطوعة . وهوايتنا جمع الشظايا ومقارنتها . وفرحتنا يوم دمرت مدرستنا عن اخرها فأخذنا اسبوعين اجازة حتى وجدوا لمدرستنا مبنى اخر .

وكان الحي الذي نسكن فيه اوروبيا ، كمعظم أحياء الاسكندرية في ذلك الوقت . وعرفت مع الحرب ان معظم السكان في الحي من اليهود . كبار السن منهم يتحدثون الاسبانية والشباب يتحدثون الفرنسية . وكان من السهل حتى لعقلي الصغير ان يتبين الفوارق في انماط الحياة . فالاسرة المصرية لا يعمل فيها الا الاب . اما جيراننا الذين هم احسن حالا منا ، ما ان تنتهي الدراسة حتى اجد البنات يعملن بائعات في المحلات والاولاد في سني يحملون بضائع خفيفة يبيعونها للمصطافين على الشواطىء . فيلبسون احسن وتصبح النقود في ايديهم اكثر ويسهرون فتيانا وفتيات في المحلات العامة ، وكنت ارى البيت المصري ينفق ماله في طعام لا اول له ولا اخر اما هم فيأكلون اقل ويخرجون ويلبسون ويتزينون .

وفي شقة الدور الارضي كانت « جريتا » وشقيقاتها الثلاث ينزلن . وفي البرد كانت تحضر معها « فروة » تفرشها على البلاط البارد وتدعوني للجلوس معها والالتصاق بها في الظلام الدامس . وفي غير ذلك نصعد الى سطح العمارة ذات الخمسة ادوار بحجة مراقبة الغواصات والقطع البحرية في ضوء القمر . وعرفت معها لاول مرة طريقي بمفردنا الى دور السينما والحدائق العامة .

وعندما اقترب الألمان من الاسكندرية ، هاجر كثيرون . وبقيت دون اسرتي لاواظب على الدراسة . وزاد تعلقي بها . ولكن كان الخوف قد بدأ يصبح وحشا ينهش فيهم جميعا ، وادركت ان هتلر اذا دخل الاسكندرية سيذبحهم . وكانت لا تكف عن البكاء . وكان المصريون من اهالي الحي يتعاطفون معهم ويحيطونهم بحنان عظيم . يعرضون عليهم عناوين أهلهم في القرى النائية ، ويظنون انهم كفيلون بحمايتهم من كل سوء .

تذكرت تلك الليلة في بور سعيد « جريتا » . وشقيقتها لوسي التي كانت تتستر علينا . واكبر اخواتها سارة السمراء العربية الاسبانية الملامح التي كانت فتنة الشارع . وتساءلت : ترى اين هن ؟ في مصر . في اسرائيل . مع الذين ذبحوا وطردوا سكان القوارب الراسية في الميناء !.. انهم يقولون ان المرأة العربية تتوارى واليهوديات يحاربن . هل تكون يد جريتا الرقيقة التي كانت تداعب راسي ، حاملة الان بندقية ، تطلق منها الرصاص ؟

انهم على اي حال متفوقون علينا ، وهذه وحدها كارثة لكنها حقيقة . الكل فيهم يعملون على الاقل . والفتاة مثل الفتى . وتضامنهم العجيب . اين هذا منا ومن عاداتنا الاجتماعية . أين معرفتنا بالعالم الحديث من معرفتهم . أين شياطينهم السياسيين من باشاواتنا الريفيين . اين ... اين ...

كان تصوري للفجوة الحضارية بينهم وبيننا وقتها بسيطا ويقف عند مظاهر عابرة . لكن هذا الشعور نما معي ومع تطور القضية ومع التمعن فيما اقرا وارى ... ولم يبارحني قط ذلك الشعور الذي كتبت من أجله كتاب « اسرائيليات » قبل حرب ١٩٦٧ ، في موعد يقارب بدء الثورة الفلسطينية ، لاقول فيه : انه صراع طويل . انه ليس معركة عسكرية واحدة . انه صراع حضاري بكل أسلحة الحرب والسلم . الدمار والبناء . التنظيم العسكري والمدني . ولا اظنني مخطئا في أن التقدم العربي هو الحل الحاسم اخر الامر .

وقد أعلنت الحرب كما نعلم سنة ١٩٤٨ . وقيل لنا انها نزهة عسكرية . وكان قرار الحرب في القاهرة محل معارضة البعض ممن شكوا في حكمة ذهاب جيش مصري للقتال « خارج الحدود » . ومن اخرين شكوا في قدرة بلد محتل على القتال والانجليز وراء ظهر جيشنا ، بل وقالوا انها حرب اذكاها الانجليز لتحويل موجة المطالبة بالاستقلال بعد الحرب العالمية الى مسار آخر . وتهامس الناس بأنه قرار للملك من وراء ظهر الحكومة . ولكن الحرب هي الحرب . وجرفت العاطفة الشعبية كل شيء في طريقها وبدت تلك الاراء كقش مبعثر عائم على سطح تيار هادر . واعلن في القاهرة ان قوة رمزية من القوات الذاهبة الى الجبهة ستمر بشوارع القاهرة الى محطة السكة الحديد . وجاء يوم الحشد . واضربنا في المدارس . وسرت مع السائرين حول الجنود من حيث خرجوا الى حيث ركبوا القطارات الذاهبة الى غزة . ملايين متحركة من البشر تهتف وتبكي وتضحك وتقبل جنود الطابور العسكري وتتحسس ثيابهم . منذ كم من الاجيال لم نر جيشا لنا يتحرك الى ساحة القتال .

والصحف تحدثنا عن جو مماثل في كل العواصم العربية . واستنفارات تبدو لي الان كاستنفار الفارس القديم لقومه كي يهبوا للثأر للكرامة ، فيهب الناس . شيء يختلف

تماما عن اداة الحرب الحديثة الصامتة المعقدة التي كان علينا أن تمر سنوات وامتحانات اخرى قبل ان نفهمها . وتأتي الاخبار الاولى تزف الانتصارات . ولكن في وسط انباء الانتصارات يجد المدقق تصويرا للقرية الكيبوتز او المستعمرة الاسرائيلية يستوقف النظر ، نمط اجتماعي وانتاجي وحربي يختلف عن معنى القرية في قاموسنا . وبصرف النظر عن تسلسل احداث الحرب فالانباء لم تلبث ان اكفهرت . ثم وقعت الهزيمة وقع الصاعقة . وظهرت في الجو همسات الخيانة وغيرها من المبررات .

الاسلحة الفاسدة ، الشرك الانجليزي ، الخطة المرسومة « من فوق » لمواقع تصل اليها القوات ولا تتعداها . نغمة في مصر بالذات عن مشاكل الدخول في القضايا العربية ، حين استفرد الاسرائيليون بالجبهة المصرية . حصار الفالوجا وصمود قواتنا المحاصرة يرفع الروح المعنوية قليلا ، ويقابل العائدون من الشرك والحصار مقابلة الابطال . لكن الاسئلة الكبيرة تظل مطروحة ، محلقة في السماء ، بلا جواب .

لقد قيل انه كانت هناك اسلحة فاسدة ترتد الى صدور حامليها . ولكن المؤكد ان حرب فلسطين الاولى ارتدت بالسخط والنقمة والنقد على اوضاع البلاد العربية جميعا . كان هذا أهم أثر تركته حرب فلسطين الاولى في الضمير العربي ، ممتزجا بالشعور بالمسئولية الضميرية نحو مليون عربي خرجوا من بلادهم ولم يعودوا ، وانما نصبت لهم مخيمات على امل عودة غير واضحة معالمها ولا زمانها ولا ظروفها .

لم تنحرف الحركة الوطنية في البلاد العربية بفعل حرب فلسطين عن مسارها السابق في المطالبة باستقلال الأوطان العربية المختلفة ، ولكنها عادت مزودة بدروس جديدة ، ورؤيا جديدة . لقد عادت الحركات الوطنية — حقا — الى معاركها القطرية في سبيل التحرر والاستقلال ، ولكنها كانت تحمل في ضميرها اثرا غائرا مما جرى على تراب فلسطين .

عادت في الدرجة الاولى « أكثر عروبة » اذا جاز التعبير . صارت قضية التحرر بمعناها القومي العربي الشامل اكثر وضوحا عما كانت من قبل . ويخطر على البال هنا مصر بالذات ، حيث يمكن القول ان الروح العربية ولدت فيها ميلادا جديدا . ومن حيث ظن البعض في مصر ان الهزيمة سوف تؤكد حجة الذين عارضوا الهوية العربية لمصر ، فانها بالعكس اضعفت حجتهم ، وحولت الاصوات القليلة المنادية بعروبة مصر الى تيار قوي ، وحولت سياسة مصر العربية من مجرد « سياسة » رسمية ، فوقية ، او « لعبة سياسية » ، الى قناعة واسعة لدى المثقفين ، ثم عبر السنين ، لدى الجماهير . وفي حين ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، اي بعد الكارثة بأربع سنوات ، بدات من منطلق معاد لفكرة « العروبة » التي كانت متجسدة في « جامعة الدول العربية » ، فان الثورة لم تلبث ان عدلت مسارها جذريا في هذا المجال . ذلك انها تبينت ان مكمن الداء ليس في فكرة العروبة ذاتها ، ولكنه في السياسات العربية التي كانت سائدة . وان المشكلة ليست في ولاء الامة العربية لانتمائها ولكن في تفسير الحكام العرب لهذا الولاء وفي مسلكهم السياسي وطرق تعبيرهم عن العروبة . وجدت ان ما ثارت عليه في مصر متكرر في كل قطر عربي آخر . وهكذا ، حين نادى عبد الناصر بعد ذلك بعروبة مصر ، ثم وضع ذلك في دستورها ، كانت الارض مهياة فعلا لاستقبال هذه الدعوة ، او بمعنى اصح للكشف عن هذه الحقيقة .

ونفس الشيء بدرجات شتى عن سائر الاقطار العربية الاخرى . لقد تحولت دعوة العروبة والانتماء الى العائلة العربية الواحدة الى دعوة الى الوحدة العربية .وبصرف النظـر عن النتائج والاخطاء ، الا ان مجرد طرح هذه الدعوة الجديدة بمحـتواهـا الجماهيري الكاسح كان اعلاء لفكرة القومية العربية من مجرد فكرة الى تحديد هدف أكثر وضوحا . والهدف هنا حتى وان لم يتحقق في شكله النهائي ، الا انه عادة يحكم حركة الاحداث ، اذ يضبط حركتها نحو هذا الهدف ، او يجعل من هذا الهدف مهما كان بعيدا « بوصلة » تهتدي بها الحركة السياسية بوجه عام .

وفي خضم هذا التحول اختفت حركات الوحدة القطرية ، التي طالما دارت الاحداث السياسية حولها قبل وبعد ١٩٤٨ . لم تعد فكرة سوريا الكبرى مثلا تحمل نفس الجاذبية بدخول مصر الى الساحة وببريق الوحدة الاشمل . كما لم تعد فكرة وحدة وادي النيل هي كل هم مصر ، بعد أن أخذت تنظر الى وشائجها العربية في كل اتجاه. ولم تعد الوحدات العائلية كالوحدة تحت التاج الهاشمي واردة . كل هذه تخطاهـا الزمن بسرعة . وكان أكبر ما عجل بحركة الزمن هنا هو وقع الدرس الفلسطيني في الضمير العربي ، ووصول الم هذا الدمل الاسرائيلي الى شتى أطراف الجسم العربي مهما بعدت . ومع مرور الزمن والاحداث صار الوعي بالانتماء العربي شاملا . لا تستطيع سلطة ان تتجاهله من الخليج الى المحيط ، بل كثيرا ما كانت النظم تتقوى به على مشاكلها الداخلية ، وهذا وان كان مردودا سلبيا من جهة ، الا ان دلالته علـى تعمق الاحساس العربي واضحة .

كذلك عادت الحركات الوطنية العربية الى معاركها القطرية ، أكثر راديكالية ، اكثر جذريـة .

لقد اسقطت تلك المواجهة العربية الاسرائيلية الاولى نظام مـا بين الحربين في المنطقة بأسرها ، وفي الاقطار المحيطة بفلسطين بوجه خاص .

انتهت مرحلة الاكتفاء بالاستقلال الشكلي ، الذي هو راية وحكومة وسفـارات وعضوية في الامم المتحدة . وصار معنى الاستقلال هو التخلص من القواعد العسكرية ومن النفوذ الاجنبي ومن سطوة رأس المال الاجنبي ، واقامة استقلال سياسي وفكري واقتصادي حقيقي .

انتهت المرحلة الليبرالية ، التي كان قد فصلها لنا الغرب ، وكانت أمل الذين ناضلوا في المرحلة السابقة . انتهت لان الجماهير اكتشفت نهائيا انها ليبرالية شكلية ، غـير حقيقية ، بعيدة تماما عن الديمقراطية الحقيقية .

فهي ليبرالية تعطي برلمانات شكلية ، اعضاؤها وحكامها من أبناء الاسر الاقطاعية التي تتوارث النفوذ ، ومصيرها وحلها وربطها اما بيد القصر او بيد السلطة الاجنبية ظاهرة أو خفية . ومعسكرات القوات الاجنبية او المعاهدات السياسية والعسكرية تعطي للاجنبي حقا خفيا في استخدام الفيتو ضد أي شيء يزعجه .

كذلك فقد كانت ليبرالية تندثر في عباءة المعسكر الغربي ، وتحتمي بدرع الدول التي أقامت اسرائيل بالذات . فهي تقلد ذلك المعسكر تقليدا ببغائيا في مظاهر نظامه السياسي ، ولكنها في حقيقة الامر خاضعة له ، حتى في حالة الحرب التي هي أخـطر

الحالات : كان الجيش الانجليزي وراء خطوط الجيش المصري . وكان السلاح في يد الانجليز والفرنسيين . وكانت خطة المعركة العليا مرسومة بحيث تقف عند الحدود المحددة من دول الغرب ، سواء بوعي من حكام العرب او بعدم وعي منهم ، فالنتيجة سواء .

لذلك شهدت المنطقة مدا جديدا من منابع جديدة غير منابع الحكومات والاحزاب بين الحربين . من الاخوان المسلمين في أقصى اليمين الى الشيوعيين في أقصى اليسار وما بينهما ، ومن الاحزاب الانقلابية المدنية الى المنظمات العسكرية بين الضباط الشبان . في هذه الساحة الواسعة ظهرت موجة سياسية جديدة ، مهما اختلفت في أهدافها ووسائلها فهي في النهاية ، كما قلت قبل قليل ، أكثر جذرية ، وأكثر ثورية ، من كل ما عرفته المنطقة قبل أن تلمس المأساة الفلسطينية الضمير العربي .

كذلك عادت تلك الحركات الى اقطارها ، أكثر جذرية ، من حيث وعيها الاجتماعي. فقد نبهتها هذه الصدمة الى واقع حياتها الاجتماعية المر ، فاشتد وعيها بالبؤس الغارق فيه شعبها ، والظلم الاجتماعي المفروض عليه ، فولدت هذه الحركات حاملة اهدافها الجديدة ، اشتراكية وغيرها ، ولكنها تستهدف بوجه عام مجتمعا اكثر عدالة. وصار هذا أحد محاور الصراع الاساسية في العالم العربي خلال الحقبة التالية ، بعد ان كان الصراع محصورا في النطاق السياسي التقليدي الذي هو السلطة والبرلمان الشكلي والحكومة الصورية ومقاومة الاحتلال الاجنبي . وقد أمده هذا بقوة اجتماعية وجماهيرية لم تكن موجودة من قبل . وتغيرت خريطة الحياة في المنطقة تغيرا عميقا .

وليس معنى هذا ان هذا التحول الى الجذرية لم يكن ليحدث لولا قضية فلسطين ، فالتطور التاريخي آخذ مداه عبر شتى الظروف ، ولكن هذا لا يمنع من القول على وجه اليقين ان قضية فلسطين وأثرها في الضمير العربي هو الذي عجل بهذا التطور ، وهو الذي فجره ، وهو الذي اعطاه شرعيته حين أعطاه السبب القوي المباشر المقبول لدى الجماهير ومعظم فئات المواطنين .

ولم يكن أقل اثرا من تعرف الضمير العربي عبر فلسطين على نفسه ، اثر آخر بالغ الاهمية وهو : تعرفه على العالم الذي يعيش فيه .

كان العرب يعرفون ما يكفي عن شرور الاستعمار القاهر ، بأساطيله وقواعده وجنده . ولكنهم لم يكونوا يعرفون كل شيء عن حقائق عالم العصر الحديث وأسلحته ووسائله الجديدة . كان ساستنا يتجولون في دهاليز المحافل الدولية كالقرويين الذين هبطوا المدينة الصاخبة لاول مرة فهم لا يعرفون مسالكها ولا سبل التعامل فيها ، بينما كان الاسرائيليون يجوبون هذه الدهاليز ذاتها عالمين بها ، خبيرين بخباياها ، مدركين لكل وسائلها واحابيلها .

كان العرب يعرفون من عالم العصر الحديث كل مظاهره الجميلة ، وكل انجازاته في تحقيق المزيد من الديمقراطية ورفع مستوى المعيشة في هذه البلاد أو تلك . ولكن الجراحة الاسرائيلية ، الجراحة التي تمت في الجسد العربي ، أذاقت العرب مرارة هذا العصر الحديث وعلمتهم الجانب الاخر منه ، الذي هو جبروته وقسوته وسيطرة شريعة الغاب فيه . وعلمتهم ان حركات التحرر في العالم كله لها هدف واحد وان عليها ان تتساند وتتلاحم لقهر عدو واحد يؤمن بأن الحق للقوة ، ويرفض ان تكون القوة للحق .

وبهذا المعنى ، قادهم النضال من أجل الرد على التحدي الاسرائيلي الى اعطاء استقلالهم الذي يبحثون عنه ، فوق الصفة الذاتية ، بعدا دوليا . قادهم هذا النضال الى سياسات عدم الانحياز ، التي هي التطبيق الدولي لسياسة الاستقلال الوطني، وقادهم الى البدء بكسر احتكار السلاح ، والتحالف مع المعسكر الشرقي في مواقف كثيرة ، والبحث عن صداقات خارج قشرة السطوة والدهم التي فرضتها دول الغرب على العالم العربي دهرا طويلا .

نعم ، عادت الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية العربية بعد حرب ١٩٤٨ الى ساحاتها القطرية حاملة كل هذه المفاهيم الجديدة ، مدركة لكل تحديات العصر الحديث في مجملها ، يزداد وعيها يوما بعد يوم بما يمكن ان تلخصه كلمة « الفجوة الحضارية » التي تفصل العرب عن العالم الحديث ، والتي بقدر عمقها كان عمق الوهدة التي وقع العرب في شراكها ، وبقدر ردم هذه الفجوة بقدر ما سوف يتمكن العرب من تحويل الموج ، ورد التحدي ، واعادة دفة التاريخ في اتجاهه الصحيح . اتجاه تحرر الامة العربية وتطهير ارضها وتوحيد اقطارها ورفع مستوى شعوبها واقرار المساواة والعدل والحرية في جنباتها .

اقول عادت الحركات السياسية والقطرية الى معاركها القطرية ، ومعها القضية القومية ، ومعها فلسطين ، ومعها الفلسطينيون .

عادت ومعها فلسطين ، قائلة لنفسها في ذلك الوقت : ان الطريق الى فلسطين يمر عبر العواصم العربية كلها .

عادت ومعها الفلسطينيون ، فقد كان الفلسطينيون ، الذين فقدوا الوطن وتجسدت فيهم النكبة ، كانوا ملح الارض في معظم الحركات والتيارات الثورية التي عرفها العالم العربي . وكانوا ملح الارض في حركة التأليف والترجمة والنشر بوجه عام . وكانوا من اوائل المهاجرين الى الآفاق العربية الجديدة ، القاحلة في ذلك الوقت ، قبل ان تعرف الثراء ، حاملين معهم عبرة قضيتهم وبذرة قضية العروبة كلها الى كل قطر ذهبوا اليه .

ولذلك ، عندما « عاد الفلسطينيون » هذه المرة ، قبل عشر سنوات ، الى فلسطين، والى مجابهة العدو ، عادوا وقلب الامة بأسرها يخفق لهم ، ومع تصاعد النضال ، بل وتوالي الصدمات ، كان زخم الامة العربية المحيط بهم يزيد ولا يقل ... ويزيد ولا يقل ... وما زال يزيد ولا يقل .

[٢]

ما اعطتني فلسطين

المطران جورج خضر

الدم يعطي الروح . في حزيران ، عند الاستباحة الاخيرة ، عرفنا نحن عـذرية القدس وان العناق يعيد اليها الطهارة فأصبح دفء الحب فهما . وعند ذهاب الغفلة تبتل القلب وسكن الى المشردين المطرودين الى العزلة واذا بنفوسهم وحدها تطلعهم من السحق الى الضياء ليحكوا تاريخهم بقطرات الدم ويسقوا العالم سكيب الذبيحة الفادية . هنا النور يعمّد الاحياء والمفتدون لا يجيئون من بطون أمهاتهم . انهم أجنة الحق . اطفال وبسمات اطفال . رسمت اقدامهم في الحقول التي رجعوا منها الى ارضهم حلم خلاص وعودة مرتجى .

الذين قالوا لا منذ عشر من السنين تتلمذنا على صمودهم وكان الدرس أبلغ مـن السياسة . تنزّل الى قاع النفس جرحا ورؤية حتى امتشق النفس الى مسكونيتها .

غدت فلسطين تجربة صراخ بعد ان مزقوها وكذبوا . والصراخ رافق المأساة منذ نشوئها . علا عندما تحدت الامة الاذلال ورفضت المسكنة . قنّعوا وجه العروس . نزعوا عنها هويتها وقالوا انها سائبة . أصروا على انها غير ذات وجه وتعجبوا كيف ابت العار . أنى لها ان تدعي الوجود وهم يقرون الوجود ويقرون العدم . صرخت بملء فيها في صحاري ضمائرهم ، سمعوا حين ضجَت ، حين تعلمت لغتهم في الضجيج وكتبتها رصاصا في لحم بشر . هناك ناس تفهم فقط لحومهم . طلع الفهم من البندقية . آمن القوي بأيدي الصعاليك المتشددة . بأسهم أنطقه عدلا .

من تنهد : « أما لهذا الليل من آخر » يتنهد من أجل الجميع . من التمس في الظلمة نورا يلتمسه لنفسه وللآخرين . من تطهر في سبيل القدس يتطهر ليخدم معذبي الارض. هذا نسك أعماق يمدنا الى كل افق . الروح المقدسية النضال كوني مدها . عندما تبلغ قضية هذه الكثافة من السطوع تمسي في حجم العالم .

وهكذا بتنا لا نميز ، اذا رويت الحكاية ، بين الحق الفلسطيني والحقيقة . فالحقيقة ناهدة الى التجسد ، متململة حتى تلقى عبارتها . هذه العبارة هي الحق على مستوى المنظور . فلسطين حقيقة مغنّاة تصبح سياسة . وعلى ذلك لا تسقط صوفيتهـا . يترجمها الفعل يتلو الفعل . فالرؤية الصافية ليست بشيء ما لم يزكها البذل . كذلك حق القوم لن يكون شيئا ما لم تتفتق منه التطلعات المنقذة ، ما لم يخفف وطأة آنيته بالحرية الباقية في النفس اذا هي التزمته فيرتقي الحق في التاريخ درجات الابدية كما تستحيل المطلقات تعهدات زمان اذا حن الله على الزمان . اذ الايمان أمانة او لا يكون ، ثقة بالراهن فيما نحن نحول . الحقيقة والعدل بفلسطين يتلاثمان .

ما ذلك الا لان الرؤية الفلسطينية اقتحام المستقبل للماضي . وهذا الاقتحام يحرر الماضي من عتاقته وذلك ان الحق يكون ولا يورث . يطلع عليك كالملكوت من الآتي ،

من صورة الانسان الجديد الذي نريده بدءا من تراث ولكنه كله وليد هـذا التوثب المستمر الذي نسميه ثورة . فلسطين فيه بناؤنا للانسان المشرقي وسعي البناء . والقيامة التي اليها نتوق تصنع حاضرنا وتنقلنا الى التحرك السياسي . الثورة ، من هذا المنظار ، ليست مداميك تتراكم فوق البنيان العربي القديم ولكنها قوة جديدة مبثوثة في البناية كلها او هي معنى البناية . المستقبل قراءتنا للماضي وتقويمه ، خلقنا له . فعلى قدر ما تكون الثورة حبلى بالانسان القيِّم فهي حرة من كل ما كان ، فيما سلف ، ركاما . الجدة لا تجتر . الجديد موصول ولكنه خلق ، توتر يتأهب للانفجار .

في الطرف الاخير السلفية التي تعاود كالوباء وتفتك ايما فتك لكونها تقينا مغامرة الفكر . والعقل يستطيب عصوره الذهبية او ما ظنه كذلك . وسيان بين هذه العصور والجاهليات اذا استعبدتنا . والسلفية كالوحش الرابض في الكلمة العربية لانها مغرية حتى النشوة . والنماذج العقلية الموروثة في الحضارة والسياسة يستبقيها الجمود بعد ان يملّ الانسان الابداع . والابداع مسؤولية تضني .

وجوهنا الى عربة تبدع نفسها وانسانها الخيِّر في تغيير وجداني دائم ولكنه تغيير يعرف أصوله ويؤول الى ينابيعه . أمامنا فلسطين قبلة الوجود يطفر من موت . فاذا عاد ابناؤها الى أرضهم فانما نعود جميعا الى الطفولة والطراوة وضياء الشهود . اذ ذاك نكتشف حريتنا ومضمونها .

هذه العربة الحضارية ليست بداوة وبكاء على اطلال ولا هي تقليد الغرب واستيراد أنماطه . عروبة القرن الماضي ذهلتها اوروبا وعقدتها فكان علينا ان نحدد أنفسنا بالنسبة الى الغرب ان نحذو حذوه او نرفضه او نتحير بين هذا وذاك لان الغرب كان العالم .

لقد اكتشفنا اليوم اننا نحن أيضا بعض هذا العالم أو قادرون ان نصيره . والصمود نبهنا الى مصيرنا ولكنا لم نكتشف حتى الآن كل عناصر هويتنا . لاحظنا كثرتنا وطاقاتنا ومشاركتنا العالم الثالث وامكان تحرر لنا عن طريق الطاقة والثروة . ولكن هذه كلها وعود صيرورة . ان الارتقاء الى انسانية عربية خلاقة ، كبيرة المعرفة وتعهد نفسها والعالم لم يحدث لاننا لم ندخل بعد في نقد للتراث العربي جذري ولم نصل الى الكليـة العضوية التي تمكننا من ان نتبصر بارتياح الى مختلف جوانب حياتنا التاريخية بما فيها من موروث واطلالة ، من عتاقة لا بد ان تبيد ومن جدة منقذة .

المعرفة التي هي رؤية ونفاذ ويقين هي ايضا فعل يتمم المحبة والتزام لارضنا ينطح السماء . هذا اللون من المعرفة دائما جديد وهو وحده الذي يضمن التعايش بين أدياننا الثلاثة لقاء صدق بين اتباعها ولقاء أعماق ويجعل العلمانية التي نتطلع اليها في فلسطين المستقبل علمانية تختلف كثيرا عن تلك التي انبثقت في الغرب فكانت تجاهلا لايمان الناس وفصاما بين الوحي الهابط عليهم من جهة ووسائل عيشهم وبنية الامة من جهة أخرى . العرب لا يؤمنون بأمة لا عقيدة لها والعلمانية ليست بعقيدة. انها نمط الحرية ولكنها ليست ذات مضمون . وعندنا ان الوجود كله هو الله وان الالحاد جفاف ، جيفة هذه الحضارة الغربية الذهنية ، المتفككة التي فقدت روحها أو كادت . هـذه العقلانية المنعزلة ، الموحشة للنفس ، التي تأبى الشعر والعبادة ، القتالة للوجد لن تدوم . فالتطلع كان دائما شيئا عاموديا . فقبل ان يمد الانسان نظره الى فوق كان

حيوانا يدب على وجه الارض ويلاصقها . ولما انتصب على قدمين اثنتين جذبته الشمس وسحره القمر والجالس عليهما في جلال أزليته .

وهذا التلاقي بين المؤمنين بالاله الواحد لا بد له ان يتحول الى حوار يتجاوز اي نظام طائفي فالنظام الطائفي لا يبتغي وحدة القوم بل ان يتراكموا . فلسطين المقبلة ، اذا استطاعت ان تعي دورها ، فرادتها في انها تقيم دولة علمانية اطارا لمجتمع جله من المؤمنين يتقابلون ليس في نطاق تهذيب زائف بل في هذا الاقرار انهم يؤلفون جماعات متمايزة في العقيدة وموحدة في بنيان الانسان المعاصر . ولا بد لهذه الجماعات ان تفتش عن الهام ذي عناصر روحية من شأنها ان تتناسق لتكون زخم هذه الشراكة الانسانية القائمة على التعدد . وقد يتطلب هذا كله ان تعيد هذه الملل النظر في مواقف لها تاريخية او تفسيرية وفي كل حال ان تجدد نفسياتها تجديدا عميقــا لتتغلب عــلى التعصب والتشنج . هذه المواجهة الدينية ـــ الاجتماعية لن تكون سهلة وصعوبتها في تعدي الاطار الفقهي التقليدي لتعامل الديانات . ولكن لا مفر من ان يصبح المواطن في دولة حديثة كهذه عديلا لكل مواطن آخر بحيث تنتفي كل فئوية او رتبية او حماية في علاقات الطوائف .

هذا ليس بعثا لتقليد عربي ولكنه عربة روحانية كثيفة انسانيتها جديدة في العالم كله قديمه وحديثه . وهذا يفقد الدولة الصهيونية كل مسوغ لها . ان أعطت فلسطين المثل على ان اتباع الاديان مقبولون في هذا المجتمع قبولا ينفي التمييز بين الاكثريــة والاقليات تبيد المزاعم الصهيونية كلها . وهذا ، بالطبع ، يفوق ـــ في معناه ومرماه ـــ فلسطين نفسها شعبا ودولة . هذه رؤية الانسانية الجديدة ، خلاص محقق ينطلق من القدس ثانية .

اذ ذاك تكون فلسطين مختبر العرب ومثال خلاصهم . اذ ذاك العروبة عالم حب والسماحة صيغة عيش للدنيا . لا تلك السماحة المتغاضية عن أخطاء الآخرين وحسب والمتقية ، بصمتها ، كل خلاف ولكنها الرضاء عن وجود الآخر مــن حيث هو آخر واستمتاع فرادته .

عندئذ تبدأ مصالحتنا للغرب تلك التي لم يكن يعنيها اذا تكلم عنها ونحن نرفضها لاستكباره ونهبه . فاذا اكتشف الغرب من ادناه الى اقصاه ان العرب لا يغريهم الان فتح العالم وان لهم ان يعمروا انفسهم وبلادهم وفق نموذج حضاري يستسيغونه ، اذا دخل الغرب بمغامرة التواضع تصبح الصيغة الفلسطينية نداء تكامل بين الشعوب ومقابسة فيأتي النور من النور واذا بالتلاقي مشاركة خبز وخلق .

[٣]
نحن والشهيد
« شروح قديمة على أشعار حديثة »

احسان عباس

هو الآن يرحل عنّـا
ويسـكن يافـا
ويعرفها حجرا حجرا

هو : ضمير يدل على الغائب الحاضر أبدا ، لانه يشير الى « الشهيد » . والشهيد لفظة تعني : « الحي » ، أي هو الذي يقهر الموت من خلال الموت . ليس هذا تحايلا مجازيا . « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم ... » ؛ و « يافا » هذه التي يريد ان يسكنها — وربما اخترنا في هذا المقام « ان يسكن اليها »— هي احدى الحور التي اقامت تنتظره طويلا مع سائر السرب الجميل : القدس وعكا وحيفا وصفد وطبريا و ... عشرات ، آلاف ترفرف فوقها أرواح الشهداء في صور طيور خضر بلون أوراق الليمون والبرتقال والعنب ؛ وروحه الآن في صورة طير أخضر او ابيض تتملّى مواطن السحر والجمال او ملاعب الطفولة في يافا ، وذلك ما يرمز اليه الشاعر بقوله « ويعرفها حجرا حجرا » ، فان الحجر نموذج للجمال حين يكون رمزا للبيت والارض ، للوطن ، « للحورية » التي طال انتظارها . أما نحن في لفظة « عنّا » فسوف يتم تحديدها من بعد .

هو الآن يخرج منّا
كما تخرج الارض من ليلة ماطرة
وينهمر الدم منـه
وينهمر الحبر منّـا

تأمل اصرار الشاعر على استعمال لفظة « الآن » ، ليدل على مدى ارتباطنا نحن (هل نقول نحن الاحياء — الموتى ؟) بالزمن ، بينما يخرج الشهيد من محدودية الزمن الى المطلق ، يخرج من بيننا (أترى هذا الرحيل عنا والخروج منّا يعني الخلاص الذي كان ينشده ؟!) وقد غسلته الشهادة من علائق الزمان والمكان كما تغسل الليلة الماطرة الارض . ذلك هو المعنى الذي اراده الشاعر دون ريب ، والا فان الشهيد — في الغالب — لا يغسل على الحقيقة ، وانما يظل مخلّقا بدمائه ، مكفنا بثوبه الذي كان يلبسه . قال أحد الابطال الذين حاربوا في القادسية : « انا لاقو العدو — ان شاء الله — غدا ، وانا مستشهدون ؛ لا تغسلوا عنا دماءنا ، ولا نكفن الا في ثوب كان علينا » . وسمع عكرمة يقول : « يصلى على الشهيد ولا يغسل ، فان الله قد طيبه » .

ومع ذلك فان هذه الصورة : اعني « خروج الارض من ليلة ماطرة » صورة محيرة ؛ من هو الارض ومن هو الليلة الماطرة ؟ وكيف يتم الانفصال ؟ لكن يجب الا يستوقفنا

هذا التدقيق لانه تعنت غير ضروري ، اذ المهم هو الفرق النهائي بيننا وبينه ، وبين عطائنا وعطائه ، هو يقدم دمه ونحن نسفح الحبر . و « ينهمر » صيغة عجيبة في دلالتها الصوتية ؛ لشد ما يحسن هذا الشاعر ان يختار الكلمات الدالة . ولماذا كل هذا الحبر ؟ لقد بين الشاعر — من قبل — ان ذلك من أجله ، يا لروعة التضحية :

نحن نكتب عنه بلاغا فصيحـا
وشعرا حديثـا
ونمضي لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف .

وليتنا كنا نخلط بذلك الحبر قليلا من دم الصدق ، لو فعلنا ذلك لكنا شهداء ، فطالما قرن حبر العلماء بدم الشـهداء ، ولكنا ضيعنا العلم والشهادة ، واخترنا جلسـة استرخاء بليدة فوق المقاعد في مقاهي الرصيف ، حيث « نطرح » أحزاننا ولا «نهمرها»، لانها ليست مما يمكن ان ينهمر .

اذن فان العلامة المميزة له هي « الدم » مثلما ان العلامة المميزة لنا هي « الحبر » وتحت هذين الشعارين يحتشد جميع الثنائيات المتناقضة من حق وباطل واخلاص ورياء ... ومن قبل ذلك ميز التنزيل بين القاعدين والمجاهدين (والجهاد درجة على طريق الشهادة) : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم » ، فكيف اذا كان القاعدون ممن يمضون ليطرحوا أحزانهم في مقاهي الرصيف ؟!

هو الآن يمضي ...
قنـابل او برتقاله
ولا يعرف الحـدّ بين الجريمة حين تصير حقوقا
وبين العدالة
وليس يصـدّق شيئا
وليس يكذب شـيئا

موهمة هذه الاسطر : كأنها تقول انه لم يعد يستطيع ان يعين هويته : « قنابل او برتقاله » ولم يعد يعرف هوية الاشياء « الجريمة / الحق والعدالة » ولم يعد يدري أين يتخذ موقفه « مع الصدق او مع الكذب » ، لان خروجه من حدود الزمان والمكان قد أبطل علاقته بالمواضعات والمقولات التي تجري ضمن حدودهما . لا . معاذ الله . ليس هذا المعنى هو الذي قصده الشاعر ؛ أنا على مثل اليقين انه اراد ان الشهيد يمضي (الآن) ليصبح روحا متفجرة تفجر كل قنبلة تلقى على جموع العدو ، وبرتقالة جميلة عند كل من يقرن بينه وبين « يافا » ؛ وانه حين يفتك في العدو يقول من لا يعرف حقيقة الامور او من يتجاهلها : « هذه جريمة ! » غير عارف — بل متجاهل — ان هذه الجريمة هي صورة الحقوق المسلوبة ، وهي وحدها العدالة . (ونستغفر للشاعر انه سمح للفظة « جريمة » ان ترد على خاطره) . ثم ان هذا الشهيد لم يعد يصدق شيئا او يكذب شيئا ، لا لانه وقع في منطقة حياد (ايجابي كان او غير ايجابي) بل لان حيز الشيئية عنده لم يعد يضم امورا متباينة قابلة للصدق والكذب ، لم يعد لديه في ذلك الحيز سوى حقيقة واحدة مطلقة ، لا توصف بأية صيغة لغوية من صنع الانسان ، لان الصفات قائمة على تصور ثنائي تقود اليه الحاجة الآنية في التمييز ؛ وتلك الحقيقة

الواحدة المطلقة هي الشهادة ، فاذا أسميتها الحق او العدالة أو الجمال او الفضيلة أو . . . لم تتعد مسمياتها على تكثرها ، دون ان يكون هناك تعدد في الغايات ؛ الشهيد لا تتعدد لديه الغايات ، واذا تعددت ظاهريا فانما هي وجوه لشيء واحد . ولهذا فان الشهيد لا يقاتل حمية ولا يقاتل شجاعة (أي ليتباهى بشجاعته) ولا يقاتل تكاثرا ولا يقاتل ابتغاء عرض . الشهيد انسان دقيق في انتظامه المسلكي ، ولهذا فان الرسول لم يعترف بالشهادة لرجل من الرماة قتل بعد ان امره الرسول هو ومن معه بالتحول عن مواقعهم ، كما أبى الاعتراف بالشهادة لرجل غلّ شملة (أي أخذها خلسة وخبأها) . الشهيد عازم لا يعرف التردد ، ولذلك كانت صورة عبدالله بن رواحة مختلفة عن صورة صاحبيه اللذين استشهدا قبله في معركة مؤتة ، اذ ادركته ونية وتردد ، وجعل يحث نفسه على الاقدام بقوله :

أقسمت بالله لتنزلنّه ... طائعة أولا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه ... مالي اراك تكرهين الجنه !!

والشهيد ايضا . . . حسبنا ؛ انه يعرف كل ذلك ، يعرفه ويخلفه وراءه ، ونظل نحن نصب الحبر في التغني بهذه المثل .

هو الآن يمضي ويتركنا
كي نعارض حينا
ونقبل حينا

وهذه ثنائية جديدة نحسنها نحن : « المعارضة والقبول » ونتردد بين طرفيها طويلا؛ مبدأ المساومة كأن الارض سلعة ، يا للفظاعة !! أما هو فلا يستطيع شيئا من ذلك لانه قد اختار وقضي الامر . ولم يتردد — كما نفعل نحن — وهو غير محكوم برغبات الحياة وحب العيش وتقلبات الظروف ؟

هو الآن يمضي شهيدا
ويتركنا لاجئينا

وهذه ثنائية أخرى طرفاها : « هو — نحن » ولكنها كانت حاضرة منذ البداية ، الا انها تحددت وتبلورت بالتسمية المميزة « الشهيد — اللاجئون » ولا تسألني ماذا يعني الشاعر بكلمة « اللاجئين » ، فانك تستطيع ان تراهم حيثما التفت ؛ أما الشهيد فقد أبى ان يكون لاجئا بل جعل الارض لاجئة في جراحه . . . وأما نحن فقد يطول بنا الوقت قبل ان نكتشف الارض فينا ؛ مع انه قد جاء الحديث « ما من مسلم يظلم بمظلمة فيقاتل فيقتل الا قتل شهيدا » ، واي مظلمة أشد من سلب الارض — الوطن ؟!

[٤]

طمأنينة القلق ، غبطة المرارة

أدونيس

[١]

انها وردة العالم ، لكنها مريضة : تلك هي القوس التي تمتد بين الحنجرة والقلب . واخذنا نسمي هذه القوس ـ مرة انطاكية ، ومرة الاوراس ، ومرة فلسطين .

انها وردة العالم ، لكنها متوجة بالشوك : لماذا ترفض الارض أن تزهر بغير الدم ؟

[٢]

١٩٦٧ ـ نتبعثر ، ثم نشعر كأننا نتخثر .

كيف نهدم نظام الكلام الذي يؤطر حياتنا ؟

حاولنا دائما ، وانتشينا . لكن ، في لحظات صحونا ، كنا نكتشف أننا نهدم الكلام بكلام آخر ، وأن هدفنا هو نفسه كلام .

كنا كوكبة أصدقاء :

ـ متى تتفجر الثورة ؟

[٣]

الثورة / الثروة

أناس يخافون من الفقر ، وأناس يخافون من الغنى . المال أكبر من صاحب المال : تلك هي مفارقة أخرى بين مفارقات الراسمالية المتخلفة . مفارقة تقوم على العنف ولا تفرز غير الطغيان : حيث يزيد الغنى في استلاب المسحوقين ، يشيئهم ويحولهم الى بضاعة . يعمم عادة الصبر واللامبالاة . ويحال بين المسحوق ونفسه . لا يتاح له أن يكون حتى سيد يومه ، فكيف يتاح له أن يكون سيد مصيره ؟ يحاصر المسحوقون داخل ثيابهم . يعاملون كجموع من الرمل .

أن اكون مسحوقا : هذا ليس خطأي . انه خطأ الآخر . لكن ، من الاعماق البشرية المسحوقة ينبجس الكلام ـ الفعل ، ينبجس العمل ـ التغيير . فلنطوق هذا الآخر ولو بأشلائنا . نحن المسحوقين لا شيء ، لكن يمكننا أن نكون كل شيء .

نتسلل كالجنون الى هذا « العقل » المسيطر . نرجه ، نزلزله . مـا كان مرضا يتحول الى صحة . ما كان شذوذا يصبح هو القاعدة . لنكن لهبا لا يقبض ، ولا يقدر أي حجاب أن يمنع حضوره الساطع . لنتغلغل كالرعد في أحشاء هذا العالم . نحن المسحوقين **لا شيء ، لذلك يمكننا ان نكون كل شيء .**

[٤]

الثورة / ممارسة التحرر

لكن هذه الممارسة معرفة ، أولا . معرفة يؤسسها المسحوقون . فهم ، وحدهم ، يعرفون القمع ، ويعرفون اسبابه وأدواته . لذلك يعرفون طريق التحرر .

تكون المعرفة تحريرا أو لا تكون .

وها هو نهر الحياة العربية يتغطى بطحالب الالفاظ : الكلمات اصوات ، واللغة مناجم للرنين . وليس في هذه المناجم غير الآلات التي تسحق وتستلب . ترسخ السائد ــ الاقتصادي ، الثقافي ، السياسي . تخضعنا نحن المسحوقين لشروطها : **هذا** حلال وهذا حرام . هذا خير وهذا شر . هذا جميل وهــذا قبيح . تشدنا بأمراس النهي والامر . لا نعود نحيا واقعيا . نشرد في عالم آخر . **ونتخيل** حياتنا .

هكذا نمارس معرفة **مجانية** : ارث البلاغة ، بلاغة الارث . وهذه معرفة مستقلة عن ظروفها وأسبابها : سديم يعوم في الفضاء .

المعرفة الحقيقية لا تكون مجانية . الشعر نفسه لا يمكن ان يكون مجانيا . المعرفة **كفاح** . في هذا خصوصية المعرفة / الثقافة التــي يؤسسها المسحوقون . اعنــي خصوصية الثقافة الثورية .

[٥]

ــ لكن هذه الثقافة ليست مجرد **تلبية** . انها اغنى وأوسع : انها **صبوة** لا تنتهي . الثورة / الثقافة ليست في تحقيق ما **نحتاج** اليه وحسب ، وانما هي ايضا في تحقيق ما **نصبو** اليه . كل ثقافة / ثورة تقتصر على تلبية الحاجة ، تبدأ بالانهزام لحظة تنتصر .

بهذه المعرفة نخرج من **وحدة المجانية** ، الى وحدة **مشروع** مشترك ، **عمل مشترك** . نبطل أن نكون سديما ، ونصبح طاقة مغيرة . هكذا نخرج من موقع الضحية . نخرج من **حضارة الاغاثة** .

[٦]

ــ ليس هذا الخروج برنامجا : انه هدم واقع نعيد بناءه فيمــا نهدمه . وها هي « البورجوازية العربية » ، شأن البورجوازية الاوروبية ...

ــ لا مقارنة . الثقافة البورجوازية الاوروبية انتصرت على الثقافة الاقطاعية ــ الكنسية ، بما اعلنته ، وحققته عمليا : حقوق الانسان ، ثورة ١٧٨٩ ، العلمنة ، العلم، اولية العقل ، الديموقراطية ... وبهذا مهدت لنشوء قوى التقدم ، لنشوء الثورة الاشتراكية الاولى . ما ثقافة هذه التي نسميها « البورجوازية العربية » ؟ انها **اعادة** للثقافة التي نشأت في بلاط الخلافة ، **ونقل** للثقافة الغربية التــي لا تتناقض معها . الثقافة العربية **السائدة** ، بجميع مؤسساتها ونشاطاتهــا ، **انتفاخ** يلفق بين هذين المنحيين .

ــ ولم يعد كافيا نقد هذه الثقافة ورفضها . يجب أن نهدمها . ولا نهدمها بمجرد ان نهدم مؤسساتها ، وانما علينا ان نهدم **علاقاتها** : أعني أسسها ومنطلقاتها . يجب أن نشن حربنا عليها ، **ونعيش** هذه الحرب : نؤسس عائلة بديلة ، مدرسة بديلة ، جامعة بديلة . . . في ذلك ، وحده ، نخلق مسارا جديدا لثقافة جديدة . وفي هذا ، يصح القول : **تكون الثورة العربية ثقافية أو لا تكون** .

[٧]

ــ الثورة الفلسطينية / هل سمعتم البيان الاول ؟ كيف شعرتم ؟

ــ كمن يعرف ، للمرة الاولى ، أنه موجود ، وأن له اسما .

ــ الثورة الفلسطينية /

انها ، موضوعيا ، حرب تحريرنا **الشامل** .

ــ وهي ، موضوعيا ، حلبة الصدام ، على مستوى العالم كله في هذا القرن ، بين أعقد أشكال الاستلاب الذي تمارسه الامبريالية ، وأكثرها عنفا . عنيت **الصهيونية** ، وبين أعمق أشكال التحرر من الاستلاب ، وأكثرها ايمانا ببهاء الحياة البشرية على هذا الكوكب ، عنيت الثورة الفلسطينية .

ــ الثورة الفلسطينية **قانون ايمان** التحرر الشامل ، عربيا . **ورائز** لدى الايمان بالتحرر والعمل له ، عالميا .

[٨]

ــ ما الشعر ، هنا ، ما مهمته ؟

ــ أن تنصهر في لهب الثورة ، **حربا** ، وأن تنصهر فيه ، **كتابة** ، سواء . الموت ، في هذا المستوى ، ابداع أي شعر . والشعر ، في هذا المستوى ، موت : لا فرق ، لا فصل . والرؤيا الشعرية هي هي دائما : **تأسيس الممكن** ــ أي الصبوة الى ما لا ينتهي . فأن تكتب الشعر هو أن نؤسس الزمن الذي **يكلمن** فيه كل شخص صبوته العميقة ، **ويعيشها** . والصبوة كالثورة حركة وليست **حدا** .

ــ لكن هذه الصبوة مما لا يقال ، الآن .

ــ ما لا يقال الآن ، في المجتمع العربي ، هو مجال الشعر الحقيقي . كل « شعر » آخر ليس الا نوعا من المشاركة في تعميم القمع ، أعني القتل .

ما « الشعر » السائد ؟ مدح أو هجاء : أي رياء وكذب . لذلك يندرج في البنية الثقافية السائدة : لا خطر منه . الخطر في الشعر الذي يؤسس الممكن ، يؤسس الصدق ، يتقدم في أفق الثورة .

الصبوة حلم بتحقيق ما نريد أن نكون . الشعر هو أن نحقق هذا الحلم ، **ماديا** . الفاعلية الشعرية التي تقتضيها الثورة هي ، اذن ، فاعلية **خرق المحظور** . والشعر ، في هذا الاطار ، خميرة الهدم . لا يكون في المجتمع العربي شعر ، الا بدءا من خرق المحظور .

[٩]

ـــ الثورة الفلسطينية /

بالثورة نبدأ بالمادة ، أعني بجسد العالم . نمارس كلاما يبدأ كالعمل من الجسد ، يكون امتدادا له . هكذا تنتهي ثقافة البدء من الفكرة ، وتبدأ ثقافة البدء من العمل .

ـــ الثورة الفلسطينية / معرفة كيف نعمل معا : نرفض التمييز بين من يخطط ومن ينفذ ، بين من يبدع ومن يتلقى .

ـــ لكن ، كيف أسكر بجسد ليس بين يدي ؟ كيف أغني جسدا يجهل جسدي ؟

ـــ الماضي ؟ جسد مات أو يموت . لا نقدر أن نلغي الموت . نقدر أن نتجاوزه . لنخلق اذن تجربتنا . لنمارس ابداع تاريخنا نحن ، هنا والآن .

الثورة الفلسطينية / .. هنا ، والآن . تخلخل وتحول . لا تحتضن الحياة وحدها . تحتضن كذلك الموت : ما أجمل الخراب ! في طعم النهاية ، اذن ، طعم البداية . في الثورة ما يكتشف نواة الاشياء ، ويرد الشخص الى جذره الحي .

الثورة / هذه الطمأنينة في القلق ، هذه الغبطة في المرارة .

الثورة / أيتها النهاية أبدأ بك .

[١٠]

انها وردة العالم ، لكنها متوجة بالشوك : لماذا ترفض الارض أن تزهر الا بالدم ؟

[٥]

أي كوكب يغنيني عن أمي ؟

انسي الحاج

من القهر

جاء رجل ، ثم رجل ، ثم رجل ، وقالوا : نحن عائدون .

فقامت .

التي كانت مطوية تحت غبار اللامبالاة ، قامت .

الخرافة صارت بشرا .

اللفظة ، الحرف ، الفراغ ، صارت رجالا .

والذين في الخيام ، راحوا يتركون صلبانا ويحملون أخرى ، يتركون صلبان اليأس ويحملون صلبان البعث ، ويلحقون بالرجل الاول ، فالثاني ، فالثالث ...

الذين كانوا تحت كل قانون صاروا ، بغضب العدالة ، ثم القانون ، والذين كانوا أرقاما في وكالة حسنات صاروا الخوف ، والثمن الذي دفعوه دون حساب أخذوا يستوفونه دون حساب أيضا .

منذ عشر سنين جاء رجل وقال : سأعود .

سنعود ، راحوا يجيبونه وينهضون تحت الخيام .

منذ عشر سنين بدأت فلسطين تجاوب فلسطين . هناك الارض تنادي أولادها ، وهنا الاولاد تتحرك فيهم الارض .

القمر أم القدس يا ابن القدس ؟

القدس ! القدس ! اي كوكب يغنيني عن أمي ، وأية مملكة تساوي حبة من تراب القدس ؟ ما أسخف الذين ظنوا أهل فلسطين سينسونها مع الوقت . كيف تنسى فلسطين ؟ الذي ينسى فلسطين لا يستحق غيرها . الذي ينسى فلسطين لا يستحق خيمة في صحراء . لتنسه الشعوب والسماء من ينسى فلسطين . ولتنسه يمينه .

منذ عشر سنين والذاكرة التي انتفضت تمشي ، تمشي ، حتى احتلت ضمير العالم .

من يستطيع بعد أن يقول : هذه القضية لا تعنيني ؟

ومن لا تعنيه القدس ؟ والناصرة ؟ وبيت لحم ؟

ومن لا يعنيه الذين يموتون بهذا العناد المجنون ، كأن الاستشهاد ، معهم ، أصبح ادماننا ؟

من في الدنيا يستطيع أن يقول : لست فلسطينيا ؟ ومن ينظر الى القدس ويقدر أن يقول : أنا بريء من دم هذا الصديق ؟

أفضل منا ، القدس .

أفضل منا .

العالم كله مقدسي ولكن القدس أفضل من كل العالم . كأنها ليست من هذا العالم ، ولانها هكذا ، تارة نصلبها بالاهمال ، وتارة بالخيانة ، وتارة بالحقد .

لا مدينة هي ولا عاصمة . انها السماء بيننا على الارض ، انها الارض الكاملة . المختارة هي . المالكة . لا أحد يملك القدس . القدس تملكنا جميعا .

فلسطين تملكنا جميعا .

كل عائد الى فلسطين تعود معه البشرية .

تعود معه الى الخلاص .

منذ عشر سنين لم تبدأ مسيرة عودة الفلسطينيين وحدهم الى فلسطين ، بل معهم وفيهم بدأت مسيرة عودة العالم الى فلسطين .

وسواء بغصن الزيتون ام بالفداء ، سيرجع أبناء الارض .

لان نداء الارض أقوى .

ولان فلسطين أقوى أرض .

[٦]
الثورة الفلسطينية في الضمير اليهودي

الحاخام المر برغر

قال الكاتب الفكاهي والساخر الاميركي مارك توين ذات مرة أن الله أنعم على الاميركيين بثلاث هبات : « حرية الكلام ، حرية الضمير ، والاحتراس من ممارسة اي منهما أبدا » . بهذه الملاحظة الساخرة ، كمعظم الاقوال التهكمية البارعة ، ليست صحيحة الا بصورة جزئية ، علما بأن الادلة تشير الى أن هذا الجزء من الحقيقة كان في ازدياد خلال الاعوام الاخيرة .

وينطبق تعليق مارك توين اللاذع ، بصورة مأساوية ، على موضوع « الضمير اليهودي » والثورة الفلسطينية . ليس من الصعب وصف الوجود الثابت « لضمير يهودي » جدير حقا بالثناء مع جوهر نموذجي في سياق المشكلة الفلسطينية . ويتوقف الشيء الكثير ، بالطبع ، على ما يعنيه المحلل « بالضمير اليهودي » . واعتقد انه من الضروري ، باديء ذي بدء ، التمييز بين « الضمير اليهودي » و« الوعي اليهودي » . واذا كان « للضمير » اي معنى حقيقي على الاطلاق في هذا العالم المليء برجال الدولة الساخرين ، والامم « المحرومة » الجائعة ، والانهماك المنغمس ذاتيا بأدوات المدنية الى درجة ان السياسيين يمجدون الانهماك ويحولونه الى « مباديء » ، فان «للضمير» صلة بالله ، او على الاقل بأية عبارة يستخدمها أي شخص حساس للاشارة الى ان الانسان **يستطيع** ان يكون أفضل واكثر مما هو ، وسواء اجتهد المرء ، أم لم يجتهد ، لتحقيق هذا النوع من السمو فتلك مسألة اخرى وقد تكون ، بحد ذاتها ، لها صلة ما بالضمير . ومن الناحية الاخرى فان « الوعي » ، بالتحديد ، مقيد بالارض ومقيد بالانسان . وقد يشتمل — في أي فرد معين — على درجة كبيرة من « الضمير » ، ولكنه لا يعني بالضرورة انه يشتمل عليه . وفي هذا الفرق يكمن الانقسام الممكن بين ما يعيره احد الاشخاص من كينونته — ما **هو** أو ما **هي** — وبين ما يدرك (بضمير) انه قد يصيره .

يذكر في هذا باختبار شخصي عام ١٩٦٨ . كنت قد قبلت دعوة لاحاضر في الكلية اللاهوتية التابعة لجامعة ليدن ، في هولندا ، وقد سبب لي الموضوع المقترح للمحاضرة — وهو « النبوة ، والصهيونية ودولة اسرائيل » — خوفا عظيما . فقد كان تدريبي في كتابات العهد القديم تاريخيا ، تحليليا وعلميا على نحو صارم وتام . وكان «لاهوتي» مستقطرا من هذا المزيج من فروع المعرفة والدراسة عوضا عن ملاءمة تفاسير النصوص التوراتية في لاهوت مطبوخ مسبقا . وكان لاهوتيو ليدن كلفنيين*. والميول المسيطرة للكلفنيين — حينما يكون الامر متعلقا بالصهيونية ودولة اسرائيل — هي العثور في النصوص التوراتية على « سلطة » لتأييد وتسويغ السياسات الصهيونية

---

* أي اتباع المصلح البروتستانتي جون كلفن ، وهم يشكلون احدى الطوائف البروتستانتية في الغرب.

والاسرائيلية السياسية / الارضية . وبحلول عام ١٩٦٨ كنت قد اصبحت معتادا على المواجهات مع المدافعين عن الصهيونية واسرائيل . ففي ذلك التاريخ كان قد مضى على مواجهتي لهم ربع قرن . ولكن الجمهور في ليدن لن يكون — كما افترضت — ميالا الى الموافقة مع السياسة الصهيونية / الاسرائيلية فحسب ، بل مستعدا ايضا لان يتلو علي — من الذاكرة وفي معركة « نصوص ثابتة » — اية نصوص توراتية من سفر التكوين الى سفر الاخبار ؛ وانا لم أجد قط اي دافع او منطق لان احفظ غيبا مجموعة متنوعة واحيانا متضاربة من الايات التوراتية .

وعلى الرغم من هواجسي اقتنعت اخيرا بقبول الدعوة . وقد تم تسجيل كل ما قلته . وكل ما تدعو الحاجة الى قوله لتوضيح ما أعنيه هو ان عرضي كان خلاصة تاريخيـة ، تحليلية ، منتظمة للتفكير النبوي في اليهوديـة . وجادلت بأقصى مـا استطيع من قوة وبلاغة — مدعوما بالنصوص المطابقة — قائلا ان هذه الرؤيـة المجدة والشاملة لعلاقة الله بالانسان لا يمكن تشويهها ، بأي معنى منطقي صحيح ، وتحويلها الى دعم حقيقي لحركة الصهيونية القومية ، القبلية ، المنغلقـة والتمييزية وللدولة الصهيونية التي فرختها في الشرق الاوسط .

وقد اثَّرت المحاضرة في الجمهور ، حتى وان لم تهده الى التفكير السليم . وشجعتني بعض ردود الفعل الفردية على الاعتقاد بأنني قد عززت بعض الشكوك ، وقال بضعة اشخاص كانوا قبل محاضرتي يتفقون معي سياسيا، انني قدمت تفاسير تزود سياستهم **ببعض** السلطة النصية .

كان هناك شاب يهودي بين الجمهور . وخلال فترة الاسئلة بعد المحاضرة نهض ليقول ما معناه : لا يمكنني ان اختلف مع اختيارك للمصادر ولا ، يقينا ، مع تفسيراتك لتلك الاختيارات . لكن بعضا منا قد مل ملاحقة مثاليات الانبياء في وجه وحشية معظم العالم . وفي الصهيونية نرى الامل في قوة مضادة وفي اسرائيل نرى منذ الآن (وكان هذا بعد عام ١٩٦٧) كيف ان استخدام هذه القوة في الوقت المناسب يكسب لنـا احترام العالم .

لم يكن هذا سؤالا ولكنه لم يكن ايضا نوعا مـن الخطب الهستيرية والافترائيـة المشوهة للسمعة التي طالما تعرض لها الكثيرون منا نحـن الذين خضنا الحملات الاعلامية على يد المدافعين عن الصهيونية . لكن تعليق الشاب أوضح النزاع الممكن — وحتى المرجح في كثير من الاحيان — بين « الوعي » و« الضمير » . فان « خصمي » في ليدن لم يعد يرغب في الاصغاء الى ضميره . لقد افترضت من موافقته الضمنية على جدلي أو قبوله له ان « الضمير اليهودي » قد وخز . واذا كان بامكان بقية العالم ان تعامل الكثيرين من اليهود معاملة عديمة الضمير كما فعلت ، فهذا الشاب يشعر بأن ثمة ما يسوغ له الرد بالمثل . وبلا ضمير — مستجيبا للوعي فقط — لم يعد يكترث لحقيقة ان « العرب » لم يكونوا هم الذين بدأوا الحلقة المفرغة للقوة المستجيبة للقوة . فهو ، ببساطة ، لم يكن يرغب في ان يسمع عن « الضمير اليهودي » ، وكان هذا بحد ذاته اختيارا عديم الضمير . وفي العالم كما رآه كان النجاح العملي — في ذلك الحين — لسياسات استخدام القوة والتوسع في الاراضي التي انتهجتها الصهيونية واسرائيل قد سهل له اختيار الصمم الاخلاقي عديم الضمير هذا .

كان الاختبار مؤثرا ولكنه لم يكن فريدا من نوعه على ما اعتقد . فقد شهدت النزاع بين الضمير والوعي ، في شكل او آخر ، طوال الاعوام الخمسة والثلاثين لانغماسي في المشكلة الفلسطينية . لقد دعاني صناعيون يهود من كبار المليونيريين الى اجتماعات خاصة قالوا لي فيها : «نعتقد ان ما تقوم به انت ضروري الى آخر حد ، ولكننا لا نستطيع ان نتحمل المجازفة بمستقبل شركاتنا عن طريق الارتباط بجهودك » . وقالت لي اصوات من البروليتاريا اليهودية في نيويورك او لوس انجيلوس — من سائقي سيارات اجرة وغيرهم : « ان ما تقول معقول ، ولكن في الحي الذي نعيش فيه سيسرق الحليب من أمام ابواب منازلنا وسيسبب الجيران المتاعب لزوجاتنا وابنائنا ان نحن قلنا هذه الاشياء » . لقد جلست مع تجار يهود متوسطين عاديين وأصحاب مهن حرة في بيوتهم و« استجوبوني » لاعود فأسمع منهم ردا على النحو التالي : « ولكن لماذا لا يقول ولتر كرونكايت* أبدا أيا من الامور التي تقولها أنت ؟ » او « ربما كنت على حق ، ولكن من أين يحصل السناتور همفري او السناتور جاكسون على المعلومات التي تفضي الى مثل هذه الاستنتاجات العكسية ؟ » . وقد سمعت مسيحيين اميركيين يقولون : « أنت على حق ، ولكن لا يسعنا ان نجازف بأن نوصف باللاسامية ولذا فاننا لا نتكلم بصراحة عن هذه الامور » . كما أعرف الكثيرين جدا من الاميركيين المتحدرين من اصل عربي وهم حلفاء متحمسون **سرا** ولكنهم لا يقدمون علنا لا التأييد المعنوي ولا الدعم المادي لانهم لا يريدون ان يبدوا وكأنهم يشوشون انصهارهم في « البوتقة » الاميركية .

هذا الاختبار الطويل والكثيف — والواسع — قد ثبت التفكير الذي اخترت به دوري بصورة متعمدة وواعية لاكثر من ثلاثة عقود خلت . ان « الضمير » — حتى « الضمير اليهودي » — في ما يتعلق بفلسطين والفلسطينيين هو حي . ولكنه ليس في حالة حسنة . فقد طمس ببساطة لدى الكثيرين جدا من الاشخاص الشرفاء في الاساس وحتى ذوي الاحساس — بوعي المصلحة الذاتية ، او وعي الدعاوة المقبولة ظاهريا التي تبثها الصهيونية واسرائيل ، او وعي ما هو « واقعي » أو « عملي » ، او ربما ما هو حذر ليس الا .

يفترض ان بنيامين دزرائيلي قال ذات مرة عن خصمه الليبرالي الابدي غلادستون ان « ضميره ليس دليله بل شريكه (في الجريمة) » . كان هذا الكلام لاحد السياسيين وهو يشن حملة ضد سياسي آخر . ويجوز لنا أن نكون أكثر تمييزا في كل من التحليل واللغة . فأنا اعتقد ان اعدادا كبيرة جدا من اليهود تدرك **فعلا** وجود هوة بين ضميرها ووعيها للمشكلة الفلسطينية . وثمة ارتباك حول « اللاجئين » ، وحول العسكرية الاسرائيلية ، وحول الاساليب القذرة لعصبة الدفاع اليهودية . لكن الارتباك لا يدفعهم الى العمل ، ولا يعرفون في الواقع الكثير من الحقائق ولذا يقبلون — الى حد كبير — بما يقول لهم الجهاز الصهيوني والسياسيون الحقيرون (الذين يحركهم الجهاز) انه « السبيل العملي الوحيد » ، « الشيء الواقعي الذي ينبغي فعله » ، و « واقع الحالة » .

ان احدا لا يعي هذا التباين ، هذا القلق الروحي المغمور وغير المنتظم البنية اكثر من الاسياد الكبار للدعاوة الصهيونية ، داخل اسرائيل وخارجها . ونعلم الان ان الفنيين

---

* شخصية تلفزيونية اميركية شهيرة .

الدبلوماسيين والعسكريين في اسرائيل لم يخشوا ابادة تامة عام ١٩٦٧ . ولكننا نعلم ايضا ان اشكول ـــ عن طيب خاطر او على مضض ـــ قدم اعتبار المنصب الذي كان يحتله آنذاك لصنع هستيريا الحرب . ان الدعاوة الصهيونية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة لا تقدم أبدا في صيغة صريحة ليهود تلك البلدان . ولا يأتي ايبان او ديان أو الجدة غولدا ابدا غربي مطار اللد ليحثوا اليهود على اخذ فلسطين « لانفسهم » ـــ ولا يهم اذا كان لا بد من تشريد « العرب » . بل على العكس ، فالدعاوة قبل عام ١٩٤٨ كانت : (« نريد موطنا » للذين « لا وطن لهم » ، « للمضطهدين » ، « للمطرودين ـــ المحرومين » . ونستطيع توفير هذا الوطن ، ونجعل « العرب » في الوقت ذاته بين اكبر المستفيدين من تقدم الصهيونية وتنورها .). وفي ١٩٤٨ ـــ ١٩٤٩ كان الخط الدعائي : « لقد ترك العرب البلاد متصرفين تصرفا مغايرا لما نصحتهم به الحكومة الصهيونية ، مؤملين العودة كفاتحين » . ومنذ عام ١٩٦٧ فان نجوم الدبلوماسية والجنرالات الاسرائيليين الذين غزوا اوروبا واميركا لم يدعوا ـــ حتى عام ١٩٧٣ ـــ الى دولة تمييزية صهيونية « يهودية » هدفها الجغرافي ـــ السياسي هو ، جزئيا ،تشويه الوعي الوطني الفلسطيني وفي النهاية سحقه ، بل بالاحرى كانت الحجة هي ان « اسرائيل الديموقراطية هي أفضل ضمانة لمصالح الغرب الحيوية في الشرق الاوسط » .

لقد صارت الافكار الرئيسية كليشيهات في وعي معظم اليهود وبالتأكيد في عقول معظم الآخرين في الغرب ايضا . وهذه الكليشيهات ، شأنها شأن جميع الكليشيهات ، معبر عنها ببراعة ، وتكرر على الدوام لتمنع التفكير ، لا لتحركه . وقد صممت لا لتخز الضمائر ، بل لتدور حولها . وقلة ضئيلة من الناس تفهم جوهر المشكلة وقضاياها بحيث انه لا يسع مؤيدا للعدل والحق ـــ وهما عنصران في الضمير ـــ الافتراض بأن الجمهور المتوسط في اميركا او اوروبا الغربية يعرف « الألف » من « الياء » في التطور التاريخي للمشكلة . ويشمل هذا اليهود في تلك المناطق . وأنا دائما لا اكاد ابدأ الكلام عن المشكلة دون الاستشهاد بنصائح بلفور الساخرة لمجلس وزرائه عام ١٩٢٢ بأنه لا يمكن التوفيق بين وعد بلفور والانتداب من جهة ، وميثاق عصبة الامم من جهة اخرى. وقد اعترف بأن احدا لم يسأل الفلسطينيين ماذا يريدون ـــ وليس بنية احد أن يسألهم . ومضى يقول : « بقدر ما يتعلق الامر بفلسطين ... فان الدول الكبرى لم تصدر بيانا عن واقع غير مسلم ، ولم تعلن عن سياسة لم يكن في نيتها دائما خرقها ، بمعناها الحرفي على الاقل »(١).

ذلك الاعتراف الحي الضمير بعمل سياسي لا اخلاقي لم ينشر الا **بعد** مرور اكثر من ثلاثة عقود على عمل القرصنة عديم الضمير الذي سلب حقوق شعب وولد دولة صهيونية جنينية ، مغلفة بنفاقات التمسك بحرفية الكتاب المقدس ، وتقويم «اللاسامية» المسيحية مع زخرفة الخدمة الصهيونية للمصالح الامبريالية البريطانية . كان وايزمان وتابعوه الامناء يعرفون ان الحقيقة تتعارض مع كل مفهوم اخلاقي ، منتهكة كل ما يمليه الضمير ، اذا كان للضمير اي معنى على الاطلاق . كما كان يعلم ذلك رجال الدولة البريطانيون (والاخرون) الا أن أيا منا لم يكن بحاجة الى ووترغيت ليعرف أن معظم السياسيين ، من كل نوع وجنسية ، يعالجون ضمائرهم بجرعات كبيرة من المخدرات

Documents on British Foreign Policy, **1919 - 1939, eds. E.L. Woodward and Rohan Butler, H. M. Stationary Office, London, 1952, p. 345.**

السياسية الساخرة . وبيت القصيد هو انه مهما كان مقدار الامل الذي عقده **بعض** اليهود على « العودة الى صهيون » ، اما كمطمح روحي او حتى كواقع سياسي ، فان قلة قليلة منهم كانت تدرك الحقائق السياسية / الاقليمية / الديمغرافية . ولذا فانهم لم يعرضوا لاي تعذيب ضمير .

قد يبدو كل هذا بعيد الاحتمال ــ او مجرد دفاع آخر ــ بعد هذه الاعوام من ١٩٦٧ والى ١٩٧٣ . ولكنني اتحدى كل من يحاول تلطيخ ما كتبته حتى الآن ان يظهر اين ــ وكيف ــ خارج البلدان العربية نفسها (وفي الحجرات المعقمة لموظفي المكاتب في وزارة الخارجية الاميركية والوزارات الخارجية الاخرى) كانت هنـــاك اية معرفة واسعةالانتشار، ناهيك عن ادراك للحقائق . واذا كان الضمير عضلة اخلاقية، متميزة عن « الوعي » الذي يستجيب للظواهر الاكثر تأثرا بالحواس البشرية الخمس ، فان « الضمير اليهودي » لم يوضع على المحك في الواقع . ولا يعني هذا الاعراب عن ثقة تامة به عندما يأتي المحك المحتوم ــ كما بات ممكنا الآن منذ بروز الفلسطينيين . فهناك دوما الخطر الذي حذر منه يهودا ماغنيس عام ١٩٤٧ من انه اذا ما وضعت القيم الاخلاقية ، لمصلحة النفعية ، في « الثلاجة » ، فقد لا يصار الى اخراجها منها ابدا ، واذا ما اخرجت منها ، فقد لا تخرج حية . وهذا خطر يواجهه « الضمير اليهودي » الآن فيما يدرك العالم القضية الفلسطينية بصورة متزايدة . وانه لامر حاسم ان ندرك ان لحظة الحقيقة قد قربتها المساهمة « العربية » المتزايدة ــ وغير الوافية بعد ــ في انظمة الاتصالات في العالم . فهناك يتم تحريك **الوعي** ومثل هذا التحريك هو مجرد شرط لاية ردود فعل دافعة للضمير .

ان ما اعنيه هو ان المحك **لم يستخدم بعد** . لست متحررا مـــن الشكوك حول النتيجة ، ولكن لدي املا كذلك . فالحكم لم يصدر بعد ، على ما أعتقد ، والى هذا الرأي أضيف انه حتى ولو خيب أملي الراهن فهناك أدلة تشير منذ الآن الى أن خيبة الامل لن تكون خانقة وأزلية بصورة تامة .

انني لم أزخرف هذه المقالة بتكرير وصية العهد القديم التـــي تحث على معاملة « الغريب كنفسك » (علما بأن الفلسطينيين ليسوا غرباء على فلسطين ، بالطبع) . كما انني لم أتكىء على عكاز النصائح النبوية القائلة بأن في صهيون « سيكون منزلي منزل الصلاة **لجميع** الشعوب » . ولم أسلط الضوء هنا على النزعة الانسانية التي لا تقهر عند آحاد هاعام ، والخلاصية المتحمسة لدى مارتن بوبر ، والالحاحات العملية ليهودا ماغنيس على الندم للتخلي عن المبادىء الاولية للديموقراطية . وأخيرا فاني لم اقم بأي تقييم عملي للحقائق الراهنة في اسرائيل نفسها ، ولاسرائيل شاهاك ، وأوري ديفيز ، وأري بوبر او حتى شولاميت ألوني. يكفي القول انه طالما كانت هناك صهيونية ــ في اية صيغة سياسية/اقليمية تضع الوعي «اليهودي» الدنيوي فوق الضمير ــ فقد كان هناك هؤلاء الذين استجابوا للضمير وصرخوا ، مهما كان الثمن في نطاق الامن وراحة الانحياز الى الجانب الاوفر حظا ، حتى ولو بدوا أصواتا تصرخ في البرية .. ومامن شخص عاقل جادل ابدا بأن « الضمير هو شأن من شؤون وسائل الاعلام الجماهيرية أو السياسيين » . ولا يمكن العثور عليه في أسرار أجهـــزة الترانزيستور أو آلات الاقتراع . بل يبقى « الصوت الذي ما يزال صغيرا » الذي سمعه النبي ايليا « حينما مر السيد » .

انه شأن من شؤون رجال الاعمال (المختلفين عن السياسيين) والمعلمين والمثاليين (المختلفين عن معلقي التلفزيون أو مراسلي الصحف) أولا « ان يعرفوا » الحقيقة ومن ثم أن يصلوا الى الضمائر عند الآخرين وهكذا ينشطوها «لتقيم العدل وتحب الرحمة». وهذا يشير الى خاتمتي لهذه المقالة . كان رد فعلي الاول للدعوة الـى تقديم هذه الشهادة هو الاعتراض على صياغة الموضوع . فضميري يرفض تصور ان هناك في مخاطبة ظاهرة الثورة الفلسطينية ضميرا « يهوديا » و« مسيحيا » و« مسلما » . قد تكون هناك اشكال مختلفة نوعا ما « لوعي » الثورة بين هذه المجموعات المختلفة . ولكن اذا كان الجوهر الدافع للثورة هو دولتها الديموقراطية المعلنة ، واحترامهـا للانسانية المشتركة لجميع الذين لهم مطالب شرعية في فلسطين ، وتوسيعها الرحوم للتقيدات الحرفية والمتشددة بقانونية تلك المطالب لتشمل — كأنداد — هؤلاء الذيـن يعيشون حاليا في البلاد (بصرف النظر عن الخطوات التي قد تتخذ في النهاية لازالة جهاز ايديولوجيا صهيونية عنصرية/لاهوتية) ، فان القوة الدافعة الاخلاقية للثورة ، اذا ، هي انعكاس لمزيج من الضمير اليهودي — المسيحي — المسلم . ذلك اننا جميعا معرضون بطريقة او بأخرى وفي درجات مختلفة لقواعد سلوك أدياننا الخاصة ، وهذه القواعد تأمرنا بتوقير هذه القيم الانسانية/الالهية نفسها . وقد يحاول البعض تسويغ خيانة هذه القيم عن طريق التنازلات الوطنية/السياسية . الا ان التسويغات لا تبطل الحقائق الثابتة . فالتسويغات تثبت ، فحسب ، ضعفنا البشري العـام الشامل . وبكلام آخر ، اذا حققت الثورة أهدافها المعلنة — واذا كان هؤلاء الذين يديرون اية بنية قد يتم خلقها لتنفيذ هذه الاهداف مخلصين لها ويعملون باستقامة وأمانة — فانني من وعيي **أنا** للضمير « اليهودي » يجب أن اقول ان الضمير « اليهودي » سيكون فعالا مؤثرا في الثورة نفسها .

في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التاريخ سيكون هناك من يقول ان هذه الرؤيا منسوجة من الوهم . يجب أن يتذكر هؤلاء انه لسنتين قصيرتين خلتا فحسب تكلمت غولدا مئير من وعي « يهودي » (صهيوني) مجرد من الضمير فأعلنت ان الفلسطينيين « لا وجود لهم » . هذه هي حال الواقعيين ! لقد تمتع نضال الفلسطينيين بقدر كبير من النجاح في النفاذ الى وعي العالم — **دون استثناء اليهود** . فالتظاهرة التي اديرت ببراعة في ساحة هامرشولد أمام الامم المتحدة في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) كانت — بين أمور أخرى — برهانا جليا على ان الوعي « اليهودي » تخطى قصر نظر غولدا مئير السياسي . وكان هذا الوعي في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٤ معنيـا بالتكتيكات لمواجهة الفلسطينيين فيما تدنو المناقشة العالمية حول فلسطين من مستوى معرفة وادراك كانت الصهيونية/اسرائيل — بعد عام ١٩٦٧ — على ثقة متغطرسة بأنها لن تبلغه ابدا .

بيد ان النضال الاعظم يكمن في المقبل من الايام ، بعدما حقق الفلسطينيون النجاح في مرحلة اولى معلنة من مراحل الثورة — وهي على وجه الدقة ايقاظ الوعي العالمي لوجودهم — فان التحدي التالي لهم سيكون الانتقال الآن من هذا الوعي الذي ما يزال غير ثابت الى ضمير العالم ، فان صورة الفلسطينيين عند مستوى الوعي العالمي تبقى مبهمة ، في افضل الاحوال . وهي صورة عنف في اسوأ الاحوال . ولا يفهم الا قلة من الاشخاص رفيعي الثقافة والمطلعين ، والانصار الملتزمين ، بأن الفلسطينيين دفعوا الى بعض التكتيكات لان العالم نفسه كان قد تجاهل النداءات السابقة التي تخاطب

الضمير والاخلاق والعقل . وكون « العرب » أسهموا في هـذه الاخفاقات المعنوية بتقصيرهم في الدفاع عن قضيتهم قد يخفف من استحقاقية اللوم المعنوي لقسم كبير من العالم على آلام فلسطين الماضية . الا انه لا يغير ، بحد ذاته ، الواقع الراهن .

وما لم يكن هناك حجب غير متوقع للفلسطينيين عن وعي العالم ، فان من واجب الفلسطينيين وبقية العرب الان ان يوفروا ما أهملوا جميعا توفيره في المراحل الاولى من النضال ، الا وهو بذل قصارى جهدهم وطاقتهـم ومواردهم لزيادة المعلومات عـن أنفسهم للعالم زيادة كبيرة . ولست أشير الى جوهر قضيتهم . فهذا كان دوما سليما ومتينا . وقد كان منطقه وأخلاقيته — وحتى حقائقه الاقتصادية/السياسية — من القوة بحيث تحرك ضمائر الذين عرفوا هذه الامور . وبالفعل ، نادر هـو حتى الاميركي المتوسط الذي زار الشرق الاوسط (وليس اسرائيل وحدها) ولم يعـد اما ملتزما بالعدالة للفلسطينيين او ، على الاقل ، متزعزعا في التزامه بالكليشيهات الصهيونية التي جرى ارضاع الكثيرين خارج المنطقة « ليفكروا » بها . وربما لم يكن بالامكان توقع أكثر من أمثال هؤلاء المؤيدين المخصصين والمعزولين أحيانا كثيرة ، فيما كان **الفلسطينيون أنفسهم** يناضلون من أجل الظهور .

واليوم ، بعد الرباط ومناقشة الجمعية العمومية ، لم يعد هذا كافيا اذا ما أريد للنضال الطويل ان يبلغ ذروته ذات يوم في حل مرتكز على العدالة الموضوعة موضع التنفيذ في المجتمع الحر والمنفتح الذي يعلن الفلسطينيون انهم يرغبون في اقامته مكان المجتمع المنغلق التمييزي للدولة الصهيونية .

ومن أجل تحقيق ذلك الهدف تسنح للفلسطينيين الآن الفرصة لتعزيز الوعي العالمي المنبه حديثا بالضمير العالمي الموقظ . ويتطلب فعل ذلك ان يتصرف الفلسطينيون الآن بأعظم قدر من المسؤولية . ولا تقتضي المسؤوليـة أن يتراجعوا — أو أن يسمحوا لانفسهم بأن يدفعوا — خارج الوعي العالمي الى القبول بغوامض « رجال الدولة » المتعمدة . كما لا يعني هذا ، من الناحية الاخرى ، اذا رفضوا ان يتجاهلهم العالم من جديد ، ان لا سبيل لهم الا القبضة المطبقة والقنبلة البلاستيكية . فان استمرارهم في هذه التكتيكات الآن ، **الا اذا وقع اكبر استفزاز** ، سيحدث ردة فعل معاكسة في ضمير العالم — بالضبط لانهم بارزون في وعي العالم .

في ختام خطاب ياسر عرفات أمام الجمعية العمومية في الثالث عشر مـن تشرين الثاني ، رفع أولا احدى يديه ثم رفع الاخرى فوق رأسه . وقال بصورة رمزية انه يحمل في احدى يديه غصن زيتون وفي الاخرى بندقية جندي الحرية . وحث العالم — عن طريق الجمعية العمومية — على الا تسمح لغصن الزيتون بأن يسقط من يده . وكان النداء مناسبا اذ ان العالم ، في الماضي ، سمح للعديد من أغصان الزيتون بأن تسقط من الايدي العربية .

ان الطريق التي **تسير قدما** بالفلسطينيين الى ضمير العالم لا تزال تتألف من الحق الذي لا بد من ترسيخه قبل ان يمكن اقامة العدالة . وهي في الدليل على الرأفة ، الآن وقد صار النصر يبدو النهاية الاكيدة للمد المعكوس في حياة الناس . وهي في الكرامة ، الآن وقد رد الوعي العالمي للوجود الفلسطيني ، الاحترام الذاتي الفلسطيني ، وهي في الافعال المستجيبة لتعطش عالم منذهل ، مرتبك وجريح ، الآن وقد شق الفلسطينيون — بقوتهم — طريقهم عبر غابة اللامسؤولية العالمية نحوهم في الماضي .

كل هذا هو مجرد افاضة لميلي الاولي الى رفض فكرة تقديم مجموعة ردود فعل للضمير مصنفة « يهودية » ، « مسيحية » أو « مسلمة » . فحيث تكون « الخطيئة الاصلية » غظيعة هائلة كتلك التي ارتكبت ضد الفلسطينيين ،، يجب ان تقترب ردة فعل الضمير الحقيقي من المطلقات ، والكلي . لقد كنا جميعا مذنبين ــ حتى العرب الذين لم يقدروا تقديرا كاملا بعد الدور المعقد والموسع للوعي في عالم شهد تغييرا ثوريا منذ تلك الايام ، القاتمة جدا بالنسبة للفلسطينيين ، عند نهاية الحرب العالمية الاولى . واذا شاءت الثورة الفلسطينية الآن ان تجند ضمير البشرية ــ واذا كانت القضية الفلسطينية ، كما يعتقد الكثيرون ، هي نوع من الادرينالين للشعب العربي بأسره ــ فانه لا بد لها ، اذن ، من أن تزيد انتاجها للحــق ، والحقــائق ، وصفــات العدالة ، واظهار الرأفة والمسؤولية ، زيادة كبيرة كافية ليراها العالم . فالناس لا يستطيعون الحكم على ما لا يعرفونه ــ أو اذا هم فعلوا ذلك ، فان احكامهم تكون عرضة للاجحاف وقراراتهم عابرة .

ولذا فان نصيحتي « للعرب » ــ اذا كانوا يرحبون بها ــ هي ألا يقلقوا بشأن الضمير « اليهودي » . فبالنظر الى انعدام وجود المعلومات في جميع أنحاء العالم في الماضي ، اعتقد ان الضمير « اليهودي » لم يوضع على المحك أكثر مما وضع الضمير « المسيحي » . فالضمير ، بوجه عام ، كان معطلا في مشكلة فلسطين ، أو انه ، اذا كان فعالا بأي شكل من الاشكال ، استجاب بطريقة ارتكاسية للصور المشوهة التي اختلقتها دعاوة صهيونية / اسرائيلية لا منازع لها تقريبا . وقد نجح هذا المنبه للضمير من جانب واحد بسبب وعي « العرب » غير الكافي لضرورة حمل قضيتهم بنشاط الى ضمير العالم ، مستخدمين الوسيلة المقبولة والمسؤولة لنشر الحقيقــة والاخلاقيات الاخرى التي تحرك الضمير .

ثمة فقرة بليغة في « المقدمة لتقارير جزائرية » الرائعة لألبير كامو ، التي يبدو انها قابلة للتطبيق هنا وتلخص ما حاولت أن أقوله :

صحيح ان القيم ــ سواء كانت قيم الامة أو قيم البشرية ــ في التاريخ ، على الاقل ، لا تبقى ما لم يناضل من أجلها ، والنضال لا يكفي لتسويغها . فالنضال نفسه ، بالاحرى ، يجب ان تبرره تلك القيم ، وتوضحه . وعندما تناضل من أجل الحقيقة ، عليك ان تحذر ألا تقتلها بعين الاسلحة التي تستخدمها للدفاع عنها ــ ولا تستعيد الكلمات معناها الحي الا في أوضاع مزدوجة كهذه . وللمفكر ، الذي يدرك ذلك ، دور تمييز الحدود الخاصة بالقوة والعدالة في كل معسكر . وذلك الدور هو توضيح التحديدات بغية ازالة التسمم من العقول وتهدئة التعصبات ، حتى عندما يكون هذا ضد الاتجاه الراهن .

وفي مكان آخر تقول الروح المتوهجة نفسها « لصديق » صار عدوا ظالما : « علينا أن نثبت اننا لا نستحق كل هذا الظلم » .

سيقول البعض ان هذه النصائح هي اما غير عادلة ، او غير واردة ، في نطاق التحدث عن « الضمير اليهودي » . ربما . وانا ، على الاقل ، لن أقدم لهم أي دفاع عاطفي . بل سأقول : بما انني أعتقد ان « الضمائر اليهودية » لم تمتحن حقا في نيران المعرفة التامة للحقائق عن فلسطين ، هكذا كان الفلسطينيون ، حتى الان ، في هذه الاعوام من تاريخ بلادهم الكئيب ، منهمكين أكثر من اللازم بالتكتيكات والاستراتيجيات التي كانت ضرورية لاسماع صوتهم . وفيما عدا منظريهم ومفكريهم فقد كانوا يفتقرون

الى الاوضاع التي يشعر فيها الناس الضعفاء والعاديون عادة بأنهم يستطيعون تحمل ترف اطلاق العنان كاملا لضمائرهم .

ولذا بمعنى من المعاني ، فان لحظة الذروة للاعتراف السياسي والعسكري التي يبدو أن الفلسطينيين حققوها ، القصة المتكشفة والموضحة تدريجيا لما حدث فعلا في فلسطين خلال نصف القرن الماضي ، تتيح فرصة أمام الضمير ليناشد الضمير ، فرصة ليدرك اليهود ان ضمائرهم خنقتها الدعاوة الصهيونية الشريرة والساخرة جدا ، وفرصة ليظهر الفلسطينيون ، كما لاحظ كامو ، انهم لا « يستحقون كل ذلك الظلم » . وبتعبير آخر ، يعني هذا ان النضال الذي ما يزال يكمن في المقبل من الايام يجب ان يخاض في النفوس البشرية لجميع الفرقاء المعنيين بقدر ما دار النضال ، في الماضي ، في ساحات القتال . ويستدعي ذلك ايصال اهدافهم الى بقية العالم على نحو أفضل مما حاول « العرب » ، بمن فيهم الفلسطينيون ، جديا حتى الان ، وبالنسبة لليهود فانه يدعو الى فتح آذانهم لغير أصوات المزماريين الصهاينة الذين عزفوا أعلى الالحان لاعوام عديدة .

في مناسبتين اخيرتين أطل فيهما ياسر عرفات على الجماهير الغربية ، أعطى الدليل على بداية تحقيق الجزء العربي من هذه الصيغة . ففي مقابلة نشرت في صحيفة **نيويورك تايمز** ، في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ ، نسب اليه قوله انه دعا الولايات المتحدة الى انهاء « دعمها الاقتصادي ، الدبلوماسي والسياسي » غير المميز « للاطماع التوسعية والعدوانية » للصهيونية . وأضاف ان هذا يمكن ان يحدث عن طريق « ضغط متواصل يمارسه المواطنون الاميركيون الصادقون والشرفاء ، كما حدث مع الحرب في الفيتنام » .

وفي مقابلة متلفزة على شبكة ايبيسي في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ، كرر زعيم منظمة التحرير الفلسطينية الفكرة ، مضيفا الامل بأن يمارس أمثال هؤلاء الاميركيين « ضغطا » على واشنطن عندما يفهمون كيف ان دولارات الضرائب أعانت سياسات العسكرية الصهيونية هذه . وأنا أوافق على وصفة السيد عرفات . ولكني اضيف التوضيح بأن على « العرب » أن يتحملوا مسؤولية اكبر بكثير مما اضطلعوا بها حتى الان لينقلوا الى ٢١٠ ملايين اميركي « صادق وشريف » الحقائق ، الحق كما يرى العرب الحق ، والفرص لسلام لائق ، عادل وشريف . فتلك هي عناصر افعال الضمير ، وكما قال عرفات ، فان أمثال تلك الضمائر الموقظة ، الموجهة على نحو مسؤول الى افعال ضغط سياسي ، كانت هي التي عدلت السياسة الاميركية في الفيتنام .

لقد أمضيت نصف حياتي البالغة — وحدي تماما في كثير من الاحيان — في مخاطبة ابناء وطني ، بمن فيهم أبناء طائفتي ، محاولا اطلاعهم على « الجانب الآخر » من المأساة الفلسطينية . وبالنظر الى مواردنا — مقابل موارد قوى الصهيونية — لم نكن أنا وحفنة من الآخرين (يهودا ومسيحيين) بلا قدر من النجاح . اننا نعلم ، بكلام آخر ، انه عندما تصل الحقائق الى وعي الشعب الاميركي ، فان ضمائر « الصادقين والشرفاء » تستجيب . وقد شملت الاستجابة ، وستشمل ، اليهود .

وكما ينبغي علينا جميعا في ظل وعينا المختلف ان نتقاسم ضميرا مشتركا للحق

والباطل ، للعدالة والظلم ، للانسانية والتجريد من الانسانية ، هكذا فان الطريق الى سلام شريف والى تحقيق ثورة فلسطين هي المهمة المشتركة للجميع . وقد يكون من الصعب على « العرب » أن يتصرفوا بطرق تهدف الى استثارة تجاوب ضمائر اليهود ؟ وربما **العكس بالعكس** . ولكن مما لا ريب فيه ان المحاولة مستحسنة كبديل للاحتمال المرعب ، احتمال الاستمرار والتوسع في استخدام القوة لاحداث تأثير على الوعي . وستتطلب المحاولة ما سماه جبران على لسان نبيه « الذات ــ الله » لتمييزها عن « الذات ــ القزمية » . ويقول لنا الشاعر ايضا ان طريق الارتقاء الى ذلك النبل هي في « النظر الى جميع الاعمال في الضوء الكامل » . وفي التقليد الديموقراطي الذي يطمح اليه اليهود ذوو الضمير والفلسطينيون ذوو الضمير ، نقول « ليعرف الناس الحق ، لان الحق سيحرركم » .

الكيان الفلسطيني ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤

عصام سخنيني

ان الانجاز الاعظم الذي حققته الثورة الفلسطينية في مسيرتها خلال السنوات العشر الماضيات كان اثبات الوحدة الكيانية للشعب الفلسطيني وتثبيتها ، وبعث شخصيته الوطنية والمحافظة عليها ، ودفع هذه الوحدة الكيانية الى أن تكون ذات وجود دائم على كل صعيد . واذا كانت وحدة الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية المستقلة تبدوان الآن غير قابلتين للنقاش ، فان الالتفات الى الماضي يكشف أن هذه المسلمات ـ هي **الآن فقط** مسلمات ـ احتاجت الى أن تمر بجدل عنيف ، جدل دموي باهظ التكاليف غالي التضحيات ، كي يصبح لها الحضور الضاغط غير القابل للدفع والرد . فالحقيقة الفلسطينية ، كي تثبت نفسها ، كان عليها أن تخوض صراعا طويلا ضد كثير من القيم السائدة فتبدلها ، وكثير من المفهومات الخاطئة فتلغيها ، وكان على هذه الحقيقة أيضا ، كي تجذر نفسها في الوجدان والفكر الفلسطينيين والعربيين والدوليين فترقى من ثم الى رتبة المسلمة ، ان تخوض صراع وجود (أن تكون او لا تكون) ضد ارادات محلية وأجنبية كانت مصلحتها أن تبقى هذه الحقيقة مطوية ، منسية أو ملغاة . واذا كان هذا الصراع قد حقق نتائجه سريعا على صعيد الشعب الفلسطيني نتيجة احساس الشعب الداخلي بهذه الوحدة الكيانية وايمانه بها رغم ما اعتورها من تزييف وأوهام ، فان انجاز هذا الهدف على الصعيدين العربي والدولي كان أصعب مراسا (بدرجات متفاوتة بين العربي والدولي ، كذلك بمراتب متراوحة على الصعيد العربي نفسه) بحيث كان توليد القناعات يمر دائما عبر مخاضات عسيرة وخطرة ، وكان يصطدم دائما اما بالافكار المسبقة او بالتنظيرات غير المستندة الى ادراك معطيات الواقع ادراكا حقيقيا ، او ـ وهو الاغلب والاشد مقاومة ـ بالحفاظ على المصالح والاوضاع السياسية التي ترتبت على طمس معالم شخصية الشعب الفلسطيني وتدمير أسس كيانه الوطني .

لم ينطلق النضال الفلسطيني في تصديه لمسألة وحدة الشعب الفلسطيني الكيانية من فراغ ولم يبتدع جديدا ، فقناعته الاساسية التي انطلق منها هي وحدة الشعب نفسها التي امتدت ديمومتها عبر أجيال عديدة . واذا كانت هذه الوحدة قد اعتراها لفترات أشكال من التزييف ومحاولات الالغاء ، واذا كانت الشخصية الوطنية للشعب قد تعرضت للحذف أو الطمس أو التشويه ، فان هذه الاوشاب التي لحقت بالجوهر هي التي كانت هدف النضال الفلسطيني فقاتل من أجل تبديدها وازالتها ، ونجح في ذلك لانه سلم تسليما بسلامة الجوهر وبعرضية ما سواه .

من خلال الصراع اذن كان انبعاث الشخصية الفلسطينية وتأكيد وحدة الشعب الكيانية ، حتى انه يجوز القول ان السنوات العشر الماضيات كانت سنوات **النضال الكياني** التي ابتدأت منذ أواسط العام ١٩٦٤ عند قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م ت ف) ثم بدء الثورة المسلحة في مطلع العام ١٩٦٥ ، وتنتهي بمحطتين تاريخيتين :

قمة الرباط والدورة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية للامم المتحدة . وان مهمة هذا البحث ان يستعرض هذا النضال خلال هذه المرحلة الماضية .

مرحلة ما قبل منظمة التحرير الفلسطينية

تعرض الشعب الفلسطيني بعد نكبة العام ١٩٤٨ الى عملية محو منهجية استهدفت انهاء وجوده الوطني المستقل بعد تجزئة وطنه ما بين الحركة الصهيونية والهاشمية في شرق الاردن مع بقاء شظيتين واحده في الشمال (الحمة) وأخرى في الجنوب (قطاع غزة) فقدتا ايضا اسم الوطن وأعطيتا اسم الموقع الجغرافي لكل منهما . وكانت أفدح مظاهر عملية محو الشعب تلك التي حدثت في المملكة الاردنيــة التي ضمت اليها ، وجنست بجنسيتها، الكتلة الاعظم من الشعب الفلسطيني تحت زعم «وحدة الضفتين» . اما خارج حدود المملكة الاردنية فقد تحول الشعب الى مجموعات من اللاجئين (لم يغير الحقيقة اطلاق تعبير النازحين ثم العائدين عليهم) مشكلتهم بلجوئهم ، وقضيتهم منظور اليها من هذا المنطلق .

في الشتات فقد الفلسطينيون مؤسساتهم السياسية ، فهم لم يحملوا معهم الى المهاجر أحزابهم ومنظماتهم التي كانت قائمة في عهد الانتداب ، وكان استمرار الهيئة العربية العليا لفلسطين التي كانت تطرح نفسها ممثلة شرعية للشعب الفلسطيني ، لا يعني في مطلق الاحوال أن هذه الهيئة لها صلة بحركة الشعب نفسه ، وظل وجودها هامشيا غير ذي تأثير ، وكذلك حكومة عموم فلسطين التي أنشأتها الهيئة والتي كانت تمثل فلسطين في جامعة الدول العربية تمثيلا رمزيا فيه الوفاء الشكلي للقطــر الذي سلب . لقد كان غياب الادوات السياسية الفلسطينية القادرة على ضبط حركة الشعب وتمثيل مصالحه وابراز حقوقه والدفاع عنها سببا في نجاح عملية طمس الشخصية الفلسطينية . وكانت سببا كذلك الوصاية التي فرضتها الدول العربية لنفسها على الشعب والقضية الفلسطينية . فمنذ بدء الانتداب البريطاني والغــزوة الصهيونية لفلسطين تميز الصراع في هذا القطر بأنه صراع فلسطيني في مواجهـــة الصهيونية والاستعمار البريطاني ، ولم يغير من هذه الحقيقة اشتــراك مناضلين عرب غير فلسطينيين في هذا الصراع ، ولا المساعدات العربيــة (المحدودة) التي تلقاهــا الفلسطينيون ، ذلك ان الشعب الفلسطيني كان هو نفسه في المواجهة ، وكان هو نفسه المعني بالدرجة الاولى بالصراع . وبدخول الجيوش العربية الارض الفلسطينية في ١٥ أيار ١٩٤٨ تغيرت الصورة وفقد الشعب الفلسطيني زمام المبادرة من يديه وأخرج من دائرة الفعل ووضعت قضية فلسطين بمجملها تحت الوصاية العربية ، وبذلك أنهي دور الشعب من حيث هو شعب بعد أن تحولت قضيته الى مشكلة لاجئين من جانب وصراع على الحدود من جانب آخر .

كان يسير جنبا الى جنب هذه العواقب السلبية التي أسفرت عنها نكبة العام ١٩٤٨ اشتداد تيار القومية العربية وتصاعده . وبقدر ما يعني هذا البحث من هذا التيار انه اعتبر ان سبب هزيمة العرب في العام ١٩٤٨ يعود الى فقدان الوحدة بين أقطارهم ودخولهم المعركة متفرقين . ولمواجهة ذلك فقد كانت الاطروحة الاشد تأثيرا وشيوعا في الفكر السياسي العربي الذي أعقب النكبة تلك التي تقول ان الوحدة العربية هي الطريق لتحرير فلسطين . ولم يكن الفلسطينيون بمعزل عن هذا الفكر ، وعلى العكس من ذلك فهم أثروا فيه وأثروه ، وجعلوا نضالهم جزءا من نضال الاحزاب والحركات القومية التي استقطبت اهتمامهم ووجدوا فيها الادوات الصالحة التي تضع أقدامهم على أبواب تحرير وطنهم . ونتيجة لهذا الفكر الذي ســاد والذي وجد في الناصرية

التعبير الاكثر كثافة عنه ، لم يكن لـ « الفلسطينية » أن تبرز أو يكون لها دور في الحياة السياسية العربية . ولعل نشرة « الثأر » التي بدات الصدور في العام ١٩٥٢ تعتبر أحد الرموز الاكثر دلالة على هذا النمط من التفكير .

صدر العدد الاول من النشرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢ واستمرت في الصدور اسبوعيا حتى أواسط العام ١٩٥٨ ، وكانت من « منشورات هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » التي كانت نواة لحركة القوميين العرب التي كان للفلسطينيين الدور الاكثر تأثيرا في بلورة افكارها ومنطلقاتها النظرية . لقد كانت الدعوة الى الوحدة العربية السمة المميزة للنشرة فـ « ما لم توجد الدولة الموحدة التي تضم العراق والاردن وسوريا (كخطوة أولى) فان وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون امرا شبه مستحيل »(١)، والنشره تعتبر ان « المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سبب من أسباب النكبة » كما « رفضت اثارة موضوع فلسطين بشكل **اقليمي قدر** [التشديد في الاصل] يبعد بين عرب فلسطين والجماهير العربية الاخرى »(٢). والامر الملاحظ في النشرة انها لم تستعمل قط تعبير الفلسطينيين ولا الشعب الفلسطيني ، وانما كان التعبير السائد لديها هو النازحون او النازحون العرب او عرب فلسطين(١). وفي اعداد السنتين الاوليين من عمر النشرة لا يلحظ الباحث ان « الثأر » تسند دورا حقيقيا لـ « النازحين » في النضال من أجل قضيتهم وعند مقاربة السنة الثالثة على الانتهاء بدأ التفات النشرة الى البحث عن دور لـ « النازحين العرب » فكتبت « النازحون العرب تحت خيامهم البالية في مخيمات الشقاء يستطيعون — اذا أرادوا — ان يصبحوا قوه فعالة في تقرير مصيرهم ومصير الوطن الذي سلبه اليهود ... ان حوالي مليون نازح عربي ، عندما يقودهم شباب مخلص قادر يستطيعون ان يصبحوا قوة تفرض ارادتها وتساهم في رسم مستقبل شعبنا »(٤). وفي هذه الفترة كذلك دعت النشرة الى ايجاد هيئة تمثل النازحين . « هيئة يستطيعون عن طريقها أن يساهموا في ابداء رأيهم وتدبير شؤونهم وتقرير أمورهم ... ومن واجب النازحين أن يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون »(٥). وقد وجد هذا الخط الوحدوي — القومي في قيام الوحدة بين مصر وسوريا (الجمهورية العربية المتحدة) في العام ١٩٥٨ بادرة عملية تشير اشارة مجسدة الى صحة تنظيراته .

غير ان العام ١٩٥٩ شهد تطورا مفاجئا فقد اتخذت الدورة الحادية والثلاثون لمجلس جامعة الدول العربية في ١٩٥٩/٣/٩ قرارات تتعلق بالشعب الفلسطيني ، نص القرار الاول منها على « اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا لا مجرد لاجئين يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي بواسطة ممثلين يختارهم » ، كما نص القرار الرابع منها على « انشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة »(٦). وكانت تلك ، ربما ، هي المرة الاولى التي تبحث فيها على صعيد رسمي عربي مسألة كيان الشعب الفلسطيني ، فقد كانت حكومة عموم فلسطين هي التي تتولى رسميا تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية منذ العام ١٩٥٠ ، فما الذي كان وراء هذا القرار ؟

لقد اتخذ مجلس الجامعة قراراته بناء على **توصية** من وفد الجمهورية العربية المتحدة وهذه الواقعة يصح اعتبارها مفتاحا لتفسير الموقف كله . فقد جاءت قرارات الجامعة بعد مرور سنة على قيام الوحدة فهل يجوز القول ان جمال عبدالناصر ، وهو في أوج انتصاره القومي ، كان يضع باعتباره ، منذ ذلك الوقت ، الدور المستقل للشعب الفلسطيني ضمن التصور القومي الشامل الذي تمكن من تفكيره ووجه ممارساته السياسية كلها ؟ لقد أوضح عبدالناصر في وقت لاحق لهذا القرار « ان

الغرض من انشاء كيان فلسطين هو مواجهة نشاط اسرائيل لتصفية المشكلة الفلسطينية واضاعة حقوق شعب فلسطين . وأما الجيش الفلسطيني فالغرض منه في الواقع هو الدفاع عن حقوق عرب فلسطين »(٧). وقد كشفت ممارسات عبدالناصر في المستقبل (عندما أنشئت م ت ف) ان هذا الاعتبار الذي ذكرناه كان صحيحا باطلاق ، فتنظيم الشعب الفلسطيني بتعبير ، او ابراز كيانه الموحد بتعبير آخر ، كان جزءا من التصور القومي العام لعبدالناصر ، وقد عبر عن ذلك في غير مناسبة وفي غير اسلوب ، ففي خطاب له القاه في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في الجزائر في ٦٢/٧/٢ قال « أنا حينما تكلمت مع ممثلي شعب فلسطين منذ ايام [أمام اعضاء المجلس التشريعي في غزة بتاريخ ٦٢/٦/٢٢] ... قلت لهم أن النضال ان يكون شعب فلسطين هو الطليعة ويجب علينا ان نعزز هذه الطليعة بجميع الامكانيات المادية والعسكرية للجمهورية العربية المتحدة ... قلت صراحة لممثلي شعب فلسطين ان المسؤولية تقع عليهم كطليعة ولكن لا بد لهم من الاستعداد »(٨).

لقد كان توقيت طرح الجمهورية العربية المتحدة مسألة الكيان الفلسطيني مرتبطا بما تردد عن الخلاف الذي نشأ بين الحاج أمين الحسيني والرئيس عبدالناصر عقب قيام دولة الوحدة عندما أقترحت الهيئة العربية العليا الاعتراف بهـا ممثلة مفوضة للشعب العربي الفلسطيني وضم فلسطين الى الجمهورية العربية المتحدة . ويبدو ان عبدالناصر لم يكن ليحمل على محمل الجد مسألة تمثيل الهيئة للشعب الفلسطيني فلدى مراجعتنا لمعظم خطب عبدالناصر واحاديثه المتعلقة بالقضية الفلسطينية لم نجد اشارة واحدة تدل على ان الهيئة العربية العليا كانت تدخل في حساباته . ونعتقد ان القرار الذي اتخذته الجامعة العربية بتوصية من ج. ع. م. وبتأثير منها كان الخطوة الاولى نحو احلال بديل فلسطيني محل الهيئة العربية العليا . وقد استتبعت تلك الخطوة مغادرة الحسيني القاهرة ثم التقارب الذي حدث بينه وبين عبدالكريم قاسم في العراق مما أسفر بتأثير من الحسيني عن اعلان تشكيل « فوج التحرير الفلسطيني » في العراق في شهر حزيران من العام ١٩٥٩(٩).

كانت قرارات الدورة الحادية والثلاثين هدفا للتمييع في الدورات اللاحقة ، ففي الدورة الثانية والثلاثين ، في الجلسة التي عقدت في ١٩٦٠/٢/٢٩ « تدارس مجلس الجامعة موضوع اعادة تنظيم الشعب العربي الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا لا مجرد لاجئين ... واطلع المجلس على وجهات النظر المتعلقة به ، **وقـرر استكمال بحثه في الدورة القادمة** » ، وفي الدورة الثالثةوالثلاثين (نيسان ١٩٦٠) ارجيء بحث الموضوع الى دورة استثنائية ، وفي الدورة الاستثنائية التي عقدها المجلس في شتورا ما بين ٢٢ و٢٨ آب ١٩٦٠ بحث الموضوع ضمن جدول الاعمال لكن دون اتخاذ قرارات محددة بشأنه ، وانما اكد المجلس « ان على الدول العربية ان تحافظ على الشخصية الفلسطينية ، وتجانب كل ما يؤدي الى اذابة هذه الشخصية »(١٠). وقد طوي هذا الموضوع حتى الدورة الاربعين التي عقدت في العام ١٩٦٣ عندما بحث مجلس الجامعة امر تعيين ممثل لفلسطين خلفا لاحمد حلمي باشا ، رئيس حكومة عموم فلسطين ، الذي كان يمثل فلسطين حتى وفاته في العام نفسه ، وسنؤجل الحديث عن ذلك الى فقرة لاحقة .

في عهد الوحدة ، وهي الفترة التي تكرر فيها بحث مسألة الكيان الفلسطيني في الجامعة العربية ، لم تتوفر مؤشرات ، باستثناء وحيد ، الى ان هذه المسألة كانت تتفاعل تفاعلا مؤثرا على الصعيد الشعبي الفلسطيني بسبب هيمنة الافكار القومية على الراي السياسي والحماس الذي قوبلت به الوحدة باعتبارها طريقا للتحرير .

والاستثناء الوحيد فيهذا الشأن كان الافكار والتصورات التي طرحتها مجلة«فلسطيننا» عن الكيان . ومن المهم جدا ابراز هذه الافكار لانها كانت ترهص بميلاد فكر جديد يعتمد « الفلسطينية » مصادرة اساسية له . وقد بدأ صدور هذه المجلة في بيروت في العام ١٩٥٩ وعرف فيما بعد ان فتح هي التي كانت تشرف على سياسة المجلة وقد حملت بعض مقالات المجلة توقيع (فتح) أحيانا و (ف ت ح) أحيانا أخرى. ومن خلال الاعداد التي تسنى لنا الاطلاع عليها لاحظنا ان الحديث عن كيان فلسطيني بدأ أواخر العام ١٩٦٠ ، وسنستعرض فيما يلي بايجاز الاطروحات الاساسية التي بشرت بها المجلة في أعدادها اللاحقة .

المعادلة الاولى التي استندت اليها « فلسطيننا » في الدعوة الى الكيان هي ان الكيان يعادل حرية العمل للفلسطينيين ، فـ « حينما نطالب بكياننا فنحن بالفعل نطالب بحريتنا للعمل بحرية من أجل استرداد وطننا ، فنحن لم نعط الوصاية لاحد علينا ولا نريد ان يفرض أحد ما وصايته علينا »(١١). وقد اوضحت المجلة « ان ايجاد هذا الكيان لا يعني اقليمية ما في مجالنا العربي بل هو لتنظيم وتعبئة وحشد قوى شعب فلسطين المشتتة في مختلف الاماكن والبلاد ... ان ايجاد هذا الكيان المستقل ينقل المعركة الى أيدي ابناء فلسطين والى ارض المعركة نفسها »(١٢). والامر الملاحظ في الدعوة الى الكيان أنها اتخذت لها شكلا محددا دار حول محورين : الاول **الدعوة الى انشاء حكومة فلسطينية** ، والثاني **الدعوة الى اقامة حكم وطني على الاجزاء العربية من فلسطين** . فعلى المحور الاول كتبت المجلة انه « يجب ان يكون للفلسطينيين جواز سفر وليست وثيقة سفر . وهذا الجواز يمنح لكل فلسطيني من قبل حكومة وطنية تنبع من صميم الشعب الفلسطيني الابي وتتولى قضيته وتتزعم السير به الى الامام دون أن تظل قواه معطلة ويظل في خيمته وبؤسه ... نطالب بأن يكون لنا حكومة وطنية ترعى مصالحنا في داخل البلاد العربية حاليا على الاقل »(١٣). أما الدعوة ضمن المحور الثاني فقد انطلقت من المنظور التالي : ان « قضية فلسطين ستبقى مجمدة لان ضم جزء من فلسطين الى بلد عربي معين [المقصود شرق الاردن] تم بمشورة الاستعمار واليهود وقد وافقوا عليه آنذاك ليمنعوا التفتح الثوري عن شعب فلسطين ويحاربوه بأيدي اخوانه من الخونة المسؤولين وجنود وضباط جاهلين اغبياء »(١٤). من هذا المنظور ومنذ ذلك الوقت المبكر حددت فتح في مجلتها هدفها في اقامة حكم وطني على الاقسام العربية من فلسطين وعلاقة ذلك بالتحرير . ففي مقال بتوقيع (ف ت ح) كتبت المجلة ما يلي : « ان هناك اقساما عربية من فلسطين ، وعلى هذه الاقسام ينبغي ان نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي يعمل بالتعاون مع الدول العربية لانقاذ فلسطين من اليهود المجرمين ... طريق التحرير واضح وكل ما يحتاجه العرب لتحرير فلسطين هو جرأة تتيح للكيان الفلسطيني الظهور على أن يكون هذا الكيان ممثلا لارادة شعب فلسطين ، وهذا الكيان سيحقق انطلاقة الثورة فتحمي الدول العربية حدودها وتقدم المساعدة للحكم الوطني المتمثل بهذا الكيان »(١٥). وقد كررت المجلة هذه الدعوة غير مرة فكتبت أن « الشعب الفلسطيني سيسعى دوما لتحقيق حكم وطني فلسطيني في ارض فلسطين الباقية ليستطيع العمل بجد وثورية من أجل تحرير بقية وطنه المحتل »(١٦).

غير ان هذه الدعوة كانت مبكرة جدا ولم تكن الظروف الموضوعية التي سادت آنئذ لتسمح بايصالها لتكون هدفا مجسدا لنضال الفلسطينيين ، كما ان هيمنة الاردن على مقدرات الضفة الغربية ، وهي الارض الفلسطينية الصالحة أكثر من غيرها لاقامة حكم وطني فلسطيني ، كانت جدارا يصطدم به اي طموح فلسطيني يهدف الى التفكير بمصير

هذه الارض الفلسطينية تفكيرا مستقلا . وقد كان النظام الاردني حريصا في تلك الفترة على تثبيت سيطرته على الضفة الغربية بعد ان ارتفع الحديث في الجامعة وبتأثير من مصر عن الكيان الفلسطيني . ولكي يقطع النظام الطريق امام اي تفكير بالكيان يتجه نحو الضفة الغربية حرص الملك حسين على ان يضمن في كتاب تكليف وصفي التل بتشكيل وزارة جديدة في الاردن في مطلع العام ١٩٦٢ نصا يقول : « نحن نعتقد ان اية فكرة تستهدف انتزاع الاخ الفلسطيني من احضان اسرته الاردنية من غير التوصل الى حل عادل للقضية بمجموعها هي فكرة بعيدة عن خدمة الحق العربي في فلسطين واسترداده »(١٧). كذلك حرك بعض الرموز الفلسطينية المتعاونة معه الى الوقوف هذا الموقف . ففي الكلمة التي القاها نعيم طوقان ، نائب نابلس ، في اثناء مناقشة البيان الوزاري لحكومة وصفي التل وردت هذه الفقرة : « انني اعلنها صريحة بأننا معشر الفلسطينيين لا نقبل بأي كيان أو اية راية سوى كياننا الاردني الراهن وسوى راية العرش الهاشمي المفدى اللذين لا نقبل عنهما بديلا سواء أجرى التوصل الى حل عادل للقضية بمجموعها أم لم يجر التوصل الى حل عادل لا سمح الله »(١٨).

ان هذه الصورة التي وصفنا اضطربت اضطرابا عظيما بعد وقوع الانفصال بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة في العام ١٩٦١ . فالامل الذي حملته دولة الوحدة للفلسطينيين تبدد ، وانتاب الشك الجماهير الفلسطينية في جدوى انتظار قيام الوحدة. وقد أعقب الانفصال اندياح موجة من العداء سادت العالم العربي عبرت عن نفسها بالحملات والحملات المضادة السياسية والاعلامية بين الدول العربية . وقد زاد هذا الخلاف الفلسطينيين اقتناعا بأن اعتمادهم على هذه الدول العربية الممسك بعضها بخناق البعض لن يخدم قضيتهم . وجاء انتصار ثورة الجزائر في العام ١٩٦٢ ونيلها استقلالها من فرنسة قولا فصلا في هذا الموضوع برهن عمليا على ان شعبا ممسكا بزمام قضيته بيديه قادر على تحقيق مطامحه القومية . ونتيجة ذلك كله فقد **شهدت السنوات القليلة التي اعقبت الانفصال انكفاء نحو « الفلسطينية »** تجسد في قيام عدد كبير من المنظمات الفلسطينية وقد ذكر غسان كنفاني ان اعداد هذه المنظمات الجديدة التي نشأت بعد الانفصال والتي اعطت لنفسها في الغالب اسم جبهة واحيانا حركة ، وصلت الى نحو اربعين منظمة وجبهة وحركة « يتراوح عدد أعضائها من حد أعلى يبلغ بضعة مئات الى حد ادنى يبلغ (وهذا واقع) عضوين وآلة كاتبة »(١٩). وقد انعكست هذه « الفلسطينية » على الاحزاب القومية نفسها « فالتغيير النوعي الذي طرأ على الساحة الفلسطينية بعد ١٩٦١ . . . لم يؤد الى انبثاق تنظيمات فلسطينية عديدة فقط بل أدى ايضا الى تغير مماثل تقريبا في بنية الاحزاب العربية القومية ، **فقد أفرزت هذه الاحزاب اعضاءها الفلسطينيين في أجهزة قطرية فلسطينية خاصة** ومنفصلة عن تنظيماتها القطرية الاخرى »(٢٠). بجانب ذلك فقد ادخلت هذه الاحزاب في صلب برامجها الدور المستقل للشعب الفلسطيني في النضال من أجل القضية . ومن ذلك القرار الذي اتخذه مؤتمر القيادة القومية السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد من ٥ — ٢٣ تشرين الاول ١٩٦٣ والذي نص على ما يلي : « درس المؤتمر بعناية المشكلة العربية في فلسطين في مرحلتها الراهنة وآفاق تطورها ، وانتهى الى **ضرورة اعتماد عرب فلسطين كأداة أولى في تحرير فلسطين وأقر انشاء فكرة جبهة تحرير فلسطين** ، وهو يدعو الدول العربية بشكل عام والسلطة الثورية في سوريا والعراق بشكل خاص الى تقديم كل الامكانيات لاقامة هذه الجبهة وتنظيمها ، وان توجد لها الادوات والقيادات المؤمنة والثورية وان تكون بمنأى عن الخلافات بين الدول العربية »(٢١). كذلك نشرت الحكومة العراقية مشروعا « لابراز الكيان الفلسطيني » يقوم على

التصورات التالية : ● يقسم الفلسطينيون الى دوائر انتخابية تنتخب كل منها ممثلا عنها . ● يجتمع الممثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين . ● تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبها في كافة المؤتمرات والمحافل والمناسبات الدولية . ● تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني . ● يكون مقر حكومة فلسطين في أي قطر عربي تراه مناسبا وبموافقة حكومة ذلك القطر(٢٢).

ان تلك كانت البدايات الاولى على صعيد فلسطيني وآخر عربي لبلورة فكرة الكيان الفلسطيني ، غير انها كانت فكرة تبحث عن تجسيد واقعي عملي . فالكيان هو التعبير الشامل عن الهوية القومية للشعب والاحساس بهذه الهوية شحذته العوامل التي أسفر عنها الانفصال على الرغم من انه كان يتنامى قبل ذلك بتدرج . وكان التجسيد الفعلي للفكرة والاحساس يحتاج الى الادوات التي تعطيهما المدلول العملي والوسائل التي من خلالها ينطلقان الى دائرة الفعل المحسوس . باختصار كانت الفكرة تحتاج الى وعاء مادي يستوعبها ويوفر لها الرموز الكفيلة بترجمتها الى محسوسات .

قيام منظمة التحرير الفلسطينية

في ايلول ١٩٦٣ عقدت الدورة الاربعون لمجلس الجامعة العربية واختير احمد الشقيري ممثلا لفلسطين لدى المجلس خلفا لاحمد حلمي الذي توفي في وقت سابق في ذلك العام . وقد قرر المجلس لدى اختياره الشقيري ان يعهد اليه بزيارة الدول العربية « لبحث القضية الفلسطينية من جميع جوانبها والوسائل التي تؤدي الى دفعها الى ميدان الحركة والنشاط »(٢٣)، ولم تشهد الاشهر القليلة التي اعقبت هذا القرار اية اجراءات فعلية يمكن ان يستدل منها ان هذا القرار يختلف في النوع عن القرارات الروتينية التي سبق ان اتخذتها الجامعة العربية والتي كانت تطوى قبل ان يجف حبرها. غير ان ثمة أمرا واحدا يجعل هذا القرار ذا اهمية خاصة هو اختيار الشقيري ممثلا لفلسطين وهو الذي تربطه علاقة وطيدة بمصر على الرغم من انه كان يشغل قبل ذلك منصب مندوب العربية السعودية في الامم المتحدة ، وقد انعكست هذه العلاقة على موقف السعودية منه فأنهت خدماته في العام ١٩٦٣ . وقد تحفظت السعودية (كذلك الاردن) على تعيين الشقيري ممثلا لفلسطين في الجامعة(٢٤). وقد اتاح هذا المنصب الجديد للشقيري ان يحضر جلسات مؤتمر القمة العربي الاول الذي عقد في الفترة ما بين ١٣ — ١٦ كانون الثاني ١٩٦٤ والذي بحث لاول مرة على أعلى صعيد عربي مسألة الكيان الفلسطيني .

لم يكن الملوك والرؤساء العرب متفقين على ماهية الكيان الفلسطيني وطبيعته وأهدافه . فمن خلال النقاش الذي دار في المؤتمر ظهر ان الملك حسين كان يصر على الا يظهر في بيان القمة تعبير الكيان الفلسطيني ، اما الرئيس السوري أمين الحافظ فكان يرى انه لا فائدة للكيان بدون ارض وانه يجب اعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الكيان الفلسطيني ، بينما كان الملك سعود يرى انشاء حكومة لفلسطين(٢٥)، اما الرئيسان الحبيب بورقيبة واحمد بن بيلا فقد تقدما بمشروع لانشاء جبهة تحرير وطنية(٢٦). ونتيجة اختلاف وجهات النظر جاء البيان الصادر عن مؤتمر القمة في ختام جلساته عاما غير محدد في هذا الشأن فقد نص على ما يلي : « ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية ... قياما بواجب الدفاع المشترك وايمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره والتحرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه... قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني الماثل سواء في الميدان

الدفاعي أو الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره »(١٧)، كذلك فقد اتخذ المؤتمر قرارا عاما كذلك بما يتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني ، فقد قضى القرار بـ « ان يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاءو الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره »(٢٨).

ان ما نريد ابرازه هنا هو ان **القمة الاولى لم تقرر تشكيل كيان فلسطيني** وان كانت قد بحثته واختلفت الاراء حوله ، والشقيري نفسه يقر بأنه « تجاوز » المهمة التي اوكلت اليه فيقول : « قرار الملوك لم يخولني انشاء الكيان الفلسطيني اطلاقا ... وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الاسكندرية في شهر آب ١٩٦٤ ، ولكني خشيت ان انفذ هذا القرار فقد كانت آراءالدول العربية متباينة بشأن كيفية تشكيل الكيانالفلسطيني واختصاصاته وكانت آراء التجمعات الفلسطينية متباينة كذلك ... وكان المفروض ان ابرز هذه التناقضات في تقرير أقدمه الى الملوك والرؤساء في اجتماعهم في الاسكندرية وانا أعلم ان مصير هذا التقرير هو احالة الموضوع الى الحكومات العربية مرة اخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنين عديدة مضت ... ولهذا فقد عزمت ان اضع الحكومات العربيه والشعب الفلسطيني امام الامر الواقع فأدعو الى مجلس وطني ... لينظر في الميثاق والنظام الاساسي ويعلن قيام (م.ت.ف.) وتشترك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم (م.ت.ف.) لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية »(٢٩).

على الرغم من الحكم الذي قطعناه بأن القمة العربية لم تكن هي التي شكلت الكيان، ففي المقابل ان الذاتية المفرطة التي تحث الشقيري من خلالها (في النص السابق) عن تشكيل الكيان لم تكن كذلك هي المكون الاساسي الذي بني فوقه الكيان الفلسطيني . ولا نقلل في ذلك من أهميـة ما قام به الشقيري ، ولكن نعتقد ان حقائق المرحلـة ، فلسطينيا وعربيا ، كانت تحتم طرح فكرة الكيان الفلسطيني والبحث في الوسائل الكفيلة باخراجه الى حيز الوجود . كان هناك دور ، اذن ، يبحث عن بطل ، فكان الشقيري . وفيما يلي محاولة للمس هذه الحقائق .

على صعيد فلسطيني ، ابرزنا في فقرة سابقة تأثيرات الانفصال وانتصار ثورة الجزائر على الاتجاه نحو « الفلسطينية » التي كان من مؤشراتها نشوء اعداد كبيرة من المنظمات الفلسطينية . واذا كان لهذا الامر من معنى فهو علامة واضحة على ان الفلسطينيين كانوا يبحثون عن ذاتهم ، عن شخصيتهم المستقلة ، عن ابراز كيان وطني لهم مستقل فاعل في الاحداث . ونستطيع ان نفترض ان انعقاد القمة العربية الاول كان مناسبة لهذا الاتجاه لان ينطلق في حملة تعبوية داعيا الى تكريس نفسه على صعيد عربي . ومن مؤشرات هذه الحملة البيان الذي اصدرته جبهة التحرير الفلسطينية في ١٩٦٤/١/١٠ لمناسبة انعقاد القمة والذي طالبت فيه بالاعتراف بالشخصيةالفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني بأن يكون طليعة العمل الثوري المسلح لاسترداد الوطن السليب(٣٠). وقد وصف بيان للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي (٦٤/٣/٤) انعكاس الموقف الفلسطيني في القمة العربية كما يلي : « تجاه نضال ابناء فلسطين واصرارهم على ابراز كيانهم شعرت الحكومات العربية انها لا تستطيع الاستمرار في تجاهل هذا المطلب القومي الملح ... فلم يجد الرؤساء والملوك العرب في مؤتمرهم الاخير بالقاهرة سبيلا الا الاقرار مجددا بضرورة الكيان الفلسطيني وبحق الشعب العربي الفلسطيني في القيام بدوره في معركة العودة. ان اقرار مؤتمر الرؤساء

والملوك العرب بضرورة ابراز الكيان الفلسطيني هو اعتراف بحقيقة نضالية ، وهي ان الشعب الفلسطيني له دور طليعي في تحرير فلسطين واعادتها عربية كما كانت »(٣١). كانت هناك ارادة فلسطينية ضاغطة انعكست داخل المؤتمر في الاتجاه نحـــو بحث الكيان ، على الرغم من ان هذا البحث ، بسبب المواقف المتعارضة والمعارضة كذلك ، لم يتمكن من الوصول الى الصيغ المحددة المعبرة عن الكيان . وكان يمكن ايضا ان يلاقي قرار القمة بتنظيم الشعب الفلسطيني مصير القرارات السابقة التي اتخذتها الجامعة العربية في هذا الشأن وتنتهي الى ان تطوى في الملفات . غير ان الاستجابة الواسعة التي قابلت بها الجماهير الفلسطينية قرار القمة قطعت الطريق امام كل تراجع . فالقوى الفلسطينية فسرت قرار القمة بتنظيم الشعب الفلسطيني بأنه اعتراف من جانب الدول العربية بالكيان الفلسطيني و « كان موقف العناصر والقوى الثورية الفلسطينية موقفا ايجابيا رمى بثقله نحو العمل على انجاح مشروع الكيان والخروج به الى صيغة ثورية تستطيع ان تكون في مستوى المطامح الفلسطينية »(٣٢). بجانب ذلك فينبغي عدم التقليل من موقف (ج.ع.م.) تجاه هذه المسألة . فالقاهرة التي كانت حينذاك تمسك بيديها بزمام العمل القومي العربي هيأت السبل أمام انبثاق الكيان . وقد اوردنا في فترة سابقه بعض الحقائق المتعلقه بموقف الرئيس عبد الناصر من الكيان الفلسطيني . ووفقا للشقيري « كانت ج.ع.م. [بعد القمة الاولى] راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد »(٣٣)، ولم يكن من قبيل الصدفة ان الشقيري قبل ان يبدأ جولته في الدول العربية واتصاله بالتجمعات الفلسطينية لمناقشة أمر تنظيم الشعب الفلسطيني حسب قرارات القمة ، قبل ذلك اجتمع في القاهرة (١٩٦٤/٢/١١) بالدكتور محمود فوزي ، وزير خارجية ج.ع.م. « وعرض عليه الخطوط العريضة لمشروع الكيان الفلسطيني وما يتعلق بجوانبه السياسيه والعسكرية والمالية »(٣٤). وقد كان موقف القاهرة الداعم لانشاء الكيان ، في صيغته التي عرضها الشقيري ، كفيلا بالحد من تأثير المعارضة التي أبدتها بعض الدول العربية والتي استمرت في المعارضة حتى بعد قيام م.ت.ف. فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني صرح فيصل بن عبد العزيز ، رئيس وزراء السعودية آنئذ ، لصحيفة « البلاد » في جدة بأن « كل عربي ومسلم يريد الكيان الفلسطيني ولكن على ا نلا يفرض واحد على هذا الكيان . ليجتمع الفلسطينيون في كل قطر يكونون فيه وينتخبوا ممثلين منهم وتشكل من الممثلين هيئه تنتخب من بينها هيئة تنفيذية وهذه تدعى الكيان الفلسطيني »(٣٥). وصبيحة المؤتمر المذكور كتبت « البعث » السورية تقول « اننا ونحن نرحب بكل لقاء يتم بين ابنـــاء فلسطين نود ان ننبه الى خطورة النتائج التي تنجم عن كل محاولة تستهدف تحـــويل لقاء القدس الى مجلس وطني او صيغة نهائية للكيان . لقد قرر الرؤساء والملوك العرب تكليف السيد الشقيري بمهمة استطلاع الآراء المختلفة لابناء فلسطين والحكومـــات العربية حول افضل الوسائل لابراز الكيان الفلسطيني ليقوم برفعها الى مؤتمر القمة العربي في شهر آب القادم ، ولذلك فاننا نرحب بلقاء القدس كفرصة تتيح للســـيد الشقيري ان يعرض آراء عدد من الفلسطينيين يجب ان تعرض على مؤتمر القـــمة المقبل »(٣٦). وفي الاجتماع الذي عقدته لجنة متابعة مقررات القمة في ١٩٦٤/٦/٥ عارض طاهر رضوان ، المندوب السعودي في اللجنة المذكورة، مقررات المؤتمر الوطني في القدس وانشاء كيان فلسطين ، كذلك عارض منصور الاطرش ، المندوب السوري في اللجنة ، مقررات مؤتمر القدس واتهم الشقيري بتجاوز السلطات التي خوله اياها مؤتمر القمة العربي(٣٧).

كانت هذه المعارضة تقابل بدعم من مصر ، التي كان تأثيرها في هذا الصدد قد بدأ منذ

اللحظة التي تم فيها اختيار الشقيري ، الذي تربطه علاقة وطيدة بالقاهرة الناصرية ، ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية على الرغم من تحفظ الاردن والسعودية . وقد كان الاختيار نفسه منسجما مع وجهة نظر مصر الى الكيان ، فقد كانت ج.ع.م. تريد الكيان منبرا اعلاميا — كما يؤكد الشقيري نفسه — بمعنى ان يكون له دور دبلوماسي على الصعيدين العربي والدولي(٢٨)، وكانت خبرة الشقيري الماضية في هذا الصدد تزكيه للقيام بهذه المهمة .

في أي حال، ومهما كانت التصورات المسبقة عن الكيان، فقد كانت للقوى الفلسطينية العاملة آنئذ افكار مقابلة ، اتفقت جميعها على ضرورة بعث الكيان ولكنها كانت غامضة ومتعارضة احيانا في كيفية ابرازه وفي التعرف على شكله العتيد . وينبغي ان نلاحظ هنا ملاحظة هامة هي **ان الحديث عن الكيان في تلك الفترة لم يكن يعني الهوية القومية** للشعب الفلسطيني او شخصيته الوطنية او وحدته الكيانية ، فقد كانت تلك مسلمات **انطلقت منها القوى السياسية الفلسطينية للحديث عن الكيان بمعنى الاطر والمؤسسات المعبرة عن كل ما سبق والمهمات الموكولة الى تلك الاطر والمؤسسات وكيفية ادائها لمهماتها بمختلف ابعادها** . وكان هناك انفجار في التصورات بدأ مع بداية جـــولة الشقيري في الاقطار العربية في الفترة من ١٩٦٤/٢/١٩ الى ١٩٦٤/٤/٥ والتي شملت مصر والاردن وسوريا والبحرين وقطر والعراق والكويت ولبنان والسودان ، وقـد عقد في هذه الجولة ٣٠ مؤتمرا مع الشعب الفلسطيني التقى خلالها مع آلاف منهم(٢٩). وكان الشقيري قد اذاع في مطلع جولته في القدس (١٩٦٤/٢/٢٤) مشروعا من ٢٩ ماده « لميثاق قومي فلسطيني » تقوم عليه المبادىء الاساسية لتحرير فلسطين وقال انه سيدعو الى عقد مؤتمر وطني فلسطيني في القدس لطرحه عليه(٤٠). وقد أسهم هذا المشروع في تفجير النقاش الذي ساد الساحة الفلسطينية والذي اتخذ له أكثر من مظهر كان احدها البيانات العديدة التي أصدرتها القوى السياسية والاتحـــادات الفلسطينية ، كما كان من مظاهرها الحوارات المباشرة بين الشقيري وهذه القوى . وقد سجل غسان كنفاني وصفا لاحد هذه المظاهر كما تمت في لبنان فكتب ان «الشقيري بدأ في بيروت اتصالاته على صعيدين : الصعيد الاول هو صعيد الخلية الاجتماعية حيث كان يصرف ساعات كثيرة في الاتصال المباشر بوفود الفلسطينيين القادمين من مختلف المخيمات والطبقات ، يستمع اليهم ويخطب فيهم ويحدد مفهوم الكيان الـــذي يريد ويستمع منهم الى مفهوم الكيان الذي يريدون . أما الصعيد الثاني فكان صعيد المناقشات والمباحثات مع ما صار يعرف بأنه القوى الثورية التي اتصل بها الشقيري.. انها مجموعات المنظمات السرية والعلنية والمنظمات النقابية ومجموعة من المثقفين المستقلين المختصين بالقضية الفلسطينية »(٤١). وقد ذكر الشقيري للكاتب الحالي ان هذه القوى التي اشار اليها كنفاني كانت في الاساس فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية(٤٢). ويهمنا هنا ان نبرز أفكار هذه المنظمات كما كانت آنذاك .

كان راي فتح كما نشرته « فلسطيننا » كما يلي : « ١ — نحن نلتقي مع الجميع في اصرارهم على ان يكون الكيان ثوريا وذا مضمون ثوري . ٢ — نحن نتفق كل الاتفاق مع من ينادي بأن يكون الكيان مرتكزا للثورة المسلحة وليس بديلا لها . ٣ — نتفق مع الجميع في اعتبارهم التنظيم العسكري أساسا للكيان الفلسطيني ... ٤ — نحن لا نختلف معمن ينادي بابراز الكيان عنطريق الانتخابات النزيهة **ان أمكن ذلك !** [التشديد والتعجب في الاصل] ولكننا ننبه الى ان الانتخابات **الحرة** [التشديد في الاصل] قد تكون مستحيلة عدا عن انها ستنبش الاحقاد والتحزب الاعمى وحتما ستبعد العناصر

الثورية الاصيلة لانها لا تملك أدوات التأثير المادية . وكذلك فهناك محذور آخر هو اكساب الشرعية لممثلين قد يخرجون على المسرح السياسي وينفذون قرارات يرفضها الشعب الفلسطيني قطعا ويحتمون بالشرعية »(٤٣).

اما حركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية ــ طريق العودة ــ فقد أصدرتا بيانا مشتركا مع اتحاد طلاب فلسطين والشباب العربي الفلسطيني في لبنان ، اوضحتا فيه الرأي في الكيان واعتبرتا « البنود التالية هي الحد الادنى مما ينبغي تحقيقه في ابراز الكيان الفلسطيني: أ ــ طبيعة الكيان وفعاليته: ١ــ الكيان الفلسطيني تنظيم ثوري للشعب الفلسطيني يستهدف تحرير فلسطين واعادتها بأكملها عربية خالصة . ٢ ــ الكيان الفلسطيني المنظم بناء على الاسس الواردة في هذا البيان هو وحده صاحب الحق بتمثيل الشعب الفلسطيني والناطق باسمه. ٣ــ الكيان الفلسطيني مستقل معنويا وماديا فله معنويا من المكانة السياسية ما لغيره من الكيانات السياسية العربية ويتمتع ممثلوه بالحصانة التامة في اداء واجباتهم ، اما من الناحية المادية فللكيان موارد مالية ثابتة عن طريق الجباية التي تقوم بها تشكيلات الكيان من الفلسطينيين ، وعن طريق التزام مالي ثابت تقوم به الدول العربية ويتقبل التبرعات من شعوب الدول العربية والدول الاخرى الصديقة . ٤ ــ الكيان الفلسطيني ينبثق عن انتخابات حرة تعبر عن ارادة الشعب الثورية الاصيلة تعبيرا صادقا. فاذا تعذرت الانتخابات لاسباب قاهرة فلا بد لارادة الشعب الثورية من ان تمثل في مؤتمر وطني عام ، وهذا المؤتمر تدعو اليه لجنة تحضيرية تمثل فيها جميع المنظمات الثورية والقوى العاملة بحسب الاسس التي تضمن للكيان طابعا ثوريا . ب ــ القطاع العسكري في الكيان: ١ ــ يجند الفلسطينيون في الاقطار العربية المختلفة في وحدات عسكرية فلسطينية نظامية . ٢ ــ تخضع هذه الوحدات في تشكيلها وانضباطها لقيادة خاصة خاضعة بدورها للجهاز التنفيذي للكيان . ٣ ــ تكون القيادة الفلسطينية ممثلة تمثيلا فعليا في القيادة العربية الموحدة. ٤ــ ترتبط هذه الوحدات في حركاتها العسكرية بالقيادة العربية الموحدة ضمن المخطط العربي العام. ج ــ الصلاحيات التنظيمية داخل الكيان : المؤتمر الوطني هو السلطة العليا في الكيان الفلسطيني ... والمؤتمر الوطني ينتخب اللجنة التنفيذية... [التي هي] القيادة الجماعية الدائمة الانعقاد للكيان الفلسطيني »(٤٤).

ان فكرة الانتخابات التي وردت في النصين المذكورين كانت قد اثارتها في وقت سابق وظلت تطالب بها لاحقا ، الهيئة العربية العليا لفلسطين ، فقد أصدرت بيانا جاء فيه « ان الهيئة العربية العليا لفلسطين وهي الممثلة الشرعية لكفاح الشعب العربي الفلسطيني والمعبرة عن ارادته وامانيه واهدافه ... تتمسك بمبدأ انشاء الكيان الفلسطيني عن طريق اجراء انتخابات عامة للشعب العربي الفلسطيني في مختلف ديار اقامته ، والهيئة تعتقد ان في الامكان اجراء انتخابات فلسطينية عامة في الظروف الحاضرة اذا توفرت النوايا الحسنة وابعدت قضية فلسطين عن مجالات التسخير والاستغلال والمزايدة »(٤٥).

بجانب ذلك كان للشقيري تصور خاص للكيان : « لقد قيل ان الكيان الفلسطيني يهدف الى غرضين اولهما سلخ الضفة الغربية واقامة حكومة فلسطينية وثانيهما ان تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وكلا الامرين باطل من اساسه ... الكيان الفلسطيني يهدف الى ان يصبح أهل فلسطين قوة وطنية عاملة تسهم في تحرير فلسطين »(٤٦)، كذلك « ان تنظيم الشعب الفلسطيني لا بد ان يعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني وان تنضوي تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وان يكون مفتوحا امام المواطنين جميعا »(٤٧). اما الهيكل العام للكيان كما فكر فيه الشقيري فهو

يقوم على اربع دعائم « ١ ــ الجهاز العسكري ومهمته تمكين القادرين على حمـل السلاح في خدمة وطنهم . ٢ ــ الجهاز التنظيمي وهو على شكل اتحادات ونقابات تشمل العمال والفلاحين والطلاب والمهنيين الخ... ٣ ــ الجهاز السياسي وله مهام اعلامية ودعاوية . ٤ ــ الجهاز المالي وهو يشتمل على الصندوق القومي الفلسطيني وموارده من الشعب الفلسطيني والدول العربية والشعوب والدول الصديقة »(٤٨).

بهذا التصور المحدد للمؤسسات المعبرة عن الكيان قام الشقيري بالدور الاساسي في اخراجه الى حيز الوجود . وفي ٢٨/٥/١٩٦٤ عقد مؤتمر فلسطيني في القدس حضره ٣٨٨ ممثلا منهم ٢٤٢ من الاردن و١٤٦ من سوريا ولبنان وغزة والخـليج العربي والعراق اختارتهم لجان تحضيرية شكلها الشقيري من الفلسطينيين في هذه الاقطار(٤٩)، وفي جلسة العمل الاولى انتخب الشقيري رئيسا للمؤتمر بالاجماع فأعلن ولادة منظمة التحرير الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة واختتم اعماله في ٢/٦/١٩٦٤ بعد ان أقر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة والنظـام الاساسي للصندوق القومي الفلسطيني .

مرحلة البناء ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧

كانت السنوات الثلاث التي أعقبت قيام م.ت.ف. هي سنوات البناء ، ان لجهة ارساء المفاهيم الاساسية لمعنى الكيان من حيث هو تعبير عن الشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني ووحدته القومية ، او لجهة اقامة المؤسسات والاوعية المادية التي تجسد الكيان بمعناه السابق تجسيدا محسوسا . لقد كان واضحا منذ المجلس الوطني الاول ومنذ اللحظة التي أعلن فيها عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية انه اريد ان يكون هناك تطابق كامل دون أي هامش من فراغ بين مقولتين : الاولى الشـعب الفلسطيني من حيث هو وجود واحد ، والثانية منظمة التحرير الفلسطينية ليـس باعتبارها احدى المؤسسات التي أوجدها الشعب ، وانما من حيث هي **الشعب ــ في حالة التنظيم** . أي ان المعادله الاساسية التي بنيت عليها المنظمـة هي : **المنظمة = الشعب** . وقد توضح هذا القصد في النظام الاساسي للمنظمة الذي أقره المجلس الاول، فقد نصت المادة الاولى منه على ما يلي : « يشكل الفلسطينيون فيما بينهم وفقا لاحكام هذا النظام منظمة تعرف باسم م.ت.ف. » . ويلاحظ في هذا النص الذي اختيرت الفاظه بدقة ان مسؤولية تشكيل المنظمة تقع على الفلسطينيين جميعا وهذه المسؤولية مستمرة في الزمان وقد اوحى بهذه الاستمرارية اختيار صيغة المضارع من الفعل « يشكل » ، كما ان تعبير « فيما بينهم » يوحي بمعنى تعاقدي بين الفلسطينيين . ولتأكيد هذا القصد الذي اشرنا اليه نصت المادة الرابعة من النظام نفسه على ما يلي : « **الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيون** في م.ت.ف. يؤدون واجبهم في تحرير وطنـهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم . والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » . وبذلك حققت هذه الوثيقة ، من ناحية نظرية ، المطابقة الكاملة بين الشعب الفلسطيني و م.ت.ف.

وهذه المطابقة وحدها هي التي أسقطت على م.ت.ف. معنى الكيان على الرغم من انه لم يرد هذا التعبير لا في ميثاق المنظمة ولا نظامها الاساسي ، فالكيان في الاصل معنى يتعلق بالشعب ، بوحدته القومية وبشخصيته المستقلة وباحساس الشعب بهما. والمبدأ الاساسي الذي انطلقت منه المنظمة هي وحدة الشعب الفلسطيني الكيانية ذات الشخصية الثابتة ، ففي الميثاق القومي الفلسطيني نصت المادة الخامسة على ان « الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الاباء الى الابناء ».

كما اكدت المادة الحادية عشرة من الميثاق القومي أن على الشعب الفلسطيني — في هذه المرحلة من كفاحه — « ان يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وان ينمي الوعي بوجودها وان يناهض ايا من المشروعات التي من شأنها اذابتها او اضعافها » . واذا كانت الكيانية في الاساس تتعلق بالشعب ، والشعب الفلسطيني وحدة كيانية ، فمن خلال المعادلة التي سبق ذكرها ، تصبح المنظمة هي الكيان الفلسطيني المحسوس .

لقد قام البناء الهيكلي للمنظمة بحيث يرسخ في الواقع معنى الكيان فيها ولتأخذ شكل الدولة التي هي التعبير القانوني عن الكيان ، واطرها باستثناء الارض . فمن جهة اولى السكان جميعا الذين اكتسبوا جنسية الدولة هم مواطنو هذه الدولة، وبذلك فالفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيون في م.ت.ف. كذلك فان الميثاق القومي والنظام الاساسي اللذين يحددان طبيعة المنظمة وشكل العلاقات بين هيئاتها وعلاقة المواطنين بها هما بمثابة الدستور في الدولة . ومن جهة ثانية فان هيئات المنظمة شبيهة بتلك التي للدولة فهناك السلطة التشريعية الممثلة بالمجلس الوطني الذي يجتمع دوريا و « هو السلطة العليا لمنظمة التحرير ، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها » كما نص على ذلك النظام الاساسي وهناك اللجنة التنفيذية التي هي « أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة » وتتولى « تمثيل الشعب الفلسطيني ، الاشراف على تشكيلات المنظمة ، اصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم أعمال المنظمة ، تنفيذ السياسة المالية للمنظمة ، وعلى وجه العموم تباشر اللجنة التنفيذية مسؤوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني » كما جاء في النظام الاساسي .

واستنادا الى هذا الهيكل العريض عمدت المنظمة الى اقامة تشكيلات عسكرية وسياسية واعلامية خدمت من جانب تثبيت هذه الصورة من الكيان كما عمقت من جانب آخر الاحساس بالشخصية المستقلة لدى جماهير الشعب الفلسطيني . ومن هذه التشكيلات كان جيش التحرير الفلسطيني الذي هو التعبير العسكري عن الكيان. وكان النظام الاساسي الذي أقره المجلس الاول قد نص في احدى مواده على ان « تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة للاتفاق وبالتعاون مع الدول العربية المعنية » . ونتيجة لذلك فتح معسكر للتدريب في غزة وظهر اول وجود علني للجيش الفلسطيني في احتفالات ج.ع.م. بعيد الثورة في ١٩٦٤/٧/٢٣ حيث اشتركت وحدات رمزية في الاحتفالات باسم جيش فلسطين . وفي مؤتمر القمة الثاني أقر انشاء جيش فلسطيني تابع لـ م.ت.ف. وورد في البيان الختامي ان المؤتمر « اعتمد قرار المنظمة بانشاء جيش التحرير الفلسطيني ». ولم يكد العام ١٩٦٥ ينتهي حتى استكمل بناء هذا الجيش بقواته الثلاث : عين جالوت في غزة وحطين في سوريا والقادسية في العراق .

بجانب ذلك انشأت المنظمة الاجهزة السياسية والاعلامية الكفيلة بتنفيذ خططها وتعميق صورتها الكيانية . وقد اولت المكاتب في الاقطار العربية والاجنبية اهتمامها الكبير لما تحمله هذه المكاتب من صيغة تمثيلية حرصت عليها المنظمة . وحتى منتصف العام ١٩٦٥ كانت المنظمة قد افتتحت مكاتب لها في القدس (المقر الرئيسي) ودمشق وغزة والقاهرة وبيروت والخرطوم وبغداد وطرابلس والجزائر والكويت وقطر والمغرب بالاضافة الى نيويورك وبلغراد وبكين . بموازاة هذه المكاتب التي كان من جملة مهماتها الاعلام والدعاية والنشاط السياسي باسم م.ت.ف. ورعاية شؤون الفلسطينيين بدأت

اذاعة تبث من القاهرة باسم « صوت فلسطين ، صوت م.ت.ف. من القاهرة » لعبت دورا مهما في التحريض السياسي والتعبئة . وكانت ساعات بثها الست مقسمة الى ثلاث فترات : ساعتين في فترة الصباح وساعة في فترة الظهيرة وثلاث ساعات في فترة المساء ، وكانت الاذاعة لفترة طويلة المنبر الاكثر اهمية في التعبير عن مواقف المنظمة وسياساتها وافكارها ، والوسيلة الاسرع تأثيرا في الاتصال بين م.ت.ف. والفلسطينيين في كل مكان . بالاضافة الى هذا فقد انشأت م.ت.ف. مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت في شباط ١٩٦٥ ليكون مكانا لدراسة القضية الفلسطينية ومصدرا للمعلومات عنها . ومنذ تأسيسه مارس نشاطه بكثافة وكان دوره الاساسي في مرحلة البناء انه درس القضية الفلسطينية بطريقة علمية ، لاول مرة في العالم العربي ، مما أعطى فهما أفضل للقضية وحقائقها .

ينبغي ان نضيف الى هذه التشكيلات التي أقامتها المنظمة موقفها من التنظيم الشعبي والاتحادات الشعبية . ففي المجلس الوطني الثاني أقر قانون التنظيم الشعبي بحيث يشكل هذا التنظيم « الاداة القادرة على حشد الفلسطينيين بكل طاقاتهم وكفاءاتهم لتحرير فلسطين ... وهذا المعنى يتطلب وجود عضوية عاملة في م.ت.ف. ... والتنظيم الشعبي ليس بحزب وانما هو الوعاء الذي يضم قوى الشعب الفلسطيني العامله » وكان بناء التنظيم الشعبي كما خطط له يتم على اساس الهيكل الهرمي ، قاعدته مؤلفة من وحدات محلية تشكل على اساس محلي كالمحلة او المدينة او القرية او المعسكر أو التجمع المهني ، يضمها مؤتمر التنظيم الشعبي في المنطقة (ومكتب منبثق عنه) ، ويعلو ذلك مؤتمر التنظيم الشعبي في القطر (ومكتبه) وعلى رأس الهرم مكتب مؤتمر التنظيم الشعبي العالي الذي يتكون من اعضاء مكاتب الاقطار . ويتم اختيار جميع اعضاء هذه المستويات بطريق الانتخاب الحر. غير ان هذه التجربة التي وضعت موضع التنفيذ فعلا لم يكتب لها النجاح والاستمرار ولم تتأصل جماهيريا، وكانت تجربة الاتحادات الشعبية هي التجربة الاكثر اصالة وقدره على تنظيم قطاعات الشعب المختلفة . ولدى قيام المنظمه كان في الساحة الفلسطينية اتحادان : الاتحاد العام لطلبة فلسطين الذي تأسس في العام ١٩٥٩ واتحاد عمال فلسطين الذي تأسس في العام ١٩٦٣ ولم يكن بعد قد عقد مؤتمره العام الاول . وبعد قيام المنظمة أعلن الاتحاد العام لطلبة فلسطين (في مؤتمره الذي عقد في غزه في ١٩٦٤/١١/٦) انه قرر اعتبار نفسه جزءا من المنظمة ، كما أكد الاتحاد العام لعمال فلسطين في مؤتمره الاول (في غزة ١٤/ ١٩٦٥/٤) ان م.ت.ف. هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقائدة لنضاله ، وبذلك تحقق اندماج الاتحادين في المنظمة التي أخذت على عاتقها ايضا المبادرة لتأسيس اتحادين آخرين : الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في العام ١٩٦٥ والاتحاد العام للادباء الفلسطينيين في العام ١٩٦٦ ، بهدف بناء القواعد الشعبية التي يستند اليها الكيان .

وبهذه التشكيلات العسكرية والسياسية والاعلامية والشعبية (بالاضافة الى المالية المتمثلة في الصندوق القومي الفلسطيني) استكملت المنظمة بناء الادوات المادية التي تجسد الكيان ، والتي في الوقت نفسه تمكن الشخصية الفلسطينية من التعبير عن نفسها من خلالها .

لقد ترتب على هذه المعادلة (المنظمة = الشعب) جميع البنى النظرية والممارسات السياسية للمنظمة المتعلقة بمسائل تمثيل الشعب الفلسطيني والتحدث باسمه ومسؤوليتها عن حركته ورعاية مصالحه ومعالجة قضيته . وقد جرى اول اعتراف عربي رسمي بالمنظمة بصفتها هذه بعد اسبوعين من قيامها . فقد وجهت الجامعة

العربية دعوة رسمية الى م.ت.ف. للاشتراك في الاجتماع الذي عقد في دمشق في نطاق الجامعة يوم ١٩٦٤/٦/١٧ لبحث شؤون اقامة اللاجئين في الدول العربية ، وقد رئس هذا الاجتماع سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة ، وحضره بالاضافة الى م.ت.ف. ممثلون عن الدول العربية المضيفة للاجئين ، مصر وسوريا ولبنــــان والاردن(٥٠). بيد ان الاعتراف المعلن بالمنظمة تم في مؤتمر القمة العربية الثاني الذي عقد في الاسكندرية في الفترة من ٥ — ١١ ايلول ١٩٦٤ ، ففي البيان الختامي الصادر عن مجلس الملوك والرؤساء العرب ، جاء ان المجلس « رحب بقيام م.ت.ف. دعما للكيان الفلسطيني وطليعة العربي الجماعي لتحرير فلسطين »(٥١).

الى أي مدى استطاعت المنظمة في هذه المرحلة ان تجذر هذا المعنى في اوســاط الشعب الفلسطيني ؟ يلفت النظر في هذا الصدد ما كتبته مجلة « فلسطين » ملحق صحيفة « المحرر » التي كان يرئس تحريرها غسان كنفاني ، بعد نحو سنة من قيام المنظمة ، معترضة على نص المادة الرابعة من النظام الاساسي التي ورد ذكرها ، فقد قالت المجلة « ان هذه المادة في النظام الاساسي للميثاق عائمة ولا تعني شيئا . وقد كان انعدام التحرير [هكذا وردت والمقصود التحديد] في هذه المادة واحدا من الاسباب التي عكست نفسها على حقيقة الوضع التنظيمي كله في المنظمة وأدى الى ما يشبه القناعة في أوساط المنظمة ذاتها وبعض الاوساط الفلسطينية بأن دور المنظمة في الحقيقة هو دور أبوي ليس غير . « الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيون » في المنظمة اصطلاح لا يعني شيئاً وخاصة على صعيد التنظيم والعضوية ، والمطلوب من هذه المادة أن تكون محددة وواضحة وذات مدلول عملي ومقاييس لتصبح العضوية قضيـــة مسؤوليات مباشرة وعمل ، وليست مجرد انتساب عشائري . ان الاقتراح الاول بهذا الشأن هو التالي « للفلسطينيين جميعا الحق الطبيعي في عضوية منظمة التحرير ، ويعتبر عضوا عاملاً كل فلسطيني يدخل في اطر التنظيم العملي ويقوم بأداء واجباته المتأتية عن ذلك الانتساب التنظيمي » »(٥٢). وعلى الرغم من أنه لا يجوز تعميم هذا الرأي على الموقف كله الا أن النص الذي اثبتناه يحمل دلالة خاصة على ان المطابقة التي أرادتها المنظمة بينها وبين الشعب الفلسطيني كانت قابلة للنقاش سواء أبسبب ان هذه المطابقة لم تكن مفهومة الآفاق العملية أم بدافع تحويل المنظمة الى **جهاز تنظيمي** . فالذي دعت اليه المجلة هو تحديدا **تحويل المنظمة من صيغة المنظمة — الشعب الى صيغة المنظمة — الحزب** ، وفهم المنظمة على هذا الاساس .

يضاف الى هذا المؤشر موقف فتح من المنظمة ، ففتح التي كان وجودها السياسي سابقا لقيام م ت ف والتي بدأت عملها العسكري بعيد قيام المنظمة بأشهر قليلة (مطلع العام ١٩٦٥) كانت تعتبر ان م ت ف « جهة فلسطينية »(٥٣) في أحسن الاحوال . ولقد كان نمو فتح على خط مواز لمنظمة التحرير الفلسطينية تأثير في اتساع الهامش الذي لم ترده المنظمة في أن تكون هي والشعب الفلسطيني وجهين لقطعة عملة واحدة .

ان هذا الذي ذكرناه سابقا لا ينفي أن قوى فلسطينية أخـــرى شاركت في اعمال المنظمة انطلاقا من ميثاقها ونظامها الاساسي . ففي محاضرة القاها صالح شبل ، احد أعضاء حركة القوميين العرب آنذاك ، في بيروت (١٩٦٥/٥/٢١) قال « لم يعد سرا البادرة الايجابية التي قام بها الجهاز الفلسطيني في حركة القوميين العرب حين انخرط في صفوف المنظمة وانضوى تحت لوائها »(٥٤). ويذكر الشقيري ان حركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية (ج ت ف) وفتـــح تمثلت في المجـــالس الوطنية الاولى(٥٥). وحسب توضيح فتح : « اننا حاولنا منذ البدء أن نكون ايجابيين مع المنظمة واشتركنا في أجهزتها كما اشترك سائر المواطنين الفلسطينيين وعملنا على اعطائها

نفحة الحياة المطلوبة ، ولكن الايام اثبتت ما توقعه الكثيرون من ان المنظمة ، وهي وليدة مؤتمر القمة ، سترث من هذا المؤتمر دمه ولحمه وسوف تنعكس عليها طبيعة التناقضات التي تكشف عنها فيما بعد »(٥٦). وقد كان لاشتراك هذه القوى في أجهزة المنظمة (كانت المشاركة شخصية أكثر منها تمثيلا لقوى منظمة كما كان الشقيري يصر على ذلك) ووصول بعضها الى اللجنة التنفيذية نفسها ، تعزيزا شعبيا لأطروحة المنظمة الاساسية عن كونها الاطار الكياني الفلسطيني . وقد أسهمت الاتحادات الفلسطينية اسهاما كبيرا في هذا الشأن عندما اعتبرت نفسها جزءا من المنظمة وقاعدة لها(٥٧). كذلك فان الاجهزة السياسية والشعبية والعسكرية التي اقامتها المنظمة كان لها الدور الاجرائي في ترسيخ مفهومها في أن تكون هي الكيان كما كان للمعارك السياسية التي خاضتها أثرها الحاسم في تثبيت ألوان الصورة . وقد رافق ذلك كله نوع من الاعتراف بالمنظمة من جانب بعض الهيئات الدولية الذي ظهرت بوادره في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي افتتح في القاهرة في ١٩٦٤/١٠/٥ . فقد كانت لجنة سفراء دول عدم الانحياز قد قررت في ١٩٦٤/٩/٢٠ أن تكون م ت ف ممثلة كمراقب في اجتماعات المؤتمر على أن تتولى ج ع م بوصفها الدولة الداعية للمؤتمر توجيه الدعوة(٥٨). وقد تكرر هذا الاعتراف في المؤتمر الرابع لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية الذي عقد في وينبا في غانا في الفترة من ٩ ــ ١٦ أيار ١٩٦٥ حيث اعتبر المؤتمر م ت ف ممثلة للشعب الفلسطيني في منظمة التضامن . كذلك قرر مجلس السلم العالمي في رسالة وجهها الى المنظمة في ١٩٦٦/٢/١٥ اعتبار فلسطين عضوا فيه وقد مثلت المنظمة فلسطين في المجلس المذكور منذ ذاك(٥٩).

وقد جعلت هذه المعطيات جميعا احمد الشقيري يقول في المجلس الوطني الثالث (أيار ١٩٦٦) : « أريد أن أقول لكم جميعا يا رؤساء الحكومات العربية الذين تمثلون شعوبكم ، ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل الشعب الفلسطيني كما يمثل زكريا محيي‌الدين [الذي كان حاضرا حفل افتتاح المجلس] الشعب المصري »(٦٠).

ان الفكرة التي أردنا بلورتها سابقا هي اكتساب م ت ف معنى الكيان ، غير ان وجود م ت ف نفسه قام بالمقابل بتعميق الكيانية الفلسطينية لدى الشعب الفلسطيني وجذر الاحساس بشخصيته الوطنية المستقلة ونمى شعور الفرد الفلسطيني بالانتماء الى الشعب الواحد . فلأول مرة منذ العام ١٩٤٨ يجري طرح موضوع الشخصية الفلسطينية على هذا القدر من العلن والاتساع ، كذلك لاول مرة منذ العام ١٩٤٨ تأخذ جهة فلسطينية على نفسها مهمة ان تكون حركة الشعب الفلسطيني كله حيثما وجد وباختلاف الانتماءات الفكرية والمذهبية للفرد منه. وقد لعبت وسائل الاتصال بالجماهير التي أسستها المنظمة والتي كانت قادرة على اقامة تماس مباشر بالتجمعات الفلسطينية الدور الاهم في ازالة التراكمات عن الشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني وصقلها . وقد كان ظهور فتح في هذه المرحلة المهمة من التاريخ الفلسطيني وتبشيرها بالثورة المسلحة يخوضها الشعب الفلسطيني نفسه وممارستها العمل المسلح فعلا ، الرافد الآخر الذي فجر الثورة الكيانية الفلسطينية . وربما تعتبر الانتفاضة الجماهيرية التي اعقبت العدوان الاسرائيلي على قرية السموع من أعمال الخليل (١٩٦٦/١١/١٣) أكثر الرموز دلالة محسوسة على هذه الثورة الكيانية التي تحققت بقيام المنظمة وممارسة فتح العمل المسلح .

جاء الاعتداء اثر سلسلة كادت أن تصبح يومية من الاعمال الفدائية قامت بها العاصفة (الجناح العسكري لفتح) ، وفي وقت كانت م ت ف تخوض معركة سياسية واعلامية مع النظام الاردني بمطالب محددة منها تسليح القرى الامامية . وقد كان

الاعتداء الفتيل الذي أشعل هبة جماهيرية في الضفة الغربية شملت جميع مدنها واستمرت نحو أسبوعين ، وسقط خلالها عدد من القتلى والجرحى . واذا كانت الانتفاضات الجماهيرية عملا مميزا في تاريخ الحركة الوطنية في الاردن ، كثر تكرارها سابقا ، فان الهبة التي أعقبت السموع تميزت بكونها جزءا من الثورة الكيانية الفلسطينية : (١) لاول مرة في تاريخ الانتفاضات الجماهيرية في الاردن تنحصر التظاهرات في « الضفة الغربية » الفلسطينية ولا تتعداها الى الضفة الشرقية . فالتظاهرات الجماهيرية وبالتالي الصدام مع اجهزة الشرطة والجيش قامت في الخليل ونابلس وطولكرم والقدس وجنين حيث الفلسطينيون هم العنصر الوحيد . (٢) ان المطاليب التي تقدم بها المتظاهرون هي مطاليب فلسطينية بحتة ، ففي الخليل طالبوا « بضرورة تسليح كافة أبناء الشعب للدفاع عن حدودهم وكرامتهم »(٦١)، وفي نابلس (حيث شيع قتلى تظاهرة اليوم السابق وتحولت الجنازة الى مسيرة اشتبكت مع قوات الامن فسقط قتلى وجرحى آخرون) قدم ممثلون عن المتظاهرين بيانا الى المسؤولين في قيادة المنطقة طالب بـ « التعاون مع م ت ف وتمكينها من الاتصال بالشعب والعمل في الاردن وعدم التعرض للفدائيين الفلسطينيين وعدم وقوف الحكومة في وجه الشعب عندما يبحث قضاياه المصيرية »(٦٢). ولدى مقارنة هذه المطاليب الفلسطينية بالهموم التي حركت انتفاضات الجماهير في ضفتي الاردن خلال السنوات التي سبقت (انتفاضة ١٩٥٦/١٩٥٧ كان هدفها الحكم الوطني، وانتفاضة ١٩٦٣ كان محركها محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق) يحق الاستنتاج أن انتفاضة ١٩٦٦ كانت علامة بارزة على النمو الفلسطيني الذي كان قد تحقق حتى ذاك .

ان أبرز انجازات سنوات البناء هو هذا النمو الفلسطيني الذي عبر عن نفسه بأشكال وصيغ متعددة ، احداها كانت انتفاضة ١٩٦٦ الفلسطينية ، ومنها كذلك قيام الاتحادات الشعبية والمهنية الفلسطينية التي هي في الاساس جهد سياسي يستهدف بعث الشخصية الفلسطينية ووضعها في المواجهة ، ولم يكن صدفة ، وانما هو صدى لهذا النماء الفلسطيني ، ان محمود درويش كتب قصيدته « عاشق من فلسطين » في هذه المرحلة بالذات والتي يجري فيها التأكيد على الفلسطينية بشكل يصلح عنوان مرحلة : « فلسطينية العينين والوشم / فلسطينية الاسم / فلسطينية الاحلام والهم / فلسطينية المنديل والقدمين والجسم / فلسطينية الكلمات والصمت / فلسطينية الميلاد والموت » .

ان الامر الذي يجب التوقف عنده لدى الحديث عن بعث الشخصية الفلسطينية وترسيخ جذور الكيانية ، هو أن الشعب هو الذي كان معنيا بهذين الشأنين دون الارض . فعلى الرغم من أن الميثاق نص في مادته الثانية على أن « فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة اقليمية لا تتجزأ » ، الا ان الهوية الفلسطينية للاراضي التي جزئت خارج فلسطين المحتلة في العام ١٩٤٨ (قطاع غزة والضفة الغربية ومنطقة الحمة) لم تبرز ابرازا منهجيا بحيث تربط الاجزاء جميعا ، المحتلة منها وغير المحتلة ، ضمن شامل واحد هو الوطن الفلسطيني . لقد اقتصر فهم المنظمة في هذه الفترة بالنسبة للكيان الفلسطيني على جانب واحد هو الكيان — الشعب، وجهدت أن تشمل سلطتها — التي تشتقها من معادلة (الكيان = المنظمة) — الشعب الفلسطيني فقط دون الارض . ومن خلال هذا الفهم — الذي لم يكن فقط نتيجة عوامل ذاتية وانما بسبب خضوع الاراضي الفلسطينية لارادات غير فلسطينية — لم يدخل في حساب المنظمة أن تمارس السيادة على أي من الاراضي الفلسطينية غير

المحتلة . فوفقا للشقيري « الرئيس عبدالناصر في حديث له معي بعد انشاء م ت ف وممارستها لصلاحياتها الكثيرة في قطاع غزة قال لي مرة اذا ارادت م ت ف أن تستلم قطاع غزة اتفضلوا خذوه . مش بس تنشئوا معسكرات ، والادارة ايضا لكم . قلت نعمل ايه ، ماذا نعمل بقطاع غزة ، نحمله على اكتافنا ؟ لا . كل ما نريده من أرضنا في قطاع غزة ان تكون كلها ثكنة عسكرية ، لكن الادارة لا نريد »(٦٣).

واذا كان الامر كذلك بالنسبة لقطاع غزة فقد كان أكثر تعقيدا تجاه «الضفة الغربية» تحديدا والموقف بالنسبة للاردن بعامة . فمنذ المجلس الوطني الاول أعطيت «تطمينات» للاردن بأن المنظمة لن تمس « وحدة الضفتين » . ففي خطاب الافتتاح الذي القـاه الشقيري اكد « ان انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس لا يهدف الى سلخ الضفة [الغربية] عن المملكة الاردنية الهاشمية ... ونحن لا نتعرض للكيان الاردني من قريب او بعيد »(٦٤). وربما بتأثير من الاردن ادخلت المادة الرابعة والعشرون في الميثاق التي تنص على ما يلي : « لا تمارس هذه المنظمة اية سيادة اقليمية علـى الضفة الغربية في المملكة الاردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة، وسيكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية » . غير ان المنظمة عندما ابتدأت تمارس « نشاطها على المستوى القومـي الشعبي » اصطدمت بحقيقة ان تطبيق أهدافها في الاردن يعني منازعة النظام الاردني سيادته على الشعب حيث الاغلبية هم الفلسطينيـون . فحسب مقررات المجلس الوطني الثاني (غزة ٥/٣١ ــ ١٩٦٥/٦/٤) كان مطلوبا من المنظمة ان تنجز « الاسراع في تحصين القرى والخطوط الامامية ... الاسراع في تنفيذ التدريب الشعبي ... فرض التجنيد الاجباري على جميع الفلسطينيين اينما كانوا اسوة بما طبق في قطاع غزة » بالاضافة الى أمور الجباية المالية والتنظيم الشعبي وحق تعبئة الجماهير الفلسطينية ، وجميعها تضع السلطة الفعلية على الجماهير بيد المنظمة . وكان من المنطقي جـدا أن يكون الرفض هو موقف النظام والا فالنظام يكون قد نجر نعشه بيديه . وازاء هذا الرفض ذهب الشقيري الى النقيض وحاول ان يجعل الكرة في شباك النظام الاردني : على صعيد الكيان ــ الشعب حاول الشقيري أن يوسع الدائرة بحيث يشمل هذا الكيان الشرق ــ أردنيين كذلك . وقد جاءت هذه المحاولة عندما ادخل نجيب ارشيدات ، نقيب المحامين في الاردن ، وهو شرق ــ اردني ، اللجنة التنفيذية لـ م ت ف كذلك أعلن عن تعيين علي الحياري (شرق ــ اردني كذلك) مديرا عاما للدائرة العسكرية . وأعلن في مؤتمر صحافي عقده في عمان (٦٥/٧/٢) « ان اختيار احد أبناء الضفة الشرقية ليكون عضوا في اللجنة التنفيذية هو تطور ثوري في هذه المرحلة من حياة م ت ف » فـ « الاردن هو وطن المنظمة وشعب الاردن هو شعب المنظمة »(٦٦). وعلى صعيد الكيان ــ الوطن ذهب الى أن شرق الاردن هي فلسطين وأعلن « ان فلسطين الكبرى [فلسطين وشرق الاردن] أصابتها تجزئة عام ١٩١٩ بسلخ الضفة الشرقية ، وأصابها التقسيم الشنيع عام ١٩٤٧ باقامة اسرائيل . وان عودة الضفة الشرقية الى الوطن الام ، عقلا وضمـيرا وروحا وجسدا ، هـي خطوة اساسية نحو عودة الوطـن السليب »(٦٧).

كان هذا الموقف من الشقيري مبادرة شخصية لم يجر أخذ الراي فيها في اللجنة التنفيذية التي اثارتها في جلسة لاحقة لتصريحات الشقيري (الجلسة من ٤ ــ ٧ تموز ١٩٦٥) . وقد « قبلت » في اللجنة استقالة نجيب أرشيدات بعد أن تبين « ان اعماله كنقيب للمحامين وواجباته الكثيرة الاخرى لا تتيح له أن يقوم بالتفرغ الكامل لاعمال المنظمة »(٦٨). كما أصدرت اللجنة التنفيذية بيانا « جرى [فيه] التأكيد على تحرير

فلسطين هدفا نهائيا ، وعلى توكيد الشخصية الفلسطينية مبدأ ، وعلى المحافظة على الميثاق دستورا للمنظمة »(٦٩). وواضح من نص البيان انه يناقض اجراءات الشقيري وتصريحاته . وقد أوضح الدكتور فايز صايغ ، الذي كان رئيسا لدائرة الاعلام والتوجيه القومي ، في وقت لاحق حقيقة ما جرى ، فقال : « القضية التي تثيرها هذه التصريحات [تصريحات الشقيري] هي قضية الاساس الذي تقوم عليه المنظمة وليس قضية ثانوية أو جانبية ، هي قضية الشخصية الفلسطينية والمصير الفلسطيني وفهمنا لهما . فيبدو من مجموع التصريحات التي أدلى بها الاستاذ الشقيري في الاردن في أواخر حزيران وأوائل تموز ان له اجتهاداً خاصا جديدا في حدود الارض الفلسطينية وفي هوية الشعب الفلسطيني وفي صلة خاصة تقوم بين الارض والشعب الفلسطيني وبين الكيانات السياسية العربية المجاورة دون الكيانات الاخرى . وهذا الفهم الجديد للوطن والشعب والصلة والمصير لا يتفق في نظري مع فهم أبناء فلسطين عموما لهذه المواضيع كلها ولا ينسجم مع نصوص الميثاق ... ان المجلس الوطني لم ينظر في هذه التصريحات التي صدرت بعد انتهاء دورته الثانية كما ان اللجنة التنفيذية لم تتخذ أي قرار بتأييد هذه التصريحات او القبول بها أو تبنيها بعد صدورها ... وفضلا عن ذلك فان اللجنة التنفيذية قد أبدت رأيها في هذا الموضوع بصورة قاطعة ، وذلك في البيان الذي أصدرته عند اختتام جلساتها في ٧ تموز [المذكور أعلاه] »(٧٠).

وعلى الرغم من قرارات اللجنة التنفيذية فقد استمر الشقيري في طرح افكاره وتوسل الى ذلك بمختلف الوسائل حتى مجلس الجامعة العربية ، فقد قدم الشقيري اقتراحا الى المجلس في دور انعقاده السادس والاربعين (١٠ — ١٣ أيلول ١٩٦٦) نص على ما يلي « يقترح على الحكومة الاردنية ، كواجب قومي أسمى ، ان تبادر الى اعلان القدس عاصمة للبلاد بأسرها ، ومن جملتها فلسطين المحتلة ، باعتبار أن الاردن هي فلسطين وأن فلسطين هي الاردن ، وان تنتقل الوزارات ومؤسسات الدولة الرئيسية الى مدينة القدس » وقد أحال المجلس الاقتراح الى « الحكومة الاردنية وسائر حكومات الدول الاعضاء والقيادة العربية الموحدة لتنظرها كل فيما يخصه »(٧١).

لم تنجح هذه المحاولات في « فلسطنة » شرق الاردن فقد كانت الدعوة الى ذلك « دعوى كيدية » اكثر منها تفكيرا منهجيا وممارسة سياسية مبنية على قواعد شعبية تتلقف الدعوة وتكرسها في صفوف الجماهير . وكان ذلك على حساب النضال من أجل ابراز الهوية الفلسطينية لارض « الضفة الغربية » . وبالتأكيد فان ظروف المنظمة نفسها — بنيتها ومحتواها وارتباطاتها العربية — والظروف العربية كذلك لم تكن تسمح برفع شعار السيادة الفلسطينية على الارض الفلسطينية فكل شعار من هذا النوع كان لا بد من ان يدمغ بتهمة الانفصالية وما كان يمكن ان يجد له الصدى المؤثر . من هنا كانت تأكيدات المنظمة دائما ان « ليس من سياسة المنظمة أن تسلخ الضفة الغربية عن الشرقية »(٧٢).

الشرعية مقابل الرسمية

منذ العام ١٩٦٥ بدا واضحا ان هناك خطين متوازيين ، انطلقا في فترة واحدة تقريبا ، في مسألة التعبير عن الشخصية الفلسطينية وابراز الوجود الفلسطيني. فعلى جانب كانت م ت ف تجسيدا للكيانية السياسية للشعب الفلسطيني ، وفي الجانب الآخر كانت فتح تدعو للثورة المسلحة وتمارسها باعتبارها التعبير الاكثر جذرية عن الوجود الفلسطيني والوسيلة الاكفأ لتكتيل قوى الشعب وترسيخ وحدته القومية. وعلى الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت لجعل الخطين يتلاقيان الا أن هذه الجهود فشلت لسبب

واحد هو أن أي التقاء بينهما يفترض تطويع أحدهما للآخر ، فالمنطلقات وظروف النشأة مختلفة والممارسات المترتبة على هذه وتلك مختلفة أيضا واللقاء يحتم حذف كل ذلك لاي من الجانبين . ولم تكن الظروف التي سادت منذ العام ١٩٦٤ الى حرب العام ١٩٦٧ لتسمح بأن يحسم احد الخطين موقفه على حساب الخط الاخر،فالعمل الفدائي، بدايات الثوره المسلحة ، كان محاصرا لدرجة تجعله غير قادر على نشر قناعاته وترسيخها فلسطينيا وعربيا ، غير ان التصميم الذي ميزه جعل امكانية احتوائه معدومة على الرغم من الامكانات الدعاوية التي توفرت لـ م ت ف . واذا كانت المنظمة قد رعت في أواخر العام ١٩٦٦ جهدا فدائيا (منظمة أبطال العودة التي أعلنت عن أولى عملياتها في تشرين الاول ١٩٦٦) فلم يكن ذلك يعني أن م ت ف قد تبنت الثورة المسلحة ، بمنطلقاتها وممارساتها ، نظرية في العمل ، ذلك بأن التصور العام الذي تحكم بفكر المنظمة هو الحرب النظامية الخاطفة التي كانت نظرية عربية سادت وانعكست في بناء قوات م ت ف المسلحة .

ولقد حسم الامر بعد حرب العام ١٩٦٧ ، فالهزيمة العسكرية التي لحقت بالجيوش العربية كانت انتصارا في جانب منها لنظرية حرب الشعب ، وقد أتاح ذلك لفتح وفي ظل صمت البنادق العربية ، أن تضع اختباراتها ــ بعد أقل من مرور شهرين على الهزيمة ــ في المواجهة الوحيدة تقريبا وتخطف الاضواء الى منهجها في النضال . وكان بروز عدد من المنظمات الفلسطينية اثر ذلك (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والصاعقة وغيرها بعضها كانت بداياته قبل حرب ١٩٦٧) علامة بارزة على انتصار خط الثورة المسلحة . ولقد كانت معركة الكرامة في ٢١ آذار ١٩٦٨ (الانتصارات التي حققتها والحملة التعبوية الواسعة التي تبعتها) تكريسا نهائيا لهذا الخط وبداية واضحة لسيادته المطلقة .

لقد ترك ذلك بصماته المعمقة على معنى الشخصية الفلسطينية التي أصبح الفدائي مكونها الرئيسي والاكثر وهجا . وزاد من تجذير هذا البعد الذي أصبح يميز الشخصية الفلسطينية ان العالم استقبل الفلسطينيين من خلال القتال ، فهم وحدهم الذين واصلوه ولفترة طويلة بعد هدوء الجبهات العربية . وكان تقديم الشعب الفلسطيني نفسه من خلال المقاومة ، ممارستها فعلا ومن خلال منظماتها ، يرسي أسس مقولة جديدة هي « الشعب ــ المقاومة » ، بحيث اصبحت المقاومة هي التعبير عن وجود الشعب والتجسيد المادي لهويته الوطنية . ولم تكن المقاومة هي التعبير الخارجي عن وجود الشعب الفلسطيني فقط وانما كانت كذلك تنحت نمطا من الوعي متميزا في الجسم الفلسطيني نفسه ، موضوعته الاساسية هي ان الحضور الفلسطيني ما كان له ان يتحقق لولا وجود المقاومة نفسها . وقد أنجزت المقاومة ومنظماتها هذا الهدف انجازا باهرا وتكرس في الوعي الفلسطيني ان الوجود الفلسطيني نفسه رهين بالمقاومة .

لقد تم كل ذلك ونما خارج اطار الكيانية الرسمية الممثلة في م ت ف . حتى قوات التحرير الشعبية التي شكلتها م ت ف من كادرات جيش التحرير الفلسطيني التابع لها فقد كانت في ممارساتها جزءا من « العالم الآخر » الذي لم يكن للكيانية الرسمية سيطرة عليه ، حتى انه يجوز القول ان قوات التحرير الشعبية نمت **على الرغم** من الكيانية الرسمية وليس **بانسجام** معها. ولقد خلق هذا الوضع الناشىء انفصاما في معنى الكيان الفلسطيني ، ففي جانب كان هناك الكيان من حيث هو التعبير الحقيقي عن وجود الشعب وعن وعيه على الحقائق الجديدة التي غرستها المقاومة واقتران هذا الوجود بالمقاومة نفسها ، وفي الجانب الآخر كان ثمة الكيان من حيث هو التعبير الرسمي عن هذا الوجود . اي ان الانفصام الذي حدث كان بين **الشرعية والرسمية** ، الشرعية

الضاربة بجذورها في الجسم الفلسطيني والضمير الجماهيري العربي والتي كانت بدأت تمس عصب العالم ، والرسمية التي تطفو على السطح وتكاد أن تجوف بفعل التحول عنها . وكان يمكن لهذا الانفصام ان استمر ان يحول م ت ف الى هيئة عربية عليا جديدة أو نسخة مكررة من حكومة عموم فلسطين . وقد كادت المنظمة ان تكونهما في السنة الاولى التي أعقبت حرب حزيران عندما أصبح تأثيرهـا هامشيا على صعيد فلسطيني وآخر عربي وصار تمثيلها للشعب الفلسطيني « مجاملة » وشكلا .

كانت البداية الاولى التي أنهت هذا الانفصام الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني التي انعقدت بين ١٠ و١٧ تموز ١٩٦٨ ، وهي دورة المجلس الاولى التي عقدت بعد حرب ١٩٦٧ ، والتي شاركت فيها منظمات المقاومة بصفاتها التنظيمية ، لاول مرة ، في اعمال المجلس . والامر الجدير بالملاحظة ان دوافع هذا الاشتراك لم تنطلق من البحث في مسألة الكيان وانما المدخل الاساسي كان هو ايجاد أرض مشتركة للقاء منظمات المقاومة او لما صار يعرف في الادبيات الفلسطينية بالوحـدة الوطنية بتعبير ، وبوحدة أداة الثورة بتعبير آخر . وقد أوضحت فتح هذا الامر في بيان فسرت فيه دخولها م ت ف . ففي هذا البيان تستعرض فتح ضرورة تحقيق « الوحدة الوطنية للشعب العربي الفلسطيني » كما تستعرض المحاولات الناجحة والفاشلة التي تمت في هذا الصدد وتنتقل الى تجربة المجلس الوطني فتقول « كان أمامنا سبيلان لا ثالث لهما ، الاول : ان تعتبر م ت ف واحدة من التنظيمات القائمة ونطرح على اخوتنا في الطلائع وفي الجبهة الشعبية ان تقوم بيننا وبينهم وبين منظمة التحرير جبهة وطنية على اساس من التكافؤ والمساواة ضمن برنامج عمل وطني محدد ، والثاني : أن تعتبر منظمة التحرير اطارا يجمع في داخله كافة التنظيمات الفلسطينية العاملـة ... وكنا على استعداد ان نرضى بالسبيل الاول ونقدم له جهودنا ، ولكن القائمين على أمر المنظمة رفضوا أن تكون المنظمة تنظيما وتمسكوا بالميثاق الوطني الذي ينص على انها جبهة وطنية للجميع ، وبناء عليه قررت الحركة ايمانا منهـا بأن الوحدة الوطنيـة مطلب جماهيري ، قررت الاستجابة لنداء اللجنة التنفيذية والدخول الـى المجلس الوطني باعتباره أرضا مشتركة » . كما جاء في بيان سياسي أصدرته فتح حول م ت ف في ١٩٦٩/٢/٥ .

وعلى الرغم من هذا المدخل الذي عالجت به منظمات المقاومة علاقتها بـ م ت ف ، فان النتائج التي ترتبت على اشتراك المقاومة في المجلس الوطني ثـم تسلمها قيادة م ت ف ، قد تجاوزت بآفاقها السياسية وبتطبيقاتها العملية ، المسألة المحددة : لقاء المنظمات على أرض مشتركة لتشكيل جبهة وطنية . فالتطور الاساسي الذي حدث هو أن « الشرعية » و« الرسمية » تطابقتا لتعطي الكيان (الكيان ــ المنظمة) مفهوما جذرانيا جديدا اكتسبت فيه « الرسمية » شرعيتها ليس من خلال الاعتراف بهـا من خارج ، وانما من استنادها الى أنها تمثل حقيقة الشخصية الفلسطينية التي لم تعد مجرد رمز أو عنوان وانما هي واقع نضالي محسوس يعبر عن الوجود الفلسطيني وتطلعاته . وقد انعكس هذا الامر على الوضع البنيوي للكيان الذي أصبحت فيـه المنظمات والاتحادات هي الكتلة الاعظم في أجهزته التشريعية والتنفيذية ، باعتبارها هي الاطر النضالية للشعب الفلسطيني.وهذا الوضع البنيوي الجديد ان حافظ على موضوعته الاساسية بأن يكون الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين فيه وتمسك بها ، فان هذه العضوية الطبيعية اصبحت أكثر قدرة على التعبير عن ذاتها من خلال قوى الشعب المنظمة المشاركة في تحمل مسؤوليات الكيان ، وفي المقابل أصبح الكيان متمكنا

من أقنية هي هذه القوى نفسها يقيم بها اتصالا مباشرا وملموسا مع أعضائه الطبيعيين .

ولتكريس هذا الواقع الذي نشأ عدل الميثاق القومي الفلسطيني في هذه الدورة الرابعة (أصبح اسمه الميثاق الوطني الفلسطيني) لتتناسب موضوعاته مع المفهوم الجديد للكيان — المنظمة التي أصبح « يقع على عاتقها [كما نصت على ذلك مقررات المجلس نفسه] رعاية شؤون الفلسطينيين في مختلف أماكن اقامتهم ، وتعمل على تأمين حرية العمل الوطني لجميع الفلسطينيين باعتبار ذلك حقا طبيعيا وواجبا قوميا ، وتدافع عن الحريات السياسيه لابناء فلسطين في كفاحهم الوطني من أجل تحرير بلادهم، وتكون الجهة المسؤولة عن بيان الوضع الوطني الفلسطيني للافراد والجماعات وتتولى معالجة قضايا السفر والاقامة والعمل للفلسطينيين » . وبذلك تشمل مسؤولياتها ليس الامور النضالية للفلسطينيين بل كذلك الامور الحياتية ، الامر الذي يعزز القاعدة الرئيسية التي انطلقت منها المنظمة بأنها كيان الفلسطينيين .

وكان لا بد للاجراءات التي اتخذت من فترة انتقالية بعد المجلس الرابع ، انتهت لدى انعقاد الدورة الخامسة (١ — ٤ شباط ١٩٦٩) حيث انتخبت قيادة جديدة للمنظمة في رئاسة الاخ ياسر عرفات ووضعت الاجراءات موضع التنفيذ .

الكيان في مواجهة التحديات

١ — قبل حرب تشرين الاول : ان أبرز ما يترتب على مفهوم الكيان أمور نابعة من معنى الكيانية نفسها تتعلق بمسألة تمثيل الشعب وتحديد حقوقه ومصالحه . وأكثر ما تثار هذه المسألة عند المنعطفات التاريخية ، أو توقعها ، عندما تصبح القضايا مصيرية على وشك الحسم والتقرير النهائي . وفي الفترة التي أعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ حتى اعلان مشروع روجرز في صيف ١٩٧٠ لم يكن هناك ما يشير الى ان المنطقة ، وبالتالي القضية الفلسطينية ، مقدمة على تحول جذري يتطلب تغيرا في المواقف تثار فيها مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني باعتبار ان هذه المسألة مرتبطة ارتباطا وطيدا بأي حل قد يفرض على القضية . ومن هنا ظلت هذه المسألة في هذه الفترة بعيدة عن متناول البحث ، حتى في ادبيات المقاومة ، وان كانت تتعمق في الواقع العملي بشكل ملحوظ . فالمقاومة التي نمت نموا كبيرا جذرت علائقها بالجماهير الفلسطينية واصبحت هي المعبرة عن طموحاتها والقادرة على قيادتها وتحديد حقوقها ومصالحها وفي النهاية تمثيلها والتحدث باسمها . وفي المقابل كانت الانجازات التي حققتها المقاومة بمنطلقاتها الفلسطينية تجذر الاحساس بالكيانية الفلسطينية بمعنى وعي الذات الوطنية المستقلة .

وفي الاردن كان هذا النماء الفلسطيني خارجا عن كوابح النظام الذي حاول افتعال اكثر من ازمة لصده (قبل معركة الكرامة في العام ١٩٦٨ وفي تشرين الثاني ١٩٦٨) وكان مصيرها الفشل .واذا كان النظام لم يقدم في تلك الفترة على مغامرة كبيرة لوأد هذا النمو الفلسطيني او الحد من تأثيره وحصره ، فذلك يعود الى انه لم يكن ثمة من حل مطروح على النظام نفسه او في المنطقة بأسرها يمكن ان يكون الوجود الفلسطيني عقبة في سبيل تنفيذه . غير أن الصورة تغيرت بعد اعلان مشروع روجرز ، فهنا حل يلوح به ويجب ان يكون بعيدا عن ارادة الشعب الفلسطيني وعلى حسابه . وبجانب ذلك فان هذه الارادة يمكن في حال استمرارها في الوجود ان تعطل الحل كليا او جزئيا . لذلك فان سحق هذه الارادة هو التمهيد الضروري لتمرير الحل . أدركت حركة المقاومة النتائج المترتبة على المشروع فقاومته وشددت حملتها بالنسبة لتمثيل

الشعب الفلسطيني وتأكيد حقها في هذا التمثيل من منطلق ان هذا الحق يعطيها حقا مماثلا في الدفاع عن قضيته وتقرير مصيرها . وهكذا فقد أعلنت الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني التي عقدت في عمان في آب ١٩٧٠ « ان حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ممثلة في المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة المركزية لـ م.ت.ف... هي الممثل الوحيد لشعب فلسطين استنادا الى حقها الطبيعي في كونها الثورة المعبرة عن أماني شعبنا وتطلعاته الاصيلة في تحرير كامل تراب الوطن »(٧٣).

غير ان الخطة المعدة كانت تستهدف انهاء هذا الذي أعلنه المجلس الوطني توطئة لتمرير الحل . وكانت مجزرة أيلول والاحداث المتلاحقة التي أعقبت وانتهت بمجازر الاحراج في عجلون في تموز ١٩٧١ . وكان الناظم الذي يشدها جميعا بسبب واحد هو الانفراد بالحل في ظل الغياب الفلسطيني سواء اكان هذا الحل عن طريق ما لوح به روجرز أم كان ما أعلنه الملك حسين عن استعداده للبحث « في امكان الوصول الى اتفاق ثنائي مع اسرائيل اذا ما قدمت حكومتها اقتراحا واضحا لذلك »(٧٤). ولتأكيد قدرته على التصرف فهو يعلن « ان التنظيمات الفدائية شبه محدودة **ولا تمثل كل ابناء القضية** »(٧٥)، كما يعلن مجلس النواب الاردني ان « كل زعم وادعاء بتمثيل الشعب الفلسطيني انما هو مؤامرة تنطوي على قتل الوحدة الوطنية واثارة الانقسام والفرقة بين ابناء الوطن الواحد ، ويعلن باسم الشعب ان المملكة الاردنية الهاشمية بضفتيها تضم شعبا واحدا ضمن دولة واحدة يمثله جلالة الملك المعظم وسلطات الدولة الشرعية »(٧٦).

ناضلت حركة المقاومة في تثبيت حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني مستندة في ذلك الى اساسين ، فهذا الحق اولا « هو حقنا القومي المطلق المعترف به على المستوى الدولي ولا يشاركنا فيه أحد من غير أهلنا ، وهو ثانيا الحجر الذي نقيمه على ارادة العملاء بالتصرف بحقوق شعبنا وأرضه وقضيته »(٧٧). وقد وضع الملك نفسه على عتبة التصرف بجانب من القضية الفلسطينية عندما أعلن في آذار ١٩٧٢ مشروعه الرامي الى اقامة « مملكة عربية متحدة » من اقليمين اردني وفلسطيني وهو مشروع حاول به جني الثمار التي زرع بذورها عندما صفى الوجود الفلسطيني العلني في الاردن . وينقلنا هذا الموضوع مباشرة الى هوية « الضفة الغربية » والتحدي الكبير الذي واجهته حركة المقاومة بشأنها .

لقد احدثت المجازر التي ابتدأت في ايلول ١٩٧٠ والتعبئة التي رافقتها وتبعتها الموجهة ضد الفلسطينيين شرخا اقليميا في المجتمع الواحد داخل الاردن . وعلى الرغم من ان حركة المقاومة كانت تؤكد في نضالها السياسي على « وحدة الشعب الفلسطيني الاردني » وأدخلت نصا في برنامجها السياسي الذي أقره المجلس الثامن (٢/٢٨ الى ١٩٧١/٣/٥) اعلنت فيه « ان حرصنا على وحدة الجماهير الفلسطينية الاردنية ... يؤكد ايماننا بأن وحدة فلسطين وشرق الاردن وحدة قومية نحن مطالبون بحمايتها وتوثيقها ومحاربة كل المحاولات الرامية الى اضعافها وتفكيكها » ، على الرغم من ذلك ، فقد كان واضحا ان هذا الشرخ آخذ في الاتساع بحيث جرى استغلاله في « الضفة الغربية » من جانب بعض الرموز المتعاونة مع الاحتلال للترويج لفكرة اقامة دولة فلسطينية هناك خارجة عن ارادة الاردن من جهة ولكن من جهة أخرى بعيدة ايضا عن ارادة المقاومة . وقد وصف الاخ ابو عمار جانبا من هذه المحاولة في حديث له الى « المصور » القاهرية فقال « لقد جاء الى عمان عدد من شخصيات الضفة الغربية ، ليعرضوا علي الموافقة على عقد مؤتمر في الارض المحتلة يعلنون فيه فصل الضفة الغربية عن الاردن بعد الاحداث الاخيرة [أحداث ايلول] ، وبعد تصورهم ان

السلطة قد نجحت في الاجهاز علينا . وسألتهم أين يعقد هذا المؤتمر فأجابوا في الارض المحتلة . قلت أي بموافقة سلطات الاحتلال ؟ أجابوا نعم . قلت علينا ان نفكر ما هي مصلحة السلطات الاسرائيلية في عقد هذا المؤتمر والى أي حد يخدم مخططاتهم ولماذا يسمحون بعقده ... بلغوا أهالي الضفة الغربية انه اذا ارتفع رأس مطالب بالدولة المسخ فسنقطعه . فالقضية أكثر من ردود فعل آنية وحماس ينسينا معركتنا الرئيسية »(٧٨). وكان من أبرز المنظرين لهذه « الدولة » محمد ابو شلباية الذي دعا الى اقامة « دولة فلسطينية » بجانب « الدولة اليهودية » بقدسين عاصمتين للدولتين منفتحة أحدهما على الاخرى(٧٩). كذلك عزيز شحادة الذي يعتقد ان « على الاسرائيليين ان يساعدونا لنستعيد كياننا قبل اي شيء ... وعندها فقط نستطيع ان نفاوض من نشاء لاقامة فدرالية او كونفدرالية »(٨٠)، والدكتور حمدي التاجي الفاروقي الذي اقترح بأن « يعيد اليهود لنا بعض الاراضي كي نتمكن من العيش سوية في اطار اتحاد فدرالي او كونفدرالي يضمن عدم وجود حدود مغلقة بين الدولتين »(٨١).

هذه الاتجاهات الانحرافية في مسألة الكيان الفلسطيني شنت عليها حركة المقاومة حملة عنيفة ، وكان الاساس النظري لهذه الحملة ان اي « دولة » تقوم في تلك المرحلة سيكون ثمنها الاعتراف باسرائيل والتنازل عن الحق الفلسطيني في كامل التراب الوطني. ومن منطلق مختلف تماما قام الاردن بحملة كذلك على « الدولة الفلسطينية » . ففي خطاب العرش الذي القاه الملك امام مجلس الامة قال « ما مشروع الدويلة الفلسطينية التي يروج لها أعداء الامة العربية حينا بعد حين الا مؤامرة على وحدتنا في الاردن وضربا لمعنى الوحدة المقدسة في وجدان كل عربي »(٨٢). غير ان هذه الدعوات التي كانت تظهر في « الضفة الغربية » كانت تضع امام النظام الاردني حقيقة ان الامر على وشك ان يفلت من يديه هناك ، خاصة وان بعض من دعوا الى « الدولة الفلسطينية » كانوا ممن تعاونوا مع النظام الاردني قبل حرب ١٩٦٧ . وبذلك يمكن فهم مشروع « المملكة العربية المتحدة » بأنه محاولة للسيطرة على الوضع من جانب النظام الاردني وتجييره لحسابه في ظل حل ثنائي بينه وبين اسرائيل .

كان موقف المقاومة من هذا المشروع حاسما فقد أعلنت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. اثر اجتماع عقدته في بيروت « رفضها الحاسم والنهائي للمشروع » ودعت اللجنة في بيانها «جماهير الامة العربية وطلائعها الثورية وقواها الوطنية والقومية والديموقراطية الى التحرك السريع الفوري لافشال المشروع التصفوي الهاشمي »(٨٣). وقد انعكس هذا الموقف جماهيريا ورسميا على الصعيد الفلسطيني والعربي مما سبب موانع حقيقية امام تنفيذه .

أمام هذا التحدي الذي ووجهت به المقاومة بالنسبة لهوية « الضفة الغربية » كان مطلوبا من المقاومة ان تحدد طبيعة العلاقة بين الضفتين من جهة وبين الشعبين الاردني والفلسطيني من جهة اخرى . وقد حدد المؤتمر الشعبي الذي دعت اليه م.ت.ف. وعقد في القاهرة في نيسان ١٩٧٢ لبحث مشروع المملكة المتحدة « ان المهمات الراهنة للجماهير الفلسطينية والاردنية في الضفتين تتحدد على اساس اعادة تصحيح وحدة الضفتين التي مزقها النظام العميل وتجديدها ضمن نظام وطني ديموقراطي يقوم على الاتي : المساواة الاقليمية الكاملة في الحقوق والواجبات في اطار حكم ديموقراطي يوفر قاعدة آمنة رئيسية للثورة وحق الشعب الفلسطيني في حمل السلاح والتعبئة والالتفاف حول الثورة لمتابعة نضاله حتى تحرير كامل التراب الوطني »(٨٤). وقد كان البرنامج السياسي الذي اقره المجلس الوطني في دورته الحادية عشرة

(٦ — ١٩٧٣/١/١٢) وهي الجلسة الاخيرة التي عقدت قبل حرب تشرين الاول ، اكثر وضوحا وتحديدا في مجال علاقة الشعبين والضفتين اذ طالب بـ « اقامة حكم وطني ديموقراطي في الاردن يخلق المناخ الملائم لمواصلة النضال من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ويؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين الاردني والفلسطيني ويضمن تجديد وتصحيح وحدة الضفتين على اساس المساواة الوطنية الكاملة بين الشعبين بما يؤمن كامل الحقوق الوطنية والتارخية للشعب الفلسطيني والحقوق الوطنية الراهنة للشعبين ، ويؤمن التطور الوطني المشترك لهما اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ويعزز علاقات الاخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستوريا وقانونيا وثقافيا واقتصاديا ، وعن طريق وضع موارد اي من الشعبين بشريا واقتصاديا في خدمة نموهما المشترك »(٨٥).

٢ — **بعد حرب تشرين الاول** : قبل الحرب لم تحسم مسألة التمثيل الفلسطيني بين الاردن وم.ت.ف. على الرغم من الاعتراف الدولي العريض التي حصلت عليه المنظمة بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني وقد كان ابرز مؤشرات الاعتراف آنذاك قرارات مؤتمر قمة عدم الانحياز الرابع (ايلول ١٩٧٣ ، الجزائر) التي نصت على ان المؤتمر « يعترف بـ م.ت.ف. ممثلا شرعيا لنضال الشعب الفلسطيني » . غير ان حرب تشرين الاول حملت معطيات جديدة . فاختلال ميزان القوى النسبي في الحرب لغير مصلحة اسرائيل ولد قناعات بأن هناك تسوية قادمة لن تكون كليا في مصلحة اسرائيل كذلك التي ستجد نفسها مضطرة الى الانسحاب من بعض الاراضي العربية التي احتلتها في العام ١٩٦٧ بما في ذلك الارض الفلسطينية التي احتلت آنذاك « فاذا كان موقفنا غير فاعل ومؤثر في الاحداث فستظل تلك الاراضي خاضعة لاحتمالات اخرى سلبية تدفع كلها باتجاه استمرار القضاء على شعبنا ووجوده وكيانه »(٨٦)، بمعنى ان على الثورة الفلسطينية ان تستثمر نتائج حرب تشرين لمصلحتها في ان يكون من حقها تقرير مصير الاراضي الفلسطينية التي تجبر اسرائيل على الانسحاب منها . وللوصول الى ذلك كان على م.ت.ف. ان تواجه مسألة حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني وان تخوض من اجل ذلك صراعا طويلا مع النظام الاردني المستفيد الوحيد من سلب المنظمة هذا الحق . وقد كسبت م.ت.ف. جولة اولى في هذا الصراع في مؤتمر قمة الجزائر الذي قرر « الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفق ما تقرره م.ت.ف. بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني »(٨٧). وفي المجلس الوطني الفلسطيني ، دورته الثانية عشرة (١ — ٨ حزيران ١٩٧٤) ، اقر البرنامج السياسي المرحلي لـ م.ت.ف. الذي تنص مادته الثانية على ان « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح لتحرير الارض الفلسطينية واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الارض الفلسطينية التي تم تحريرها ، وهذا يستدعي احداث المزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا ونضاله » . وكانت هذه المادة منسجمة مع ما قررته قمة الجزائر من ان م.ت.ف. هي التي تقرر حقوق الشعب الفلسطيني . غير ان البيان الاردني — المصري المشترك الذي صدر عن محادثات الملك حسين والرئيس السادات في الاسكندرية (٧٤/٧/١٨) ناقض هذا الحق عندما اعلن الجانبان «انم.ت.ف. هي الممثل الشرعي للفلسطينيين باستثناء الفلسطينيين المقيمين في المملكة الاردنية الهاشمية ... كما اتفق الجانبان على ضرورة التوصل الى اتفاق فك الارتباط على الجبهة الاردنية كخطوة اولى نحو الحل السلمي العادل » . لقد وجه بيان الاسكندرية طعنة الى انجاز ضخم حققته حركة المقاومة بنضالها العسكري والسياسي

طوال السنوات الماضية تمثل في اثبات وحدة الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تجمعاته ، في الوطن وفي المهجر ، ووحدة حقوقه ومصالحه ، وبالتالي وحدة تمثيله . وقد جاءت هذه الطعنة من خلال تقسيم الشعب الفلسطيني قسمين (ربما شعبين) : من هم في المملكة الاردنية الهاشمية (بضفتيها) ومن هم خارجها ، وهذا هو أخطر ما في البيان ، لانها السابقة الاولى — تاريخيا — التي تصدر فيها وثيقة رسمية عربية تجزىء الشعب الفلسطيني وتجعله اثنين . بالاضافة الى ذلك فقد أعطى بيان الاسكندرية الدعم والتغطية لموقف النظام الاردني في تحركه السياسي الهادف الى اعادته سلطته (تحت راية فك الارتباط) على « الضفة الغربية » ، مما يفتح الباب واسعا أمام النظام للتصرف بقسط وافر من مستقبل القضية الفلسطينية .

كانت ردة الفعل الفلسطينية حاسمة وواضحة تجاه بيان الاسكندرية ، فقد أصدرت اللجنة التنفيذية بيانا قالت فيه « ان البيان المصري — الاردني ينقض حق شعبنا الفلسطيني في تقرير مصيره وسيادته الكاملة على أرض وطنه ويمس وحدة تمثيله . . . ان ما تضمنه البيان من محاولة لتجزئة الشعب الفلسطيني يخدم عمليا الحل الاميركي — الصهيوني — الهاشمي الذي يرمي الى حرمان شعبنا من حقوقه واقتسام وطنه وطمس شخصيته الوطنية المستقلة الواحدة وضرب ثورته ، وبالتالي تمرير مشروع المملكة العربية المتحدة التصفوي المشبوه » .

في الوقت الذي كان بيان الاسكندرية يشرك الاردن في تمثيل الشعب الفلسطيني وتقرير مصير جزء من ترابه الوطني كانت م.ت.ف. تحقق على الصعيد الدولي انجازا كبيرا في تلقيها الاعتراف من الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية بأنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في اثناء زيارة قام بها وفد من المنظمة برئاسة الاخ ابو عمار الى الاتحاد السوفياتي وبولنده والمانيه الديموقراطية في الفترة من ٣٠ تموز الى ٩ آب ١٩٧٤ . وفي الوقت نفسه ايضا اتخذ مجلس الجامعة العربية قرارا بـ « الموافقة على طلب ادراج قضية فلسطين بندا مستقلا في جدول اعمال الامم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين . . . [و] أن تعمل الوفود العربية لدى الأمم المتحدة على دعوة م.ت.ف. لعرض وجهة نظر الشعب الفلسطيني اثناء بحث القضية في الجمعية العامة للامم المتحدة » . بجانب هذه المتغيرات كان نضال م.ت.ف. السياسي منصبا على الغاء بيان الاسكندرية وابطال مفعوله والنتائج المترتبة عليه . وكل ذلك ، بالاضافة الى الموقف السورى ، جعل التراجع عن بيان الاسكندرية مسألة وقت . وفي ٢٠ و٢١ ايلول ١٩٧٤ عقد في القاهرة اجتماع ضم اسماعيل فهمى ، وزير خارجية مصر ، وعبد الحليم خدام ، وزير الخارجية السوري ، وفاروق القدومى ، رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. ، وصدر عن الاجتماع بيان ثلاثى أعلن « تأكيد اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة على الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها سياسيا وعسكريا ، الاستمرار في تقديم الدعم لـ م.ت.ف. بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى » . وفي ١٤ تشرين الأول صوتت ١٠٥ دول في الجمعية العامة للامم المتحدة الى جانب قرار يدعو « م.ت.ف. الممثلة للشعب الفلسطينى الى المشاركة في مناقشات الجمعية العمومية حول قضية فلسطين في الجلسات العامة » ، وبذلك تكرس حق المنظمة في تمثيل الشعب الفلسطيني .

غير ان النظام الاردنى قاتل معركته حتى الرمق الأخير . ففي مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى عقد في الرباط تمهيدا لمؤتمر القمة العربى حاول الوفد الأردني ان يمنع اتخاذ قرار لمصلحة المنظمة ، الا ان المؤتمر اتخذ قرارا (في ١٠/٢٥) نص على « ان أي ارض من فلسطين يتم تحريرها عن طريق ممارسة الصراع بأساليبه المختلفة تعود

لاصحابها الشعب الفلسطيني تحت قيادة م.ت.ف. مع التأكيد على حقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة على الارض التي يتم تحريرها » . وبذلك انهيت الوصاية الاردنية على ارض فلسطين الوسطى « الضفة الغربية » ، وقد أكد ذلك مؤتمر قمة الرباط (بين ٢٦ و٢٩ تشرين الاول ١٩٧٤) الذي قرر « تأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة م.ت.ف. بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على اية ارض فلسطينية يتم تحريرها » . ويلاحظ ان ثمة منعطفا تاريخيا في هذه القرارات في مسألة الكيان الفلسطيني بدأ رسميـا على الصعيـد الفلسطيني في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني ونقاطه العشر ، ويتمثل هـذا المنعطف في ارتباط معنى الكيان بهدف تمكين الشعب (كوحدة كيانية واحدة ذات قيادة) من السيادة على ارضه (أو جزء منها مرحليا) والتحكم بمصيرها . وان ادخال الارض — باعتبارها الاطار الاكثر صلابة في اظهار معنى الكيان — ضمن مقولات الكيان ، يجعل الكيانية الفلسطينية تأخذ ابعادا ذات تجسيدات مادية أرسخ وأوضح تعبيرا عن ذاتها . فمطابقة الشعب والارض — وان كانت لا تزال هدفا نضاليا — من خلال قرينة السيادة ، تجعل الكيان الفلسطيني واقعا ماديا محسوسا بعد أن كان تعبيرا عن وعي الشعب ذاته ، وعي وحدته القومية وشخصيته الوطنية المستقلة ، وعملا نضاليا من اجل تنميتها والمحافظة عليها .

وبتصويت الجمعية العمومية للامم المتحدة ١٩٧٤/١١/٢٢ على اعطاء م.ت.ف. وضع عضو مراقب انتهت مرحلة اساسية من النضال الفلسطيني كرس فيها وحـدة الشعب الفلسطيني ، ووحدة حقوقه ، ووحدة قضيته وبالتالي وحدة تمثيله ووضع على اعتاب مرحلة جديدة يبني فيها النضال الفلسطيني انجازات قادمة على أساس ما تقدم .

---

١ — نشرة « **الثار** » ، ١٩٥٤/٣/٢٥ .

٢ — **المصدر نفسه** ، ١٩٥٤/١٢/٢ .

٣ — انظر : **نشرة الثار — قراءة في مقومات الفكر المقاوم** ، مجلة **شؤون فلسطينية** ، (مركـز الابحاث ، العدد ٢١ ، ايار ١٩٧٣).

٤ — نشرة « **الثار** » ، ١٩٥٥/٧/٢٨ .

٥ — **المصدر نفسه** ، ١٩٥٥/٨/٨ .

٦ — جامعة الدول العربية، **قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين منـذ الدورة الاولى حتى الدورة الخمسين** (القاهرة ١٩٧٠) ص ٩ .

٧ — من حديث للرئيس جمال عبد الناصر ٢٥ نيسان ١٩٦٠ ، انظر : **فلسطين من اقوال الرئيس جمال عبد الناصر** ، (الدار القوميـة للطباعة والنشر ؟) ، ص ٨٢ .

٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٨ .

٩ — لمزيد من التفاصيل عن نوع التحرير ، انظر: الفلسطينيين في العراق، مجلة **شؤون فلسطينية** (العدد ١٣ ، ايلول ١٩٧٢) .

١٠ — جامعة الدول العربية ، **المصدر السابق** ، ص ص ١٦ — ١٨ .

١١ — مجلة « **فلسطيننا** » ، كانون الثاني ١٩٦١.

١٢ — **المصدر نفسه** ، العدد نفسه .

١٣ — **المصدر نفسه** .

١٤ — **المصدر نفسه** ، ايار ١٩٦١ .

١٥ — **المصدر نفسه** ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .

١٦ — **المصدر نفسه** ، آذار ١٩٦١ .

١٧ — **الجريدة الرسمية الاردنية** ، العدد ١٥٩٣، ١٩٦٢/١/٢٨ .

١٨ — **محاضر جلسات مجلس النواب** ، الجلسة العشرون من الدورة العادية الاولى ، ٢٧ شباط ١٩٦٢ ، ص ١٣٨٣ .

١٩ — غسان كنفاني ، **فلسطين ملحق المحرر** ، ١٩٦٥/١٢/٣٠ .

٢٠ ــ **المصدر نفسه** .
٢١ ــ صحيفة **البعث** السورية ، ٢٨/١٠/١٩٦٣.
٢٢ ــ الجامعة الاميركية في بيروت ، **الوثائق العربية للعام ١٩٦٣** ، ص ٦٨٨ ، نقلا عن صحيفة **الجماهير** ، ١١/٩/١٩٦٣ .
٢٣ ــ جامعة الدول العربية ، **المصدر المذكور** ، ص ٢١ .
٢٤ ــ **المصدر نفسه** .
٢٥ ــ أحمد الشقيري ، **من القمة الى الهزيمة**، (بيروت ١٩٧١) ، ص‌ص ٤٦ ــ ٥٠ .
٢٦ ــ Leila S. Kadi, *Arab Summit Conferences and the Palestine Problem,* P.L.O. Research Center 1966, p. 99.
٢٧ ــ وزارة الارشاد القومي في ج.ع.م. ، **ملف وثائق فلسطين** ، الجزء الثاني ، ص ١٣٧٣ .
٢٨ ــ أحمد الشقيري ، **المصدر المذكور**، ص٥٠.
٢٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص‌ص ٦١ ، ٦٢ .
٣٠ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤** ، ص ٩٢ .
٣١ ــ **البعث** السورية ، ٥/٣/١٩٦٤ .
٣٢ ــ من بيان لحركة القوميين العرب ١٤/٦/١٩٦٤ ، منشور في : الجامعة الاميركية في بيروت ، **الوثائق العربية للعام ١٩٦٤** ، ص ٢٩٥ .
٣٣ ــ أحمد الشقيري ، **المصدر المذكور** ، ص٦٢.
٣٤ ــ **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٤**، المصدر المذكور ، ص ٧٢ .
٣٥ ــ نقلا عن **النهار** البيروتية ، ٢٧/٥/١٩٦٤ .
٣٦ ــ **البعث** ، ٢٨/٥/١٩٦٤ .
٣٧ ــ الجامعة الاميركية في بيروت ، **الوقائع العربية (نيسان ــ حزيران ١٩٦٤)** ، ص٤٥٧.
٣٨ ــ **مقابلة خاصة مع احمد الشقيري** ، كيفون ، ١١/٥/١٩٧٢ .
٣٩ ــ Leila S. Kadi, *Op. Cit.*, p. 103.
٤٠ ــ **الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤** ، المصدر المذكور ، ص ٧٣ .
٤١ ــ غسان كنفاني ، **المحرر** ، ٦/٤/١٩٦٤ .
٤٢ ــ **مقابلة خاصة** ، المصدر المذكور .
٤٣ ــ **فلسطيننا** ، نيسان ١٩٦٤ .
٤٤ ــ **المحرر** ، ١٦/٣/١٩٦٤ .
٤٥ ــ صحيفة **الحياة** اللبنانية ، ١٩٢ ، ٢/٢/١٩٦٤.
٤٦ ــ أحمد الشقيري، **المصدر السابق**، ص ١٦.
٤٧ ــ مؤتمر صحافي عقده الشقيري في القاهرة في ٢٠/١/١٩٦٤ ، **الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤** ، ص‌ص ٧٠ ، ٧١ .
٤٨ ــ تصريح صحافي في بيروت ، **الحياة** ، ٢٨/٢/١٩٦٤ .
٤٩ ــ مجلة **الحوادث** اللبنانية ، ٨/٥/١٩٦٤ ، نشرت أسماء اعضاء اللجنة التحضيرية في لبنان، و**المحرر** ، ٩/٥/١٩٦٤ ، نشرت اسماء اعضاء اللجنة في سوريا ، و**المحرر** ١٦/٥/٦٤ نشرت أسماء اعضاء اللجنة في قطر والخليج العربي ، و**العرب** العراقية ، ١٧/٥/١٩٦٤ ، نشرت أسماء اعضاء اللجنة في العراق .
٥٠ ــ صحيفة **الجهاد** الاردنية ، ١٨/٦/١٩٦٤ .
٥١ ــ وزارة الارشاد القومي في ج.ع.م. ، **ملف وثائق فلسطين** ، الجزء الثاني ، ص ١٢٨٣ .
٥٢ ــ **فلسطين** ملحق **المحرر** ، ٦/٥/١٩٦٥ .
٥٣ ــ في المذكرة التي قدمتها فتح الى مؤتمر القمة الثالث المنعقد في الدار البيضاء في ايلول ١٩٦٥ ، تحدثت عن الموقف من المنظمة وقالت : « اننا دائما نعلن استعدادنا للتنسيق والتعاون مع أية **جهة فلسطينية** او عربية تعمل او تنوي العمل من أجل التحرير ... » أنظر : حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، **الكتاب السنوي ١٩٦٨** ، ص ١١٨ .
٥٤ ــ **المحرر** ، ٢٤/٥/١٩٦٥ .
٥٥ ــ **مقابلة خاصة مع أحمد الشقيري** ، المصدر المذكور .
٥٦ ــ مذكرة فتح الى مؤتمر القمة الثالث ، **المصدر المذكور** .
٥٧ ــ راجع عن مواقف الاتحادات: **تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية** ، شؤون فلسطينية ، العدد ١٥ ، تشرين الثاني ١٩٧٢ .
٥٨ ــ **الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤** ، المصدر المذكور ، ص ٨٧ .
٥٩ ــ **مقابلة خاصة مع السيد عبدالكريم الكرمي، ممثل المنظمة في مؤتمرات التضامن ومجلس السلم** ، دمشق ، آذار ١٩٧٢ .
٦٠ ــ كراس أصدرته م.ت.ف. عن : **المجلس**

الوطني الفلسطيني ، الدورة الثالثة .

٦١ — مركز الابحاث الفلسطيني ، **اليوميات الفلسطينية** ، المجلدان الرابع والخامس ، يوم ١٩٦٦/١١/١٥، نقلا عن **وكالة الانباء السورية**.

٦٢ — **المصدر نفسه** ، يوم ١٩٦٦/١١/٢٠ .

٦٣ — م.ت.ف. (مكتب قطر والخليج العربي) ، **نص خطاب الشقيري في ندوة فئات الشعب الفلسطيني في القاهرة** ، اواخر العام ١٩٦٥ .

٦٤ — م.ت.ف. ، **المؤتمر الفلسطيني الاول** ، (كراس) .

٦٥ — أعلن عن ذلك في مؤتمر صحافي عقده في عمان (١٩٦٥/٦/٢٠) ، **الجهاد**، ٦٥/٦/٢١ .

٦٦ — **الجهاد** ، ١٩٦٥/٧/٤ .

٦٧ — **المصدر نفسه** .

٦٨ — صحيفة **المنار الاردنية** ، ١٩٦٥/٧/٨ .

٦٩ — **المصدر نفسه** .

٧٠ — **المحرر** ، ١٩٦٥/٧/٦ .

٧١ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الوثائق العربية لعام ١٩٦٦** ، (بيروت ١٩٦٧) ص ٣٩٦.

٧٢ — من مذكرة ايضاحية قدمتها م.ت.ف. الى الحكومة الاردنية ، **المحرر** ، ١٩٦٦/٢/٢٣ .

٧٣ — صحيفة **فتح** ، ١٩٧٠/٨/٢٩ .

٧٤ — تصريح لصحيفة **لوي** الفرنسية ، أنظر مركز الابحاث **اليوميات الفلسطينية**، المجلد ١٤، يوم ١٩٧١/١١/٢٥ .

٧٥ — تصريح لصحيفة **الانباء** المغربية ، أنظر **المصدر نفسه** ، يوم ١٩٧١/٧/٤ .

٧٦ — **المصدر نفسه** ، يوم ١٩٧١/١٢/٨ .

٧٧ — تصريح لكمال عدوان ، **حصاد العاصفة** ، ١٩٧١/١١/٢٧ .

٧٨ — نقلته **المحرر** ، ١٩٧٠/١١/١٣ .

٧٩ — أنظر : محمد ابو شلباية ، **لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة** .

٨٠ — عزيز شحادة ، مقابلة في **عل همشمار** الاسرائيلية ، ١٩٧٦/٨/٥ .

٨١ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/٨/٣٠ .

٨٢ — **الدستور** الاردنية ، ١٩٧٠/١٢/١٣ .

٨٣ — مركز الابحاث ، **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد ١٥ ، يوم ١٩٧٢/٣/٧ .

٨٤ — من البيان الختامي للمؤتمر الشعبي الفلسطيني ، كراس اصدرته م.ت.ف. عن أعمال المؤتمر .

٨٥ — من **محفوظات مركز الابحاث** .

٨٦ — من تقرير اللجنة التنفيذية الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الثانية عشرة (حزيران ١٩٧٤) .

٨٧ — حسب نص **النهار** ، ١٩٧٣/١٢/٤ .

فلسطين الديموقراطية :
هدف ، وخطة ، وحتمية تاريخية

الدكتور محجوب عمر

تحل الذكرى العاشرة للانطلاقة المسلحة للثورة العربية الفلسطينية وقد بـرزت شعاراتها اكثر فأكثر ، ليس فقط على الساحة العربية وانما ايضا على الساحة العالمية . ولم يكن من قبيل الحلم ، او الصدفة ، او المزايدة ، او التلويح للمساومة او الخداع والمراوغة ، الى اخر تلك الدوافع غير الموضوعية ، لم يكن من قبيل كل ذلك ان تقدم الثورة الفلسطينية من فوق منبر الامم المتحدة(١)، حلها المقترح لمشكلة تواجد اليهود في فلسطين بعد تحريرها: الا وهو فلسطين ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديمقراطي واحد .

ان المكان الذي احتله شعار **فلسطين الديموقراطية** في الاشهر الاخيرة ، كان ثمرة نضال مسلح طويل ، ومواجهة شجاعة رائدة ، لمشكلة هي من أعقد المشاكل علـى الجانبين معا . فلولا الثورة المسلحة ، وتفاصيل نضالاتها اليومية ، لما كان من الممكن فهم ، فضلا عن تقبل شعار « فلسطين الديموقراطية » من جانب معظم القطاعـات الجماهيرية العربية التي عانت وتعاني من العنصرية الصهيونية ، والتي كان مـن المنطقي ازاء هذه المعاناة ، ان تندفع هي الاخرى الى عنصرية مشابهة مناقضة . ولولا هذه الثورة أيضا ، وممارساتها المنفتحة على كل القوى الثورية في العالم ، بل وبين اليهود انفسهم ، لما أمكن ، كما لا يمكن في المستقبل ، طرح الحـل الديموقراطـي الفلسطيني لجانب من « المشكلة اليهودية » موجود في بلادنا ، وبالشكل الذي جعل قطاعات متزايدة من يهود الكيان الفلسطيني نفسه ، يتقبلون مبدئيا ، الدخول في حوار حول هذا « الحل المنشود » .

ومن قبل عام واحد ، بدا للكثيرين في أعقاب حرب اكتوبر / تشرين ١٩٧٣ ، ان مكان « فلسطين الديموقراطية » قد اخلي ، لتحل محله الحلول الجزئية او المرحلية . ولكن أحداث الشهور الاخيرة ، اثبتت انه لا يمكن العزل بـين « الموصوف » ومصـدر « الصفة » ، بين الفلسطينيين وفلسطين . وانه عندما اضطرت نظم العالم الـى التعامل مع « الفلسطينيين » بعد أن فرضوا وجودهم وشخصيتهم بقوة السلاح ، فان على هذه النظم باختلافها ان تحدد موقفها أيضا من « فلسطين » .

ومن حيث اراد « التسوويون » محاصرة النضال الفلسطيني في أعقاب حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣ ، برزت « قضية فلسطين » كما لم تبرز من قبل طـوال السنوات الماضية . وثبت ان سنوات النضال لم ، ولا يمكن ان تذهب هدرا . وبات واضحا للجميع « محورية » قضية فلسطين في النضال القومي العربي كله ، بل وبالنسبة لنضال قوى التحرير الوطني العالمية كلها . فمنذ عام قال كيسنجر : ان الصراع انتقل

من صراع محلي بين اسرائيل والفلسطينيين ، الى صراع منطقة الى صراع دولي ، وان مهمته هي اعادة هذا الصراع الى حجمه المحلي ثانية .

ولقد سعى كيسنجر طوال هذا العام الى تحقيق اتفاقيات فك الارتباط على الجبهات غير الفلسطينية ، آملا ان يؤدي ذلك الى حصار الثورة الفلسطينية ، او على حد تعبيره الى اعادة الصراع على حجمه « المحلي » ثانية .

ولكن النتائج كانت على عكس ما يتوهم الكثيرون ، واولهم كيسنجر نفسه . فعلى أثر هدوء الجبهات ، برزت الجبهة الفلسطينية مرة اخرى ، وهي جبهة منتشرة انتشار الارض والشعب الفلسطيني ، برزت باعتبارها اكثر نقاط الصدام مع الاستعمار حدة وتأثيرا سواء على المستوى المحلي او المستوى الدولي . يقول ناحوم يارينج معلق جريدة دافار في ١٠/٢٠ : « انقلبت منظمة التحرير الفلسطينية من عامل عربي داخلي الى عامل دولي معترف به » (ن. م. د. ف. ، ٧٤/١١/١) . كما تحطمت زيارة كيسنجر الاخيرة للمنطقة على صخرة الموقف من منظمة التحرير الفلسطينية والذي تقرر في مؤتمر الرباط . ثم جاء خطاب الاخ ابو عمار امام الامم المتحدة ، لينهي مرحلة طالت ، سمي الصدام فيها بالصراع العربي الاسرائيلي ، او مشكلة الشرق الاوسط ، وليبدأ مرحلة طال انتظارها تكون فيها قضية فلسطين هي محور كافة النشاطات العسكرية منها وغير العسكرية .

ومن الان فصاعدا ، ستكون عبارة « فلسطين الديموقراطية » ، الهدف الذي يسعى الثوار لتجسيده ، ويسعى اعداء الثورة لتقويضه . ستكون محور الصراع بالافكار والبرامج والاقلام والبنادق .

فلسطين الديموقراطية : هدف وخطة وحتمية تاريخية :

اعلنت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في العام ١٩٦٨ ، وللمرة الاولى بصفة رسمية برنامجا سياسيا يحدد بوضوح الهدف النهائي لكفاحها التحريري . وجاء في الاعلان المذكور ما يلي : « نحن نقاتل اليوم في سبيل اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديموقراطي تقدمي ويمارسون عباداتهم واعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية»(٢) .

ومنذ ذلك التاريخ تناول الكثيرون ، من مواقع مختلفة ، هذا الشعار بالبحث والتفسير ، وبالمعارضة والتخطئة ، وشارك في النقاش ايضا مع تصاعد النضال المسلح ، قوى سياسية داخل الكيان الصهيوني تراوح موقفها من الرفض الى القبول الشكلي ، الى التبني الكامل .

والحل المطروح ، وان يكن جديدا في صياغته ، الا انه ليس جديدا في جوهره . فلم يحدث منذ بداية المشكلة الفلسطينية أن وافق العرب على اي حل يقضي بالتسليم بأي بقعة ارض عربية للمستوطنين الصهاينة . لقد رفض العرب التقسيم وما يزالون . بل لقد سبق للفلسطينيين ان تقدموا من لجنة بيل عام ١٩٣٧ ، باقتراح يقضي بانشاء دولة تعيش فيها الطوائف جميعا على قدم المساواة . كما أن التاريخ القديم والمعاصر يخبرنا انه على أرض فلسطين عاشت وتعايشت طوائف مختلفة في سلام وتفاعل .

كل الذين قاوموا ، وعارضوا قيام الكيان الصهيوني ، لم يسلموا ولا للحظة واحدة ، في **فلسطين** ، ارضا ، واسما ، وصفة ، وهدفا للتحرير .

الجديد الذي طرحته « فتح » هو في كلمة « الديموقراطية » . وهي تطرح ليس فقط « صفة » للدولة المستهدف اقامتها بعد التحرير الكامل لفلسطين ، ولا حتى منهاجا للعلاقات القانونية الدستورية فيها ، وانما أيضا ، قاعدة للعلاقات الاجتماعية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية بين سكان هذه الدولة ، فان شئنا الدقة فانها قانون ذلك المجتمع التقدمي الذي يتمتع فيه الجميع « بحقوق متساوية » .

كان معنى تحديد «فتح» لهذا **الهدف** ، انها كحركة ثورية ، تحترم الواقع ولا تتغافل عن عوامله ، ان وجود **ثلاثة ملايين يهودي** على ارض فلسطين هو بلا شك ابشع انواع الاحتلال الاغتصابي في التاريخ ، ولكن الزعم بامكان القاء ثلاثة ملايين من البشر في البحر ، هو أيضا من قبيل التسليم بوجودهم كما هم في نهاية الامر عندما يعجز المنادون بذلك عن تنفيذه . ان الثوار لا يلقون احداً في البحر ، ولكنهم يقاتلون من أجل تحرير اوطانهم ، وعندما يكون المحتلون « قوم » « هجروا » اوطانهم الاصلية ، ولم يعد لهم من الناحية الرسمية اوطان « يعودون » اليها كما كان الحال مع مستوطني الجزائر مثلا ، فان وجود هؤلاء يفرض على الثوار ضرورة طرح حلول تتفق ليس فقط مع انسانيتهم وانما أيضا مع منطق الحركة التاريخية .

هناك « مشكلة يهودية » في المجتمعات الراسمالية الصناعية المتقدمة ، وهي مشكلة لها جذور تاريخية ، قديمة ، والحل الوحيد لهذه المشكلة في تلك المجتمعات هو بلا شك **« التمثل »** اي « الذوبان » داخل كل مجتمع **(واكتمال ذلك مرهون بالقضاء على الاستغلال داخل هذه المجتمعات)** ، وقد بدأ من الممكن ان يؤدي التطور الراسمالي العفوي الى هذه النتيجة ، وذلك يحدث جزئيا حتى الان ، الا ان الاحتكارات العالمية، « استخدمت » هذه « المسألة اليهودية » لتحقيق اهدافهـا الاستعمارية في الوطن العربي ، وبذلك نقلوا هذه الملايين الى فلسطين ، وخلقوا بذلك مشكلة يهودية في « فلسطين » ، وعطلوا حل « المشكلة اليهودية » في بلادهم في نفس الوقت اذ خلقوا مشكلة الولاء المزدوج ليهود تلك البلاد .

ويمكننا القول بتبسيط جائز ، اننا امام مشكلة ذات وجهين .. الاول هو فلسطين المحتلة التي يجب تحريرها ، والثاني هو « جيش الاحتلال » ، المقدر عدده بثلاثة ملايين يهودي تقريبا ، والذي ليس امام افراده شاطيء ينسحبون اليه كجماعة موحدة .. كما حدث في الجزائر مثلا .

ولا شك اننا سنستعيد كل فلسطين ، سنحرر كل فلسطين ، اما بالنسبة للمحتلين الغاصبين ، فقد يرحل بعضهم الى حيث يمكن ان يستثمر كفاءته وقدراته كما يشاء ، كجزء من هجرة الادمغة التي تجري الان في عالمنا . وقد بدأ ذلك فعـلا في الكيان الصهيوني . وتشير الصحف الاسرائيلية الى ظاهرتي التساقط اي عدم الوصول الى « اسرائيل » بعد الهجرة من البلد الاصلي ، والنزوح اي الهجرة من « اسرائيل » بعد الوصول اليها ، باعتبارهما في ازدياد مستمر . وطبقا لدراسات الصهاينة انفسهم فان اكثر من الفين **« متساقط »** موجودون الان ببلاد متعددة في اوروبا ، وبعضهم نجح في الوصول الى الولايات المتحدة . كما تشير نفس الدراسات الى ان اتجاه النزوح بين الشباب هي : الى الولايات المتحدة ١ر٢٢٪ ، كندا ٢ر١٨٪ ، استراليا وجنوب افريقيا ١ر٩٪ ، فرنسا ١ر٩٪ ، وسط اوروبا (الراسمالي) ٧ر١١٪ ، الدول الاسكندنافية ٩ر٣٪ ، والمانيا ٦ر٢٪ ، والى امريكا اللاتينية ٩ر٣٪ (٤).

وقد يرحل البعض ، اذ لا تتحمل عنصريته الصهيونية البقاء مع عرب امثالنا . ولا شك ان كثيرين سيفضلون العودة الى بلادهم العربية ، بعد أن خدعتهم الدعايات

والمؤامرات الصهيونية فاخرجتهم منها . وقد بدأ ذلك أيضا ، كما تزايد الاتجاه نحوه ، وتشير الدراسة السابقة الى أن ٦ر٢٪ من « العينة » التي جرى عليها الفحص يريدون النزوح الى بلاد اسلامية كالمغرب وتركيا . ولا شك انه مع تزايد القمع العنصري في الكيان الصهيوني ، والتقدم الاجتماعي في البلاد العربية ستزداد هذه النسبة .

ولكن كل تلك الاحتمالات لا تجعل الثوار يغيرون من منهاجهم ، انهم عندما يتناولون قضية فان « الحل » المفترض اقتراحه يجب ان يكون حلا يتفق وجوهر المشكلة (حل ديموقراطي في مواجهة عدوان عنصري) **والا يتوقف على « الاعداد » كبرت او صغرت** (ان قاعدة الديموقراطية في العلاقات الاجتماعية لن تسري فقط على المسلمين والمسيحيين واليهود ، وانما على كل الطوائف الاخرى التي تعيش في فلسطين وبعضها لا يزيد عدده عن عدة آلاف) . ان الحل الذي يقدمه الثوار هو على الدوام حل شامل من رؤية شاملة ، ليس حلا جزئيا من اعتبارات عددية . ذلك ما جعل « فتح » تؤكد أنها لا تميز بين يهودي ويهودي على الارض المحتلة ، لا الان ولا عند النصر والتحرير ، لا بتاريخ الميلاد ، ولا بالبلد الاصلي ، الا بقدر وعلى أساس ما يتخذ هذا او ذاك من الافراد او الجماعات داخل الارض المحتلة ، من مواقف ضد الصهيونية ومع الثورة الفلسطينية .

واذ تقرر « فتح » ان الارض (أي أرض فلسطين) هي للسواعد المخلصة التي تحررها بالسلاح ، فانها بذلك لا تقسم غنيمة بعد حرب ، وانما تضع قانونا لعلاقات البشر بعد التحرير(٥)، ومن ثم للتمييز بينهم بمقياس لا عنصري ولا طائفي . ولا يمكن أن يكون هناك مقياس اكثر ديموقراطية وعدلا من هذا المقياس . من كل حسب قدرته، ولكل حسب عمله ، اي من كل حسب قدرته ، ولكل حسب موقفه الفعلي ضد الصهيونية ومؤسساتها . ولا تفريق ولا تمييز الا على هذا الاساس بغض النظر عن الجنس او اللون او الدين او العرق .

ان الثوريين اليهود في الوطن المحتل ، يدركون حقيقة وأهمية هذا المقياس ، فلنقرأ ما قاله الرفيق أهود أديف ـ أحد زعماء الجبهة الحمراء اثناء المحاكمة في حيفا منذ عامين تقريبا(٦): « وهذا يمكن عمله (اي تحويل النضال من عرب ضد يهود الى مضطهدين ضد مضطهدين اي للنضال ضد دولة اسرائيل) بأن يقوم يهود ويثبتون للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين بأنهم (أي اليهود) يقفون الى جانبهم ومستعدون ان يضحوا بكل ما لديهم وان يتعرضوا للمعاملة ذاتها وان يقتسموا واياهم الامور دون اي تمييز او افضلية لكونهم يهودا . **وبدون ذلك لن يثق اي عربي بصدق ثورية أكثر ثوري يهودي استقامة** » (التوكيد بالحرف الاسود من عندنا) .

لهذا أيضا ترفض « فتح » الافكار التي تقول بأن مثل هذه الدولة الديموقراطية يمكن أن تكون اطارا يجمع « الاسرائيليين » و« العرب الفلسطينيين » . فليس الامر في النهاية أمر تسوية بين ما يسمى « بحقيقتين » !! تاريخيتين ، ولا هي صفقة بين « الاسرائيليين » و« العرب الفلسطينيين » ، وانما هو تناقض تاريخي أساسي لا حل له الا **بتلاشي احد طرفيه** . ولما كان من المستحيل تاريخيا ان يتلاشى الشعب العربي الفلسطيني أو أرض فلسطين نفسها ، فان الذي سيعود ليحتل المكان عبر الحركة التاريخية ستكون هي « فلسطين » وشعبها، ومن عليها سيكونون هم «الفلسطينيون» سواء كانوا مسلمين او مسيحيين او يهود او من اي ملة أو طائفة . . لا بد ان يتلاشى ذلك الكيان الصهيوني ، وهو عندما ينهار ، سيترك خلفه « المستوطنين » الذين سيكونون عندئذ اسرائيليين سابقين !! ليس امامهم الا ان « يتمثلوا » ليصبحوا

مواطنين في فلسطين الجديدة لا يتدخل احد في عقيدتهم كيهود ولا يميزهم على هـذا الاساس ، وانما على الاساس الذي ذكرناه الا وهو قدر موقف كل منهم من معارضة الصهيونية أي من « الاسرائيليه » ، وتأييد الثورة التحررية العربية أي «الفلسطينية» .

فلسطين ستعود ، تلك حتمية تاريخية ، ولكي تكون « ديموقراطية » ، وهي لا يمكن أن تكون الا كذلك على المدى التاريخي ، لا بد من الثورة الشعبية المسلحة ، والتي لا بد ان يشارك فيها مناضلون من اليهود انفسهم ، الذين هم اليوم على ارضها مغتصبين . من هنا فان « الديموقراطية » **هدف ، وخطة في نفس الوقت** .

لقد اختار الثوار الفلسطينيون « الديموقراطية » لفلسطين حلا وهدفا يناضلون لتحقيقه ، ومن المؤكد أن هذا الاختيار هو رد الفعل الثوري الانساني على «العنصرية» التي اتصفت بها الهجمة الاستعمارية التي احتلت فلسطين واغتصبتها ، كان منطقيا (عفويا) ، ان تؤدي الهجمة العنصرية الى نقيض عنصري ، ولكن ذلك لم يكن ليؤد الى **تحرير فلسطين**. بل الاغلب انه كان سيعمق من مشكلة الوجود العنصري الاستعماري نفسه (ولقد ادرك الصهاينة هذه الحقيقة فسعوا على الدوام الى تصوير المقـاومة العربية ، باعتبارها موقفا عنصريا لاساميا ، وذلك بهدف المحافظة على عنصريتهم هم) . لذا فان هذا الاختيار الثوري الانساني ، يفرض على الثـوار **طريقـا محددا للتحرير** ، أي خطة محددة للقتال من أجل استعادة الارض المغتصبة وعودة الشعب المشرد ، وفي نفس الوقت مواجهة « مشكلة يهودية » من نوع خاص ، مصدرة الى بلادنا من البلاد الاستعمارية ، ومحاصرة تاريخيا .

ان استعادة الارض وعودة الشعب ، لا يتطلبان اكثر من تحقيق تفوق عسكري يمكن العرب من تحطيم القوة الرئيسية للعدو ، بحيث يجبر على التسليم . ولكن استيعاب وحل « المشكلة اليهودية » التي ستتخلف عن هذه الحقبة من القتال ، يحتم أن يدور هذا القتال بخطة واسلوب حرب الشعب طويلة الامد ، اي أن يكون قتالا جماهيريا . بحيث تتخلص الجماهير المقاتلة من كل ردود الفعل العنصرية ، والمرارة والشـك والثأرية ، وذلك عندما تدرك بتجربتها الذاتية ، عقم طريق التعصب ، وخصب الطريق الثورية الانسانية ، وعندما تسقط خلال طريقها الطويل كل القوى الرجعية والمتعصبة التي سبق وان اضاعت فلسطين ، بل وتآمرت عليهـا مع المستعمرين والصهاينة .

ستدرك الجماهير العربية المفعمة القلوب بالمرارة ، ستدرك خلال القتـال ، اذ يرافقها سلاحها وقتالها وتضحياتها جماعات من اليهود انفسهم ، ان عدوهـا هو الاستعمار والصهيونية وليسوا هم جماهير اليهود المضللين والمضطهدين في بلادهم الاصلية . كما ستدرك اعداد متزايدة من اليهود المستوطنين أنفسهم ، ان الهروب من اضطهاد عنصري لا يكون باللجوء الى عنصرية اشد وافظع هـي عنصرية الصهاينة انفسهم ضد **فقراء اليهود وشرقييهم** بعد طرد العرب الفلسطينيين .

ان خلق الانسان الفلسطيني الجديد ، يتطلب قتالاجماهيريا طويل الامد ، تتراكم فيه الصفات الثورية المكتسبة من خلال هذا النضال ومعاناة الاجيال ، وسواء كـان هذا الانسان الفلسطيني الجديد ، مسلما او مسيحيا ، او يهوديا ، أو من اي طائفة كانت، فانه سيكون بلا شك « عربيا » سواء **بالاصل** او « بالتمثل » . أي ان هذا القتـال الجماهيري الطويل لا بد سيؤدي الى ما كان يجب ان يؤدي اليه تطور المجتمعات التي هرب منها اليهود وهجروها الى فلسطين .

ان حل المشكلة اليهودية لا يكون بالهرب من مجتمعات تحمل في باطنها (عنصرية) هي انعكاس لعلاقاتها الاجتماعية وتسير حتما نحو التحرر منها ، كما تسير نحو التحرر

الاجتماعي ، الى **تجمع** صهيوني هو بؤرة العنصرية وليس له من مستقبل الا مزيدا من التفرقة والتمايز العنصري .

ان « التمثل » هو حل « المسألة اليهودية » ، والتمثل يعني التوحد القومي مع بقية الجماعة البشرية التي تعيش على نفس الارض وتساهم في عملية الانتاج الانساني فوقها .

لذا فان الجماعات اليهودية التي هربت من « التمثل » في مجتمعاتها الاصلية ، ليس امامها الا نفس الطريق على أرض فلسطين . ولا شك ان القتال الجماهيري الطويل الامد ، اي حرب الشعب ، سيكون مساعدا للكثيرين منهم على ان يتبينوا الوجه البشع للصهيونية التي ضللتهم ثم جعلتهم وقودا لحرب استعمارية تشنها على الشعوب العربية . كما انه سيكون مساندا لجماهيرنا في نفس الوقت على ان تتآخى معهم في ظل البنادق . **ان « التمثل » في فلسطين يمكن فقط في ظل وحدة البنادق والنضال ضد الصهيونية** التي هي بلا شك قمة القمع الاستعماري الاحتكاري في العالم ، ومن ثم قاع التمييز العنصري الفاشي فيه .

من هنا كانت « ديموقراطية فلسطين » خطة قتال وتحرير ، وليست حلا وهدفا فقط . فلئن كانت الرؤية التاريخية تبين ان تحرير الارض واستعادتها ، لا يمكن ان يتحقق لاسباب عسكرية ، وسياسية ، الا بحرب شعبية طويلة الامد ، تتفوق فيها الجماهير على عدوها الاستعماري المدجج بأحدث الاسلحة ، والمتفوق تكنولوجيا وحضاريا ، فانه من المؤكد انه **لا سبيل** على الاطلاق لفلسطين ديموقراطية الا بهذه الحرب الشعبية الطويلة ، التي تخلق وتبني الانسان الجديد على ارض فلسطين .

وحتى لو تدخلت ظروف طارئة ، كاجتماع عدة تناقضات في لحظة زمانية واحدة ، بحيث انهار الكيان الصهيوني ، ولم يكن قد اكتمل بعد طريق حرب الشعب (وهو احتمال بعيد ولكنه قائم نظريا) ، فان الذي لا احتمال غيره ، هو انه لا يمكن الوصول الى صيغة فلسطين الديموقراطية الا بحرب الشعب الطويلة وحدها .

في مواجهة هذه الخطة ، خطة القتال الجماهيري الطويل الامد سبيلا لفلسطين الديمقراطية ، يعود البعض فيقدم من جديد ، فكرة امكان الوصول الى هذا الهدف عن طريق التعاون السلمي بين اسرائيل غير عدوانية « او غير توسعية » وبين دولة فلسطينية تقوم على جزء من الارض الفلسطينية . تعاون سلمي تقوم في ظله علاقات متبادلة تجارية وثقافية وسياسية الخ(٧).

هذه الفكرة ليست جديدة ، فقد تضمنها خطاب جاكوب ماليك عند اعلان موافقة بلاده على التقسيم في ١٩٤٧ ، آملا ان يؤدي التفاعل في المستقبل الى قيام دولة واحدة . وبقدر ما اثبتت السنوات السبع والعشرين الماضية ، استحالة ذلك ، بقدر ما أكدت سنوات القتال الاخيرة امكانية قيام هذه الدولة الواحدة (لا نقول الوحدة) بشرط تصفية مؤسسة الكيان الصهيوني القائمة حاليا . ففي ظل وقف القتال (من ١٩٤٨ حتى انطلاق الثورة الفلسطينية) امكن للصهاينة والاستعمار ان يستمروا في صناعة كيانهم ، وفي محاولة احتواء تناقضاته الداخلية وفي نفس الوقت السيطرة على المنطقة العربية بالتهديد المستمر والحروب والاعتداءات المتكررة . اما سنوات القتال العشر فقد عمقت من التناقضات الداخلية لهذا الكيان بدرجة كشفت عن وجهه العنصري البشع للعالم كله ، وبالتالي اصبح من الممكن الحديث عن يهود مضطهدين داخل الكيان الصهيوني ، هم مثل العرب الفلسطينيين المضطهدين بسبب الكيان الصهيوني ، وهم اليهود الشرقيون . اي اصبح من الممكن رؤية حل صحيح للمشكلة ، حل يقوم على

« فكفكة » هذا الكيان الصهيوني والقضاء على مؤسساته بحيث يتحرر قسم كبير من الخاضعين لسيطرته سواء الفكرية أو السياسية أو العسكرية ، لينضموا الى الشعب العربي الفلسطيني في صراعه ضد هذا الكيان .

والسؤال الذي نطرحه على أصحاب « فكرة التعايش السلمي » هذه او التطور السلمي نحو فلسطين الديمقراطية على حسب قولهم : هل يمكن تحرير جماهير اليهود التي تعيش اليوم في ظل الكيان الصهيوني « اسرائيل » ، من سيطرة الصهيونية ، دون القضاء على المؤسسة الصهيونية كمؤسسة عنصرية استعمارية عسكرية فاشية ، مهما كانت مساحة الارض التي يغتصبها من فلسطين ؟ وهل يمكن تحقيق ذلك دون قتال ؟

ان اقامة علاقات سلمية بين « الكيان الصهيوني » والبلاد العربية ليس له سوى معنى واحد ، هو اخضاع هذه المنطقة العربية للسيطرة الصهيونية . ذلك هو حكم القوانين الموضوعية التي تحكم التطور التاريخي للتجمعات البشرية ، حتى داخل القومية الواحدة ، فما بالنا والامر متعلق بكيان غريب هو فرع من فروع الاحتكارات الاستعمارية مزروع **في قلب المنطقة العربية** ، ان تجربة تسلل النفوذ الصهيوني الاقتصادي (فضلا عن السياسي والعسكري) عبر « الجسور المفتوحة » على نهر الاردن ، وتجربة اجتذاب القوة العاملة العربية للعمل في مشاريع صهيونية في ظل الاحتلال ، دليل بسيط وواضح على ما اسلفنا .

ولقد أورد مقال فلسطين الغد المنشور في شؤون فلسطينية عدد (٢) للدكتور نبيل شعث أرقاما واحصاءات متعددة تبين كيف أدت سياسة الجسور المفتوحة والاندماج الاقتصادي الى اخضاع اقتصاديات الضفة الغربية وغزة الى الاقتصاد الصهيوني بعد ثلاث سنوات فقط من احتلالها .

ان « الترويج » لامكانية التفاعل السلمي بين كيان اسرائيلي « مسالم » وبين « كيان فلسطيني » ناقص ، هو تماما كالترويج لامكانية تفاهم سلمي بين اشكال الاستعمار الجديد (رؤوس الاموال الاجنبية المسيطرة والمستغلة) وبين الشعوب الفقيرة ، وهو تماما كالترويج لامكانية التفاهم بين الاحتكاريين والعمال . وفي الحقيقة فان الكيان الصهيوني هو في جوهره أعتى اشكال الاستعمار الجديد ، وأكثر مراكز الاحتكارات تقدما في بلادنا وهي محاولة محتومة الفشل .

ذلك بأن « فلسطين الديمقراطية » ليست فقط هدفا ، وليست فقط خطة للقتال ، وان هي ايضا **حتمية تاريخية . والحتمية التاريخية ، هي حالة محددة كيفية يمر بها طريق تطور مجتمع من المجتمعات او ظاهرة من الظواهر ، ولا يمكن أن يتخطاها الى ما بعدها من اشكال الا بعد أن تتحقق ومن بعد تفقد وجودها فتنتفي الى حالة ارقى ، وذلك مهما تعددت طرق الوصول اليها ، ومراحل الانتقال على طريقها بل والتعرجات العفوية أو المقصودة التي قد تعطل تحقيقها . فطالما هي ضرورة تاريخية ، فانها ستتحقق حتما .**

وعندما يحدد الثوار ان وضعا ما ، هو حتمية تاريخية ، فان ذلك سيكون ملزما لهم بأن يخضعوا كافة خططهم وتكتيكاتهم لهذه الرؤية . وازاء هذه المسؤولية فان الحكم بتاريخية « وضع ما » يستلزم الاثبات العلمي قبل اطلاقه .

فهل ينقص « فلسطين الديمقراطية » الدليل على انها حتمية تاريخية ؟ ربما كان ذلك منذ سنوات ، اما الان ، فكثير من الحقائق الموضوعية تشير وتنبىء وتكشف عن

العوامل والتغيرات التي تتفاعل على أرض فلسطين المحتلة ، وتكاد تكون جنينا لرؤيا المستقبل لفلسطين الديمقراطية .

ان « فلسطين ديمقراطية » مصغرة ، قائمة الان بالفعل داخل سجون ومعتقلات العدو . ففيها مناضلون عرب فلسطينيون من كل دين وطائفة ، ويمكننا في ايجاز أن نعدد أهم العوامل والحقائق الموضوعية التي تؤكد « حتمية » قيام فلسطين الديمقراطية في المستقبل كحل وحيد لمشكلة الاغتصاب العنصري لارضها :

١ ــ كما ذكرنا ، فان التمثل « هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية » سواء كان ذلك في فلسطين ، أو في غير فلسطين . والتمثل لا يمكن أن يتحقق الا بتحقيق « ديمقراطية حقيقية » بين أعضاء المجتمع الواحد . ان من بين ما يعرقل تمثل اليهود في بلادهم الاصلية هو بلا شك عدم ديمقراطية التنظيم الاجتماعي في هذه البلاد .

٢ ــ انه من غير الممكن ، أن تتطور ظاهرة التجمع الصهيوني الحالية ، الى ما يسميه البعض « قومية اسرائيلية في طريق التكوين » ، أو أمة اسرائيلية ، أو حتى ظاهرة اسرائيلية تستمر بدون اسرائيل* بحيث يتوجب عندئذ ان تعطى هذه الظاهرة فرصة تطوير نفسها ثقافيا وفكريا كمجتمع له كيانه الذاتي . ان خطأ واستحالة حدوث ذلك مبني على ما يلي :

أ ــ ان هذا التجمع « هو تجمع منقول » ،ومصطنع ومفروض **بالقوة في موقعه** الحالي سواء من الناحية **البشرية أو الجغرافية أو الاقتصادية** . بمعنى ان هذا التجمع لم يتطور تاريخيا بشكل طبيعي ، أي لم يكن نتاجا طبيعيا لتطور وتفاعل عوامل سابقة عليه تاريخيا . وما تزال « القوة » هي التي تفرض استمراره ،بل وتغير من تركيبه . فالعدو الصهيوني مثلا يسعى لتغيير التركيب البشري لتجمعه بالالحاح على استيراد اليهود السوفيات (اشكنازيم) لمواجهة تزايد عدد وفعل واثر اليهود الشرقيين (السفارديم) . فلقد تغير تركيب التجمع الاسرائيلي خلال موجات الهجرة ، بحيث يغلب عليه الان « عنصر » السفارديم (٦٠ ٪) بعد أن كان في البداية يقتصر تقريبا على الاشكنازيم (الموجات الاولى من الهجرة الصهيونية) .

اما عن موقع هذا التجمع الجغرافي فهو في تغير مستمر منذ اعلان كيانه الرسمي وهو ما يزال يعلن عن نيته **ضم أراضي جديدة** . كما لا يزال يعلن عن استعداده **للانسحاب** من بعض الاراضي .

أما موقع هذا التجمع الاقتصادي ، فهو مجرد « فرع » للاحتكارات العالمية ، تنقل له رؤوس الاموال من الخارج باستمرار ، سواء على شكل معونات حكومية او من المشاريع الخاصة أو تبرعات من الاحتكاريين اليهود الصهاينة . وهو ليس اقتصادا تابعا ، فالاقتصاد التابع اقتصاد متخلف ، خاضع وهو يختلف اختلافا كليا عن الاقتصاد الرأسمالي العالي النمو سواء في شكل علاقات الانتاج او في الانتاج نفسه (زراعي أو موادا أولية أساسا) ، أو في نصيب التراكم الاولي من تشكيل الدخل القومي العام (لا يكاد يذكر في التجمع الاسرائيلي) أو طريقة توزيع فائض القيمة (لا توجد طبقات متميزة داخل التجمع الاسرائيلي ، وانما التمايز يتم على أساس « عرقي »

---

* يحاول أصحاب هذه النظريات تصوير الكيان الصهيوني باعتباره مجتمعا تمايز عبر السنوات الخمس والعشرين وان هناك تبعا لذلك ، « اسرائيليون » وبعضهم يقول بالقومية الاسرائيلية وما يزال البعض يتحدث عن الحقوق القومية (!!) للجماهير اليهودية !!.

بين الاشكنازيم والسفارديم ، ووظيفي متطابق مع الاساس السابق : قيادات اشكنازية ، وقواعد سفاردية) . في الاساس يختلف اقتصاد التجمع الاسرائيلي ، عن الاقتصاد التابع في أنه لم ينشأ نتيجة تراكم وتطور تاريخي بحيث يكون له مستقبل تاريخي . ان الاقتصاد المتخلف التابع لا بد أن يسير في طريقه الى التحرر من السيطرة والاستغلال الراسمالي ، وان يستقل ذاتيا . أما اقتصاد التجمع الاسرائيلي فان « مجرد الافتراض النظري بامكانية اتجاهه للاستقلال عن الرأسمال العالمي ، تعني انتهاؤه تماما كما لو قام أحد البنوك العالمية باغلاق احد فروعه في بلد ما » .

ب ــ ليس أمام هذا التجمع أي فرصة لكي تتشكل له ما يمكن أن يسمى « مشاعر قومية » ، فضلا عن قومية صحيحة . فهو **تجمع متعدد اللغات** : وبرغم تركيز الصهاينة على نشر لغة واحدة بين المستوطنين ، فان جهودهم لن تنجح كما يصورون . خصوصا بعد ١٩٦٧ عندما لم تعد المؤسسات الصهيونية قادرة على « استيعاب » المهاجرين الجدد وتعليمهم العبرية قبل « دمجهم » في الحياة اليومية . ومن قبل ذلك ايضا كانت اللغة مشكلة بالنسبة لهم . ففي ١٩٤٨ كان ٣/٤ السكان فقط يتكلمون « العبرية » الحديثة ، وفي ١٩٦٠ هبطت النسبة الى ٦٠ ٪ . كما ان اللغة التي يستعملونها في حياتهم اليومية ، لم تعد هي لغة التوراة العبرية التي يحرص « المتزمتون » من اليهود على التحدث بها في بلادهم الاصلية ، بل ان العلاقة بين هذه « اللغة الحديثة » وبين لغة « التوراة » هي كما يقولون هم انفسهم كالعلاقة بين اللغة الانجليزية الحديثة واللغة الانجليزية القديمة .

وهو تجمع متعدد **الاصول القومية** متناقض التكوينات النفسية. فقد قدم المستوطنون من أكثر من مئة بلد ، وهم ان كانوا يقسمون اليوم على أساس كونهم غربيون (اشكنازيم) وشرقيون (سفارديم) ، الا انه حتى بين كل طائفة منهم هناك تكوينات وأصول قومية مختلفة ومتناقضة نفسيا وثقافيا . ان يهود روسيا مثلا ، لا يتعاملون مع يهود رومانيا مع انهما معا من الاشكنازيم . كما أن يهود المغرب يختلفون في سلوكهم عن يهود اليمن ، وهكذا يقول جان بول سارتر (وهو مناصر صريح لبقاء اسرائيل) « ليس ثمة وجود لتراث يهودي واحد ولا لتاريخ يهودي واحد » (كتاب اليهودي المعادي للسامية . نيويورك ١٩٦٨) . ولقد روج الصهاينة كثيرا لامكان اذابة المستوطنين في شخصية « اسرائيلية » واحدة ، الا أن ذلك فضلا عن انه مستحيل موضوعيا فقد فشل في الواقع العملي .

وهو تجمع يفتقر الى قاعدة اقتصادية ذاتية كما أسلفنا ، ثم هو قبل كل شيء تجمع على أرض ليست له ، مغتصبة لها أصحابها الذين يقاتلون في سبيل استعادتها ، ولن يتركوه مستقرا ابدا .

وبالمثل فليس هناك أي فرصة تاريخية لكي يصبح هذا التجمع ، « محورا يهوديا اسرائيليا » ، يكون طرفا في صراع مع « محور اسلامي عربي »(٨) حتى ولو كان هذا الصراع سلميا . ذلك أن أي صراع يدور بين اليهود الاسرائيليين وبين العرب (مسلمين ومسيحيين وغيرهم) ليس له الا أن يفرز احدى نتيجتين : اما مزيدا من عنصرية هذا الكيان ومؤسساته ، مع ردود فعل عنصرية على الطرف الاخر من التناقض وذلك في حال ان يدار الصراع انطلاقا من هذا التصور الفكري الخاطىء . واما أن يقضي على هذا « المحور » « الكيان » وذلك في حال أن يدور الصراع على أساس علمي وثوري وانساني كما هو حادث الآن . ولا يوجد طريق ثالث .

ج ــ ان هذا التجمع يحكمه تناقض داخلي مدمر ، هو التناقض بين الاشكنازيم

والسفارديم أي بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وبرغم ان جوهر هذا التناقض هو الصراع العرقي بين هاتين الجماعتين ، الا انه أيضا يعكس ويحمل كل ثقل التناقض بين المجتمعات الصناعية الغنية المتقدمة ، التي قدم منها الاشكنازيم ، وبين التجمعات الزراعية الفقيرة التي قدم منها السفارديم ، كما انه يعبر عن نفسه كل يوم داخل التجمع الصهيوني في الصراع بين اليهود الغربيين (الاشكنازيم) الاغنياء ، واليهود الشرقيين (السفارديم) الفقراء ، والفجوة بينهما تزداد حدة على كل المستويات .

د ـ ان من يتبقى عن هذا التجمع بعد انهيار كياناته السياسية والعسكرية والثقافية سيكونون بلا شك أصحاب « ظروف » متخلفة من الفترة التي قامها هذا الكيان . ولكن هذه « الظروف الخاصة » هي بالطبع رجعية (مكتسبة من تشكيل رجعي هو الكيان الصهيوني) . ولا بد من العمل على اذابتها . وهي مهمة طويلة الاجل بلا شك ، ولا بد معها من اتباع أوسع أشكال الديمقراطية واعمقها ، ولكن في اتجاه الاذابة ، لا في اتجاه التطور كما ينادي البعض بأن يكون لهم حق تطوير ثقافة خاصة .. الخ .

ان الموافقة على مثل هذا المطلب المنافي للضرورة التاريخية من شأنه ان يخلق « جيتو » جديد في فلسطين المحررة بدلا من الجيتو الكبير المسمى « باسرائيل » . وليس هذا هو المطلوب ولا المرجو من حرب التحرير الشعبية العربية .

هـ ـ ان هناك فرقا بين الصهيونية ، واليهودية ، بين الصهاينة واليهود . والصهيونية تعني بالنسبة لنا ، وبشكل مباشر « اسرائيل » و« الاسرائيلية » وهو التعبير المجسد لها . وبالتالي فان مستقبل الظاهرة الاسرائيلية الحالية هو نفس مستقبل الصهيونية ، أي الاندثار ، والتلاشي ، شأنها في ذلك شأن كل الحركات والدعاوى الفاشية التي لا بد ستنتهي وتندثر بالقضاء على الاستعمار والاستغلال ، ولكن انتهاء الصهيونية لا يعني انتهاء اليهودية « كدين » ، وانما يعني تحريره من كل استغلال سياسي له ، وذلك في حد ذاته يعني اطلاق حرية العقيدة ، ليس فقط لليهود وانما لكل البشر .

٣ ـ ان تحرير فلسطين واستعادة أرضها وعودة شعبها اليها ، لا يمكن اتمامه ، فضلا عن ضمان استمراره ، ما لم تصبح فلسطين ، شأنها في ذلك شأن كل البلاد العربية الاخرى جزءا من دولة عربية موحدة تقدمية كبرى . أي ان التحرير يؤدي الى الوحدة القومية . والوحدة القومية كما هو معروف تنفي التمييز على أساس عرقي او لوني أو ديني ، أي أن شرط قيامها هو الديمقراطية . ان الديمقراطية ليست فقط هي الحل الوحيد بالنسبة لتمثل الجماعات اليهودية « القادمة من الخارج » وانما هي أيضا الشرط الاساسي لكي تقوم أي وحدة عربية وتنجح في القضاء على مخلفات «الاقليمية».

فلسطين الديمقراطية اذن ، حتمية تاريخية ، كما انها هدف ، وخطة قتال ، ذلك يعني انه بغض النظر عن الطرق والمراحل التي تفصل بيننا وبين فلسطين الديمقراطية فاننا لا بد أن نصل اليها . لا يمكن ان يتوقف الصراع قبلها . كما ستفشل كل محاولة للقفز من عليها الى ما بعدها ، أو الانحراف بمسار التاريخ عنها ، او الاكتفاء منها باسمها ، أو بجزء من أرضها . وستظل كهدف وحتمية تاريخية ، تفرض أسلوبا وحيدا للقتال في سبيلها الا وهو حرب الشعب طويلة الامد . فالديمقراطية تعني في جوهرها ، سلطة الجماهير المسلحة المقاتلة. بهذه الرؤية تمضي قوافل الثوار ، وتتحدد خطواتهم، وتقيم انجازاتهم ، وتتجه بنادقهم ، وتتميز وسائلهم ، فتقصر أيام الشقاء، وتقل مخلفات التعصب والاستغلال ، ويتحقق الهدف الانساني الثوري العظيم : فلسطين الديمقراطية .

١ — راجع خطاب الاخ أبو عمار في الامم المتحدة الدورة ٢٩ .

٢ — راجع كتاب **نحو فلسطين ديمقراطية** للدكتور محمد رشيد ، سلسلة أبحاث فلسطينية ، رقم ٣٤ — اصدار مركز الابحاث في م.ت.ف.

٣ — راجع كتاب **يوري افنيري** ، للاستاذ كميل منصور الصادر عن مركز الابحاث في م.ت.ف. وراجع دفاع الرفيق رامي ليفنه عضـــو الجبهة الحمراء خلال محاكمته في حيفا ١٩٧٣ . وراجع مقال فلسطين الغد للدكتور نبيل شعث ، مجلة **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢ .

٤ — راجع ن. م. د. ف. عدد ٧٤/١١/١ .

وراجع تقرير خاص من مركـــز **التخطيط حول** الهجرة والهجرة المضادة من فلسطين **المحتلة** ، ١٩٧٤/٦/٢٧ . وراجع نشرات رصد اذاعـــة اسرائيل الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

٥ — مبادىء وأهداف وأساليب حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح .

٦ — راجع نشرة الارض عدد ٧ — ٨ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢١ .

٧ — ردد هذه الفكرة مؤخرا الاخوان محمود حسين في كتاب **عرب واسرائيليون** : اول حوار نشر بباريس بالفرنسية في ١٩٧٤/١٠ .

٨ — المصدر السابق .

حول الوحدة الوطنية الفلسطينية

منير شفيق

عندما تشكلت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، حصرت هدفها بتحرير فلسطين . وقد طمحت لان تكون حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، التي تضم كل القوى الفلسطينية المؤمنة بالتحرير والتي تضعه هدفا فوق اي هدف آخر سواه ، وتتخلى عن حزبياتها السابقة ، وتنخرط في الكفاح المسلح باعتباره الاسلوب الوحيد للتحرير . وهي من هذا المنطلق لم تطرح نفسها كحزب سياسي له نظرة شمولية ، فلسفيا واجتماعيا واقتصاديا ، وانما كجبهة متحدة . ولكن تطور الوضع فلسطينيا ، وكذلك المسار الذي اخذه تطورها هي بالذات ، لم يؤديا الى أن تكون هي جبهة التحرير الفلسطينية ، وانما اديا لان تتطور كتنظيم قائم بذاته ويلعب دور العمود الفقري بين مجموعة من التنظيمات الفلسطينية . وراحت تتعامل مع الساحة الفلسطينية على هذا الاساس .

مرحلة تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية حتى ١٩٦٨/٧/١٠ :

انبثق مؤتمر القمة العربي الاول عام ١٩٦٤ عن قرار بتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ، وبالفعل عقد المؤتمر الاول الذي وضع ميثاق منظمة التحرير ، في القدس، في ١٩٦٤/٥/٢٨ ، واستمر حتى ١٩٦٤/٦/٢ . وقد طرحت منظمة التحرير نفسها في هذا المؤتمر الجبهة العريضة للشعب الفلسطيني . وكانت الصورة التي رسمت للوحدة الفلسطينية تنطلق من اعتبار المنظمة هي الاطار العام الذي يوحد الفلسطينيين. ولكن هذا التوحيد لا يقوم على أساس اتحاد قوى منظمة وانما على أساس الانتساب كأفراد الى منظمة التحرير . وكان هذا يقضي بأن تحل المنظمات الفلسطينية نفسها وتنخرط كافراد في منظمة التحرير . وقد جوبهت « فتح » بهذه المسألة ، خاصة ، وان تشكيل المنظمة هدد بسلب شعاراتها ، وتفريغها من محتواها الثوري الكفاحي . لان فتح لم تكن تهدف من وراء ضرورة ابراز الشخصية الفلسطينية الى أن تتخذ تلك الشخصية طابع المؤسسة الرسمية ، وتتحول الى هيئة تمثيلية شكلية . ومن هنا كان من الضروري لها التأكيد على أن من العبث الحديث عن شخصية فلسطينية اذا لم تحمل طابع المقاتل الفلسطيني الذي يخوض الكفاح المسلح لتحرير وطنه . وانطلاقا من ربط مسألة تكوين الوحدة الوطنية الفلسطينية وابراز الشخصية الفلسطينية بمسألة شن الكفاح المسلح لتحرير فلسطين ، لم تستطع فتح ان ترى بمنظمة التحرير الفلسطينية تحقيقا لما كانت تصبو اليه من أهداف واستراتيجية . ولهذا لم تنضم للمنظمة ، وتحل نفسها ، رغم أنها شاركت من خلال بعض ممثليها في مؤتمر القدس .

عرفت الفترة الممتدة من ١٩٦٤/٥/٢٨ حتى ١٩٦٨/٧/١٠، من جهة الوحدةالوطنية الفلسطينية السمات التالية:

١ — وجود منظمة التحرير الفلسطينية على الصورة المذكورة اعلاه .

٢ ـــ وجود مجموعة من المنظمات الفدائية ، كانت فتح اهمها ، غير منضوية تحت لواء منظمة التحرير .

٣ ـــ شق طريق الكفاح المسلح بمبادرة من حركة فتح في ١٩٦٥/١/١ سرعان ما تبعتها في ذلك منظمات اخرى . وقد حاول السيد احمد الشقيري ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية انذاك ، الالتفاف على ذلك عن طريق اعلان تشكيل قوات فدائية تابعة لمنظمة التحرير . وقد أعلنت فتح في عام ١٩٦٦ فهمها للوحدة الوطنية على أساس الالتقاء في ارض المعركة . وكان ذلك يعني اعطاء الوحدة الوطنية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية محتوى غير المحتوى الذي قامت عليه منظمة التحرير الفلسطينية . كما كان يعني ذلك انقاذ محاولات التوحيد ، او التنسيق ، بين المنظمات الفدائية ، خارج منظمة التحرير ، من الدوران في نقاشات لا نهاية لها .

٤ ـــ اشتداد الصراعات سواء في داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، او بين منظمة التحرير والمنظمات الفدائية ، او فيما بين المنظمات الفدائية نفسها .

٥ ـــ حاولت منظمة التحرير الفلسطينية ، وبناء على توصية من المجلس الوطني المنعقد في غزة ، ما بين ١٩٦٦/٥/٢٠ و١٩٦٦/٥/٢٤ ، الدخول في حوار مع المنظمات الفدائية من اجل توحيدها في منظمة التحرير . وكان المطلوب هو « صهرها » في المنظمة وانهاء وضعها كمنظمات قائمة بذاتها . اي ليس على اساس الاتحاد ضمن اطار عمل جبهوي دون حل نفسها . ولكن ذلك التوجه مني بالفشل . وبقي الوضع على ما هو مذكور اعلاه ، ولم يكن من الممكن الوصول الى وحدة وطنية على تلك الصورة . وبهذا اثبتت التجربة العملية ان من غير الممكن تشكيل جبهة الشعب المتحدة في الساحة الفلسطينية على أساس الانتساب الفردي لها ، وصهر التجمعات المنظمة وحلها . اى من غير الممكن قيام الجبهة على اساس التنظيم الواحد الفرد حتى لو اخذ شكل « التحالف الجبهوي » . كما اثبتت ان تعدد التنظيمات في الساحة الفلسطينية ، مسألة موضوعية لا يمكن القفز من فوقها اذا اريد للشعب العربي الفلسطيني أن يحقق وحدته الوطنية . ان هذا الاستنتاج لا ينبع من فشل تلك التجربة فحسب ، وانما يمكن دعمه ايضا بتحليل سمات الوضع الفلسطيني والعربي .

مرحلة قيادة « فتح » لمنظمة التحرير الفلسطينية :

كانت مبادرة فتح في شن الكفاح المسلح الفلسطيني ضد العدو الصهيوني ، قد بدأت تعزز مكانتها في الساحة الفلسطينية وتطورها . ثم كانت نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ . وما تلا ذلك من عودة فتح لامتلاك زمام المبادرة بشن حرب المقاومة المسلحة ضد العدو الصهيوني في مواجهة أوضاع ما بعد حرب حزيران ، ثم تتويج ذلك كله في خوضها لمعركة الكرامة ، وما تبع ذلك من التفاف جماهيري واسع حولها ، قد أوجد وضعا أصبح معه لا مفر لقيادة منظمة التحرير ومجلسها الوطني من التخلي عن منظمة التحرير لفتح وللمنظمات الفدائية الاخرى ، حيث لم يعد من الممكن الاستمرار دون اعادة بناء منظمة التحرير على اساس ان تكون الجبهة المتحدة لمنظمات المقاومة ومعها الاتحادات الشعبية والشخصيات الوطنية الفلسطينية . وبالفعل عقد المجلس الوطني الرابع في القاهرة ما بين ١٩٦٨/٧/١٠ــ١٩٦٨/٧/١٧ من اجل هذا الغرض . وقد تم خلال ذلك اجراء التعديلات المناسبة على الميثاق الوطني والنظام الاساسي . وبهذا أصبحت تشكيلة منظمة التحرير تقوم على اساس قيادة المنظمات الفدائية لها ، بقيادة حركة فتح ، مع بقائها الاطار العريض الذي يضم الافراد والتجمعات الفلسطينية ايضا . وما زال الوضع حتى الان على هذه الصورة . وقد شكلت هذه الخطوة قفزة

نوعية الى امام في عملية تحقيق الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني ، فكانت دفعا قويا لتطوير الكفاح المسلح والتفاف الشعب حول الثورة الفلسطينية ، وخطوة رائدة في عملية تشكيل الجبهة المتحدة في الساحة الفلسطينية وكذلك في الساحة العربية .

على أن هذا التغيير الاساسي في وضع منظمة التحرير حين أعطاها سمة الجبهة المتحدة العريضة التي تضم منظمات فدائية — حافظت على تنظيمها المستقل — واتحادات شعبية ، وشخصيات وطنية ، أفرز طرازا خاصا من الجبهة المتحدة ضمن الظروف الخاصة الفلسطينية والعربية .

فاذا كان هذا النوع من التحالف يختلف عن التحالف في الجبهة المتحدة التي تقوم على اساس التنظيم الواحد الا انه اختلف ايضا عن تلك الجبهات التي تشكلت في الهند الصينية — على سبيل المثال — من مجموعة احزاب وقوى سياسية وشخصيات وطنية ، حيث التزمت تلك الجبهات ببرنامج سياسي موحد ، وانتهجت خطا تكتيكيا سياسيا واحدا ، وكانت أجهزتها المتعلقة بالقوات المسلحة والاعلام والعلاقات الخارجية والعمل الجماهيري موحدة ، ولم تعرف التعدد ، كما حدث في الساحة الفلسطينية من ناحية القوات المسلحة ، ولم تقدم لجماهيرها ، وللرأي العام العالمي انواعا متناقضة من التعبئة السياسية ، او المواقف التكتيكية . او بكلمات اخرى ، ان المنظمات المتحالفة في منظمة التحرير الفلسطينية لم تحتفظ باستقلالها التنظيمي ، وتلتقي فيما بينها كمنظمات فحسب ، وانما ايضا ، بقيت تمارس مختلف نشاطاتها ، بصورة مستقلة وغير موحدة . بل عرف هذا التحالف ، باستمرار ، صراعات في داخله ، وعلى كل المستويات ، بما في ذلك ، حول الميثاق الوطني والبرنامج السياسي ، والتعبئة الشعبية والمواقف التكتيكية ، والعلاقات الخارجية والاعلام .

ان مراجعة قرارات المجالس الوطنية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٨/٧/١٠ حتى الان ، وكذلك البيانات المشتركة لمنظمات المقاومة ، او بيانات كل منظمة على حدة ، سوف تدهش المرء من كثرة ما أخذ من قرارات لتحقيق تنسيق عسكري فعال ، او وضع القوات المسلحة تحت قيادة واحدة ، او توحيد النشاطات السياسية والاعلامية الخ ولكن دون أن يجد ذلك كله طريقه الى التطبيق الفعلي ، وبقي الوضع بخطوطه العريضة كما هو . أي بقي متأرجحا بين وجود جبهة متحدة وبين عدم وجود جبهة متحدة — بالمعنى الدقيق للكلمة . وكذلك بقي متأرجحا بين أخذ قرارات باتجاه الوصول الى جبهة متحدة فعليا وبين عدم تنفيذ تلك القرارات . فمن جهة هنالك جبهة متحدة تضم كل المنظمات الفدائية وكل الاتحادات الشعبية وغالبية الشخصيات الوطنية . ومن جهة ثانية احتفظت كل منظمة بخطها السياسي ، وقواتها المسلحة ، واعلامها ، وعلاقاتها الخارجية ، ومواقفها العلنية المستقلة دون التقيد بأي شكل من أشكال المركزية الديمقراطية في داخل الجبهة المتحدة ، بما في ذلك الدخول في الصراعات العلنية والنزول الى الشارع في تحريض مباشر اما ضد هذه المنظمة او تلك . واما ضد المواقف الرسمية لقيادة منظمة التحرير . وقد وصلت الامور في بعض الاحيان الى اقتتال جزئي ، وان كان ، في العادة ، يحاصر ، ولا يستفحل . ان هذه الحالة قد ولدت شعورا مستمرا بأن لدينا وحدة وطنية وليس لدينا وحدة وطنية في الوقت نفسه .

هنا يمكن القول ان القانون الذي حكم العلاقة فيما بين منظمات المقاومة تميز بوجود صيغ للعلاقات الجبهوية غير مستقرة ومتناقضة . فاذا كانت جبهة تحرير فييتنام ، على

سبيل المثال ، جبهة متحدة لمجموعة من الطبقات ، ومشكلة في جهازها القيادي من الممثلين السياسيين لهذه الطبقات ، واذا كانت هنالك صراعات داخلية فيما بين هذه القوى المؤتلفة ، وذلك امر طبيعي وقانون موضوعي ، الا ان جميع تلك القوى التزمت بخط الجبهة في كل المجالات وابقت صراعاتها الداخلية ضمن حدود معينة وضيقة وداخلية فعلا . وراحت تواجه عدوها ، وتواجه الرأي العام العالمي كجبهة متحدة تتبنى مواقف واحدة ولها خط سياسي تكتيكي واحد ، كما ان شعبها كان يلمس انه متحد فعلا في جبهة عريضة موحدة . ان الوضع عندنا من هذه الزوايا كان مختلفا ، ولهذا ليس من العجب ان تكون شهرة المنظمات اكبر من شهرة منظمة التحرير التي تنطق باسمها جميعا . ولا يمكن تفسير ذلك الا كانعكاس لقوة الوجه الاخر الذي لا يعمل على اساس الجبهة المتحدة .

ان هذه السمات الخاصة التي حكمت الوضع عندنا هي نتاج مجموعة من العوامل الموضوعية التي تحكم حالة الشعب العربي الفلسطيني ، ونتاج مجموعة من العوامل الذاتية والتاريخية التي تحكم تركيبة المنظمات الفلسطينية ، والمتأثرة بالعوامل الموضوعية ، ونتاج الوضع العربي المجزأ . من هنا يجب ان ننطلق في تحليل هذه الظاهرة في ثورتنا ليكون بالامكان احداث التطوير المناسب . وليس الانطلاق كما فعل البعض من قوالب جامدة تستخدم لكي تشن الهجمات على حركة فتح ، وتفسير الظاهرة كلها كمسؤولية فتح ، لان هذين المنهجين في معالجة الظاهرة سيقودان الى نتائج مختلفة . فاذا كنا نعالج وضعا محددا ونعمل ضمن حدوده ، فلن نستطيع معالجته بناء على رغباتنا الذاتية او بصورة تجريدية لان ذلك سيقود الى خطأ في التحليل والمعالجة . وانما لا بد من الانطلاق منه والتحرك في قلبه وضمن ظروفه المعطاة حتى ولو ادى ذلك الى ان نتعامل مع ما هو غير مألوف في تجارب اخرى وفي حالات اخرى . او الى ان نتعامل في حدود ادنى من مطامحنا وامانينا ورؤيتنا « الصافية » للشكل الذي يجب ان تقوم عليه الوحدة الوطنية .

بعض خصوصيات الوضع الفلسطيني والوحدة الوطنية الفلسطينية

ان الوضع الفلسطيني شديد التعقيد وله خصوصيات بارزة :

١ ــ فقدان المجتمع الفلسطيني الموحد على ارض واحدة ، ادى الى فقدان الانقسام الطبقي **الموحد والمحدد** ، الامر الذي ولد حالة خاصة لم تعرفها حركات التحرير الاخرى . لان تواجد الفلسطينيين في تجمعات منتشرة في مناطق متعددة ، وتحت ظروف مختلفة ، وعيشهم لتجارب نضالية متفاوتة على مدى عشرين عاما ، يجعل من الصعب ، وان كان من غير المحال ، ان تشكل منظمة تمتد فروعها الى كل التجمعات دون ان ينعكس هذا الوضع على تركيبتها ، خاصة ، اذا لم يكن عمرها قد تجاوز بضع سنين ، حيث كان لا بد من ان توجد في المنظمة الواحدة كل مفارقات التجمعات الفلسطينية التاريخية والطبقية والاقليمية ، وكل مفارقات تأثرها ، ايجابيا او سلبيا ، بهذا النظام العربي او ذاك ، او بمجموعة الانظمة العربية ، والحركات السياسية العربية وكذلك بالنسبة للجبهة المتحدة ككل .

٢ ــ التدخل العربي الذي لا مفر منه في القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وذلك لما لفلسطين من اهمية على الوضع العربي ككل ، وعلى كل قطر من اقطاره . ولا شك في ان اللجوء الفلسطيني الى البلاد العربية اتاح ، ويتيح ، فرصا اكبر لزخم هذا التدخل وهو امر يسهل عمليات الانفلات وتأجيج الصراعات ، ويجعل مسألة فرض الانضباط العام طريقا غير مأمونة العواقب .

٣ ــ وجود غالبية الشعب الفلسطيني خارج الارض الفلسطينية المحتلة ، وعدم التعرض المستمر لهجمات العدو وبطشه ، لا يخلقان حاجة قصوى لأعلى درجات الاتحاد والانضباط ، على عكس الوضع في كمبوديا، مثلا، حيث يعيش الجميع تحت قصف الطائرات وهجمات الابادة مما يرفع الحاجة الى الاتحاد والانضباط الى اعلى المستويات ، ويحرم القوى المؤتلفة من ترف ممارسة الاختلافات والصراعات على « الطريقة الفلسطينية » .

ان هذه العوامل الموضوعية ، والى جانبها العوامل الذاتية والتاريخية ، أسهمت في اعطاء السمات الخاصة للجبهة المتحدة في الساحة الفلسطينية .

ولهذا فان وضع الوحدة الوطنية في الثورة الفلسطينية خلال فترة ما بعد ١٠/٧/١٩٦٨ تميز بما يلي :

١ ــ كان هناك اطار عريض يجمع منظمات المقاومة هو منظمة التحرير الفلسطينية، وكان يشكل حدا ادنى من الوحدة الوطنية .

٢ ــ كانت الوحدة الوطنية بين المنظمات ترتفع الى مستويات اعلى في فترات الازمات المباشرة حين كان الجميع يتعرض لخطر مباشر كما حدث في شباط، وحزيران، وايلول ١٩٧٠ في الاردن ، او كما حدث في نيسان ١٩٦٩ وايار ١٩٧٣ في لبنان .

٣ ــ كانت تشتد الصراعات الداخلية وتصل الى مستويات حادة في الفترات الممتدة بين الازمات مع المحافظة على الوحدة الوطنية ضمن اطار منظمة التحرير .

٤ ــ كانت تتشكل محاور في ادارة هذه الصراعات داخل الجبهة العريضة ، ولكن هذه المحاور امتازت بعدم الاستقرار حيث راحت تتبدل التحالفات التي تشكل المحاور تبدلا مستمرا .

٥ ــ تشكلت مؤسسات موحدة وبقي الانفلات من تحتها قائما ، كما حدث مع قيادة الكفاح المسلح او الاعلام الموحد .

المجالات التي شملها الصراع

ان المسائل التي كانت تدور حولها الصراعات شملت قضايا الميثاق والبرنامج السياسي والتكتيك الى جانب وضع القوات المسلحة والتعبئة الجماهيرية والاتحادات الشعبية حيث برزت :

١ ــ خلافات على ميثاق منظمة التحرير ، خاصة في العامين ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، بما في ذلك ، على التحالفات حيث اثيرت موضوعات حول سقوط البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة ، ورفض قيادتها ، وضرورة فضحها وتعريتها ، وشن الهجمات عليها . وكانت فتح هدفا يرمى بكل ذلك . كما شنت صراعات حول هدف اقامة دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين تضم المسلمين والمسيحيين واليهود .

٢ ــ الخلاف حول سلسلة المواقف التكتيكية ، المتبعة في المجال العربي ، خاصة ، بالنسبة لسياسات منظمة التحرير من ناحية العلاقات مع الانظمة العربية حيث شنت هجمات على السياسة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وضد فتح بالذات ، في هذا الصدد . وهنالك قائمة طويلة من الدلائل على هذه المعارضة التي كانت تصل حدود الاتهام والتشهير والاستعداء .

٣ ــ الخلافات حول ادارة الصراع في داخل الاردن وفي لبنان . وقد ادينت الاتفاقات التي عقدت عقب الازمات ابتداء من اتفاق القاهرة بين حكومة لبنان ومنظمة التحرير، وانتهاء باتفاقيات القاهرة وعمان بين حكومة الاردن ومنظمة التحرير .

٤ ـ الخلاف على جملة ممارسات مسلكية داخل الاردن او في لبنان ، او بين التجمعات الفلسطينية في المخيمات .

٥ ـ الخلاف حول ممارسات مسلحة في ادارة الصراع ضد العدو ، خاصة ، قبل ايلول ١٩٧٠ ، مثلا حول العمليات الخارجية .

٦ ـ الخلافات حول تقييم الوضع في تكوين الكيان الصهيوني حيث برزت اتجاهات تتحدث عن « أمة اسرائيلية » في طور التكوين وما يتبع ذلك من تغيير اساسي في جوهر الميثاق الوطني الفلسطيني .

ان هذه النقاط تساق على سبيل المثال لا الحصر لان الصراعات شملت كل المجالات تقريبا وأصبحت اكثر من ان تحصى . وهذا يقود الى الاستنتاج ان الوحدة الوطنية الفلسطينية في اطار منظمة التحرير ، فقدت باستمرار شرط التزام اعضاء الجبهة المتحدة ببرنامج سياسي موحد يمثل الحد الادنى ، او على الخط السياسي التكتيكي كما هو الحال في الجبهات المتحدة في بلدان مثل فيتنام ، وكمبوديا ولاوس ، ومع ذلك بقيت هنالك وحدة وطنية عريضة عامة ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية .

المحافظة على الاطار العام للوحدة الوطنية

اولا وقبل كل شيء ، كان هذا هو الواقع الذي حكم مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني ، بغض النظر عن ما يمكن ان يوجه له من نقد ، او يوجه له من تسويغ . ولكن الواقع الاخر الذي صاحبه ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تحافظ على وجودها وتتقدم محرزة انتصارات عديدة ، رغم كل السلبيات الناجمة عن مثل هذا الوضع . ولهذا فان من المشروع الاستنتاج ان اي تفكير يطمح لتطوير عمل الجبهة المتحدة الفلسطينية وتحقيق مستوى من التحالف ارقى ، لا بد له من ان يبدأ من المحافظة على مستوى هذا الاطار العام القائم وينطلق منه باتجاه تطويره .

واستنادا لما تقدم يصبح من البدهي القول ان قدرة حركة فتح على مجرد المحافظة على الوحدة العريضة التي ما زالت قائمة حتى الان ، رغم كل ما تعرضت له من هزات وصراعات ، يشكل عملا أستثنائيا ضمن الوضع المعطى. وهنا يمكن تلخيص سياستها في هذا الصدد :

١ ـ المحافظة على الاطار العام للوحدة الوطنية الفلسطينية مع استمرار الصراع الديمقراطي من اجل الوصول الى مستوى توحيد القوات المسلحة والالتزام ببرنامج سياسي واحد وبخط تكتيكي واحد .

٢ ـ العمل على توحيد القوى ، والحيلولة دون الانقسام والاقتتال الداخلي ، مع ابقاء القيادة بأيديها ولعب دور العمود الفقري لمنظمة التحرير .

٣ ـ التحلي بروح ديمقراطية في معالجة صراعاتها مع القوى الاخرى التي كانت أحيانا تصل الى حد الاستفزاز الذي لا يمكن ان تتسامح معه أية قوة اخرى غير فتح (ربما ساعدتها في ذلك تجربتها في بنائها الداخلي نفسه ، الى جانب ادراكها لطبيعة الوضع الفلسطيني والعربي) .

٤ ـ تغليب التناقض مع العدو الصهيوني على التناقضات في داخل صفوف الشعب .

٥ ـ الاعلان دوما عن حماية المنظمات الاخرى في وجه القوى المضادة للثورة . وعدم السماح بتصفية اية منظمة من منظمات المقاومة واعتبار أي اعتداء عليها اعتداء على فتح .

لقد لعبت هذه السياسة دورا رئيسيا في المحافظة على المستوى الادنى من الوحدة الوطنية في وضع كان يهدد ، وما يزال ، بالتدهور الى مستوى الانقسام والاقتتال الداخلي . وفي المقابل ساهمت المنظمات الاخرى ايضاوعلى درجات متفاوتة ، في ابقاء التحالف العام . وقد ساعد على ذلك :

١ ــ الخلافات فيما بين هذه المنظمات نفسها والتي كانت لا تقل ، عموما ، عن خلافات كل واحدة منها مع حركة فتح ، وهذا كان يجعل من الصعب ان تذهب منظمة بمفردها الى حد الانشقاق .

٢ ــ الميل لابقاء شعرة معاوية فيما يتعلق بالمحافظة على الوحدة الوطنية .

لقد انتقدت فتح بأنها كانت تأخذ احيانا ، مواقف واجراءات دون الرجوع الى قيادة اللجنة التنفيذية والحصول على موافقتها . ولكن ذلك لم يكن من السهل ايجاد صيغة حقيقية له في اللجنة التنفيذية وذلك بسبب تكوين مجمل الوضع في منظمة التحرير . ان التقيد بمستوى عال من المركزية الديمقراطية في اللجنة التنفيذية لم يكن مقبولا من مجموعة المنظمات . لان كل منظمة ابقت لنفسها الحق في عدم التقيد بقرار الاغلبية ، واباحت لنفسها التصرف على أساس قناعاتها بما في ذلك النزول الى الشارع ، والتحريض باتجاه سياساتها ، واجراء الاتصالات المنفردة لحسابها على كل المستويات سواء بالنسبة للعلاقات مع القوى والاحزاب العربية او الانظمة العربية ، او العلاقات الدولية . ولهذا اذا اريد لهذا النقد أن يطرح بقصد الوصول الى صيغة اكثر ايجابية بين المنظمات فهذا غير ممكن ما لم يتفق الجميع على تبني رأي الاغلبية وتطبيقه .

وكان يؤخذ على فتح انها لا تحسم ، وكثيرا ما تعرضت لضغوطات لكي تقوم بعملية فرز لهذه الضغوط في داخل الساحة الفلسطينية . ولكنها رفضت الخضوع فقد كانت تجنح الى التحلي بالنفس الطويل وسعة الصدر . واذا حدث عكس ذلك في بعض الحالات في الماضي فقد كانت حالات جزئية واستثنائية . ولو انها رضخت لمثل تلك الضغوط لكانت خريطة الساحة الفلسطينية مختلفة ، ولربما كان وضع الثورة الفلسطينية مختلفا . ولكن ليس الى الافضل او الى امام قطعا . لان استرجاع الحالات التي اصطدمت فيها فتح مع هذه المنظمة او تلك ، في هذه الفترة او تلك ، تكاد تشمل الجميع . فماذا كان سيحدث لو راحت فتح تحسم وتصفي ، او تنتقل الى المواقف العدائية كلما تعرضت الى صراع داخلي ؟ ليس من الصعب الاجابة بأن النتيجة هي التمزق وربما ضياع الثورة .

ان الوضع الفلسطيني قابل لكل اشكال المحاور والانقسامات والاقتتال الداخلي ، وهو أشبه بالقنبلة الموقوتة من هذه الناحية . لهذا فان مجرد لجم هذه القابلية يعتبر انجازا ضخما . وذلك كخطوة اولى على طريق المضي قدما من أجل الوصول الى وحدة وطنية على مستوى عال . ولكن طوال فترة ، لن تكون قصيرة ، ستظل الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية تراوح بين السمات التي حكمت الوضع، في منظمة التحرير، منذ انضمام منظمات المقاومة لها . وان تغيير هذا الوضع يتطلب حدوث تغييرات اساسية في مجمل الوضع الفلسطيني والعربي وفي اساس تركيب المنظمات القائمة .

المعالجة الاولية للوحدة الوطنية في الظرف الراهن

ان معالجتنا للقوانين التي حكمت الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية حتى الان، بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات ، ترفض النظر اليها كمجرد أشكال إعتباطية، او عرضية ، او تفسيرها تفسيرات ذاتية محضة ، وانما تجنح لرؤيتها كنتاج لوضع

محدد موضوعيا ، فلسطينيا وعربيا ، ومرتبط بتركيبة كل المنظمات ذاتيا وتاريخيا . وهذا يقود الى عدم معالجة مسائل الوحدة الوطنية انطلاقا من امان غير ممكنة في التطبيق العملي في المرحلة الحالية وضمن الظروف المعطاة . وهنا يمكن ايجاز منطلقات المعالجة كما يلي :

١ — يجب الا نتوقع في المرحلة الحالية وضمن الظروف المعطاة ، قيام وحدة وطنية على اساس مبدأ المركزية الديمقراطية او ندفع بالامور قسرا باتجاهها . وان كان ذلك لا يمنع من ان نجعلها هدفا نحاول الاقتراب منه ، خاصة ، اذا تغيرت الظروف تغيرا اساسيا .

٢ — تغليب التناقض الرئيسي فوق كل اعتبار . اي ان نبقى موحدين ضد العدو . ولا نسمح بأن تتسع الصراعات الداخلية الى حد يفيد منها العدو . وهذا يتطلب الانطلاق من نظرة شمولية الى الوضع ، اولا وقبل كل شيء . ويتطلب المحافظة على الاطار العام للتحالف الوطني القائم ، وضرورة شن النضال ضد الانقسام والاقتتال الداخلي .

٣ — عند معالجة اي تناقض في صفوف منظمة التحرير علينا ان نحدد بالضبط هل هو تناقض في داخل صفوف الجبهة المتحدة ومن ثم يعالج على هذا الاساس ، ام هو من طراز التناقض بيننا وبين العدو ليعالج على اساس العداء والاقتتال . ان هذه المسألة حاسمة في معالجة كل تناقض .

٤ — لا بد من المحافظة ، ومن قبل الجميع ، على مستوى عال من الديمقراطية ضمن حالة الوضع الفلسطيني الحالي كأساس للحيلولة دون الانقسام . وان كان من الضروري بذل الجهود المضنية من اجل عدم الذهاب بهذه الديمقراطية الى مستوى المهاترة او التحريض العدائي ، او الصدامات المسلحة .

حقا ان ما تقدم لا يلبي مطامح الجماهير ولا مطامح الكوادر التي تريد ان تصل الى وحدة وطنية ارقى على كل المستويات ، ولكن ما تقدم يشكل افضل معالجة لمثل هذا الوضع المعطى ، ضمن الظروف الراهنة .

وهنا يمكن ان يبرز اعتراض يقول : كيف يمكن ان يحافظ على وحدة عريضة ولا يوجد اتفاق على خط سياسي او برنامج سياسي موحد ، او على التكتيكات السياسية المطلوبة في هذه المرحلة ؟

لا ريب في أن الجبهة العريضة التي تعمل باقصى طاقاتها تتطلب وجود اتفاق على برنامج سياسي يمثل الحد الادنى ، وعلى الخط السياسي التكتيكي . ولكن في تاريخ منظمة التحرير في فترة ما بعد ١٩٦٨/٧/١٠ لم يحدث مثل هذا الاتفاق او يتقيد به عمليا . ومع ذلك بقيت منظمة التحرير متماسكة ضمن وحدة عريضة . ويرجع سبب ذلك الى عدم الحسم في هذه المسألة وانما معالجتها بالحوار الدؤوب وبالنفس الطويل . اما طرحها طرحا حديا بمعنى الاتفاق التام على البرنامج والتكتيك او الافتراق التام ، فكان من شأنه ان يقود الى التمزيق لا الى التوحيد في حين كان النهج الاخر يقول : اذا لم يكن الشكل الارقى من الوحدة الوطنية ممكنا ، فان الشكل الذي طبق عمليا يظل افضل الف مرة من تدهور الوضع الى مستوى تمزيق الوحدة الوطنية ، وسلوك طريق الانقسام الحاد والصراعات العدائية . لان في هذه الحالة سيجد الاعداء مدخلا مناسبا لتوجيه الضربات للثورة الفلسطينية ، خاصة ، في الظروف الراهنة التي اصبحت فيها اوضاع العدو في حالة ازمة وتدهور سريع ، وكذلك اوضاع الامبريالية الامريكية ، ولا

منفذ لهما الا حدوث الانقسامات في جبهتنا سواء في الساحة الفلسطينية ، أو فــي الساحة العربية .

اذا كان الطموح هو تطوير الوحدة الوطنية : فعلى الاقل لا بد من المحافظة على هذا الحد الادنى ضمن الظروف الحالية . واذا كانت هنالك مجموعة من الاختلافات حول قضايا عديدة تواجه الوضع الراهن فان ذلك ليس بالامر الرهيب ، وقد اعتادت عليه الساحة الفلسطينية ، بل يمكن اعتباره استمرارا « لتقاليدها » . ولكنه سيصبــح رهيبا اذا لم يحافظ على التقليد الاخر وهو ابقاء « شعرة معاوية » والاستمرار ضمن اطار منظمة التحرير . وذلك كنقطة انطلاق لايجاد نقاط اتفاق ، خاصة ، في مواجهة العدو ، وفي مواجهة ما يمكن ان تتعرض له الثورة الفلسطينية من مؤامرات امبريالية امريكية مرشحة لان تكون ، في هذه المرحلة التي حققت فيها الثورة سلسلة انتصارات، أشد شراسة ومكرا من سابقاتها . ويمكن ان نذكر هنا خطورة الانقســـام الداخلي على تسهيل مؤامرة العدو الرامية الى البحث عن حكم محلي في الضفة الغربية وقطاع غزة متعاون مع الاحتلال . لان من الخطأ اعطاء الفرصة لتلك الاصوات التـــي قد تستغل صراعات المنظمات لتقول لجماهيرنا في الداخل انظروا ماذا يفعلون ببعضهم وخير لنا الابتعاد عن كل ذلك وتدبير امورنا بأنفسنا !.

ان هذا ليس طرحا اخلاقيا وعظيا وانما هو صيغة عملية لمواجهة وضع محدد يحمل سمات محددة . وان تلك الصيغة تحمل في طياتها مصلحة لمجموعة منظمات المقاومة ومختلف فئات الشعب الفلسطيني الوطنية وان كانت الافادة من هذه الوحدة ستكون على مستويات متفاوتة وهو أمر طبيعي . ويجب الا تنساق وراء تلك النظرة التي تقول ان المستفيد من مثل هذه الوحدة هو قيادة حركة فتح . ومن ثم تعارض هذه الصيغة لكي لا تفيد منها قيادة حركة فتح . لانه اذا كان صحيحا ان قيادة فتح ستفيد منه الا ان من الصحيح ايضا ان مختلف القوى الاخرى في الساحة الفلسطينية ستفيد منــه ايضا ، والاهم من هذا وذاك ، هو ما يعطيه من فائدة عامة للشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية آنيا وعلى المدى البعيد، وما سينجم عنه من اضرار بالعدو الصهيوني والامبريالية آنيا وفي المدى البعيد . ان هذه النظرة الكلية للوضــع ستظل صحيحة ما دام باب الصراع مع العدو مفتوحا . وما دام الوجه الرئيسي للوضع هو اشتداد الصراعات الوطنية ضد الكيان الصهيوني والامبريالية .

الاجراءات الاسرائيلية لتهويد القدس بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥

روحي الخطيب

المؤامرات الاسرائيلية على القدس ما بين ١٩٦٥ و١٩٧٥ ليست الا حلقة من سلسلة مؤامرات — عبر التاريخ — ضد القدس بصورة خاصة ، وضد فلسطين والاردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر وقبرص بصورة عامة ، غايتها البعيدة المدى كانت ولا زالت احتلال جميع هذه الاقطار واقامة دولة يهودية عليها ، اسمها « اسرائيل الكبرى » وتكون عاصمتها مدينة القدس .

والقدس كما يريدها هرتسل — واضع قواعد الصهيونية — هي كما يقول بكل بساطة : « اذا حصلنا يوما على القدس ، وكنت لا أزال حيا وقادرا على القيام بأي شيء فسوف ازيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها ، وسوف احرق الآثار التي مرت عليها قرونا » .

وفي حرب ١٩٤٨ ورغم الكميات الكبيرة من الاسلحة التي خلفها الانتداب البريطاني لليهود ورغم تسهيل رجال الانتداب لرجال المنظمات اليهودية باحتلال معظم قطاعات المدينة خارج الاسوار قبل رحيلهم نهائيا صباح ١٩٤٨/٥/١٤ ، رغم كل ذلك ، فقد استطاع اهل القدس المدنيون وبالتعاون مع فئات قليلة من جيش الانقاذ والجهاد المقدس الدفاع عن القليل الباقي من الاحياء العربية خارج السور والصمود امام الكماشة من القوى اليهودية من خارج السور وداخله ، حتى جاء الجيش العربي الاردني وتمكن بالتعاون مع الفئات العربية المحاربة من صد الهجوم اليهودي اولا ، ثم ارغموا الفئات اليهودية داخل السور على الاستسلام وقاموا بهجوم معاكس في صميم الاحياء اليهودية خارج السور ، وكادوا يسجلون انتصارا ساحقا ويرغمون القوات اليهودية المحاربة على الاستسلام لولا التآمر الانجليزي مرة اخرى من جهة ، والتآمر الدولي مرة اخرى من جهة ثانية ، وذلك بحيلولة البريطانيين الذين كانوا مسؤولين عن قيادة الجيش الاردني تموين القوى الاردنية المتقدمة بالذخيرة مدعين نفاذها ، وباعلان الهدنة الاولى التي مكنت الاجهزة اليهودية من تعديل مواقفها بالمؤن للمحاصرين من السكان وبالمحاربين وبالاعتدة وبالمزيد من السلاح من اوروبا ومن الولايات المتحدة الاميركية ، الامر الذي رجح كفتهم ومكنهم من الثبات في المواقع التي تراجعوا اليها ثم دفعهم لتوجيه هجوم جديد ، وجاءت الهدنة الثانية في ١٩٤٨/٧/١٥ فاوقفت القتال واعقبها قرار مجلس الامن الدولي في ١٩٤٨/١١/٤ الذي قضى بسحب القوات واقامة خطوط هدنة دائمة ، وتلا ذلك اتفاقية جبل سكوبس بين الحكومة الاردنية الهاشمية والقوات الاسرائيلية ثم اتفاقيات رودس بين كل من مصر وسوريا ولبنان والاردن على انفراد مع حكومة اسرائيل ، وكان من نتيجة تلك الاتفاقية المعقودة بينها وبين الاردن سلخ منطقة المثلث وقراه في قضاء طولكرم وضمها بسكانها لدولة العدو ،

كما كان من جرائها تكريس مأساة تقسيم القدس واحتفاظ حكومة العدو الاسرائيلي بما يقارب من ٨٠ ٪ من مساحتها .

المؤامرات الاسرائيلية ضد القدس بين ١٩٤٨ و١٩٦٧

والحديث عن مؤامرات اسرائيل ضد القدس ما بين ١٩٦٥ و١٩٧٥ يفرض على المتحدث استعراض ولو بايجاز ، الاحداث التي سبقت ، الى ما بين ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٥ ، وهي الفترة التي استغلتها اسرائيل لتنفيذ مخططاتها لتحويل المدينة المقدسة الى مدينة يهودية تكون عاصمة لاسرائيل الكبرى ، واستطاعت خلالها وبمواصلة الدعم الاميركي من جهة ، وبالتعويضات المالية والعينية الالمانية الغربية السخية من جهة اخرى ، وبسكوت الامم المتحدة منجهة ثالثة ، استطاعت ان تنفذ عددا من الاجراءات ضد المدينة المقدسة سكانا وارضا وعقارات وحضارة ومقدسات وتنظيما ، كان ابرزها :

اولا — اعلان القدس عاصمة لاسرائيل بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ ونقل مقر حكومتها من تل أبيب اليها ، وتبع ذلك تغاضي الامم المتحدة وسكوتها ، ثم تقديم سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا اوراق اعتمادهم لرئيس حكومتها فيها في شهر تشرين الاول ١٩٥٤ ، ثم نقل سفارات بعض دول اميركا اللاتينية اليها . كل هذه الاجراءات عززت التحدي الاسرائيلي لقرارات الامم المتحدة وشجعتها على الاسترسال في تنفيذ المزيد من المؤامرات .

ثانيا : اصدار سلطات الاحتلال الاسرائيلي بتاريخ ١٩٥٠/٣/٣١ قانونا اسمه (قانون اموال الغائبين لسنة ١٩٥٠) خولت بموجبه لنفسها سلطة وضع اليد على جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها اي مواطن عربي أو فلسطيني كان يقطن المناطق المحتلة وغادرها بعد ١٩٤٧/١١/٢٩ ، بالنسبة لمواطني البلاد العربية وبعد ١٩٤٨/٩/١ بالنسبة للمواطن الفلسطيني . وبموجب هذا القانون وضعت سلطات اسرائيل ايديها على جميع الاملاك المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها جميع اللاجئين من عرب القدس وكانوا يبلغون آنذاك حوالي ستين الفا ، وتقدر العقارات والاراضي الخاصة بهم بحوالي ٨٠ ٪ من القسم المحتل آنذاك .

ثالثا : اصرار سلطات الاحتلال الاسرائيلي على منع اللاجئين من حق العودة ، رغم القرار رقم (١٩٤) — فقرة (٣) الصادر عن الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ والذي يتضمن ثلاثة مبادىء ، هي :

أ — اعادة اللاجئين الى بلادهم . ب — ورد ممتلكاتهم اليهم . جـ — او تعويضهم . هناك اكثر من مائة الف عربي من اهل القدس يعيشون خارج بلدهم وخارج فلسطين المحتلة ، سبعون الفا منهم كانوا ضحايا النكبة الاولى سنة ١٩٤٨ وحوالي اربعين الفا من مواليدهم منذ ١٩٤٨ ولغاية اليوم ، وهؤلاء جميعا تحرمهم قوانين وانظمة الاحتلال الاسرائيلي من حرية العودة الى بلدهم ، بينما هي تسمح بالدخول الى فلسطين المحتلة والى القدس منها بالذات ، لاي يهودي من يهود العالم ومن اي قطر يكون أو اية جنسية يحمل .

رابعا : فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيها الامر الذي رفع عدد سكان اليهود في القدس نفسها من حوالي ماية الف سنة ١٩٤٨ الى لا أقل من ماية وتسعين الفا في حزيران ١٩٦٧ وما يقارب (٢٥٠) الفا اليوم .

خامسا : نقل وزارة الخارجية والبرلمان — الكنيست — الاسرائيلي بصفة مؤقتة

سنة ١٩٥٢ للقدس وبناء عمارة خاصة له وافتتاحها في ١٩٦٦/٨/٣٠ كعملية تعزيز للكيان الاسرائيلي في المدينة المقدسة وكجزء من مخطط لنقل جميع الوزارات والمصالح الحكومية لها فيما بعد وتكريسا للمدينة كعاصمة لاسرائيل ومواصلة لتحدي قرار الامم المتحـــدة .

سادسا : الاعداد عسكريا لاحتلال القسم الباقي من القدس ، واذكر بالمناسبة ان احد قناصل الدول الاجنبية نقل الي في ربيع ١٩٦٦ ملاحظتين هامتين الاولى منها كانت خلاصة ما سمعه عن جلسة لبلدية القدس المحتلة آنذاك ومضمونه ان بعض اعضاء المجلس البلدي الاسرائيلي تقدم باقتراح لبناء دار جديدة لبلديتهم ، لكن رئيسهم ، وهو الحالي ، ويدعى تيدي كوليك ـــ وهو صهر الرئيس الاسرائيلي المتوفي دافيد بن غوريون ـــ عارض الاقتراح وقال لاصحاب الاقتراح (نؤجل الموضوع قليلا حتى نحتل القسم الثاني من القدس ، وعندها نشيد دارا لائقة لعاصمة اسرائيل) . والملاحظة الثانية ، تقول انه (اي القنصل الاجنبي) كان يرى جموع طلبة المدارس الاسرائيلية تقاد الـــى الحد الفاصل لشقي القدس وتلقن تاريخ اسرائيل من وراء الاسلاك الشائكة يتوخون من ورائها اثارة عواطفهم ودفعهم لبذل التضحيات في سبيل استرداد القسم الباقي من القدس وفلسطين واسرائيل الكبرى . واذكر اني قمت بنقل هاتين الملاحظتين فـــي حينها للمسؤولين بالقدس ، كما اذكر انني سمعت منهم ان قواتنا لهم بالمرصاد .

الاجراءات الاسرائيلية ضد القدس ما بين ١٩٦٧ ـــ ١٩٧٤

لقد كان احتلال اسرائيل للقسم الثاني من القدس حلم الاجيال اليهودية ، ولم يكد يتم صباح ١٩٦٧/٦/٧ ، حتى بدأ عرب القدس يفاجأون بما اعد لهم ولمدينتهم من مؤامرات ومآس استهدفت ولا تزال تصفيتهم تدريجيا ، ومصادرة اراضيهم وعقاراتهم وطمس حضارة اجدادهم والاعتداء على مقدساتهم واذابة اقتصادهم وتغيير معالم البناء التي اشتهرت بها مدينتهم واستبدال كل ذلك بالانسان الاسرائيلي والملكيـــة والحضارة والمقدسات والتنظيم الاسرائيلي وبالاختصار تهويد المدينة بأقصى ما يمكن من السرعة متحدين بذلك جميع المواثيق الانسانية ، غير عابئين بالشكاوى العربية او بالقرارات الدولية ولسان وقلب كل فرد منهم وكل هيئة بينهم دينيا كان او علمانيا او عسكريـــا يردد قول هرتسل : « اذا حصلنا يوما على القدس وكنت لا ازال حيا وقادرا علـــى القيام بأي شيء ، فسوف ازيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها ، وسوف احرق الآثار التي مرت عليها قرونا » وكان أبرز ما كشفوه ونفذوه من هذه المؤامرات خلال السبع سنوات الماضية ما يلي :

اولا : استعمال الارهاب كوسيلة لطرد السكان ـــ لجأت القوات الاسرائيليـــة في اليوم الاول من الحرب والايام التي تلته وبرغم انسحاب القوات العربية منـــذ اليوم الثاني من القتال ، الى امطار المدينة وسكانها ، خارج السور وداخله بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة جوا وارضا ، وبموجات من رصاص الرشاشات ، مما ادى الى استشهاد حوالي (٣٠٠) مدني كان من بينهم عائلات بكاملها داخل منازلهم وبعضهم بالطرقات والازقة ، اثناء فزعهم وهروبهم من جحيم النيران المسلطة عليهم . وقـــد دمرت القنابل واحرقت مئات من العقارات السكنية والتجارية خارج السور وداخله ، والحقت اضرارا فادحة بعدد من الكنائس والمساجد والمستشفيات ومن بينها كنيسة القديسة حنه داخل السور (وكانت تعج بأكثر من ثلاثماية من اللاجئين الوافدين اليها من خارج السور) وكنيسة كلية شميدت خارج باب العمود ، والواجهـــة الامامية للمسجد الاقصى ومئذنة باب الرحمة ومستشفى اوغستا فكتوريا على جبل الزيتون

(وكان مكتظا بالجرحى والمرضى) . ولقد تسببت هذه الموجات من الجرائم والارهاب الوحشي انذاك بنزوح حوالي خمسة الاف من السكان المدنيين معظمهم من اللاجئين سابقـــا .

ثانيا : **استعمال النسف والهدم كوسيلة ثانية لطرد أعداد اخرى من السكان** : وكان الاجراء الثاني ، سلسلة من اعمال الهدم والنسف لاملاك عربيةداخل السور وخارجه ، بدأت في ١٩٦٧/٦/١١ ، أي بعد اربعة أيام من الاحتلال وفي أقل من اسبوع ازيل من الوجود العربي في المدينة ما يلي : ١٣٥ دارا للسكن في حي المغاربة الملاصـــق للمسجد الاقصى يسكنها ٦٥٠ شخصا ، مسجدان احدهما مســـجد البراق الشريف والاخر ملاصق له ، مصنع للبلاستيك قرب حي الارمن داخل السور يعمل فيه مائتي عاملة وعامل عربي ، مائتي منزل ومخزن في المناطق الحرام . وكان من نتيجة عمليات الهدم والنسف الاولية هذه ، تشريد ما يقارب من الف عربي اخر مـــن أهل القدس وسكانهـــا .

ثالثا : **ضم القدس اداريا وسياسيا لاسرائيل** : وبتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧ ، وخـــلال اليومين التاليين ، أصدرت سلطات اسرائيل المحتلة، ببرلمانها وحكومتها وقوات دفاعها، ثلاثة قرارات استهدفت بالتتابع تهويد السيادة والادارة والبلدية (الامانة) العربية .

في ١٩٦٧/٦/٢٧ ، اصدر البرلمان الاسرائيلي ، قرارا على شكل اضافة فقرة الى قانون اسرائيلي اسمه (قانون الادارة والنظام لسنة ١٩٤٨) وقد خولت تلك الفقرة حكومة اسرائيل تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الارض ترى حكومة اسرائيل ضمها الى أرض اسرائيل .

وبتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ اصدر سكرتير حكومة اسرائيل ، امرا ، اطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) اعلن فيه أن مساحة ارض اسرائيل المشمولة في الجدول الملحق بالامر ، هي خاضعة لقانون قضاء وادارة الدولة الاسرائيلية . ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم أمانة مدينة القدس اي بلدية القدس ، التي تقع تحت الحكم الاردني العربي وهي تقع ما بين المطار وقرية قلنديا شمالا ، وبيت حنينا غربا ، وقرى صور باهر وبيت صفافا جنوبا ، وقرى الطور والعيزريه وعناتا والرام شرقا ، ويقطنها حوالي المائة الف من الساكن العرب . أصبحوا بموجب هذا الامر وبدون موافقتهم اصبحوا خاضعين وتابعين للقانون وللسيادة الاسرائيلية مباشرة .

وبتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٩ ، اصدر جيش الدفاع الاسرائيلي ، أمرا يقضي بحل مجلس امانة القدس أي بلدية القدس العربي المنتخب من سكان القدس ، وبطرد أمين القدس (أي رئيس بلديتها) من عمله وبالحاق موظفي وعمال امانة القدس ببلديـــة القسم المحتل من المدينة . وقد نفذت السلطات العسكرية الاسرائيلية المحتلة هذه القرارات والاوامر بشدة ، فاستولت على جميع ممتلكات واجهزة وسجلات الحكومة الاردنيـــة ودوائرها ومحاكمها واستولت كذلك على جميع ممتلكات واجهزة واثاث وســـجلات امانة القدس العربية والحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الاسرائيلية ، ثــم الغت جميع القوانين والانظمة الاردنية واستعاضت عنها بالقوانين والانظمـــة الاسرائيلية وفرضت بالقوة جهازا عسكريا اسرائيليا ، واخضعت جميع السكان العرب لحكمه وجبروتـــه .

رابعا : **تهويد الاقتصاد العربي** : ولاحكام عملية الضم الاداري والسياسي ، أقامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي ومنذ الايام الاولى لاحتلال المدينة ، عددا مـــن مراكـــز الحدود الجمركية على الطرق والمنافذ التي تربط القدس بالمدن والقـــرى العربيـــة

الملاصقة والمجاورة ، واعتبرت القدس منطقة اجنبية بالنسبة لهذه المدن والقرى ، اقتضى في بادىء الامر الحصول على تصريح عسكري للداخل اليها او الخارج منها ، ثم الغي فيما بعد ، ثم اتبعت ذلك بسلسلة من الاجراءات التي تهدف الى تصفية الاقتصاد العربي واذابته تدريجيا في بوتقة الاقتصاد الاسرائيلي ، فأغلقت البنوك العربية القائمة ، وهي : العربي ، والقاهرة ــ عمان ، والعقاري، والاردن، والاهلي، وانترا ، وصادرت أموالها كما اغلقت لفترة معينة البنكين الغربيين الاخرين العثماني والبريطاني ، واستبدلت العملة الاردنية بالعملة الاسرائيلية ومنعت ادخال اي انتاج زراعي او صناعي او أية سلعة من القرى والمدن العربية المحيطة بالقدس ، والضفة الغربية ، الى اسواق القدس بينما اباحت في الوقت نفسه ادخال جميع أنواع البضائع والمنتجات الاسرائيلية اليها .

ولقد ادى هذا المنع ، الى حرمان سكان القدس العرب من استهلاك الانتاج العربي، حتى ولو كان هذا الانتاج من مزارعهم او مصانعهم الخاصة واضطرارهم الى شراء حاجياتهم الضرورية من السلع الاسرائيلية والانتاج الاسرائيلي ، وفتح باب التعامل الاجباري بين بعض التجار العرب وبين بعض التجار الاسرائيليين ، كما حرم المنتج العربي المجاور من أسواق كانت تستهدف قسماً كبيرا من انتاجه . وأدى هذا الحرمان الى تقليص بعض هذا الانتاج وبالتالي تخفيض الايدي العاملة فيه واضافتها أما الى طائفة العاطلين عن العمل او التحاق بعضهم امام ضغط الحياة للعمل لدى السلطات المحتلة او احدى مؤسساتها او اماكن العمل فيها .

وشجع هذا المنع ، فريقا من المنتجين الزراعيين والصناعيين في الضفة الغربية لمراجعة السلطات المحتلة لتسهيل نقل انتاجهم او بعضه الى أسواق الضفة الشرقية من الاردن ، وكأنما جرى ذلك ضمن تخطيط اسرائيلي واسع يقصد به التفريغ الجزئي عن هذا الانتاج مقابل تثبيت المنع عن القدس ومقابل تأكيد فصلها عن الضفة الغربية واكراه المواطنين من جهة والجانب الاردني من جهة اخرى على استساغة هذه الاجراءات وقبول الامر الواقع .

خامسا : **اجراء احصاء لسكان القدس بعد الاحتلال ومصادرة املاك الغائبين منهم :**
وفي ١٩٦٧/٧/٢٥ أجرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي احصاء عاما لسكان القدس سجلت بموجبه اسماء جميع الموجودين فيها من مواطنين واجبرتهم خلال ثلاثة أشهر، على الحصول على بطاقات هوية اسرائيلية (وهذه الهويات لا تفرض على حامليها الجنسية الاسرائيلية) . واعتبرت جميع ابناء القدس الغائبين بحكم العمل او طلب العلم او الزيارة أو النازحين بسبب الحرب ، اعتبرتهم جميعا غائبين وحرمتهم من حق العودة لبلدهم .

وبعد اكتمال عمليتي ضم القدس واجراء الاحصاء السكاني فيها سارعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي الى تطبيق قانون أموال الغائبين على جميع الغائبين العرب عن القسم المحتل الجديد ، وفتحت مكاتب حكومية بالقدس وباشرت بتسجيل جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي تخص اولئك الغائبين . وكنتيجة لهذه الاجراءات وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي أيديها على مساحات واسعة مما تبقى لعرب القدس من اراض وعلى قسم كبير مما تبقى من عقارات ،كما حجزت وما زالت تحجز ما يصل الى علمها من اموال منقولة وأسهم شركات تخص اولئك الغائبين ، وتحول الجميع الى املاك يهودية او واقعة تحت تصرف أسرائيل ، لتهويدها تدريجيا ، كما فعلت باملاك العرب الذين طردوا او كانوا غائبين في المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٤٨ .

سادسا : **نهب ومصادرة أملاك المقيمين** : وكجزء من المخطط الاسرائيلي لتهويـد القدس ، فان سلطاتها لم تكتف بما وضعت ايديها عليه من اراضي وعقارات الغائبين سنة ١٩٤٨ اولا ، وما تلاها بعد حرب سنة ١٩٦٧ ثانيا ، وتشكلان معا حوالي ٨٤٪ من أملاك عرب القدس حتى سارعت لاغتصاب ما تبقى من اراض واملاك ، قطعة بعد قطعة ، مستندة في كل عملية منها الى قانون من القوانين التي وضعتها هي او التي وضعتها حكومة الانتداب قبلها ، وكلها غير شرعية ومخالفة للقوانين والقرارات الدولية ولميثاق حقوق الانسان ، واستنادا الى قانون وضعته حكومة الانتداب سنة ١٩٤٣ اسمه (قانون الاراضي ـــ استملاك للمصلحة العامة ـــ لسنة ١٩٤٣) بدأت سلطات الاحتلال منذ ١٩٦٨ باغتصاب مساحات كبيرة من الاراضي واعداد كبيرة من العقارات العربية بحجة لزومها للغايات او للخدمات العامة في المدينة . والغايـات العامة ، كما يفسرها القانون الذي استندوا اليه ، هي ما كانت ستستعمل لخدمات السكان كالمستشفيات والمدارس والملاعب والحدائق العامة وخزانات المياه وغيرها ، وهذه لا تكون مساحتها في بلد مثل القدس او ما حولها لتزيد عن بضع مئات مـن الدونمات على اكثر تقدير وليست بالالاف كما نهبت واغتصبت وما زالت تنهب وتغتصب ولغايات الاستيطان واستنادا الى هذا القانون وتلك الغايات ، قامت خلال سنوات ١٩٦٨ و١٩٧٤ بعمليات النهب التالية :

أ ـــ في سنة ١٩٦٨ صادرت ما يقارب من أربعة آلاف دونم خارج اسواق القدس و(٥٩٥) عقارا تضم ١٠٤٨ شقة سكن و٤٣٧ مخزن ومكان عمل وأربع مـدارس وزاويتين اسلاميتين ومواقع مسجدين بعد هدمها ، وكلها تقع داخل السور وتشكل بمجموعها أربعة أحياء عربية هي ـــ القسم الجنوبي من باب السلسلة وحي المغاربة وحي الشرف وسوقي الباشورة والحصر .

ب ـــ في سنة ١٩٧٠ صادرت حوالي اثني عشر الف دونم ، قسم منها يقع في اراضي القدس والباقي وهو الاكبر انتزع من عشر قرى عربية تحيط بالقدس وهي قرى الرام وقلنديا وبيت حنينا شمالا ، والنبي صموئيل وبيت اكسا غربا ، وقرى بيت صفافـا والشرفه وصور باهر جنوبا وأزالوا ما عليها من مساكن عربية وشردوا أهلها .

جـ ـــ وفي سنة ١٩٧٢ صادرت خمسة الاف دونم من اراضي قرى عناتا والعيزرية وتقع شرقي القدس .

د ـــ وها هي تعلن أنها وضعت اليد مؤخرا ، على سبعين الف دونم من اراضي الخان الاحمر الواقعة ما بين القدس واريحا شرقا لينشئوا عليها مدينة صناعية .

وهم في كل عملية نهب للاراضي العربية ، يختار الاسرائيليون المحتلون المواقع التي تخدم استراتيجيتهم بحيث جاءت مواقع الاراضي المصادرة ، مطوقة لمن تبقى من عرب القدس وقراها غربا وشمالا وشرقا وجنوبا ، وجعلوهم محصورين ضمن رقعة صغيرة يطوقها السكان الاسرائيليون بثلاثة أطواق ، الاول يطوق منطقة الحرم الشريف ، والثاني يطوق من تبقى من عرب القدس والثالث يطوق القرى العربيـة المحيطـة بالقدس ، الأمر الذي يهدد الوجود العربي بالتقلص وبالتصفية .

سابعا : **الحفريات كوسيلة لتصديع وهدم العقارات العربية فوقها او المجاورة لها داخل السور** : وبحجة الكشف على التاريخ اليهودي وهيكل سليمان بالقدس ، بدأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي حفريات في اماكن متعددة من داخل الاحياء العربيـة المصادرة داخل السور والمناطق الملاصقة للحائطين الجنوبي والغربي من الحرم الشريف ،

واتخذت من هذه الحفريات وسيلة لتصديع ما فوقها من أبنية سكنية وتجارية ودينية وحضارية ، والتسبب في انهيارها ثم هدمها واجلاء سكانها .

وقد استطاعت خلال السنوات السبع الماضية من التغلغل مسافة ٢٣٠ مترا أسفل العقارات الوقفية الاسلامية الملاصقة للحائط الغربي للحرم الشريف وبعمق ما بين (٩ — ١٠) امتار وبعرض ستة أمتار وقد تسببت في تصدع الزاوية الفخرية (مقر مفتي الشافعيه) ، واربعه عشر عقارا ملاصقا لها وتلاصق المسجد الاقصى من الغرب ثم هدمها في حزيران ١٩٦٩ ، كما صدعت زاوية اخرى تسمى رباط الكرد ومدرسة قديمة اسمها المدرسة الجوهرية سنة ١٩٧٢ و١٩٧٤ ، وكلا العقارين يقع في منتصف العقارات الملاصقة للحائط الغربي للحرم الشريف ، ويهدد انهيارها بتصديع وانهيار ما يقرب من ثلاثماية عقار ملاصقة ومجاورة ومن بينها اربع جوامع واقدم سوق عربي في القدس يسمى سوق القطانين ومئذنة قايتباي — اكبر مئذنة في الحرم — ويسكن في هذه المجموعة من العقارات حوالي ثلاثة آلاف عربي مهددون ، اذا استمرت الحفريات بالجلاء وبالتشرد وهو ما تهدف اليه سلطات الاحتلال الاسرائيلي .

وتوغلت الحفريات الجنوبية في اختراق الحائط الجنوبي للحرم الشريف والاروقة السفلية للمسجد الاقصى المبارك في اربعة مواقع، الاول أسفل محراب المسجد الاقصى المبارك والثاني أسفل جامع عمر — الجناح الجنوبي الشرقي للمسجد الاقصى والثالث تحت الابواب الثلاثة للاروقة الملاصقة للمسجد الاقصى وهنا توغلت عشرين مترا في داخل الحرم ، والرابع تحت الاروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الاقصى ، واصبحت هذه الحفريات كما يقول المهندسون التابعون للوقف الاسلامي والمشرفون على اعمار المسجد الاقصى ، أصبحت تهدد المسجد الاقصى وسور الحرم الجنوبي بالتصدع والانهيار .

لم يخف زعماء اسرائيل هدفهم من هذه الحفريات ، فقد سبق ان كشف وزير الاديان الاسرائيلي السابق في ١٩٧٠/١٠/٢٧ بحديث لمراسل جريدة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية اليومية ونشرته في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٢٨ جاء فيه ما يلي : « ان وزارة الاديان الاسرائيلية تسعى بواسطة عمليات الحفريات التي تجريها الكشف الكامل عن حائط المبكى ، بهدف اعادة هذه الدرة الثمينة الى سابق عهدها » . واضاف « ان هذه العمليات هي عمليات تاريخية ومقدسة تهدف للكشف عن الحائط وهدموازالة **المباني الملاصقة له رغم العراقيل التي كانت تقف في الطريق** » .

كما نقلت جريدة دافار الاسرائيلية اليومية الاخرى في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٢/٨ حديثا للجنرال دايان — وزير الدفاع الاسرائيلي السابق جاء فيه : « يجب العمل على كشف واعادة ترميم كافة ما يتعلق بايام الهيكل الثاني . وأفضل ان ارى السور كما كان في عهد الهيكل الثاني ، **ويمكن تصوير بقية الاثار وتخليدها وازالتها لانها تخفي وتمنع عنا رؤية الصورة كاملة كما كانت في حينها** » .

لقد اثارت هذه الحفريات علماء الاثار الاجانب وفي مقدمتهم الدكتوره كاتلين كنيون ، رئيسة مدرسة الاثار البريطانية في القدس واستاذة علم الاثار في جامعة اكسفورد فكتبت رسالة نشرت في جريدة التايمس اللندنية بتاريخ ١٩٧٢/٨/١٧ قالت فيها ما يلي: « في حزيران ١٩٧٢ كتب في عدة صحف ان السلطات الاسرائيلية الدينية قامت بحفريات بجانب السور الغربي للحرم الشريف بالقدس ، ولقد عدت لتوي من القدس واستطيع التأكيد بأن التقارير لم تبالغ بما كتب .

وهناك اشاعات بأن الحفريات ستستمر على طول سور الحرم حيث تنتشر أروع الابنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى . ان اتلاف مثل هذه الابنية يعتبر جريمة كبرى . ولا يعقل ان يتم تشويه الآثار القديمة بمثل هذه الحفريات في عام ١٩٧٢ . كانت الحفريات في عام ١٩٦٠ الطريقة الوحيدة لاكتشاف القدس ، والان يعتبر هذا النوع من الحفريات اسلوبا باليا في بلد يضم نخبة من علماء الآثار . **على الرأي العام العالمي تقديم كل دعم لايقاف مثل هذه الاعمال البربرية » .**

ومؤخرا ادانت منظمة اليونسكو بشدة استمرار سلطات الاحتلال الاسرائيلي على استمرارها لهذه الحفريات وطالبتها بالتوقف عنها فورا ، وقررت كعقوبة ايقاف جميع مساعداتها الثقافية والفنية والمالية . وكان جواب اسرائيل على هذه الادانة ، تصريحات متلاحقة من حكومتها وزعمائها تعلن تصميمهم على استمرار الحفريات ، كما سارعت الولايات المتحدة باظهار عدم رضاها من هذه الادانة واتخاذ قرار بوقف مساعدتها المالية لليونسكو وتقدر بستة عشر مليونا من الدولارات ، وسيزيد مثل هذا الموقف المستنكر ، اندفاع اسرائيل واسترسالها لاستكمال اعتداءاتها الاجرامية ضد الحضارة العربية وضد سكان القدس العرب وضد المقدسات الاسلامية .

ثامنا : **اجلاء السكان العرب عن الاراضي والعقارات المصادرة بالقوة** : وهذا فصل آخر من مؤامرات السلطات الاسرائيلية ضد القدس واهلها وسكانها العرب يكشف عن ناحية من مأساة اهلنا وما يتعرضون له من اجلاء عن مساكنهم واماكن عملهم تمهيدا لاجلائهم عن مدينتهم ، خلافا للمادة (٤٩) من اتفاقية جنيف بشأن حماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة ١٩٤٩/٨/١٢ وتحديا لقرارات هيئة الامم ومجلس الامن الدولي المتعاقبة حول مدينة القدس .

فقد بادرت سلطات الاحتلال في اعقاب اصدارها لاوامر المصادرة واستملاك للاراضي وللعقارات العربية ، بادرت باصدار انذارات تدعوهم بموجبها للتفاوض على تعويض لما يملكون ، كما كانت في نفس الوقت ترسل انذارات اخرى لسكان تلك العقارات او العاملين فيها او الذين يستغلونها — ان كانت اراضي — تطلب منهم التفاوض على الاخلاء خلال مدة معينة ، وكانت في الحالتين ، تنذر الفريقين باتخاذ الاجراءات القانونية في حالة التخلف .

ولقد عارض المهددون بالاخلاء من عرب القدس كما عارض أصحاب العقارات ومعظمهم من سلالات عرب القدس لاجيال تمتد بعضها لثمانية قرون وبعضها لاكثر من اثني عشر قرنا ، عارضوا هذه الاجراءات ورفضوا التخلي عن أملاكهم او مساكنهم او محلات عملهم او الاراضي التي يعيشون من زراعتها وارسلوا للسلطات المحتلة بمذكرات خطية استنكروا فيها هذه الاجراءات واعلنوا عن معارضتهم لها ، كما ارسلوا نسخا منها في حينها للهيئات الدولية ، واعلنوا ان هذه العقارات والاراضي ، هي جزء من وطنهم ، وان التفريط فيه خيانة ، وانهم يرفضون أية مساومة كما يرفضون التخلية .

ولقد رفعت الحكومة الاردنية الشكوى تلو الشكوى في المحافل الدولية ضد هذه الاعتداءات وصدر عن مجلس الامن الدولي القرار تلو القرار وكلها تعتبر هذه الاجراءات باطلة وغير قانونية وتطالب سلطات الاحتلال الاسرائيلية بالغائها والتوقف عن الاستمرار بها .

ورغم كل ذلك ، فقد واصلت تلك السلطات اخلاء هذه العقارات والاراضي بالقوة ، **وتمكنت حتى اليوم من اجلاء ما يقارب من خمسة الاف عربي من مساكنهم واماكن عملهم داخل الاسوار ، وما يقرب من الف من السكان خارج الاسواق ، وحرمت لا أقل من**

ألف آخر من العمل في عمليات الزراعة في الاراضي المصادرة خارج الاسوار ويعيلون لا أقل من خمسة الاف شخص ، وهي بالاضافة الى ذلك جادة ، كما نشرت صحف القدس مؤخرا ، في ملاحقة الباقين منهم ويقدرون بحوالي الالف بالجلاء وبالتشرد .

ولم تقف هذه السلطات المغتصبة عند هذا الحد ، فقد كشفت لنا صحفهم مؤخرا عن مؤامرة جديدة تستهدف اجلاء حوالي ثمانية عشر الفا من سكان الاحياء العربية داخل أسوار المدينة وخاصة الملاصقة والمجاورة لمنطقة الحرم الشريف من الجهتين الغربية والشمالية ، فقد اوردت جريدة دافار الاسرائيلية اليومية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٦/٢٥ تفاصيل هذه المؤامرة التي تقرر تنفيذها هذا العام وتتضمن ما يلي :

(أ) القيام بحملة اعلامية محلية وخارجية تزعم ان المستوى الصحي للعقارات العربية الواقعة في احياء الواد والسعديه وباب حطه والقرمي ، هي دون المستوى الصحي المطلوب وان معظم العقارات القائمة فيها هي بحالة غير صالحة للسكن .

(ب) توجيه انذارات من بلدية الاحتلال لسكان هذه الاحياء ويقدرون بثمانية عشر الفا ، لتخلية اماكن سكناهم وعملهم من هذه الاحياء .

(ج) بناء ٧٥٠ وحدة سكن على بعض الاراضي المصادرة شرقي قرية العيزرية ونقلهم اليها .

(د) وقد باشرت بلدية الاحتلال الاسرائيلية بتنفيذ هذه المؤامرة وذلك بارسالها انذارات لقسم من سكان حي القرمي ، يبلغ عددهم حوالي (٣٠٠) تنذرهم فيها باخلاء مساكنهم خلال مدة محددة وان لم يستجيبوا فستنقلهم بالقوة كما فعلت مع الآلاف السابقين من اخوانهم .

ان عقارات هذه الاحياء العربية التي تضلل أجهزة السلطة المحتلة الاسرائيلية بعدم لياقتها السكنية والصحية ، هي بعكس ما يدعون ، فجميعها متصلة بالمجاري العامة، والغالبية الكبرى منها مزودة بالمياه وبالكهرباء ، وفي كل منها أكثر من مرحاض وحمام ، واكثر من ٨٠٪ منها جرت عليه صيانات وهو بحالة جيدة وحوالي ١٠٪ أعيد بناؤه والقليل القليل ربما يحتاج الى بعض الصيانة ، وليس الهدم ، وليس هدم الكل كما يريد يعقوب وآل يعقوب ، فكل عقار من هذه العقارات ، هو جزء من التاريخ العربي والاسلامي من المدينة المقدسة ، **وهي جزء من أروع الابنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى ، وان اتلاف مثل هذه الابنية يعتبر جريمة كبرى** — كما وصفتها الدكتورة كاترين كنيون ، استاذة علم الآثار في جامعة أوكسفورد ورئيسة مدرسة الآثار البريطانية في القدس في رسالة لها نشرت في جريدة التايمس اللندنية بتاريخ ١٩٧٢/٨/١٧ والتي اشرت اليها سابقا .

تاسعا : **الاستيطان الاسرائيلي على الاراضي والاحياء العربية المصادرة في القدس وما حولها** : « تهدف الى جعل القدس مدينة يهودية » وهذا ما أعلنه وزير الاسكان الاسرائيلي في مؤتمر صحفي عقده في القدس يوم ١٩٧١/٢/١٥ وكشف فيه النقاب عن مؤامرة الاستيطان التي باشروها منذ ١٩٦٨ خارج اسوار القدس وداخلها وما حولها وتستهدف بناء (٣٥) وحدة سكن وتتسع لاسكان (١٢٢) الف اسرائيلي جديد كمرحلة اولى .

ولقد نفذت سلطات اسرائيل رغم الاحتجاجات والشكاوى العربية المتواصلة ورغم القرارات الدولية المتعاقبة بادانة اسرائيل ومطالبتها بالتوقف ، نفذت سلطات اسرائيل

هذا البرنامج خلال السنوات الست الماضية، وتم لها أنشاء ستة عشر حيا أو مستعمرة جديدة على انقاض ما هدم من أحياء وقرى عربية ، وعلى ما صودر او اغتصب من اراض عربية داخل أسوار المدينة وخارجها وحول المنطقة التنظيمية منها ، مطوقة من تبقى من عرب القدس ضمن قلاع من الابنية السكنية والصناعية والعسكرية وحصرهم في منطقة ضيقة ، مهددون باستمرار في امنهم وما تبقى من مصادر رزقهم وممتلكاتهم ومقدساتهم .

وتضم هذه الاحياء منطقتين صناعيتين ، وواحدة عسكرية ، واخرى جامعية واثنتي عشر وحدة سكنية منها واحدة داخل السور فوق انقاض اربعة احياء عربية أعدت لتضم خمسة آلاف اسرائيلي كبديل للستة الاف عربي الذين كانوا يسكنونها .

ومؤخرا نقلت لنا جريدة الشعب التي تصدر بالقدس في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ مخططا لمؤامرة استيطانية اسرائيلية جديدة ، منقولة عن جريدة جروسالم بوست الاسرائيلية ، كشفت لنا فيه النقاب عن مشروع بناء واسكان تكميلي للستة عشر حيا السابقة ـ يستهدف انشاء مساكن لاستيعاب اربعين الف اسرائيلي آخرين ، ضمن عدد من الاحياء يراعى في انشائها ان تسد الاطواق من الابنية القلاعية السكنية التي تم بناؤها ، كما يستهدف بناء مدينة صناعية في الخان الاحمر ، تتسع لاسكان ماية الف من العمال وعائلاتهم .

عاشرا : **تهويد القضاء النظامي والاسلامي** : على اثر الاحتلال الاسرائيلي للقدس في ١٩٦٧/٦/٧ ، اغلقت سلطات الاحتلال الاسرائيلي جميع المحاكم النظامية في المدينة، واتخذت الاجراءات التهويدية التالية : (أ) نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس الى مدينة رام الله ، (ب) ادمجت محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الاسرائيلية المماثلة والقائمة بالطرف المحتل سابقا من المدينة ، ونقلت اليها جميع سجلاتها واثاثها، (ج) طلبت من القضاة والموظفين العرب تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الاسرائيلية، (د) فصلت القضاء النظامي القائم بالقدس عن شؤون الضفة الغربية والحقته كليا بالقضاء الاسرائيلي .

اعتبر الجهاز القضائي العربي هذه الاجراءات تأكيدا لتهويد القدس ، فرفضها رجال الجهاز وامتنع عن التعامل والعمل مع سلطات الاحتلال (باستثنا ءأربعة) وما زالت الغالبية العظمى منهم ممتنعة عن مثل هذا التعاون ، مجمدة نفسها ، كل في منطقته ، حتى كتابة هذه المذكرة .

وقد شارك المحامون في القدس وفي الضفة الغربية ، والاسرة القضائية العربية برفض التعاون ورفض الظهور امام المحاكم الاسرائيلية ، النظامية منها والعسكرية معلنين تضامنهم مع اخوانهم القضاة العرب في رفض الاعتراف بضم القدس لاسرائيل ، وفصل قضائها عن قضاء الضفة الغربية ، وأكدوا هذا الرفض في عدد من المذكرات والوثائق رفعت للمقامات الدولية والسلطات المحتلة نفسها ، وما زالوا حتى اليوم يمتنعون عن الظهور والترافع أمام المحاكم الاسرائيلية .

أما المحاكم الشرعية الاسلامية ، فقد تغاضت سلطات الاحتلال في بادىء الامر عن اغلاقها ، وحاولت استمالة قضاتها وموظفيها تحت عوامل الاغراء اولا ، ثم الضغط والتهديد فيما بعد ، للالتحاق بأجهزتها . ولما لم تنجح في ذلك ، بادرت الى نفي رئيس المحكمة الشرعية الاسلامية ، سماحة الشيخ عبد الحميد السائح من القدس لعمان مؤملة من وراء ذلك اخضاع الباقين من رجال القضاء والشرع الاسلامي الى ادارتها.

أستمر قضاة الشرع الاسلامي في القدس في رفض التعاون مع السلطات المحتلة وتضامن معهم جميع قضاة الشرع ، وأجهزة المحاكم الشرعية ، ودوائر الاوقاف في الضفة الغربية ، وما زالوا جميعا متمسكين بهذا الرفض حتى كتابة هذ هالمذكرة .

وكان من نتيجة هذا الموقف ، ان اوعزت سلطات الاحتلال الى اجهزة الاحتـلال بعدم تنفيذ اي حكم او قرار للمحاكم الاسلامية ، كما تجاهلت كليا اية شكاية ترفعها اليها دوائر الاوقاف او رئيس الهيئة الاسلامية التي تألفت بعد الاحتلال في القدس لترعى شؤون المسلمين في الضفة الغربية بما فيها القدس . وقد شمل هذا التجاهل لقرارات وأعمال المحاكم الاسلامية عدم الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق والارث والوصاية والوقف وغيرها مما له علاقة يومية بالاحوال الشخصية للسكان ، بما في ذلك اية ولادة جديدة تنشأ عن زواج جديد الامر الذي خلق التعقيدات المتتالية للقضاة الشرعيين وللاوقاف وللسكان المسلمين . ورغم كل هذه المتاعب ، فقد تحمل الجميع ما كتب عليهم بصبر وهدوء أقلقا السلطات المحتلة واضطراها مؤخرا الى اتخاذ اجراء معاكس تأمل من ورائه خلق جو من البلبلة والانقسام بين المسلمين ، وذلك بتعيينها قاضيا شرعيا ليافا على ان يكون مسؤولا ايضا عن القضاء الاسلامي في القدس ، والطلب من السكان مراجعته واعتماده في كل ما يتعلق بشؤونهم الدينية . وقد رفض مسلمو القدس الاعتراف بهذا التعيين ، ورفضوا التعامل مع القاضي الجديد ، معتبرين اياه غير مؤهل للقضاء الاسلامي ، طالما كان يمارس عمله عن طريق الولاء لحكومـة اسرائيل ، فضلا عن اعتباره ، بقبوله ذلك ، معترفا بضم القدس ، وهذا ما ينكرونه ويقاومونه .

حادي عشر : **تهويد التعليم العربي** : ولم تهمل سلطات الاحتلال الاسرائيلي قضية التعليم من مخططاتها التهويدية ، فقد سارعت منذ ايام الاحتلال الاولى ، ووضعت أيديها على جميع المدارس الحكومية ومكاتب مدير التعليم الاردني في المدينة واعلنت عن اختصاصها باخضاع التعليم في جميع المدارس الحكومية ، لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس العربية في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، كما أعلنت في الوقت ذاته عن الغائها لبرامج التعليم الاردنية ولجميع الكتب المدرسية الخاصة بها ، وطلبت من مدير التعليم الاردني العربي وموظفي مكتبه ، وجميع مديرات ومديري ومعلمات ومعلمي مدارس القدس الاردنية العربية ، الالتحاق بأجهزة التعليم الاســرائيلية الخاضعة لوزارة التربية والتعليم ولبلدية القسم المحتل سابقا من المدينة .

وقد رفض مدير التربية والتعليم ومساعدوه وجميع موظفي مكتبه والجهاز التعليمي مبدئيا التعاون ، كما رفضوا الانضمام الى أجهزة السلطات المحتلة رغم الاغراءات المالية التي عرضت عليهم ، وكانت حجتهم في ذلك ، انهم يرون في تنفيذ وتطبيق برامج التعليم الاسرائيلية ، التفسير بقبولهم لعملية ضم القدس لاسرائيل ، وهو ما يرفضونه الى ان يلغى هذا الضم . وكان رد سلطات الاحتلال على هذا الموقف ، اصدار الاوامر باعتقال مدير التعليم ومساعده ، وسجن كل منهما مدة ثلاثة اشهر ، ثم اصدار سلسلة من الاوامر لفتح المدارس في الاوقات المحددة لها ، والمباشرة بالضغط على أجهزة التعليم واولياء أمر الطلاب بشتى الطرق ، للتعاون ولاستئناف السنة الدراسية .

وكان في القدس اثناء الاحتلال الاسرائيلي (٣٠) مدرسة حكومية عربية منها (١٨) للذكور ، و (١٢) للاناث ، بالاضافة الى (١٤) مدرسة طائفية وأهلية وكان يدرس فيها حوالي (١٥) الفا من الطالبات والطلاب .

فتحت المدارس الحكومية بالقوة ، والتحق بها بعض المعلمات والمعلمين لكن قسما

كبيرا منهم امتنع وما زال ممتنعا . أما المدارس الطائفية والاهلية فقد أوقفت لفترة ، ثم ما لبثت ان واصلت التدريس، بعد ان تراءى لها امكانية الاستمرار بتدريس برامجها الخاصة . وقد اغتنم عرب القدس فرصة افتتاح باب التعليم في المدارس الطائفية والاهلية فحولوا قسما كبيرا من الطالبات والطلاب اليها بعد ان تفاهموا مع ادارتها لتوسيعها ، وافساح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن فيها ، وقد ادت هذه الاجراءات الى تخفيض اعداد الطلاب العرب في المدارس الحكومية وخاصة الثانوية منها ، بشكل أقلق السلطات المحتلة ، ودفعها الى اصدار قانون جديد اسمته (قانون الاشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩) . نشر في مجلة القوانين الاسرائيلية العدد رقم ٥٦٤ الصادر بتاريخ ١٧ تموز ١٩٦٩ ، وتقرر العمل به اعتبارا من ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٧٠ .

والقانون في اجماله ، حلقة جديدة من حلقات التهويد الاسرائيلي للقدس . ويستهدف الاشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والاهلية ويفرض على جميع المدارس والجهاز التعليمي فيها ، الحصول على تراخيص اسرائيلية تجيز لهم ولها الاستمرار بممارسة المهنة ، كما يفرض عليهم الاشراف الاسرائيلي الكامل بالنسبة لبرامج التعليم وبالنسبة لمصادر التمويل .

وبرامج التعليم الاسرائيلي ، كما حللها رجال التربية العرب ، تستبعد كل ما ينمي روح القومية العربية ، وتستدرج الطلاب العرب ، وبخاصة الجيل الجديد منهم ، الى الابتعاد عن ثقافتهم وقيمهم العربية ، بحيث تزول في النهاية شخصيتهم وهويتهم الاصلية ، وينصهرون كليا في بوتقة الشخصية اليهودية والدولة الاسرائيلية .

ثاني عشر : **تهويد الانسان العربي** : وفي ١٩٦٨/٨/٢٣ أصدرت سلطات اسرائيل قانونا جديدا ، لتطبيقه على عرب القدس ، أسمته ، « قانون التنظيمات القانونية والادارية لسنة ١٩٦٨ » .

لقد اوضحت في فترات سابقة ، اجراءات سلطات اسرائيل المحتلة المتمثلة في عمليات تهويد القدس سياسيا ، واداريا وجغرافيا ، واقتصاديا ، وتعليميا . ويأتي مشروع القانون الجديد ليستكمل الفجوات الاخرى ، ويسعى لتهويد السكان العرب من مهنيين واصحاب حرف ومختلف اوجه النشاط العربي في المدينة ، ويضفي على هذه الاجراءات الصفة القانونية .

ويفرض هذا القانون على عرب القدس ما يلي :

أ ـــ ان يحصل كل عربي ، سواء كان صاحب عمل او مهنة ، وكان يمارس عمله او مهنته بموجب رخصة او اجازة حسب القوانين الاردنية ، ان يحصل على رخصة جديدة وبموجب القوانين الاسرائيلية خلال ستة أشهر انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ ، وتضم هذه الفئات ما يقارب الخمسة آلاف ، بين اصحاب العمل واصحاب المهن والحرف .

ب ـــ كل شركة عربية ، سواء أكانت خاصة أم عادية أم محدودة ، قائمة في القدس، ومسجلة بموجب القوانين الاردنية ، عليها ان تعيد تسجيل نفسها لدى المحاكم الاسرائيلية وبموجب القوانين الاسرائيلية المرعية ، وحسبما تقتضيه المصالح الاسرائيلية ، وان تقوم بذلك خلال مدة كانت محددة حتى ١٩٦٩/٢/٢٢ ، ثم مددت لثلاثة أشهر اخرى بحيث انتهت في ١٩٦٩/٥/٢٢ . وتشمل هذه العملية حوالي (١٨٠) شركة يبلغ رأس مالها المدفوع حوالي خمسة ملايين دينار ويبلغ عدد مساهميها حوالي اربعة آلاف ، كما يبلغ عدد موظفيها وعمالها حوالي اربعة آلاف آخرين .

جـ ـــ كل جمعية تعاونية عربية ، قائمة في القدس ومسجلة بموجب القوانين الاردنية عليها ان تعيد تسجيل نفسها لدى السلطات الاسرائيلية وبموجب القوانين والانظمة

الاسرائيلية ، خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ ، ويبلغ عدد الجمعيات التي يشملها هذا القانون (٢٣) جمعية ، وتضم تحت لوائها (١٥١٨) عضواً .

د — كل طبيب او مهندس او مدقق حسابات عربي ما زال يمارس مهنته في القدس بموجب القوانين الاردنية ، عليه ان يتقدم بطلب الى السلطات الاسرائيلية ليحصل على اجازة تتيح له الاستمرار بمهنته وبموجب القوانين والانظمة الاسرائيلية ، وذلك خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ . ويبلغ عدد هذه الفئات من اخواننا عرب القدس حوالي الثمانين .

هـ — كل محام عربي يتعاطى المحاماة في القدس بموجب القوانين والانظمة الاردنية وما زال مقيما في المدينة عليه ان يسجل اسمه في نقابة المحامين الاسرائيلية ، بموجب أمر يصدره وزير العدل الاسرائيلي ، وينشره في الجريدة الرسمية ، دون طلب من المحامي نفسه ، وذلك خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ . ويبلغ عدد المحامين العرب في القدس حاليا حوالي الثلاثين محاميا .

و — كل صاحب امتياز او علامة تجارية او اختراع كان مسجلا لدى الحكومة الاردنية وما زال يستغل امتيازه او اختراعه او علامته التجارية في القدس ، عليه ان يعيد تسجيل امتيازه او علامته التجارية او اختراعه لدى السلطات الاسرائيلية وبموجب القوانين والانظمة والتعليمات الاسرائيلية ، وذلك خلال مدة انتهت في ٢٢/ ١٩٦٩/٢ .

ز — أي فئة من الفئات المشمولة ما بين ا — و آنفا ، لم تحصل على ترخيص جديد بموجب القوانين والانظمة الاسرائيلية ، تعتبر مخالفة للقوانين والانظمة الاسرائيلية ، ويتعرض أصحابها للعقوبات والغرامات التي تنص عليها القوانين والانظمةالاسرائيلية . وفي حالة الاستمرار بالمخالفات يمنعون من تعاطي أعمالهم ، وبالتالي يتعرضون لتجميد أنفسهم والحيلولة دون كسب موارد رزقهم التي يعيشون منها ، الامر الذي سيضطرهم فيما بعد اما الى القبول بالتسجيل او النزوح والتشرد .

ح — ويضم هذا القانون مواد بشأن الاملاك اليهودية القائمة في القسم الغربي من المدينة ، تسمح بعودتها لاصحابها او ورثتهم من اليهود الذين كانوا يقيمون في القسم العربي ، بينما لا تسمح هذه المواد او غيرها للعرب المقيمين في القسم العربي ، من استعادة املاكهم في القسم الذي كانت تحتله اسرائيل قبل ١٩٦٧/٦/٥ ، وفي هذا منتهى التمييز في المعاملة .

ط — رفض عرب القدس هذا القانون ، وامتنعوا عن التقدم بطلبات للحصول على اية رخصة او اعادة تسجيل اية شركة ، مما اضطر سلطات اسرائيل لاصدار ملاحق للقانون ، تمنح اصحاب الاختصاص من وزرائهم ، التفويض الكامل بتجديد رخص جميع اصحاب المهن والحرف العرب الموجودين في المدينة تجديدا تلقائيا ، وكذلك اعتبار جميع الشركات والجمعيات التعاونية واصحاب العلامات التجارية ، مسجلين بموجب الانظمة والقوانين الاسرائيلية .

ثالث عشر : **احراق المسجد الاقصى واستمرار الاعتداءات على الاماكن الدينية الاسلامية في القدس** : ولم يكن حريق المسجد الاقصى المبارك الذي حصل في ١٩٦٩/٨/٢١ الا حلقة من سلسلة حلقات المخطط الاسرائيلي لتهويد القدس ، وهو يهدف الى القضاء على هذا المكان الاسلامي المقدس ، والقضاء ايضا على مسجد الصخرة المشرفة المجاور ، والى الاستيلاء على الحرم القدسي بكامله ، والى تشييد هيكل اسرائيلي كبير على انقاضهما ، والى مجابهة العالم فيما بعد بالامر الواقع .

وكانت سلطات اسرائيل قد مهدت لهذا الحريق بعدد من الاجراءات والتحريضات ومنها : أ ــ استملاكات ومصادرات وهدم ونسف العقارات الوقفية الملاصقة للمسجد الاقصى من الغرب والجنوب . ب ــ احتلال باب المغاربة ، احد أبواب الحرم الشريف الملاصق للمسجد الاقصى من الغرب ، واقامة مركز عسكري اسرائيلي فيه ، واباحة الدخول اليه من قبل جميع الزوار الاسرائيليين دون رقابة موظفي الوقف الاسلامي عليهم . جـ ــ اقامة مظاهرات وصلوات يهودية داخل ساحات الحرم الشريف من قبل رجال الجيش الاسرائيلي ومنظمات اسرائيلية متطرفة وهيئات دينية . د ــ اجراء حفريات عميقة خلفه . هـ ــ تصريح لوزير الاديان الاسرائيلي زيراح فيرهافتيغ بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٢ في مؤتمر ديني يهودي عقد في القدس جاء فيه : « ان تحرير القدس قد وضع جميع المقدسات المسيحية، وقسما من المقدسات الاسلامية تحت سلطةاسرائيل، واعاد الى اليهود جميع كنسهم فيها ، لكن لاسرائيل مقدسات اخرى في شرقي الاردن ، وفي الحرم القدسي الشريف ، وهذا الاخير هو قدس الاقداس بالنسبة لليهود » . و ــ تصريح لبن غوريون ، اول رئيس وزارة لاسرائيل ، قال فيه : « لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » ويعني موقع الحرم الشريف .

حاولت سلطات اسرائيل ، في بادىء الامر ، الصاق تهمة الحريق بشركة كهرباء القدس ، الا ان مبادرة الشركة بارسال مهندسيها وبقطع التيار الكهربائي عن الموقع فور كشف الحريق ، والقيام باجراء تحقيق فني بسرعة ، والاعلان عن سلامة الشبكة الكهربائية الموزعة والموصلة ، ونفي وجود أي علاقة بين الكهرباء والحريق ، فوتت على تلك السلطات محاولة الصاق تهمة الحريق بها، وقد أقلقها هذا ودفعها الى الصاق التهمة بشاب استرالي ، وجعلت من قضيته ، قضية تشابه المتهم بمصرع قاتل الرئيس كنيدي ، فألفت له محكمة صورية ، ولفقت ادلة جنونية ، وانتهت الرواية بوضع المتهم في مستشفى للامراض العقلية لفترة من الزمن ، ثم أخلت بعد ذلك سبيله واعلنت عن عودته لاستراليا .

ولقد اعلن رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس سماحة الشيخ حلمي المحتسب ، في مؤتمر صحفي عقده في القدس بعد اطفاء الحريق جاء فيه ما يلي : أ ــ ان الحريق مفتعل ، وغير طبيعي ، وليس من جراء التيار الكهربائي . ب ــ ان مياه البلدية لدى سلطات الاحتلال الاسرائيلي قد قطعت عن منطقة الحرم الشريف فور ظهور الحريق . حـ ــ ان سيارات الاطفائية التابعة لبلدية سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، قد تأخر وصولها ومباشرتها عملية الاطفاء . د ــ ان الذي ساهم وساعد على اخماد الحريق اطفائيات بلديتي رام الله والخليل .

ولقد كشف المهندسون العرب الذين انتدبتهم الهيئة الاسلامية في القدس ، ان الحريق قد شب في موقعين وليس في موضع واحد ، وكان الاول عند منبر نور الدين الفني والتاريخي فأتى عليه برمته ، وكان الثاني عند السطح الشرقي الجنوبي للمسجد فأتى على سقف ثلاثة اروقة وعلى جزء كبير من هذا القسم من المسجد .

ولئن سلم القسم الاكبر من المسجد من هذا الحريق ، فان الخوف عليه من أي اعتداء اسرائيلي ما زال قائما طالما هو والقدس والديار المقدسة في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

هذا فيما يتعلق بالحريق ، واما ما يتعلق باعتداءات السلطات والهيئات الدينية والافراد الاسرائيليين على الاماكن الدينية الاسلامية في القدس ، فانها لم تنقطع واذكر فيما يلي ابرزها : أ ــ استمرار احتفاظ سلطات الجيش الاسرائيلي بمفاتيح باب

المغاربة ، أحد ابواب الحرم الشريف واقرب باب للمسجد الاقصى واستمرار اباحتهم للزوار الاسرائيليين بالدخول منه للحرم الشريف دون رقابة اسلامية . ب — استمرار اقامة مظاهرات وصلوات دينية يهودية في ساحات الحرم الشريف وامام مـــداخل المسجدين الاقصى المبارك والصخرة المشرفة والتحريض على ازالتهما وطمس معالمهما، جـ — التمهيد لوضع اليد الاسرائيلية على مقبرتي باب الرحمة واليوسفية الملاصقتين للحرم القدسي الشريف من الجهة الشرقية وضمهما لمنتزه اسرائيل الوطني .

وقد مهد لذلك على مرحلتين :

الاولى : اقرار لجنة التنظيم المركزية الاسرائيلية لتخطيط منطقة القدس في ١٩/٨/١٩٧٠ على مخطط تصميم للبلدة القديمة بالقدس ولضواحيها ، ومصادقتها على خطة المنتزه حول اسوار المدينة ويسمونه بالمنتزه الوطني الاسرائيلي .

والثانية : اصدار وزير الداخلية الاسرائيلي امرا نشر في جريدة القدس بتـاريخ ٦/٣/١٩٧٤ ، اعتبر بموجبه المنطقة المحيطة بسور البلدة القديمة من القدس ، حديقة عــامة .

والمقبرتان المشمولتان بهذه المؤامرة الجديدة ، هما أقدم المقابر الاسلامية في القدس، وتعتبران جزءا حيا من تاريخ الاسلام بالقدس ، وذلك بما تضمانه من كبار رجال الفتح الاسلامي والمجاهدين الاوائل ورجال الحكم والقضاء والعلم على مدى اجيال ، وفي مقدمتهم الصحابيان الجليلان عباده بن الصامت البدري المتوفي سنة ٦٥٣ م وشداد بن اوس الانصاري المتوفي سنة ٦٧٧ م . وبالاضافة الى الاهمية التاريخية ، فان مجرد ملاصقتهما للحرم الشريف شرقا ، ووضع اليد الاسرائيلية عليهما ، يزيد من تطويق الحرم بالحفريات جنوبا وغربا ، ويعرض الحرم بكامله لاخطار مقلقة .

رابع عشر : **الاعتداءات على الاماكن المسيحية الدينية والمقدسة** : تميزت الاعتداءات الاسرائيلية على الاماكن المسيحية الدينية والمقدســة وعلى الطوائف المسيحيـــة بالاتجاهات التالية :

الاول : الازعاج والتحقير للمقدسات . **والثاني** : الضغوط الشديدة المتوالية على رجالات الطوائف المسيحية الكبيرة لاجبارها على التنازل عن مساحات من اراضيها وعقاراتها في القدس سواء بالبيع المباشر او الاجارة الطويلة الاجل. **والثالث** : الارهاب لرجال الدين والافراد وحمل الكثيرين منهم على النزوح .

ا — فعلى صعيد الازعاج والتحقير للمقدسات فقد تعرضت كنيسة القيامة ، وهي اكبر واقدم كنيسة مسيحية في القدس وفي العالم ، تعرضت خلال السنوات السـبع الاخيرة للحوادث التالية : ١ — سرق تاج السيدة العذراء في اواخر سنة ١٩٦٧ من قبل بعض الاسرائيليين . ٢ — تحطيم قناديل الزيت والشموع التي فوق القبر المقدس في مدخل الكنيسة بتاريخ ٢٤/٣/١٩٧١ من قبل اسرائيلي أمريكي . ٣ — محاولة سرقة أكليل مرصع بالماس قائم قرب صليب الجلجلة داخل كنيسة القيامة من قبل ثلاثــة اسرائيليين ليلا واعتدائهم على راهب فرنسسكاني والتسبب في الحاق اضرار بالغة فيه . وتعرض دير الاقباط ليلة عيد الميلاد المجيد في ٢٥/١٢/١٩٧٠ الى اعتداء على ممتلكاته ورهبانه من قبل عدد كبير من رجال البوليس الاسرائيلي . وأحرق موتورون من الاسرائيليين المتعصبين في ٦/٢/١٩٧٣ المركز الدولي للكتاب المقدس على جبـل الزيتون . كما احرقت اربع مراكز مسيحية في القدس في ١١/٢/١٩٧٤ .

ب — وعلى صعيد استملاك الاديرة المسيحية ، فقد خسرت المسيحية في القدس

وهي التي كانت طيلة الاجيال السابقة ، تسعى لضم المزيد لاملاكها في المدينة المقدسة ، فقدت بفعل الضغوط الشديدة والمتواصلة على رجالها ، المواقع الهامة التالية :

١ ـ اراضي احياء المصلبه والقطمون وكرم الرهبان الواقع بين محطة سكة الحديد وفندق الملك داوود بالقدس ، وتضم مساحات واسعة من اراضي غرب القدس وكلها أجرتها بطركية الروم الارثوذكس للسلطات الاسرائيلية ، كما علمت ، لمدة ٩٩ سنة ، وقد اقيمت على هذه الاراضي احياء يهودية متعددة .

٢ ـ مدرسة شنلر الالمانية والمعروفة باسم مدرسة الايتام السورية، ومعها مساحة واسعة من الارض وعدد كبير من الابنية وتقع شمال القدس ، كانت تملكها جمعية خيرية المانية ، اضطرت لبيعها لسلطات الاحتلال الاسرائيلية تحت التهديد .

٣ ـ اراض وأبنية الكنيسة الروسية البيضاء والمعروفة (بالمسكوبية) وتقع في وسط القدس وتضم مساحة واسعة من الارض وعددا من العمارات الضخمة والتي منها المستشفى الحكومي وعمارات المحاكم النظامية وقيادة البوليس والسجن المركزي، وجميعها تنازلت عنها الكنيسة الروسية البيضاء للسلطات الاسرائيلية تحت التهديد .

٤ ـ اراض وعقارات متعددة ومن بينها عمارة فندق فاست في وسط القدس ،

جـ ـ وعلى صعيد الارهاب لرجال الدين المسيحي والافراد فقد تعرض الكثيرون منهم ، داخل الكنائس والاديرة وفي فترات متعددة ، وكان أبرز هذه الاعتداءات التالية :

١ ـ الاعتداء بالضرب الشديد على المطران فاسيلوس ، الرجل الثاني في البطركية الارثوذكسية للروم بالقدس ، من قبل اسرائيليين يوم ١٩٧٣/٢/٦ .

٢ ـ الاعتداء على رهبان دير الاقباط بالضرب ليلة عيد الميلاد المجيد في ١٢/٢٥/ ١٩٧٠ من قبل فوج من رجال البوليس الاسرائيلي .

٣ ـ تضييق الخناق على الافراد المسيحيين بالقدس مما اضطر الآلاف منهم للخروج كما يتبين من الكشف التالي :

الطائفة	عدد أفرادها قبل الاحتلال سنة ١٩٦٧	عدد افرادها الان
الروم الارثوذكس	٥٠٠٠	٤٥٠٠
الكاثوليك	٧٠٠٠	٤٠٠٠
الارمن	٣٠٠٠	٢٠٠٠
الطوائف الاخرى	٣٣٠٠	٢٣٦٠
	١٨٣٠٠	١٢٨٦٠

ولقد اثارت هذه الاعتداءات والنتائج كبار رجال الدين المسيحي وفي مقدمتهم القاصد الرسولي في القدس رئيس الاساقفة لاغي الذي صرح ان نزوح السكان المسيحيين العرب من القدس ، سيؤدي الى نزوح المسيحية فيها معهم . وقال رئيس اساقفة الاسكا الكاثوليكي الاميركي جوزيف ريان ، عند زيارته القدس سنة ١٩٧٢ ، انه اذا استمر نزوح هؤلاء المسيحيين العرب من القدس فلن يبق فيها سوى المطارنة والقسيسون يقيمون ضمن كنائس تاريخية تتحول مع الزمن الى متاحف .

وفي بيان نشره نفس رئيس الاساقفة ريان عقب زيارته للقدس ، ووزعه على جميع مطارنة الكاثوليك في الولايات المتحدة الاميركية ، ناشدهم فيه ان يهبوا مجتمعين ويناشدوا حكومتهم التي تملك القوة والتأثير على اسرائيل ، ان تضغط عليها لايقاف الاعتداءات الاجرامية المتواصلة على القدس وعلى سكانها العرب وخاصة على المقدسات المسيحية .

خامس عشر : **نقل مراكز الخدمات الصحية العربية من القدس الى رام الله .**

وفي اوائل آذار ١٩٧٣ وجهت سلطات الاحتلال الاسرائيلي بالقدس ، الى رؤساء وموظفي الخدمات الصحية القائمة في القدس تطلب منهم الانتقال مع اجهزتهم الطبية وسجلاتهم الى رام الله ، وتبعد ستة عشر كيلومترا عن القدس اعتبارا من اول نيسان ١٩٧٣ وتهددهم بالفصل ان تخلفوا .

وتشمل هذه الخدمات المراكز التالية :

أ ــ مديرية الصحة العامة وعددهم ١٦ . ب ــ المختبرات الصحية العامة وعددهم ١٢ . جـ ــ بنك الدم وعددهم ٨ . د ــ مكافحة السل وعددهم ١٠ .

ان هذه المراكز الصحية الانسانية كانت تعمل منذ انشائها ، بعضها استئنافا لعهد الانتداب والحكم الاردني وبعضها منذ اوجدته الحكومة الاردنية ، وكانت هذه المراكز وما تزال تعمل في خدمة عرب القدس بصفة خاصة ومحافظة القدس والضفة الغربية بصورة عامة .

فالمديرية العامة للصحة كانت بالاضافة لاشرافها الصحي على جميع مراكز الصحة في الضفة الغربية تضم مركز عيادة صحي يقدم العلاج لعرب القدس ولسكان اربعة وثلاثين قرية عربية محيطة بها ويقوم هذا المركز ايضا بتسجيل المواليد والوفيات لهذه المجموعة من السكان الذي يربو عددهم على مایة وخمسين الفا ، جميعهم سيصبح مضطرا لحمل آلامه ومتاعبه للانتقال الى رام الله او مراجعة مكاتب الصحة الاسرائيلية في القدس .

والمختبرات الصحية العربية في القدس كان مرجعا اوليا لسكان القدس وقراها مضافا اليهم سكان محافظة الخليل ومناطق بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، والبيره ورام الله واريحا وقراها ايضا ، اي ما يقارب من ثلاثمائة الف عربي فيها ، جميع هؤلاء سيضطرون لتحمل المزيد من التعب والنفقات او الاكراه النفساني واللجوء الى المختبرات الاسرائيلية في القدس .

ومركز مكافحة السل وبنك الدم ، كانا يخدمان عرب الضفة الغربية بأجمعها بما فيهم عرب القدس ، واكثرهم سيضطر لتحمل المزيد من النفقات والتعب في وقت هم احوج فيه لتخفيف الآلام ، اذا ما ولوا وجوههم شطر رام الله وستزداد آلامهم اذا ما اضطروا لمراجعة المراكز الاسرائيلية المماثلة في القدس .

ان هذه الاجراءات ، فضلا عن انها غير انسانية فانها تعتبر تكريسا لعمليات تغيير سياسي في المنطقة وحلقة من حلقات مخطط تهويد مدينة القدس .

ولقد تم حتى اليوم نقل مكاتب مديرية الصحة العامة والمختبرات الصحية ومكافحة السل ، ولم يبق الا بنك الدم ، المتوقع نقله هو الآخر في اية لحظة .

سادس عشر : **اغلاق دائرة الشؤون الاجتماعية العربية بالقدس** : وبتاريخ ١٦/٥/١٩٧٣ ، اضافت سلطات الاحتلال الاسرائيلي اعتداء آخر الى سلسلة اعتداءاتها على القدس وعلى عرب القدس ، وذلك باقدامها على اغلاق دائرة الشؤون الاجتماعية

العربية في المدينة ، وتوزيع اختصاصها بين ثلاثة مكاتب هي : **الاول** : مكتب اسرائيلي مقره القدس وعلى رأسه موظف اسرائيلي ، اناطت به الاشراف على جميع الجمعيات الخيرية العربية القائمة في مدينة القدس ، و**الثاني** : مكتب فرعي ، مقره مدينة رام‌الله، وجعلته تحت رئاسة موظف عربي واناطت به الاشراف على الجمعيات الخيرية الواقعة في رام الله والبيرة وقضاءها ، و **الثالث** : مكتب فرعي آخر ، مقره مدينة اريحا ، وجعلته تحت رئاسة عربي آخر واناطت به الاشراف على الجمعيات الخيرية العربية الواقعة في قضاءي بيت لحم واريحا .

ان هذه الاجراءات هي اجراءات سياسية يقصد بها تمزيق هذه الدوائر العربية الاردنية القائمة بالقدس والحاق جميع الجمعيات الخيرية العربية فيها بدائرة اسرائيلية تابعة للحكم الاسرائيلي المباشر كما يقصد منها ايضا فك ارتباط الجمعيات العربية الاخرى القائمة في الوية رام الله واريحا وبيت لحم من الدائرة العربية الأم القائمة بالقدس ، واخضاعها للحكم العسكري الاسرائيلي المباشر الذي يشرف على ادارة الضفة الغربية حاليا ، وكلتا العمليتين يراد بها تكريس فصل القدس سياسيا عن الضفة الغربية وتكريس ضمها لسلطات الاحتلال الاسرائيلي .

وفي القدس حاليا أكثر من ثلاثين جمعية خيرية قائمة ، شملها التغيير السياسي الجديد ، وستصبح هي وجميع معاهدها العلمية والطبية والخيرية ، خاضعة للقوانين الاسرائيلية وللاشراف الاسرائيلي المباشر . وعلى راس هذه المعاهد ، يأتي مستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية والمستشفى وملجأ العجزة الارثوذكسي ومستشفى الهلال الاحمر ودار الطفل العربي ، والمعهد المهني للجنة اليتيم العربي والمعهد العربي العلمي وعشرات من العيادات والمدارس الاهلية الاخرى .

وتشكل هذه الاجراءات حلقة اخرى من حلقات اعتداءات سلطات الاحتلال الاسرائيلي على حقوق السكان المدنيين العرب في اسرائيل المحتلة خلافا لاتفاقية جنيف وخلافا لقرارات هيئة الامم المتحدة ولقرارات مجلس الامن الدولي والتي جاء في الفقرة الثالثة من آخرها وهو رقم ١٩٧١/٢٩٨ المؤرخ ١٩٧١/٩/٢٥ ما يلي :

الفقرة الثالثة : ان مجلس الامن يؤكد في أوضح عبارات ممكنة ان جميع الاعمال التشريعية والادارية التي اتخذتها اسرائيل بما في ذلك مصادرة الاراضي والممتلكات ونقل السكان ووضع تشريعات تهدف الى ضم القطاع المحتل من القدس ، هي كلها أعمال باطلة ولا يمكن ان تغير ذلك الوضع .

سابع عشر : **ابعاد المواطنين** : كجزء من مخطط اسرائيل لتفريغ الوطن من أصحابه وفي محاولة لاضعاف روح الصمود واخماد المقاومة في الارض المحتلة ، لجأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي الى ابعاد عدد وافر من رجال السياسة وممثلي قطاعات الشعب المختلفة عن بلدانهم الى الضفة الشرقية ومؤخرا الى لبنان بحجة قيامهم بأعمال تخل بأمن قوى الاحتلال بأسلوب تعسفي ارهابي يتنكر لكل المفاهيم الانسانية وتتجلى فيه طبيعة الغزو والقهر ، فقد كان الابعاد يتم بصورة مفاجئة ويبلغ المبعد أمر الابعاد على الجسر او الحدود ، دون ان يعطى أية فرصة للاتصال بعائلته او التزود بشيء من حاجياته الخاصة . ويتبع ذلك طبعا فصل المبعد عن عائلته ، وقطع سبيل العيش عليه. ولقد استرسلت اسرائيل في الابعاد حتى امتد الى صفوف العمال والمدرسين والطلاب فبلغ عدد المبعدين من الضفة الغربية حتى كتابة هذه المذكرة ما ينوف عن الف وخمسماية ، ومن القدس خاصة ما يزيد عن المائة بينهم رئيس الهيئة الاسلامية العليا، وامين القدس ، ووزراء سابقون ، واعيان ونواب واطباء ومحامون ، ومدراء كليات

ومدارس ومعلمون ومزارعون وملاكون وتجار وعمال وطلاب ذكورا واناثا .

وتستهدف اسرائيل من وراء الابعاد تحقيق ما يلي :

١ ــ التخلص من عدد من القادة السياسيين والشعبيين العرب. ٢ ــ اضعاف روح المقاومة عند المواطنين بشكل عام خشية التعرض لاجراءات الابعاد . ٣ ــ تخفيف عبء سلطات الاحتلال ، وذلك بالخلاص من عدد من الناس يشكل بقاؤهم في السجون دون محاكمة أو تهم معينة ، عامل ضغط كبير بالنسبة للرأي العام الداخلي والخارجي.
٤ ــ في حالة التوسع في ممارسة الابعاد ، تكون قدرة السجون على الاستيعاب أكبر.
٥ ــ اضطرار عائلات المبعدين للحاق بهم لاسباب مادية ونفسية قاهرة .

ان سلطات الاحتلال تمارس الابعاد مستندة ، كما تدعي ، الى قانون للدفاع أيام الانتداب البريطاني وان ذلك القانون قد الغي بعد دمج الضفة الغربية في الاردن . وان اجراءاتها تخالف : ١ ــ ميثاق جنيف المادة (٤٩) ، الاتفاقية الرابعة ، واسرائيل من ضمن موقعيها ، وتنص على ان « النقل الاجباري للاشخاص المحميين من اراض محتلة الى اراضي دولة الاحتلال او اية ارض محتلة ا وغير محتلة محظور بغض النظر عن دواعيه » ، ٢ ــ قرار مجلس الامن رقم (٢٣٧) بتاريخ ١٤ حزيران الذي ينص على « ضرورة تفادي الحاق الضرر بالمدنيين واسرى الحرب ، ورعاية حقوق الانسان والتقيد بميثاق جنيف » .

ثامن عشر : **تغيير أسماء الشوارع والطرق والساحات العامة** : وهذه حلقة جديدة من حلقات مخططات سلطات الاحتلال العسكري الصهيوني لتهويد مدينة القدس . وتشمل هذه الحلقة تغيير أسماء الساحات والشوارع والطرق العربية والتاريخية واستبدالها بأخرى يهودية ، كجزء من خطة تستهدف ازالة معالم الحضارة العربية والاسلامية عن المدينة المقدسة . وفيما يلي بعض هذه التغييرات :

الاسم القديم	الاسم الجديد
١ ــ طريق سليمان ــ خارج السور ــ والمعنى بسليمان ــ السلطان سليمان القانوني ــ باني سور القدس . وهي الممتدة من باب العمود حتى ساحة اللنبي غربا .	شارع المظليين
٢ ــ تل الشرفة ــ خارج السور ، وتضم القسم الشرقي من هضبة الشيخ جراح	جبعات همفتـار
٣ ــ باب المغاربة ــ داخل السور (نسبة الى عرب شمال افريقيا) .	رحوب بيتي محسي
٤ ــ طريق الواد ــ داخل السور ، ويمتد من داخل باب العمود حتى ملتقى شارع باب السلسلة .	رحوب هكـاي
٥ ــ حارة الشرف ــ داخل السور	مشـقاف لداخ
٦ ــ سوق الحصر ــ داخل السور	حبـاد
٧ ــ عقبة درويش ــ داخل السور	حبر حييم
٨ ــ عقبة اغنيم ــ داخل السور	شـونية هالكوت
٩ ــ طريق القرير ــ داخل السور	هاحيم
١٠ــ طريق المجاهدين ــ داخل السور	ديرخ شاعر هيرؤت
١١ــ الهضبة الفرنسية او كرم لويز او تل المشارف	حي شابيرا
١٢ــ ساحة باب الخليل	ميدان عودة صهيون
١٣ــ عقبة ابو مدين الغوث الواقعة ما بين حائط البراق والحي اليهودي	عقبة الشاعر يهودا هاليفي

لكل اسم من الاسماء المستبدلة دلالة وتاريخ ، ترتبط كلها في تاريخ العرب والاسلام في المدينة المقدسة ، وان ازالة هذه الاسماء لتعتبر ازالة للدلائل وللتاريخ العربي والاسلامي ، كما تعتبر جريمة واعتداء بالغين على الحضارة وتاريخ القدس .

تاسع عشر : **تنفيذ قانون اسرائيلي للتعويض عن املاك العرب الغائبين في القدس :**

أقر البرلمان الاسرائيلي في حزيران ١٩٧٢ مشروع قانون اسمه « قانون املاك الغائبين الاسرائيلي — تعويض — ١٩٧٢ » . ويدعو القانون عرب القدس ، الحاضر منهم والغائب للتنازل عن املاكهم مقابل تعويضات مالية ، وحدد النظام المنبثق عن هذا القانون ، الاجراءات التي يجب السير بموجبها للنظر في الطلبات المتقدمة ، وبغض النظر عن ضآلة قيمة هذه التعويضات وعن مدة تسديدها التي تمتد ما بين سنة وخمسة عشر سنة ، فان لهذا القانون أبعاده واهدافه السياسية الخطيرة ومن أبرزها ما يلي : أ — حرمان الغائبين من عرب القدس الذين طردتهم سلطات الاحتلال اثناء وبعد قتال ١٩٤٨ و١٩٦٧ وعددهم يزيد على مائة الف ، حرمانهم من حق العودة لمدينتهم . ب — الضغط على أصحاب الاملاك العرب الموجودين حاليا وكذلك وكلاء الغائبين — الضغط على هؤلاء بشتى انواع الارهاب للتنازل عما يملكون في القسم المحتل من القدس بعد حرب ١٩٤٨ . ج — قيام سلطات الاحتلال ، بحملة تضليل في الاوساط الدولية والعالمية تزعم فيها ان عرب القدس قد باعوا ممتلكاتهم الى السلطات الاسرائيلية بمحض ارادتهم . د — ستتخذ سلطات الاحتلال من الاجراءين السابقين وسيلة ماكرة لدعم اجراءاتها في تكريس ضم القدس ، وبالتالي ترسيخ ادعائها بأن القدس عاصمتها . هـ — ستؤدي هذه الاجراءات الى تقليص ملكية العرب في القدس وبالتالي الى تقليص الكيان العربي في القدس . و — يخشى أن يتخذ من هذا القانون سابقة لتطبيقه فيما بعد على باقي المناطق العربية المحتلة من فلسطين . ز — ان يتخذ من هذا القانون ، وسيلة شرعية لتصفية القضية الفلسطينية برمتها .

ولقد صرحت حين صدور القانون « ان عرب القدس ، وهم جزء من عرب فلسطين والامة العربية ، وهم الذين ساهموا في مقاومة وعد بلفور منذ صدوره وحتى زوال الانتداب ، ورفضوا الاعتراف بدولة البغي ، كما رفضوا الاعتراف بعملية ضم القدس، وأبوا الدخول في أية مفاوضات للتنازل عن أملاكهم المصادرة وأعلنوا باستمرار ان وطنهم ليس سلعة للبيع وتحملوا في سبيل ذلك التضحيات تلو التضحيات ، ان هؤلاء الاهل أنفسهم سوف يلقنون العدو ومناصريه درسا جديدا في التضحيات والتمسك بالاوطان ، وسوف يفوتون على سلطات الخديعة والبغي ، هذه الدسيسة الجديدة من مخططات مكرهم واجرامهم ، من ان تنجح .

أما بالنسبة للرأي العام العالمي ، فيكفي الايضاح والاشارة ، بأنه لم يتقدم أحد من أصحاب الاملاك العربية في القدس (وهم الذين صودرت لهم أكثر من الف وتسعمائة عقار وما يزيد على اثنين وعشرين الف دونم في السنوات الاخيرة ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٤ وقد وصلتهم الدعوات الخطية من سلطات الاحتلال الاسرائيلي، تدعوهم فيها لمراجعتهم للتفاوض معهم بشأن تعويضهم عن املاكهم واراضيهم المصادرة ، وهم يعدون بالآلاف وأكثرهم يعيشون عيشة بؤس وحاجة) ، لم يتقدم أحد من عرب القدس لمراجعة سلطات الاحتلال والتفاوض معها للتعويض عما صودر من أملاك وارض عربية لهم ، وذلك على الرغم من الضغوط والاستفزازات والاغراءات المتواصلة التي تعرضوا لها وما زالوا يتعرضون .

هذا ، ومما لا شك فيه ، ان المشروع الانف الذكر ، هو عبارة عن استفزاز وتحد جديدين ، ليس لعرب القدس وحدهم ، وانما للامة العربية جمعاء ، وعبارة عن

استفزاز وتحد للامتين الاسلامية والمسيحية ، وصفعة جديدة لهيئة الامم وللمبادىء الانسانية ، وللسلام العالمي » .

عشرون : **اقرار مشروع تنظيم مدن اسرائيلي جديد للقدس ولضواحيها** : اقرت لجان التنظيم الاسرائيلي بعد دراسة استغرقت ست سنوات ، مشروع تنظيم جديد للقدس وضواحيها ، يستهدف تغيير طابع المدينة الديني والتاريخي الفريد ، الى مدينة عصرية تشابه نيويورك ولوس انجلوس ، وتسلب القدس روحانيتها وعروبتها ، وتحولها الى مدينة يهودية .

ولقد أثار هذا المشروع عواصف من الانتقادات المحلية والعالمية ، واشترك فيهـا كبار مهندسي التنظيم ، ومن بينهم رئيس كلية التخطيط في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الذي طالب بوقف تنفيذ هذا المشروع وهدم جميع ما بني من عمارات متعددة الطبقات على الهضاب المحيطة بالقدس ووصفها بأنها عمل مخز يجب ازالته فورا .

ومن أبرز محتويات هذا المشروع ، انشاء مركز تجاري رئيسي في وسط المدينة ، في مساحة تبلغ (٢٧٠٠) دونم وفي حدود تقع ما بين مقبرة مأمن الله الاسلامية غربا وما بين منطقة المستشفى البلدي في طريق يافا شمالا ، وبين محطة السكة الحديد جنوبا ، وسور القدس وحي وادي الجوز شرقا .

والمناطق التي يشملها المشروع ، تضم الاحياء العربية التالية :

أ ــ حي باب الساهرة ، ويضم شوارع صلاح الدين وبورت سعيد والرشيد وقسما من شارع الملك حسين ، وكلها سكنية وتجارية وسياحية ومدرسية ومكتظة بالسكان. ب ــ حي باب العمود ــ خارج السور ــ ويضم طريق نابلس وقسما من شارع الملك حسين ، وهي معا تشكل قسما آخر من المناطق التجارية والسكنية والمدرسيـة والدينية ، وكلها مكتظة بالسكان . جـ ــ حي الشيخ جراح ، ويضم مناطق سـكنية ومدرسية وسياحية وتجارية وكلها مكتظة بالسكان . د ــ اجزاء من أحياء المصرارة وسعد وسعيد، وهي مناطق سكنية وتجارية وسياحية ومكتظة بالسكان وهذه الاحياء، هي من ضمن المناطق العربية التي تم احتلالها من قبل اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ ، ويسكنها ويعمل فيها أكثر من ثلاثين الف عربي الان . ويضم المشروع ايضا ، احياء عربية اخرى ، سبق للعدو ان احتلها منذ سنة ١٩٤٨ وما زالت قائمة ، وتضم :

أ ــ أجزاء اخرى من أحياء المصرارة وسعد وسعيد، وهي مناطق سكنية ومدرسية. ب ــ باب الخليل وطريق يافا ، وهي مناطق تجارية وسكنية ودينية . جـ ــ ساحة الساعة والمنشية ، وهي مناطق تجارية وسكنية . د ــ مأمن الله ، وتضم مناطق تجارية وسكنية وسياحية ودينية . هـ ــ الشماعة ، وتضم مناطق تجارية وسكنية . و ــ حي جمعية الشبان المسيحية، ويضم مناطق سكنية وسياحية وتجارية ومدرسية. ز ــ المستشفى الطلياني وطريق الاحباش ، وتضم مناطق سكنية وتجارية وصحية . ح ــ المسكوبية ، وتضم مراكز خدمات عامة ودينية وسكنية .

واكثر من ٩٠٪ من أملاك هذه الاحياء هي املاك عربية الاصل والباقي للطوائف الدينية المسيحية .

هذه الاحياء العربية ، التي تشكل قلب القدس العمراني الحديث ، مهددة بواسطة المشروع الاسرائيلي التنظيمي الجديد لما يلي : أ ــ للتوقف عن النمو كمرحلة اولى . ب ــ لتغيير المعالم ، سواء بالهدم الكلي والجزئي التدريجي كمرحلة ثانية . جـ ــ للضغوط المتواصلة على الملاكين والسكان واصحاب المهن والعاملين العرب فيها ،

واجلائهم عنها كما حصل لاخوانهم في الاحياء العربية التي اخضعت لاعادة التنظيم داخل الاسوار ، كمرحلة ثالثة . د ــ انشاءات اسرائيلية جديدة ويتبعها اسكان يهودي واسع كمرحلة رابعة . هـ ــ وازالة الحضارة والاسماء العربية عن هذه الاحيـــاء واستبدالها بالحضارة والاسماء اليهودية ، كمرحلة خامسة .

هذا بعض ما يستهدفه هذا المخطط الاسرائيلي الجديد لوسط القدس ، وهو جزء من المخطط التهويدي للمدينة المقدسة أرى فيه تهديدا خطيرا لتغيير معالم المدينـــة حضاريا وسكانيا ، وهو ما يتعارض وقرارات هيئة الامم ومجلس الامن ومنظمـــة اليونسكو ، وحقوق الانسان وميثاق جنيف لسنة ١٩٤٩ .

حادي وعشرون : **فك ونقل موتورات ومضخات محطات مياه عرب القدس** : وحتى محطات مياه عرب القدس لم تسلم من اعتداءات سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، فقد قامت سلطات الاحتلال العسكري الاسرائيلي مؤخرا بفك ونقل جميع موتـــورات ومضخات المياه التابعة لامانة القدس فيخمس من محطاتها وربطت عرب القدس بشبكة المياه الخاصة ببلدية الاحتلال . كل محطة من هذه المحطات كانت تضم ما بين موتور وثلاثة ومثلها من المضخات ، وكانت بمجموعها تضخ قرابة أربعة آلاف متر مكعب من المياه يوميا . ان فك هذه الموتورات والمضخات ونقلها يشكل اعتداء متعدد الجوانب . فمن ناحية هو اعتداء سلب لممتلكات سلطة محلية مدنية ، ويخالف اتفاقيات جنيف ، ومن ناحية اخرى ، فهو اعتداء يربط عرب القدس بمياه بلدية الاحتلال الاسرائيلي ، ويشكل تغييرا اساسيا للوضع الراهن في القدس ، ويكرس عمليا ضم القدس لسلطات الاحتلال ، الامر الذي يعتبر مناقضا ومخالفا لقرارات الامم المتحدة رقمي ٦٧/٢٢٥٣ و٦٧/٢٢٥٤ وكذلك مناقضا ومخالفا لقرارات مجلس الامن الدولي ارقام ٦٨/٢٥٢ و٦٩/٢٦٧ و٧١/٢٩٨ . العملية حلقة اخرى من مخططات تهويد القدس ، ولها أبعاد ومضاعفات ترتبط ارتباطا وثيقا بأي حل سلمي منتظر التوصل اليه » .

ثاني وعشرون : **اعتداء سلطات الاحتلال الاسرائيلي على شركة كهرباء محـــافظة القدس وعلى حقوق امانة القدس فيها** : ومن بين الاعتداءات البارزة التي تساعد على تغيير الاوضاع في القدس ، الاعتداء الذي تعرضت له شركة كهرباء محافظة القـــدس مؤخرا ، واستهدف احلال بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية مكان امانة القدس العربية في الشركة ، مساهمة وتمثيلا في مجلس مدراء الشركة ، بموجب مراسيم تشريعية غير قانونية وتحت الضغط والارهاب .

وتوصلا لذلك ، فقد أصدرت حكومة الاحتلال الاسرائيلي ، خلال السنتين الاخيرتين مرسومين مهدا لهذه الغاية هما :

الاول : مرسوم أصدره وزير العدل الاسرائيلي يعقوب س. شابيرا ، ونشره في مجلة الوقائع الاسرائيلية رقم ٢٦٠٧ الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/٩/١ ، اسمه « مرسوم التنظيمات القانونية والادارية (أعضاء في مجلس مدراء لسنة ٥٧٣٠ ــ ١٩٧٠ « استند بموجبه الى المادة (١١) من قانون اسرائيلي اسمه «قانون التنظيمات القانونية والادارية (نص موحد) لسنة ٥٧٣٠ ــ ١٩٧١) » ، وامر ، استنادا الى الصلاحيات المخولة له بموجب ذلك القانون بضم عضوين يمثلان بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية ، الى مجلس مدراء شركة كهرباء محافظة القدس بدل الممثلين عن مجلس امانة القدس في نفس المجلس .

والثاني : « وثيقة نقل اسهم » ، نقلت بموجبها حكومة اسرائيل ــ (٦١٨٦) سهما التي تملكها أمانة القدس العربية في شركة كهرباء محافظة القدس ، نقلتها الى بلدية

القدس المحتلة الاسرائيلية ، بموجب اتفاق وقعه في اليوم الخامس عشر من ايلول ١٩٧١ نيابة عن حكومة الاحتلال الاسرائيلية كل من محاسبها العام ومساعده ، ووقعها نيابة عن بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية رئيس بلديتها ومدير ماليتها .

ان قانون التنظيمات القانونية والادارية الذي استند عليه وزير العدل لحكومة الاحتلال العسكري الاسرائيلي في اصدار المرسوم الاول ، هو نفس القانون الذي عارضت في اصداره الحكومة الاردنية الهاشمية سنة ١٩٦٩ وقدمت شكوى بخصوصه لمجلس الامن الدولي ، بحجة انه يهدف الى تغيير الاوضاع في المدينة المقدسة ، وقد أخذ مجلس الامن الدولي آنذاك بوجهة نظر الحكومة الاردنية الهاشمية واصدر قراره رقم ٦٩/٢٦٧ بتاريخ ١٩٦٩/٧/٣ الذي جاء في الفقرات ٣ و٤ و٥ منه ما يلي :

الفقرة ٣ ــ يوبخ مجلس الامن بأقوى تعبير جميع الاجراءات التي تم اتخاذها لتغيير وضع مدينة القدس .

الفقرة ٤ ــ يؤكد مجلس الامن ان جميع الاجراءات التشريعية والادارية وكذلك جميع أعمال اسرائيل الهادفة لتغيير وضع مدينة القدس، بما في ذلك نزع ملكية الاراضي والممتلكات في المدينة ، هي لاغية قانونيا ، ولا يمكن لها ان تغير ذلك الوضع .

الفقرة ٥ ــ يطالب اسرائيل مرة اخرى ، بالحاح لكي تلغي فورا جميع الاجراءات التي اتخذتها والتي من شأنها تغيير مدينة القدس ، وان تكف عن جميع الاجراءات التي قد تؤدي الى مثل هذا التغيير .

ان المرسوم موضع البحث ، استند الى القانون الذي اعتبره مجلس الامن الدولي في قراره المشار اليه آنفا ، باطلا ولاغيا ، وان ما بني على باطل فهو باطل ، ولذلك فان موضوع استبدال مدراء مجلس الشركة هو اجراء باطل .

أما عملية نقل الاسهم ، التي جرت بموجب « وثيقة نقل الاسهم » المشار اليها آنفا فهي الاخرى عملية باطلة قانونا ، ذلك انه لا يحق لحكومة الاحتلال التصرف بأملاك أمانة القدس العربية ، فأمانة القدس هي كغيرها من بلديات المدن المحتلة ، ولم تعترف هيئة الامم ولا مجلس الامن بحلها ، فقرارات هيئة الامم رقم ٦٧/٢٢٥٣ المؤرخ في ١٩٦٧/٧/٤ ورقم ٦٧/٢٢٥٤ المؤرخ في ١٩٦٧/٧/١٤ لم تعترف بعملية ضم القدس ، ولم تعترف بالاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة وطالبتها بالغائها جميعها ،كما طالبتها بالعدول فورا عن اتخاذ أي عملمن شأنه تغيير وضع القدس . وجاءت قرارات مجلس الامن الدولي التي تلت قرارات هيئة الامم ، ذات الارقام ٦٨/٢٥٢ في ١٩٦٨/٥/٢١ ، و٦٩/٢٦٧ في١٩٦٩/٧/٣ ، و٧١/٢٩٨ في ١٩٧١/٩/٢٥ جاءت كل هذه القرارات تؤيد عدم اعتراف مجلس الامن بعملية ضم القدس وعدم الاعتراف بالاجراءات الادارية والتشريعية التي قامت بها اسرائيل واعتبرتها باطلة ولاغية ، وفي مقدمة هذه الاجراءات حل مجلس امانة القدس ، وهو في نظرها يعتبر قائما ، ولا حق لحكومة الاحتلال التصرف بأمواله التي من جملتها أسهمه في شركة الكهرباء . ومن هنا فان عملية نقل الاسهم هي عملية غير قانونية وباطلة ولا حق لسلطات الاحتلال باجرائها .

ان امانة القدس كانت ولا تزال ترى في هذه الاعتداءات ابعادا سياسية وادارية واقتصادية واجتماعية خطيرة ، ابرزها : أ ــ انها تعزز بالقوة وبالباطل عملية ضم القدس. ب ــ وتعزز بالقوة والباطل أيضا عمليتي حلمجلس امانة القدس ودمج أمانة القدس في بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية . جـ ــ القلق من امكانية تدخل بلدية القدس

المحتلة الاسرائيلية فيما بعد في شؤون مدن محافظة القدس وقراها واقتصادهـا ، والعمل على ضمها جميعا لمشروعها الذي تخطط له تحت اسم « القدس الكبرى » .

ثالث وعشرون : **مشروع القدس الكبرى** : وهذا مشروع مؤامرة قديمة جديدة ، يسمى « قانون القدس » وضعه أصلا النائب الاسرائيلي شمويل نامير وقدمه لمجلس برلمانهم بتاريخ ١٩٧١/٢/١٢ ، ولاسباب خاصة تأجل النظر فيه . وقد فوجئنا في مطلع شهر كانون الاول ١٩٧٤ باعلان سلطات الاحتلال الاسرائيلي على طرحه مجددا للبحث والسير قدما في تطبيقه .

والمشروع يقترح توسيع حدود القدس بحيث تضم بالاضافة للقدس ثلاث مدن و٢٧ قرية عربية مجاورة ، هي مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، وقرى بتير ، الخضر ، بيت صفافا ، شرفات ، صور باهر ، أم طوبا ، والسواحرة ، **جنوبا** . وابو ديس ، العيزرية ، الطور ، العيسارية ، عناتا ، **شرقا** . وشعفاط ، حزما ، بيت‌حنينا، الرام ، قلنديا ، بير نبالا ، الجيب ، النبي صموئيل، **شمالا**. وبيت اكسا، بيت سوريك، بيت عنان ، رافات ، الجديرة ، قطنة ، والقبيبة ، **غربا** .

وسيخضع هذا المشروع ، ما ينوف على مائة الف عربي آخرين لحكم سلطات اسرائيل المباشر ، سياسيا وقانونيا ، وسيعمل بكل وسائل الضغط والارهاب عـلى دمجهم اقتصاديا في بوتقة اسرائيل ، وسيطبق عليهم بالقوة برامج تعليم اسرائيل ، تماما كما يجري في القدس وفي الاربع قرى التي ضمت سابقا ، وتماما كما يجري في المناطق العربية التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨ .

هذه بعض مما كشفته سلطات الاحتلال الاسرائيلي من مؤامرات وما نفذته من اعتداءات ضد القدس وضد أهلها العرب وضد حضارتها وضد مقدساتها ، وهي ما زالت تعلن وتكشف في كل يوم عن المزيد من المخططات التهويدية وتتبعها بالعمـل السريع ، متحدية بذلك القمتين العربية والاسلامية والمواثيق والمقررات الـدولية والانسانية .

القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي في الأمم المتحدة ١٩٦٥ — ١٩٧٤

الدكتور جورج طعمه

ثمة ثلاثة تحفظات أولية لا بد منها قبل ولوج هذا البحث :

أولا — ان حجم القضايا وعددها المتفرعة عن قضية فلسطين والتي عولجت خلال حقبة العشر سنوات موضع البحث هي من الكثرة والتنوع بحيث لا بد أن تكون هذه الحقيقة الدولية حاضرة في الذهن . ولاعطاء فكرة عددية عن حجم هذه المواضيع أذكر ما يلي : ان عدد القرارات التي صوتت عليها الجمعية العامة في هذه الحقبة بلغ ٦٢ قرارا بعضها — خاصة ما يتعلق ببند التقرير السنوي لمدير وكالة الاونروا — يشمل أربعة أو خمسة قرارات أ وب وج ود وهـ ضمن قرار واحد . وعدد قرارات مجلس الامن هو ٣٥ من أصل ١٣٥ صوت عليها في عشر سنين أي ما يزيد عن الربع . المجلس الاقتصادي والاجتماعي ٤ . لجنة حقوق الانسان ٧ . اليونسكو ، المؤتمر العام والمجلس التنفيذي ، ٢٣ . منظمة الصحة العالمية ٨ . لجنة حقوق المرأة ١ .

وراء هذه القرارات التقارير السنوية والطارئة للأمين العام ولمدير وكالة الاونروا ولجنة التحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة وتقرير الفريق العامل المنبثق عن لجنة حقوق الانسان في الموضوع ذاته . وثمانية تقارير للامين العام عن القدس وتقاريره عن مهمة يارنغ ومحاضر اجتماعات مناقشات الجمعية العامة ومجلس الامن واللجان السياسية الخاصة والثالثة (حقوق الانسان) والسادسة القانونية ومحاضر اجتماعات اللجان الاخرى والهيئات الاختصاصية التي عددناها بحيث يدخل عدد صفحاتها كلها في الآلاف لا المئات .

ثانيا — نوعية هذه القضايا . انها تتناول أكبر قضايا القانون الدولي والقضايا السياسية والاعلامية والانسانية والتاريخية وميزان القوى الدولية كما ينعكس في هذه القرارات وتدرجها وتصعيدها وما يستتبع ذلك من ضرورة التحليل والتقييم الموضوعيين لها سنة بعد سنة .

ثالثا — تعتبر الدورة التاسعة والعشرين الحالية للجمعية العامة التي لما تنته بعد حدا فاصلا في تاريخ معالجة قضية فلسطين على صعيد الامم المتحدة . واقصد بالتخصيص اعادة ادراج « قضية فلسطين » كبند مستقل على جدول الاعمال . خلفيته كاملة ، اهميته ، ابعاده . ولئن اطلعنا على نصوص القرارات مترجمة لكن محاضر المناقشات التي دارت لم تعلن بعد حتى كتابة هذا البحث . وان أي تقييم نهائي لهذه الدورة التاريخية يكون ناقصا دون الاطلاع على كل ما قيل فيها اطلاعا كاملا ودقيقا .

ازاء هذه التحفظات الثلاثة وفي الحجم المحدد لهذا البحث فان اقصى ما يمكن أن

أطمح اليه هو وضع منهج له ورسم الاطر الكبرى التي يمكـن أن تنضوي عشرات المواضيع ضمنها مع التوقف على المعالم الكبرى فيها فقط .

• • •

الاطار الشامل الكلي للسنوات العشر من حياة الثورة الفلسطينيـة هو أن الامم المتحدة بأجهزتها ولجانها الرئيسية كانت احدى الساحات الكبـرى التي اختارتها اسرائيل لاعلان الحرب على الثورة الفلسطينية معتمدة على الاعلام الواسع المدروس والسياسة وتكتيل القوى داخل المنظمة للتشهير والتحطيم والتهديم ولتوجيه الضربة القاضية وتحقيق جريمة الاغتيال الجيو ــ سياسي لفلسطين وشعبها والقضاء نهائيا على جزء لا يتجزأ من الوطن العربي . ولقد أثبت تطور الاحداث التاريخية الجسيمة وضمنها حربا ١٩٦٧ و١٩٧٣ انها لم تنجح في تحقيق كامل أهدافها وان مجرى التاريخ أخذ يتحول تحولا حاسما ضدها .

ان فقدان رؤيا هذا الاطار الشامل الكلي والتاريخي يفرغ الاحداث الجسام التي تعاقبت فيه من مضمونها ويجعلها مجزأة مبعثرة لا خط ناظم أساسي لها ولا اطار واحد يحيط بها كلها أعود فأشدد عليه وهو : القضاء نهائيا على فلسطين وشعبها العربي ويرتبط بذلك ارتباطا عضويا ضرب مسيرة الامة العربية بكاملهـا وبجميع أصولها وفروعها .

١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ سنة اعلان الثورة . استمرت المنظمة في معالجة القضايا المتفرعة عن قضية فلسطين والتي سبق أن عالجتها تباعا وبأشكال مختلفة منـذ أن تسلمت المنظمة القضية عام ١٩٤٧ وهي :

١ ــ قضية اللاجئين ووكالة الاونروا . قامت سياسة اسرائيـل داخـل المنظمة بالحملة على الاونروا والدعاية ان مخيمات اللاجئين تحولت لمخيمات تدريب للفدائيين الفلسطينيين فلا يجوز والحالة هذه الاستمرار في تقديم المساعدات للوكالة .

٢ ــ الاعتداءات الاسرائيلية على البلاد العربية المجاورة وتصعيدها تنفيذا للسياسة التي اعلنت عنها من ان تحويل روافد نهـر الاردن سيؤدي الى حرب بين اسرائيـل والعرب .

٣ ــ التركيز على سوريا التي انطلقت الثورة منها والاعتـداءات عليهـا في تموز (يوليو) واب (اغسطس) ١٩٦٦ والتشهير بها على مستوى واسع . وكان الاعتداء الاول موضع شكوى من سوريا لمجلس الامن لم ينته المجلس فيه الى قرار بسبـب الضغط الاميركي .

٤ ــ شكوى اسرائيل على سوريا لمجلس الامـن التي استغرقت مناقشتها مـن منتصف تشرين اول (اكتوبر) للعاشر من الشهر التالي ولم ينته المجلس الى قرار . تقدم يوثانت خلالها تقريرين للمجلس في ١ و ٢ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ اثبـت فيهما تعطيل اسرائيل لاجهزة الامم المتحدة لحفظ السلام المقامة وفقا لاتفاقيات الهدنة بما في ذلك مقاطعة لجان الهدنة المشتركة واحتلال اقسام كبرى من المناطق المجـردة بين سوريا واسرائيل خلافا لاحكام اتفاقيات الهدنة منذ عام ١٩٥٠ .

٥ ــ اعتداء اسرائيل على السموع في الاردن بتاريخ ١٣ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ الذي ادى الى عشرات القتلى والجرحى العرب والذي ادانه مجلس الامـن بقراره ٢٢٨ تاريخ ٢٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ .

٦ ــ وقع تطور هام يتعلق بالاملاك العربية في فلسطين المحتلة اذ انهى خبير الامم المتحدة المعين من قبل لجنة التوفيق اعماله في تحديد وتقييم الاملاك العربية تنفيذا لمهام لجنة التوفيق الدولية ومتابعة لعملها كما حدده قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (الدورة ٣) تاريخ ١١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ . واجتماع « لجنة خبراء عرب في الاراضي » بدعوة من الجامعة العربية وضعت نقدا للتقرير المشار اليه وقدم للامين العام للامم المتحدة . هذا العمل بالذات من بدايته للحد الذي وصل اليه جدير بان يعار اكبر الاهتمام والدراسة .

خلال هذين العامين ركزت اسرائيل جهدها ودعايتها على التمهيد للحرب مؤكدة باستمرار ان اتفاقيات الهدنة لا قيمة لها طالما انها لا تستطيع ردع الفدائيين وكأنها تعلن الحرب بصورة خفية على البلاد العربية المجاورة . وكان الرد العربي من المنظمة حاسما بان الشعب العربي في فلسطين لا يمكن الحكم عليه بانتحار جماعي او بفقدان الذاكرة وانه شعب متميز له حقوقه الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها .

١٩٦٧

١ ــ العنف من قبل اسرائيل على خطوط الهدنة والتمهيد لاتمام احتلال المناطق المجردة بين سوريا واسرائيل .

٢ ــ دعوة يوثانت في كانون الثاني (يناير) لعقد اجتماع استثنائي طارىء للجنة الهدنة المشتركة التي عطلتها وقاطعت اجتماعاتها اسرائيل بموجب تقريره المشار اليه في نوفمبر ١٩٦٦ منذ عام ١٩٥١ لاصرارها على تفسير احكام اتفاقية الهدنة وفقا لما تريد والتي عقدت اجتماعا طارئا عام ١٩٦١ . خلال الاجتماعات التي عقدت في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ اصرت اسرائيل على جميع مواقفها وعدم التقيد بقرارات مجلس الامن التي ادانت مخالفاتها واعتداءاتها وعدم التوصل لاية نتيجة .

٣ ــ تصعيد العنف من قبل اسرائيل الذي بلغ اوجه في معركة ٧ نيسان (ابريل) التي شنتها اسرائيل ضد سوريا واشترك فيها سلاح الجو الاسرائيلي باعداد كبيرة وقد شهدت سماء سوريا ودمشق خاصة معركة جوية كبرى كما شهدت خطوط الهدنة معارك حامية استعملت اسرائيل خلالها قنابل النابالم ضد المدنيين السوريين وذهب ضحيتها عشرات المدنيين الآمنين . حقيقة تلك المعركة كما تروى في تقارير المراقبين الدوليين .

٤ ــ من ١٢ ايار (مايو) الى صبيحة ٥ حزيران (يونيو) تعاقبت الاحداث في هذه الفترة بحيث ان كل يوم جدير بان نتوقف عليه ونسجل احداثه ــ واحيانا بالساعات لا بمجرد الايام ــ لما كان يأتي به من تطورات او مفاجآت عربية ودولية . من هذه الاحداث نتوقف على ما يلي :

في ١٢ ايار (مايو) حددت الحكومة الاسرائيلية بشخص رئيس وزرائها اشكول وقادتها بشن حرب صاعقة سريعة على سوريا وكان يوثانت اصدر تصريحا في ١١ منه ينبه الى تصعيد العمل الفدائي وما قد يؤدي اليه من خطر . وعاد بعد التهديد الاسرائيلي الذي نشر على الصفحة الاولى من النيويورك تايمس فصرح في ١٣ ايار (مايو) بان تفسيره لا يجب ان يفهم منه السماح باستعمال القوة وباي شكل كان لحل المشاكل المعلقة وكان بمثابة ردع قوي لاسرائيل وشجب لتصريحاتها . وفي تقريره المرفوع لمجلس الامن بتاريخ ١٩ مايو (ايار) ١٩٦٧ الرقم (A/6730 add) افرد فقرة خاصة لهذه التصريحات الاسرائيلية وما تنطوي عليه من اخطار .

من ١٦ — ١٨ ايار (مايو) تم سحب قوات الطوارىء الدولية مما كان احد الاسباب الرئيسية التي ادت لحرب ٥ حزيران (يونيو) كما روجت لذلك الدعاية الصهيونية ورسخته في الاذهان حتى اصبح بعض العرب مع الاسف يقولون به وهم دون ان يشعروا ضحايا حرب « الاستنزاف الفكري » التي شنتها وما تزال تشنها اسرائيل ضد العرب . انها مشكلة من المشاكل التي ثارت ويمكن ان تثار حولها اسئلة كثيرة وتقدم للمؤرخ مادة غنية للبحث والتقصي والدراسة واستخلاص النتائج نورد على سبيل المثال لا الحصر بعضها . فهل ان حكومة الـ ج ع م في طلبها الاول بين القادة العسكريين ـ القائد المصري من جهة وقائد قوة الطوارىء الدولية من جهة اخرى ـ طلبت سحب قوات الطوارىء بكاملها ام مجرد اعادة توزيعها بحيث اذا هاجمت اسرائيل سوريا كما هددت فعلا ، تتمكن مصر ، تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك ، من الدفاع عن سوريا دون تعريض قوات الطوارىء لاي خطر ؟ وان كان الامر كذلك كما تثبته وثائق المنظمة ذاتها فكيف فهمه او أفهمه الأمين العام يوثانت الذي انتهى الطلب اليه ؟ ما الذي دفع يوثانت لان يعطي مصر الخيار الصعب بين السحب الكامل او عدم اعادة توزيع قوات الطوارىء كما طلبت مصر في البدء ؟ ما هي القوى الخفية التي اثرت في موقف يوثانت وما كان دور مساعده في قضايا فلسطين بالذات رالف بانش — ما الذي تم في الاجتماعين للجنة الاستشارية للامين العام في قضية قوات الطوارىء التي اتخذت قرارا بسحبها كاملة ؟ ماذا كان موقف كل عضو من اعضاء اللجنة وبانش بالذات وتأثيره فيها ؟ وان كان سحب هذه القوات هو احد السببين المباشرين للحرب كما ادعت اسرائيل فلماذا رفضت وضع قوات الطوارىء على جانبها من خطوط الهدنة حين طلب اليها الامين العام ذلك ان كانت فعلا تحرص على السلام وتريد المحافظة عليه ؟ كلها اسئلة لم يجب بدقة عليها بعد .

ولقد سجل الامين العام يوثانت الظروف والتطورات التي رافقت سحب قوات الطوارىء بين ١٦ و ١٨ ايار (مايو) ١٩٦٧ ساعة ساعة في تقارير رفعها للجمعية العامة ومجلس الامن في غاية الاهمية . وهي التالية :

S /٦٦٦٩ و A/٦٧٣٠ تاريخ ١٨ ايار (مايو) ١٩٦٧

S /٦٦٦٩ add 1 و A /٦٧٣٠ add 1 تاريخ ٢١ (مايو) ١٩٦٧

S /٦٦٦٩ add 3 و A /٦٧٣٠ add 3 تاريخ ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

وهذه التقارير وما تضمنته من وثائق ورسائل متبادلة تعتبر وثائق تاريخية وما زال للتاريخ والمؤرخين ان يقولوا كلمتهم الاخيرة فيها .

في ٢٤ ايار (مايو) اعلن الرئيس ناصر اغلاق خليج العقبة باعتباره مياها اقليمية واعلنت اسرائيل بدورها ان هذا يشكل سببا مباشرا للحرب . هنا نجابه مشكلة قانونية تثير اسئلة كثيرة . هل يحق لاسرائيل ان تطلب حق « المرور البرىء » في مضائق تيران وخليج العقبة ؟ هل لاسرائيل ان تطلب هذا الحق بعد ان احتلت اراض عربية خلافا لقرار التقسيم ولقرارات الهدنة عام ١٩٤٨ التي طلبت عدم تحرك الجيوش من خطوطها لكن اسرائيل تقدمت واحتلت قسما من خليج العقبة ؟ وهل يمكن لهذا الحق الذي تنادي به ان تحد منه « حالة الحرب » القائمة بينها وبين البلاد العربية بما في ذلك الاسس ذاتها التي قامت عليها اسرائيل ؟ واذا اعتبرنا المنظمة وريثة لعصبة الامم فهل نفذت مواثيق العصبة من حيث المحافظة على الحقوق العربية ام كان التقسيم جريمة اغتيال سياسي وعنصري ؟ ثم بعد قيام اسرائيل الا يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار خرق اسرائيل للقانون الدولي لغزوها واحتلالها اراض عربية ورفضها

عشرين قرارا للامم المتحدة تؤكد حق الفلسطينيين العرب بالعودة او التعويض وهي حقوق طبيعية تاريخية اكدها الشرع الدولي فهل يمكن لاسرائيل ان تزعم حقا لها من جهة وتهمل حقوقا عربية من جهة اخرى ؟ ثـم اذا عدنا لمضائق تيران وخليج العقبة وهي ممرات مائية داخلية ذات صفة تاريخية ثابتة لا مجال للجدل القانوني فيها فهـل يمكن اعطاء ذات الحقوق التاريخية فيها التي ترجع لالاف السنين لدولة جديدة غازية ؟ هل يعطي الغزو والاحتلال حقا قانونيا ؛ هل تنطبـق اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨ عـن « البحار والبحار العالية والمناطق المحاذية » High Seas, Territorial Sea and Contiguous Zones في تحديد حق الاستفادة من الخليج والمضائق للدول المحاذية بصرف النظر عما اذا كانت اسرائيل دولة محاذية شرعية او صاحبة «حق مشروع» هل يشكل اغلاق المضائق والخليج عملا عدوانيا بمعنى الميثاق والقانون الدولي وخرقا له وسببا للحرب Casusbelli كما ادعت اسرائيل عام ١٩٦٧(١) ؛

ومهما يكن الامر فبين ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ و ٥ حزيران (يونيو) كان مجلـس الامن يناقش هذه القضايا والكثير مثلها مما يقع في نطاق القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة واحكامه حين شنت اسرائيل هجومها المفاجيء وضربت ضربتهـا صباح ٥ حزيران (يونيو) . ومن الاحداث التي تعاقبت بعد ذلك اليوم حتى هذه السنة نتوقف على المعالم التالية : (١) علاقة الهجوم الاسرائيلي بالمادة ٥١ من الميثاق (٢) قرارات وقف اطلاق النار بين ٦ و ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ دون طلب التراجع (٣) التسوية الشاملة كما تضمنهـا القـرار ٢٤٢ (٤) مهمة يارنـغ (٥) المشكلـة الانسانية (٦) القدس (٧) مادة ما سمي بالارهاب والقرار المتخذ (٨) اقـرار حقوق شعب فلسـطين (الثابتـة) Inalienable « التي لا يمكن التنازل عنها » (٩) حـرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ وقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ . (١٠) اعادة ادراج « قضية فلسطين » كبند مستقل على جدول الاعمال في الدورة التاسعة والعشرين للجمعيـة العامة والقرارات التي حولت عليها . وسنعالجها كلها بايجاز ضمن الحدود المرسومة لحجم هذا المقال ويمكن القول ان النتائج السلبية القائمة على خرق القانون الدولي بين ٥ حزيران ١٩٦٧ ونهاية ذلك العام ما زلنا نعيش في نتائجها حتى اليوم بالرغم مـن انتصارات اخرى كبيرة تمت داخل المنظمة خلال العشرة اعوام موضع الدرس .

١ ـــ **المادة ٥١ من الميثاق** . هذه المادة هي من الاهمية بمكان وذات علاقة عضوية وثيقة بما تم ، خاصة قرارات وقف اطلاق النار عقب الهزيمة العربية الكبرى ، بحيث يجب ايـراد نصها الكامل وهو التالي :

ليس في هذا الميثاق ما يضعف او ينقص الحق الطبيعي للدول ، فرادى او جماعات، في الدفاع عن انفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على احد اعضاء « الامم المتحدة » وذلك الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي ، والتدابير التي اتخذها الاعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ الى المجلس فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس ـــ بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة مـن احكام هذا الميثاق ـــ من الحق في ان يتخذ في اي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه مـن الاعمال لحفظ السلم والامن الدولي او اعادته الى نصابه » .

وهذه المادة واضحة من حيث انه يحق لدولة عضو او لمجموعة من الدول الاعضاء ان تنبري لحق الدفاع المشروع عن النفس اذا وقع عليها عدوان مسلح على ان تبلغ مجلس الامن **فورا** ذلك و « الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلـم والامن الدولي » . لكن الامور سارت في منطق معكوس تماما . فمجلس الامن كان في

حالة انعقاد دائم منذ ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ يناقش ادق واعوص مشاكل القانون الدولي حين شنت اسرائيل هجومها على مصر وسوريا والاردن خلافا لجميع احكام الميثاق وخاصة المادتين ١ و ٢ اللتين تحرمان استعمال القوة لفض المنازعات بين الدول الاعضاء واخذت القانون بيدها واحتلت مساحات شاسعة من اراضي الدول الاعضاء . لكن مصر وسوريا تنطبق عليهما المادة ٥١ من الميثاق حين شنتا حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ المجيدة لان الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية شكل ويشكل عدوانا دائما عليها وعلى الشعب الفلسطيني العربي فهم بموجب الميثاق يجابهون عدوانا اسرائيليا دائما وبالتالي لهم حق الدفاع المشروع عن النفس وفقا للمادة ٥١ لا سيما بعد فشل جميع الجهود الرامية الى اعادة الحق لنصابه . نعود لحزيران (يونيو) ١٩٦٧ فنجد أن الامور سارت في منطق معكوس . فنتيجة للانتصار الاسرائيلي الساحق والهزيمة العربية والإعلام الاسرائيلي الصهيوني الامبريالي الهائل على مستوى عالمي سادت شريعة الغاب لا حكم القانون . فأصبح المعتدي هو المعتدى عليه والمعتدى عليه هو المعتدي واتخذت القرارات التي جمدت الاوضاع حتى اليوم على هذا الاساس .

٢ ــ قرارات وقف اطلاق النار(٢) وهي التالية :

أ ــ القرار رقم ٢٣٣ تاريخ ١٩٦٧/٦/٦ الذي طلب فيه من الفرقاء المعنيين أن تتخذ **كخطوة اولى** التدابير اللازمة لوقف اطلاق النار فورا ووقف كل نشاط عسكري في المنطقة .

ب ــ القرار ٢٣٤ تاريخ ١٩٦٧/٦/٧ الذي عبر فيه المجلس عن قلقه لاستمرار العمليات العسكرية في المنطقة بالرغم من قراره السابق واكد طلبه الى الحكومات المعنية وقف اطلاق النار فورا والامتناع عن القيام باي نشاط حربي **كخطوة اولى** وذلك في تمام الساعة ٢٠,٠٠ (توقيت غرينتش) من ٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

لكن اسرائيل تابعت زحفها الى ان اكملت احتلال سيناء بكاملها والوصول الى الضفة الشرقية من قناة السويس رغم قبولها وقبول مصر قراري وقف اطلاق النار . وقبلت سوريا قراري وقف اطلاق النار في ٨ لكن اسرائيل شنت هجومها الصاعق على سوريا في الصباح الباكر من ٩ حزيران (يونيو) وكان المجلس ما يزال في حالة انعقاد . نلاحظ هنا الهجوم الاسرائيلي على باخرة التجسس الاميركية « ليبرتي » Liberty في ذات الوقت الذي تم فيه الهجوم على سوريا وقتل بنتيجته اربعون بحارا اميركيا . ان هذا الحادث الذي ما زال مكتنفا بالاسرار جدير ايضا بان يفرد له بحث مستقل . على اية حال تابع مجلس الامن انعقاده بالرغم من جميع العراقيل لاعاقة اجتماعه وذلك لتمكين جيش اسرائيل من احتلال مرتفعات الجولان . انعقد مجلس الامن ظهرا وصوت بعد الظهر على :

ج ــ القرار رقم ٢٣٥ تاريخ ١٩٦٧/٦/٩ الذي اكد القرارين السابقين واشار الى قبول كل من اسرائيل وسوريا لهما وعاد فأكد وقف العمليات العسكرية فورا .

د ــ القرار رقم ٢٣٦ تاريخ ١٩٦٧/٦/١١ الذي صوت عليه بعد ان تابعت اسرائيل تغلغلها في الاراضي السورية واخذت تهدد دمشق بالذات وتوجه اذاعات لاهاليها عما يجب عمله حين دخول الجيش الاسرائيلي فأكد القرار ان « طلب الامتناع عن كل النشاطات العسكرية يشمل منع اي تحركات عسكرية **الى الامام** لاحقة لوقف اطلاق النار » ودعا الى اعادة اي قوات تكون قد تحركت الى الامام بعد الساعة ١٦,٣٠

(توقيت غرينتش) في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى مراكز وقف اطلاق النار فورا » .

لكن اسرائيل لم تتوقف في الاراضي السورية الا حيث كانت قد خططت من قبل متجاهلة كل التجاهل القرار السابق وبعد ان حققت اهدافها في الاحتلال .

هذه القرارات الاربعة التي كونت اول واخطر سابقة في تاريخ الامم المتحدة من حيث انها خلافا لجميع قرارات وقف اطلاق النار السابقة لم تطلب العودة الى الخطوط التي بدأت جيوش اسرائيل الهجوم منها صباح ٥ حزيران ، كرست العدوان والاحتلال الاسرائيلي مما يستوجب أن نتوقف عنده قليلا .

فالذي تجب ملاحظته هي ان القرارين ٢٣٣ و ٢٣٤ طلبا وقف اطلاق النار « **كخطوة اولى** » مما يوحي ان هناك خطوات اخرى ستلي بعد ذلك . ومن الطبيعي وفقا للميثاق وللسوابق التي اقامها مجلس الامن بالذات ومنها الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ والحروب المماثلة التي عالجها ان تكون هذه الخطوات التالية ارغام المعتدي في ٥ حزيران (يونيو) على العودة الى خطوط ما قبل الخامس من حزيران (يونيو) ومنعه من التمتع بثمار عدوانه . لكن شيئا من ذلك لم يحدث وبذلك اتت هذه القرارات مبتورة من الناحية القانونية اذ ان المجلس فشل في اتمام المهمة التي اوكلها الميثاق اليه وهي ردع المعتدي عن عدوانه وحرمانه من الاستفادة من ثمار العدوان وعقابه وفقا للفصل السابع من الميثاق . وكان كل ذلك بضغط من اميركا التي جندت كل قواها لاستمرار الاحتلال الاسرائيلي واذلال العرب بل واغداق المساعدات على المعتدي لتمكينه من استمرار احتلاله وتمتينه . ولما كان الاحتلال يشكل عدوانا دائما فقد زرعت بذور حرب دائمة وسطرت بذلك اخطر خرق للقانون الدولي واستهتار بحق الشعوب مما ادى الى حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ومما قد يؤدي الى حرب خامسة . وهكذا كان ضغط الولايات المتحدة السبب الاول الرئيسي في فشل مجلس الامن باداء مهمته بموجب الميثاق . ذلك ان عدة محاولات قامت في المجلس في تلك الايام العصيبة المحزنة لتمكين المجلس من القيام بمهمته بينها محاولات الهند وممثلو دول عدم الانحياز في المجلس والاتحاد السوفياتي اللذين قدما قرارات لادانة العدوان الاسرائيلي وطلب من اسرائيل سحب قواتها . لكن اميركا مارست «فيتو» من نوع خاص وهو تأليب اصوات اعضاء المجلس ضد مثل هذه القرارات المنصفة للعرب وبالتالي اجهاضها وافشالها .

٣ ــ **القرار ٢٤٢ كتسوية شاملة** . القرار ٢٤٢ أصبح معروفا بجملته وتفاصيله وصوت عليه مجلس الامن بتاريخ ١٩٦٧/١١/٢٢ والمهم ان نلاحظ ان **ستة أشهر** تقريبا قد انقضت بين تصويت مجلس الامن على أول قرار بوقف اطلاق النار في ١٩٦٧/٦/٦ كخطوة اولى . ولقد كانت هذه الاشهر حاسمة في تجميد الموقف الى صالح اسرائيل . اذ عندما تبين ان مجلس الامن عجز تماما عن ردع المعتدي وارغامه على الانسحاب الى الخطوط التي شن هجومه منها في ٥ حزيران (يونيو) طلب الاتحاد السوفييتي عقد دورة طارئة استثنائية خاصة في ١٩٦٧/٦/١٣ افتتحت في ٦/١٧ واستمرت حتى ١٩٦٧/٧/٢١ للنظر في « الوضع في الشرق الاوسط » نظرا لاستيلاء اسرائيل على مساحات شاسعة من اراضي ثلاث دول اعضاء في المنظمة ومن اجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي . وقدمت مشاريع عدة من الاتحاد السوفييتي والدول الاسيوية ودول امريكا اللاتينية والبانيا اختلفت في التفاصيل ولكنها اجمعت كلها على طلب انسحاب الجيوش الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة كما أكدت ايمانها بأن من

المستحيل اقامة مجتمع دولي يحكمه القانون مع وجود الاحتلال بالقوة . لكن اميركا وضعت كامل قوتها من أجل افشال جميع المشاريع في الجمعية العامة كما فعلت في مجلس الامن . ولو نحن أخذنا المشروعين الاسيوي واللاتيني اللذين نالا ٥٦ و٥٤ صوتا في تلك الدورة الطارئة لوجدنا ان الاغلبية الساحقة من الدول الاعضاء كانت متفقــه على طلب الانســحاب وقــد عــلق المستشار الاول في القانون الــدولي John Lawrence Hargrave للوفد الدائم الاميركي لدى الامم المتحدة على كل ذلك بما يلي : « ان المادة ٥١ من الميثاق واضحة في ان استعمال القوة كحق لا يجوز الا اذا تعرضت الدولة لهجوم مسلح ولم يقم الدليل قط ان اسرائيل تعرضت لمثل هذا الهجوم. أما حجتها في **الحرب الوقائية** فلا أعرف اي عضو آخر في الامم المتحدة لجأ الى المادة ٥١ لتبرير حرب كالحرب التي شنتها . ولو افترضنا جدلا ان حشد جيوش مصر في سيناء واغلاق المضائق كان تهديدا لها فحربها الخاطفة أزالت هذا التهديد ولم يعد هنالك ثمة مبرر لبقائها في الاراضي الواسعة التي احتلتها وانعدم حقها تماما ان توجد على ارض اجنبية . ان المنظمة نتيجة للموقف الاميركي عجزت عن فرض سلطتها حين طلبت وقف اطلاق النار بدون تراجع »(٣). ويتابع فيقول « ان الخيارات التي ارغمت عليها الامم المتحدة بضغط اميركا لم تكن قانونية قط لكنها ارادت استغلال الانتصار الاسرائيلي الى أبعد حد ممكن . وهنالك سبب آخر وهو ان الوضع الداخلي في اميركا لم يكن ليقنعها بعكس ذلك ».

هذه هي المواقف التي انعكست في الفلسفة التي قام عليها القرار ٢٤٢ . ان طلب انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة الذي كان في حزيران ١٩٦٧ شعورا **شـــبه غريزي** لدى معظم الدول الاعضاء ناشئا عن مفهوم للميثاق أصبح في تشرين الثــاني (نوفمبر) بعد ستة أشهر **تنازلا** رئيسيا من قبل اسرائيل واميركا ـــ حتى لقد جاء تنازلا ضمن حدود بدليل عدم ورود «ال» التعريف «The» قبل «اراض» (في النص الانكليزي) مما ترك مجالا للتساؤل ان كان مجلس الامن يتوقع Envisaged الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة بعد ٤ حزيران (يونيو) . ومقابل مبدأ الانسحاب طلب من العرب انهاء جميع حالات الحرب والاقرار بحق اسرائيل في ضمانات الامن الاساسية وفقا للميثاق وحرية الملاحة في الممرات المائية الدولية . أما اسرائيل فطلب منها ان تقبل مبدأ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وان يقبل الطرفان مبدأ وجود مناطق مجردة »(٤) ويختم Hargrave هذا المقطع بقوله :

« كانت النتيجة واضحة : ان جعل التزامات اسرائيل بالتخلي عن الاراضي العربية التي احتلتها بالقوة مشروطة بموافقة العرب على حل شامل جعل الامم المتحدة ـــ ماديا (والبعض يقول قانونيا) عاجزة ومشلولة ان تنجز بذاتها حلا بالقوة وان تعطي موافقتها لتحقيق حل فرضته اسرائيل بالقوة »(٥).

٤ ـــ مهمة يارنغ :

عين الامين العام السفير السويدي غونار يارينغ ممثلا خاصا له ليقوم بالاتصالات المنوه عنها من الفقرة الثالثة من القرار ٢٤٢ . وتسلم السيد يارينغ مهمته في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وقام مباشرة باتصالات مع الجمهــورية العربية المتحدة ، والاردن ، واسرائيل . ومنذ اللحظة الاولى لابتداء مهمته أخــذت اسرائيل تضع العراقيل امامه . فقد أصرت على ان حل مشكلة الشرق الاوسط لا يمكن ان تتم الا بمفاوضات مباشرة بين الفرقاء تنتهي بمعاهدة سلام ، واقترحت جدول أعمال يتضمن المشكلات السياسية والقانونية والارضية والامنية والملاحية والاقتصادية .

وكان رد الجمهورية العربية المتحدة والاردن على ذلك يتلخص بأن انسحاب القـوات الاسرائيليه الى المواقع التي كانت تحتلها قبل حزيران ١٩٦٧ هو الخطوة الاساسية والتمهيدية لتسويه سلميه في الشرق الاوسط . ثم تقرر بعد ذلك ان تجري المباحثات مع المبعوث الخاص في نيويورك دون دعوة رسمية .

وخلال أشهر ايار وحزيران وآب وايلول ١٩٦٨ اتصل السفير يارينغ في نيويورك بمندوبي الدول المعنيه وبوزراء خارجيتها ، وقد اتضح له خلال هذه الاتصالات ان هناك وجهات نظر مختلفة لدى كل من الطرفين . فبينما اعتبرت اسرائيل ان قرار مجـلس الامن ٢٤٢ هو مجرد بيان مبادىء على الفرقاء ان يتفاوضوا حول السلام في ضوئه ، اعتبرت مصر ان القرار هو خطة كاملة لتسوية النزاع في الشرق الاوسط وان على الفرقاء ان ينفذوها وفقا لوسائل يعينها المبعوث الخاص . وكان هناك ايضا خلاف حول المعنى الخاص بنصوص الانسحاب في قرار مجلس الامن ، فهي بالنسبة للـدول العربية تشمل جميع الاراضي المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ ، أما بالنسبة لاسرائيل فهي تنطبق فقط ، الى الحد الضروري ، حين يتم التوصل الى اتفاق بين الفرقاء على حدود آمنة ومعترف بها بينهم ، وهكذا تجمدت مهمة السفير يارينغ حتى حزيران ١٩٧٠ حيث اقترحت الولايات المتحدة على حكومات اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة والاردن بأن تعلم السفير يارينغ (١) بأنها قبلت وستنفذ القرار رقم ٢٤٢ بكل اقسامه وانهـا ستعين ممثلين لمباحثات تجري تحت اشرافه . (٢) بأن الغرض من هذه المباحثات هو التوصل الى اتفاق على توطيد سلام عادل ودائم بينهم يرتكز على المبادىء التالية (أ) الاعتراف المتبادل بين الاطراف المعنية بسيادة كل منها وسلامة اراضيه واستقلاله السياسي ، (ب) انسحاب اسرائيلي من الاراضي التي احتلت في حرب ١٩٦٧ وفقـا للقرار ٢٤٢ ، (٣) ان الفرقاء تسهيلا لتنفيذ مهمة السفير يارينغ سوف يحافظون اعتبارا من واحد تموز حتى اول تشرين الاول على الاقل على قرارات مجلس الامـن الخاص بوقف اطلاق النار . وبعد ان وافقت الدول المعنية على هذا الاقتراح الاميركي ابتدأ السفير يارنغ بالاتصال بالفرقاء للقيام بمباحثات في نيويورك وقابل ممثلي الدول العربية ، ولكن الممثل الاسرائيلي رفض الاستمرار بالاشتراك في هذه المحادثات بحجة ان اتفاقية وقف النار لم تراع تماما ، وبذلك تجمدت المحادثات . وعندما أصـدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٦٢٨ (دورة ٢٥) تاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٧٠ ودعت الاطراف المعنيين استئناف الاتصال مع السفير يارينغ ، دعا الممثل الخاص الاطراف لاستئناف المناقشات تحت اشرافه للتوصل الى اتفاقية حول اقامة سلام عادل ودائم . وقد ابدت كل من حكومة الجمهورية العربية المتحدة والاردن رغبتهما في ذلك ، ووافقت اسرائيل على ذلك ايضا . وبتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٧١ استأنف السفير يارينـغ مناقشاته . وقد تلقى رسالتين من اسرائيل توضح فيهما اراءها في مبادىء السـلام ، وكذلك تلقى رسالة من كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن توضحان فيهمـا آراءهما الخاصة حول تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقد اتضح من هذه الرسائل ومن الاجتماعات التي عقدها المبعوث الخاص مع مندوبي الدول المعنية على ان هناك اختلافا جوهريا في الراي حول النظام الذي يجب ان تبحث المواضيع بموجبه . واهم من ذلك ان كل فريق كان يصر على ان يكون الفريق الاخر مستعدا لالتزامات معينة قبل ان يستعد للانتقال الى مرحلة صوغ نصوص تسوية السلام . وقد أصرت اسرائيل على ان تقدم اليها الجمهورية العربية المتحدة التزامات محددة ومباشرة وانها ستكون مستعدة للدخول في اتفاقية سلام معها وعندما يتم التوصل الى هذه النقاط سيكون بالامكان البحث في نقاط اخرى ومن ضمنها مشكلة اللاجئين ، اما مسألة الحدود الآمنة

والمعترف بها واتفاقيات الانسحاب والاتفاقيات الاخرى لضمان الامن فيجب ان يتم البحث فيها في الوقت الملائم . وكذلك فان الجمهورية العربية المتحدة استمرت على اعتبار قرار مجلس الامن قرارا يحوي نصوصا ليقوم الفرقاء بتنفيذها ، وعبرت عن استعدادها للقيام بالتزاماتها بموجب القرار بصورة تامة شرط ان تفعل اسرائيل مثل ذلك .

وفي الثامن من شباط ١٩٧١ وجه السفير يارينغ مذكرة الى كل من حكومتي الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل طالبا منهما ان يقدما له سلفا بعض الالتزامات . والقصد من هذه المحاولة هو ان الالتزامات يجب ان تقدم بوقت واحد وبصورة متبادلة وان تكون خاضعة للتقرير المرضي النهائي لجميع مظاهر التسوية السلمية بما فيها ، وبصورة خاصة ، تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين . فاسرائيل سوف تعطي تعهدا بالانسحاب من اراضي الجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين خلال الانتداب البريطاني ، وكذلك فان الجمهورية العربية المتحدة سوف تتعهد بعقد معاهدة سلام مع اسرائيل .

وقد وافقت الجمهورية العربية المتحدة بمذكرتها المؤرخة في ١٥ شباط على التعهدات الواردة في كتاب السفير يارينغ ، وذلك اذا أعطت اسرائيل بالمقابل تعهدات تشمل التزاماتها حسب قرار مجلس الامن بما فيها التعهدات بانسحابها من سيناء وقطاع غزة وايضا لاتمام تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، حسب قرارات الامم المتحدة .

اما جواب اسرائيل على مبادرة السفير يارينغ فقد رحب باستعداد الجمهورية العربية المتحدة لعقد معاهدة سلم مع اسرائيل . وتجاهل هذا الجواب النقطة المتعلقة بالانسحاب التي حاول السفير يارينغ ان يأخذ من اسرائيل تعهدا بها ، وفوق ذلك فان اسرائيل صرحت بأنها سوف لا تنسحب الى حدود ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

وكان رد فعل الحكومة المصرية على ذلك بأنه سوف لا يكون لجوابها للسفير يارينغ اي مفعول الا اذا تعهدت اسرائيل باعطاء الضمانات التي طلبها منها السفير يارينغ .

وهكذا تجمدت المحادثات تحت اشراف الممثل الخاص للامين العام .

وبتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٧١ اتخذت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٧٩٩ (٢٦) الذي لاحظت فيه بتقدير رد مصر الايجابي على مبادرة المبعوث الخاص وطلبت من الامين العام اتخاذ الاجراءات الضرورية لبعث مهمة السفير يارينغ من جديد . وقامت عدة اتصالات بين المبعوث الخاص وبين ممثلي مصر واسرائيل اللذين اصرا على موقفهما . الاول اصر على ان ترسل اسرائيل التعهدات المطلوبة بكتاب السفير يارينغ الموجه اليها بتاريخ ٨ شباط ٩٧١ ، والثانية اصرت على اقامة مفاوضات بين الطرفين دون شروط مسبقة . وفي ٨ كانون الاول ١٩٧٢ اتخذت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٩٤٩ (٢٦) الذي اكدت فيه قرارها رقم ٢٧٩٩ (٢٦) وعبرت عن تأييدها لجهود الامين العام ومبعوثه الخاص . وعادت مهمة المبعوث الخاص الى التجمد من جديد(٦) .

٥ — **القرارات الانسانية** . اساس هذه القرارات كلها قرار مجلس الامن رقم ٢٣٧ الذي صوت عليها بالاجماع في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والذي طالب اسرائيل « احترام حقوق الانسان الاساسية التي لا يمكن التنازل عنها والتقيد باتفاقيات جنيف الاربعة لعام ١٩٤٩ وتأمين سلامة وخير وامن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية وتسهيل عودة اولئك الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب القتال » وطلب المجلس الى الامين العام للمنظمة « متابعة تنفيذ هذا القرار تنفيذا فعالا ورفع تقرير عن

ذلك لمجلس الامن » وفي ٤ تموز (يوليو) اكدت الجمعية العامة في دورتها الطارئة الخاصة هذا القرار بقرارها رقم ٢٢٥٢ وبأكثرية مائة صوت . وقد اصبح هذان القراران مرتكزا لجميع القرارات التي عرفت « بالانسانية » والتي تضمنت تعدادا بخرق اسرائيل لجميع الالتزامات القانونية الدولية الناشئة عن اتفاقيات جنيف الاربعة وتحديد الجرائم التي ارتكبتها ضد العرب في المناطق المحتلة .

وقد اوفدت الجمعية العامة لجانا كما اوفد الامين العام ممثلا للتحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة وفي ما يلي بيان بها :

أ ــ اوفد الامين العام تنفيذا للقرار ٢٣٧ ممثلا خاصا له للمناطق المحتلة ورفع تقريره لكل من الجمعية العامة ومجلس الامن في ٢ (اكتوبر) تشرين اول ١٩٦٧ عن سكان هذه المناطق وعدم عودة النازحين عنها ومعاملة اسرى الحرب العرب .

ب ــ شكلت الجمعية العامة عام ١٩٦٩ لجنة خاصة من سيلان ويوغسلافيا والصومال للتحقيق في انتهاكات اسرائيل لاتفاقيات جنيف . وقد رفضت اسرائيل التعاون مع هذه اللجنة لكنها قامت بعملها وزارت المنطقة وقدمت حتى الان ثلاثة تقارير وبالاستناد اليها صوتت الجمعية العامة منذ عام ١٩٧٠ على ثلاثة قرارات اعربت فيها عن قلقها البالغ العميق للانتهاكات التي ارتكبتها اسرائيل في المناطق المحتلة ووجهت دعوة شديدة لها للكف فورا عن اجراءاتها التعسفية ضد السكان العرب ودعتها للتقيد تقيدا دقيقا باتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ كما اكدت ان جميع التدابير والاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير معالم المناطق المحتلة واستيطانها وطرد السكان العرب تعتبر باطلة ولاغية ودعت اسرائيل للتعاون مع لجنة الامم المتحدة .

ج ــ شكلت لجنة حقوق الانسان ، اثر دراستها لقضايا حقوق الانسان في المناطق المحتلة في اذار (مارس) ١٩٦٩ فريق عمل مؤلف من النمسا وبيرو وتنزانيا والسنغال والهند ويوغوسلافيا للتحقيق في انتهاكات اسرائيل المستمرة لحقوق الانسان وخاصة لاتفاقية جنيف الرابعة . ورغم عدم تعاون اسرائيل مع هذا الفريق فقد قام بعمله وقدم تقريرا مفصلا في ٢٠ كانون ثاني (يناير) ١٩٧٠ .

د ــ التقارير السنوية التي يقدمها للجمعية العامة المفوض العام للاونروا والتي تبحث في ما حل بالنازحين الجدد بعد عام ١٩٦٧ من اضطهاد وتشريد وعذاب وما لحق باللاجئين العرب في مخيماتهم في المناطق المحتلة التي هدم جيش اسرائيل بعضها ، وشرد من غزة بالذات عشرات الاف اللاجئين ، كما حولت منشآت اخرى للاجئين وبعض المدارس والمستشفيات الى منشآت وثكنات يستفيد منها الجيش الاسرائيلي .

واستنادا لهذه التقارير كلها بالاضافة الى تقارير هيئات دولية اخرى كاللجنة الدولية للصليب الاحمر الدولي « والامنستي انترناشونال » فان العديد من القرارات التي صوتت عليها الهيئات الدولية اكدت انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان وادانتها . نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، ما ورد في بعض قرارات لجنة حقوق الانسان ، مما يشير بالتخصيص لخرق اسرائيل لاتفاقيات جنيف . فقد ورد في قرار اللجنة رقم ٢٠ تاريخ ٢٣ اذار ١٩٧٠ ما يلي : « ان لجنة حقوق الانسان اذ تشير لقرار الجمعية العامة رقم ٢٥٣٥ لعام ١٩٦٩ الذي اعادت فيه تأكيد الحقوق الثابتة لسكان فلسطين ، ورقم ٢٥٤٦ الذي عبرت فيه الجمعية العامة عن قلقها البالغ من الانتهاكات المستمرة لحقوق الانسان في الاراضي التي تحتلها اسرائيل . وطلبت من اسرائيل ان تلتزم بمسؤولياتها طبقا لاتفاقية جنيف الخاصة بحماية حقوق الافراد في زمن الحرب المعقودة في ١٢ اب (اغسطس) ١٩٤٩ .

« واذ تشير الى قرارها رقم ٥ ب الذي درست فيه انتهاكات اتفاقيات جنيف واعتبارها **جرائم حرب واهانة موجهة للانسانية بالاضافة الى كونها جرائم حرب** .

« واذ تشعر بالقلق الشديد من التقارير الحديثة عن قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلية بعملية طرد جماعي للاجئين الفلسطينيين (ويبلغ عددهم ٣٠٠,٠٠٠ لاجيء) من قطاع غزة المحتل » .

ونصت الفقرة التنفيذية ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوتت عليه لجنة حقوق الانسان في ٢٢ اذار (مارس) ١٩٧٢ على ما يلي : « تعتبر اللجنة ان المخالفات الخطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة التي اقترفتها اسرائيل في المناطق المحتلة **تشكل جرائم حرب واهانة للانسانية** » .

وبالضبط ادانت الجمعية العامة ولجنة حقوق الانسان اسرائيل للانتهاكات التالية لاتفاقيات جنيف :

١ ــ التدمير الكلي او الجزئي لقرى ومدن في المناطق المحتلة .
٢ ــ اقامة مستوطنات اسرائيلية في المناطق العربية المحتلة .
٣ ــ عمليات ترحيل وطرد السكان المدنيين غير القانونية فرديا وجماعيا .
٤ ــ ارغام السكان المدنيين على التعاون مع سلطات الاحتلال ضد ارادتهم .
٥ ــ الغاء القوانين العربية القائمة في المناطق المحتلة .
٦ ــ كل سياسات واجراءات العقاب الجماعي .
٧ ــ استعمال وسائل القسر وتعذيب المساجين لانتزاع المعلومات والاعترافات .
٨ ــ سوء معاملة وقتل المدنيين دون استفزاز .
٩ ــ اعتقال الافراد عن طريق اوامر ادارية لفترات تجدد تلقائيا الى ما لا نهاية .
١٠ ــ حرمان هؤلاء المعتقلين من اي ضمان خاص بمدة الاعتقال والمحاكمة العادلة، وكذلك حرمانهم من استشارة محام يختارونه ومنع المحامي في الحالات التي يقع فيها اختيار المتهمين عليه من مزاولة واجباته بطريقة مرضية .
١١ ــ استملاك الممتلكات العربية المنقولة وغير المنقولة بالقوة .
١٢ ــ السطو على الاثار والممتلكات الثقافية .
١٣ ــ منع وصول الكتب المدرسية التي وافق عليها المدير العام لليونسكو لاستعمالها في مدارس الاونروا واليونسكو في المناطق المحتلة .
١٤ ــ حرمان النازحين الذين بلغ عددهم مئات الالاف من حق العودة الى المناطق المحتلة ، وهو حق اقرته لهم الجمعية العامة بصورة مطلقة ودون ان يتوقف تنفيذه على اي قيد او شرط .

والادلة على استهتار اسرائيل باتفاقية جنيف الرابعة اكثر من ان تحصى نذكر مثلا ما ورد في صحيفة هآرتس عدد ٧٣/٩/٢٤ من ان العميد زئيفي استعرض اثناء لقائه مع المراسلين العسكريين عشية اعتزاله اوجه نشاطه في قطاع غزة واليهودية والسامرة فكشف انه في اليهودية والسامرة فقط تم منذ حرب الايام الستة اعتقال ٧٣٦١ شخصا وان ما يقرب من ثلثي هذا العدد قد اطلق سراحه . وقد جرت الاعتقالات الكبرى عام ١٩٦٩ حيث تم اعتقال ١٦٨٧ شخصا .

وذكرت دافار في ٧١/٩/٦ ان المرحلة الاولى من شق الطرق الامنية في قطاع غزة قد انتهت وانه تم هدم ١٠١١ منزلا يقطنها ٩٢٤ عائلة من المستأجرين يبلغ عدد افرادها ٦٥٠٣ نسمة .

جاء في هآرتس ٧١/٦/٢٩ ، أن عدد المهاجرين من قطاع غزة وشمال سيناء الى الضفة الغربية وسائر الدول العربية حتى نهاية حزيران (يونيو) ٧١ ، بلغ نحوا من ٧٠ الفا . وان الكثيرين من السكان يرغبون في الهجرة بسبب استمرار اعمال القتل والارهاب في القطاع .

وليس أدل على استهتار اسرائيل باتفاقيات جنيف من انها اصدرت تعليمات لايقاف العمل بها . فبعد دخول الجيش الاسرائيلي الى المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، نشرت قيادة ذلك الجيش تعليمات بشأن اوضاع الامن في تلك المناطق اعلنت بموجبها انهـا تعتبر اتفاقية جنيف بشأن معاملة المدنيين ملزمة بالنسبة لها . فقد جاء في المادة ٣٥ من الأمر بشأن تعليمات الامن (المنشور رقم ٣) الذي أصدره العميد حاييم هرتسوغ ، قائد القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية يوم ١٩٦٧/٦/٧ ما يلي : « يترتب علـى المحكمة العسكرية ومديريتها تطبيق احكام اتفاقية جنيف المؤرخة في ٢ اب (اغسطس) ١٩٤٩ بخصوص حماية المدنيين اثناء ايام الحـرب بصدد ما يتعلـق بالاجـراءات القضائية . واذا وجد تناقض بين هذا الامر وبين الاتفاقية المذكورة ، فتكون الافضلية لاحكام الاتفاقية » .

غير انه لم تمر الا بضعة اشهر حتى عادت السلطات الاسرائيلية ذاتها والغت تلك التعليمات ووضعت محلها تعليمات ادارية اسرائيلية تنقض اتفاقيات جنيف . ففـي ١٩٦٧/١٠/٢٢ صدر عن العميد عوزي نركيس امر يلغي المـادة ٣٥ المشار اليها . (أمر رقم ١٤٤) وكانت قد صدرت تعليمات مماثلة بالنسبة لقطاع غزة من قبل العميد مردخاي غور يوم ١٩٦٧/١٠/١١ (أمر رقم ١٠٧) .

كذلك صادق وزير العدل الاسرائيلي في جلسة الكنيست المنعقدة بتاريخ ٦٨/١٢/٢ على اوامر الالغاء المذكورة ، مدعيا انه ليست هناك افضلية لاحكام اتفاقية جنيف على القانون الاسرائيلي وتعليمات القادة الاسرائيليين العسكريـين المطبقة في المناطـق المحتلة . وان الاشارة الى احكام اتفاقية جنيف في الاوامر التي نشرت خلال الحرب ، والتي تم الغاؤها كما ذكرنا ، انما جاء بطريق الخطأ .

وهكـذا يتضح سواء من التشريعـات الاسرائيلية او مـن تصرفـات السلطات الاسرائيلية انها لا تقيم اي وزن لاتفاقيات جنيف او لقرارات الامم المتحدة والموضوع ما زال مدرجا على جدول اعمال الامم المتحدة تناقشه في كل دورة وتتخذ قـرارات بشأنه بالاستناد الى التقارير السنوية التي ترفعها اللجنة الثلاثية للتحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة بعد زيارتها لها كل سنة .

٦ ــ **القدس** : اكملت اسرائيل احتلال القدس خلال حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وضمت القدس القديمة الى القدس الجديدة تحت شعار توحيد المدنية المقدسة واخذت تطرد السكان العرب اكثر فأكثر تمهيدا لتهويد القدس العربيـة كمـا فعلت بالقدس الجديدة بعد احتلالها عام ١٩٤٨ وتغيير معالمها . وقد نظرت الجمعية العامة خـلال الدورة الطارئة الخامسة الخاصة المنعقدة من ١٧ حزيران (يونيو) الى ٢١ تمـوز (يوليو) ١٩٦٧ اثناء مناقشة ازمة الشرق الاوسط في قضية القدس . وكانت ــ الى جانب ما عرف « بالقضية الانسانية » ــ القضية الوحيدة من أوجه قضية فلسطين التي اتخذت الدورة الطارئة قرارات حاسمة بشأنها . ثم تبعتها قرارات كثيرة من عدة هيئات . ويمكن تقسيم هـذه القرارات الى اربع فئات رئيسية : أ ــ ما يتعـلق بالقدس خاصة . ب ــ ما يتعلق بالمناطق المحتلة عامة مـع التفرد بـذكر القدس . ج ــ القرارات التي صوتت عليها الجمعية العامة حـول بند « الوضـع في الشرق

الاوسط » . د — ما صوتت عليه لجنة حقوق الانسان حول المناطق المحتلة مع تشديد خاص على القدس .

بعد ان ناقشت الجمعية العامة في الدورة الطارئة بالتفصيل الاجراءات الاعتباطية التي نفذتها اسرائيل في القدس تبنت القرار رقم ٢٢٥٣ (أ. ط — ٥) في ١٩٦٧/٧/٤ الذي اعربت فيه عن قلقها الشديد للاجراءات التي اتخذتها اسرائيل في القدس واعتبرتها لاغية وطلبت من حكومة اسرائيل « الغاء كل التدابير التي اتخذت والامتناع فورا عن القيام بأي عمل من شأنه ان يبدل من وضع القدس ، كما طلبت من الامين العام « اعلام الجمعية العامة ومجلس الامن عن الوضع في المدينة المقدسة وعن تنفيذ هذا القرار وذلك في غضون اسبوع بعد التصويت عليه » . وبالفعل قدم الامين العام تقريره في ١٠ تموز ١٩٦٧ (رقم S/٨٠٥٢ — A/٦٧٥٣) واوضح فيه ان اسرائيل لم تتراجع عن أي من الاجراءات التي اتخذتها وانها ماضية فيها . وفي ١٤ تموز (يوليو) عادت الجمعية العامة واكدت قرارها السابق بقرار ثان رقم ٢٢٥٤ (دورة أ. ط — ٥) الذي لاحظت فيه « بأسف وقلق شديدين عدم امتثال اسرائيل » بالقرار السابق ، « واستنكرت فشل اسرائيل » بتنفيذه ، « وكررت دعوتها الى اسرائيل لالغاء جميع الاجراءات التي اتخذتها والامتناع في المستقبل عن القيام بأي عمل من شأنه ان يغير الوضع في القدس » . وقد عين الامين العام على أثر هذا القرار ممثلا خاصا له هو السفير ثالمان من سويسرا فذهب الى القدس ودرس الاوضاع فيها وقدم تقريرا ثانيا الى كل من الجمعية العامة ومجلس الامن في ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ واتضح منه ان اسرائيل طبقت على القدس بكاملها وبعض المناطق العربية المحيطة بها التي كانت تابعة للاردن سابقا التشريعات الاسرائيلية كما اخذت في تهجير سكانها واستملاك الاراضي العربية .

وبتاريخ ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، بعد ان درست الجمعية العامة تقرير اللجنة الخاصة للتحقيق في الممارسات الاسرائيلية التي تمس حقوق الانسان لسكان الاراضي المحتلة ، اتخذت قرارها رقم ٢٨٥١ (الدورة ٢٦) الذي اكدت ثانية في فقرته الرابعة « ان كل الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لاستيطان الاراضي المحتلة ، بما في **ذلك القدس المحتلة** ، باطلة ولاغية كليا » .

اما القرارات الاخرى التي اتخذتها الجمعية العامة والمتعلقة بالاراضي العربية المحتلة فهي كثيرة ، نذكر منها :

أ — القرار رقم ٢٤٥٢ (الف) (الدورة ٢٣) تاريخ ١٩٦٨/١٢/١٩ الذي طلبت فيه من حكومة اسرائيل اتخاذ التدابير الفعالة الفورية اللازمة لعودة السكان الذين هربوا من المناطق المحتلة منذ نشوب الاعمال العدائية .

ب — القرار رقم ٢٨٥١ (الدورة ٢٦) تاريخ ١٩٧١/١٢/١٣ الذي طلبت فيه بقوة من اسرائيل ان تلغي فورا كل الاجراءات وتكف عن كل السياسات والتصرفات مثل ضم أي جزء من الاراضي العربية المحتلة . وبنفس المعنى ايضا القرار رقم ٣٠٩٢ (ب) (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١٢/٧ .

جـ — القرار رقم ٣٠٨٩ (جـ) (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١٢/٧ الذي دعت فيه اسرائيل بان تمتنع عن القيام بالاجراءات التي تعيق عودة السكان المطرودين بما فيها الاجراءات التي تؤثر على التركيب الطبيعي والسكاني للمناطق المحتلة .

وهناك ايضا القرارات التي صوتت عليها الجمعية العامة حول بند « الوضع في الشرق الاوسط » التي تطبق على القدس ايضا واهمها القرار رقم ٢٦٢٨ (الدورة

٢٥) تاريخ ١٩٧٠/١١/٤ الذي اكدت فيه من جديد ان اكتساب الاراضي بالقوة امر غير جائز وانه يجب لذلك رد الاراضي التي تم احتلالها على ذلـك الوجه . وبنفس المعنى ايضا القرار رقم ٢٧٩٩ (الدورة ٢٦) تاريخ ١٩٧١/١٢/١٣ ، والقرار رقـم ٢٩٤٩ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٩٧٢/١٢/٨ .

وبتاريخ ١٤ اذار (مارس) ١٩٧٣ اصدرت لجنة حقوق الانسان قرارهـا رقم ٤ (٢٩) أكدت فيه من جديد بطلان جميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية لتغيير الطابع السكاني والديمغرافي للمناطـق العربيـة المحتلـة وذكرت القـدس بالتخصيص .

مجلس الامن :

لكن قرارات الجمعية العامة لم تردع اسرائيل من اتخاذ المزيد من الاجراءات الرامية الى تهويد القدس وجعلها « معرضا للصهيونية » فعمدت سنة بعد سنة الى استملاك الاراضي العربية ــ بما في ذلك املاك للاوقاف الاسلامية واراض لبعض الكنائـس المسيحية ــ واخراج العرب مسلمين ومسيحيين من بيوتهم واملاكهم والاستيلاء عليها بالقوة والمجيء بعشرات الاف المهاجرين اليهود دفعة بعد دفعة ليحلوا محل العـرب المطرودين المشردين . وحددت الهدف على انه المجيء ب ١٢٢٠٠٠ مهاجـر يهودي وضمت لمدينة القدس اراض عربية من القرى المجاورة استولت عليها بالقوة . ونظر مجلس الامن ست مرات بموضوع القدس وصوت على ستة قرارات هي التالية :

٢٥٠ في ١٩٦٨/٤/٢٧ بدعوة اسرائيل لعدم اقامة عرض عسكري في القدس .

٢٥١ في ١٩٦٨/٥/٢ بشجب اسرائيل لاقامتهـا العرض العسـكري رغم قراره السابق .

٢٥٢ في ١٩٦٨/٥/٢١ .

٢٦٧ في ١٩٦٩/٧/٣ .

٢٧١ في ١٩٦٩/٩/١٥ وفيه ادانة اسرائيل لحريق المسجد الاقصى وتدنيسه .

٢٩٨ في ١٩٧١/٩/٢٥ .

وفي جميع هذه القرارات تصعيد لقـراري الجمعية العامـة الخاصين بالقـدس فبالاضافة الى ما جاء فيهما من احكام اكد المجلس « رفضه الاستيلاء على الاراضي بالقوة » وابدى اسفه البالغ لعدم امتثال اسرائيل لهذه القرارات وعاد فشدد « انـه يؤكد بأوضح العبارات ان جميع الاجراءات الادارية والتشريعية وجميع الاعمال التي قامت بها اسرائيل بما في ذلك مصادرة الاراضي والاملاك العربية التي من شأنها ان تؤدي الى تغيير معالم الوضع القانوني للقدس هي اجراءات باطلة » وطلب بشـدة الغاءها **وادان** اسرائيل « لعدم تنفيذها قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن في القرار المتخذ بشأن حريق المسجد الاقصى الذي وصفه بانه « عمل مقيت لتدنيس المسجـد الاجرامي للمسجد الاقصى ولجميع المسؤولين عنه » (القرار رقم 83 EX/4 3.1.1. الاقصى » . وفعلت مثل ذلك اليونسكو فادان مجلسها التنفيذي اسرائيل « للحريق المتخذ في الجلسة رقم ٨٣ عام ١٩٧٠) وكان المؤتمر العام لليونسكو في قراره المتخذ بتاريخ تشرين اول / تشرين ثاني (اكتوبر / نوفمبر) ١٩٦٨ قد وجه لاسرائيل نـداء دوليا ملحا لان تحافظ بكل دقة على كافة المواقع والمباني وغيرها من الممتلكات الثقافية ولا سيما في مدينة القدس القديمة وان تمتنع عن اي عملية من عمليات الحفريات أو اي عملية لنقل هذه الممتلكات او تغيير معالمها او ميزاتها الثقافية والتاريخية » . لكن اسرائيل لم تنفذ هذا القرار واستمرت في حفرياتها الاثرية مما اضطر المجلس التنفيذي

لان يصوت على قرار آخر عام ١٩٧١ أكد فيه جميع القرارات السابقة بما فيها قرارات المنظمة الام . وفي ١٩٧٤/١١/٢٠ ادانت اليونسكو اسرائيل لاستمرارها في حفرياتها وعدم التقيد بقراراتها السابقة وفرضت **عقوبات** عليها بأن منعتها من الاستفادة من المعونات العلمية والتربوية التي تقدمها لها . وفي ١٩٧٤/١١/٢١ صوتت على قرار آخر منعت اسرائيل بموجبه من المشاركة في أي من اللجان الخمس الاقليمية التابعة لها . وسيكون لهاتين السابقتين اثرهما الخطير لا على زيادة عزل اسرائيل في المجتمع الدولي فحسب بل أيضا في تطور القانون الدولي وفقه المنظمات الدولية بالذات وتكامله وذلك بجعله أكثر فعالية .

يلاحظ في القرارات المشار اليها ان مجلس الامن والجمعية العامة واليونسكو ولجنة حقوق الانسان بتأكيدهم ان كل ما اتخذته اسرائيل من تدابير واجراءات في القدس تعتبر باطلة ولاغية انما يعني عدم اعتراف المنظمات الدولية بسيادة اسرائيل على القدس . وبرفضها « احتلال الاراضي بالقوة » تنكر أي سيادة اسرائيلية وكل ما يتفرع عنها مما أخذته اسرائيل لذاتها بالاحتلال العسكري . فالغزو العسكري لا ينشأ عنه حق ولا يعطي سيادة . وبذلك تكون الامم المتحدة قد أكدت من جهة ثانية حق العرب في القدس اي حق السيادة عليها . ويشمل ذلك حق العرب الذين ما زالوا يقطنون في القدس أن يعيشوا فيها بأمن وطمأنينة دون أن يتعرضوا لاستملاك اراضيهم او اخراجهم بالقوة . كما يشمل حق العرب الذين طردوا من القدس وحق الذين استملكت اراضيهم وبيوتهم ان تعاد اليهم . وبكلمة اخرى ان الاحتلال لا يضفي أي شرعية واية سيادة طالما ان صاحب الحق لم يتنازل عن حقه بل هو متمسك فيه وطالما ان التشريع الدولي يقول ببطلانه والغاء نتائجه .

أما قرارا اليونسكو الاخيران بفرض العقوبات فان بحث ابعادهما ونتائجهما القانونية في مستقبل التشريع الدولي هو أكثر مما يمكن ان نتعرض له هنا ونأمل أن تكون لنا عودة اليه .

٧ ـــ مادة ما سمي « بالارهاب الدولي » والقرار المتخذ :

اثر حادث ميونيخ طلب الامين العام فالدهايم في تاريخ ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ادراج بند جديد في جدول اعمال الجمعية العمومية عنوانه « اجراءات منع الارهاب وغيره من أنواع العنف التي تهدد أو تودي بحياة الابرياء او تعرض للخطر الحريات الاساسية » .

وبعد مناقشات طويلة وحادة نجح سفير المملكة العربية السعودية السيد جميل البارودي في ادخال اضافة على البند الذي اقترحه الامين العام هي الآتية : « ودراسة الاسباب وراء تلك الانواع من الارهاب وأعمال العنف الكامنة في البؤس والاحباط والاسى واليأس التي تتسبب في قيام بعض الناس بالتضحية بأرواح البشر بما فيها أرواحهم في محاولة لاجراء تغييرات جذرية » . وقد كان من نتائج الاضافة العربية أنها غيرت اتجاه المناقشات لانها جعلت أمرا محتما وضروريا العودة الى تلك الاسباب العميقة الكامنة في البؤس واليأس ـــ أي الى جذور المأساة العربية الحديثة ـــ كما تتمثل في فلسطين وانها وجهت القرار الاخير الصادر عن الجمعية العمومية الرقم ٣٠٣٤ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٩٧٢/١٢/١٨ في اتجاه مفيد للعرب بحيث تضمن في قسمه التنفيذي الفقرات الثلاث الآتية :

١ ـــ تحث (أي الجمعية العمومية) الدول على تكريس عنايتها الفورية لايجاد حلول عادلة سلمية للاسباب الاساسية التي تؤدي الى اعمال العنف .

٢ ـ تعيد التأكيد على الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت الاستعمار وانظمة التمييز العنصري وانواع السيطرة الاجنبية الاخرى ، وتدعيم شرعية نضالها ، خصوصا نضال الحركات التحررية ، وذلك وفقا لاغراض ميثاق الامم المتحدة ومبادئه وسواه من قرارات اجهزتها ذات الصلة بالموضوع .

٣ ـ تدين استمرار اعمال القمع والارهاب التي تقوم عليها الانظمة الارهابية والعنصرية في انكار حق الشعوب الشرعي في تقرير المصير والاستقلال ، وغيرهما من حقوق الانسان وحرياته الاساسية .

وانها بالنتيجة جعلت عددا من الدول التي كانت متحمسة لادراج بند « الارهاب » على جدول اعمال الجمعية العمومية تصوت ضد القرار السابق وجعلت بعضها الآخر يستنكف عنه . وقد طلب القرار في فقرته الثامنة من الامين العام تقديم دراسة تحليلية حول الموضوع الى الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العمومية وقد فعل . وجاء التقرير متضمنا أقساما تتناول نواحي شتى من الاسباب الخفية المؤدية الى « البؤس والاحباط والاسى واليأس » والتي ما كانت لتوجد في التقرير لولا صياغة البند على الشكل الذي صيغ فيه والذي أوردناه .

٨ ـ اقرار حقوق شعب فلسطين :

كان من نتيجة تصعيد نضال الشعب الفلسطيني والدول العربية على الصعيدين السياسي والعسكري ان ابتدأت الامم المتحدة تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني . ففي قرارها رقم ٢٥٣٥ ب (الدورة ٢٤) تاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ اكدت الجمعية العامة حقوق شعب فلسطين الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها . وبالاضافة الى ذلك فان الجمعية العامة اعتبرت الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية بمثابة استعمار وان نضال الشعب العربي هو نضال ضد الاستعمار وأكدت شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والاجنبية ، والمعترف بحقها في تقرير المصير لكي تستعيد ذلك الحق بأية وسيلة في متناولها (القرار رقم ٢٦٤٩ (الدورة ٢٥) تاريخ ١٩٧٠/١١/٣٠) . وفي قرارها رقم ٢٦٧٢ ج (الدورة ٢٥) تاريخ ١٩٧٠/١٢/٨ اعترفت الجمعية العامة لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق وبحق تقرير المصير ، وفقا لميثاق الامم المتحدة وأعلنت ان الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها هو عنصر أساسي في اقامة سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط . كما أكدت ايضا في قرارها رقم ٢٧٨٧ (الدورة ٢٦) تاريخ ٦ كانون الاول ١٩٧١ شرعية نضال الشعوب في سبيل تقرير المصير والتحرر من الاستعمار والتسلط والاستعباد الاجنبي ولا سيما في افريقيا الجنوبية وعلى الخصوص شعوب زمبابوي وناميبيا وموزامبيق وغينيا (بيساو) وكذلك الشعب الفلسطيني بكل الوسائل المتوفرة التي تنسجم مع ميثاق الامم المتحدة ، وتأكدت هذه المبادىء ايضا في قراراتها رقم ٢٩٥٥ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٩٧٢/١٢/١٢ ، وقرارها رقم ٣٠٣٤ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٨/ ١٩٧٢/١٢ ، وقرارها رقم ٣٠٧٠ (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١١/٣٠ وقرارها رقم ٣١٠٣ (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١٢/١٢ . ولا بد من أن نسجل هنا ما اكده الامين العام يو ثانت منذ عام ١٩٦٧ اذ جاء في تقريره السنوي المرفوع للجمعية العامة في أيلول (سبتمبر) « لكل شعب في اي **حق طبيعي** في أن يكون في وطنه وأن يبني مستقبله فيه . وهذا ينطبق من دون ريب على اللاجئين العرب من فلسطين » (التقرير رقم A/6701/add. 1. الفقرة ٧) .

٩ ــ القرار رقم ٣٣٨ :

وفي السادس من تشريـــن الاول ١٩٧٣ اندلعت الحرب مـــن جديد على الجبهتين السورية والمصرية ، وبتاريخ ٧ تشرين الاول طلبت الولايات المتحدة اجتماعا عاجلا لمجلس الامن ، وعقد المجلس أربعة اجتماعات بين ٨ و ١٢ من شهر اوكتوبر دون ان يتوصل الى أي اتفاق عما يجب ان يقوم به . واستمرت التقارير تتوالى على المجلس . وبتاريخ ٢١ اكتوبر عقد المجلس اجتماعا بناء على طلب الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبتاريخ ٢٢ اكتوبر تبنى المجلس قراره رقم ٣٣٨ (لم تشترك الصين بالتصويت) الذي دعا الى وقف اطلاق النار وانهاء العمليات العسكرية فورا ودعا الاطراف المعنية أن تبدأ فور وقف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٩٦٧/٢٤٢ ، وان يباشروا المفاوضات تحت اشراف ملائم .

وبتاريخ ٢٣ من اكتوبر اجتمع المجلس بناء علـــى طلب مصر للنظر في عدم تقيـــد اسرائيل بوقف اطلاق النار فاتخذ المجلس قراره رقم ٣٣٩ الذي أكد فيه قراره السابق وقرر تكليف الامين العام بارسال مراقبين عن الامم المتحدة ليشرفوا على وقف اطلاق النار . وبتاريخ ٢٥ اكتوبر ٩٧٣ تبنى المجلس قراره رقم ٣٤٠ الذي قرر فيه انشاء قوة طوارىء دولية ، التي أرسلت الى مصر وبتاريخ ٢٧ اكتوبر ٩٧٣ الذي حدد مدة قوة الطوارىء ستة أشهر قابلة للتجديد بعد موافقة المجلس . وبتاريخ ١٥ كانون الاول عقد المجلس اجتماعا خاصا لمناقشة الاجراءات اللازمة لمؤتمر الصلح المقترح للشرق الاوسط واتخذ قراره رقم ٣٤٤ الذي أعرب فيه عن أمله بأن يساهم هذا المؤتمر بانشاء سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط وعبر عن ثقته بأن الامين العام سوف يلعب دورا فعالا في هذا المؤتمر حسب القرارات الملائمة لمجلس الامن وأن يرئس هذا المؤتمر فيما اذا طلب منه الاطراف ذلك .

وبتاريخ ٢١ كانون الاول عقد مؤتمر السلام في جنيف بحضور كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل وذلك تحت اشراف الامين العام والرئاسة المشتركة لكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . وقد عقد المؤتمـــر اجتماعين عامين واجتماعا مغلقا ولخص الامين العام خلاله المؤتمر بقوله انه قد اتفق باجماع الآراء لاستمرار عمل المؤتمر بواسطة انشاء فريق عامـــل عسكري الذي سيناقش مسألة فصل القوات .

وبتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ وقعت اتفاقية فصل القوات المصرية الاسرائيلية كنتيجة لمؤتمر جنيف .

وبتاريخ ٢٨ أيار ١٩٧٤ أعلم الامين العام مجلس الامن عن ترتيبات لاتفاقية فصل القوات بين سوريا واسرائيل التي ستوقع في جنيف وبتاريخ ٣١ أيار وقعت هـــذه الاتفاقية واقيمت على خطوط الفصل قوة أنشأتها الامم المتحدة تدعى قوة مراقبي فصل القوات التابعة للامم المتحدة .

١٠ ــ اعادة ادراج « قضية فلسطين » كبند مستقل على جدول الاعمال والقرارات اللاحقة :

بحثت في مقال سابق خلفية طي « قضية فلسطين » كبند مستقل على جدول الاعمال منذ الدورة السابعة المعقودة عام ١٩٥٢ وكيف كانت قضية فلسطين تناقش في اطار بنود اخرى « كالوضع في الشرق الاوسط » أو « التقرير السنوي لمدير وكالة الاونروا » وغيرها(٧). وفي مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ أخذ مجلس الجامعة العربية قرارا بطلب ادراج القضية كبند مستقل . وتقدمت وفود الدول العربية الدائمة لدى الامم

المتحدة بطلب الادراج على جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها التاسعة والعشرين. وقد وافقت الجمعية العامة بأكثرية ساحقة على ادراج « قضية فلسطين » كبند مستقل رقم ١٠٨ (٨).

وفي ١٤/١٠/١٩٧٤ وافقت الجمعية العامة بأكثرية ١٠٥ أصوات على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشاتها ونص قرارها على ما يلي :

« ان الجمعية العامة اذ تعتبر أن الشعب الفلسطيني هو الفريق الرئيسي المعني بمسألة فلسطين تدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي ممثلة الشعب الفلسطيني للمشاركة في مناقشات الجمعية العامة حول مسألة فلسطين في الجلسات العامة » وقد صوتت اربع دول ضد القرار فقط وهي اسرائيل ، اميركا ، بوليفيا ، جمهورية الدومينيك .

وفي ٢٢/١١/١٩٧٤ صوتت الجمعية العامة على قرارين تاريخيين الاول يتعلق بحقوق شعب فلسطين . ولا يشير لأية قرارات سابقة للامم المتحـدة بل يعيد تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين التي لا يمكن التنازل عنها ويحددها على انهـا حق تقرير المصير وحق الاستقلال والسيادة وحق عودة الفلسطينيين الى ممتلكاتهم ومنازلهم التي شردوا منها وان احترام هذه الحقوق شرط أساسي لتسوية قضية فلسطين واقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط وان الشعب الفلسطيني طرف رئيسي لتحقيق مثل هذا السلام وحق الشعب الفلسطيني ان يسترد هذه الحقوق بجميع الوسائل وفقـا للميثاق ويوجه نداء لجميع الحكومات والمنظمات الدولية لمساعدة الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل استرداد حقوقه ويطلب الى الامين العام للمنظمة ان يتصل بمنظمة التحرير في جميع القضايا المتعلقة بفلسطين وان يقدم للدورة ٣٠ للمنظمة تقريرا عن وضع هذا القرار موضع التنفيذ وادراج بند « قضية فلسطين » على جدول أعمال الدورة المقبلة . ونال هذا القرار ٨٩ صوتا معه و٨ ضده و٣٧ امتناع بينها دول اوروبا الغربية واميركا اللاتينية . واما القرار الثاني فيعطي منظمة التحرير الحق في أن تتمثل بمراقب دائم لدى المنظمة . ونال هذا القرار ٩٥ صوتا معه و١٧ ضده و١٩ امتناع .

• • •

وفي اطار المنهج الذي تحدثنا عنه في مطلع هذا المقال يمكن اثارة ودراسة المواضيع التالية في حقبة العشر سنوات التي نبحث فيها :

١ ــ اختلاف ميزان القوى ومواقف الكتل والتصويت بين ١٩٦٥ و١٩٧٤ . ٢ ــ ما هي وسائل المنظمة لفرض قراراتها وهل استعملت هذه الوسائل ؟ ٣ ــ ما هو دور المحكمة الدولية وفائدة اللجوء اليهـا ؟ ٤ ــ تكتل القوى الدوليـة داخل المنظمة ؟ ٥ ــ الدبلوماسية العربية والدبلوماسية الاسرائيلية في المنظمة . ٦ ــ الاعلام العربي والاعلام الاسرائيلي في المنظمة . ٧ ــ دور الامين العام .

الى جانب مواضيع أخرى كثيرة .

• • •

واخيرا عندما نتلفت عشر سنين الى الوراء نجد أن قضيـة فلسطين والثـورة الفلسطينية قد خطت خطوات كبيرة في المنظمة ولا سيمـا بعد حرب تشريـن الاول (اكتوبر) لعام ١٩٧٣ وفي طليعتها ان قضية فلسطين وضعت في اطارها الصحيح وان الشعب الفلسطيني العربي قد أصبح عاملا فاعلا مبـاشرا في القرارات التي تصاغ وتتخذ . ويتبلور ذلك كله في القوى الصانعة للتاريخ والفاعلة فيه . لا ريب ان قضية

فلسطين كما تتجسم في حقوق الشعب الفلسطيني قد دخلت مرحلة جديدة واصبحت ترتكز الى شرعية دولية ثابتة قوية . هذه الشرعية لم تجد بها منظمة الامم المتحدة لانها كانت ابدا ودوما كامنة في الشعب الفلسطيني ذاته . ولكن من الواجب ان نقول ان الطريق ما زالت صعبة وشاقة وطويلة لان دراسة الثورات الكبرى عبر التاريخ تثبت ان الحقوق الطبيعيــة والتاريخيــة والثابتة لاي شعب او امة تكتسب من خــلال الدماء والدموع والضحــايا ولا يمكن لظــالم او مغتصب لها ان يتخلى عنها طواعية بل مكرهــا .

---

١ ـ راجع : Bassioumi, C. and Fisher E. «The Arab Israeli Conflict», *St. John's Review*, January 1970, pp.403 - 404.

٢ ـ من أجل النصوص الكاملة لهذه القرارات وجميع القرارات اللاحقة التي سيأتي ذكرهــا راجع : **قرارات الامم المتحدة حول فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣ .

٣ ـ John Lawrence Hargrave, «Aleating the Middle East Crisis Through the United Nations (and Vice Versa)», *Kansas Law Review*, Vol. 19, No. 3, Spring, 1971, p.367.

٤ ـ **المرجع السابق** ، ص ٣٦٩ .

٥ ـ **المرجع السابق** ، ص ٣٦٩ .

٦ ـ راجع تقرير الامين العام للامم المتحدة الى مجلس الامن عن أعمال المنظمة حول الوضع في الشرق الاوسط من حزيران (يونيو) ١٩٦٧، رقم١٠٩٢٩/ S في ١٨ ايار (مايو) ١٩٧٣ ، النص الانكليزي والترجمة العربية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣ .

٧ ـ راجع **شؤون فلسطينية** ، تشـرين الاول (اكتوبر)، ١٩٧٤ ، مقال « ادراج قضية فلسطين على جدول أعمال الامم المتحدة » . وفي العدد ذاته مقال الاستاذ منير شفيق « فلسطين في الامم المتحدة ، خطوة نضالية » .

٨ ـ في عدد كانون الاول (ديسمبر) مقال الدكتور نبيل شعث « القصة الكاملة لادراج القضــية في الامم المتحدة » في مجلة **شؤون فلسطينية** ، عدد ٤٠ .

حق الشعب الفلسطيني بأرضه والعودة إليها

انطلاقا من شرعة حقوق الانسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها

صلاح الدين الدباغ

« ان قضية اللاجئين العرب الفلسطينيين قد نشأت نتيجة حرمانهم حقوقهم التي لا تتزعزع والتي نص عليها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان » .

الجمعية العامة للامم المتحدة — القرار رقم ٢٥٣٥
القسم ب (٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٦٩

يشهد التاريخ المعاصر تصفية الاستعمار والامبريالية في العالم ويسير بخطى ثابتة نحو هذا الهدف . وفي الوقت ذاته نجد على الصعيد القانوني ان المبادىء القانونية في الحق العام التي تعطي الشعوب الحق في سيادتها وتقرير مصيرها قد ترسخت وتوطدت وتدعمت . بيد ان تاريخ فلسطين والشعب الفلسطيني يشكلان انحرافا عن حركة التاريخ هذه . ففي الوقت الذي حصلت فيه شعوب كثيرة على حريتها واستقلالها وأخذ الاستعمار يتهاوى أمام زحف حركات التحرير الوطنية ، تعرض شعب فلسطين الى نوع من اشد أنواع الاستعمار وطأة — هو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي لم يكتف بتجريد شعب فلسطين من حقه في تقرير مصيره، بل واقتلعه بالقسر والارهاب من أرضه ووطنه . وان وقائع تاريخ فلسطين الحديث تثبت بوضوح كل ذلك .

ولئن كانت دراسة الوقائع تشكل أمرا أساسيا لدى دراسة أي موضوع قانوني يتعلق بحالة معينة في الزمان والمكان ، فان دراسة وقائع الاستعمار الصهيوني ، بالنظر الى ما طبع عليه هذا الاستعمار من صفات عنصرية وتوسعية وعنف ارهابي ، تظهر بجلاء اكثر مدى حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الاساسية لا سيما حق تقرير المصير وحق العودة الى الوطن . ومن هنا فاننا سنستعرض في فصل أول من هذه الدراسة بعض الوقائع الرئيسية التي تشكل الخلفية الاساسية للموضوع والتي سنحاول فيما بعد تطبيق مبادىء تقرير المصير والعودة الى الوطن عليها ، وذلك بعد أن نكون في فصل ثان حللنا ماهية حق تقرير المصير وطبيعته ، كما حللنا حق العودة الى الوطن على ضوء الاعلان العالمي لحقوق الانسان وغيره من المواثيق والقرارات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة .

الفصل الاول : فلسطين : الشعب والارض

ان استعراض تاريخ فلسطين وتاريخ شعبها في العقود الخمسة الاخيرة يظهر ان شعب فلسطين لم يتخل قط عن حقه في تقرير مصيره كما انه لم يترك بلاده طواعية بل اكره قسرا ورغم ارادته ومشيئته .

أ ـــ مقدمة

١ ـــ كانت فلسطين تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية ـــ وفي اثناء الحرب العالمية الاولى التي شهدت انهيار هذه الامبراطورية دخلت الجيوش البريطانيـة الاراضي الفلسطينية واحتلتها عامي ١٩١٧ و١٩١٨ .

٢ ـــ ولاضفاء شكل من الشرعية على احتلال الحلفاء للبلاد التي كانت خاضعـة للدولة المهزومة في الحرب العالمية الاولى ، اوجدت هذه الدول نظام الانتداب . وقد نص على هذا النظام ميثاق عصبة الامم الذي وافق عليه مؤتمر باريس للسلام والذي شكل جزءا من معاهدة فرساي . ومن ثم عهدت عصبة الامم رسميا الى بريطانيـا بالانتداب على فلسطين بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٢ .

٣ ـــ تحالفت السلطة البريطانية المنتدبة مع الحركة الصهيونية العالمية التي كانت ترمي الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فبعد أن تثبتت الادارة البريطـانية بموجب صك الانتداب ، أخذت هذه الادارة تضع البلاد في أحوال سياسية واداريـة تضمن تنفيذ وعد بلفور الذي تعهدت بموجبه الحكومة البريطانية مـن طرف واحد بتاريخ الثاني من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومي لليهود فـي فلسطين . فعينت اول مندوب سام لها السيد هربرت صموئيل ، وهو يهودي معروف بميوله الصهيونية ، كما كان اول مدع عام اليهودي الصهيوني نورمان بنتويتش(١).

٤ ـــ وتنفيذا لهذه السياسة ميزت السلطة المنتدبة في معاملتها اليهود على العرب ، فسلحت أولئك بينما نزعت السلاح من يد هؤلاء(٢). ومدت يد العون والمساعدة لليهود وحجبتها عن العرب ، فسهلت لاولئك سبل الاقامة وشراء الاراضي كما فتحت لهـم أبواب البلاد على مصراعيها لدخول أعداد كبيرة ووفيرة منهم الى البلاد .

٥ ـــ نتيجة لهذه السياسة زاد عدد اليهود في فلسطين من ٨٣٫٧٩٤ نسمة عـام ١٩٢٢ أي ما كان يوازي ١١٫٠٦ ٪ من مجموع السكان(٣) الى ٥٨٩٫٣٤٢ نسمة في نهاية فترة الانتداب أي ما يوازي حوالي ٣٠ ٪ من مجموع عدد السكان(٤).

٦ ـــ ونتيجة لهذه السياسة أيضا استطاعت الاقليـة اليهودية الاسـتيلاء عـام ١٩٤٨ بقوة السلاح على ٧٧٫٤٠ ٪ من مساحة فلسطين بينما لم تكن تملك في ذلك الوقت سوى ٥٫٧٦ ٪ من مجموع أراضي فلسطين كما تمكنت من اجلاء حوالي مليون من السكان العرب الفلسطينيين خارج بلادهم لتحل محلهم سكانا مستوردين .

٧ ـــ وفي موجة توسعية جديدة عام ١٩٦٧ استولت اسرائيل عـلى جميع اراضي فلسطين فضلا عن احتلال أراضي دول عربية أخـرى . واضحى الشعب العـربي الفلسطيني اما مشردا خارج بلاده او رازحا تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي . ولكن شعب فلسطين طيلة فترة الانتداب لم يتنازل اطلاقا عن حقه في تقرير مصيره .

ب ـــ تمسك شعب فلسطين بسيادته وعدم تنازله عن حقه في تقرير مصيره :

طيلة فترة الانتداب وشعب فلسطين يناضل نضـالا متواصلا ومريرا من اجـل الحفاظ على سيادته وتقرير مصيره بنفسه وقد اتخذ هذا النضـال اشكالا عـديدة ومختلفة . فمن مجرد التعبير عن الراي والإجتماعات وتقديم العرائض والتظاهرات انتقل هذا النضال الى المقاطعة الاقتصادية والاضرابات والامتناع عن دفع الضرائب ثم اتخذ في مرحلة متقدمة طابع الانتفاضات المسلحة والثورة الشعبية العامة(٥).

١ ـــ فمنذ عام ١٩١٩ عبر الشعب الفلسطيني بوضوح وجلاء تامين عـن رفضه

الكامل للبرنامج الصهيوني الرامي الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وقد بينت هذا الرأي لجنة كنغ ـــ كرين الامريكية التي انبثقت عن مؤتمر الصلح في باريس على الشكل التالي(٦): « اذا كان هذا المبدأ (مبدأ تقرير المصير) هو الذي سيسود وتكون بالتالي رغبات سكان فلسطين حاسمة بالنسبة الى مستقبل البلاد ، فينبغي أن لا ننسى بأن سكان فلسطين غير اليهود ، الذين يشكلون تسعة أعشار جميع السكان تقريبا ، هم بصورة جازمة ضد البرنامج الصهيوني بأكمله . وتظهر الجداول (وهي جداول بالعرائض التي تلقتها اللجنة) بأن سكان فلسطين لم يتفقوا على أي أمر أكثر من اتفاقهم حول هذا الموضوع . ان اخضاع شعب بهذا الرأي الى هجرة يهودية غير محدودة واخضاعه الى ضغط اجتماعي ومالي متواصل من أجل التخلي عن أرضه يشكل خرقا كبيرا للمبدأ المشار اليه ولحقوق الشعب حتى ولو أبقي كل ذلك ضمن اشكال القانون »(٧).

٢ ـــ ومن مظاهر تمسك الشعب الفلسطيني بحقه في أرضه وسيادته عليها مقاومته لبيع اراضيه للمهاجرين اليهود بالرغم من الاغراءات المالية الكبيرة وبالرغم من الوسائل التي اتبعتها السلطة المحتلة لتكرهه على ذلك . فحتى آخر أيام الانتداب لم يتمكن اليهود من امتلاك سوى ٥ر٧٦ ٪ من مجموع أراضي فلسطين(٨)، هذا مع العلم بأن قسما كبيرا من هذه الاراضي باعها اقطاعيون من غير الفلسطينيين . ففي تقرير لجنة التحقيق التي أرسلتها الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ لتقصي الحقائق اعترف خبير اللجنة التنفيذية الصهيونية بشؤون الاراضي الذي استمعته لجنة التحقيق « بأن اليهود اشتروا من الفلاحين مساحات صغيرة لا تزيد على عشرة بالمئة من مساحة الاراضي التي اشتروها بينما ان المساحات الاخرى ابتاعوها من أصحاب الاملاك الكبيرة الذين يقيم أغلبهم خارج البلاد »(٩).

٣ ـــ وقد اتخذت مقاومة الشعب الفلسطيني الاحتلال البريطاني والمخططات الصهيونية شكلا متقدما من أشكال المقاومة هو شكل الكفاح المسلح . فتعددت الانتفاضات المسلحة عام ١٩٢٠ و١٩٢٩ و١٩٣٣ . وأكبر هذه الانتفاضات المسلحة وأهمها على الاطلاق هي الثورة الشعبية المسلحة التي امتدت من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ . وقد رافق هذه الثورة اضراب سياسي كبير لعله أكبر اضراب من نوعه شهده التاريخ اذ استمر ١٧٤ يوما وشل كل مرافق الحياة . ولقد كانت الثورة الشعبية المشار اليها أجرأ تحد للامبراطورية البريطانية في العصر الحديث وجابهتها السلطة البريطانية بأشد انواع القمع كنسف الاحياء (نسف مدينة يافا القديمة) وفرض الغرامات الجماعية على القرى والمدن . وكانت حصيلتها حوالي خمسة آلاف شهيد وخمسة عشر الف جريح من أصل مليون عربي . واذا ترجمت هذه الارقام الى ارقام بريطانية واميركية حيث يبلغ عدد السكان ٤٠ مليونا و٢٠٠ مليون على التوالي ، فان تلك الارقام تبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ بريطاني ومليون اميركي من القتلى و٦٠٠ر٠٠٠ بريطاني و٣ ملايين اميركي من الجرحى . هذا فضلا عن المعتقلين الذين بلغ عددهم لعام ١٩٣٩ فقط ٥٦٠٠ معتقل اي ما يوازي ٢٢٤ر٠٠٠ و١ر١٢٠ر٠٠٠ معتقل بالنسبة الى بريطانيا والولايات المتحدة(١٠).

وبالرغم من جميع هذه التضحيات المستمرة والباهظة ، جرد شعب فلسطين وحرم من حقه في تقرير مصيره على أرضه وفي وطنه . ولكن مأساة شعب فلسطين لا تقف عند حد تجريده من حقه في تقرير مصيره بل تتعدى ذلك الى اخراجه بالقوة والارهاب من دياره .

ج ــ اخراج شعب فلسطين قسرا من بلاده :

ان أخراج شعب فلسطين كان هدفا اساسيا من أهداف العقيدة الصهيونية القائمة على اساس وحدانية العنصر ، وعندما سنحت الظروف لليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ عملوا على تحقيق هذا الهدف بأبشع ما عرف من أساليب الارهاب المادي والنفسي . وبعد قيام الكيان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ ، استمرت السلطة الاسرائيليـــة في تحقيق أهدافها الرامية الى تصفية الوجود الفلسطيني بأشكال متجددة .

١ ــ ان قيام الغزاة الصهيونيين بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين كان متوقفا على طرد الشعب الفلسطيني ومشروطا به . اي ان هذا الكيان كان يستلزم لقيامه وانشائه كشرط مسبق ليس فقط هدر حقوق الشعب الفلسطيني وسحقها وابادتها ، بل تصفية وجود الشعب العربي الفلسطيني على أرضه ووطنه . فالحـــركة الصهيونية حركة عنصرية تؤمن بوحدانية العنصر وترمي الى تجميع اليهود في فلسطين وتصفية وجود كل ما هو غير يهودي عنها اي انها ترمي الى خلق كيان لليهود وحدهم ودون غيرهم . ولا يمكن للباحث في العقيدة الصهيونية الا أن يربط بينها وبين العقيدة النازية . فبينما آمنت هذه الاخيرة بأن حل المشكلة اليهودية في المانيا يكمن في تصفية الوجود اليهودي فيها تؤمن الاولى بأن حل مشكلة عرب فلسطين يكون بتصفية وجودهم واخـــراجهم منهـــا .

والادلة على عنصرية الصهيونية وعلى استهدافها طرد الشعب الفلسطيني كثيرة ومتعددة حسبنا أن نشير الى بعض منها :

ــ وضع مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل خطة تعود الى عام ١٨٩٥ تقضي باخراج السكان المعدمين عبر الحدود وذلك بعدم توظيفهم(١١).

ــ ان الوطن القومي اليهودي الذي طالب الصهيونيون بالحصول عليه كان في ذهن زعماء الصهيونيين وطنا خالصا لهم ودون غيرهم . فعندما سأل وزير خارجية الولايات المتحدة عام ١٩١٩ زعيم الحركة الصهيونية آنذاك ، حاييم وايزمان ، والذي أصـــبح فيما بعد أول رئيس للدولة الاسرائيلية ، عما يعنيه بالوطن القومي اليهودي أجاب وايزمان : « فلسطين بالنهاية ستصبح نتيجة للهجرة اليهودية يهودية كما انجلترا هي انجليزية »(١٢). وفي مكان آخر من مذكراته يوضح وايزمان هدف الصهيونية بأنـــه « استيلاء اليهود على البلاد »(١٣).

ــ عندما بدأ اليهود حملتهم المنظمة لاستيطان فلسطين حصروا العمل في مستوطناتهم باليد العاملة اليهودية وحدها ومنعوا العمل عن العرب تنفيذا لاهدافهم العنصرية . ففي دستور الوكالة اليهودية (وهي الهيئة الرسمية التي كانت تعاون السلطة المنتدبة في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين) ، الذي وقع في زوريخ في ١٤ آب ١٩٢٩ ينص البند الخامس من المادة الثالثة على ما يلي : « تتمي الوكالة الاستيطان الزراعي على اساس اعتماد اليد العاملة اليهودية . وفي جميع الاعمال او المشاريع التي تنفذها او تشجعها الوكالة فان المبدأ المقرر هو تشغيل اليد العاملة اليهودية »(١٤).

وفي العقود التي كان يجريها الكرن هايسود ــ وهو الصندوق اليهودي الفلسطيني ــ والكرن كايمت وهو الصندوق القومي اليهودي ، نجد بنودا تستلزم حصر العمل باليد العاملة اليهودية دون غيرها . ففي عقود القروض التي كان يجريها الكرن هايسود مع المستوطنين في المستعمرات اليهودية تنص المادة السابعة على ما يلي : « يتعهـــد المستوطن في فترة استمرار القروض بأن يسكن على الارض الزراعية المشار اليهـــا

وبأن يقوم بجميع الاعمال الزراعية بنفسه أو بمساعدة عائلته . وعندما يحتاج الى استئجار اليد العاملة ، فانه يتعهد بتشغيل اليد العاملة اليهودية فقط »(١٥).

ولئن كانت جذور المشكلة الفلسطينية ، لا سيما قضية عودة النازحين كامنة في المفهوم العنصري للحركة الصهيونية التي حددت أهدافها بوطن قومي خالص لهم وحدهم لا يتسع لغيرهم ، فان الفرصة قد سنحت ليهود فلسطين لاخراج شعب فلسطين وافراغها عام ١٩٤٨ .

٢ ــ خلال الاشتباكات التي حصلت عام ١٩٤٨ بين العرب واليهود اتبع هؤلاء كافة أساليب العنف والفظائع والارهاب والحرب النفسية لاجلاء الفلسطينيين عن ديارهم . فمن المذابح التي قصد من ورائها اثارة الزعب بين العرب مذبحة دير ياسين الشهيرة (١٠ نيسان ١٩٤٨) وذلك لحملهم على مغادرة البلاد تحت وطأة التأثير النفسي السلبي . وقد فصل رئيس بعثة الصليب الاحمر الدولي في فلسطين انذاك بشاعة هذه الجريمة ومما جاء في وصفه ما يلي : « كان يعيش في هذه القرية ٤٠٠ شخص استطاع منهم حوالي الخمسين من الهرب احياء . أما جميع الباقين فقد ذبحوا عن قصد ونية مبيتة دون أن يبدوا أية مقاومة »(١٦).

وقد شبه المؤرخ الشهير ارنولد توينبي المذابح التي ارتكبها اليهود عام ١٩٤٨ ضد العرب بتلك التي قام بها النازيون ضد اليهود في المانيا الهتلرية(١٧).

ومن أساليب الحرب النفسية التي اتبعها اليهود لاكراه العرب على ترك بلادهم التحذيرات التي كانت توجهها الاذاعات اليهودية السرية الى العرب من ان امراض التيفوس والكوليرا ستتفشى بينهم بقوة اذا بقوا في البلاد . كما لجأوا الى استعمال مكبرات الصوت لدعوة الاهالي الى مغادرة مدنهم وقراهم في فترات محددة والا تعرضوا للقتل(١٨).

ونجد في الكتاب الذي وجهه احد اليهود المقيمين في فلسطين الى الحاخام الصهيوني الاميركي كابلان دليلا على عمليات الارهاب هذه التي اكرهت العرب على مغادرة بلادهم ، ودحضا لمزاعم الصهيونيين القائلة بأن العرب غادروا بلادهم بملء ارادتهم : « اذا كان الحاخام كابلان يريد فعلا ان يعرف ماذا تم ، فنحن المستوطنون اليهود القدامى في فلسطين الذين شهدوا الحرب نستطيع ان نخبره كيف وبأية طريقة اكرهنا، نحن اليهود ، العرب قسرا على ترك المدن والقرى . فبعضهم ترك بقوة السلاح وبعضهم اجبر على ترك البلاد بالخداع والوعود الكاذبة . ويكفي ان نذكر مدن يافا واللد والرملة وبئر السبع وعكا من بين عدد لا يحصى »(١٩).

٣ ــ بعد اعلان الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ اصدرت السلطات المحتلة قانون العودة عام ١٩٥٠ وقانون الجنسية عام ١٩٥٢ . وتنص المادتان الاولى والثانية من قانون العودة على ما يلي :

المادة الاولى : كل يهودي له الحق في العودة الى البلاد كيهودي مهاجر .

المادة الثانية : ا ــ الهجرة تكون بتأشيرة مهاجر .

ب ــ تأشيرة المهاجر تمنح لكل يهودي عبر عن رغبته في الاستقرار في اسرائيل ، الا اذا اقتنع وزير الهجرة بأن طالب التأشيرة ، ١ ــ يقوم بنشاط موجه ضد الشعب اليهودي . ٢ ــ يعرض الصحة العامة او امن الدولة للخطر .

وتنص المادة الثانية (ا) من قانون الجنسية الاسرائيلي لعام ١٩٥٢ على ما يلي :

« كل يهودي مهاجر في ظل قانون العودة لعام ١٩٥٠ يصبح مواطنا اسرائيليا » .

وبصدور هذا القانون اصبح لكل يهودي اينما وجد في العالم الحـق في اكتساب الجنسية الاسرائيلية بينما طرد السكان الشرعيون من بلادهم وحظرت عليهم العودة. وهكذا أكملت بهذا القانون الحلقة الاخيرة من حلقات السياسة العنصرية في العقيدة الصهيونية . فمن المقاطعة وعدم التشغيل (الحلقة الاولى حتى عام ١٩٤٨) ، الى الطرد بالعنف والقوة (الحلقة الثانية عام ١٩٤٨) ، الى السماح لكل يهودي بأن يحل محل السكان الاصليين ويصبح مواطنا اسرائيليا (الحلقة الثالثة) .

ولاحكام طوق الحلقات السابقة ، أخذت السلطات المحتلة تمارس ضغوطا حادة لا تحتمل على القلة القليلة من العرب التي بقيت في فلسطين . فأخـذت بمصـادرة اراضيهم وكبت حرياتهم واغلاق فرص التعليم بوجههم وبمتابعة تصفيتهم جسديا عن طريق المذابح . ففي مذبحة كفر قاسم مثلا عام ١٩٥٦ « قتلت قوات الحدود المسلحة التابعة للجيش الاسرائيلي ٤٦ رجلا وامراة وطفلا بوحشية دون أي سبب »(٢٠).

وبعد أن أحكمت سلطات الاحتلال قبضتها على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ والتي تبلغ ٧٧ر٤٠ بالمئة من مجموع اراضي فلسطين ، أخذت تتطلع الى توسيع نطاق حدودها تنفيذا للبرنامج الصهيوني . ففي عام ١٩٦٧ استولت اسرائيل في مـوجة توسعية جديدة على جميع اراضي فلسطين فضلا عن احتـلال اراضي دول عربية جديـدة .

نتيجة الاحداث التي مرت بفلسطين في الخمسين سنة الاخيرة التي القينا الضوء على بعض جوانب منها في هذا الفصل ، أضحى الشعب العربي الفلسطيني اما مشردا خارج بلاده او رازحا تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي .

وحسب احصاء أجرته وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين بلـغ عـدد اللاجئين المسجلين لديها عام ١٩٦٧ ١،٣٤٤،٥٧٦ شخصا(٢١). هـذا فضلا عن حوالي نصف مليون فلسطيني غير مسجلين لدى وكالة الغوث المذكورة لقدرتهم على اعالة انفسهم و٠٠٠ر٢٣٤(٢٢) لاجيء نتيجة لاحداث عام ١٩٦٧ .

وهكذا جرد الشعب الفلسطيني من حقوقه الاساسية كالحق في حمل جنسية بلاده والحق في ممتلكاته . ولكن اهم الحقوق التي حرم منها الشعب الفلسطيني على الاطلاق هو الحق في العودة الى وطنه والحق في تقرير مصيره .

الفصل الثاني : ماهية الحق في تقرير المصير وطبيعة الحق في العودة الى الوطن

سندرس في هذا الفصل طبيعة الحق في تقرير المصير والحق في العودة الى الوطن ونظرا لان الحق في تقرير المصير هو الاساس والحق في العودة الى الوطن هو فرع من فروع ذلك الاساس ، فاننا سنركز على الاول أكثر من تركيزنا على الثاني .

١ ــ الحق في تقرير المصير

ان الفكرة الاساسية في حق تقرير المصير تكمن في اعطاء الشعوب والامم حريـة اختيار مصيرها القومي دون قيود او ضغط او اكراه . ولقـد اقر هـذا الحق عـلى الصعيد المبدئي والنظري ومن ثم على صعيد القانون الوضعي الدولي .

١ ــ حق تقرير المصير على الصعيد المبدئي والنظري : قبل ان يتكرس حق تقرير المصير في المواثيق والمعاهدات الدولية ، نادى به العديد من المفكرين ورجال السياسة كلينين ، وتوماس جفرسون ، والرئيس الامريكي ودرو ويلسون .

ا ــ اكد لينين على حق الشعوب والامم في تقرير مصيرها بصورة واضحة لا يشوبها لبس ولا ابهام . وعرفه بأنه حق انشاء دولة مستقلة ذات كيان سياسي خاص فهو يقول : « ... من غير الصحيح فهم حق تقرير المصير بأنه يعني شيئا غير حق الوجود كدولة مستقلة »(٢٣).

ــ « يجب على الاشتراكية الظاهرة ان تقيم بالضرورة ديموقراطية كاملة ، وبالتالي لا ينبغي لها أن تحقق المساواة الكاملة بين الامم فحسب بل أيضا تحقق حق الامم المضطهدة في تقرير مصيرها »(٢٤).

ــ « ان حق الامم في تقرير مصيرها يعني الحق في الاستقلال بمعناه السياسي »(٢٥).

ــ « اننا قد أكدنا بأن رفض تطبيق مبدأ تقرير المصير للامم في نظام اشتراكي هو خيانة للاشتراكية »(٢٦).

ب ــ أكد توماس جفرسون على حق الامم في تقرير مصيرها عندما كان ناظرا للخارجية الامريكية عام ١٧٩٣ حيث قال : « من المؤكد اننا لا نستطيع ان ننكر على اي امة ذلك الحق الذي تأسست عليه امتنا وهو أن لكل امة الحق في أن تحكم نفسها وفقا للشكل الذي ترتأيه وفي تغيير هذا الشكل متى ارادت »(٢٧).

جـ ــ من المعروف ان الرئيس الامريكي ودرو ويلسون قد نادى بفكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها وفي اعطاء هذه الشعوب سيادتها بعد الحرب العالمية الاولى . وقد تضمن المشروع الذي وضعه لشرعة عصبة الامم نصا واضحا حول هذا الحق . وفي رسالته المقدمة للكونغرس الامريكي بتاريخ ١١ شباط ١٩١٨ ، أوضح الرئيس ولسون هذا الحق كما يلي : « ان المطامح القومية يجب ان تحترم ، والشعوب الان لن تحكم الا بارادتها . ان تقرير المصير ليس مجرد تعبير ، بل هو مبدأ ضروري للعمل ، ولا يجوز للسياسيين تجاهله دونما خطر »(٢٨).

٢ ــ **حق تقرير المصير في القانون الدولي الوضعي** : تحول حق تقرير المصير في الاونة الاخيرة من حق نظري او طبيعي الى حق وضعي تكرسه المواثيق والشرعات الدولية . فالمادة الاولى من ميثاق الامم المتحدة قد اعتبرته من اهدافها حين نصت ان من اهداف الامم المتحدة : « انما العلاقات الودية بين الامم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب وبحقها في تقرير مصيرها » .

وكذلك نصت عليه المادة الخامسة والخمسون من هذا الميثاق كما يلي : « رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريين لقيام علاقات سلمية وودية بين الامم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب وبحقها في تقرير مصيرها ، تعمل الامم المتحدة على ... » .

ولقد اولت الامم المتحدة حق تقرير المصير اهتماما بالغا ، ففي قرار صادر بتاريخ ٤ كانون الاول عام ١٩٥٠ ، اعتبرت الجمعية العامة هذا الحق حقا اساسيا(٢٩). ومن ثم طلبت من لجنة حقوق الانسان دراسة الطرق والوسائل التي تؤمن حق تقرير المصير للامم والشعوب(٣٠). كما ان الجمعية العامة كانت قد اتخذت قرارا قبل الانتهاء من صياغة شرعة الحقوق المدنية والسياسية وشرعة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بضرورة ادخال مادة خاصة تكفل حق الشعوب في تقرير مصيرها في مثل هذه الشرعات(٣١).

وتأكيدا منها لاهمية حق تقرير المصير اتخذت الجمعية العامة قرارا خاصا مؤرخا في ١٦ كانون الاول عام ١٩٥٢ نص على ما يلي :

« حيث ان حق الشعوب والامم في تقرير المصير هو شرط ضروري للتمتع الكامل بالحقوق الاساسية جميعها ،

« حيث ان ميثاق الامم المتحدة بالمادتين الاولى والخامسة والخمسين يهدف الى انماء علاقات الصداقة بين الامم على أساس احترام المساواة في الحقوق وحق الشعوب في تقرير مصيرها من أجل تدعيم السلام العالمي،

« حيث ان ميثاق هيئة الامم يقر بأن أعضاء هيئة الامم المتحدة مسؤولون عن ادارة المناطق التي لم تبلغ شعوبها بعد درجة كاملة من الحكم الذاتي وتؤكد المبادىء التي يسترشدون بها ،

« حيث انه يتوجب على كل عضو من الامم المتحدة ، وفقا للميثاق ، احترام الحفاظ على حق تقرير المصير في الدول الاخرى ،

« توصي الجمعية العامة بأن :

« ١ ــ تقوم الدول الاعضاء في الامم المتحدة بتدعيم مبدأ تقرير المصير لجميع الشعوب والامم .

« ٢ ــ تعمل الدول الاعضاء في هيئة الامم على تحقيق حق تقرير المصير لشعوب المناطق التي لا تتمتع بالحكم الذاتي ولشعوب المناطق التي تخضع للوصاية والتي تقع تحت ادارتها ، وتيسر سبل ممارسة هذا الحق لشعوب هذه المناطق وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة وروحه ووفقا للرغبات الحرة للشعوب المعنية . ويتثبت من رغبات الشعوب بواسطة الاستفتاءات او غيرها من الوسائل الديموقراطية المعترف بها . ومن المفضل أن تجرى هذه الاستفتاءات وغيرها من الاجراءات تحت اشراف الامم المتحدة وبرقابتها »(٣٢).

وكفلت حق تقرير المصير وكرسته شرعة الحقوق المدنية والسياسية في مادتها الاولى التي تنص على ما يلي :

« ١ ــ لجميع الشعوب حق تقرير المصير . وطبقا لهذا الحق تقرر الشعوب وضعها السياسي بحرية ، وتعمل بحرية على تحقيق تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

« ٢ ــ لجميع الشعوب الحق في أن تتصرف بحرية ، ولغاياتها الخاصة ، في ثروتها ومواردها الطبيعية دون الاضرار بأي التزامات تنشأ عن التعاون الاقتصادي الدولي القائم على أساس مبدأ المنفعة المشتركة والقانون الدولي . ولا يجوز بأي حال من الاحوال حرمان شعب من وسائل معيشته .

« ٣ ــ ان الدول الموقعة على هذه الشرعة ، بما فيها تلك المسؤولة عن ادارة المناطق غير المستقلة والمناطق الخاضعة للوصاية ، ستسعى لتحقيق حق تقرير المصير وستحترم ذلك الحق بما يتفق ونصوص ميثاق الامم المتحدة » .

ويشكل هذا النص عينه المادة الاولى من شرعة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد أقرت هاتين الشرعتين لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم في دورتها العاشرة المنعقدة ما بين ٢٣ شباط و١٦ نيسان عام ١٩٥٤(٣٣) وكذلك الجمعية العامة بالاجماع بتاريخ ١٦ كانون الاول سنة ١٩٦٦(٣٤).

وهكذا نرى ان مبدأ تقرير المصير قد أصبح احد المبادىء الاساسية التي يرتكز عليها المجتمع الدولي في الوقت الحاضر . وقلما تخلو وثيقة هامة من الوثائق الصادرة عن الامم المتحدة من التأكيد على أهميته . ففي اعلان التقدم الاجتماعي والانماء الذي أقرته الجمعية العامة للامم المتحدة بقرارها ذي الرقم ٢٥٤٢ (٢٤) يعتبر الاستقلال الوطني القائم على اساس حق الشعوب في تقرير مصيرها اول شرط من الشروط الاساسية للتقدم الاجتماعي والانماء (المادة الثالثة) . وفي الاعلان المتعلق بتعزيز الامن الدولي

الذي أصدرته الجمعية العامة بتاريخ ٧٠/١٢/١٦ دعت الامم المتحـدة الدول الى الامتناع عن أي عمل من شأنه حرمان الشعوب من حقها في تقرير مصيرها ، كما دعت الحكومات الى تقديم العون والمدد والمساعدة للشعوب المناضلة مـن اجل تحقيـق استقلالها وممارسة حقها في تقرير مصيرها (المادة الثانية عشرة) .

بيد ان الحق في تقرير المصير ليس هو الحق الوحيد الذي أضحى حقا وضعيا تكرسه المواثيق والمعاهدات ، فالحق في العودة الى الوطن قد أضحى بدوره حقـا وضعيا راسخا .

ب ـ الحق في العودة الى الوطن :

ان الحق في العودة الى الوطن هو من حيث الاساس والجوهر جزء وفرع من حق تقرير المصير وقد كفلت هذا الحق المواثيق الدولية . فالمادة الثالثـة عشرة (الفقرة الثانية) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان تنص على ما يلي : « لكل انسان الحق في أن يغادر بلده وأي بلد آخر وفي أن يعود الى بلده » .

وكرست هذا المبدأ شرعة الحقوق المدنية والسياسية . فالفقرة الرابعة من المادة الثانية عشرة من تلك الشرعة تنص على ما يلي : « ولا يجوز حرمان احد بشكل تعسفي من حق الدخول الى بلده » .

درسنا في هذا الفصل حق تقرير المصير وحق العودة الى الوطن بصورة عامـة ومجردة ، وفي الفصل القادم سنحاول ان ننظر الى كل ذلك من زاوية الشعب العربي الفلسطيني .

الفصل الثالث : الشعب الفلسطيني وحق تقرير المصير وحق العودة الى الوطن

ان المجتمع الدولي لم يقر للشعوب بحقوقها في تقرير مصيرها والعودة الى أوطانها بصورة مجردة فقط ، بل انه قد أقر بهذه الحقوق بصورة خاصة لبعض الشعوب بما فيها شعب فلسطين .

أ ـ الشعب الفلسطيني وحق تقرير المصير :

بينا في الفصل السابق أن حق تقرير المصير قد اصبح بموجب المواثيق والشرعات الدولية الحديثة حقا وضعيا يتيح للشعوب ان تقرر كيانهـا السياسي ومستقبلهـا الاقتصادي والاجتماعي بملء ارادتها .

ووسيلة ممارسة هذا الحق هو الاستفتاء الذي يتيح للسكان ابداء رغباتهم حول مستقبل بلادهم السياسي . والاستفتاء هو الوسيلة الديموقراطية الوحيدة لتطبيق حق تقرير المصير . ومع ان الامم المتحدة في أوضاع مشابهة لوضع فلسطين عام ١٩٤٧ قررت القيام باستفتاءات في بلدان عديدة كانت خاضعة لنظام الوصاية وذلك بقصد اتاحة حق تقرير المصير للشعوب(٢٥)، فان الامم المتحدة عندما أصدرت بتـاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ قرارها بتقسيم فلسطين الى دولتين قد حجبت هذا الحق عـن الشعب الفلسطيني مما أدى الى حرمانه من وطنه بالارهاب والعنف الذي مارسته القوى الصهيونية في فلسطين وخارجها . ذلك ان قرار التقسيم قد قضى بتقسيم أراضي فلسطين الى قسمين وانشاء دولتين مختلفتين (الاولى عربية والثانية يهودية) في كل قسم دون استفتاء الشعب ، بل وضد رغبة اكثرية السكان وبالرغم عن ارادتهم . وتدل الطريقة التي تم بها التقسيم على المدى الذي امتهن به حق تقرير مصير الشعب العربي الفلسطيني . فبموجب قرار التقسيم كان من المقرر أن تكون مساحة الدولة اليهودية

٥٦ر٤٧ بالمئة من مجموع مساحة فلسطين وكان من المقرر أن تكون مساحة الدولة العربية ٤٢ر٨٨ بالمئة، بينما لم يملك اليهود آنذاك سوى ٥ر٧٦ بالمئة من مجموع اراضي فلسطين وسوى ٩ر٣٩ بالمئة من اراضي الدولة اليهودية المقرر لهم(٣٦)، وبينما لم يشكل اليهود سوى حوالي ٣٠ بالمئة من السكان . ومن الغريب حقا أن يكون عدد السكان اليهود في الدولة اليهودية يزيد عن السكان العرب بألف شخص فقط (٤٩٨ الفا مقابل ٤٩٧ الفا) ، بينما لم يكن هناك سوى عشرة آلاف يهودي في الدولة العربية المقترحة .

بيد انه عندما أخذت سطوة الدول الاستعمارية الكبرى تنحسر عن منظمة الامم المتحدة ، وأخذت تتضح معالم تجريد شعب فلسطين من أبسط حقوقه الاساسية ، صدرت عن المنظمة العالمية قرارات تقر بحق هذا الشعب في تقرير مصيره ففي القرار ذي الرقم ٢٥٣٥ القسم ب (٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٦٩ أقرت المنظمة الدولية بحقوق شعب فلسطين اذ ورد في القرار المذكور ما يلي : « ان الجمعية العامة ... اذ تقر بأن قضية اللاجئين العرب قد نشأت من حرمانهم من حقوقهم التي لا تزعزع والتي كفلها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان ، تؤكد مرة أخرى حقوق شعب فلسطين التي لا تزعزع »(٣٧).

ثم أصدرت الجمعية العامة عام ١٩٧٠ قرارا آخر هو القرار رقم ٢٦٧٢ القسم ج (٢٥) المؤرخ في ١٩٧٠/١٢/٨ والذي نص على ما يلي : « ان الجمعية العامة : ١ — تقر بأن لشعب فلسطين الحق في المساواة في الحقوق وبتقرير المصير وفقا لميثاق الامم المتحدة . ٢ — تعلن أن الاحترام الكامل لحقوق شعب فلسطين التي لا تزعزع يشكل عنصرا اساسيا في اقامة سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط »(٣٨).

وعادت الجمعية العامة بتاريخ ١٩٧١/١٢/٦ بقرارها ذي الرقم ٢٧٩٢ ، القسم د (٢٦) فنصت مجددا على البندين الواردين في القرار السابق وعبرت الى جانب ذلك « عن اهتمامها الكبير بعدم تمكين الشعب الفلسطيني من التمتع بحقوقه التي لا تزعزع ومن ممارسة حقه في تقرير مصيره »(٣٩).

ولعل أهم القرارات التي صدرت عن الامم المتحدة مؤخرا والتي تثبت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، القرار رقم ٢٦٤٩ (٢٥) الصادر بتاريخ ١٩٧٠/١١/٣٠ والمتعلق بتأكيد حقوق تقرير المصير والاستقلال للشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية او لسيطرة اجنبية(٤٠). ولاهمية هذا القرار فاننا نورد بعضا من بنوده :

« ان الجمعية العامة ...

« ١ — تؤكد شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية او لسيطرة اجنبية التي اعترف لها بحق تقرير المصير من أجل استعادة ذلك الحق بأي وسيلة متاحة لها .

« ٢ — تعترف بحق الشعوب الخاضعة لسيطرة استعمارية أو اجنبية في ممارستها المشروعة لحقها في تقرير المصير ان تطلب وان تستلم جميع أنواع المساعدات المعنوية والمادية وفقا لقرارات الامم المتحدة وروح الميثاق .

« ٣ — تدعو جميع الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب الخاضعة لسيطرة استعمارية واجنبية للاعتراف بهذا الحق والتقيد به وفقا للمواثيق الدولية المتعلقة بذلك وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة وروحه .

« ٤ — تعتبر ان اكتساب الاراضي والاحتفاظ بها بما يخالف حق شعب تلك الاراضي في تقرير مصيره أمر لا يمكن اقراره ويشكل خرقا كبيرا للميثاق .

« ٥ — تدين الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب المعترف لهم بهذا الحق لا سيما شعب جنوب افريقيا وشعب فلسطين . »

ومما يستدعي التوقف عند هذا القرار ما يلي :

١ ــ لم يكتف هذا القرار بتأكيد حق الشعوب في تقرير مصيرها بل انه اقر لها بالحق في النضال لاستعادة هذا الحق بأي وسيلة متاحة وممكنة .

٢ ــ أباح القرار للشعوب المناضلة من أجل تقرير مصيرها الحق في طلب المعونات واستلامها من باقي الدول .

٣ ــ أبرز القرار بصورة خاصة حق شعب فلسطين في تقرير مصيره ، اذ انه لم يخصص أي شعب بالذات سوى شعب فلسطين وشعب جنوب افريقيا .

ب ــ الشعب الفلسطيني وحق العودة الى الوطن :

لئن كان للافراد الذين غادروا بلادهم بكل حرية الحق في العودة اليها وفقا لاحكام المواثيق الدولية ، فمن باب اولي أن يكون للشعب الفلسطيني الحق في العودة الى وطنه . ذلك ان الشعب الفلسطيني قد اجبر على ترك بلاده ولم يتركها بمحض ارادته، كما كان الاخراج جماعيا لحق بشعب بكامله ولم يلحق بأفراد .

وبالفعل ، فان المجتمع الدولي قد اقر للشعب الفلسطيني حقه بالعودة الى بلاده . فمنذ عام ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا يقضي بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى بلادهم . وهذا القرار هو القرار ذو الرقم ١٩٤ (٣) الصادر بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٤٨ وينص البند الحادي عشر منه على ما يلي : « ان اللاجئين الذين يرغبون في العودة الى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم ينبغي أن يسمح لهم بذلك في أول فرصة ممكنة ، وينبغي دفع تعويضات عن أملاك اولئك الذين لا يرغبون في العودة كما ينبغي تعويضهم عن الخسارة وعن الاضرار اللاحقة بأملاكهم والتي توجب مبادىء القانون الدولي والانصاف على الحكومات او السلطات المسؤولة دفعها »(٤١).

وقد أكدت الجمعية العامة هذا القرار سنة بعد سنة منذ عام ١٩٤٨ بقرارات اخرى هي التالية : القرار رقم ٣٠٢ (٤) تاريخ ٨ كانون الاول ١٩٤٩ ، والقرار رقم ٣٩٣ (٥) و٣٩٤ (٥) تاريخ ٢ و١٤ كانون الاول ١٩٥٠ ، والقرار رقم ٥١٣ (٦) تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، والقرار رقم ٦١٤ (٧) تاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ والقرار رقم ٧٢٠ (٨) تاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣ والقرار رقم ٨١٨ (٩) تاريخ ٤ كانون الاول ١٩٥٤ ، والقرار رقم ٩١٦ (١٠) تاريخ ٣ كانون الاول ١٩٥٥ ، والقرار رقم ١٠١٨ (١١) تاريخ ٢٨ شباط ١٩٥٧ ، والقرار رقم ١١٩١ (١٢) تاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٧ ، والقرار رقم ١٣١٥ (١٣) تاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٨ ، والقرار رقم ١٤٥٦ (١٤) تاريخ ٩ كانون الاول ١٩٥٩ ، والقرار رقم ١٦٠٤ (١٥) تاريخ ٢١ نيسان ١٩٦١ ، والقرار ١٧٢٥ (١٦) تاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٦١ ، والقرار رقم ١٨٥٦ (١٧) في ١٠ كانون الاول ٦٢ ، والقرار رقم ١٩١٢ (١٨) تاريخ ٣ كانون الاول ١٩٦٣ ، والقرار رقم ٢٠٥٢ (٢٠) تاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٦٥ ، والقرار رقم ٢١٥٤ (٢١) تاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، والقرار رقم ٢٣٤١ (٢٢) تاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٧ ، والقرار رقم ٢٤٥٢ القسم ب (٢٣) تاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٨ ، والقرار رقم ٢٥٣٥ القسم أ (٢٤) تاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٦٩ ، والقرار رقم ٢٦٧٢، القسم أ (٢٥) تاريخ ٨ كانون الاول ١٩٧٠ ، والقرار رقم ٢٧٩٢ القسم أ (٢٦) تاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٧١ .

اما بالنسبة الى العرب الذين أخرجتهم السلطات الاسرائيلية ابان العمليات الحربية التي رافقت حرب الخامس من حزيران وتلته ، فان الجمعية العامة قد قررت حقهم

بالعودة الى بلادهم وطلبت من السلطات الاسرائيلية اعادتهم . ففي القرار رقم ٢٤٥٢ القسم أ (٢٣) الصادر بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٨ تأكيد لذلك على الوجه التالي :

« ان الجمعية العامة ...

« وهي مقتنعة بأن احسن طريقة للتخفيف من كارثة الاشخاص المشردين هي عودتهم السريعة الى ديارهم والى المخيمات التي كانوا يشغلوها في السابق ،

« ومؤكدة بالتالي على ضرورة عودتهم السريعة :

« ١ ــ تدعو حكومة اسرائيل لاتخاذ الخطوات الفعالة والفورية لعودة السكان الذين غادروا مناطقهم منذ بدء المعارك ، دون تأخير .

« ٢ ــ تطلب الى الامين العام متابعة التطبيق الفعال لهذا القرار واعداد تقرير حول ذلك الى الجمعية العامة »(٤٢).

ومن بين القرارات العديدة التي اتخذتها هيئات الامم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية بهذا الشأن نكتفي بايراد ثلاثة منها :

١ ــ قرار مجلس الامن رقم ٢٣٧ تاريخ ١٤ حزيران ١٩٦٧ : « ان مجلس الامن ... يدعو حكومة اسرائيل الى تأمين سلامة أهالي المناطق التي جرت فيها العمليات العسكرية وصالحهم وامانهم ، كما يدعوها الى تسهيل عودة الذين تركوا هذه المناطق منذ نشوب المعارك »(٤٣).

٢ ــ قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي رقم ١٣٦٦ (٤٤) الصادر بتاريخ ٣١ أيار ١٩٦٨(٤٤). « ان المجلس الاقتصادي والاجتماعي ... ادراكا منه للمبدأ المقرر في الاعلان العالمي لحقوق الانسان المتعلق بحق كل شخص بالعودة الى بـــلاده ... يؤكد حق جميع الاهالي الذين تركوا بلادهم منذ نشوب المعـــارك في الشـــرق الاوسط بالعودة كما يؤكد بانه ينبغي على الحكومة المعنية ان تأخذ الاجراءات الضرورية بغية تسهيل عودة هؤلاء الاهالي الى بلادهم دون تأخير » .

٣ ــ القرار رقم ١ الصادر عن المؤتمر الدولي لحقـــوق الانسان المعقود بطهـــران بتاريخ ٧ أيار ١٩٦٨(٤٥). « ان المؤتمر الـــدولي لحقـــوق الانسان ... مسترشدا بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ... يؤكد الحقوق التي لا تزعزع لجميع الاهالي الذين تركوا ديارهم نتيجة لنشوب المعارك في الشرق الاوسط بالعودة وبمعاودة الحيـــاة العادية ، واستعادة ممتلكاتهم ومنازلهم وبالانضمام الى عائلاتهم عملا باحكام الاعلان العالمي لحقوق الانسان »(٤٦).

بينا في هذا الفصل ان المجتمع الدولي قد اكد وثبت بصـــورة واضحة لا يعتورهـــا الغموض ولا يشوبها اللبس والابهام حق شعب فلسطين في تقرير مصيره وحقه في العودة الى وطنه . ولكن ، بالرغم من العدد الوافر والمتراكـــم من هـــذه القرارات والمواثيق والشرعات ، فقد بقي شعب فلسطين تائها ، مشردا ، مجردا مـــن ابسط حقوقه الاساسية . وهكذا انتظر الفلسطينيون المجتمع الدولي خمسا وعشرين عاما لوضع قراراته موضع التنفيذ ولكن دون طائل . ونتساءل مع شعب فلسطين : ترى ما هو السبيل لوضع قرارات المجتمع الدولي موضع التنفيذ وما هي الطريق لانهـــاء ليل الفلسطينيين الدامس الطويل ؟

خاتمة : من حق تقرير المصير والعودة الى الوطن الى الحق في الكفاح المسلح والتحريـــر

عندما يمنع شعب ما بالقوة المجردة وبالقهر من تقرير مصيره فان حقوقه لا تضيع بل تتحول وتمتد لتصبح حقوقا في تحرير ارادته وأرضه من الغاصبين ومن المحتلين ومن الغزاة ، ذلك ان التحرير ، تحرير الارض وتحريـر الارادة لا بـد وان يسبق ممارسة حق تقرير المصير ، ولعل ابلغ مثل واقعي على ذلك هو مثـل الشعـب الجزائري . ففي الجزائر كما في فلسطين احتلت مجموعة مـن المستوطنين الغـزاة الارض الجزائرية ، وبدلا من ان تعلنها دولة مستقلة الحقتها بفرنسا . وبالرغم مـن النصوص القانونية(٤٧) التي فرضتها السلطة الفرنسية على الشعب الجزائري والتي اعتبرت بموجبها الجزائر جزءا لا يتجزأ من الدولة الفرنسية والتي افقدت الجزائـر شخصيتها وسيادتها وجعلتها جزءا لا يتجزأ من الدولة الفرنسية ، فان حق تقرير المصير للشعب الجزائري وما استتبع من حق في التحرير بقي كامنا فيه . ولم تستطع هـذه النصوص المفروضة بالقوة ان تسلب الشعب الجزائري او تنتزع منه حقه في تقرير مصيره لان هذا الحق هو حق أساسي لا يقبل الانتزاع او التجريد . فكان ان قام الشعب الجزائري بتحرير وطنه تمهيدا لممارسة حقه في تقرير مصيره .

ان حق تقرير المصير هو في نهاية المطاف حق اختيار شعب من الشـعوب لنـوع السيادة التي يريد بملء ارادته ، اي حق تقرير الوضع الدولي لشعب من الشعوب .

ولقد كفل تقدم الفكر السياسي للشعوب حق تقرير وضعها الداخلي باختيار نظام الحكم الذي تريد منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (والفكر السياسي للثورة الفرنسية والثورة الاشتراكية الكبرى دليل على ذلك) ، واتى القرن العشرين ليكفـل للشعوب حق تقرير وضعها الدولي .

فالمجتمع الدولي قد اقر بشرعية نضال الشعوب من اجل تقرير مصيرها ومن اجل التحرير من السـيطرة الاستعمارية والاجنبيـة وذلك بجميـع الوسائل والسـبل المتاحة(٤٨) . والمجتمع الدولي قد اوجب على الدول مؤازرة نضال الشعوب من اجل التحرير وتقرير المصير كما اوجب عليها مد يد المساعدة والمعونة اليها(٤٩) .

ولئن كان اختيار نظام الحكم على الصعيد الداخلي بصورة ديمقراطية يؤدي الى تجنب اراقة الدماء ضمن الدولة ويحول دون القيام بالثورات لتغيير الانظمة القائمة ، فان تأسيس سيادات الدول على اساس حق تقرير المصير ووفقا لرغبات الشعوب يؤدي الى احلال السلم على الصعيد الدولي . وانطلاقا من هذا القياس ، فكمـا ان الحؤول دون الشعب وممارسة حرياته واختيار نوع الحكم الذي يريد يعطي لذلـك الشعب حق الثورة على حكامه ، فان الحيلولة دون اعطاء شعب من الشعوب حقه في تقرير مصيره والسيادة على اراضيه من قبل غاز او محتـل اجنبي يعطي لـذاك الشعب ، على الصعيد الدولي ، حق حمل السلاح .

---

١ ــ وقد شغل المذكور بعد انتهاء عمله مع الادارة البريطانية منصب استاذ العلاقات الدولية في الجامعة العبرية حتى عام ١٩٥٢ . وله العديد من الكتب الداعية لاسرائيل والمؤيدة لها منها : *Israel; Judea Lives Again, Jewish Youth Comes Home; Israel Resurgent.*

٢ ــ كانت السلطة البريطانية تدرب يهود فلسطين وتتودهم في حملاتها لقمع نضال عرب فلسطين نحو الاستقلال . راجع حول اعمال احدى

هذه الفرق اليهودية التي كان من بين اعضائها موشه ديان وبقيادة البريطاني تشـــــارلز اوردوينجات وما قامت به من عمليات ارهاب بشعة ضد العرب عام ١٩٣٨ ، الفصل الرابع من كتاب :

Leonard Mosley, *Gideon Goes to War* (London: Arthur Barker Ltd. 1955), pp. 55, 64.

٣ — *Statistical Abstract of Palestine 1936* (Jerusalem: Office Statistics, 1937), Table 5.

٤ — *General Monthly Bulletin of Current Statistics Jan. Feb 1948* (Jerusalem : Department of Statistics), p. 5.

٥ — من أجل مزيد من التفاصيل حول مقاومة شعب فلسطين أنظر عبد الوهاب كيالي (محرر) **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونيـــة ١٩١٨ — ١٩٣٩** ، (بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٨) .

٦ — في مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، اتفق كل من ودرو ويلسون (الولايات المتحدة) ولويد جورج (بريطانيا) وكليمنصو (فرنسا) وارلانـــدو (ايطاليا) على ارسال لجنة تقصي الحقائق بغية التثبت من رغبات شعوب الشرق الادنى وامانيها . ولقد خشي الانجليز والفرنســيون نتائج عمل هذه اللجنة فلم يرسلوا اي مندوب. فتألفت اللجنة من السيدين كنغ وكرين الامركيين كلجنة امركية وقدمت تقريرها الى مؤتمر السلم بباريس بتاريخ ٢٨ آب ١٩١٩ . ونظرا لما اوضحه التقرير عن رغبة سكان فلسطين في الاستقلال ومقاومة البرنامج الصهيوني فقد بقي محاطا بالسرية دون نشره مدة من الزمن .

٧ — Harry V. Howard, *The King-Crane Commission* (Beirut: Khayats, 1963), p. 349.

٨ — Sami Hadawi, *Palestine-Loss of a Heritage* (San Antonio : the Naylor Company, 1963), p. 25.

ووفق الاحصاءات اليهودية بلغت مســاحة الاراضي اليهودية عند انتهاء الانتداب ، ١٩٢٤ كيلومترا مربعا ، اي حوالي ٧،٣١٪ من مجموع اراضي فلسطين .

Israel Pocket Atlas and Handbook, (Jerusalem : The Universities Booksellers, 1961), p. 4)

٩ — الحكومة البريطانية ، **تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب ١٩٢٩** ، (تقرير لجنة شو) الترجمة الرسمية العربية (١٩٣٠) ، ص ١٥٠ .

١٠ — Walid Khalidi ed., *From Haven to Conquest* (Beirut : the Institute for Palestine Studies, 1971), appendix (IV), pp. 846-847).

١١ — Theodore Herzl, *Complete Diaries*, Vol. I (1960), p. 88 (Entry of June 12, 1895), quoted by Erskine Childers, «Palestine: the Broken Triangle», *Journal of International Affairs*, Vol. XIX, No. 1, 1965, p. 93.

١٢ — Chaim Weizmann, *Trial and Error* (London. Hamish Hamilton, 1950), p. 305.

١٣ — **المرجع ذاته** ، ص ٢٢٤ .

١٤ — Great Britain, *Palestine, Report on Immigration; Land Settlement and Development* (London: His Majesty's Stationery Office, 1930), p. 52 *et se.*

١٥ — **المصدر ذاته** .

١٦ — Jacques de Reynier, *A Jérusalem un Drapeau Flottait sur la ligne de Feu* (Neu châtel : Edition de la Boconnière, 1950), pp. 69-74. Reprinted by Walid Khalidi, ed., *From Haven to Conquest* (Beirut: Institute for Palestine Studies 1971), pp. 761-770.

١٧ — Arnold Toynbee, *A Study of History* (London: Oxford University Press, 1935-1954), Vol. VIII, p. 290, n. 3.

١٨ — Erskine B. Childers, «The Other Exodus», *The Spectator*, May 12, 1961, pp. 672-675.

١٩ — *Jewish Newsletter* (New York: 9/2/1959), cited in *Ibid*, p. 674.

انظر ايضا حول هذا الموضوع دراسة الاستاذ وليد الخالدي :

Arab League Office, *Why Did The Palestinians Leave? (London 1963).*

John F. Davis, *The Evasive Peace* (London : John Murray, 1968), pp. 57-60.

٢٠ — Moshe Menuhin, *The Decadence of Judaism In Our Time* (Beirut : The Institute For Palestine Studies, 1969), p. 186.

٢١ — *Report of the Commissioner - General of the United Nations Relief and Works Agency*, 22 U.N. *GAOR*, Supp. 13. Tables I and 2.

٢٢ — المصدر ذاته ، ص ١١ .

٢٣ — Vladimir Lenin, *Questions of National Policy and Proletarian Internationalism*, (Moscow: Foreign Languages Publishing House), p. 63.

٢٤ — المصدر ذاته ، ص ١٣٥ .

٢٥ — المصدر ذاته ، ص ١٣٨ .

٢٦ — المصدر ذاته ، ص ١٥٣ .

٢٧ — اوردها السيد واتسون وايز ، منـدوب الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة في خطابه أمام اللجنة الثالثة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ .
المنشـور في : Department of State Bulletin, XI, No. 1025 (1959), p. 172.

٢٨ — *U. S. Congressional Record*, LNI, part 2, p. 1952.

٢٩ — Resolution 421 D (v), *GAOR*, V, Supplement 20, p. 43.

٣٠ — Resolution 637 C (VII) of 16/12/1952 *GAOR*, VII.

٣١ — Resolution 545 (VI), *GAOR*, VI, supplement 20, pp. 36-37.

٣٢ — Resolution 637 A (VII) *GAOR*, VII Supplement 20, p. 26.

٣٣ — *Official Records of the Economic and Social Council*, XVIII Supplement 7.

٣٤ — *GAOR*, XXI, Resolution No. 21.

٣٥ — بالنسبة الى الكاميرون البريطاني أنظر قرارات الجمعية العامة ذوي الارقام ١٣٥٠ (١٣) و١٣٥٢ (١٤) و١٤٧٣ (١٥) المؤرخة على التوالي في ١٣ اذار و١٦ تشرين الاول و١٢ كانون الاول من عام ١٩٥٩ ، وبالنسبة الى التوغولاند الفرنسي القرار ١١٨٢ (١٢) المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٧ ، وبالنسبة الى رواندا اوروندي القرار رقم ١٥٧٩ (١٥) والقرار رقم ١٥٨٠ (١٥) المؤرخين في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٠ والقرار رقم ١٦٠٥ (١٥) تاريخ ٢١ نيسان ١٩٦١ .

٣٦ — Sami Hadawi, *Palestine-Loss of a Heritage* (San Antonio: The Naylor Co. 1963), p. 25.

٣٧ — *GAOR* (XXIV), Supplement No. 30, p. 26.

٣٨ — *GAOR*, (XXV), Supplement No. 28, p. 37.

٣٩ — *GAOR*, (XXVI), Part III, p. 31.

٤٠ — *GAOR*, (XXV), Supplement No. 28, p. 74.

٤١ — *GAOR*, (III), Part I, p. 24.

٤٢ — *GAOR*, (XXIII), Supplement No. 18, pp. 21-22.

٤٣ — *Official Records of the Security Council* (XXII), p. 5.

٤٤ — *Official Records of the Economic and Social Council* (44), p. 19.

٤٥ — *Final Act of the International Conference on Human Rights*, p. 5.

٤٦ — أنظر ايضا حول الموضوع ذاته القرارين الصادرين عن لجنة حقوق الانسان التابعـة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٦٨ و٤ آذار ١٩٦٩ ، والقرارين الصادرين عن منظمة الصحة العالمية بتاريخ ٢٣ ايار ١٩٦٨ و٢١ ايار ١٩٧٠ .

٤٧ — كدستور عام ١٨٧٥ الذي قسم الجزائر الى ثلاث محافظات (وهي وهران والجزائر وقسطنطينة) واعتبرها جزءا من الدولـة الفرنسية وتتبع وزير الداخلية الذي يـدير شؤونها بموجب مراسيم ودستور عام ١٩٤٦ الذي نص في مادته الستين على ان الجمهورية الفرنسية تتألف من فرنسا الاصلية ومن محافظات وأراضي ما وراء البحار ، والذي نص في مادته الاولى على ان الجمهورية الفرنسية هي جمهورية واحدة لا تتجزأ .

٤٨ — انظر قرار الجمعية العامة رقم ٢٦٤٩ (٢٥) تاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، وقرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للامم المتحـدة رقم ١٥٩٢ تاريخ ٢١ ايار ١٩٧١ .

٤٩ — أنظر الفقرة الثامنة عشرة من بيان تعزيز الامن الدولي الذي أقرته الجمعية العامة بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٧٠ .

الاعلام العربي واجتياح الحصار الاعلامي الاميركي ــ الصهيوني في امريكا

دور التنظيمات العربية والفلسطينية بعد حرب حزيران ١٩٦٧

الدكتور ابراهيم ابو لغد

خلفية تاريخية

لقد ادرك العرب ادراكا متفاوتا ان للاعلام عن القضايا المصيرية والمتعلقة بالصراع الطويل مع الاستعمار الغربي والاستيطان الصهيوني في فلسطين دورا لا بد من أن يؤديه للوصول الى النصر على قوى الاستعمار . وقد ظهر هذا الادراك ، وانعكس أول ما انعكس في تأسيس مكاتب الاعلام العربي في كل من لندن وواشنطن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . فجاءت هذه المكاتب بدعم مادي من جامعة الدول العربية والعراق بشكل خاص لتقوم بما يمكن القيام به من اعباء اعلامية كان غرضها الاصلي والاساسي عرض حقوق الشعب الفلسطيني على المجتمع الاميركي الذي كانت تحتكره ابواق الدعوة الصهيونية المشوهة للواقع والتاريخ . وكان أول من أسس المكتب العربي في واشنطن الاستاذ احمد الشقيري الذي بين في مذكراته عن هذه الحقبة من العمل والتاريخ مفهومه للاعلام ودوره في الصراع ، والذي اظهر كذلك الوسائل المادية والعلمية التي وضعت بين يديه لاداء مهمة الاعلام ، كما وضح اساليب عمله في محاولته التصدي للاعلام الصهيوني ــ الاميركي .

ومما لا شك فيه ، ان الاعلام في تلك الفترة كان أكثر من عاجز، اذ لم يكن المسؤولون عنه خبراء فيه ، وكان يعوزهم الفهم الحقيقي لتركيب المجتمع الاميركي ولوسائل الاتصال بالجماهير في هذا المجتمع . ونظرا للتخلف الحضاري العربي آنذاك ، لم يرافق هذه المحاولة الاعلامية تخطيط ما ، ولم يشعر الاعلام بضرورة الدراسات العلمية والتاريخية ، التي لا بد وان تشكل الخلفية الحقيقية للدعوة والتبشير . ورغم اننا لا ندعي مطلقا بامكان تحقيق مكاسب اعلامية حقيقية في تلك الفترة التاريخية للقضية الفلسطينية حتى لو توفرت الادوات العلمية والدراسات والتخطيط والخبراء ، الا اننا نجزم بأن الاعلام آنذاك لم يترك أثرا يذكر .

ورغم بدائية هذه البداية ، الا أنها تلاشت بنشوء اسرائيل على أنقاض فلسطين بدل ان تتضاعف وتستفيد من خبرتها المحدودة . واهملت الدول العربية بعد انهزامها العسكري في ١٩٤٨/١٩٤٩ الاعلام الخارجي وكأن مشاكل التغيير العسكري والسياسي استحوذت على جل اهتماماتها ولم يعد للاعلام العربي الرسمي في امريكا وجود يذكر حتى سنة ١٩٥٤ تقريبا .

ومع ذلك ، فقد اهتم بعض انصار العرب الذين ارتبطوا بالمنطقة العربية مصلحيا كالمبشرين وبعض الاساتذة الذين خدموا في احدى البلدان العربيـــة وبعض أصحاب

العمل بنقل بعض الحقائق الى المجتمع الاميركي ، وقام هؤلاء ببعض الجهود الاعلامية، الا ان هذه الجهود كانت ضعيفة ، ينقصها التنظيم والدعم المـادي ، وكانت نظرتها محدودة كذلك ، فركزت على مشاكل « اللاجئين » من الناحية الانسانية وحاولت ان تحصل على عطف الراي العام الاميركي من ناحية انسانية ولم تجابه الاعلام الصهيوني السياسي على اسس سياسية . ولم تحدث المواجهة الحقيقيـة للاعلام الصهيوني السياسي الا بعد نشوء أول تنظيم عربي في أمريكا اثر تكوين منظمة الطلبة العرب في اواخر عـام ١٩٥١ . نذكر جيدا التدفق الطلابي العربي الى اوروبا وامريكا بعـد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فقد وفد الى امريكا أعداد غفيرة من الطلبة العرب من فلسطين والاردن ومصر وسوريا ولبنان والعراق وتوزعـوا في مختلف الجامعات الامبركية. وكان هؤلاء الطلبة على درجة عالية من النضج الثقافي والسياسي، وشعروا باحتكاكهم المباشر بالحاجة الماسة الى اعلام سيـاسي وحضاري في أمريكا ، وقام الكثيرون منهم بالقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات المختلفة لتوعيـة مختلف القطاعات الاميركية ، وتصدوا رغم قلتهم للاعلام الصهيوني في أوساطهم . وكان لهذا الاندفاع الطلابي أثره في تكوين منظمة الطلبة العرب في أمريكا ، وقام نفر منهم بالتجول في أمريكا للدعوة الى هذه المنظمة ، وكان لهذه الجهود أثرها فاجتمع الطلاب في مدينة ألمهيرست لاول مرة في أول مؤتمر طلابي عربي في أمريكا ثم توالت مؤتمراتهم السنوية الى يومنا هذا . وعبر السنين تولت هذه المنظمة أعباء الاعلام العربي في أمريكا ، وكان لها دور هام أساسي في مواجهة الاعلام الصهيوني ، اذ أن المنظمة كانت مركزية ، أدارت شؤونها لجنة مركزية انتخبت سنويا ، مثلت الاتجاهات السياسية العـربية المختلفة وكان أعضاؤها ينتمون الى دول عربية مختلفة . ثم تشكلت فروع كثيرة على المستويات المحلية وتولت هذه الفروع مهمات الاعلام العربي عـن طريق الندوات والاجتماعات والمهرجانات الطلابية فنقلت ، خاصة الى الاوسـاط الطلابية الاميركية الجامعية ، مشاكل التطور العربي، والتراث العربي اضافة الى مشاكل التحرير العربي وصراع العرب مع الاستعمار والاستيطان الغربي .

ولا نغالي ان قلنا بأن الاعلام الطلابي العربي في أمريكا كان الاعلام الوحيد الـذي حاول مواجهة الاعلام الصهيوني حتى سنة ١٩٥٤ .

ثم نشأت مكاتب الجامعة العربية لتتولى بعض مهمات الاعلام العربي وكانت في بدايتها متواضعة وجادةبآن واحد، اذ رغمضعف موارد المكاتب قياسا الىموارد الحركة الصهيونية وطاقاتها البشرية ، الا ان الرعيل الاول من موظفيها كانوا على درجـة عالية من الكفاءة والقدرة ، كانوا قد احتكوا بالمجتمع الاميركي وعرفوه معرفة جيدة ، وكان جلهم يعمل بهذه المكاتب لا في سبيل الرزق بل لتأدية واجب وطني . وكان لهذه المكاتب في السنوات التالية القليلة أثر طيب في أميركا ، وسدت جـزءا مـن الفراغ الاعلامي السابق ، فاوفدت موظفيها الى المؤسسات المختلفة لالقـاء المحاضرات أو الاشتراك بالمناظرات ، واصدرت نشرات اعلامية تتفاوت في جودتها ، واصـدرت مجلة العالم العربي وهكذا ، اضافة الى ان هذه المكاتب دعمت النشاط الطلابي العربي الذي تزايد عبر السنين . ويمكن ان يقال بان احتكار الصهيونية للاعلام في المجتمـع الاميركي بدأ يعاني بعض المنافسة والتحدي في اواخر الخمسينات اثر نشوء منظمة الطلبة العرب ومكاتب الجامعة العربية التي اضافت قليلا الى تلك الجهود الضعيفـة التي كان يبذلها الاميركيون ذوي المصالح الاقتصادية او الثقافية في المنطقة العربية .

كان لهذا التوجه الاعلامي العربي، على ضعفه، ان يتصدى للمشاكل الرئيسية التي تفترض تفهما واضحا للعلاقات العربية ـــ الاميركية وكان عليه ان يوضح ويقنع فئات

المجتمع الاميركي بعدالة المطالب الكاملة للشعوب العربية ومن ضمنها الشعب الفلسطيني وعدالة صراع هذه الشعوب مع دول الاستعمار القديم في سبيل الحصول على الاستقلال الكامل وجلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيها ، وحريتها في تقرير مصائرها السياسية والاقتصادية . ورغم ان القضية الفلسطينية ، ومطالب الشعب الفلسطيني كانت موضوعيا اكثر الحاحا ، الا ان المشاكل والاضطرابات الآنية في العالم العربي كانت تفرض نفسها على الواقع الاعلامي الذي اضطر ان يدافع عن جميع هذه الاضطرابات ، فكان الاعلام يحاول تفسير نزعة الشعوب العربية في الابتعاد عن الاحلاف السياسية والعسكرية التي كان الغرب يحاول فرضها على الدول العربية ، وتبرير السياسات الاصلاحية التي تبنتها بعض الدول العربية المتقدمة وتأكيد الاسس التي افترض القوميون العرب وجودها كضرورة لتكوين مجتمع عربي موحد ، كما انه حاول ان يدافع عن حق كل وطن عربي بالاستقلال السياسي عن الدولة الاستعمارية الحاكمة وهكذا . وكان الاعلام العربي ، سواء الرسمي الذي كان يصدر عن مكاتب الجامعة العربية او غير الرسمي الذي قامت به منظمة الطلبة العرب يعير القضية الفلسطينية جزءا من اهتمامه وكان في معظم الحالات يرتكز على قاعدتين : حق الشعب الفلسطيني اللاجىء بالعودة الى ارضه دون ان يلتزم الاعلام بهدف سياسي ثابت يصبو اليه هذا الشعب . وأما القاعدة الثانية فكانت عدم عدالة وجود الدولة الصهيونية في فلسطين دون ان يقدم الاعلام البديل لهذا الوجود . ونظرا لكثرة المشاكل الاخرى ، وعدم وضوح الهدف السياسي للشعب الفلسطيني كما تصوره الاعلام العربي ، ركز الاعلام جهده حول المشاكل الانسانية للشعب الفلسطيني اللاجىء ، واكد على ضرورة ايجاد حل « عادل » لهذه المشكلة الانسانية ، دون ان يبرز مفهوما واضحا عاقلا لعدالة الحل الذي يرغب الشعب والحكومة الامريكية ان يلتزما به .

واكب هذا الاعلام العربي ، اعلاما امريكيا آخر قامت به مؤسسات امريكية ارتبطت مصلحيا بالدول العربية ، فقامت مثلا جمعية اصدقاء الشرق الاوسط والتي تبين فيما بعد انها كانت تستمد معوناتها المالية من شركات النفط الامريكية والمخابرات الامريكية المركزية ، اضافة الى بعض المؤسسات الاهلية الاخرى كنسية كانت او علمانية بمحاولات لتحسين مفهوم الامريكي للقضايا العربية ، وتبنت اساليب اعلامية لم تختلف كثيرا عن تلك التي استخدمها الاعلام العربي ، من نشرات او محاضرات او ندوات . ورغم اهتمام هذه المؤسسات بالقضايا العربية الاستقلالية الا انها اولت بعض اهتمامها لقضايا الشعب الفلسطيني على انه شعب لاجىء وجب على الانسان الاميركي وحكومته ان يساهموا في نجدته انسانيا ومعيشيا .

واهمل هذا الاعلامسياسية القضية الفلسطينية ونجح الى حد بعيد فيترسيخ التصور الاسرائيلي للقضية ، على انها قضية لاجئين لا بد من توطينهم في البلدان العربية ، وان الدول العربية هي التي تعرقل عملية التوطين لغرض في نفس يعقوب .

ورغم اننا لا نبغى ان نبالغ في وجود اعلام فلسطيني خلال تلك الفترة ، الا اننا نستطيع القول انه كان هناك اعلام فلسطيني اشرف عليه مكتب فلسطين المنبثق عن الهيئة العربية العليا ، حيث كان يعمل الدكتور عزت طنوس وعيسى نخله . وعلى ضعفه ، الا ان هذا الاعلامساير الاعلام العربي الى حد ما ، وبذل جهدا في ابراز اضطهاد اسرائيل للشعب الفلسطيني الذي بقي في ارضه ، اضافة الى اعلام الشعب الامريكي بمأساة اللاجئين . ورغم انه ندد بوحشية الصهيونية ، الاانه لم يتمكن من تقديم بديل سياسي عاقل للواقع المظلم ، ورغم الضعف الفكري

للاعلام الذي انبثق عن مكتب فلسطين ، الا انه في نشراته وكتيباته أكد على الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني في ارض فلسطين وحاول جاهدا أن يبين ، عن طريق الحجج الانجيلية أحيانا والتاريخية أحيانا اخرى ، عدالة مطالب الشعب الفلسطيني وشرعية ملكيته لارض فلسطين .

تصورات الاعـــلام

كانت هنالك مجموعة من التصورات تحكمت في نوعية الاعلام العربي وطبيعته في امريكا ، وانعكست هذه بالنشاطات المختلفة التي قامت بها منظمة الطلبة العـــرب ، ومكاتب الجامعة العربية ، والمؤسسات الامريكية التي صادقت العرب مصلحيـــا . ولا نغالي ان قلنا بأن الاعلام العربي في امريكا انطلق مـــن منطلقين اساسيين : الاول ان تأييد امريكا للصهيونية وبالتالي لدولة اسرائيل ومدها بالمعونـــات الاقتصاديـــة والعسكرية ينبثق من مصدرين : الاول المؤامرة الصهيونية الكبـــرى والتي حاكهـــا الصهاينة التي عبأت القوى اليهودية المسيطرة على امريكا في سبيل التحكم بالسياسة الاميركية في الوطن العربي ، اما المصدر الثاني فهو الجهل الامريكي لحقائق الوطـــن العربي لحقوق الشعب الفلسطيني. اذن على الاعلام العربي ان يؤكد على ان السياسة الامريكية ، ان تحررت من قيود الصهيونية وتلاعبها ، لا بد وان تتبـــدل وتصبح أكثر عدالة وتفهما للشـــعوب العربية والقضية الفلسطينية ، وعلى ان الشـــعب الاميركي لا بد وان يتبنى وجهة النظر العربية ان علم « الحقائق » وازدادت ثقافته ومعرفتـــه بالشعوب العربية .

أما المنطق الثاني ، للاعلام العربي فكان ان المجتمـــع الاميركي يشمل طـــرفين أساسيين : الطرف الاول هو الفئات اليهودية وهي التي آمنت بالصهيونية ـــ وهنالك استثناآت طفيفة كالمجلس الاميركي لليهودية ـــ والتي تحكمـــت بالاعـــلام الاميركي وبالتالي بالسياسة الاميركية ، اما الطرف الثاني فهو المجتمع الاميركي المسيحـــي الذي جهل الحقيقة والذي ذهب ضحية الصهيونية وبالتالي أيد المشاريع الاستيطانية الصهيونية في فلسطين وعادى القضايا العربية .

نتيجة لهذا التصور ، تمكن كثير من الذين عادوا اليهود كيهـــود (اللاساميـــون) من تأييد العرب لا لمعرفة الحقائق بل لتصورهم بأن النزاع في الشرق الاوســـط هو نزاع عنصري بين العرب واليهود ، وكان هؤلاء ينتمون الى فئات سياسية يمينيـــة رجعيـــة مما جعـــل الاميركي يربط الانتمـــاءات الســـياسية العربيـــة بالفاشية . ثانيا ركز الاعلام العربي في محاولته لاقناع الفئات الاميركية المسيحية منها ، على مـــا اصطلح عليه بالمصالح القومية الاميركية في المنطقة العربية ، واكد على ان هـــذه المصالح ، سواء أكانت اقتصادية ، تجارية ، سياسية او عسكرية يتهددهـــا الخطر ان استمرت امريكا باتباع سياستها المؤيدة لاسرائيل ، واكد على أن الدول العربية ، وهي تسعى للمحافظة على هذه المصالح ، تتعرض لضغوط شعبية تدعوها لاتخـــاذ اجراءات تأديبية لتتخلى الحكومة الاميركية عن سياستها المؤيدة لاسرائيل . وفي نهاية الامر اكد الاعلام العربي على أن الانفتاح العربي على الاتحاد السوفياتي وازدياد التفاعل العربي السوفياتي ـــ خاصة بين الدول العربية التقدمية ـــ يعود الى سياسة المعاداة الاميركية تجاه القضايا العربية المختلفة ومن بينها القضية الفلسطينية . وكان الكثيرون من الذين يعملون في ميادين الاعلام ، عربا كانوا او امريكيين ، يؤكدون باستمرار ان العرب يفضلون التعاون الكامل مع امريكا ولا يريدون التعامل مع الاتحاد السوفياتي الا ان سياسة امريكا المؤيدة لاسرائيل تشكل حاجزا مستمرا لاستمرار هذا التعاون .

كان لا بد للاعلام العربي ان يفشل فشلا ذريعا في الخمسينات والستينات في مهماته العديدة ، اذ كما حاولنا ان نذكر باختصار ، لم يدرك الاعلام الحقيقة الموضوعية للمجتمع الامريكي ، ولم يدرك اهمية التنظيمات العديدة ، العمالية ، والتجارية ، والكنسية والحزبية والسياسية الخ ، التي تمارس ضغوطا مختلفة على الحكومة الامريكية : البيت الابيض ، والكونجرس بمجلسيه وهكذا ، ولم يدرك الاعلام حقيقة الارتباطات والالتزامات المختلفة لكل من هذه الفئات التي تؤيد اسرائيل او تؤيد سياسة اميركه — غرضها الاساسي السيطرة والهيمنة الامريكية على مناطق العالم . ثانيا لم يدرك الاعلام العربي الرسمي ، حقيقة الارتباط الصهيوني بالحكومة الامريكية إذ ان الاعلام افترض بان الصهيونية هي العدو الرئيسي واغفل ان النظام الاقتصادي الاميركي والسيطرة العسكرية الاميركيةتفترض وجود أجزاء فيمختلف مناطق العالم لتلعب دورا مهما في تنفيذ اغراض السياسة الاميركية وان الحكومة الاميركية تؤيد اسرائيل لان هذه أداة من الادوات التي تستخدمها للسيطرة على المنطقة العربية وللمحافظة على المصالح الاقتصادية الاميركية في المنطقة التي استندت الى الاستغلال الراسمالي . وفشل الاعلام العربي ايضا نظرا لانه ارتبط بانظمة عربية متضاربة في اغراضها ، وتصوراتها واهدافها ، اذ نعلم جيدا بان الانظمة العربية المختلفة نفسها لم ترتبط بسياسة محددة تجاه الشعب الفلسطينيوحقوقه ، ولم ترتبط بسياسة محددة تجاه اسرائيل نفسها ، وكان لهذا التضارب اثره على ما يحاول الاعلام ان ينقله الى الشعب الاميركي .

رافق هذا الفشل الاعلامي العربي نصر اعلامي صهيوني وضح وضوحا جليا بانتهاء عقد الخمسينات ، اذ أصبح واضحا حينئذ بأن الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني قد اندثرت ، كما اندثرت هويته الوطنية ، وأصبحت المشاكل الرئيسية في المنطقة العربية تتركز حول النزاع العربي — الاسرائيلي والتصور الاميركي بأن هذا النزاع مبعثه مطامع الدول العربية بارض اسرائيل نفسها ، ومحاولة هذه الدول القضاء على الشعب اليهودي . وقد أكدت وسائل الاعلام الاميركي ، ذلك الجزء الذي تسيطر عليه الفئات الصهيونية والجزء الذي تحركه المصالح الاميركية الاخرى ، على هذا النزاع من هذه الزاوية وتناسى كل من كتب عن المنطقة العربية وعن وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه .

لا بد هنا من الاشارة الى ان الانتصار الاعلامي الصهيوني ، رغم ارتباطه بمهارة خبراء الاعلام الصهيونيين الذين يعملون مع الفئات اليهودية الصهيونية — مثل اللجنة الاميركية اليهودية ، او الكونجرس الاميركي اليهودي وغيرها من المنظمات اليهودية التي تخدم اسرائيل — فانه يرجع برأيي الى ما هو أهم من ذلك ، وهو التحول الخطير في الاتجاهات السياسية الاميركية بعد الاعتداء الثلاثي على مصر ، اذ يدرك من تابع السياسة الخارجية الاميركية حينئذ ، بان الحكومة الاميركية وصلت الى نتيجة اساسية وهي ان الخطر الحقيقي في المنطقة العربية يكمن في نضج الحركة القومية العربية التي تمثلت بسياسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبسياسة حزب البعث العربي والتي حاولت تحرير الاراضي العربية باكملها من الاستعمار القديم والجديد ، ودعم حركات التحرير العالمي ، واتباع سياسة الحياد الايجابي ، اضافة الى التزامها بتحديث المجتمع العربي . وتصور المسيطرون على أدوات الحكم في امريكا بان نجاح هذه السياسة العربية القومية التقدمية سيؤدي في نهاية الامر الى الاصطدام المباشر بالمصالح الاميركية الاقتصادية والعسكرية في الاراضي العربية الاخرى ، وازاء هذا التشخيص والذي اشتركت فيه شركات النفط الاميركية ، تشكل

الحلف السياسي المصلحي الذي وجه الامور فيما بعد وحتى العدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا والاردن في حزيران سنة ١٩٦٧ ، واعضاء هذا الحلف الذين تعاونوا سياسيا وعسكريا واعلاميا كانوا اسرائيل وأدواتها في امريكا ، وشركات النفط الاميركية التي حثت البيت الابيض على اتباع سياسة عنف تجاه عبد الناصر والبعث والخارجية الاميركية التي تسهر على الهيمنة الاميركية في الخارج والتي شعرت بخطورة السياسة الخارجية المستقلة التي اتبعها عبد الناصر والبعث .

واذا جاز لنا ان نفترض مواجهة اعلامية في امريكا في اوائل العقد الستيني نستطيع ان نقول بان محور هذه المواجهة تركز على ما تبغي الدول العربية التقدمية تحقيقه لشعوبها وللشعوب العربية والاسيوية والافريقية الاخرى . وان كان للشعب الفلسطيني وجود ، فقد كان ضمن القضايا العربية الاخرى .

واستمر هذا الوضع الى ان تشكلت منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤ وتمكنت هذه من تأسيس مكتب متواضع في نيويورك يتولى الاعلام عن القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني . وتولى ادارته منذ ذلك الوقت الاخ سعدات حسن وساعده بعض الاخوان . وتمكن هذا المكتب رغم حدود امكانياته من المساهمة في توجيه الاعلام العربي في امريكا الى القضية الاساسية ، وطرح المشكلة من المنظور الفلسطيني لاول مرة منذ ١٩٤٨ ، واكد الاعلام الفلسطيني المنبثق عن هذا المكتب على ان النزاع الحقيقي في المنطقة هو النزاع الصهيوني ــ الفلسطيني حول مستقبل فلسطين السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وبطبيعة الحال تجنب هذا الاعلام الفلسطيني التحدث عن القضية وكأنها قضية « لاجئين » وترك هذه الصفة الى الادوات الاعلامية الاخرى خاصة الاميركية . وكان لوجود المكتب اثر اعلامي طيب ، اذ تمكنت منظمة الطلبة العرب ان تشكل ندوات خاصة عن قضية فلسطين ، وتمكنت وسائل الاعلام الاميركية بين الفينة والاخرى التحدث عن اهداف هذه المنظمة وبدأ الفلسطيني تدريجيا رغم محاولات الصهيونية العديدة ، يعود مرة اخرى الى الوجود نظريا . وقد اكد الاعلام الفلسطيني هذا على ضرورة الكفاح المسلح كوسيلة لايجاد حل سياسي عادل لمطالب الشعب الفلسطيني ، ولم يستند الى « ضمير » العالم لاعادة هذه الحقوق الى الشعب المشرد . وما ان بدأت « فتح » عملياتها في الاراضي الفلسطينية المحتلة لتحقيق اغراض سياسية تحريرية فلسطينية واضحة ، حتى بدأ الاعلام الاميركي يعير هذا التطور في المنطقة العربية اهمية محدودة وهكذا بدأ التساؤل .

الا ان الاعلام الصهيوني والحكومي الاميركي كانا ساهرين ونكيين ، وتصديا للاعلام الفلسطيني ، وحاولا ان يشوها طبيعة الحركة الفلسطينية الجديدة ، وركزا على انها اداة جديدة اظهرها عبد الناصر والحكومات العربية الذين يريدون ان يتستروا بها لتغطية نواياهم العدوانية تجاه اسرائيل . وبينما اكد مكتب منظمة التحرير على استقلالية المنظمة ، وعلى استقلالية الاهداف الفلسطينية ، حاول الاعلام المعادي ان ينفي هذه الاستقلالية ، ليقنع المجتمع الاميركي بان النزاع في المنطقة ان هو الا نزاع بين الدول العربية واسرائيل . ورغم استقلالية وانفراد الاهداف التحريرية الفلسطينية ، وتمييز أهدافها ووسائل تحقيق هذه الاهداف عن تلك التي تبنتها الدول العربية الا ان وسائل الاعلام الاميركي اصرت في الفترة بين ٦٤ ــ ٦٧ على وحدة الاهداف العربية التي شملت منظمة التحرير الفلسطينية ، ورفضت الاعتراف بانفراد واستقلالية المطالب الفلسطينية عن مطالب واهداف الدول العربية . ولا شك ان الارتباط الذي مثله رئيس المنظمة السابق الاستاذ احمد الشقيري بالحكومات العربية

كان له اثر قوي ملموس على محاولات الاعلام الاميركي الاستمرار في تشويه الاهداف والمطالب الفلسطينية الاساسية .

وما ان قامت اسرائيل بعدوانها سنة ١٩٦٧ ، حتى اتجهت جميع وسائل الاعلام الاميركية بحملاتها العدوانية للدفاع عن الهجمة الاسرائيلية العنيفة وتبريرها . والذي يهمنا في هذا المجال هو ما عبر عنه هذا الاعلام الاميركي من المنظور الفلسطيني . يمكننا أن نلخص فحوى الهجوم الاعلامي الاميركي بأمور محددة : اولا انه عبر وعكس شعورا وفكرا عنصريين بصراحة تامة ، وانعكست هذه العنصرية في المئات من الصور والافلام السينمائية والتلفزيونية التي مثلت الشعوب العربية بكاملها على انها شعوب غبية حمقاء ، فقيرة تستغلها حكومات شتى لا تعرف معنى للصالح العام ، وانها شعوب مكبوتة نظرا لفشلها عبر القرون في المساهمة في الركب الحضاري . ثانيا عبر الاعلام الاميركي عن شعوره العدائي للشعوب العربية عامة — وعلينا ان ندرك بان الاعلام الاميركي في عام ١٩٦٧ لم يميز بين الشعوب التي تحكمها حكومات صادقت اميركا وأخرى قاومت الهجمة الاستعمارية الاميركية — معاداة مستمدة من التصور الحكومي الاميركي والمصالح الاقتصادية المتحكمة به بأن الشعوب العربية جزء لا يتجزأ من شعوب العالم الثالث وبالتالي التزمت ببرنامج سياسي واضح من شأنه ، ان تحقق ، أن يقضي على الوجود الاستعماري الغربي الذي تقوده اميركا ، فكما تمكنت هذه الشعوب من الثورة الناجحة على الاستعمار الذي مثلته بريطانيا وفرنسا ، ومن القضاء على وجودهم الاستعماري ، فلا بد لهذه الشعوب ان تنجح بالقضاء على الاستعمار الجديد الذي تقوده اميركا . ثالثا استفاد الاعلام الاميركي من الفئات الصهيونية والاسرائيلية التي غذته بما يلزمه لاظهار العرب بالمظهر المتخلف الحقير الذي تبغي السياسة الاميركية تحسينه وتطويره رغم أنف حكوماته التي تريد ابقاءه على حاله. وقد ظهر جليا اثناء تلك الحملة الاعلامية المسعورة ان الاعلام الاميركي الذي وجهته الحكومة والمصالح الاقتصادية اضافة الى الفئات الصهيونية بأن التخوف الحقيقي كمن في امرين : الخوف من استمرار الاندفاع القومي التقدمي العربي وبالتالي تحويل هذا الاندفاع الى نظرية ثورية شعبية مسلحة تستند الى تحليل علمي لواقع الصراع العالمي ، اما الامر الثاني ان استمرارية الحركة الفلسطينية المنادية بالعنف الثوري لتحرير فلسطين من شأنها ان تغذي الثورية العربية وبالتالي الاطاحة بانظمة الحكم العربية التي حالفت الدول الاستعمارية .

تغيرات جذرية بعد هزيمة ١٩٦٧

بالرغم من ضخامة الهزيمة العربية العسكرية في حزيران ١٩٦٧ ، وهزيمة ما وجد من اعلام عربي في امريكا ، الا أن الاندفاع الفلسطيني الذي تمثل بالكفاح الفلسطيني المسلح بقيادة الثورة الفلسطينية سياسيا حرم الصهيونية والاستعمار الامريكي من مكاسبهم المؤقتة . وعلينا ان نتذكر جيدا أن وقف اطلاق النار الذي شمل منطقة النزاع العربية الاسرائيلية لم يشمل الطرف الفلسطيني الذي صعّد عملياته العسكرية والتنظيمية والسياسية في المناطق العربية والاراضي المحتلة بآن واحد ، ولاول مرة منذ هدنة ١٩٤٨ واجه الثوار الفلسطينيون الحركة الصهيونية وجها لوجه واعيدت القضية مرة اخرى الى اصحابها الاصليين . ومن هذه البداية الثانية تمكن الاعلام الفلسطيني الذي ناصر الثورة الفلسطينية ان ينطلق مستقلا الى حد ما من القيود السياسية والاعلامية العربية . وكان لهذا الاعلام الفلسطيني ان يستفيد من تغيرات جذرية حدثت على المستويات العربية والعالمية والاميركية ، يجدر بنا ان نتحدث عنها .

أما على المستوى العربي ، فقد تمكنت الثورة الفلسطينية لاول مرة في التاريخ الفلسطيني والعربي الحديث ان تطرح تصورات سياسية فلسطينية محددة لحقيقة المطامع الصهيونية ، اذ نعلم جيدا ان البرنامج السياسي الذي طرحته فتح منذ سنة ١٩٦٥ ، والذي تبلور تدريجيا ، قدم البديل السياسي العاقل للدولة الصهيونية المرتكزة على وحدة الدين والعرق ، فطرح شعار الدولة العلمانية الديمقراطية التي أكدت الثورة الفلسطينية بأنها لا بد وان تشمل العرب واليهود الفلسطينيين على قدم المساواة ، كان عملا ثوريا كبيرا على المستويين السياسي والفكري ، ومكن هذا التصور العاملين في ميادين الاعلام الفلسطيني أن يميزوا بين العداء الفلسطيني للدولة العنصرية ولتصوراتها العنصرية وبين المواطنين اليهود . ثانيا جاء الفحوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبرنامج السياسي الذي طرحته مختلف الفصائل الفدائية ليؤكد بأن حركة التحرير السياسي الفلسطيني ان هي الا جزء من حركات التحرر العالمي من الاستعمار والظلم والاضطهاد العنصري ، فتمكن الاعلام الفلسطيني ان يتجه عالميا نحو الفئات المضطهدة في العالم وميز تمييزا واضحا الفئات التي تتشكل منها المجتمعات العالمية ، وركز في حملاته على محاولة استقطاب الفئات الاجتماعية الكادحة والمظلومة عنصريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا . ثالثا أكد البرنامج السياسي الذي وضعته الثورة الفلسطينية على التزامه بايجاد مجتمع فلسطيني تقدمي تستند قواعده على العدل الاجتماعي والاقتصادي ، ولهذا رفضت الثورة البديل الاسرائيلي العنصري كما رفضت البدائل العربية الرجعية الطائفية والاقطاعية والرأسمالية . وتمكن الاعلام الفلسطيني ان يتجه الى الفئات التقدمية العالمية التي آمنت ببرامج سياسية اجتماعية تقدمية . رابعا كان لايمان الثورة الفلسطينية بالكفاح المسلح والعنف الثوري كوسيلة لتحقيق برنامجها السياسي التحرري ان يوجه الاعلام الفلسطيني الى تلك الفئات العالمية التي آمنت بنظرية العنف الثوري للاطاحة بالتنظيمات المستندة الى الرأسمالية الاقطاعية والتي تمارس الاستعمار والاستغلال العالمي .

أما عالميا فقد ادركت الثورة الفلسطينية التغيرات الاساسية للترتيبات السياسية والصراعات الحقيقية الدائرة ، اذ كان واضحا أن حركات التحرير الافريقية كانت آنئذ في وضع يسمح لها ان تصعد ثورتها ضد الاستعمار العالمي والانظمة العنصرية التي تسنده . وكما أدركت الثورة الفلسطينية الارتباط العضوي لاسرائيل بالاستعمار الامريكي ، أدركت الثورات الافريقية الارتباط العضوي للانظمة العنصرية والفاشية بالاستعمار الاميركي — الاوروبي والدور الجوهري الذي تلعبه منظمة حلف الاطلسي في محاولاتها لاخماد الثورات الافريقية . وكما ان التقدميين العرب ساندوا الثورة الفلسطينية ، فقد قامت الحكومات الافريقية التقدمية بدور مساند وفعال في دعم حركات التحرير الافريقية ، وهنا نشأت وحدة المصير بين الثورة الفلسطينية وحركات التحرير في افريقيا ، التي كان من شأنها أن تلعب دورا هاما في تجريد الثورة الفلسطينية من صبغتها المحلية ، وتزويدها ببعد تحرري عالمي لا يعترف بالعرق والجنس والقومية والدين ، ولم تعد الثورة الفلسطينية والمطالب الفلسطينية ثورة او مطالب محلية تعتمد اعتمادا كليا على المساعدات العربية او الاسلامية كما كان الحال في فلسطين اثناء الانتداب البريطاني .

وما انطبق على افريقيا انطبق على آسيا ، اذ أن الثورة الفلسطينية أدركت ادراكا جيدا مغزى التطور الصيني على الصعيد العالمي ، وأدركت المعنى الحقيقي للثورة الفيتنامية وتصديها للهجمة الاميركية العنصرية العنيفة. وكان طبيعيا للثورة الفلسطينية

ان تتــلاحم مع هــذه الحركات التحررية الاسيوية وان تؤكد وحدة مصيرهــا معها ، ومن ثم دعمت هذه الحركات التحررية الثورة الفلسطينية . ولربما كان الاهم من هذا وذاك اعلاميا التغيرات الجذرية التي حدثت في المجتمع الاميركي خلال النصف الثاني من الستينــات ، فقد ولــدت حركة الحقوق المدنيــة ، والتي ادت الى الاضــطرابات العنصرية والثورة السوداء ، ثم ثورة الفئات التقدمية الطلابية وغيرها ضد الممارسة العسكرية الاستعمارية الاميركية في فيتنام والتي عرفت فيما بعد بحركة أنصار السلام، ثورة اساسية فكرية ضد الاسس التي يرتكز عليها نظام الحكم الاميركي ، واظهرت بوضوح للاعلام الفلسطيني الفجوات الكبيرة في المجتمع الاميركي ، وبينت امكانية العمل مع فئات المضطهدين من السود ، وأنصار السلام قائمة حقا . وكان لهــذه الثورات الاميركية جانب مهم من حيث ارتباط المؤسسة الحاكمة بالصهيونية والفئات اليهودية الضاغطة والتي تتعامل مع المؤسسة الاميركية الحاكمة . فقد أدركت هــذه الجماعات الثائرة بأن الرجعية الفكرية والسياسية تسيطر على الفئات اليهودية، مما جعل هذه الفئات تتعاطف مع المؤسسة الحاكمة التي صعدت عمليات الابادة ضد الشعب الفيتنامي الباسل ، وحملات الارهاب ضد الفئات الاميركية الســـوداء . ونظرا للانتــمـاء الفلســطيني الى حركات التــحـرر العــالمي والمــوقف التقــدمي الذي وقفتــه الثــورة الفلســطينيــة ، تمكن الاعــلام الفلســطيني في اميركا من الاتجاه الى الفئات الاميركية الثائرة واصبح واضحا خلال عام ١٩٧٠ وبعده بأن المجتمع الاميركي منقسم على نفسه : ذلك القسم الحاكم الرجعي تسنده الفئات المحافظة والرأسمالية الصهيونية اليهودية ، والقسم الثائر والذي تكون من مساندي السلام في فيتنام والسود وبعض الطبقات الكادحة الاخرى ، وتدريجيا توجه هؤلاء الى الثورة الفلسطينية وكأنها حليف طبيعي لهم في الصراع العالمي بين المستعمر والمستعمر، بين المستغل والمستغل .

أدوات الاعلام الفلسطيني الجديدة

في هذه البيئة المتغيرة تحرك الاعلام الفلسطيني في اميركا بأدواته وتنظيماته المختلفة. وهنا يحسن بنا ان نلتفت الى الفئات العديدة التي ساهمت بتعريف المجتمع الاميركي بأقسامه العديدة بحقيقة الثورة الفلسطينية ومطالبها :

١ ــ منظمة الطلبة العرب ، وقد تحولت تدريجيا من منظمة عربية طلابية متعددة الاغراض الى منظمة عربية مساندة للثورة الفلسطينية . وتولت التنظيمات الطلابية في مختلف المدن الاميركية تنــظيم النــدوات العلميــة والتي دارت كلهــا عن الثــورة الفلسطينية . وكان لهذا التنظيم اثر كبير في الوصول الى المنظمات الطلابية التحررية الاخرى ، فتكونت علاقات حميمة مع المنظمات السوداء ، والمنظمات المؤيدة للسلام ، واتجهت بأعمالها نحو وجهات أخرى كالمسيرات الشعبية والمظاهرات ، مما كان له أكبر الاثر في حث وسائل الاعلام الاميركية على الاتجاه نحو الثورة الفلسطينية والتعريف بها وبمطالب الشعب الفلسطيني . وقد كان للعمليات العسكرية للثورة انعكاســاتها على وسائل الاعلام الاميركية التــي اضطرت ان تعتــرف بحقيقة الكفــاح المسلح الفلسطيني وبالتالي بالمطالب الاساسية للشعب الفلسطيني رغم الحصار الحديدي الذي فرضته المؤسسة الحاكمة الاميركية والصهيونية على مطالب الشعب الفلسطيني. وتدريجيا تحول الشعب اللاجىء، وتحولت قضية اللاجئين الى قضية سياسية تحررية، وعاد الشعب الفلسطيني الى وجوده السياسي .

٢ ــ قام تنظيم جديد اثر حرب حزيران للدفاع عن القضايا العربية كليا بما في ذلك

حقوق الشعب الفلسطيني ، عرف بمنظمة الخريجين العرب في اميركا ، شملت اعدادا غفيرة من أصحاب الكفايات والقدرة عـــلى المستوى الاميركي الشــــامل . توجه هذا التنظيم في عمله السياسي والثقافي في اتجاهـــين مختلفين متممين لبعضهما . الاول تلخص في استقطاب الملتزمين سياسيا من اصحاب القدرة والكفاية وتجنيدهم في القاء المحاضرات ومواجهة الدعاية الصهيونية في الجامعات والاندية والمجالس القوميـــة الاميركية والاشتراك في المؤتمـــرات والندوات للدفاع عــــن شرعية مطالب الشعب الفلسطيني السياسية والدفاع عن البديل السيـــاسي لاسرائيل الذي طرحته الثورة الفلسطينية والذي يتلخص في اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . كما ان هذا الاتجاه تمثل في سلسلة القرارات السياسية والاعلانات التي نشرت في مختلف جرائد اميركا التي طرحت وفسرت البديل السياسي الفلسطيني ، مما ادى في نهاية الامر الى نعت هذه المنظمة بأنها « واجهة » للمنظمات الفدائية تعمل بتوجيه منها . ثانيا : اتجه هذا التنظيم اتجاها علميا لتوثيق حقوق الشعب الفلسطيني بشكل علمي واضح ، ولتوثيق عنصرية اسرائيـــل وتعسفها في فلســـطين المحتلة والاراضي العربية ، فأصدر سلسلة من الكتب والكتيبات ذات المستوى العلمي الرفيع ليتناولها المثقف الاميركي . وكان لوضوح الرؤيا السياسية لهذا التنظيم اثره الواضح في اتباع خط سياسي تقدمي تجاه الصراع في المنطقة العربية ، فكما انه وضح حقيقة الاستيطان العنصري الاسرائيلي ، أكد على ان الصراع في المنطقة العربية ان هو الا صراع مع الامبريالية العالمية التي تقودها وتتحكم بها أميركا والتي تستخدم اسرائيل كأداة لتحقيق أهدافها الاستغلالية كما انها تستخدم الرجعية العربية في محاولاتها لضرب حركة التحرر الوطني العربي بما في ذلك الثورة الفلسطينية .

تمكن هذا التنظيم ، كمنظمة الطلبة العرب ، أن يتفاعل مع الحركات الثائرة في أميركا وأن يسند أهدافها التحررية الاميركية مما أدى الى تفهم هذه الحركات للمطالب السياسية الوطنية للشعب الفلسطيني . وتمكن هذا التنظيم من التعاون مع جميع هذه الحركات في تنظيم المسيرات الشعبية والاشتراك في المهرجانات الاحتجاجية في المدن الاميركية الكبرى والجامعات المختلفة . ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذا التنظيم نجح كذلك في فك الحصار الحديدي الذي مارسته شركات النشر الاميركية على كل ما يطبع ويؤيد حقوق الشعب الفلسطيني ، فكانت مطبوعات هذا التنظيم ، أو تلك المطبوعات التي أيدها ، مصدرا هاما لمختلف الفئات الاميركية التي حاولت تدريجيا ان تعرف حقيقة الصراع في المنطقة العربية . ويعود الفضل في ذلك الى أمرين : الاول وجود تنظيم قوي عامل يعبىء القوى وقادر على ممارسة الضغط على دور النشر الاميركيـــة ، وثانيا وجود عدد كبير من الاساتذة والمفكرين العرب الذين عملوا ويعملون في الجامعات الاميركية ولهم مكانتهم ووزنهم العلمي قادرون على توجيه اهتمامهم ونشاطهم العلمي الى قضية فلسطين والثورة الفلســـطينية . ويهمنا ان نذكر بهـــذا الصدد أن هذين التنظيمين التزما التزاما كليا بأهداف الثورة الفلسطينية ورفضا رفضا كاملا الاشارة الى قرارات الامم المتحدة التي انتقصت من حقوق الشعب الفلسطيني أو شوهتها ، كقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

٣ ـــ منظمات عربية أو عربية اميركية على المستويات المحلية ، كان ابرزها منظمة « اللجنة العاملة للعلاقات العربية الاميركية » والتي أسسها وحركها الدكتور محمد مهدي ، واختلفت هذه المنظمات في مناهج عملها وتوجهها السياسي والاعلامي ، فكان انصار الدكتور مهدي من مؤيدي العمل النشـــط كالمظاهرات والمســـيرات الشعبية ،

ومواجهة وسائل الاعلام مباشرة لتعريف الشعب الاميركي بحقيقة مطالب الشعب الفلسطيني ، كما ان منظمات أخرى عبأت قوى مختلفة للاتصال بالجرائد ووسائل الاعلام الاخرى ، او لتنظيم الجاليات العربية المنتشرة في أميركا وهكذا . أما المنظمات الاميركية البحتة فقد حاولت الاتجاه الى فئات معينة من المجتمع الاميركي كالكنائس أو أفراد الحكومة الاميركية ، وكما أن معظم التنظيمات العربية والتي حالفت القوى الثائرة في اميركا التزمت بالتحرير الفلسطيني ،التزمت المنظمات الاميركية بالتصور القديم للفلسطيني اللاجيء ، أو بقرارات الامم المتحدة كقرار ٢٤٢ وكان جل اهتمامها الضغط على الحكومة الاميركية لتنفيذ التزاماتها السياسية الدولية ولاتخاذ موقف « محايد » من الدول العربية واسرائيل . وكما ان التنظيمات العربية أكدت على الدور الاساسي الذي تلعبه الامبريالية العالمية بقيادة اميركا ، أكدت التنظيمات الاميركية المصادقة على الدور السيىء الذي تلعبه الصهيونية في الاطار الاميركي .

٤ ـــ الاعلام الرسمي والذي تمثل في مكاتب الجامعة العربية كان خلال هذه الفترة مقلقلا ، مشوها وغير ثابت . اذ بعد هزيمة حزيران تمكن بعض الافراد العاملين في هذه المكاتب من فرض أنفسهم على هذه المكاتب والانفراد بسياسة اعلامية لم تلتزم احترام الدول العربية لقرارات الامم المتحدة بما في ذلك قرار ٢٤٢ ، فجاءت مثلا مجلة العالم العربي التي كان يصدرها المكتب الرئيسي في نيويورك مؤيدة تأييدا كاملا للثورة الفلسطينية ، الا أن الاتجاه العام للاعلام الرسمي كان مؤيدا لقرار ٢٤٢ ولاحترام حقوق الشعب الفلسطيني الانسانية ، ولم يتمكن الاعلام الرسمي العربي من الخروج بشكل عام عن القيود الاساسية التي تمليها ظروف الجامعة العربية ، ولم يتمكن من التغلب على مشاكله التنظيمية التي أعاقته على مر السنين ، فبالرغم من ميزانيته المحدودة ، الا أن الاعلام الرسمي العربي لم ينجح في الاستفادة من هذه الموارد المالية التي لم تتوفر للتنظيمات الاخرى .

٥ ـــ مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك ساهم مساهمة فعالة في التعريف السياسي بالقضية الفلسطينية على انها قضية تحررية ، كما ساهم في توعية الجاليات العربية اضافة الى مهمته الاساسية في الامم المتحدة . وكان لوجود المكتب المستقل أهمية رمزية كبرى بالنسبة الى الاهداف السياسية الفلسطينية .

٦ ـــ رغم ان الامم المتحدة ليست أداة من أدوات الاعلام ، الا انها خدمت الاعلام الفلسطيني خدمة كبرى دون ان تدرك ذلك بسلسلة القرارات التي صدرت عنها منذ عام ١٩٦٩ ، اذ اننا نعلم انه منذ قرارها في ديسمبر ١٩٦٩ والذي بموجبه أقرت بأن الشعب الفلسطيني له « الحق في تقرير مصيره » وقراراتها في السنوات التالية أكدت بأن اسرائيل هي الدولة التي تمنع الشعب الفلسطيني من ممارسة تقرير مصيره ، الى اقرارها بشرعية اللجوء الى الكفاح المسلح وكل الوسائل الاخرى لتقرير مصيره اضفت شرعية مطلقة للمطالب الفلسطينية التي التزم بها الاعلام الفلسطيني في اميركا ، فتمكن هذا من الاستناد الى هذه القرارات ليدعم حججه بشرعية المطالب السياسية الفلسطينية ، وليدافع عن الكفاح المسلح كوسيلة شرعية لتحقيق هذه المطالب .

الانجازات الرئيسية للاعلام

نستطيع الان أن نوجز الانجازات الرئيسية للاعلام العربي والفلسطيني في الساحة الاميركية : **أولا** تمكن الاعلام من ايصال الحقائق والمعلومات لاعداد غفيرة من الشعب الاميركي بما في ذلك بعض المسؤولين في الحكومة الاميركية مما أدى الى مساندة محدودة لبعض المطالب السياسية الفلسطينية والعربية ، ويمكننا في هذا المجال ان

نشير الى بعض المواقف السياسية المعتدلة التي وقفها الشيخ فولبرايت ، و**هاتفيلد** وآخرون ، وبالرغم من ان التيار الجارف هو ذلك الذي يؤيد اسرائيل مطلقا ، الا ان هذا الدعم أصابه بعض الخدش الذي لن يؤثر في السياسة المعادية للاستعمار الاميركي . **ثانيا** نجح الاعلام الفلسطيني خاصة في تعبئته للقوى العربية الدفينة في المجتمع الاميركي والتي نشطت بعد عام ١٩٦٧ لتدعم الثورة الفلسطينية ولتوضح حقيقة الصراع في المنطقة . **ثالثا** تمكن الاعلام من ايجاد وايصال الكتب والنشرات والاستفادة من وسائل الاعلام الاميركي الاخرى لفك الحصار الحديدي الامبريالي — الصهيوني عن القضية الفلسطينية ومطالب الشعب الفلسطيني . **رابعا** أصبح واضحا الآن وبعد مرور هذه السنوات على الكفاح المسلح الفلسطيني ، ان القضية الاساسية في المنطقة هي قضية الصراع الفلسطيني — الصهيوني ، ولم يعد أحد يتحدث عن الفلسطينيين كشعب لاجيء لا بد من توطينه في بلدان أخرى ، وبآن واحد أصبح الادراك واضحا بأن النزاع العربي — الاسرائيلي ان هو الا نزاع ثانوي نتج عن الصراع الاساسي الفلسطيني — الصهيوني . **خامسا** اصبحت مطالب الشعب الفلسطيني السياسية مقبولة في أوساط أميركية عديدة ، ولهذا نجد اليوم فئات أميركية تؤيد الاتجاه المنادي بضرورة تكوين دولة فلسطينية مستقلة في جزء من الاراضي الفلسطينية . **سادسا**، أظهر الاعلام الفلسطيني — العربي بمعاونة أنصاره الاميركيين حقيقةاسرائيل العنصرية ، التوسعية ، التعسفية . **سابعا** ، اظهر الاعلام الفلسطيني ان الشعب الفلسطيني رغم تشتته يتمثل سياسيا في منظمة التحرير الفلسطينية .

على اننا يجب ان نؤكد في نهاية هذا المقال بأن هذه الانجازات رغم ضخامتها واهميتها لن تؤثر في الاتجاهات السياسية للحكومة الاميركية التي تتحكم بها قوى وامكانيات اخرى لا علاقة لها بالاعلام ، وان هذه ستتغير بعد ضربات أليمة للمصالح الاميركية في المنطقة العربية توجهها القوى الثورية التقدمية ، والى ان يحدث ذلك ، لا بد للاعلام أن يستمر في تأدية مهماته الاساسية لكسب أنصار من الفئات الشعبية الاميركية التي يستغلها النظام الاميركي الحاكم والذي يستفيد من وجود اسرائيل والصهيونية بآن واحد .

صدى الرصاصة الأولى

شفيق الحوت

المجابهة السياسية العريضة التي خاضتها منظمة التحرير الفلسطينية ضد العدو الصهيوني ، على امتداد الساحة الدولية ، وجملة الانتصارات التي أحرزتها ، سواء في اتصالاتها المباشرة والتي تجسدت في العديد من البيانات الثنائية المشتركة ، او عبر المشاركة في التجمعات الاقليمية أو المجموعات الدولية المختلفة ، والتي تجسدت في مقررات الجزائر ولاهور والرباط ، أو عبر الامم المتحدة ، حيث كانت قمة هذه المجابهة التي تتوجت بأهم قرار سياسي يصدر في تاريخ قضية فلسطين عن محفل دولي هام. . .
هذه المجابهة السياسية ، تشكل مادة زخمة لكل المعنيين بقضية فلسطين ، من المؤرخ الى المحلل الى القانوني الى الثائر ، ولا سيما الثائر الفلسطيني ذاته الذي يجد نفسه ، ولاول مرة منذ ثورته عام ١٩٦٥ ، أمام انجازات سياسية هامة كفيلة بمضاعفة ثقته بثورته وبالستراتيجية السياسية التي تبنتها هذه الثورة .

كذلك ، لقد كان لهذه المجابهة السياسية وللنتائج التي ترتبت عنها ، وتلك التي قد تترتب عنها بعد تفاعلها مع عنصر الزمن ، الآثار الهامة على العدو الصهيوني داخل اسرائيل وخارجها في اطار دائرة التحالف الصهيوني الامبريالي الذي تتزعمه الولايات المتحدة .

ومن يطالع ردود فعل العدو يلاحظ بوضوح مدى الارتباك الذي يعم الاوساط الصهيونية والاميركية على حد سواء ، كما يلاحظ مدى انفضاح هذه الاوساط وعجزها عن الدفاع عن سياستها أمام الهجمة الفلسطينية ــ العربية السياسية المشار اليها . ولقد سجل العديدون هذه الردود ، مما يعفينا عن ايرادها هنا الا حيث تدعو الحاجة للتدليل والتأكيد .

لقد كانت قمة هذه المجابهة في الامم المتحدة بين الثاني عشر والثامن والعشرين من شهر تشرين الثاني [نوفمبر] ١٩٧٤ ، اثناء انعقاد الجلسة الخاصة بمسألة فلسطين في الجمعية العمومية للامم المتحدة . ومع ان انعقاد هــذه الجلسة ، ودعوة منظمة التحرير (الممثلة للشعب الفلسطيني) للمشاركة فيها ، قد جاءا كنتيجة حتمية لنضالات شعبنا الفلسطيني العسكرية والسياسية عبر تسع سنوات ، قدمنا خلالها الآلاف من الشهداء ، فان هذا لا ينفي أهمية الدور العربي في صراعنا مع العدو وانما يؤكد أهمية هذا الدور الذي تجلى في حرب تشرين المجيدة التي قاتل فيها الانسان العربي وسط جو تضامني هام لعبت فيه ثروات امتنا ، ولا سيما النفط ، دورا آخر لا يمكن ولا يجوز التقليل من أهميته .

كذلك لا يجوز اغفال حقيقة موضوعية أخرى مهدت لنا طريق الوصول الى الامم المتحدة ، وهي أن بنية هذا المحفل الدولي بالذات ، قد تغيرت عما كانت عليه عام ١٩٤٧ ، عام الكارثة الفلسطينية ، وذلك بعد انضمام عشرات الدول الحديثة الاستقلال اليها ، وكلها دول عرفت معنى الاستعمار ومعنى النضال ضــده ، كما وعت أهمية

التضامن الاممي في دعم الشعوب التي لم تصل بعد الى حريتها والتي لا تزال تناضل وتقاتل في سبيل ذلك .

وكما ورد على لسان اكثر من متحدث باسم هذه الدول ، فلقد كانت دعوة منظمة التحرير الى الامم المتحدة بمثابة نصر للامم المتحدة ذاتها بقدر ما كانت نصرا لفلسطين وشعبها . ان هذه الخطوة من جانب الامم المتحدة ، التي تحدت الشعوب الصغيرة من خلالها هيمنة الدول الاستعمارية والقوية ، تعتبر ارتقاء بالمؤسسة الدولية لممارسة الدور الذي خلقت من أجله ، كما تعتبر امتحانا لقدراتها في أن تكـون البديل الممكن لتحقيق أماني الشعوب وتوفير الكثير من التضحيات الباهظة لتحقيق هذه الاماني . . . أو على الاقل لاضفاء الشرعية الدولية على نضـــالات الشعوب المشروعة ، والتي يحاول اعداء الشعوب تصويرها على انها أعمال ارهابية قمعية وليست حركات تحرير وطنية .

* * *

بعد صدور القرار السياسي ، سألنـــي مراسل احدى الصحف الاميركيـــة عن انطباعاتي . ورددت على السؤال بمثله ليحدثني هو عن انطباعاته ، فقال : قبل كل شيء أشكر الله اني لست اسرائيليا ولا صهيونيا . فمـــن المؤكد ان هذا اليوم ليس يومهم وما أصابهم من عزلة يجعلني أشكر الله اني لست منهم وبالتالي لست مضطرا لاعاني آلامهم . ثم أضاف : يكفي أنكم جئتم « ارهابيين » وعدتم « مناضلين من أجل الحرية » .

وعندما نتذكر ان هذا الكلام يصدر عن صحفي أمريكي قد يجرؤ على كتابة ما قال وان كان لا يضمن أن ينشر مثل هذا القول ، فلنا أن نتأمل عندئذ مواقف وأقوال من كانت انتماءاتهم تسمح لهم بالمزيد من حرية التعبير .

ولعل هذا التغير في « صورة » الفلسطيني هو من اكثر ما ارعب اسرائيل التي استطاعت خلال الخمسة والعشرين سنة ، التي غبنا فيها قسرا عن المحفل الدولي ، أن تصور الفلسطيني للعالم على غير حقيقته وبأبشع ما يمكن أن تكون عليه صورة انسان وشعب .

وأذكر في هذا السياق مثلا آخر ولا يخلو من الطرافة . فلقد حدثني صحفي لبناني مقيم في نيويورك ، انه جاء عشية وصول الوفد الفلسطينـــي الى فندق « والدورف استوريا » الذي اختير مقرا للوفد . وجلس في أحد صالونات الفندق ينتظر موعدا كان قد ضربه مع أحد أعضاء الوفد اللبناني الذي أقام هو الآخر في هذا الفندق . وبينما هو ينتظر فتح حوارا مع أحد المستخدمين في الفندق . فقال له المستخدم الاميركي انه يعمل بالرغم عنه ، وان ادارة الاوتيل رفضت طلبا قدمه ليأخذ اجازته السنوية في هذا الوقت بالذات . ولما سأله الصحفي العربي عن السبب ، قال : يبدو ان كثيرين مثلي طلبوا مثل هذه الاجازة وذلك بمناسبة وصول الوفد الفلسطيني . . . ثم تردد قبل ان يضيف :
— مالنا ولهذه المغامرة . من يعرف ماذا يمكن أن يقدم عليه مثل هؤلاء الارهابيين !!

ويقول صديقنا : وعدت بعد اسبوعين لاودع أعضاء الوفد ، والتقيت بالمستخدم اياه مرة ثانية وسألته عن رأيه فيما سبق وقال لي أول مرة ، واذا به يعتذر ويشتم في آن واحد . يعتذر عن جهله ، ويشتم أولئك الذين صوروا هؤلاء « السادة » المهذبين المتحضرين الراقين . . . الخ . . كارهابيين وقتلة !

ومن الممكن أن أسوق عشرات الامثلة المشابهة التي تثبت مدى الاثر البشع للدعاية

الصهيونية ، ومدى جهل المواطن الاميركي العادي بحقائق الامور في منطقتنا وبقية مناطق العالم .

اذن ، لقد جاء « الحضور » الفلسطيني بعد طول « غياب » منافسا خطرا « للحضور » الاسرائيلي الدائم في الامم المتحدة والقارة الاميركية معا .

* * *

ان هذا الصراع بين « الحضورين » الفلسطيني والاسرائيلي عكس نفسه بنفس الحدة على قانونية كل ما صدر عن الامم المتحدة من قرارات تتعلق بمسألة فلسطين .

وخلافا لما تصوره البعض في الساحة الفلسطينية من مخاوف التوجه للامم المتحدة ، فان الذي حدث نتيجة هذا التوجه ، ان الاسرة الدولية التي كانت تعترف فقط «بالحق» الاسرائيلي الناتج عن « الحضور » الاسرائيلي ، وجدت نفسها ملزمة بعد اعترافها « بالحضور » الفلسطيني ان تعترف أيضا « بالحق » الفلسطيني . وبعبارة أخرى ، كانت الصورة قبل المجابهة السياسية التي خاضتها منظمة التحرير الفلسطينية تتلخص بوجود اسرائيلي وحق اسرائيلي يقومان على أساس غياب الوجود والحق الفلسطينيين .

بعد المجابهة تغيرت الصورة وأصبحت الاسرة الدولية معترفة بحقين ووجودين . وبديهي ان الوجود والحق الفلسطينيين تكرسا على حساب الوجود والحق الاسرائيليين . أي انهما انتقصا من وجود وحق اسرائيليين .

وهذا يضع صراعنا مع العدو الاسرائيلي على ابواب مرحلة جديدة ، ويعيد القضية، دوليا وقانونيا ، الى عشية اليوم الذي اتخذ فيه قرار التقسيم الذي قامت بموجبه دولة اسرائيل ، وزالت نتيجة له ، مع اسباب اخرى ، كل مقومات الوجود الوطني الفلسطيني .

انها بداية لاعادة النظر في الخطأ التاريخي الذي وقع ، وهي بداية مشجعة ، وعلى شعبنا وقيادته ان يتقن عملية استثمار هذا الموقع الجديد من أجل تحقيق المزيد من شرعيتنا الدولية وجودا وحقوقا .

ولذلك لم يكن مفاجأة غير متوقعة ان يأتي القرار السياسي في ختام أعمال الجمعية بريئا وغير ملتزم بأي قرار سابق للامم المتحدة ، كما انه جاء خلوا من أي ذكر « لاسرائيل » ، في الوقت الذي حلت فيه « فلسطين » كاسم شرعي وحيد في كل مرة توجب فيه ذكر الوطن .

حتى ان مندوب احدى الدول ، حاول أن يتخابث قبل أن يعلن امتناعه عن التصويت الى جانب القرار ، فألقى تساؤله عن أي « فلسطين » يتحدث القرار . فلسطين المعروفة أيام الانتداب ، أم قبله ، أم تلك التي بقيت بعد قيام اسرائيل ! وقد نال هذا المندوب ما استحق من تعقيب وتقريع ولم يجد من يسانده على الاطلاق .

ان هذا يدل بوضوح ان « الغموض » حول هذه النقطة بالذات كان متعمدا ولصالح نضال شعبنا وهدفه الستراتيجي باقامة دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية . وهو الهدف الذي تصر اسرائيل وحلفاؤها على اعتباره موازيا « لازالة اسرائيل » ، رغم كل توضيحات وتأكيدات الوفد الفلسطيني الموفقة بأن مثل هذا الهدف هو الحل المثالي لانقاذ يهود بلادنا ، قبل أي فريق آخر ، ولدعوتهم للعيش معنا بمساواة واخوة بدلا من الحياة في « الغيتو » الكبير المسمى باسرائيل والحامل في داخله كل مشاكل وأخطار

« الغيتويات » الصغرى التي عاش فيها اليهود ، في شوارع وارسو وكييف وغيرهما من المدن الاوروبية التي يحملها الصهاينة تهمة التعصب والتمييز العنصري .

* * *

ولم يكن « الحضور » الفلسطيني ماديا او فيزيكيا وحسب ، بل كان كذلك حضورا حضاريا وانسانيا وثوريا . ولقد كان خطاب الاخ المناضل ياسر عرفات وثيقة تاريخية احتلت مكانها ومكانتها فور انتهائه من القائها . ولست اغالي ان قلت بأن مهمة الوفد الفلسطيني لدى الامم المتحدة قد أعطت ثمارها وحققت اهدافها فور القاء هذا الخطاب، الذي قوبل بعواصف التصفيق وسط دهشة وحيرة القلة ممن كانوا في صف عدونا .

لقد كانت اطلالة شعبنا من خلال هذا الخطاب ، اطلالة تليق فعلا بتاريخ هذا الشعب ، بحضارته ، بمعاناته ، بتطلعاته المستقبلية التي تتجاوز الذات الى الاسرة البشرية بكاملها .

لقد كانت لغة الخطاب من لغة العصر ، ومضامينه واعية كل حقائق المرحلة التاريخية التي نحياها ، وتحمل بين ثناياها العرض والتحليل والاستنتاج اللائق بثورة شعب مناضل استطاع ، وهو في محنته القاسية في المنفى والشتات ، أن يساهم بواجبه القومي والانساني في عمليات التنمية والبناء ، وهو الذي لا يملك الارض والوطن .

كنا في الخطاب جزءا من ثورة العالم ترفض الا أن تكون طليعة وفية لباقي حركات التحرر في كل مكان المناهضة للاستعمار المناضلة من اجل الحرية والعدل والسلام .

ومن هذا الموقع كان طرحنا لقضيتنا ، قضية فلسطين . ودخلنا بها من أوسع الابواب واشرفها ، عندما أحس كل شعب بأن هذه الثورة ليست غريبة عنه وليست مؤثرة لمصلحتها على مصلحته ، وانما على عكس ذلك تماما رأوا في الثورة استكمالا لثوراتهم وفي انتصارها انتصارا لهم .

واذا تحدث الخطاب بلغة العصر وهمومه ، فانه عبر عن ذلك بتعابير لم تستجد الالفاظ المتشنجة واللهجة العنترية ، وانما بأسلوب الواثق من ثورته ، وعدالة قضيته والضامن للرهان على حركة التاريخ وتوجهات الانسان المعاصر نحو مجتمع عالمي لا مكان فيه لشعارات القرن التاسع عشر ومفاهيم الاستعماريين القديم والجديد. وليس ادل على ذلك من قول ابو عمار : « ان شعبنا يتكلم وهو يتطلع الى المستقبل اكثر مما هو مقيد بمآسي الماضي واغلال الحاضر . واذا كنا ونحن نتحدث عن الحاضر نعود الى الماضي فلأنا نريد أن نوضح بداية الطريق الذي نشقه الى المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم عامة وحركات التحرير خاصة » .

ولم يكن الخطاب طوباويا ومثاليا ، بل كان كذلك واضحا في طرحه للمشاكل الراهنة . فطالب للمرحلة « بحق شعب فلسطين في تقرير مصيره » ، كما طالب « بتمكين شعبنا من العودة من منفاه الاجباري الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم ليعيش في وطنه ودياره وتحت ظلال اشجاره حرا سيدا متمتعا بكافة حقوقه القومية ليشاركوا في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الابداع الانساني بكل ما فيه من امكانات وطاقات وليحمي قدسه الحبيبة ، كما فعل دائما عبر التاريخ ويجعلها قبلة حرة لجميع الاديان بعيدا عن الارهاب والقهر » .

* * *

ولعل أروع ما في خطاب ياسر عرفات انه كان قادرا على مخاطبة الجميع بلغة واحدة. فلقد اعتاد بعض قادة العرب ، وخصوصا في المسألة الفلسطينية، ان يعتمدوا سياسة « لكل مقام مقال » . وما أكثر من كانوا يتحدثون في ساحة ما ، ويوجهون كلامهم الى ساحة اخرى ، مما افقدنا الكثير من مصداقيتنا أمام المراقبين والمحللين من أصدقاء واعداء ومحايدين على حد سواء .

أوليس مثيرا للاعجاب فعلا ان يقول رئيس منظمة التحرير الفلسطينية كلاما مصيريا ويلقى هذا الكلام في الامم المتحدة نفس الحماس الذي يلقاه في مخيمات الفلسطينيين ومراكز تجمعاتهم في كل أنحاء العالم !

لم يختبىء احد وراء اصبعه ، ولم يعتمد أي متحدث باسم الوفد الفلسطيني بعد خطاب عرفات على الحيلة في الصياغة او الاحتماء بالعموميات ، وانما كانت فلسطين هذه المرة واضحة وضوح العدل في قضيتها ، حاسمة حسم رصاص المقاتل من أبنائها.

غصن الزيتون الاخضر بيد ، وبندقية الثائر في يد . والتحذير بعدم اسقاط غصن الزيتون . أما البندقية فباقية ولن تسقطها قوة في الارض .

هكذا ببساطة وصدق ودون أي التواء كان الخطاب وكان الموقف ، فكان الرضى والتقدير فلسطينيا وعربيا ودوليا .

وهذا يعني ان شعب فلسطين من خلال تجاربه المريرة ، ومـــن خلال وعيه على الدروس والعبر المستقاة من هذه التجارب ، وبفضل وعي قيادته على هذه الدروس والعبر ، قد أصبح قادرا على ممارسة حقه في قيادة مسيرته وفي توجيهها لصالح أهدافه القومية . لقد سقطت الوصاية عنه ، كما سقطت المزايدة داخل صفوفه ، وبرزت قيادته القادرة عبر السياسة الثورية الواعية التي لا تراهن علـــى الغيب ولا تتقيد برواسب الماضي ، وانما تشق طريقها من خلال وعيها على الحقائق المادية التي تحيط بواقع القضية وتتعامل مع هذه الحقائق وفق خطط مستنيرة وفعل مبادر بعيدا عن انفعالات ردود الفعل والهروب الى الامـــام في ضباب اللفظيـــة الثورية ومتاهـــات الشعارات الطوباوية .

* * *

ماذا بعد هذا الانتصار ؟

طبعا لست بحاجة الى الاشارة الى أن قرارات الامم المتحدة ستبقى مجرد قرارات لا تحمل اكثر من قيمتها المعنوية ، وانها ستبقى مجرد أحكام تنتظر من يجعلها سائرة المفعول . وبالتالي فان أمامنا صراع طويل وقتال عنيف حتى تتحول القرارات من حبر على الورق الى ممارسات مادية على أرض الواقع .

بل أكثر من ذلك ، اني أرى في انتصارنا في الامم المتحدة حافزا هاما لاستئناف القتال في المنطقة . ولا شك ان اسرائيل ستبادر الى الحرب مـــع أولى بوادر ضغط دولي لتنفيذ قرارات الامم المتحدة .

ويجدر بنا هنا أن نشير الى بعض ردود فعل العدو على هذه القرارات . ولعله من المثير فعلا ان الراي العام الاسرائيلي نفسه ، وقبل مسؤوليه لا يزال متمسكا بسياسة الغطرسة والتعصب .

فلقد نشرت هآرتس في ٧٤/١١/٢٤ استفتاء لراي الجمهور أجـــراه معهد بوري لحسابها حول اجراء الاتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد وجه السؤال الى

١٢٦٠ شخصا من جميع أنحاء اسرائيل . واجاب ٧٣٫٤ ٪ من مجموع جمهور البالغين من سن ١٨ فما فوق بأن على اسرائيل أن تمتنع عن اجراء اي مفاوضات مع ممثلي منظمة التحرير وذلك على الرغم من الاعتراف الدولي بها .

وليس هذا سوى انعكاس لما يردده زعماء العدو الصهيوني وفي مقدمتهم رئيس وزرائه يتسحاق رابين الذي كرر أكثر من مرة بأن اسرائيل « لن تتكلم مع منظمة التحرير الفلسطينية الا في ساحة الحرب فقط » . بل أكثر من ذلك ان رابين ، بوقاحة الصهيوني العتيق ، يطمح الى تغيير مقررات الرباط ، فيقول في مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الاميركية انه « اذا لم يغير العرب سياسة الرباط ، فعليهم أن يفهموا ان اسرائيل ستستمر في حكمها للضفة الغربية مدة طويلة جدا » ثم وصف خطاب ياسر عرفات « بأنه تهديد لجوهر وجود كل اسرائيلي وانه بمثابة اعلان حرب حتى النهاية بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية » .

ومع ان هنالك بعض اصوات خافتة داخل المجتمع الصهيوني تحاول على استحياء أن تخرج من المأزق عن طريق اعترافات جزئية بشعب فلسطين وحقوقه ، الا أنه من الواضح أن التيار الصهيوني العام لا يزال يجـرف بمنطقه العدواني الاستعمـاري الصوتين الرسمي وغير الرسمي داخل اسرائيل .

ولذلك فان انتصارنا السياسي في الامم المتحدة لا يدعونا للاستمرار في كفاحنا الثوري المسلح وحسب ، وانما يدعونا الى تصعيد هذا الكفاح وتكثيفه ولا سيما داخل الارض المحتلة وفي الاعماق .

ولكن هذا لا يعني أن نوقف نضالنا السياسي عند هذا الحد الذي وصلنا اليه ، وانما علينا متابعة هذا النضال وتصعيده هو الآخر والارتقاء بمستوانا التنظيمي الى مستوى الانتصارات التي أحرزناها .

فبعد قرارات الرباط والامم المتحدة ، تقدم الفلسطينيون نحو آفاق جديدة طالمـا ناضلوا من أجل الوصول اليها . اما وقد وصلوا فعليهم الآن مهمة تثبيت تواجدهم في هذه الآفاق وتعزيز هذا التواجد بدفع كوادر جديدة من مثقفينا الثوريين لاخذ مواقعهم في حركتنا السياسية الراهنة .

فعلى سبيل المثال ، ان عضويتنا الدائمة كمراقبين في الامم المتحدة تعطينا الحق الكامل في المشاركة في كل المؤسسات التابعة للمنظمة الدولية. كاليونيسكو واليونيسيف والاونروا والفاو وغيرها وغيرها . ولذلك فليس من المعقول وقـد اعطينا الحـق بالمشاركة أن لا نبادر الى ذلك وأن لا نعمق علائقنا مـع مؤسسات المنظمة الدولية ومحاولة الاستفادة منها لصالح شعبنا على مختلف المستويات .

وكما على الصعيد الدولي ، كذلك على الصعيد العربي . فمقررات الرباط التي سلمت بالمنظمة ممثلا شرعيا وحيدا ، وبالتالي التي سحبت من النظام الاردني ما كان يدعيه من صلاحيات ومسؤوليـات ، يفرض علينا تثبيت هـذا الانتصار وتحمـل مسؤولياته . وأول هذه المسؤوليات التصدي للمحاولات الواضحة الهدف التي يقوم بها النظام الاردني بقصد ابتزاز الموقف الجديد ووضع المنظمة أمام تركة كبيرة مـن المسؤوليات . ان محاولات « الاردنة » التي يقوم بها النظام الاردني ليست بريئة على الاطلاق وانما هي محاولات استفزازية تستهدف نسف روابط الاخـوة بين الشعبين الاردني والفلسطيني ، كما تستهدف احراج منظمة التحرير أمام الحاجيات اليومية الملحة لجماهير شعبنا في الاردن التي يحاول النظام تخييرها بين المنظمة والنظام على

أمل دفعها لخيار ثالث هو العودة الى النظام ليتحمل المسؤوليات اليومية والمصيرية معـــا .

* * *

كما أشرت في بداية هذا الحديث ، ان المجابهة السياسية التي تصدت لها منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي أحرزت من خلالها انتصارات سياسية هامة ، تشكل مادة زخمة لاحاديث مطولة ومشعبة ، كلها هامة وكلها ضرورية من اجل توضيح ابعـــاد المرحلة المقبلة .

وكما قلت للأخ ياسر عرفات قبل السفر الى الامم المتحدة للمشاركة في أعمال وفد منظمة التحرير الفلسطينية : مهمتنا اليوم لها أهمية أول مهمة عسكرية قام بها الثوار الفلسطينيون ليلة الاول من الشهر الاول من عام ١٩٦٥ . يومها أطلقتم الرصاصة الاولى في ميدان الكفاح المسلح ، واليوم سنطلق رصاصتنا الاولى في الميدان السياسي.

وكما انتصرت الرصاصة الاولى ستنتصر هذه الرصاصة ، لانها في الحقيقة ليست سوى صدى الرصاصة الاولى .

الخروج من دائرة الخطر

الدكتور كلوفيس مقصود

في الذكرى العاشرة للثورة الفلسطينية يمكننا ان نجزم — وان كان التحليل التاريخي لا يسمح بالجزم القاطع — ان اسرائيل أصبحت في بداية عملية التراجع والتقهقر ، في حين ان القضية الفلسطينية دخلت في حيز تحقيق الانتصار . هذا لا يعني بالطبع ان اسرائيل لن تحقق بدورها بعض الانتصارات وتعرقل وتبطىء سرعة التقهقر ، كما ان هذا لا يعني ايضا ان القضية الفلسطينية ستكون بمنأى عن الانتكاسات المرحلية والطارئة . لكن ما تم حتى الان هو ان التآكل الفكري والفلسفي بدأ ينهش في صميم العقيدة والكيان الصهيونيين ، بينما أخذ النضوج والتكامل يميزان فكر وتصور الثورة الفلسطينية .

بمعنى آخر يمكننا ان نؤكد ان القضية الفلسطينية صارت ، من حيث مصيرها ، بمنأى عن الخطر الحقيقي ، في حين ان الصهيونية — واسرائيل — دخلت في طور التشكيك بالذات ، وهو الطور الذي يتم تغطيته ولو آنيا بعمليات عدوانية مستشرية من شأنها تكثيف الغشاوة على بصيرة من تدعي اسرائيل انها حل جذري ونهائي لازمتهم وقلقهم — أي يهود العالم . واذا اردنا تحديدا اوضح يمكننا الان ان نقرر بأن تقلص الحجم المعنوي والسياسي والدبلوماسي لاسرائيل دوليا ليس سوى نتيجة حتمية لتبلور وزيادة حجم القضية الفلسطينية في وجدان وقناعات العالم ، يضاف الى ذلك ان اسرائيل اليوم تتصرف وكأنها تدخل معركتها الاخيرة في حين ان العرب بدأوا — فقط — يشعرون ويتصرفون وكأنهم داخلون في معركتهم الاولى الحقيقية بأهداف واضحة ومرحلية محددة نحو الانتصار الكامل .

قد يكون هذا الوصف مزيجا من التقييم الموضوعي والشعور بالتفاؤل . الا ان الاحداث التي مرت بالقضية الفلسطينية في الاشهر الاخيرة — وحتى في الاسابيع القليلة الماضية — التي جاءت عشية هذه الذكرى العاشرة ترجح التفاؤل كحصيلة للتقييم الموضوعي . أي ان ما كان يمكن أن يعتبر عنصرين من عناصر التحليل جعلتهما الاحداث يمتزجان في نتيجة واحدة .

صحيح ان التفاؤل المستقبلي يلازم كل ثورة أصيلة منذ نشأتها . فالثورة لا تكون ثورة ما لم تقم بما هو أكثر من تمرد على واقع مرفوض . الثورة **تمرد وتنظيم وعمل وتصور** . ولا بد ان تتفاعل كل هذه العوامل حتى تستكمل الثورة معطياتها . ومع ان عاملا قد يطغى في مرحلة معينة على العوامل الاخرى او يكون أكثر انكشافا ، الا ان تفاعل هذه العوامل بالنسب المطلوبة في مراحل معينة من شأنها تأمين شروط **استمرار** الثورة وتوسع رقعة فعاليتها . من هنا تصبح النزعة التفاؤلية كامنة في كل ثورة اصيلة لان نمو اطرها ونضوج مقدرتها على التنظيم ومجابهة التحديات واستمرار وضوح الرؤيا والتصور تعطي للعناصر البشرية التي تتشكل منها الثورة الثقة بالقدرة الذاتية والتفاؤل بالمستقبل .

وبالرغم من خطورة **تحول الثقة** بالنفس الى **نزف في السلوك** او ان **يتحـول التفاؤل** بالمستقبل الى **تعام** عن **الحاضر** بمشاكله وتعقيداته ، الا ان هذه السمات المرضـية التي طالما تسربت الى جسم كل الثورات تبقى مرشحة للتعطيل بفعل المعاناة الصادقة التي يضمنها الالتصاق الحي بالواقع من قبل الثورة والتي يمكنها في نهاية الامر من توجيه الواقع نحو التصور المرغوب . لكن اذا فقدت الثورة قدرة التقييم الموضوعي للظروف التي تعيشها في مرحلة معينة فانها تصبح مرشحة للعزلة من خلال تزمتها التنظيمي او المبدئي او للقمع اذا ما طالبت في مرحلة محددة بأكثر مما يمكن لها ان تحقق . من هنا تصبح الثورة علما بمقدار ما هي تنظيم وتصور .

ان الثورة الفلسطينية بعد السنوات العشر من تاريخها اثبتت انهـا وصلت الى مستوى تستطيع فيه ان تبحث مشاكلها بنفس الاصرار — ان لم يكن اكثر — الذي يميز رغبتها الطبيعية في عرض منجزاتها . فالثورة الفلسطينية تدرك ان انجازاتها اخرجتها من دائرة الحظر تاريخيا . لكن هذا بحد ذاته يحفز اسرائيل الى تصعيد حملتهـا التدميرية على الوجود الفلسطيني لانها هي بدورها ادركت انها دخلت — رغم انها لن تعترف الان بذلك — تاريخيا دائرة الخطر الحقيقي على وجودها الصهيوني .

هذا ما يفسر **فقدان التوازن في فكر** وتصرف الصهيونية العالمية أكان على مستوى « الدولة الاسرائيلية » أم على مستوى تصرف التنظيمات الصهيونية في العالم . ان فقدان التوازن في صميم المؤسسة التوجيهية للصهيونية يعود الى انها — كمثيلاتها من الحركات العرقية والطائفية المنغلقة والتي تتصور تمييز الانسان عن الانسان نهاية المطاف للالتزام — لم تعد ذاتها ولا دائرتها البشرية أو من تدعي خدمة مصالحهم على استيعاب الحقائق المستجدة والوعي المتنامي لدى ضحاياها او الذين قامت كياناتهم العرقية والاستيطانية والاستعمارية على أساس تكريس منع الشعوب من ممارسـة حقوقها الوطنية البديهية وحقوقها الانسانية الطبيعية . وكان كلما ظهرت دلائل التنظيم والفعل والتصور عند الشعوب المناهضة لهذه الكيانات العرقية والاستيطانية كلما ظهر عجز هذه الكيانات عن التكيف والظروف المستجدة المتطورة ، فلم تجد أمامهـا سوى اللجوء الى مزيد من الانغلاق وامعان في الغطرسة وتكثيف في عمليـة تغييب الحقائق عن قواعدها البشرية حتى تحول دون تفتح هذه القواعد على ما تنطوي عليه مسيرة التطور من نتائج تؤدي الى قوقعة مستشرسة لمصيرهم .

هذه الخطوط العريضة لمنهج السلوك العام للكيان الصهيوني لا تفترق عن ردود الفعل التي ميزت كل قوى الاستعمار والرجعية والعنصرية في مراحل انحسـارها وتقهقرها التاريخي وبالتالي زوالها التأسيسي والكياني .

ان فقدان التوازن في مؤسسة التوجيه الصهيوني على المستويين الكياني — اي اسرائيل — والشامل — اي المنظمات الصهيونية العالمية — يعود الى عجز الصهيونية ان تجيب على الاسئلة الملحة التي يطرحها باستمرار منطق التطور وتوسع رقعة الوعي والتحرر . في هذا المضمار تبقى الاسئلة المطروحة بالحاح من قبل اليهود الداخلين عن قناعة او عن ظروف استثنائية في أطر ومؤسسات الصهيونية بدون أجوبة محددة ، فتنساب الى داخل الكيان الصهيوني بوادر التشكيك الحقيقي في جدوى وصلاحيـة واهلية الصهيونية لحل ما سمي بـ « المشكلة اليهودية » .

ازاء هذا التحدي الصارخ وافتقار الصهيونية — من جراء التحجر الفلسفي الملازم لها — الى المقدرة الفكرية والمنهجية لمواكبة التطور والاحداث والوقائع المستجدة ، تسخّر الصهيونية أدواتها التنفيذية المتقدمة لخدمة الخيار الجنوني المتبقي لاسرائيل

وللمنظمات الصهيونية نتيجة العشوائية الناتجة عن فقدان التوازن الفكري في مؤسسات التوجيه .

هنا مكمن الخطر الداهم من كيان ذي أدوات تنفيذية متقدمة في خدمة فكر متخلف وصل الى درجة العشوائية في التعبير عن ذاته ؛ وهنا ايضا مكمن التفاؤل التاريخي الذي يلازم ويحتضن مسيرة الثورة الفلسطينية عشية ذكراها العاشرة .

* * *

في الاسابيع التي انصرمت شاهدنا جميعا مخاض المعادلة الجديدة في واقع القضية الفلسطينية . شاهدنا كيف أن تصور الثورة الفلسطينية لمستقبل **الكل** الفلسطيني بات يشكل التهديد اليومي لما اعتقده العالم أحد الثوابت في تاريخ العالم المعاصر . واذ به يهتز من جذوره امام بساطة وبراءة وبديهية البديل الفلسطيني للكيان الصهيوني . كأننا بالثورة الفلسطينية تفكر عن كل ضحايا الصهيونية من عرب فلسطين وعرب الوطن العربي ويهود اسرائيل ويهود العالم والانسان في العالم . **تصور** الثورة الفلسطينية لمجتمع علماني ديمقراطي يشمل كل من في فلسطين وضع الصهيونية في مجابهة اعداء اليهود في العالم واذ بالعالم يبدأ باكتشاف ان الصهيونية هي من أبرز وأفعل وأوقع اعداء اليهود في العالم . هذا ما دفع بالصهيونية ان تجهّز كل ما لديها من طاقات وامكانيات للاجهاز على فكر الثورة الفلسطينية وافتعال حالة تشكيك بمصداقية التصور عند الثورة الفلسطينية .

ان تصور الثورة الفلسطينية للبديل الديمقراطي العلماني للكيان الصهيوني هذّب بدوره التجربة القومية للعرب فتطورت مفاهيمهم للحركة القومية وجعل التيار العام في الوطن العربي يسقط من حساباته كل الترسبات العرقية والقبلية والطائفية ، فكانت الثورة الفلسطينية من خلال هذا الطرح المتقدم تجهز على احتمالات الانجذاب للثأر والانتقام ، فتترجح عند شعوب الامة العربية المضامين الانسانية والحضارية المتطورة للانتماء القومي المعاصر . هذا بدوره جرّأ الشعوب العربية على مجابهة اصابع الاتهام التي كانت تشير الى وجود سياسات او ممارسات تمييزية او خرق لحقوق الفرد او الجماعة ان ترد بوضوح وبدون تردد أن مثل هذا التمييز او التجاوزات الحاصلة داخل بعض المجتمعات العربية انما هي مشاكل وليست سياسة ، وهي مدعاة لخجل عربي عام وليست قناعات عربية شاملة في حين ان التمييز في اسرائيل سياسة عامة وقناعة مبدئية متكاملة . كذلك فان توجه العرب هو نحو ازالة ما تبقى من تمييز بينما يسعى الكيان الصهيوني الى ترسيخ وممارسة سياسة التمييز . تصور الثورة الفلسطينية للبديل الديمقراطي العلماني أسهم في وضع ما تبقى من فكر عربي متخلف على رصيف التاريخ العربي المعاصر ، ومكن قوى التجديد والتحديث والعلمانية في الامة العربية من السيطرة بنسب متفاوتة على مقدرات التوجيه المستقبلي للامة العربية .

تصوّر الثورة الفلسطينية للبديل الديمقراطي العلماني **للكل** الفلسطيني مكّن الفلسطينيين على الاخص ، والعرب بشكل عام ، من كشف المعايير المزدوجة التي يطبقها العالم الغربي عندما يستثني اسرائيل من تطبيق القيم والشرائع والتعهدات التي يعمل او يدعي انه يعمل على تطبيقها وتنفيذها داخل مجتمعاته وفي العالم . والا فكيف يفسر الغرب دعوته الى قيام المجتمع التعددي حيث لا يشكل العرق او الدين او اللون أية ذريعة للتفريق او التمييز ويؤيد بنفس الوقت وبدون سؤال كيان اسرائيل القائم على التمييز والتفريق . بنفس الوقت يكشف تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع

الديمقراطي العلماني في كل فلسطين زور الادعاء الاميركي ــ والغربي العام ــ بأن مفخرة كيانه انه مجتمع تذوب فيه الخلفيات العرقية واللونية والدينية في حين ان كل ما وجده معظم سياسيي ومعلقي الولايات المتحدة هو ان تصور الثورة الفلسطينية ــ او ان حلم الثورة الفلسطينية كما قال ياسر عرفات ــ يعمل على ما يكاد يكون اجترارا للتجربة التعددية الفذة التي تدّعي الولايات المتحدة انها تعيشها .

والغرب ــ واعظم دوله الولايات المتحدة ــ لم يتعود بعد ان تكشف له ازدواجية مقاييسه ، لانه اذا ما وضحت هذه الازدواجية أمام رأيه العام فاما ان يقرر الغرب ــ وكبرى دوله الولايات المتحدة ــ ان تجربته كاذبة او ان تبنيه لاسرائيل واهدافها مناقض لمعطيات تجربته الذاتية . واستمرار الثورة الفلسطينية في التزام هذا التصور المقتحم صار عاملا رئيسيا دافعا الى جعل المجتمعات ، كل المجتمعات ، تجابه ذاتها وتجد نفسها مضطرة لان تستجيب للتحدي الفكري الذي تشكله الثورة الفلسطينية او ان تجيب على الاسئلة التي يطرحها تصور الثورة الفلسطينية على كافة الاصعدة .

ان تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع الديمقــراطي العلماني على كل ارض فلسطين كجواب للنظرية العرقية الطائفية الاستيطانية التي تشكلها الصهيونية يهز دائرة يهود العالم في الصميم اذ ان هذا التصور الثوري الفلسطيني يضع نفسه في حالة تناقض كامل مع ما تعتبره الصهيونية من مسلمات . فالصهيونية تريد ان ترسخ عند اليهود قناعة بأن اللاسامية في بعديها ــ التمييزي والاضطهادي ــ حالة ثابتة دائمة من حيث كونها كامنة في المعادلة البشرية . أي أن الصهيونية تعتبر ان اليهودي هو في حالة اغتراب دائم من حيث « خصوصية » تجربته التراثية والانسانية ، فهــكذا تعتبر ايضا اللاسامية بأن « خصوصية » التجربة الفريدة للانسان اليهودي تجعله منسلخا عن مجالات التفاعل والتعامل وبالتالي تؤكد حالة اللاانتماء الى المجتمع الذي هو مواطن فيه . بمعنى آخر فان الصهيونية واللاسامية تنطلقان من فرضية خاطئة رجعية متخلفة وهي حتمية اللاانتماء عند كل يهودي .

ولئن كان البعد الاضطهادي الذي عاناه معظم يهود المانيا النازية سهــّـل تمرير الصهيونية كاحدى الحلول لمآسي تجربة اليهود في اوروبا فان هذا لا ينفي مطلقا ان التمرير شيء والاقتناع بالحل الصهيوني شيء آخر ، فتمرير الصهيونية صار ممكنا بالشكل الذي حصل نتيجة عقدة الاثم الجماعية التي شعرها العالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية . جاءت الصهيونية تصر ان اليهود بحاجة الى تطوير « البيت القومي » الذي أمنه الوعد الاستعماري لبلفور نحو دولة صهيونية في فلسطين .

وجد العالم الغربي نفسه امام الخيار الصهيوني عاجزا عن مناقشة خيار غـــير الخيار الصهيوني . لم يجيء الغرب ليقول ان انهيار النازية وسحق مؤسساتها تعني انتصارا للقيم الديمقراطية . الصهيونية وحدها نشطت في استقطاب معاناة اليهود بعد تجربتهم المريرة المأساوية مع النازية . وكان الغرب خارجا من الحرب رغم انتصاره ممزقا يلملم جراحاته ومؤسساته . طرحت الصهيونية نفسها حلا جاهزا فالتقفه الغرب بعد ان توجهت الصهيونية الى ربط نفسها مجددا مع محور القوة الجديد للامبريالية ــ أي مع الولايات المتحدة ، فكان ان فرضت هذه الاخيرة على الامم المتحدة قرار التقسيم ومررت الصهيونية ذاتها حلا لما سمي « بالمشكلة اليهودية ».

قامت الدولة الصهيونية واغلقت امام العالم وامام يهود العالم لمدة طويلة باب الاجتهاد وأجهضت امام اليهود بالذات كل الخيارات الديمقراطية والانسانية التي من شأنها تأكيد حقهم في الانتماء الى اوطان تواجدهم والتي كان لا بد لها ان تحفز التصاقهم

المتزايد بالقيم الحضارية والانسانية للمجتمعات الديمقراطية والتقدمية الحقة .

تعمدت الصهيونية ربط مصير اليهود بمصير كيان الاغتصاب الصهيوني . أكدت الصهيونية لليهود ان وجود اسرائيل ضمانة وحيدة لوجودهم . بدون «اسرائيل قوية» تؤكد العقيدة الصهيونية فان اليهود معرضون لمزيد من الضطهاد . ثم تزيد الصهيونية وتؤكد ما دام التمييز ضد اليهود محتوما واضطهاد اليهود هو قدرهم في « المنفى » (الدياسبورا) لذا فانه بمقدار ما تزداد اسرائيل قوة وحرية في الحركة بمقدار ما تتضاءل أضرار التمييز وفرص الاضطهاد . هكذا عمدت اسرائيل الى ربط مصير يهود العالم بمصيرها وترجيح اولوية ولاءاتهم لها على انتماءاتهم لاوطانهم . وكي لا يكون أمام اليهودي مفر من المصير الصهيوني قامت المنظمات الصهيونية بزرع بذور التشاؤم المطلق عند اليهودي لدرجة ان مقياس سلامة يهودية اليهودي صارت تقاس باستجابته غير المتسائلة وغير المشروطة لاهداف اسرائيل ومدى قدرة اليهود الانتظام في قوى الصهيونية الضاغطة لجعل المجتمعات الغربية خاصة الولايات المتحدة ملبية بشكل تلقائي المطاليب الاسرائيلية المستمرة . **كأن الصهيونية أدركت ان قدرتها على تمرير مبادئها العدوانية والعرقية محدودة زمنيا ، عندها لجأت الى انتزاع التزامات غربية — اميركية مسبقة لاهدافها التوسعية اللاحقة .**

عندما حصل هذا التمرير للمآرب الصهيونية صعدت اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية حملتها الارهابية ضد كل من يتساءل او يشكك في منهجيتها او سلوكها او عقيدتها . هددت الغرب باعادة فتح عقدة الاثم ، وهددت اليهود المشككين بحملة تشهير تجعلهم يبدون وكأنهم خوارج .

الى حد ما نجحت اسرائيل الصهيونية في ادخال حالة من الرعب في نفوس المشككين اليهود . فمن اليهود كثيرون من شككوا بصحة نهائية وحتمية انفصالهم وانسلاخهم عن مجتمعاتهم الوطنية . كثيرون من اليهود تجاوزوا الصدمة المأساوية التي خلقتها النازية واصروا على مواكبة الوحدة العضوية للانسانية . كثيرون من اليهود أعلنوا ان معالجة مشاكل التعمير والاضطهاد لا تكون بالهروب من مجابهة اللاساميين بل بمزيد من الاصرار على المجابهة وحتى الاصطدام ، كثيرون من اليهود ادركوا ان اسرائيل تعمل على استعمالهم وقودا لمآربها ووسائل ضغط تحول دون عقلنة النظر الى اوضاعهم المرحلية او مشاكلهم بشتى فروعها واوجهها . كثيرون من اليهود نفذوا الى حقيقة تمحور اسرائيل الصهيونية مع معاقل الامبريالية المعاصرة فنفروا من هذا التسخير ومن الاستغلال الرخيص الذي تقوم به اسرائيل لمعاناة معظم اليهود الحقيقية . وعدد وفير من اليهود وجد نفسه يعاني عقدة اثم من جراء تحميل الشعب الفلسطيني وزر اثم الغرب تجاههم ومن ثم جعل مأساة الفلسطينيين وتشريدهم بمثابة التعويض والعزاء الوحيدين اللذين يمكن لليهود ان يقبلوا بهما . ثم كون الامعان بهذا الاتجاه كاد يحرك عند معظم اليهود الذين ادخلتهم الصهيونية ضمن اطرها المتعددة نزعة عنصرية تنحصر في معاداة العرب وتشويه صورتهم وبلورة نزعة الانتقام ضدهم بديلا لنزعة التصحيح في مختلف اوطانهم .

جاء تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع العلماني الديمقراطي في كل فلسطين يجريء هؤلاء اليهود على مجابهة الصهيونية حتى اصبحوا يرون في مسيرة الثورة الفلسطينية ضمان الامان لمجابهتهم تحدي الصهيونية الوقح لقيم الانسانية والعقلانية والتقدمية عندهم . كما ان تصور الثورة الفلسطينية قد شمل كل اليهود المتواجدين الان على

ارض فلسطين مما جعل الثورة الفلسطينية اليوم في ذكراها العاشرة قادرة على أن تطرح تصورها المستقبلي خيارا يخرج اليهود المصرين على انسانيتهم او اليهـــود المتزايدين الذين اخذوا في مراجعة ذواتهم من المآزق التي تعمل اسرائيل والحــركة الصهيونية العالمية على توريط اليهود فيها .

*

هذا التصور الفلسطيني مكّن العالم من استرجاع انفاسه بعد ان ارهقته اسرائيل ، فاستجمع قــواه العقلية ووجدانه فكانت القرارات الفلســطينية في الامم المتحدة . وكان بدء حضور فلسطين الجديدة وبدء غياب اسرائيل الصهيونية . لكننا لا نزال في البداية ولا تزال اسرائيل والحركة الصهيونية قادرة على الحاق الاذى بنا . لكن ما لم يعد باستطاعة المحور الامبريالي — الاسرائيلي ان يعمله هو وقف مسيرة الثــورة الفلسطينية او وقف التآكل الذي بدأ ينخر في كيان هذا المحور الحاقد المعزول .

في الذكرى العاشرة للثورة الفلسطينية يمكن ان نقول ان القضية الفلسطينية خرجت نهائيا من دائرة الخطر تاريخيا . لكن ثورتها لا تزال معرضة لاخطار كثيرة من جراء انفجار النزعة المجنونة عند من أصابهم تصور الثورة الفلسطينية في مقتلهم ، هــذا ما يجعلنا متفائلين ، لكن بحذر .

مركز الابحاث : عشرة اعوام من التجربة

الدكتور انيس صايغ

ليس من متعة تساوي المتعة في الحديث عن مركز الابحاث الا متعة العمل في المركز وللمركز ، الى حد أخشى ان أتجاوز حدود الموضوعية اذا تناولت هذا الموضوع بالذات . وهذه الخشية هي التي كانت تدعوني دائما الى ان احول دون الكلام عن مركز الابحاث في هذه المجلة الصادرة عن المركز نفسه طيلة السنوات الاربع الماضية . الا ان اخواني في اسرة التحرير رأوا ان حرمان هذا العدد الخاص ، الحافل بالكلام عن انجازات الثورة الفلسطينية ومؤسساتها ، من مقال عن المركز الذي يسهم في خدمة الثورة بقدر طاقاته ويكـوّن أحد مجالات العمل الفكري فيها انما هو تقصير بحق القارىء . ومع هذا ، اذ البي رغبة الاخوان ، اعترف ، منذ البدء ، بأني لا استطيع ان اكتب في هذا الموضوع بالذات دون ان أكون منحازا بعض الشيء ، ودون ان تصدر بعض الكلمات من القلب ، مهما حاولت ان التزم بالموضوعية التي ادعو اليها واحاول ان اطبقها في كل نتاج المركز .

ا. ص.

ان كان شعار « البندقية والقلم » ، الذي رفعته معظم الثورات والحركات التقدمية في العالم ، قد استهلك من كثرة اعلانه وترديده ، فان الثورة الفلسطينية قد جسدته بالفعل وبصورة ملموسة الآثار ، طيلة السنوات العشر التي مرت منذ مولدها . وقد نجحت الثورة في غرس فكرة حاجتها للبندقية وللقلم معا ، وفي آن واحد وفي معادلة منصفة ، بحيث انتشرت في الساحة الفلسطينية قناعة عامة بأن لا سبيل الى النصر الا باستمرار هذا اللقاء ، بل الاندماج ، بين الرصاصة والكلمة ، او قل بين القـوة والمعرفة ، او بين السلاح والفكر . ولعل هذه القناعة هي التي قطعت الطريق ، او كادت ، على أصوات كثيرا ما كنا نسمعها (ونتألم لسماعها) ، فيما مضى : نسمعها تهمس احيانا على لسان بعض « المثاليين » بأن يتريث النضال المسلح الى ان تكتمل ثقافة الشعب وينهض محصنا بالمدارس والكتب كشرط اساسي قبل اشتعال الثورة ، ونسمعها تصرخ ، احيانا اخرى ، على السنة بعض « الجماهيريين » ، بأن تمضي الثورة لوحدها دون ان تلهي نفسها بالنظريات والمطالعات لان الكتاب لن يقتل عدوا ولن يصد غارة . وان كان بعض هذا الكلام يتردد من حين الى آخر ، وفي المناسبات ، فان الخوض فيه اصبح بشكل عام ترفا وسفسطة يمتنع عنهما اغلب الناس ، خاصة الثوار الذين اقتنعوا بملازمة الحرف للرصاص والعقل للساعد .

عمليا ، أنشأت منظمة التحرير الفلسطينية ، التي قامت في ١٩٦٤ ، مركز الابحاث بعد اشهر قليلة فقط من انشائها لجيش التحرير الفلسطيني ، وبعد شهرين فقط من

انطلاق الثورة المسلحة . وقد ارادته معهدا ثقافيا يغذي أجهزة المنظمة ونشاطاتها الاخرى ، العسكرية والسياسية والاعلامية والمالية ، بالرأي . واناطت المنظمة بالمركز ان يوثق القضية الفلسطينية وان يعد الدراسات ويقدم المعلومات عنها . وقد قصد بتعبير القضية الفلسطينية معناه الاوسع : فلسطين (شعبا وبلدا وتراثا وتاريخا واقتصادا وجغرافية واجتماعا وادبا وفنا وعلما وسياسة وقومية وثورة ومنظمات ، الخ...) والعدو ، صهيونية (فكرا وتاريخا ومخططات) وكيانا مغتصبا (نظاما وجيشا وسياسة وأحزابا وأطماعا وثقافة واقتصادا وتآمرا ، الخ...) ، مع الابعاد والامتدادات ، العربية والدولية ، والتحررية او الاستعمارية . وجعل لعمل المركز ثلاث قنوات يصب بها خدماته للثورة ولاجهزتها : جمع كافة المصادر المتعلقة بالقضية بمفهومها الشامل ، كتبا وصحفا وبيانات واوراقا ومذكرات وموسوعات وخرائط ، مع فهرستها وتهيئتها للاستعمال وتسهيل مطالعتها ، اولا ، والاستعانة بالمعلومات الواردة فيها ومنها في الرد على أية استفسارات وطلبات ، للمقاومة او لأي جهة كانت تسعى وراء الحقيقة ، ثانيا ، ودراسة الجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية ، السياسية وغير السياسية ، وتجسيد هذه الدراسة بكتب ومقالات ونشرات تنشر بين الناس وتخلق ثقافة عامة في الموضوع .

ولتحقيق هذه المهام الثلاث بنى مركز الابحاث هيكله الوظيفي بهذا الشكل :

أولا ، اقسام التوثيق : وهي التي تبحث عن المصادر المتعلقة بالقضية ، وتجمعها وتبوبها . ويعمل فيها حاليا ١٤ زميلا موزعين على أربعة فروع :

أ ـــ المكتبة العامة (المكتبة الام) ، تضم ما يزيد على عشرة آلاف مجلد في المواضيع الفلسطينية فقط . وهي ، حسب تقديري ، أكبر مكتبة متخصصة بالدراسات الفلسطينية في العالم ، خارج الارض المحتلة (اذ أنشأ العدو مكتبات اختصاصية متفوقة) . ويصدر عن المكتبة فهرس شهري بالمطبوعات الحديثة في القضية الفلسطينية ، كتبا او مقالات في الدوريات ، بعدد من اللغات الرئيسية . وتقدم المكتبة خدماتها لآلاف المراجعين سنويا ، وجلهم من الجامعيين (أساتذة وطلابا) ومن الكتّاب والصحافيين ورجال الاعلام .

ب ـــ المكتبة العبرية ، مختصة ، كما يبين اسمها ، بما يرد من الارض المحتلة من مطبوعات عبرية ، ومن بينها اربعون صحيفة . وهي ايضا تفهرس فهرسة جيدة ـــ بل ان الفهرسة تشمل عناوين عدد من الصحف العبرية اليومية . وتحصل المكتبة على هذه الصحف بأقصى سرعة ممكنة . كما تعمل على تزويد نسخ اخرى من هذه الصحف للعديد من المؤسسات الثقافية العربية .

جـ ـــ مكتبة الوثائق ، تحتوي الاوراق الرسمية وكافة ادبيات المقاومة الفلسطينية (بمنظماتها وباتحاداتها وجمعياتها) . ولعل البيانات والادبيات المتوافرة فيها تفوق ما هو متوافر للمنظمات نفسها . كما تحتوي وثائق واوراقا لشخصيات ومؤسسات مضت (بينهم الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني وأحمد حلمي وفوزي القاوقجي وحسين فخري الخالدي وعوني عبد الهادي وعارف العارف وكمال ناصر وصبحي ياسين وخسني صالح الخفش وحنا عصفور واملي نيوتن) .

د ـــ الارشيف الصحافي ، الذي يقتطع من ٨٠ صحيفة بعدد من اللغات الاوروبية (الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية) الى جانب العربية ، جميع ما يرد فيها ويتعلق بالشؤون الفلسطينية مباشرة او غير مباشرة . وتوضع هذه المقتطفات في

ملفات (تزيد على الفين) مقسمة على ٥٠٠ موضوع فرعي . وهي ، بحد ذاتها ، أغنى مادة صحافية في القضية الفلسطينية في أي مكان .

ثانيا ، اقسام البحث ، وهي التي تعد الدراسات لينشرها المركز ككتب او كمذكرات او كمقالات في الصحف (ومن بينها مجلة المركز « شؤون فلسطينية »). وهي ثلاثة فروع يعمل فيها أربعة عشر باحثا :

أ ـ قسم الدراسات الاسرائيلية ، ويشترط بباحثيه معرفة العبرية والتخصص بالعدو . ويتعقب هؤلاء المصادر الاسرائيلية ويضعون حولها التقارير والدراسات . وينشر معظم انتاجهم في ملف خاص نصف شهري « قضايا اسرائيلية » الذي يعتبر من أفضل الدراسات المنتظمة حول العدو . والعمل في اعداد الملف جماعي . وتتناقل الصحف العربية تقارير الملف وكثيرا ما تنشرها باهتمام .

ب ـ قسم الدراسات الفلسطينية ، لمعالجة قضايا الشعب الفلسطيني في بلده المحتل وفي الشتات ، وخاصة في القضايا الحياتية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد أصدر القسم عدة دراسات .

جـ ـ قسم الدراسات العسكرية ، لتغطية الشؤون العسكرية من جانبي المقاومة و « اسرائيل » . وقد نشر باحثو القسم خمسة كتب عسكرية ، الى جانب العديد من المقالات في « شؤون فلسطينية » ، كما يحررون ابوابا عسكرية في عدد من الصحف العربيــة .

ثالثا ، أقسام المعلومات ، وهي عبارة عن مشروعين رئيسيين لتقديم المعلومات المجردة الى الباحثين والدارسين . ويعمل في المشروعين احد عشر زميلا :

أ ـ مشروع اليوميات الفلسطينية ، وهو عمل موسوعي نصف سنوي ، يؤرخ المسألة الفلسطينية ويسجلها موضوعيا منذ ١٩٦٥/١/١ ، حسب التسلسل الزمني للاحداث ، بشكل دقيق وامين ، مع فهرسة واسعة للمواضيع وللاسماء . ومن رأي الكثيرين ان لا غنى لأي باحث في القضية الفلسطينية عن هذا المشروع الذي بلغت مجلداته ، حتى الان ، ستة عشر (تغطي ثمانية أعوام كاملة).

ب ـ مشروع رصد الاذاعة الاسرائيلية، العبرية. وهي نشرة يومية تترجم (تفضح) اذاعة العدو ، أخبارا وبرامج . وتوزع على المؤسسات ودور الصحافة والاعلام ، والحكومات . فتكون اقوال العدو تحت انظار رجل السياسة او الاعلام بعد ساعات قليلة من اذاعة تلك الاقوال .

يعمل ثلثا أفراد اسرة مركز الابحاث في الاقسام الرئيسية الواردة اعلاه . أما الثلث الاخير فان افراده العشرين يكملون المهام الثلاث ، التوثيقية والدراسية والاستعلامية ، ويمهدون لها ، ان في الشؤون الادارية الصرف ، او السكرتيرية ، او الطباعية ، او التوزيعية . ذلك ان مسؤولية النشر ، التي تلازم عملية الاعداد ، تتطلب قدرات وجهازا واسعا . خاصة وان حركة النشر في المركز نشيطة جدا . فبالاضافة الى نشر النشرتين اليومية ونصف الشهرية ، والمجلة الشهرية ، ينشر المركز سنويا ما لا يقل عن ثلاثين كتابا ، ويوزعها توزيعا واسعا . وقد صدرت الكتب الثلاثمائة التي نشرها المركز حتى الان في عدد من السلاسل المعروفة :

أ ـ سلسلة الدراسات الفلسطينية (١٠٠ دراسة) ، وهي معالجات صغيرة الحجم نسبيا لمختلف نواحي القضية الفلسطينية ، وخصص معظمهــا للتعريف بالعــدو وبمؤسساته ، ومعظمها بالعربية . وكتب غالبية كتبها مؤلفون غير متفرغين للعمل في

المركز . واعيدت طباعة معظم الاجزاء لنفادها بعد وقت قصير من نشرها . وهي أكثر المطبوعات العربية في الموضوع رواجا .

ب ــ سلسلة كتب فلسطينية (٦٠ كتابا) ، للمعالجات الاطول ، وخاصة للكتب الموسوعية الاسلوب . ونصفها فقط بالعربية ، والنصف الاخر بلغات اوروبية ، أكثرها بالانكليزية .

جـ ــ سلسلة ابحاث فلسطينية (٥٠ بحثا) ، يتناول معظمها المواضيع المثيرة للنقاش . نصفها بلغات أجنبية . وهي رخيصة السعر نسبيا ليسهل توزيعها .

د ــ سلسلة حقائق وارقام (٥٠ حلقة) . وهي ، كما يبدو من اسمها ، تكتفي بتقديم المعلومات المجردة ، غير القابلة للطعن . ومعظمها اعلامي ينشر على نطاق واسع (طبع من بعضها وأعيدت طباعته ، بعشرات الآلاف من النسخ ، وفي عدة لغات اوروبية الى جانب العربية). وبعضها موجه للاعلاميين العرب ويقدم لهم المعلومات الاساسية . كما أن قسما ثالثا منها مخصص للمعلومات عن « اسرائيل » ويوجه لرجال المقاومة .

هـ ــ سلسلة اليوميات الفلسطينية (١٦ مجلدا) وقد ورد الحديث عنها آنفا .

و ــ سلسلة خرائط وصور (١٠ مجموعات).

ولو القى المرء نظرة سريعة على موضوعات هذه الكتب لوجد ان كلا منها يخدم غرضا من الأغراض التالية :

اولا ، كتب اعلامية (وبالتالي ، فهي بلغات أجنبية : الانكليزية فالفرنسية فالالمانية، وقليل جدا بالهولندية والدانمركية والاسبانية والايطالية واليابانية ، وأحدها بلغة الاسبرانتو العالمية !). أهميتها انها قدمت المادة الاعلامية، للقارىء الاجنبي ، بأسلوب هادىء رزين ، بعيد عن الانفعالات ، ومدعم بالحقائق وبالاقتباسات التي لا شك بصحتها . والكتب المصورة منها قدمت المأساة الفلسطينية بشكل مختلف عن الاسلوب المعهود الذي عجز عن استمالة القارىء .

ثانيا ، كتب في التعريف بالصهيونية وباسرائيل ، وهي باللغة العربية ، لذلك لا يقصد منها الاقناع بالحق العربي في فلسطين ولا تضطر الى اتباع الوسائل الاعلامية ، بل تكشف عن واقع العدو على حقيقته .

ثالثا ، دراسات في الشعب الفلسطيني وفي التجمعا تالفلسطينية .

رابعا ، أعمال موسوعية ، جغرافية وادبية وفنية وبلدانية وتاريخية .

هذا استعراض سريع للمعلومات والحقائق الاساسية عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . لكن هذه المعلومات لا تعطي القصة الحقيقية للمركز . فقصة المركز (ماهيته وأهميته ومحاولاته) لا تروى من خلال تسجيل عدد منشوراته وباحثيه واقسامه ، بقدر ما هي تظهر في دراسة اساليبه وتجاربه ومعاناته ، التي خاضها في محاولاته لتحقيق الغايات المطلوبة منه . فأهم من الارقام التجارب التي لا تكشف عنها الارقام: اهم من الآلاف الاحد عشر من الكتب الموجودة في مكتبات المركز هو نجاح المركز في ان يكون للكتاب الفلسطيني مكتبة خاصة ، وان يكون لكتب العدو وجود في مؤسساتنا ، وان نحصل على صحف العدو بأي ثمن وجهد كان ، وان نشجع باحثينا ، وطلابنا واعلاميينا وسياسيينا وفدائيينا ، على مطالعة المصادر الرئيسية والاعتماد

عليها والاقتباس منها في كتاباتهم ، وان تكون مكتبتنا الناشئة قدوة للمكتبات العربية (وبالفعل، وفي اجتماع للمكتبات العربية ، اعتبرت مكتبة مركز الابحاث انموذجا للمكتبة المختصة) ، من جهة ، ومصدر ازعاج للعدو ، من جهة اخرى (وقد عبر العدو ، منذ أيام فقط ، عن انزعاجه هذا بأربعة صواريخ أخطأ احدها ونجحت ثلاثة منها في اتلاف ربع محتويات المكتبة) . واهم من ان يصدر المركز ثلاثماية كتـاب في اقل من عشر سنوات هو ان يعالج باحثو المركز هذه القضايا بمنتهى الموضوعية ، وان يلتزمـوا بأساليب البحث العلمي ، وان يخوضوا مواضيع لم يجرؤ أحد من قبـل على الاقتراب منها ، وان يعرفوا القارىء على العدو لاول مرة . واهم من ان يصدر من شـؤون فلسطينية اربعون عددا تضم الف مقال وتقرير ، هو ان تكون المجلة منبرا حرا للفكر الواعي يتسابق الى اعتلائه الكتاب من كافة الاتجاهـات والجنسيات (بينهم عدد لا بأس به من اليهود غير الصهيونيين) ، وان تنقد نفسها والمركز الذي تصدر عنـه ، وان تظهر في مطلع كل شهر بانتظام . واهم من ان يعمل في المركز حاليا اربعة عشر باحثا هو ان يكون المركز قد تعهد ، وخرّج ، اضعاف هذا الرقم من الباحثين ، الذين أصبح بعضهم ، وبفضل رعاية المركز له ، في مصاف كبـار الكتاب الاختصاصيين في القضية الفلسطينية — وقد تتلمذوا على المركز وفيه عبروا مرحلة الاختبار وهو الذي تعهد انتاجهم .

حقيقة مركز الابحاث ، اذن ، لا تكشف عنها الارقام ، على اهمية الارقام . بل هي تتم في التعرف على التجارب التي مر بها ، وفي الريادة التي حققها ، وفي التقاليد التي ارساها في عشرة اعوام فقط .

لقد بدأ مركز الابحاث من الصفر ، تقريبا .

ففي حقل التوثيق لم يكن في الوطن العربي كله من خليجه الى محيطه ، وبعد سبعين سنة من قيام المنظمة الصهيونية العالمية ، بنشاطاتها ومؤامراتها واستعانتها بالعلـم والثقافة ، وبنجاحها في استلاب فلسطين واجزاء اخرى من الوطن العربي ، وتهديد سائر انحاء هذا الوطن تهديدا مباشرا عسكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، لم يكن في الوطن العربي ، قبل تأسيس مركز الابحاث في فبراير ١٩٦٥ ، مكتبة واحدة مختصة بالقضية الفلسطينية . لم يكن هناك ما يسمى بالمكتبة الفلسطينية . ولم يكن هناك ما يسمى بفهرس الكتب الفلسطينية .

وكان الكتاب الفلسطيني ، قبل ١٩٦٥ ، في حالة مزرية من الضعف ، ومع ان عدد الكتب التي صدرت من قبل لم يكن قليلا فقد اتصف معظمها بالسطحية في المعالجـة والهزال في العرض ، والضعف في التحليل . كما اتصفت بالمقاربة العاطفية وبنـدرة المصادر وبالغوغائية . وكانت أعجز من ان تعطي ثقافة واعية للقارىء العـربي او اعلاما جيدا للقارىء الاجنبي .

وكان الباحث الفلسطيني « قطعا نادرا » ، قليل العدد وصعب الحصـول عليه . وكان المتخصصون اقل بكثير من الحد الادنى المطلوب لتغطية الحاجة . وبدلا منهم ، كثر عدد المبتدئين والمتمرنين والهواة ، الذين افتقد اغلبهم الى الثقافـة الصحيحة في القضية والى المعلومات الاساسية ، وخاصة عن العدو .

واذا كان المركز قد بدأ من الصفر تقريبا في بناء مكتبة وفي نشر الكتـاب واعـداد الكاتب ، فلقد بدأ من تحت الصفر في موضوع الكتابة عن « اسرائيل » بشكل خاص . فعلى صعيد المكتبة والكتاب والكاتب ، الفلسطيني ، وجد المركـز فراغـا وشرع في املائه . اما على صعيد دراسة العدو بالذات فقد وجد المركز جدارا بناه المواطن ،

دون دراية ، حول فكره ، وحصن به عقله ضد معرفة العدو عن كثب . من هنا كانت خطة المركز الاولى في الانتاج ، وخاصة في السنوات السبع الاول من تاريخه ، ان يكتب وان ينشر في هذا الموضوع المحرم حتى لا يظل محرما . وامام الكتب الكثيرة التي تناولت من قبل المسألة الفلسطينية واكتفت عند الكلام عن اسرائيل والصهيونية بايراد الشتائم والاشاعات والتهم العامة ، ظهر كتاب مركز الابحاث (ولحق به مئة كتاب اخر ، من اصدار المركز ، في مدى سبع سنين) عن اسرائيل : يعريها بدون شتيمة ، يكشف نواحي الحياة والتفكير والتآمر والعمل فيها اعتمادا على مصادرها ومنشوراتها وممارساتها . وكانت الصدمة قوية ، باديء الامر ، لدرجة ان حملة قوية قامت في وجه المركز تعارض في هذا المسلك (ووصل الغضب بالبعض ان اتهم المركز بالخيانة والعمالة) بحجة ان اعطاء المعلومات للقاريء انما هو مغامرة خطرة لان الكشف عن مواطن القوة في العدو (عسكريا او سياسيا او اقتصاديا او حضاريا) انما يزعزع ثقة هذا المواطن بنفسه وبجيوشه وبقدراته ويشككه بجدوى مجابهة العدو . اما مركز الابحاث فقد بنى قناعته على ان المواطن ، الذي لا شك بحماسه واستعداده النفسي للبذل ، يبقى عاجزا عن القتال اذا بقي جاهلا للعدو ، وان التهيئة للحرب تفترض التسلح بالعلم ، والعلم يفترض جمع الحقائق ومعرفة الوقائع، وخاصة عن العدو ، وان المواطن لن ينتصر على عدو يجهله (بينما يعرف العدو عن هذا المواطن كل شيء) ، وان وعي المواطن ووطنيته يبقيان ناقصين اذا لم يقوما على أساس متين من المعرفة الصحيحة للعدو ، بقوته وبضعفاته .

بفضل مرحلة التجربة والخطأ التي مر بها مركز الابحاث خلال الاعوام العشرة التي مرت عليه ، استطاع ان يرسي عددا من التقاليد ، في العمل وفي الانتاج ، بحيث اتصفت به واصبح هو يعرف بها وتسجل له من اهم انجازاته لانها اهم ما في تجربته .

أولها اتباع الاساليب العصرية ، العلمية المتحضرة ، في جميع اعماله .

أ ــ الكتابة في المركز علم وليست هواية . وللعلم اصوله واساليبه ومقاييسه . ومهما اختلفت كتب المركز ، فيما بينها ، من حيث المستوى والمواضيع ، فانها كلها تتصف بالموضوعية . وكلها يحرص على ان يطبق الاساليب العلمية . والكتابة تخصص . والعموميات مرفوضة .

ب ــ اساليب العمل في المكتبة ، سواء في ترقيم الكتب او فهرستها او الاعلان عنها او في طرق الاعارة او في الاقتباس ، كلها تتبع الاساليب العالمية المتعارف عليها .

جـ ــ يحرص المركز على اتباع دوام رسمي واضح ومحدد لسير العمل في جميع الاقسام وعلى مختلف المستويات . ويكاد مركز الابحاث ينفرد في هذه الصفة بين المؤسسات الفلسطينية الرسمية . وكان التقيد بالدوام ، غير المعهود كثيرا من قبل ، سببا في تعذر استمرار بقاء زملاء كثيرين في المركز . كما كان ، ولا يزال احيانا ، مدعاة للسخرية من قبل اخوان يفترضون ان الدوام والثورة يتعارضان بالضرورة .

د ــ والموعد ، مثل الدوام ، نفهمه تقليدا مسهلا للعمل ومنظما للانتاج ، ولذلك نتمسك به . ولا نقصد الحفاظ على المواعيد مجرد ساعات الاجتماعات واللقاءات ، بل اهم من ذلك الاوقات المحددة لصدور النشرات الدورية . ودقة مواعيد صدور كل من منشورات المركز الدورية الثلاثة (نشرة الرصد اليومية ، وقضايا اسرائيلية ، نصف الشهرية ، وشؤون فلسطينية ، الشهرية) هي مضرب المثل . وحتى العدوانات الاسرائيلية المتتالية على المركز لم تتسبب في تأخير صدور اي نشرة عن موعدها المحدد لها .

ثاني التقاليد الديمقراطية في العمـــل . والمركز مؤســـسة عامة واســـعة حجما ومسؤولية ، وليس مكتبا خاصا . لذلك يحرص على ان يسير العمل فيه حسب انظمة معروفة سلفا وواضحة ومحددة . لكن روح هذه الانظمة ، التي وضعت وتعدل حسب متطلبات العمل نفسه ، هي المشاركـــة الديمقراطيـــة في تقديـــم الراي وفي تحمـــل المسؤولية . وقد أرسى المركز ، خاصة منذ ان اتسع نطاق عمله قبل ثلاث سنوات (اذ زاد عدد العاملين فيه آنذاك على سبعين زميلا) قواعد لتنظيم هذه المشاركة . وتتجسد هذه المشاركة ، حاليا ، في ثلاث لجان تشرف على مهام المركز المختلفة . لجنة التوثيق (امينة المكتبة ومسؤولة الوثائق ومسؤول الارشيف) لمعالجة امور المكتبـــة ومشاكلها ، ولجنة البحث (رؤساء الاقسام البحثية الثلاثة الاسرائيلية والفلسطينية والعسكرية) تنظر في المشاريع البحثية وتقرر نشر الصالح من المخطوطات المعـــدة ، ولجنة الادارة (مسؤولو الادارة والمحاسبة والتوزيع) لمعالجة كافة الشؤون الادارية . وتقدم اللجان الثلاث توصياتها الى المكتب التنفيذي للمركز (مدير عام المركز ونوابـــه الاربعة) الذي يبت بكافة القضايا والمشاريع والافكار المطروحة . وقد اثبتت التجربة ان هذا التنظيم الواسع نسبيا للمسؤولية انما هو افضل اطار للموازنة بين استمرار العمل وسيره بشكل سليم وبين اعطاء العاملين في المركز اكبر مجـــال للتعبير عـــن مقترحاتهم بخصوص العمل ، بحيث تتوزع المسؤولية على عدد كبير مـــن العاملين (نسبتهم الى مجموع العاملين تبلغ الربع) .

وعلى غرار تقليد تأمين الاطار الصحيح لديمقراطية العمل تأتي حرية التفكير بندا اساسيا ، بل هي البند الاساسي ، في قناعات مركز الابحاث وممارساته وتقاليـــده ، فان هدف مركز الابحاث هو ان يخدم الثورة الفلسطينية بالعلم وبالحرية . واذا كـــان جانب العلم يتجسد في تقديم المعلومات الصحيحة والراي السليم فان جانب الحريـــة يتجسد في تأمين مناخ سليم للباحثين والعاملين ليعبروا عن افكارهـــم ومعتقداتهـــم واجتهاداتهم تعبيرا حرا ، وفي دعوة جميع العاملين في الحقل الفلسطيني الى سلـــوك هذا المسلك وطرح كافة القضايا والافكار المختلف حولها للنقاش الهـــادف واعتمـــاد الحجة والاقناع وحدهما سبيلا الى كسب الاخرين واستنكار القمع والكبت .

تقوم ثورتنا على الحق ، ومن اجل استرداد الحق السليب ، ولبناء مجتمع يقدس الحق . وقد كانت الحرية ، منذ الازل ، المناخ الذي لا وصول الى الحق بدونه ، والذي يسند الحق ويحميه . والحق والحرية صفحتا ورقة واحدة . وبالتالي لا يمكن لايـــة ثورة ان تنادي بالحق وتعمل له ما لم تؤمن بالحرية وتمارسها في كل مجال . ولعـــل مركز الابحاث ، وهو المؤسسة الفكرية المفروض فيها ان تدرك هذه القيم الانسانيـــة وان تعتنقها وان تبشر بها ، مدعو اكثر من غيره وقبل غيره لتأمين هذه الحرية لباحثيه وكتابه ولجعلها منطلقا لنشاطه .

يعبر المركز عن صيانته للحرية باكثر من اسلوب : يترك لافـــراد اسرته الحريـــة الكاملة في معتقداتهم وانتماءاتهم (ما دامت تدخل اطـــار الثورة الفلسطينية وتلتـــزم باهدافها) ويشجع الكتاب على تناول القضايا المثيرة للنقاش من الزوايا المختلفة ، وخاصة في مجلة شؤون فلسطينية ، بشرط ان تكون المعالجات موضوعية وهـــادئة وتهدف الى الاقناع والتقريب ولا تكون سبيلا للتفرقة والتطاحن . ولا ابالغ اذا قلت انه مـــا من عدد واحد من شؤون فلسطينية صدر بدون اعطاء الفرصـــة لكافـــة الاراء لتتناقش وتنازل بعضها بعضا بهدوء — سواء بكتابة المقالات او بنشر الندوات التي يتمثل بها اصحاب الاراء المختلفة . وفي الوقت الذي تتخلى فيه مجلتنا عن هذا الخـــط فتنحاز الى فريق ضد اخر وتغلق نفسها امام باقي الافكار المطروحة وتصبح لسانـــا

ينطق باسم جماعة واحدة انما تكون المجلة قد خسرت قيمتهـا وتنـازلت عن مبرر وجودها .

ولا شك ان حرص شؤون فلسطينية عـلى ان تخـدم الثورة كمنبـر حر للفكـر الفلسطيني عرضها ويعرضها (كما عرض المركز نفسه ويعرضه) لنقد شديد من هذا الطرف او ذاك ، من بين الاطراف الفلسطينية او العربية المتنازعة حـول موضوع سياسي معين . وقد كنا دائما ، في المركز عامة وفي المجلة خاصة ، نتجاهل الحملات ، ولم نرد على اتهام واحد (حتى حينما كان اصحاب الاتهام صحيفة يقرأها مئة قارىء ولنا نحن ، حسب الاحصاءات ، حوالي خمسين الف قارىء) ، ليـس فقـط لان الاتهام انما مبعثه الانفعال والتشنج ورغبة في التسلل الى المجلة بصورة غير شرعيـة ومحاولة في الابتزاز ، بل واخطر من ذلك لان مصدر الحملة هو عدم فهم رسالة المجلة وعجز عن ادراك حق المواطن ، فردا او مؤسسة بالتعبير عن رأيه . ونحن نعلم ان المجلة ستظل عرضة للنقد ما دامت هي مصممة على ان تبقى هذا المنبر وان تواصل رفع راية الرأي الحر عاليا . وحسبنا راحة بال ، واعتزازا ، ان عدد القراء الذيـن يطالبوننا بان نظل كذلك ، الذين يقرأوننا لاننا كذلـك ، هم اضعاف اضعاف الذيـن يهاجموننا احيانا حتى ننغلق وحتى نخوض حلبة الشتائم والمرادحة . وحسبنا ان الذي يريد ان يزداد معرفة في اي موضوع فلسطيني يسعى الى هذه المجلة بالذات ، سواء كان هو نفسه مؤيدا لهذا الموضوع او معارضا ، وعضوا في هذا التنظيم او ذاك .

والواقع اننا ما كنا لننجح في مركز الابحاث في محاولاتنا لتوطيد حرية الرأي هـذه لولا ثلاث بدهيات نتمسك بحذافيرها :

أ ـــ ان مركز الابحاث ، بحكم انتمائه لمنظمة التحرير الفلسطينية وهي المنظمـة الاطار لجميع المنتمين للثورة الفلسطينية ، هو لفلسطين ككل وليس لتنظيم معـين . فلسطين اكبر : هذا هو الشعار الذي نردده دائما . اكبر من اي فرد واي رأي واي اتجاه واي تنظيم . ونحن نعمل لفلسطين ، وحتى حينما ينتمي احدنا لتنظيـم فانما هو يقصد ان يخدم فلسطين من خلال هذا التنظيم . اما في المركز فلا فرق بين تنظيـم واخر . والمركز للجميع بدون استثناء وتنشر المجلة المقال الجيد مهما كانت وجهة نظر صاحبه . وترفض المقال السيء (السطحي او المنفعل او المغلوط او الشتام) بغض النظر عن صاحبه .

ب ـــ اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية ، منذ انشائها مركز الابحاث ، باستقلاله الفكري وصانت له هذا الاستقلال على مر السنين . والمركز ، الذي يتبع المنظمة اداريا تبعية كاملة ويتقيد بجميع انظمتها (وما اكثر ما يقاسي من جراء ذلك ، وخاصـة من النواحي المالية !) مستقل في التعبير عن افكاره (اي افكار العاملين فيه) من ضمن تمسكه الكامل بالميثاق الوطني الفلسطيني وبتعديلاته وبقرارات المجالس الـوطنية الفلسطينية . وما كان مركز الابحاث لينجـح في ذلك لولا قناعـة منظمة التحريـر ومباركتها . واذا كانت هذه القناعة تعبير عن ثقة المنظمة بالمركز وايمانها بالحريـة ، فان المركز يعتز ، من جهته ، بهذه الثقة التي تزيده مسؤولية وانتباها .

جـ ـــ حق النقد هو الدليل الحسي على وجود الحرية وممارسة النقد الذاتي هـو الدليل الحسي على استحقاق هذه الحرية . ولا احسب ان هناك مركزا عربيا ومجلة عربية يمارس نقد نفسه كما يفعل كل من مركزنا ومجلتنا . والامثلة على ذلك كثيرة . يكفي ان يعود القارىء الى باب المراجعات في المجلة ويطالع ما جاء فيه عن منشورات المركز والى اي حد كان كتاب المراجعات ينتقدون منشورات المركز . فنحن لا نسمح

فقط بنقد نتاجنا ، بل اننا ندعو الكتاب الى ذلك . اذ ان من ينتقد نفسه يستطيع ان ينتقد غيره بدون حرج .

التقليد الرابع للعمل في المركز هو التنسيق مع الاجهزة الاخرى في منظمة التحرير الفلسطينية . ذلك اننا جزء من الثورة الفلسطينيه ، ولسنا متفرجين ولا حتى مؤيدين ومناصرين . وهذا الانتماء العضوي له نتائجه ومعانيه ، اذ هو يفرخ تبعــات اصبح احترام المركز لها تقليدا معروفا . فالمركز لا يعمل في فراغ . بل هو واحد من عدد من الاجهزة التي تنتمي الى المنظمة وتنشط معه ، كل منها في مجاله . لذلك يحاول المركز الا يتعدى مسؤولياته والا يتدخل في شؤون والا يتحمل مهاما هي ليست من اختصاصه بل من اختصاص اجهزة ومؤسسات اخرى في المنظمة . فالاعلام ، مثــلا ، ليس من واجبات المركز (كما يظن بعض الناس خطأ) بل ان له دائرة خاصة في المنظمة هــي دائرة الاعلام ــ وهي مؤسسة نشيطة ، لها اجهزتها ومكاتبها وصحفها وخبراؤهــا ومنشوراتها . والتعبئة ليست من واجب المركز لان لها دائرة التنظيم الشعبي مثلا . وليس من واجب المركز اعداد المذكرات السياسية للاجتماعات والمؤتمرات لان للمنظمة دائرة سياسية ولدت قبل مركز الابحاث نفسه . كما ان للتخطيط مركــزا خاصا ، ممتازا ، انيط به هذا العمل الهام جدا في ثورتنا . كذلك قل عن امور كثيرة . المهم ان يكون هناك تعاون وان يقوم تنسيق مثمر بين هذه المراكز ومن ضمنها مركز الابحاث ، بحيث لا يتداخل عمل احدها مع عمل الاخرين ، وبحيث يكون نتاج المؤسسة الواحدة في خدمة المؤسسات الاخرى . اذ ان لكل مؤسسة اسلوبها في استيعاب انتاج الاخرين والافادة منه . وهذه الحقيقة هي التي تدعو مركز الابحاث الى الاعتذار عن تلبيــة طلبات كان يجب ان تقدم الى الاجهزة الاخرى . كما يحرص المركز ، في علاقاته مــع المنظمات السياسية والشعبية ، وفي محاولاته خدمتها وتلبية حاجاتها ، الا يتحول الى مصنع لاعدادالخطب ليذهب انسان لتلاوتها فيالمؤتمرات بل ان يقدمالمعلومات والبيانات التي تفيد المندوبين الى المؤتمرات ويتخذون منها مادة خاما لاعداد المذكرات والخطب.

وجدير بالذكر ان مركز الابحاث لا يزعم انه ينطق باسم منظمة التحريــر ، عــلى اعتزازه بانتمائه للمنظمة . ولذلك يحرص ان يعلن دوما ، في جميع منشوراته ، ان الافكار الواردة تعبر عن اراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن اراء المنظمة بشكل عام. ذلك ان للمنظمة ناطقا رسميا يتكلم باسمها . ولها دائرة اعلام تتولى نشر البيانــات الرسمية. ومع هذا ، مهم جدا ان يفهم ان المركز من اجهزة الثورة وان موقعه في داخل الخندق وليس وراءه من بعيد . وقد عبرت « اسرائيل » عن ادراكها لهذا الواقع اكثر من مرة ، بدليل غاراتها المتوالية عليه ، بالديناميت عــام ١٩٧٠ ، وبالقنابــل عام ١٩٧٢ ، وبالصواريخ عام ١٩٧٤ ــ وهي هجمات زادت وتزيد في صمود المركــز ، والعاملين فيه واصرارهم على الاستمرار في العمل ، بحيث يواصل المركز اصــدار الكتب وتلقي القنابل ، وهي معادلة ثمنها باهظ لكنها ضريبــة نضال نسددها برضى وباعتزاز .

ومثلما يضع مركز الابحاث موضوع التعاون والتنسيق ، مع الاجهزة التابعة لمنظمة التحرير بحكم المشاركة في المسؤولية معها في مقدمة واجباته حتى اصبح ذلك تقليدا معروفا ، كذلك رسخ المركز تقليدا اخر ، في التعاون والتنسيق مع مراكــز البحــث والدراسة ، التي تعنى بالقضية الفلسطينية ، كما يعنى بها مركزنا . وهنــا ايضــا لا يعمل المركز في فراغ . فان السنوات العشر الاخيرة التي شهدت مولد مركز الابحاث ونموه ، شهدت ايضا مولد عدد اخر من المؤسسات العلمية للقضية الفلسطينيــة ، ابرزها وانشطها واكبرها مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ، وثلاثــة مراكز

جامعية (بغداد ، وعمان ، والخرطوم) ، ومركـزان ثقافيـان سياسيان (مركـز الدراسات الفلسطينية في جريدة الاهرام ، ومؤسسة الارض في دمشق) ، الى جانب قسمين جامعيين للدراسات الفلسطينية في القاهرة ، يتبع احدهما معهد الدراسات والبحوث العربية التابع لجامعـة الدول العـربية (وقـد تأسس في الواقع منـذ الخمسينات) ومركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة عين شمس . ومهما اختلفت نسب الانتاج والجودة والنشاط والقدرة بين مركز واخر (اذ لا شك ان بعضها اكثر نشاطا وافضل مستوى من بعضها الاخر) ، ومهما تباعدت وتعددت انتماءات هـذه المراكز وارتباطاتها الحكومية او السياسية ، فان هناك امورا مشتركة تجمع بينهـا وتفرض عليها التعاون ، منها الموضوع الرئيسي الواحد (اي الدراسة العلمية للقضية الفلسطينية) ، ومنها الحاجة الى المصادر الاصلية والى الباحثين والمترجمين ، ومنها التركيز على اهمية الادراك الصحيح لمواضيع البحث . من هنا كان مركز الابحـاث مبشرا باستمرار بضرورة تنسيق الجهود بين هذه المؤسسات ، آخذين بعين الاعتبار التوزع الجغرافي للمراكز ، وقدراتها المتنوعة ، وارتباطاتها الجامعية او الحكومية. والواقع ان سياسة المركز باقامة عرى التعاون ، وجعل المركز الواحد مكملا للاخـر بدل ان يكون منافسا له ، انما وجدت صدى مستحبـا ومشجعا من سائر المراكـز الاخرى ، حتى اصبح هذا التقليد عاما وشائعا بين المراكز كلها ، وحتى اصبح التعدد، وزيادة المراكز ، بركة وسبيلا للمزيد من الانتاج بدل ان يكون مجرد محاولة للتنافس وللمحاكاة الجامدة .

هناك تقليد سادس لعمل مركز الابحاث ولد من خلال معاناة السنوات العشر : ان يكون المركز مؤسسة متطورة ، نامية ، تراعي في مشاريعها وانظمتها الحاجات والمؤثرات والضرورات . فالمركز ، من الجهة الواحدة ، لم يظهر الى الوجود دفعة واحدة . بل هو وليد السنوات العشر ، في كل يوم يولد من جديد ، بمشروع او مهمة جديدة ، وهو من الجهة الثانية ، لا يتسرع بالشروع في عمل جديد ، بل يعطي اية فكرة او اقتراح مجالا واسعا للتفكير والنظر في جدواه وفي ضرورته .

وخطط عمل المركز العامة اكثر ما تكون عرضة للفحص المستمر وللتعديل والتكييف حسب التطورات التي تتعرض لها المقاومة ككل . فقد شددنا ، في النصف الثاني من الستينات ، على اهمية تعريف المواطن على العدو ، كما ذكرنا آنفا . اما النصف الاول من السبعينات فقد اتجه نحو تكثيف الدراسات الفلسطينيـة ومعرفة اوضاع شعبنا ، مجتمعا ومقاومة وثقافة . وبينما استعانت المرحلة الاولى بمؤلفين ، افـرادا ، من خارج المركز ، وضع عبء المرحلة الثانية على جماعات من الباحثين تعمل متكاتفة داخل المركز . ومثلما ينطبق على هذا الوصف على الخطط الشاملة والعريضة للمشاريع ، ينطبق ايضا على كافة نشاطـات المركز التي تربطهـا دوما بعاملي القدرة والحاجة ، القدرة الذاتية على انجاز المشروع والحاجة الخارجية ، اي للمقاومة وللشعب الفلسطيني عموما ، له .

أما التقليد الاخير الذي اود ان اشير اليه فهو ايجاد صيغة توفيقية عملية بين الفلسطينية وبين العربية في البحث الفلسطيني . ونحن لا ننظر هنا الى الموضوع من زاويته العقائدية . اذ اننا حينما نتكلـم عـن الفلسطينية في هذا المجال انما نعني فلسطينية المسألة ، وليس جنسية الباحث او العامل في المركز ولا اقليمية المعتقد . ذلك ان عددا كبيرا من كتاب المركز ، بما فيهم كتاب المجلة ، هم عرب غير فلسطينيـين (حوالي الثلث) . كما ان بين الذين التحقوا بالعمل في المركز في السنوات العشر الماضية العشرات مـن الاخوان اللبنانيين والسوريين والعراقيين والمصريين والاردنيين — وكان بينهم عدد من رؤساء الاقسام . ولم يكن المركز في يوم من الايام اقليميا بالرغم من تركيزه الدائم على الا يتعاطى الا الشؤون الفلسطينية .

وبعد ، انها اعوام عشرة من التجارب ، من الاخطاء والتقصيرات والعثرات ، ومن الانجازات والنشاطات والخدمات . انها محاولات في خدمة الثورة الفلسطينية على صعيد ثقافي تأمل ان تسهم في تقريب النصر . والحكم النهائي على هذه التجارب والمحاولات متروك للزمن وللمستقبل .

علاقة المشكلة الفلسطينية بالتجزئة وبالصراع الاساسي في المنطقة العربية

هاني مندس

ينطلق هذا المقال في معالجته ، لما يسمى عادة ، بالمشكلة او القضية الفلسطينية من زاوية علاقتها : ١ ـ بعملية التجزئة الاستعمارية التي حدثت ، على وجه التحديد ، لسوريا العربية . ٢ ـ بالصراع الاساسي الدائر في المنطقة العربية . ولا يتوخى المقال في توجهه الاساسي ، الى الخلوص بنتائج تقريرية سريعة واحكام عامة ، (درج عدد من الكتاب والمفكرين العرب الى تضمينها كتاباتهم ، في هذه المرحلة ، دون الاستناد الى معطيات كافية او منهج علمي واضح) ، بل الى طرح بعض المنطلقات والتساؤلات المحورية ـ بالرغم من ان هذا المقال لا يخلو من بعض الاستنتاجات الضرورية ـ التي تطرح امام الفكر التاريخي العلمي مهمة التصدي لمعالجتها وبلورتها بغية تكوين ملامح الرؤية الاستراتيجية على قاعدة موضوعية صلبة .

لقد سبق للفكر القومي البورجوازي ، في مختلف تياراته المحافظة والوسطية والراديكالية وخاصة ابتداء من الثلاثينات والى اليوم، ان حاول التصدي لتناول المشكلة الفلسطينية على اساس متقارب من الزاوية التي سنحاول ان نعالجها فيها ، الا ان هذا الفكر بقي يدور في حلقة مفرغة حبيس منهجه اللاتاريخي والتحليلات التقريرية الشكلية والشعارات والمفاهيم والاحكام الاخلاقية العامة دون ان يتقدم خطوات جادة الى الامام على طريق التحليل التاريخي العلمي لحركة الواقع الاجتماعية في مستوياتها المختلفة .

١ ـ علاقة المشكلة الفلسطينية بواقع ونتائج التجزئة

لا يمكن فصل المشكلة الفلسطينية عن واقع التجزئة التي فرضتها واصطنعتها القوى الامبريالية لاضعاف امكانات نمو القوى المنتجة وبالتالي تعاظم الحركة الوطنية الثورية في سوريا العربية (التي تضم سوريا الحالية + الاردن + فلسطين + لبنان)، وسائر مناطق الوطن العربي . وذلك تسهيلا لتحقيق اشكال الالحاق والتبعية للامبريالية . فلم تكن قط تجزئة المنطقة العربية تجزئة سياسية عبثية ، بل كانت عملية فصل بين قوى الانتاج مما يؤدي الى **اعاقة** عملية النمو في اجزاء معينة والى الغائها او **تقليصها** الى ابعد حد في اجزاء اخرى .

وقد ادت عملية التجزئة ، بوجه عام ، الى خلق كيانات سياسية لا مبرر تاريخي واقتصادي سياسي تحتمه قوانين التطور الداخلية (قوى وعلاقات الانتاج) في كل كيان منها . بل ان مبرر وجودها الاساسي نابع من دورها ضمن مخططات الالحاق واشكال التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للقوى الامبريالية في المنطقة . ان اقطارا كالاردن وفلسطين (قبل ١٩٤٨) ولبنان ، على اختلاف درجات التفاوت والتطور فيما بينها ، لا تملك مقومات البقاء والاستمرار الداخلية المستقلة لافتقارها الى الاسس

الاقتصادية الاجتماعية السياسية ، أي بكلمة الى أسس وجود مجتمع حقيقي .

فلقد كان استقلال كل كيان من هذه الكيانات ، من الناحية العملية ، هو استقلال عن سوريا الحالية وانعزال عنها واضعاف لها ولتطور قوى الانتاج فيها ، وبالتالي القيام بأدوار سياسية واقتصاديه وعسكرية (خاصة بعد وجود دولة اسرائيل) للحد من نموها وكبح تطور حركاتها الوطنية . ذلك ، لكون كل كيان من هذه الكيانات مرهون بمدى تبعيته الاقتصادية والسياسية ضمن استراتيجيات القوى الامبريالية في المنطقة.

ونستطيع ان نلخص طبيعة الادوار الامبريالية الاساسية لكل كيان من هذه الكيانات على الوجه التالي :

لبنــان : دور اقتصادي كومبرادوري يتلخص في (١) تسهيل مرور الاموال العائدة من النفط العربي (أو المهربة الى لبنان بتاثير التحولات الجديدة لصياغة رأس المال في كل من مصر وسوريا والعراق في الستينات) الى الغرب الامبريالي او التوظيف الداخلي لجزء صغير منها في مجال قطاع الخدمات وبعض الصناعات التحويلية والتجميعية . (٢) تسهيل مرور السلع والبضائع الاجنبية وعمليات الترانزيت الى الاسواق العربية وسواها .

الاردن : دور سياسي عسكري موجه نحو قمع وعرقلة نمو أي نهوض وطـــني فلسطيني ــ اردني والتصدي له قبل ان يأخذ دوره الفعال ضد اسرائيل. هذا بالاضافة الى مهمة عزل اطول حدود المواجهة العربية العسكرية المباشرة والحد من تشكيل أي خطر جدي ضد الوجود الصهيوني .

ومن المعروف ، من الناحية التاريخية ، ان امارة شرق الاردن قد تكونت بقرار صادر عن وزارة المستعمرات البريطانية على اثر المؤتمر الذي عقدته هذه الوزارة في القاهرة عام ١٩٢١ لضباطها العسكريين ولموظفيها الاداريين والسياسيين الذين « يشغلون مناصب حساسة في المنطقة » وذلك على اثر تسلم تشرشل « بوصفــه وزيـــرا للمستعمرات زمام المسؤولية عن دائرة الشرق الاوسط » . فقد اعتبر هذا المؤتمر « ان حكومة صاحبة الجلالة البريطانية مسؤولة فيما يتعلق بفلسطين ، عن انشــاء وطن قومي لليهود فيها وذلك بموجب شروط الانتداب » . وأوصى المؤتمر « بأن تشكل شرقي الاردن مقاطعة عربية من فلسطين بقيادة الامير عبدالله شقيق فيصل بحيث يكون مسؤولا أمام المندوب السامي ، ولكن دون ان تكون هذه المقاطعة مشمولة في النظام الاداري لفلسطين وبالتالي دون ان تنطبق عليها شروط الانتداب . وفي مقابل ذلك كله وكذلك في مقابل تلقي مساعدة مالية ، تعهد الامير عبدالله ــ بعد عــــدة اجتماعات عقدها مع تشرشل في القدس ــ **باحترام الالتزامات البريطانيـــة الدوليـــة سواء منها ما كان نحو فرنسا بشأن سوريا او نحو الصهيونيين بشأن فلسـطين »** (خط التشديد من الكاتب) . أما « الهدف الرئيسي من انشاء امارة في شرق الاردن فكان ايجاد مأوى ومستوطن للفلسطينيين العرب الذين سوف يضطرون الى مغادرة فلسطين بسبب البرنامج الصهيوني »(١).

فلسطين (قبل عام ١٩٤٨) : أدى عزل فلسطين سياسيا عـــن محيطهـــا العربي الطبيعي والسياسي ، بالاضافة الى الوجود البريطاني العسكري المباشر ممثلا في سلطة الانتداب ، الى تسهيل عملية الاستيطان الصهيوني واضعاف دور المواجهة العربية فيها ضد المشروع الامبريالي الصهيوني . وذلك نظرا لعدم تكافؤ أطراف الصراع : الشعب العربي الفلسطيني من جهة ، والاستعمار البريطاني والصهيونية من جهـــة ثانية .

كما لعبت فلسطين ، في ذلك الوقت دوراً كومبرادوريا واضحا ولا سيما من خلال ميناء حيفا ومصفاة الاي. بي. سي.

فلسطين المحتلة (اسرائيل بعد ١٩٤٨) : دور سياسي عسكري على امتداد المنطقة العربية المجاورة لها . وخاصة لجهة عرقلة واستنزاف وضرب اية قوة سياسية في مراكز الثقل الحضارية والسياسية الاساسية (مصر ، سوريا ، العراق) ، من شأنها ان تهدد المصالح النفطية والامبريالية من خلال سعيها الى توحيد المنطقة العربية والسيطرة على الثروات القومية .

فخارج هذه الادوار الامبريالية الاساسية ، للكيانات ــ الانظمة المذكورة اعلاه ، لا وجود ، هناك ، لاي مبرر فعلي لاستمرارها وبقائها . فمثلا لا يملك كل من الاردن ولبنان كقطرين معزولين ، نظرا لاعتمادهما في البقاء والاستمرار على دورهما في اطار المصالح الامبريالية الاقتصادية والسياسية ، الامكانات الموضوعية والسياسية الكافية (القائمة او الكامنة) للتخلص من اطار التبعية بدون عملية الربط الجدلي السياسي ــ التنظيمي او الجبهوي لنضال الجماهير فيها بنضال الجماهير في سوريا ، بوجه خاص ، أو مصر والعراق .

وبتعبير آخر ، فان القوى الوطنية الجماهيرية في هذه الكيانات لا تستطيع بقواها وحدها، ومن خلال المعطيات الواقعية ــ الامكانيات الاقتصادية والشروط السياسية ــ ان تنجز مهام مرحلة التحرر الوطني ، التي تعني تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي ، دون العمل على الغاء الكيان السياسي الذي يعتبر ، في هذه الحالة التاريخية المحددة ، بمثابة الشرط السياسي للتبعية . وللدلالة على مدى ارتهان هذه الكيانات بعلاقات راسخة وجوهرية بالامبريالية ، فاننا نجد ، على سبيل المثال ، ان مجموع الايرادات المحلية للاردن عام ١٩٧٣ بلغ حوالي ٤٥ مليون دينار اردني ، وهو يعادل ميزانية الجيش وحدها التي بلغت لنفس العام حوالي ٤٤ مليون دينار اردني . هذا بينما وصلت الميزانية العامة الى حوالي ١٦٠ مليون دينار اردني . ويقوم بسد هذا العجز الضخم الحاصل في الميزانية الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية وبريطانيا وبعض الدول الغربية الاخرى ودول الخليج العربي والسعودية ، بشكل بارز ، وعدد من الدول العربية الاخرى .

ويلاحظ ان نسبة اعتماد الاردن على المساعدات الخارجية المباشرة كانت دائما تصل الى حوالي ثلثي الميزانية !

أما في لبنان ، فمن المعروف ان الدخل الناتج عن قطاع الخدمات ، المرتبط بصورة عضوية أساسا بعلاقات التبعية الامبريالية ، انما يصل الى حوالي ٧٠٪ من الدخل الاقتصادي العام .

ولكن ، ما يهمنا توكيده وابرازه ، هنا ، ان النضال الوطني الجماهيري المستقل في كل من هذه الكيانات المقتطعة من سوريا العربية (الاردن ، لبنان ، فلسطين) ليس بمقدوره موضوعيا وذاتيا ، مهما بلغ من الشدة والتعاظم ووجود التنظيم السياسي الثوري من حسم مسألة السلطة وانجاز مهام مرحلة التحرر الوطني ، بدون الغاء الاساس السياسي للتبعية (الكيان السياسي) . وذلك من خلال التلاحم العضوي الجدلي السياسي ــ التنظيمي بالقوى الوطنية الثورية العربية ، وفي سوريا بوجه خاص .

فالنضال الوطني الجماهيري «المستقل» في هذه البلدان ، عدا عن العوائق الداخلية

الناجمة عن عدم نضج التركيب الاجتماعي ـ السياسي التي يواجهها وغياب الشروط والامكانات الموضوعية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، سيجد نفسه ينزلق الى مخاطر الانحراف الموضوعي نحو الاصلاحية الاقتصادية وحصر حدود النضال ضمن مجال العمل على تحسين الشروط المعيشية ، نسبيا ، للجماهير الشعبية داخل اطار وهيمنة علاقات التبعية .

ان ما اوردناه ، قبل قليل ، يطرح ، بصورة مباشرة وملحة ، على القوى الثورية الوطنية في هذه الكيانات بالذات الاجابة النظرية والعملية ، على ما يلي : « ماذا تعني ، هنا ، العلاقة الجدلية سياسيا وتنظيميا ، وفي هذه المرحلة السياسية بالذات ، بين النضال المحلي القطري والقومي من المنظور الاشتراكي للثورة لا البورجوازي في كل كيان من هذه الكيانات ؟ اذ أن هناك علاقة عضوية تاريخية وسياسية مميزة بين كل من هذه الاقطار والقطر العربي السوري الحالي المنتزعة منه هذه الكيانات .

وتصوري ان شعار الوحدة العربية لا يبرز ، هنا ، كتتويج لتكامل النضال القومي بأفقه الثوري الاشتراكي ، بل كحاجة موضوعية سياسية واقتصادية لتوفير الشروط اللازمة لانجاز مهام مرحلة التحرر الوطني . هذا ، علاوة على ما يطرحه وجود اسرائيل المجاور لكافة هذه الاقطار من ضرورة ماسة لحشد أكبر القوى وتوسيع حدود المواجهة العسكرية (المقتصرة حاليا على رقعة جبهة الجولان الضيقة المساحة) للصمود أمامها والتغلب على تفوقها التقني كأداة امبريالية .

والواقع ان مخططات التجزئة الاستعمارية التي جرت في سوريا العربية ، بشكل خاص ، والتي كانت تستهدف خلق كيانات سياسية أكثر من العدد المتبقي حاليا منها (كدولة اللاذقية ، ودولة جبل الدروز ، الخ ..) قد مهدت كثيرا وسهلت من مهمة انجاح المشروع الصهيوني ، مؤقتا ، في فلسطين .

فالقوى الاستعمارية ، لم يكن من مصلحتها الاستراتيجية البعيدة ، نظرا للاهمية الخاصة لمنطقة الشرق الاوسط في اطار المخططات الامبريالية ، الابقاء على مملكة فيصل ، بعد الحرب العالمية الاولى ، حتى كمملكة اقطاعية سياسية موحدة وحليفة للسياسة الاستعمارية في الوقت نفسه .. لان هذا من شأنه ان يفتح مجالا واسعا أمام اضعاف حظوظ نجاح المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين من جهة ، وامام امكان تطور القوى المنتجة وما يستتبعه ذلكمن خلق قوة سياسية ثورية عربية واحدة في سوريا والعراق تسعى الى تحقيق الوحدة العربية مع مصر من جهة ثانية ، وهذا مما يعني عمليا التهديد المباشر بتصفية المصالح الامبريالية في المنطقة العربيـــة وفي مقدمتها النفط .

ومن هنا ، فان مهمة تفتيت وفصل القوى المنتجة والسياسية في سوريا العربية ـ بهدف اضعاف قدراتها على التنمية ومواجهة الامبريالية والصهيونية ـ قد سارت جنبا الى جنب مع عملية صنع « دولة حاجزة » صهيونية لتقف سدا قويا بين سوريا والعراق معا وبين مصر فتعمل على استنزافهما واشغالهما بصورة شبهدائمة والحد من تطورهما ونموهما وتشكيل قوة سياسية عربية موحدة قادرة على تهديد وتصفية المصالح الامبريالية . فقد صرح وايزمن بكل وضوح « ان كومونة يهودية قوية قريبة من مصر ، يمكن ان تتحول الى سد منيع في وجه الاخطار المحتملة من الشمال »(٢). وبالمقابل ، فقد جاء في مذكرة اعدها اركان الحرب في وزارة الحربية البريطانية عام ١٩٢١ ما يلي : « ان اقامة دولة يهودية حاجزة في فلسطين ، على الرغم من انها ستكون دولة ضعيفة بذاتها ، هي من الناحية الاستراتيجية شيء مرغوب فيه بالنسبة لبريطانيا

العظمى »(٣). كما كان بلفور قد صرح « ... سواء أكانت الصهيونية عادلة أم لا ، حسنة أم سيئة، فان جذورها التي تأصلت ... وحاجات يومنا هذا وفي آمال المستقبل، تفوق في أهميتها ومدلولها رغبات العرب ، الذين يقطنون هذه البلاد الموغلة في القدم »(٤).

وبعد ذلك أخذت « علاقات الصهيونية في فلسطين تتوثق مع الولايات المتحدة الامريكية ، التي أمنت في الثلاثينات من هذا القرن حماية مصالحها « النفطية » ، بعد ان حصلت على امتيازات بترولية في البحرين والعربية السعودية ، حيث كان الاتحاد الاحتكاري « آرابيان – اميركان اويل كومباني » يتحكم فيها منذ ١٩٣٩ »(٥). «فتأسيس دولة صهيونية يملك مدلولا عميقا بعيد الاثر في مخططات الولايات المتحدة الاستراتيجية. اذ ان الدولة الصهيونية ستكون بمثابة دعامة حقيقية للامبريالية الاميركية في صراعها ضد حركة التحرر الوطني للشعب العربي في الشرقين الادنى والاوسط »(٦).

وقبل ان نتعرض لسمات الوضع الفلسطيني على ضوء نتائج التجزئة لا بد من ابداء الملاحظات التالية :

١ – ان الاساس الموضوعي لكون شعار الوحدة هو الشعار الاساسي المحرك للجماهير ، في كل من سوريا وفلسطين والاردن ولبنان ، طوال عشرات السنين التي خلت وحتى اليوم ، انما يعكس حقيقة موضوعية تتعلق بخصوصية التكوين السياسي لهذه المنطقة . وهو تعبير عميق عن ضرورة وحتمية تاريخية سياسية. وهذا مما يفسر، بالتالي ، اسباب انطلاق أكثر الشعارات والدعوات الوحدوية من سوريا العربية فمعظم الاحزاب الاساسية التي تصدرت الواجهة السياسية طوال السنوات السابقة، رفعت شعار الوحدة كشعار أساسي ولو من منطلقات نظرية وسياسية مختلفة . وكما سبق وذكرنا ، فان الوحدة العربية ، هنا ، تبرز ، أمام الجماهير كطريق وحيد لاستكمال مهام مرحلة التحرر الوطني .

٢ – هناك اتجاه تتبناه بعض الحركات اليسارية في هذه المنطقة فحواه ان عمليات التجزئة التي حدثت في سوريا العربية ، وسواها من المناطق العربية الاخرى ، قد خلقت شروطا موضوعية جديدة ، على كافة الاسعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية ، في هذه الكيانات .

الواقع ان ثمة تغيرات وتطورات قد طرأت ، ولا شك ، على اوضاع الكيانات ، ولكن السؤال الجوهري هو هل تمت هذه التغيرات والتطورات في اتجاه تدعيم أسس الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، أم في اتجاه مزيد من الارتباط بأشكال التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية ؟ وهل هذه التغيرات الجديدة تتيح مجالا امام نمو القوى المنتجة في الصناعة والزراعة أم انها تجري لصالح القطاعات الاقتصادية المرتبطة ، بحلقات متفاوتة ، بعجلة الاقتصاد الامبريالي وتقسيم العمل الدولي ؟ وذلك كتوسيع قطاعات الخدمات ونمو بعض الصناعات التحويلية والتجميعية ؟

السمات الخاصة للوضع الفلسطيني في ضوء نتائج التجزئة

ادت نتائج التجزئة الى وضع الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة غير متكافئة ازاء الاستعمار الاستيطاني الصهيوني (الاداة الاكثر ضمانة وفعالية للامبريالية في المنطقة) والقوى الامبريالية والرجعية العربية المتعيشة على اوضاع التجزئة واستمرار التخلف .

فالاعداء الذين واجههم الشعب العربي الفلسطيني ، كانوا لا يستهدفون مجرد

الاكتفاء باقتلاعه من ارضه ووطنه فحسب ، بل الى خلق أوضاع وشروط ملائمة ، ذات طابع استراتيجي ، لكبح واستنزاف وضرب أي محاولة وطنية ، وخاصة في مراكز الثقل السياسية والحضارية الاساسية في المنطقة العربية (لا سيما مصر وسوريا) ، تكافح من أجل كسر حلقة التخلف والسيطرة على الثروات العربية القومية .

فاسرائيل كأداة قهر امبريالية ، عمدت دائما الى عرقلة عمليات النمو والتطور في كل من مصر وسوريا واستنزاف طاقاتهما في مختلف المجالات (حوالي ٦٠٪ من ميزانية سوريا ، قبل موازنة عام ١٩٧٤ ، و٢٥٪ حسب موازنة ١٩٧٣ في مصر تذهب لاغراض الدفـــاع) .

وعليه ، فان المواجهة غير المتكافئة بين الشعب العربي الفلسطيني وبين الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية ، أودت بكل التحركات والانتفاضات البطولية التي قام بها هذا الشعب الى الاحباط والفشل (حتى هزيمة ١٩٤٨) . وذلك بالرغم من التضحيات العظيمة وعنف أشكال المواجهة التي اتسم بها نضال الشعب الفلسطيني . وهذا الاحباط او الفشل لا يمكن الاكتفاء بتفسيره، كما ينحو الى ذلك البعض، في مجرد افتقار الشعب الفلسطيني الى قيادة ثورية بروليتارية توائم بين ممارسة أعلى أشكال النضال (الكفاح المسلح) وبين أعلى الاشكال السياسية — التنظيمية القادرة على صيانتـــه واستمراره فحسب ، بل ، ايضا ، الى عدم قدرة الشعب الفلسطيني وحده بطاقاته وامكانياته المحدودة — وخاصة بعد اقتلاعه من ارضه عام ١٩٤٨ — على الحاق الهزيمة بقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ، فعامل التفوق ، هنا ، في معظم المجالات ، لا يمكن تعديله بشكل جوهري وحاسم دون المشاركة الفعالة للشعوب العربية التي لها مصلحة حقيقية وحيوية في خوض غمار هذا الصراع .

علاقة فلسطين التاريخية والسياسية في سوريا العربية

فمن الوجهة التاريخية والسياسية « كانت فلسطين على الدوام جزءا من سوريا (أو الشام) ، وتذكر دائرة المعارف البريطانية ان المنطقة التي كانت تسمى فلستيا Philistia ، قد أعطت اسمها ، في القرن الثاني الميلادي ، الى سوريا الفلسطينية ، وهي الجزء الجنوبي من ولاية سوريا الرومانية »(٧).

وبقيت فلسطين « جزءا من الشام حتى الاحتلال العثماني عام ١٥١٦ ، ولم يتغير وضعها بعد الاحتلال . وفي عام ١٨٤٠ ، الحقت القدس (بايالة صيدا) . وبعد عام ١٨٦٠ أقام الباب العالي واليا على دمشق وصارت القدس متصرفية تابعة لولايـــة سوريا التي مركزها الشام (أي دمشق) . وبعد سنة ١٨٧٠ تعلقت رأسا بالباب العالي . ومع ذلك كانت متصرفية القدس تتبع ولاية بيروت في بعض الامور الثقافية والمالية ... صحيح ان فلسطين لم تكن حتى عام ١٩١٤ وحدة سياسية او ادارية مستقلة . لكن ذلك لا يعني ايضا أن شرق الاردن ولبنان وسوريا ، وهي أجزاء من بلاد الشام ، كانت جميعها وحدات سياسية او ادارية مستقلة . لقد كان لواء الكرك (وهو الان جزء من شرق الاردن) يتبع ولاية سوريا . كذلك كان لواء اللاذقية (وهو الان جزء من سوريا) يتبع ولاية بيروت . وضمت الاقضية الغربية (منطقة البقاع) من ولاية سوريا الى لبنان ... ونتيجة لكل ذلك فانه لم يكن من المتوقع ان تنشأ في فلسطين حركة وطنية مستقلة عن الحركة الوطنية العربية في سوريا ، وظلت الحركة الوطنية الفلسطينية تعمل ضمن الاطار العام للحركة الوطنية في سوريا حتى بعـــد الحرب العالمية الاولى »(٨).

الا ان « المصالح المتضاربة للدول الاستعمارية هي التي رسمت حدود المنطقة البنيئة

(فلسطين ـــ حسب خريطة اتفاقية سايكس ـــ بيكو . الكاتب) وهي نفسهـــا التي قررت (دوليتها) ، وهذا مما حدا بلورنس الى ان يؤكد ان اتفاق سايكس ـــ بيكو كان منافيا للعقل والواقع في مسألة الحدود »(٩).

ولقد ادرك وتنبه العديد من المفكرين والكتاب العرب والفلسطينيين ، بصورة مبكرة، لمدى الترابط العضوي السياسي بين فلسطين والاقطار التي تجاورها . ففي كتابه « يقظة الامة العربية » عام ١٩٠٥ نادى نجيب عازوري ، وهو لبناني الاصل مقيم في فلسطين ، « بضرورة فصل الاجزاء العربية من الامبراطورية العثمانية لاقامة دولة عربية واحدة مستقلة » . ويرجح ان يكون الدافع المباشر الذي حدا بنجيب عازوري على المطالبة بالانفصال الكامل عن الدولة العثمانية الاعتقاد باستحالة صد الخطر الصهيوني في اطار دولة مكبلة بقيود « الامتيازات الاجنبية » التي كان اليهود يستغلونها ايما استغلال »(١٠).

كما صرح الكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني في ١٩١٤ موضحا طبيعة التحـدي الصهيوني وعلاقته بالتجزئة فقال « ان الصهيونيين يريدون ان يمتلكوا فلسطين قلب الاقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بافريقيـا . وهكذا يبدو انهم يريدون كسر الحلقـة وتقسيم الامـة العربيـة الى جـزئين للحيلولة دون توحدها »(١١).

واثر الحرب العالمية كتبت صحيفة « الكرمل » ، التي لعبت دورا وطنيا اعلاميـا بارزا في تلك الاونة ، « اننا لنحتج بشدة ضد عزل فلسطين عن امها سوريا وجعلهـا وطنا قوميا لليهود »(١٢).

ومن ناحية ثانية ، عبرت مختلف المواقف والنشاطات السياسية التي قام بها عرب فلسطين ، وذلك بصورة عفوية ودائمة ، عـن استنكارهـا للمخطط الاستعمـاري الاستيطاني الصهيوني لعزله فلسطين عن سوريا العربية . فقد جاء في بعض قرارات المؤتمر العربي الفلسطيني الذي انعقد في القدس ، ما بين ٢٧ كانون الثاني و ١٠ شباط ١٩١٩ ما يلي :

« ١ ـــ اننا نعتبر فلسطين جزءا من سوريا العربية اذ لم يحدث قط ان انفصلت عنها في أي وقت من الاوقات . ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعية واقتصادية وجغرافية .

٣ ـــ ... اننا نعرب عن رغبتنا بان لا تنفصل سوريا الجنوبية او فلسطين عن حكومة سوريا العربية المستقلة وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبيتين »(١٣).

ووقتها علق الكابتن كامب من دائرة الاستخبارات البريطانية على قرارات هذا المؤتمر ، بحس استعماري دقيق ، بقوله « بانضمام فلسطين الى سوريا العربية يصبح في وسع شعب فلسطين بمساعدة العرب الآخرين ان يقاوموا بنجاح الهجرة اليهودية »(١٤).

اما المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق عام ١٩٢١ وضم « مندوبي جميـع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية ، والحـائزين عـلى اعتمـادات سكان مقاطعاتهم وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين » ، فقد نص البندان ٧ و ٨ من البيان الذي اصدره المؤتمر على :

« ٧ ـــ اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، أي فلسطين ، وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا لانه ليس لهم فيها ادنى حق ولانهم خطر شديد على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي ..

٨ ــ اننا نطالب عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروفة بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جملتها لبنان ، عن القطر السوري ونطلب ان تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان »(١٥).

وبالمقابل ، فقد سجلت لجنة كنغ ــ كرين الدولية ، التي جاءت عام ١٩١٩ « لدرس قضية الولايات العربية والوقوف على رغبات سكانها » ، في نهاية دراستها « .. لم يبد العطف على اقامة وطن قومي لليهود الصهيونيين في ذلك البلد سوى ما يقارب عشر مجموع عدد السكان . أما بقية السكان من مسلمين ومسيحيين على السواء فانهم اعربوا عن رغبتهم بالحفاظ على وحدة بلادهم مع سوريا التي يعتبرون فلسطين من كلتا الوجهتين التاريخية والجغرافية جزءا منها »(١٦).

والحقيقة ان غالبية انواع المؤتمرات ومختلف الوان النشاطات السياسية والحزبية في فلسطين وسوريا والمنطقة العربية كانت تشدد وتؤكد على الوحدة الطبيعية والتاريخية والسياسية والنضالية التي تجمع بين فلسطين واقطار سوريا العربية بوجه عام . ففي عام ١٩٣١ عقد اجتماع ضم حوالي خمسين سياسيا من اقطار عربية مختلفة تم فيه وضع « ميثاق قومي » نصت بنوده على الدعوة لاستقلال البلاد العربية ووحدتها ورفض الاستعمار بجميع اشكاله(١٧). وكان من ابرز الذين وقعوا البيان ، رياض الصلح وشكري القوتلي وعوني عبد الهادي .

واذا ما القينا نظرة على مبادىء حزب الاستقلال ، الذي تأسس عام ١٩٣٢ في فلسطين ، فاننا نجد ان مبادئه الاساسية هي :

« ١ ــ استقلال البلاد العربية استقلالا تاما . ٢ ــ البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة . ٣ ــ فلسطين بلاد عربية ، وهي جزء طبيعي من سورية »(١٨).

وقد جاء في مذكرة الحزب العربي الفلسطيني المقدمة الىلجنة التحقيق الانكلو امريكية عام ١٩٤٦ « ان اطلاعا بسيطا على تاريخ فلسطين يكفي للدلالة على ان تلك البقعة انما هي جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا جزء من متحد اجتماعي أوسع ، وان فصلها عن جسم هذا المتحد ، وخلق كيان سياسي قائم بذاته فيها ، كان اجراء كيفيا تعسفيا غير مستند على اساس اية اعتبارات طبيعية على الاطلاق ،بل ان هذه التجزئة (التي أثارت الاستنكار والاحتجاج داخل فلسطين وخارجها) قد احدثت اضرارا جسيمة بمصالحها القومية والاجتماعية والاقتصادية . لقد قامت في فلسطين، منذ بدء التاريخ، دورة حياة اجتماعية طلقة التفاعل وممتدة عبر الحدود الحالية لهذه البقعة ومتصلة بدورة الحياة في الاقطار المتاخمة »(١٩).

آثار الانتداب البريطاني على الاوضاع الداخلية في فلسطين

شملت الآثار الضارة ، التي الحقتها سلطات الانتداب البريطاني الاستعمارية في فلسطين ، مختلف الاصعدة والمجالات السياسية والاقتصادية . فعلاوة ، على ما سبق ذكره ، من فصل فلسطين عن سوريا العربية وتسهيل وانجاح المشروع الاستيطاني الصهيوني ، فقد خولت بنود الانتداب الدولة المنتدبة بريطانيا « السلطة في التشريع والادارة » كما نصت على ذلك المادة الاولى من الانتداب .

هذا في حين لم تنص بنود الانتداب في كل من مصر وسوريا والعراق على ان للدولة المنتدبة مثل هذه السلطة المطلقة التي كانت لها في فلسطين .

لقد عملت بريطانيا على تنفيذ المخطط الامبريالي الصهيوني من خلال صك الانتداب. فقد جاء في المادة الثانية من صك الانتداب « الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية ، واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي لليهود »(٢٠).

فما هي طبيعة هذه « الاحوال السياسية والادارية والاقتصادية » التي قامت بهـا بريطانيا ؟ يقدم لنا وايزمن في مذكراته الاجابة الموجزة عن هذا السؤال « لقد اتفقت مع الحكومة البريطانية ، التي تبنت الحركة الصهيونية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب ، ولقد كان مقدرا لذلك الاتفاق ان يتحقق في عـام ١٩٣٤ ، لولا ان ثورات قام بها عرب فلسطين اعاقت ذلك »(٢١).

أما الاجراءات والخطوات ، التي قامت بها بريطانيا ، « بهـدف تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب » فنذكر اهمها على الصعيد الاقتصادي ــ الاجتماعي: « اوقفت سلطات الانتداب بعد الحرب مباشرة القروض الزراعية ، وبدأت تجمع قروض البنك الزراعي العثماني . في وقت كان فيه الفلاحون أشد ما يكونوا عـوزا وحاجة . وكان مما فعلت ايضا انها منعت تصديـر المحصولات الزراعية كالقمح والزيت فهبطت اسعارها . وفي الوقت ذاته ، باعت السلطة المحتلة الدواب للفلاحين باسعار خيالية .. ولما كان الفلاح مطالبا بدفع الدين المستحق عليه للادارة العسكرية نقدا .. واسعار المحصولات في انخفاض أصبح في وضع لا يحسد عليه »(٢٢). وبعد ذلك « جاءت الحكومة تستوفي العشر منه (الفلاح) نقدا ، بدلا من ان تفعل كتركيـا التي كانت تستوفي عينا بواسطة الملتزمين ، وهذا مما زاد في ضيق الفـلاح ، ثـم خمست العشر ، أي فرضته على معدل خمس سنوات ، فازداد خرابه ، لان تخمينها كان باسعار السنين التي كانت فيها الاسعار عالية ، فكـان يصـل العشر الى ثلث الموسم (المحصول) أو أكثر .. ان اقراض الفلاحين من بنك باركليز هو اكبر عامـل لخراب الفلاح ، فهذا المسكين يدفع ٩٪ فائدة ، وفي الحقيقة الفائـدة تتجاوز ذلـك كثيرا . وهو يلتزم ان يدفع الفائدة سلفا وراس المال في اخـر السنة ، وهـو أمر لا يستطيعه ولا يد له فيه .. »(٢٣).

وعلاوة على ذلك ، أفرزت حكومة الانتداب البريطانية الاراضي المشاع في القـرى لان «وجود المشاعات كان حائلا دون تمكين اليهود من شراء الاراضي» كما استخدمت القوة المسلحة في طرد ٢٧٤٦ عائلة عربية من ٢٢ قرية في مرج ابن عامر و ٥٠٠ر١٥ عربي من وادي الحوارث ، و ١٥ ألفا مـن الحولـة ، وألوفا اخريـن من اراضي الساخنة ، وغور بيسان ، وطبعون ، والزبيدات ، والمنسى وغيرها »(٢٤).

هذا ، مع العلم ان فلسطين كانت بلدا زراعيا ، بالدرجة الاولى ، اذ كانت « تبلـغ نسبـة الصادرات الزراعية حـوالي ٩٠٪ من مجمـوع الصادرات ، ثم ان أكثـر « الصناعات » وأكثر التجارة متعلق بالزراعة ومعتمد عليها »(٢٥).

ويضاف الى ما ذكرنا التسهيلات التي قامت بها حكومة الانتداب لامتلاك المستعمرين الصهاينة أهم الاراضي الفلسطينية جودة وخصوبة .

وقد جاء في تقرير رفعه ج. س. سايمز حاكم لواء حيفـا الى تشرشل في ٤/٣/ ١٩٢٢ عن اسباب استياء السكان العرب في منطقته « الاعمال في عكا وشفا عمـر متوقفة ، وفي حيفا تكاد تكون جميع انواع العمل التي تعود بالربـح عـلى العرب في تدهور .. كما انه من الواضح ان الحواجز الجمركية مع سوريا أخذت تقتل تجـارة الترانزيت .. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع بالمفرق يكاد يتوقف عن العمـل . بل ان الحمالين وغيرهم ممن يمارسون الاعمال غير الدائمة ، فقد أخذ وضعهم يتأثـر بسبب الافضلية التي تمنحها المؤسسات اليهودية واصحاب العمل اليهود للمهاجريـن الجدد من العمال .. وتعاني جميع طبقات سكان المدن من ارتفاع تكاليف المعيشة .. أما الطبقات الاجتماعية الاعلى نسبيا كالتجار الافندية ، فانهم يكادون يصلون الى حافة

اليأس .. وكثيرون منهم يواجهون الخيار بين الافلاس والهجـرة .. وليست حـالة مالك الارض الكبيرة خيراً من ذلك بكثير ، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه ان يحصل على مزيد من القروض . فأسعـار الحبوب منخفضة كما أن الاسواق الخـارجية ، لسبب او اخر ، مقفلة في وجهه .. ويرى ساكن المدينة ان ما يعانيه من حالات العجز والبؤس انما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عليهـا من الهجـرة اليهودية »(٢٦) .

ولقد ترتب ، عن تدفق الاعداد الكبيرة من المهاجرين الصهاينة على فلسطين واتباع سياسة « تهويد العمل » الحـاق اضرار بالغة عـلى مجموع التطـور الاقتصادي والصناعي للسكان العرب . فحسب احصاءات الصناعة لعام ١٩٤٢ في فلسطـين ، بلغ مجموع العرب الذين يعملون في الصناعة ٨٫٨٠٤ اشخاص فقط ، في حين بلغ عدد اليهود العاملين في الصناعة لنفس العام ٣٧٫٧٧٣ الفا . وقد كان مقدار رأس المـال العربي المستثمر في الصناعة ٢٫١٣١٠٠٠٠ جنيه فلسطيني ، مقابل ١٢٫٠٩٤٠٠٠٠ جنيه فلسطيني لنفس العام المذكور(٢٧) . وفي عام ١٩٤٣ « كان نصيب الرأسماليـين الصهاينة « اليشوف » ٥٥٪ من مجموع المنشآت الصناعية في البلاد و ٨٠ — ٩٠٪ من مجموع التوظيفات في مجال الصناعة »(٢٨) .

هذه هي بايجاز بعض الملامح الاساسية التي خلفها تأثير الانتداب البريطاني علـى الاوضاع الاقتصادية — الاجتماعية في فلسطين .

٢ — موقع وعلاقة المشكلة الفلسطينية بطبيعة الصراع الاساسي في المنطقة العربية

يتحدد المنطلق الاساسي الثاني في فهم الوضع الفلسطيني ، من خـلال توضـيح موقع وعلاقة ما يسمى « بالمشكلـة الفلسطينية » مـن طبيعة الصراع الاساسي في المنطقة العربية .

الواقع ان ما يسمى بالمشكلة الفلسطينية ليست سوى المظهر الحاد الطافح علـى سطح الجولات الاولى من الصراع الاساسي الدائر في المنطقة العربية . وهو صراع يدور بين الجماهير العربية من جهة ، وبين الامبريالية ، وخاصة الاميركية ، وادواتها السياسية في المنطقة والنظم السياسية التي تحول دون ممارسة الجماهير وحقوقها الديمقراطية ودورها السياسي في خوض الصراع من جهة ثانية .

وتلعب اسرائيل في هذا الصراع ، كاداة امبريالية ، دورا خاصا وخطيرا في عرقلة ومنع أية محاولة وطنية ، ولا سيما في مراكز الثقل السياسية والحضارية العـربية الاساسية (مصر ، سوريا ، والعراق) ، من كسر حلقة التخلف والتبعية وتشكيـل قوة سياسية تكون مؤهلة للعـب دور اساسي في توحيـد المنطقة وتهديد المصالح الامبريالية ولا سيما استمرار تدفق النفط .

فالخطر الاساسي ، الذي يهدد المصالح الامبريالية في المنطقة ، انما ينطلق مـن البلدان العربية المشار اليها أعلاه . كمراكز ثقل حضارية سياسية اكثر تطورا وكثافة بشرية من غيرها من البلدان العربية الأخرى . مما يجعلها مرشحة اكثر للعب دور اساسي في مواجهة المصالح الامبريالية .

وقبل القاء مزيد من الضوء على طبيعة الدور الاسرائيلي المعادي لاي نهوض ثوري عربي ، لا بد من الاشارة السريعة الى « المكانة الخاصة » التي يحتلها « الشـرق الادنى .. في مخططات السياسة الامبريالية » والمتـأتية « من الأهمية السياسيـة والاقتصادية والعسكرية لهذه المنطقة .. اما منطقة الشرق الادنى وحوض البحـر

الابيض المتوسط فتنظر اليهما الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وشركاؤهمـــا في حلف شمال الاطلسي ، على اساس انهما راس جسر للعدوان ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى . فعبر الوطن العربي تمر اهم طرق المواصلات البحرية والجوية ، كما يلتصق مباشرة بافريقيا ، التي تخوض ضد الامبريالية صراعا من أجل حفظ مواقعها . كما تتركز في بلدان الشرق الادنى احتياطات هائلــة من النفط . وفي بداية السبعينات من هذا القرن اتضح انه يوجد في الاقطار العربية ما يعادل ٧٠٪ من احتياطي النفط المكتشف في العالم الرأسمالي »(٢٩).

فاسرائيل في مخططات الامبريالية العالمية لم تقم لاجــل احتــلال فلسطين وطرد الشعب الفلسطيني من أرضه فحسب ، بل من اجل ممارسة دورها في عرقلة وكبــح واستنزاف اي نهوض وطني للشعوب العربية المجاورة ، وخـــاصة في مراكز الثقل الاساسية منها ، الذي من شأنه ان يهدد المصالح الامبريالية في المنطقة .

والحركة الصهيونية وضعت نفسها ، منذ البداية ، كنقيض لحركة التحرر الوطني للشعوب العربية . وقد كانت دائما توظف دورها وخدماتها الى جانب مركز الثقـــل الامبريالي على الصعيدين العالمي والمحلي .

وسوف نترك للمعلقين السياسيين الاسرائيليين انفسهم شرح طبيعة الدور الذي تقوم به اسرائيل ، في هذه المرحلة ، كاداة في خدمة المخططات الامبريالية الاميركية . وذلك من خلال الغاء او ابعاد اضطرار الولايات المتحدة الى التدخل ، بصورة مباشرة ، لحماية مصالحها في هذه المنطقة .

فقد كتب المعلق السياسي لجريدة هآرتس يوئيل ماركوس ، في أعقاب الزيارة التي قامت بها جولدا مائير للولايات المتحدة في اذار ١٩٧٣ مفصحا عن طبيعة الحجج التي قدمتها جولدا مائير لنيكسون بهدف الغاء امكانية بعث مشروع روجرز ، كتب يقول : « لقد اوضحنا للادارة وللجمهور الامريكي انه **لن تكون هناك فيتنام ثانية** ، وانه **لـــن يسفك هنا الدم الامريكي** ، وكما قال تشرشل في حينــه لروزفلت قلنـــا نحن ايضا : **أعطونا الادوات ونحن نقوم بالمهمة** .. والحقيقة ان الامريكيـــين لم يســـفكوا ولن يضطروا الى سفك دمائهم هنا ، ما داموا يعطوننا المعدات اللازمة .. ان **اسرائيـــل قوية هي في الحقيقة ضمانة للمحافظة على المصالح الاميركية في المنطقة** . وقد اوضحنا ان **الجيش الاسرائيلي بقوته المطلقة** لا النسبية ، هو **خط الدفاع الاول عن المصالـــح الامريكية في حوض البحر الابيض المتوسط** اكثر من معظم دول الحلف الاطلسي . أضف الى ذلك اننا قلنا على مسمع الامريكيين **اننا ، ايضا ، الضمانة الوحيدة للمحافظة على الانظمة .. الموالية لهم في المنطقة** ، ومهما يبدو هذا الامر غريبا فان اسرائيل في نهاية الامر ، هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب »(٣٠).

وفي وقت لاحق كتب شفيتسر وهو معلق صهيوني اخر في نفس الصحيفة الصهيونية بصورة لا تقل وضوحا عن ماركوس « ان اسرائيل كدولة قوية ، وذات قدرة عسكرية غير قليلة .. هي شريكة مرغوب فيها لتجسيد سياسة امريكية من النوع المذكور هنا . وهذا لا يعني اعطاء قواعد وما شابه ، بل **وجـــود قوة عظمى في المنطقة كاسرائيـــل تتماثل مصالحها ، الى حد كبير ، مع المصالح الامريكية** . ان التماثل المصلحي **هـــو ضمان استمرار تدفق النفط الى الاسواق الغربية** .. وهنـــاك الى جانب الواقـــع العسكري حقائق اخرى ، تثبت اهمية استمرار المشاركة ، ومنها ان هذه **السياسة الامريكية تصطدم بعقبات محلية ، نابعة في الاساس ، من الحركة القومية العربية ..**

ان شرط قيام هذه المشاركة مع الولايات المتحدة هو كون اسرائيل دولة عظمى في المنطقة »(٢١).

وبعد حرب تشرين علق جرشوم شوكن في نفس الصحيفة الصهيونية مؤكدا بان « أمريكا لن تخدم مصلحتها ، اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل ، دعما لمحتاج ، عليه ان يدفع ثمن المساعدة .. وليس اتفاقا مجديا للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة »(٢٢).

وفي ٧٣/١١/١١ كتبت صحيفة هآرتس عن أن المبادىء الاساسية للعلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية ، ما زالت ثابتة لا تتغير ، كما كشفت في الوقت نفسه حقيقة ما يسمى « بضغط » اليهود في اميركا ، فذكرت « ان **المساعدات لا تأتي بضغط من يهود اميركا** او بسبب وجود نظام ديمقراطي في اسرائيل ، **وانما بسبب المصلحة المشتركة للدولتين** . ومن هنا فليس على اسرائيل ان تنهج نهج الدولة التابعة ، وهي لا تستطيع البقاء اذا اصبحت هكذا . وكلما تراجعت اسرائيل قلت قيمتها في نظر اميركا .. **واسرائيل المقلصة لا تستطيع ان تتطلع الى المساعدة الاميركية الضخمة ذاتها التي ستحتاج اليها الى الابد** ، بل ستنقلب الى مصدر ازعاج وستنبذ ... **علينا الا نطلب من الولايات المتحدة عونا ، وانما شبكة دفاع اقليمية مشتركة .. تضع** طاقاتها في خدمة المصالح الاميركية ، وبذلك تصبح اسرائيل أهم بالنسبة لامريكا من اوروبا .. فقط كحليفة مستقلة ذات قوة كبيرة ضرورية لامن الولايات المتحدة تستطيع اسرائيل ان تتمتع بتعاون امريكي لمدة طويلة »(٢٣).

اذن ، فالدور الذي تقوم به اسرائيل في المنطقة ، لا يمكن تفسيره ، فقط ، باصرارها على احتلال فلسطين والاراضي العربية المحتلة عام ٦٧ بهدف تحقيق اطماعها الصهيونية الخاصة ، بل علينا ، بشكل رئيسي ، أن نتساءل عن طبيعة الوظيفة التي تؤديها للامبريالية الاميركية من خلال تمسكها باحتلال الاراضي العربية وخلقها لحالة شبه دائمة من التهديد العسكري وما يسفر عنها من استنزاف لا ينقطع لطاقات وموارد وامكانات مراكز الثقل السياسية العربية الاساسية واشغالها عما يجري من نهب للثروات البترولية العربية .

ومن هذا المنطلق ينبغي النظر الى طبيعة الصراع الاساسي في المنطقة وموقع المشكلة الفلسطينية من هذا الصراع ، والى التقييم والتفحص المتعمق لما يسمى بمحاولات التسوية السلمية .

فقد جاء في الخطاب التاريخي السياسي الهام الذي القاه الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أمام الجمعية العامةللامم المتحدة « هذه الدولة العنصرية التي قامت على اساس الاستعمار الاستيطاني لم تكتف بكل ذلك ، اذ جعلت من نفسها قاعدة للامبريالية وراحت تتحول الى ترسانة من الاسلحة لاكمال مهمتها في اخضاع الشعوب العربية والعدوان عليها .. »(٢٤).

الموقع والسمات السياسية المميزة للوضع الفلسطيني من الصراع الاساسي في المنطقة

لقد ادى الصراع في جولاته الاولى بين الشعوب العربية والامبريالية واداتها الرئيسية اسرائيل ، الى عملية اقتلاع وتشريد الشعب العربي الفلسطيني من معظم اراضيه . وذلك نظرا لطبيعة القوى الطبقية العربية الاساسية ، ووجود عامل التجزئة

ونتائجها الخطيرة المشار اليها قبل قليل على فلسطين ، بالاضافة الى الدور التخريبي الذي قامت به الرجعيات العربية .

وتتجسد القضية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني ، اي حقوقه الوطنية في وطنه وحقه في تقرير المصير على ارضه ، من الناحية السياسية في المرحلة الراهنة في حقه الكامل بالنضال جنبا الى جنب مع الشعوب العربية الاخرى (ولا سيما المجاورة) ضد الوجود الامبريالي في فلسطين خاصة والمنطقة عامة .

أما السمات السياسية المميزة للوضع الفلسطيني ، والناجمة عن الجولات الاولى من الصراع ، فهي ان الشعب العربي الفلسطيني بات يعاني ، في غالبيته ، صنوفا حادة متداخلة ، من القهر الوطني والاجتماعي والمعيشي لا تعانيها بنفس الحدة والدرجة الشعوب العربية الاخرى المجاورة لفلسطين . وهذا مما يضع ، في التحليل النهائي ، موقع الشعب الفلسطيني من الحركة الاستيطانية الصهيونية الامبريالية ، التي سلبته الارض والتكوين الاجتماعي ـــ السياسي ، في موقف التناقض المطلق معها وفي مختلف المجالات والاصعدة التاريخية والسياسية والايديولوجية .

وعليه ، فان **القانون الاساسي المحرك للنضال الفلسطيني (ولا سيما بعد ١٩٤٨)**، هو ان الغالبية العظمى من هذا الشعب العربي لا تستطيع ، بحكم نتائج وآثار عملية الاقتلاع من الارض وما تلاها من تداخل القهر الوطني والاجتماعي معا ، ان تؤجل عملية الدخول والاسهام المباشر في الصراع والنضال ضد الصهيونية والامبريالية . فالشعب العربي الفلسطيني هو ، مثلا ، الى جانب الناصرية في تناقضها النسبي ، ابان مرحلة صعودها ، مع علاقات النفوذ والسيطرة الامبريالية والوجود الصهيوني. وهو ، في المقابل ، على استعداد ان يكف عن ولائه للناصرية او سواها من الاتجاهات والحركات السياسية العربية والفلسطينية الاخرى عندما يبدأ يتقلص حجم تناقضها مع الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة .

فلقد « طبع جماهير الشعب الفلسطيني بنوع من العنف والحدة، وبسرعة الاستجابة للتضامن مع اي نضال عربي ضد الاستعمار ، وبتأييد اي حركة وحدوية في الوطن العربي ، وعدم قبول الحلول الوسطية ، بسبب اقتناع الجماهير تاريخيا بعقم تلك الحلول ، مما ادى الى انغراس هذا الاتجاه بشكل مرضي في بعض الظروف ، ففقدت (الجماهير) صفة المرونة احيانا ، كما اتصفت جماهير الشعب بالحذر نتيجة التضليل الطويل الذي مارسته قيادة الحركة الوطنية في فلسطين (قبل عام ١٩٤٨) »(٣٥).

ونحن نلاحظ ، في هذا الصدد ، ان النضال الفلسطيني الذي فجرته حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) عام ١٩٦٥ ، قد برز الى حيز الوجود المؤثر حين بـدأت الحركات والقوى السياسية الممثلة لرأسماليات الدولة تميل (بحكم حركة قوانينها الطبقية الداخلية) الى المهادنة مع الامبريالية وأدواتها في المنطقة .

ففي بداية ومنتصف الستينات ، وبعد فشل تجربة الوحدة الاولى بين مصر وسوريا، شهدت المنطقة تراجعا واضحا للحركات والقوى السياسية البورجوازية من خلال طرح « وحدة الصف » بدل « وحدة الهدف » وتحول شعار النضال ضد الوجود الصهيوني من مسألة الاعداد الحقيقي للتحرير الى مسألة تحويل روافد نهر الاردن . وليس من قبيل المصادفة العابرة ان تشهد الساحة الفلسطينية في هذه الاثناء ولا سيما خلال عامي ٦٤ ـــ ١٩٦٥ ظهور ما يزيد عن ٤٠ تنظيما سياسيا فلسطينيا ، وصل عددها ، بعد عمليات التوحيد والدمج والحل ، الى حوالي ١١ تنظيما بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ثم الى العدد الاساسي الحالي اليوم .

محاولات طمس الشخصية الوطنية النضالية الفلسطينية

وهنا علينا ان نوضح طبيعة الموقف الذي قامت به الانظمة العربية ، قبل البداية الجديدة للثورة الفلسطينية مطلع ١٩٦٥ ، تجاه طمس الشخصية الوطنية النضالية الفلسطينية والحاقها في فلك سياساتها . فالرجعية العربية بعد هزيمة ١٩٤٨ ممثلة ، بصفة خاصة ، بالنظامين الاردني والملكي في مصر ، عمدت الى اقتطاع الاجزاء المتبقية من فلسطين (الضفة ، غزة) والحاقها ، بأشكال متفاوتة بالاطار السياسي لأنظمتها .

ولم تسع الانظمة العربية الاخرى ، فيما بعد ، الى ابراز ودعم الشخصية الوطنية النضالية الفلسطينية ، بل اتجهت الى احتوائها ضمن الخط العام لسياساتها الرسمية المعلنة من جهة ، ومن خلال حركاتها واحزابها وتياراتها السياسية البورجوازية التي كانت تطرح في غالبيتها شعارات الوحدة والتحرر وتحرير فلسطين والاشتراكية من جهة ثانية .

وقد لاقت هذه الشعارات استجابة نضالية عالية من قبل جماهير الشعب الفلسطيني بحكم كون هذه الشعارات هي الشعارات المركزية لنضال الجماهير العربية . ولكن الفرق الجوهري، هنا، ان هذه الشعارات كانت مطروحة منزاوية المنظور الايديولوجي والبرنامج السياسي للبورجوازيات . وذلك في مرحلة صعودها وتناقضها ، النسبي ، مع المصالح والمواقع الامبريالية في المنطقة العربية .

وبعد هزيمة ١٩٦٧ سعت السياسات البورجوازيات العربية الى تشجيع وتأييد النضال الوطني الفلسطيني من أجل امتصاص النقمة الجماهيرية من جانب ، والى محاولة توجيه هذا النضال وحصره ليأخذ طابع النضال فقط ضد اسرائيل . وذلك في محاولة منها لاستخدامه كورقة ضغط في المساعي المبذولة لابرام التسوية مع الامبريالية والصهيونية .

الا ان ما يهمنا توكيده ، هنا ، ان النضال الوطني الفلسطيني المستقل انطلق عام ١٩٦٥ مجددا بعد الاخفاقات (التي لها جذورها الطبقية — السياسية الداخلية) التي منيت بها مسيرة النضال الوطني التحرري من خلال المنظور والسياسة البورجوازية . ذلك النضال الذي انخرط فيه الفلسطينيون بحماسة فائقة ضمن اشكاله وأطـــره التنظيمية وآفاقه السياسية المتاحة وقتها .

وقد كان أهم ما يطرحه انطلاق النضال الوطني الفلسطيني المستقل ، هو قضية التعبير السياسي القوي عن وضع غالبية قطاعات الشعب الفلسطيني، فهي لا تستطيع ان تتحمل مسألة تأجيل او تخفيف احتدام الصراع مع الامبريالية والصهيونية والرجعية.

ومن جهة ثانية ، ادى ظهور حركة المقاومة الفلسطينية عام ١٩٦٥ الى النتـــائج الايجابية الاساسية التالية :

١ — ابراز الشخصية والهوية الوطنية النضالية الفلسطينية ، (أ) كقضية شعب (لا قضية لاجئين) له حقه في تقرير المصير ، (ب) كقضية تحرر وطني استطاعت ان تلعب دورا مؤثرا في النضال ضد اسرائيل والامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة ، كما استطاعت ان تفرض نفسها بالكفاح والنضال على الساحتين العربية والدولية .

٢ — بعث الروح الكفاحية الصدامية الوطنية الفلسطينية في أعلى أشكال نضالها من خلال ممارسة أسلوب الكفاح المسلح لانتزاع حقوقها . وقد ساهم بعث هذه الروح الصدامية الكفاحية ، التي اكتسبها الشعب العربي الفلسطيني في خضم نضاله الطويل العنيد في مواجهة الصهيونية والامبريالية ، في نشر وتعزيز تقاليد الفداء والتضحيـــة الوطنية على نطاق جماهيري عربي واسع .

٣ ــ بث عدد من الافكار الثورية في صفوف الجماهير ، كان أبرزها الفكرة القائلة ان حل المسألة الوطنية (انجاز مهام الاستقلال الاقتصادي والسياسي) انما يتم عن طريق تعبئة الشعب وتسليحه والدور الفعال الذي يقوم به في خوض الصراع .

٤ ــ تطوير الخبرات القتالية العسكرية لدى قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية بصفة خاصة ، والجماهير العربية بصفة عامة .

٥ ــ لحم وتعبئة الشعب العربي الفلسطيني المشتت في بنى واطر سياسية تنظيمية ، (مهما كانت أوجه القصور في بنائها السياسي والمآخذ عليها) ، فهي قد لعبت دورا ايجابيا في تنظيم جزء لا يستهان به من طاقات وفعاليات الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة الصهيونية والامبريالية .

أبرز المعضلات والمهام الاستراتيجية

الا ان ابرز المعضلات والمهام الاستراتيجية التي يواجهها هذا النضال لكي يتصاعد ويلعب دورا أكبر هي : ١ ــ مسألة الاجابة عن كيفية التنسيق الوطيد مع النضال الجماهيري الثوري في البلاد العربية الاخرى . وذلك على ضوء المعطيات الواقعية والتطورات السياسية والاعتبارات التكتيكية التي تفرضها وتمليها طبيعة كل مرحلة سياسية . ٢ ــ مسألة النضال الدؤوب المستمر للملاءمة بين طرح وممارسة أعلى أشكال النضال (أسلوب الكفاح المسلح) وبين أعلى الاشكال السياسية ــ التنظيمية والايديولوجية القادرة على صيانة هذا النضال واستمراره ودفعه الى الامام .

وبصدد مركزية وأهمية التنسيق الوطيد بين النضال الوطني الفلسطيني والنضال الجماهيري في البلاد العربية ، فاننا نتساءل عن مدى توفر الشروط والامكانيات الموضوعية والسياسية التي ستجعل الشعب الفلسطيني، بقواه الذاتية وحدها كعنصر رئيسي ، من تحقيق اهدافه الوطنية الاساسية وعلى مراحل . وذلك بدون عملية الترابط النضالي الجدلي مع نضال الجماهير العربية (من المنظور الاشتراكي لا البورجوازي للنضال) المعادي للصهيونية والرجعية وللامبريالية في مختلف أشكال وجودها ونفوذها ومصالحها وللعوامل والقوى السياسية المعيقة التي تحول بين الجماهير العربية وبين تصفيتها النهائية للوجود والمصالح الامبريالية من المنطقة العربية .

والواقع انه بعد هزيمة ١٩٤٨ ضعفت أكثر مقدرة الشعب العربي الفلسطيني المستقلة على تحقيق انتصار حاسم على الصهيونية والامبريالية . اذ تم فقدان هذا الشعب للمصادر الاساسية لقوته المادية . فهناك حوالي ٧٠٪ من الشعب الفلسطيني يعيش خارج موطنه الاصلي بلا ارض ولا مقومات مادية اجتماعية سياسية كافية لكي تكفل له بقواه وحدها توفير عامل الحسم التاريخي تجاه استعادة حقوقه المغتصبة .

فمن الناحية السكانية لم يعد الشعب الفلسطيني يشكل الاغلبية السكانية على ارضه وكما كان الحال قبل عام ١٩٤٨ . ومن الوجهة العملية تؤثر تأثيرا قويا في الغالبية السكانية التي اقتلعت من فلسطين الشروط السياسية والاقتصادية التي تمليها طبيعة الاوضاع والنظم السياسية العربية المتفاوتة النضج والاشكال في الاقطار التي يعيش فيها الفلسطينيون .

وحاليا يتوزع الشعب الفلسطيني ، بشكل اساسي ، على الوجه التقديري التالي بالارقام التقريبية : الاردن : مليون نسمة ، فلسطين الوسطى : ٦٥٠ الف نسمة ، غزة : ٤٥٠ الف نسمة ، فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ : ٤٠٠ الف نسمة ، لبنان : ٣٥٠ الف نسمة ، سوريا : ١٨٠ الف نسمة ، الكويت : ١٨٠ الف نسمة ، المهاجر الاجنبية

المختلفة (مع الهجرة قبل ١٩٤٨) : ٧٥ الف نسمة ، السعودية ودول الخليج : ٧٥ الف نسمة ، مصر : ٣٥ الف نسمة ، ليبيا : ٣٠ الف نسمة ، العراق : ٢٠ الف نسمة .

ويضاف الى عامل التوزع الجغرافي — السكاني ، تعرض قسم غير ضئيل من الفلسطينيين الى الانتقال من مكان لآخر في البلدان العربية ولا سيما النفطية منها ، وذلك طلبا للعمل . هذا الى جانب صعوبات امتلاك الشعب الفلسطيني لحرية العمل السياسي الواسعة والمساهمة النشطة في القتال على نطاق أكبر ، دون توفر اوضاع عربية ملائمة ومشجعة. كما ان تنوع وتفاوت الاوضاع العربية السياسية والاقتصادية التي يعيش تحت ظلها الفلسطينيون (الى جانب الذين يرزحون تحت نير الاحتلال الصهيوني) تملي ضرورة توفير توجهات سياسية مركبة واشكال نضالية ملائمة .

وهذا مما يبين لنا مدى صعوبة تمكن الفلسطينيين وحدهم من حسم الصراع نهائيا مع عدو صهيوني متفوق من النواحي التكنولوجية والعسكرية ، وتقف خلفه الامبريالية الاميركية بكل امكاناتها .

ان الشعب العربي الفلسطيني ازاء هذه المعادلة الصعبة وغير المتكافئة سيكون عرضة ، بالفعل ، للتصفية والانقراض والتشرذم والذوبان التدريجي ، لولا كانت قضية الصراع ضد الهجمة الصهيونية الامبريالية تستهدفه او تقع على عاتقه وحده بشكل رئيسي .

الا ان الصعوبات الموضوعية والسياسية التي يواجهها النضال الوطني للشعب العربي الفلسطيني لا تعني المطالبة بنفي دوره او الغائه واستبداله بنضال قومي « أكبر » ، كما كان الحال سابقا الى حد بعيد قبل ظهور المقاومة الفلسطينية ، وكما يتم طرح ذلك احيانا ، في هذه المرحلة ، من زاوية الفكر البورجوازي القومي . بل انه ينبغي العمل على : ١ — تعيين طبيعة التأثير السياسي الجدلي المتبادل بين النضال الوطني لجماهير الشعب الفلسطيني وبين النضال الثوري للجماهير العربية ، وذلك في ضوء ما تمليه طبيعة كل مرحلة سياسية من مراحل النضال الثوري التحرري في المنطقة . ٢ — كما ينبغي ، بالمقابل تحديد طبيعة الهوية السياسية الطبقية والايديولوجية لترابط النضال القطري الفلسطيني والعربي القومي الثوري تجاه خوض معارك الصراع الاساسي في المنطقة العربية .

والواقع انه عن طريق التحالف الثوري الاستراتيجي الوطيد بين حركة المقاومة الفلسطينية ونضال الجماهير العربية وتغيير نسبة القوى الطبقية العربية لصالح القوى الوطنية الثورية ، ومن خلال التحالف الثابت مع العالم الاشتراكي ، سيتمكن الشعب الفلسطيني من اقامة سلطته الوطنية ، ولو كبداية ، على جزء صغير من أرضه.ولكن ذلك يمر، في اللحظة السياسية الراهنة، بالنضال ضد خط الردة الوطنية، أي في مواجهة ما يفرزه الخط والنهج البورجوازي في حل المسألة الوطنية ضمن اطار علاقات التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية . ذلك النهج (المدفوع بحركة قوانينه الداخلية وطبيعته الطبقية الى مرحلة هبوطه بافلاسه وعجزه التاريخي والسياسي) والذي يحاول حصر القضية الوطنية في استرجاع بعض الاراضي العربية المحتلة عن طريق ما يسمى « بالضغط » الاميركي على اسرائيل، وذلك في مقابل التخلي اكثر فأكثر عن أسس الاستقلال الاقتصادي والسياسي .

ان الضرورة الوطنية تقتضي ، في هذه الآونة ، التوكيد والتكرار على حقيقة ان الامبريالية الاميركية ، من خلال اداتها الاساسية في المنطقة (اسرائيل) ، لا تستهدف مجرد احتلال الاراضي العربية من أجل التوسع والعدوان بحد ذاتهما فحسب ، بل

بوظيفة التوسع والعدوان في خدمة مخططات الاستراتيجية الاميركية في المنطقة ، حيث تلعب اسرائيل دورها الاساسي في خلق حالة من التهديد العسكري شبه الدائم تؤدي الى استنزاف الطاقات والقوى في مراكز الثقل السياسية العربية الاساسية ، ومنعها من تشكيل قوة سياسية عربية موحدة من جهة ، والى تمكين الامبريالية من استمرار سيطرتها السياسية ، وبالتالي ، على مقدرات وثروات المنطقة وخاصة النفط من جهة ثانية .

فالامبريالية الاميركية من جانبها « تضغط » من خلال اسرائيل (وليس على اسرائيل كما يتوهم ذلك البعض من خلال استقراء بعد الظواهر الثانوية) من أجل المساومة ببعض الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل بهدف توفير شروط أفضل من التبعية في البلاد العربية .

واذا كانت بعض أشكال وحلقات التسوية الراهنة تفرض ضرورة الملاءمة والتوفيق (غير المجاني بالطبع ولا المتوازن) بين مصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة وبين الاهداف الخاصة للكيان الصهيوني (لا سيما فيما يتعلق بالاراضي) ، فان هذا لا يعني البتة ان الامبريالية الاميركية على استعداد — مهما أبدى البعض من تنازلات للامبريالية — على اتباع سياسة شبه « متوازنة » في المنطقة والتفكير بالتخلي عن عصاها الغليظة الجاهزة لممارسة دورها لخدمة علاقات التبعية للامبريالية الاميركية .

وعلى عكس مما يتصور البعض ، فان الولايات المتحدة لم تغير من قاعدة سياستها الاساسية في المنطقة العربية ، بعد حرب تشرين .

وتقوم هذه السياسة على قاعدة ان تكون اسرائيل قوة قادرة على تهديد أو ضرب مجموع القوى العربية المحيطة بها ، وبالتالي ، المحافظة على التخلف والتجزئة والنظم الرجعية ، فقد ذكر ، فورد ، بعد حرب تشرين مباشرة ، حين كان نائبا لنكسون : « ان اسرائيل القوية هي الضمانة الوحيدة لبقاء حكومات مسؤولة في المناطق الغنية بالنفط كالتي في الشرق الاوسط » . (ر.آ.أ. ، رقم ٥٢٤) .

وبعد الزيارة التي قام بها نيكسون لاسرائيل في حزيران ١٩٧٤ كتب المعلق السياسي لصحيفة « دافار » الصهيونية معلقا على الزيارة : « لقد عبَّر (نيكسون وكيسنجر).. عن خط سياسي صريح أساسه ان **اسرائيل قوية** ، متطورة ، متمتعة بالامن ، **وذات قوة رادعة مؤثرة** ، فقط ، ستكون قادرة على ان تأخذ على نفسها مخاطرات في الطريق الطويل المليئة بالعراقيل نحو تهادنات وتسويات ليست سهلة . وقد وقفا (يقصد نيكسون وكيسنجر — الكاتب) الى جانبها بكل وزن الولايات المتحدة . وينطوي هذا الامر على عودة وتعزيز واضحين وصريحين **للخط السياسي الذي صمد في الاختبار ، والتي كسبت منه الولايات المتحدة كثيرا ، واستعانت به عند عودتها للشرق الاوسط .** ولكنه ينطوي ، ايضا ، على الاعتراف بأنه **اذا ضعفت اسرائيل ... ستتقهقر كل الاستراتيجية الاميركية الى الوراء** »(٢٦).

وفي الفترة نفسها ، كتب شلوم روزنفيلد في صحيفة « معريب » الصهيونية مؤكدا الفكرة نفسها « **... مفهوم اسرائيل قوية لا يزال أحد اركان السياسة الاميركية الخارجية ، وبأن واشنطن ستكون مستعدة ، ايضا ، في المستقبل لتجسيد هذا المفهوم بصورة عملية جدا ..** »(٢٧).

والواقع ان التعهدات الاميركية الاخيرة بضمان تزويد اسرائيل بما يزيد قيمته عن سبعة مليارات من الدولارات خلال السنوات الخمس المقبلة تدل بشكل قاطع على

« ان الولايات المتحدة لا تزال تعتبر ان اساس سياستها في المنطقة هو مبدأ « اسرائيل قوية » الذي يقابل بالضرورة مبدأ « منطقة عربية ضعيفة متخلفة مفككة »(٣٨).

وبخصوص توضيح دوافع المساعدات الامريكية لاسرائيل كتب شمشون أرليخ المعلق السياسي لصحيفة هارتس الصهيونية في ١٩٧٤/٦/٢٣ : « **قال احد الرجال المركزيين في الدولة** ممن يعتنون بهذه الشؤون منذ سنوات عديدة ، عن هذا الدعم العسكري الخاص : لا تصدق من يقول لك انه قد احرز او انه قد اثر عليهم (يقصد الامريكان — الكاتب) لكي يبعثوا الاسلحة . **لقد كان من شأن الامريكيين ان يبعثوها لنا حتى لو كنا لا نريدها** . وعلى حد قوله **كان ذلك بمثابة قرار اميركي ذاتي ومحلي** في اطار ما يبدو لهم كصراع عالمي دولي »(٣٩).

ومن هنا ، فمن الوهم التصور « ان المعضلة الاساسية التي تواجه الولايات المتحدة في المنطقة العربية .. تكمن في كيفية احلال السلام بين الدول العربية واسرائيل . فاستراتيجيو الولايات المتحدة « مطمئنون » تماما الى ان مثل هذا السلام غير وارد . وتنبع الاستحالة المطلقة لقيام سلام حقيقي بين الاقطار العربية واسرائيل من كون الشرط الاساسي لقيام مثل هذا السلام يستند على تجريد اسرائيل من كونها « قوة عسكرية متفوقة » . ان تحقيق هذا الشرط لا يلغي المؤسسة العسكرية الصهيونية ولكنه يلغي الوجود الصهيوني بأكمله ، اذ يستحيل تصور « دولة يهودية » في فلسطين بدون مؤسسة عسكرية تملك تفوقا ساحقا على مجموع القوة العسكرية الموجودة في المنطقة المحيطة بها . ان مستقبل المنطقة — ضمن تركيبتها الحالية ، وضمن موازين القوى العالمي والمحلي القائم — لن يكون سوى سلسلة من الحروب تتخللها هدنـات تقصر او تطول .. (و) عندما يكون تفوق « اسرائيل » العسكري واضحا ومعترفا به ومضمونا لفترة طويلة من الزمن،فان الولايات المتحدة لا تعتبر انها تواجه معضلة»(٤٠).

وعليه ، يتعين عدم التعويل ، في المرحلة السياسية الراهنة ، على المنطق القائل بامكان ممارسة « ضغط » اميركي على اسرائيل لكي تنسحب من كل او معظم الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ .

ذلك لانه كما بينا ، آنفا ، ان الهدف الامبريالي الاستراتيجي من انشاء الكيـان الصهيوني ودعمه يتجسد في وضع المنطقة العربية في حالة من التهديد العسكري شبه الدائم بغية صرف الاهتمام عن نهب الثروات النفطية ، واشغال مراكز الثقل الحضارية والسياسية العربية الاساسية في المنطقة واستنزاف طاقاتها ومواردها ومنعها من توظيفها في خدمة التنمية والسعي لتحقيق الوحدة العربية ومن تشكيل قوة سياسية قادرة على تهديد وضرب المصالح الامبريالية الاستراتيجية في هذه المنطقة . والا ، يحق لنا التساؤل ، ما هي الغاية الامبريالية البعيدة المدى من انشاء وخلق الكيان الصهيوني في وقت كانت فيه معظم بلدان المنطقة العربية ترزح تحت السيطرة الامبريالية بمختلف أشكالها ؟. ومن الاجابة على السؤال تتجلى المكانة المركزية التي تمثلها المشـكلة الفلسطينية من طبيعة الصراع الاساسي في المنطقة العربية .

المكانة المركزية للقضية الفلسطينية ودورها في الصراع الاساسي بالمنطقة

ان المكانة المركزية التي تحتلها القضية الفلسطينية في مجرى نضال الطبقات الكادحة للشعوب العربية ضد علاقات وعوامل التبعية الامبريالية ، تؤهلها لان تلعب ، كعنصر تفجير ، دورا ثوريا وهاما في توسيع جبهة الصدام الجماهيري الوطني . وذلك نظرا لارتباط هذه القضية ، في واقع ووعي الجماهير العربية ، في آن معا ، بالسـيطرة

الامبريالية المباشرة من خلال مشروع الاستيطان الاستعماري الصهيوني ، ولما مثلته اسرائيل على الدوام كأداة امبريالية من استنزاف هائل للاوضاع والامكانات والطاقات العربية بهدف الابقاء على التخلف والتجزئة وعرقلة أي نهوض وطني بشن الاعتداءات والحروب المتتالية ، وما يشكله ذلك كله من تحد حضاري وسياسي واستفزاز كبير للمشاعر الوطنية .

وهذا مما يقودنا بالفعل ، الى الاستنتاج بأن تحرير فلسطين ، او اجزاء منها ، انما مرتبط ارتباطا جدليا وعميقا بتحرر المنطقه من مختلف اشكال التبعية .

---

١ — عبد الوهاب الكيالي ، **تاريخ فلسطين الحديث** ، (بيروت المؤسسة العربية)، الطبعة الاولى ١٩٧٠ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

٢ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، **الصهيونية نظرية وممارسة** ، (بيروت : دار الطليعة) ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٤ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

٣ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١١٨ .

٤ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، **المصدر السابق** ، ص ٦٧ .

٥ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، **المصدر السابق** ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

٦ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

٧ — الدكتور كامل محمود خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني** ، (بيروت : مركز الابحاث ، ١٩٧٤)، ص ٥ .

٨ — **المصدر السابق** ، ص ٦ ، ٧ .

٩ — **المصدر السابق** ، ص ٦ .

١٠ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ٥١، ٥٢.

١١ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

١٢ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦١ .

١٣ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

١٤ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٦ .

١٥ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

١٦ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٧ .

١٧ — ناجي علوش، **المقاومة العربية في فلسطين**، (بيروت : دار الطليعة) ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ ، ص ٨٤ .

١٨ — علوش ، **المصدر السابق** ، نفس الموضع .

١٩ — **مجموعة الشهادات والمذكرات المقدمة الى لجنة التحقيق الانكلوأميركية المشتركة حول قضية فلسطين**، اعداد وجمع جميل الشقيري، (يافا: مطبعة النجاح التجارية ، ١٩٤٦) ، ص ١٦٦.

٢٠ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٩١ .

٢١ — حمدان حمدان ، **اسرائيل وتحويل الاردن**، دار دمشق للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ) ، ص ١٩ .

٢٢ — علوش ، **المصدر السابق** ، ص ١٥ .

٢٣ — خلة ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

٢٤ — خلة ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٨ .

٢٥ — علوش ، **المصدر السابق** ، ، ص ٢٥ .

٢٦ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٣ .

٢٧ — الكيالي ، **المصدر السابق** ، جدول رقم ٩، ص ٤٢٠ .

٢٨ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، **المصدر السابق** ، ص ٨٠ .

٢٩ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٩ .

٣٠ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٣/٧ .

٣١ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٧/٢٠ .

٣٢ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٧/٢٣ .

٣٣ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/١١ .

٣٤ — خطاب الاخ ابو عمار في الجمعية العامة للامم المتحدة ، الصحف ١٩٧٤/١١/١٤ .

٣٥ — خلة ، **المصدر السابق** ، ص ٩ .

٣٦ — **دافار** ، ١٩٧٤/٦/١٨ .

٣٧ — **معريب** ، ١٩٧٤/٦/١٦ .

٣٨ — **نشرة الارض** ، دمشق ، العدد (٢—٣)، ٧٤/١٠/١٥ ، ص ١٢ .

٣٩ — **هآرتس** ، ١٩٧٤/٦/٢٣ .

٤٠ — **الارض** ، العدد ٤، ١٩٧٤/١١/٧، ص٥.

عشر سنوات من الصراع بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عيسى الشعيبي

شكلت ولادة منظمة التحرير الفلسطينية ، انعطافا هاما في مسيرة القضية الفلسطينية ، وفي الحياة السياسية للشعب الفلسطيني. وتتبدى اهمية كل ذلك الآن ، بعد عشر سنوات على ولادة المنظمة عام ١٩٦٤ ، في التحولات النوعية التي طرأت على الوضع السياسي والقانوني للشعب الفلسطيني ، وفي التبدلات الهامة الاخرى التي جدت على علاقاته وفي موقفه بين أطراف الصراع بشكليه الرئيسيين : السياسي والعسكري ، في منطقتنا هذه . وتعتبر بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية ، خلال مسيرة السنوات العشر السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، واكتساب الشخصية هذه ، شرعية واعترافا دوليا متزايدا بها ، أهم انجازات المنظمة منذ قيامها .

وخاضت منظمة التحرير الفلسطينية جانبا أساسيا من صراعها لتحقيق ذلك ، ضد عملية التبديد والمصادرة للهوية الذاتية للشعب الفلسطيني من قبل الحكم الاردني . وفي أغلب المراحل التي قطعتها القضية الفلسطينية خلال السنوات العشر الماضية على هذا الصعيد، كان نضال منظمة التحرير الفلسطينية لتعزيز وضعها السياسي والقانوني موجها ، بالاساس ، ضد محاولات الحكم الاردني سلب منظمة التحرير دورها ومحتواها الوطني ، وسلبها الحق في قيادة الكفاح الفلسطيني ، السياسي والعسكري ، الى آفاقه الوطنية . وبالتالي ، فان تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية في السنوات العشر الماضية ، يعتبر في جانب رئيسي منه ، تاريخ صراع بينها وبين الحكم الاردني ، صعد في أحد أهم مراحله الى مرتبة الصدام الدموي الشامل . وبالنظر الى الاهمية البالغة لهذا الجانب من تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية ، سوف يقتصر موضوعنا هذا ، على تتبع ودراسة مراحل سنوات الصراع العشر الماضية، بينها والحكم الاردني ، لما له من آثار سياسية هامة على حياة الشعب الفلسطيني وقضيته السياسية .

لم تسر دفة الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكم الاردني على وتيرة واحدة. بل اختلفت أدوات الصراع وطبيعته وأشكاله ، باختلاف الظروف الموضوعية والذاتية التي مرت بها القضية الفلسطينية . ويمكن تقسيم تلك الفترة الحافلة بالتفاصيل وجزئياته ، الى المراحل الاساسية التالية : **اولا** : المرحلة الممتدة من العام ١٩٦٤ الى العام ١٩٦٧ ، وهي الفترة التي شهدت ولادة منظمة التحرير ووقوع حرب حزيران . وفي هذه المرحلة قاد النظام الاردني زمام صراعه ضد منظمة التحرير الفلسطينية ، تحت شعار : « الاردن بلد الحشد ومنطلق التحرير » ، للحيلولة دون خطر ازدواجية الولاء السياسي للفلسطينيين في الاردن ، والحد من تطلعاتهم الى بلورة ذاتهم الخاصة . **ثانيا** : المرحلة الممتدة من العام ١٩٦٧ وحتى العام ١٩٧٠ ، وهي الفترة التي ابتدأت مع انتهاء حرب حزيران ، وبداية مجازر ايلول الشهيرة . وفي هذه المرحلة استطاع

الشعب الفلسطيني ، عبر اطلاقه الكفاح المسلح واتخاذه الضفة الشرقية قاعدة ارتكاز له ان يقود الصراع من جانبه ضد محاولات التبديد والمصادرة ، وان يتعرف على هويته الذاتية المتصادمة مع الحكم الاردني ، من خلال عدة معارك يومية ورئيسية طوال تلك الفترة . **ثالثا** : المرحلة الممتدة من العام ١٩٧٠ وحتى صدور قرارات قمة مؤتمر الرباط في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ . وهي الفترة التي خاضت فيها المقاومة الفلسطينية معارك البقاء السياسي ومن ثم التمثيل الشامل للشعب الفلسطيني ، الى ان انتزعت ذلك نهائيا خلال انعقاد مؤتمر قمة الرباط الاخير .

[١] معركة الظهر المكشوف

تطلع الشعب الفلسطيني منذ اوائل الستينات ، الى أخذ زمام قضيته بيده ، بعد ان عجزت الوصاية الرسمية العربية على قضيته ، ان تقدم حلا لمعضلته الوطنية . وكان انتصار ثورة الجزائر ، **التي قام بها الشعب الجزائري** ، الهاما حقيقيا للشعب الفلسطيني وهاديا له في سعيه الدائب لتحقيق شعاره الدائم : التحرير والعودة . كما كان وقوع الانفصال بعد اول تجربة وحدوية معاصرة بين مصر وسورية ، هزة حقيقية في وجدان الشعب الفلسطيني ، وبالتالي دعوة له لاعادة النظر في المسلمة المعبر عنها بشعار : الوحدة طريق التحرير والعودة .

على هدي هذين الحدثين الهامين ، بدأ الفلسطينيون بالبحث عن مخرج خاص بهم ، لحل معضلة النفي والتشتت واللجوء خارج الوطن . وظهرت خلال تلك الفترة عدة **منظمات فلسطينية** ، كتعبير عن ردة الفعل الفلسطينية تجاه حادثي الانفصال وانتصار الثورة الجزائرية .

من هنا ، فان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، في ظل الرسمية العربية، لم يكن أكثر من استجابة لتطلع الشعب الفلسطيني الى أخذ دور خاص به لتحقيق شعار المرحلة : التحرير والعودة . الا ان ذلك لم يعن ان الرسمية العربية قد سلمت للشعب الفلسطيني بدوره الخاص وحقه في التعبير عن ذاته الوطنية . وتعتبر موافقة الحكم الاردني على قيام منظمة التحرير الفلسطينية، ومن ثم صراعه ضد بلورة مضامين حقيقية كفاحية للمنظمة ، المثل البارز والهام، على التمسك العربي الرسمي باستمرارية الوصاية على الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية ، ودليلا على الصعوبات التي أقيمت في وجه التعبير السياسي الفلسطيني المحدد : منظمة التحرير الفلسطينية . واذا كان موضوعنا هذا يقتصر على دراسة جانب الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكم الاردني ، فليس لانه المثل البارز والهام على استمرار المحاولات الرسمية العربية فرض وصايتها على الشعب الفلسطيني فقط ، بل لان جملة من الظروف الموضوعية التي تتحكم في هذا الصراع قادت الحكم الاردني بالنتيجة الى الصدام المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية . فاثر حرب العام ١٩٤٨ ضم الحكم الاردني الضفة الغربية الى سلطته ، واصبحت بالتالي « جزءا » من اراضي المملكة الاردنية الهاشمية. وبنتيجة الضم تلك ، اصبح السكان « الاردنيون » من أصل فلسطيني، في مملكة الاردن الجديدة ، يكوّنون اكثر من ثلثي عدد سكان المملكة ... الخ .

كانت ، اذن ، عملية البعث الفلسطينية تصطدم بالضرورة ، بسياسة التبديد والمصادرة للهوية الفلسطينية في الاردن . وهو الامر الذي تنبه له السيد احمد الشقيري مندوب فلسطين لدى جامعة الدول العربية آنذاك ، الذي انتدبه مؤتمر القمة العربي الاول، للاتصال بتجمعات الشعب الفلسطيني والحكومات العربية، لاستشارتهم

حول موضوع الكيان الفلسطيني . وحرصا من الشقيري على تيسير سبل مهمته هذه في الاردن ، صرح لدى وصوله مطار عمان في شباط (فبراير) ١٩٦٤ ، أن مشروع الكيان الفلسطيني الذي قدم الاردن للتشاور من أجله مع الحكومة ومع التجمعات الفلسطينية هناك ، يتضمن نصا صريحا بأن « الكيان الفلسطيني لا يهدف الى سلخ الضفة الغربية عن الاردن ولا ان يمارس سيادة اقليمية »(١). وعاد الشقيري يؤكد على هذا المعنى بوضوح كامل ، في خطابه في المؤتمر الوطني الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس في ايار (مايو) من ذلك العام ، بقوله : « ان انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس ، لا يهدف الى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الاردنية الهاشمية ، ولكننا نهدف الى تحرير وطننا المغتصب غربي القدس »(٢).

استطاع تعريف المنظمة هذا لنفسها ، ان يكسب موافقة الحكم الاردني على انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الاول ، في مدينة القدس ، وافتتاح مكتب رئيسي للمنظمة في المدينة المقدسة ، وان يحصل اعضاء قيادة المنظمة على جوازات سفر اردنية خاصة.

لم تكن انجازات المنظمة هذه ، هي غاية ما انتدبت نفسها له ، بل كانت تلك ، المقدمات الاولى لبداية المسيرة الشاقة والطويلة التي تنتظرها . ورغم ان المنظمة بقيت تعرف نفسها على انها جاءت للتحرير وليس للحكم ، وطرحت شعاراتها بحذر بالغ ، حول التنظيم الشعبي ، واعداد وتعبئة وتنظيم الفلسطينيين، استعدادا للمعركة، فان مطالباتها تلك ، اعتبرت من قبل الحكم الاردني ، مسا خطيرا بالقاعدة الاساسية التي ترتكز عليها سياسته الفلسطينية ، الا وهي ان الاردن « بلد » الفلسطينيين وان سكان مملكة الاردن قد أصبحوا جميعا منذ عام ١٩٥٠ « مواطنين اردنيين » . وهكذا اصطدمت مطالبات منظمة التحرير هذه ، موضوعيا ، بالحكم الاردني وبسياساته القائمة على نفي الهوية الذاتية للشعب الفلسطيني . فبعد مرور سنة على موافقة مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في الاسكندرية في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ على قيام المنظمة ، لم تستطع قيادة منظمة التحرير ان تبقي على خلافها مع الاردن ، الذي بدأ مع بداية قيامها ، سريا . فقد اذاع احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت ، خطابا له من راديو المنظمة من القاهرة ووزع على مختلف الصحف العربية ، تضمن **نقدا** لموقف الحكومة الاردنية الرافض لمطالب المنظمة الخاصة بالتنظيم الشعبي ، وفرض خدمة العلم ، وحرية السفر والاقامة والعمل لابناء فلسطين . وبالرغم من ان مطالب المنظمة هذه ، قد وجدت رفضا من معظم الدول العربية المعنية ، الا ان قيادة المنظمة لم تجد في الرفض الاردني لهذه المطالب مسوغات عملية تتفق وواقع الحال الفلسطيني في الاردن . ففي معرض رد الشقيري على الرفض الاردني لمطالب المنظمة قال في خطابه ذلك : « ففي الاردن بقية وطننا وبقية شعبنا ، وحرام ان يحرم ابناء فلسطين من شرف التحرير ، كائنة ما كانت الاسباب »(٣). الا ان الشقيري الذي كان يخوض مع الحكم الاردني ، معركة الظهر المكشوف ، لم يجد مسعفا له في مواجهة الرفض الاردني لمطالب المنظمة ، غير الاسترسال في حملته الاعلامية . وانطلاقا من انكشاف ظهر المنظمة أمام الحكم الاردني ، لم تتردد الصحف الاردنية ، الخاضعة لاشراف حكومي صارم ، يوما واحدا للرد على خطاب الشقيري ذلك . فهاجمت صحيفة الدفاع مطالب المنظمة في اليوم التالي لاذاعة الخطاب قائلة ، ان الشقيري «يريد ان يتولى الاشراف على استقلال الاردن »(٤)، مشيرة بذلك الى عين المخاوف الاردنية من مطالب المنظمة تلك . وأما صحيفة المنار فقد رفضت مطالب المنظمة قائلة ، ان الاردن « هو موضوع الحشد وخط الدفاع الاول ولن يكون غيره طليعة التحرير »(٥)، مؤكدة بذلك رفض الحكم الاردني

مخاطر ازدواج الولاء الفلسطيني بينه وبين منظمة التحرير الفلسطينية . ولان قيادة المنظمة لم تكن تستند الى دعم شعبي منظم يدعمها في معاركها السياسية ، افتتح وصفي التل رئيس الحكومة الاردنية في ذلك الوقت ، حملته الواسعة على قيادة المنظمة وجهاز اعلامها الاذاعي ، تلك الحملة التي استمرت واتسعت منذ ان عقد التل مؤتمره الصحفي لهذه الغاية في عمان بتاريخ ١١/١٠/١٩٦٥(٦).

لقد خاضت منظمة التحرير صراعها هذا ضد الحكم الاردني بغير أسلحة حقيقية . وكانت حملتها الاعلامية ضده ، تعول على التأييد الفلسطيني لها في الاردن ، وترتكز على انها وليدة التضامن العربي وقرارات مؤتمرات القمة التي يحاول الحكم الاردني نسفها والخروج عليها . من هنا فقد أبقت قيادة المنظمة في كافة مراحل صراعها ضد الحكم الاردني خلال المرحلة هذه ، على بعض الجسور معه ، معتمدة سياسة الباب المفتوح . وانطلاقا من الحرص الاردني على عدم الخروج علانية عن روحية التضامن وقرارات القمة ، فلم يقطع كل خيوطه بالمنظمة ، الا بعد ان انتهت سياسات القمة عقب مؤتمرها الثالث في الرباط ، وبرزت كل التناقضات الرسمية العربية على السطح أواسط العام ١٩٦٦ . فعقب اول خلاف علني بين المنظمة والحكم الاردني ، الذي أفصح عنه خطاب الشقيري المشار اليه ، وبالرغم من ردود الفعل الصحافية والرسمية الاردنية على ذلك الخطاب ، فقد ذهب الشقيري الى عمان ، بعد تدخل وواسطة عربية ، وبقي فيها عشرة ايام ، غادرها الى بيروت ليعلن ان الحكومة الاردنية « رفضت تلبية أي مطلب من مطالب المنظمة في التنظيم الشعبي والتدريب العسكري»(٧). الا ان الوساطة العربية تدخلت مرة اخرى ، واثمرت هذه المرة عن اتفاق وقع في القاهرة بين الشقيري والسفير الاردني ، لم تلب الحكومة الاردنية من خلاله ، اي مطلب أساسي من مطالب المنظمة حول التدريب العسكري وتسليح القرى الامامية والتنظيم الشعبي(٨). الا ان الحكم الاردني سرعان ما تراجع عن موافقته على المطالب الثانوية للمنظمة، حين دعا الملك حسين أعيان ونواب الضفة الغربية وقادة الجيش الى الديوان الملكي بتاريخ ٥/١/١٩٦٦، والقى فيهم خطابا اتهم فيه قيادةالمنظمة بانها تحاول «تفريق وحدة هذا البلد وتمزيق جيشه » . وحدد الملك في خطابه موقف حكومته على النحو التالي : « وبما ان هذا الشعب في هذا البلد هو شعب فلسطين، فلا مجال ولا مكان اذن لاية تشكيلة عسكرية اخرى مهما صغرت لا تخضع لقيادته ولا تحمل شعاراته ولا تنضوي تحت رايته »(٩). وكان يشير بذلك الى مطالبة المنظمة بتشكيل وحدات عسكرية لجيش التحرير الفلسطيني في الاردن .

كانت روح سياسات القمة، في هذه المرحلة ، ما زالت سارية. فاستطاعت الوساطة العربية مرة ثالثة التدخل في شباط (فبراير) ١٩٦٦ ، لانجاز اتفاق آخر جديد بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير ، اذيع في اول اذار (مارس) من العام نفسه . وكان هو الاخر غير متضمن لاي من المطالب الرئيسية للمنظمة ، حول تشكيل وحدات جيش التحرير وتسليح القرى الامامية والتجنيد الاجباري والتنظيم الشعبي(١٠).

دخلت السياسات العربية الرسمية ، بعد هذا التاريخ ، مرحلة جديدة ، هي مرحلة انفراط سياسات القمة . وبالتالي فقد دخلت علاقات المنظمة بالحكم الاردني مرحلة جديدة كذلك ، اتسمت بالحدة وانتهت بالقطيعة التامة ، اثر الخطاب الذي القاه الملك حسين بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٦ في عجلون(١١). وجاء خطاب الملك هذا مترافقا مع حملة القمع الواسعة ضد الاحزاب الوطنية في الاردن ، مما بدا معه اتضاح النهج السياسي السافر عن معاداة الحكم الاردني للحركة الوطنية ومنظمة التحرير

الفلسطينية . وقد استمرت هذه المرحلة مليئة بالحملات المتبادلة بين الطرفين ، وبالمزيد من الاجراءات الاردنية المضادة ضد منظمة التحرير ، الى اواخر شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ ، حين بدأت نذر حرب حزيران تلوح في الافق . ففي ذلك التاريخ، عشية الحرب، وصل الملك حسين بعد قطيعة طويلة الى القاهرة ، وعاد معه الشقيري على الطائرة الى عمان ، لتنتهي مرحلة وتبدأ مرحلة جديدة في ظروف صراع منظمة التحرير ضد الحكم الاردني .

[٢] الوجود العلني والسلطة غير المعلنة

كانت لحرب حزيران ١٩٦٧ ، نتائج بالغة الاهمية على الصعيد الفلسطيني . فهي من ناحية، ادت الى وقوع كامل الاراضي الاقليمية الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي، ومن ناحية ثانية ، ادت الى ظهور المقاومة الفلسطينية وتصاعدها والتفاف أوسع الجماهير الفلسطينية حولها .

وأدت هاتان النتيجتان على صعيد علاقة الصراع بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية الى نتائج هامة كذلك. فالحكم الذي خرج مهزوما من الضفة الغربية ، فقد زمام مبادرته في ادارة دفة الصراع ضد منظمة التحرير الفلسطينية . كما أن صعود المقاومة الفلسطينية أعطى للمنظمة مضمونا جديدا ووزنا نوعيا مختلفا . وتبدى ذلك في دخول ممثلين عن حركة المقاومة الى المجلس الوطني الفلسطيني الرابع ، الذي عقد في اوائل العام ١٩٦٨ ، ومن ثم قيادة المنظمة بعد ذلك .

اتسم الصراع بين منظمة التحرير والحكم الاردني في هذه المرحلة بما أفرزته مرحلة ما بعد حرب حزيران على هذا الصعيد . وكانت المنظمة خلال مرحلة الصراع هذه ، تمتلك لاول مرة « ظهرا » حقيقيا في صراعها ضد الحكم الاردني . وقد تمثل ذلك في نمو الجسم المادي لحركة المقاومة ومن ثم تأثيرها السياسي المباشر وتفاعلها مع الجماهير الفلسطينية . ولذلك فان « حرب » الحكم الاردني الاعلامية على منظمة التحرير طوال الفترة الماضية ، لم تكن كفيلة وحدها لتحقيق غاياته السياسية في الابقاء على زمام المبادرة بيده . من هنا فقد وجد الحكم الاردني نفسه ملزما بتصعيد مواجهته لمنظمة التحرير الفلسطينية بمضمونها الجديد ، الى مرتبة الحرب الفعلية . وهذا هو بالفعل ما طبع سياسات الحكم الاردني الفلسطينية طوال هذه المرحلة .

فلقد كان اول انذار بالحرب ضد المقاومة الفلسطينية ، في ١٩٦٨/٢/١٠ ، وبعد مضي أقل من ستة اشهر على وقوع حرب حزيران . وبالرغم من عدم حصول الصدام في هذا التاريخ ، الا ان استخدام القوة المادية المسلحة من قبل الحكم الاردني في عملية تطويق قوات المقاومة الفلسطينية في منطقة الكرامة في ذلك التاريخ ، كان مؤشرا فعليا على ما سوف ينتهجه الحكم ازاء حركة المقاومة الفلسطينية . وبالرغم ، ايضا ، من أن مصادر أجنبية قد ذكرت ان محاولة استخدام القوة من جانب الحكم الاردني ضد المقاومة في ذلك التاريخ ، جاءت متجاوبة مع انذار اسرائيلي للحكومة الاردنية بضرورة منع انطلاق رجال المقاومة عبر الاردن الى المناطق المحتلة ، فان اختبار القوة ذلك كان ضروريا من جانب الحكم الاردني ، للتعرف على عناصر الموقف عمليا بعد هزيمته في حزيران . وبالفعل ، فبعد ان اذاع وزير الداخلية الاردني تصريحا جاء فيه ان السلطات الاردنية « ستضرب بيد من حديد كافة العناصر التي تعطي بأعمالها اسرائيل مبررا لممارسة الضغط على الاردن . . . وان الاشخاص الذين يعرضون الاردن لهجمات العدو سيمنعون بعد اليوم من اجتياز الاراضي الاردنية »(١٢). هاجم عدد من الوزراء والمسؤولين الاردنيين تصريح وزير الداخلية ذلك ، واعلن بعض ضباط الجيش الاردني

للصحفيين انهم « لا يستطيعون اطاعة الاوامر التي تقضي باطلاق النار على أخوان لهم . اما سكان المخيمات فقد طالبوا بالسلاح ، لان الرد على الاعتداءات الاسرائيلية لا يكون بالخضوع بل بالاستعداد والتسلح والمواجهة »(١٣).

انتهى اختبار القوة اذن عند هذا الحد ، وتراجع الحكم الاردني بعد اكتشافه عناصر الواقع الجديد في الاردن بعد هزيمة حزيران . الا ان استمرار التهديد الاسرائيلي بالانتقام ، وقيام العدو بعدة غارات انتقامية محدودة من الاردن ، اعطى الحكم الاردني مجددا مبررا للانتقال مرة اخرى الى موقع التصادم مع المقاومة الفلسطينية في ١١/٤/ ١٩٦٨ ، وبعد ان اصبحت المقاومة جزءا رسميا من منظمة التحرير الفلسطينية .

كانت المقاومة الفلسطينية في ذلك التاريخ ، قد اصبحت ذات حضور مادي متنام في الاردن ، بعد معركة الكرامة الشهيرة في ١٩٦٨/٣/٢١ . وكانت ردة الفعل الشعبية تجاه النظام المسؤول عن احتلال الضفة الغربية من قبل اسرائيل ، ما زالت تفعل فعلها لصلحة تيار المقاومة الفلسطينية الجارف . ولذلك فقد كانت حرب النظام الفعلية ضد المقاومة الفلسطينية هذه المرة ، في ١٩٦٨/١١/٤ حربا خاسرة ، خرجت منها المقاومة معززة وضعها السياسي والجماهيري على حساب الحكم الاردني ذاته .

قبل الحكم الاردني ، بعد هزيمته العملية والعلنية الاولى أمام المقاومة الفلسطينية ، التعامل مع الاخيرة كحقيقة واقعة ، في محاولة لتطويقها واحتوائها . ومن هنا فقد شهدت الفترة التالية اجتماعات علنية وبيانات رسمية بين الطرفين . وكان ذلك بمثابة تسليم من الحكومة الاردنية بالامر الواقع المتمثل في وجود قوة مادية حقيقية هي حركة المقاومة الفلسطينية . وكانت أول اتفاقية علنية موقعة بين الطرفين تلك التي عرفت بـ « اتفاقية الاربعة عشر بندا »، التي حاول فيها الحكم كسر شوكة المقاومة وتقييدها بمجموعة المحظورات مثل ، اعلام الجيش الاردني مسبقا بكل عبور لدوريات الفدائيين نهر الاردن ، ومنع الاشتباك مع العدو على مسافة تقل عن خمسة عشر كيلومترا غربي النهر ، ومنع منظمات المقاومة من اعتقال ومحاكمة العناصر التي تتعامل مع العدو ، وحظر استخدام بعض الممرات المؤدية الى فلسطين المحتلة ... الخ(١٤).

لقد بينت اتفاقية الاربعة عشر بندا تلك ، ان الحكم الاردني كان يعمل في تلك الفترة، منطلقا من فكرة الاقرار بالواقع الجديد ومن ثم العمل على تطويقه ، على ان يجعل من المقاومة الفلسطينية مؤسسة اردنية خاضعة لتوجيهاته السياسية .

غير ان حركة المقاومة ، التي لاقت مزيدا من الدعم الشعبي لها في الاردن ، بعد مواجهتها الساخنة الاولى مع الحكم الاردني ، ومزيدا من تقديم الدعم المادي والسياسي من بعض الدول العربية الوطنية ، تجاوزت في مرحلة لاحقة اتفاقية الاربعة عشر بندا تلك ، مشكلة مع تعاظم الالتفاف الشعبي الفلسطيني حولها سلطة ثانية في الاردن . وأصبحت الضفة الشرقية فعلا قاعدة الارتكاز الرئيسية للثورة ضد العدو .

كان طبيعيا اذن ان ينشب الصراع بين السلطتين ، فالسلطة الاردنية عملت من موقع حرصها على استمرار وجودها والحفاظ على هذا الوجود ، الى العمل بكافة الوسائل الممكنة لتكريس بقائها كسلطة فعلية ، وحماية مؤسساتها ووجودها المعنوي. اما حركة المقاومة فقد كانت حريصة هي الاخرى على توسيع قاعدة حريتها في العمل ضد العدو الاسرائيلي ، الامر الذي يستتبع تعبئة وتنظيم وتسليح الجماهير الفلسطينية في الاردن . ومن هنا فقد كان الصدام محتما في النهاية بين السلطتين . ومع ذلك فقد استمر هذا الوضع طوال العام ١٩٦٩ وحتى خريف العام ١٩٧٠ . فما الذي ادى الى تأجيل الصدام حتى ايلول ١٩٧٠ ؟

تأجل الصدام بفعل عاملين رئيسيين ، احدهما ذاتي وثانيهما موضوعي . وتمثل العامل الذاتي ، في ان القوى الرئيسية والمهيمنة في حركة المقاومة ، لم تظهر في تلك الفترة ميلا علنيا للاستئثار بالسلطة وانتزاع مواقعها ، وبالتالي تهديد سلطة الحكم الاردني . وكان ما تجمع لديها من « سلطة » ناجم عن الاحساس بضرورة اتاحة فرص العمل أمامها ضد العدو وحفظ ظهرها من الهجمات الخلفية ، وهو الامر الذي فرض عليها ازدواجية السلطة . واما العامل الموضوعي فقد تمثل في ابتعاد فرص امكانية تسوية سياسية في تلك المرحلة . وبما ان الحكم الاردني ، كغيره من المجموعة العربية المعنية بالتسوية ، كان عاجزا عن تحقيق مخرج لازمة الاحتلال الاسرائيلي ، فقد كان هناك اتفاق عربي رسمي ضمني على ان تبقى المقاومة كورقة ضغط على الاحتلال الاسرائيلي ، من أجل تعديل شروط التسوية مع اسرائيل فيما لو أصبحت ممكنة .

الا ان صعود المقاومة وتنامي وجودها العسكري وبالتالي تأثيرها السياسي ، قد أفقدها هذه الوظيفة منجانب الحكم الاردني والمجموعة العربية المعنية بتحقيق التسوية السياسية في تلك الفترة . فعمد الحكم الاردني في شباط (فبراير) ١٩٧٠ الى شن حملة عسكرية ضد المقاومة ، ليس بهدف استئصالها من الاردن وانما بهدف تحجيمها بما يتفق ووظيفتها السياسية المتفق عليها ضمنا مع المجموعة العربية المهتمة بالتسوية السياسية . فبعد عودة الملك حسين من اجتماع قمة دول المواجهة في القاهرة ، عقدت الحكومة الاردنية اجتماعا حضره الملك ، وشقيقه ولي العهد ، وقائد الجيش ، ومدير المخابرات العامة ، وأصدرت بيانا من اثنتي عشرة نقطة تستهدف بمجموعها تقييد حرية المقاومة واخضاعها لسلطة النظام والحد من تنامي حركتها الجماهيرية وبالتالي استفحال خطرها(١٥). الا ان سرعة وفعالية رد حركة المقاومة ، والموقف الجماعي الموحد الذي اتخذته ازاء ممنوعات الحكم الاردني الجديدة ، أخرج الحكم مرة ثانية مهزوما أمام حركة المقاومة. فوقع بيانا مشتركا مع وفد القيادة الموحدة للمقاومة نص على ان قرار مجلس الوزراء المشار اليه في حكم الملغى ، وعلى سحب الجيش من المدن وضواحيها ووقف أية عمليات مسلحة ، وان يواصل العمل الفدائي حريته الكاملة في التحرك والتنقل، وان يواصل حريته في عملية تعزيز وتسليح الجماهير والتعبئة الوطنية والسياسية لها بكافة الاساليب(١٦).

دفع الانتصار السياسي الذي حققته حركة المقاومة على الحكم الاردني في شباط ، بالوضع الى مرتبة جديدة وخطرة . فمن ناحية اولى ادرك الحكم مدى التهديد الجدي الذي سيتعرض له باستمرار نمو حركة المقاومة وتأثيرها السياسي . كما أدرك انه هو ، هذه المرة ، بغير « ظهر » شعبي ، يقاتل به ومعه ضد ذلك التيار الجارف في الاردن . واما من ناحية ثانية ، فقد رأت حركة المقاومة ان احتمالات التصادم مع الحكم باتت أكثر من مجرد احتمال ، وان تحركات الحكم المتتالية ، تشير الى ما يتجمع في سماء الاردن من نذر خطيرة . خاصة بعد تتالي المؤتمرات العشائرية وظهور قوى عسكرية خاصة ، ابرزها الشعبة الخاصة . ثم توالي حوادث تعرض قطاعات من الجيش الاردني لسيارات ودوريات الفدائيين الفلسطينيين . وهكذا انفجر الوضع مجددا في شهر حزيران (يونيه) ١٩٧٠ ، متخذا طابع الحدة والعنف ، حيث هاجمت قوات الجيش الاردني باعداد وآليات كثيرة ، مواقع المقاومة في عمان العاصمة ، وقصفت بالمدفعية الثقيلة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين . الا ان الصدام الجديد هذا كان في محصلته النهائية هزيمة منكرة للحكم الاردني ؛ انتهت به الى التسليم الكامل

بكافة المطالب العلنية لحركة المقاومة . فقد وافق الملك حسين على الاستجابة العلنية لهذه المطالب ، حين قطعت اذاعة عمان برامجها لتبث رسالة من الملك الى القوات المسلحة ، تليت بالنيابة عنه، أعلن فيها اعفاء اللواء ناصر بن جميل القائد العام للقوات المسلحة الاردنية ، واللواء زيد بن شاكر قائد سلاح المدرعات وكذلك محمد رسول الكيلاني مدير المخابرات العامة ، من مناصبهم جميعا(١٧). ولكن ، هل كان باستطاعة الحكم الاردني أن يتجرع هزيمته القاسية هذه الى النهاية ؟

لقد بدا الحكم الاردني في تصريحات العديد من مسؤوليه ، بعد أحداث حزيران ، وكأنه يسير في اتجاه القبول بنتائج الواقع الجديد في الاردن . غير ان جملة الاجراءات والتدابير العسكرية التي كان يعدها على الصعيد العسكري ، كانت تشير الى عكس ما كان يصرح به كافة المسؤولين الاردنيين ، بعد ان توالى وصول مبعوثي الملوك والرؤساء العرب الى عمان للحيلولة دون توسيع الشقة واراقة المزيد من الدماء . وقد تشكلت في تلك الاثناء لجنة عربية رباعية هدفها ايجاد أسس للتعايش بين الطرفين .

ولم تفلح كل تلك الجهود بالحد من اتساع الشقة وبالتالي الى دفع الطرفين الى الصدام الدموي الرهيب في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . فما الذي عجل بانفجار الموقف والوساطة العربية لم تنه أعمالها بعد في عمان ؟

الى جانب الصمود الذي كانت تبديه حركة المقاومة في كافة معارك الحكم الاردني ضدها ، طوال فترة ما بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، فلقد كان هناك اجماع عربي ، على ان تظل المقاومة تقوم بدورها العسكري الخاص ضد الاحتلال الاسرائيلي ، على ان لا يخترق ذلك الدور سقف الرسمية العربية الساعية الى تحقيق التسوية السياسية . ومن هنا فقد رأت الانظمة العربية في استمرار وجود حركة المقاومة ورقة تكتيكية خاصة تحسن بها شروط التسوية تلك كما اشرنا . الا انه بعد صدام حزيران ١٩٧٠ ، بدا أن المقاومة قد شبت على هذه الوظيفة التي قدرتها لها بعض الانظمة العربية ، واصبحت بالتالي معرقلا للتسوية وليس عاملا تكتيكيا في انجاحها . لذلك فقد عجلت امكانية تحقيق تسوية سياسية ، بعد طرح مشروع روجرز الشهير ، عملية الصدام الحتمي بين المقاومة والحكم الاردني. فمنذ أن قبلت مصر ثم الاردن بمشروع روجرز ورفضته المقاومة ، تتالت الاشتباكات المتقطعة بين المقاومة والحكم الاردني ، الى ان بدأت بدايتها الشاملة ، صبيحة يوم السابع عشر من أيلول ١٩٧٠ ، لتفتح مجرى عميقا جديدا ، ليس بين حركة المقاومة والحكم الاردني فقط ، بل بين الشعب الفلسطيني بمجموعه وبين الحكم الاردني ، طوال الفترة اللاحقة لمجازر ايلول .

[٣] الحسم على ارضية تشرين

كانت نتائج حملة ايلول الدموية ضد المقاومة الفلسطينية ، ذات آثار عميقة على الصعيد الفلسطيني في مستوييه ، العسكري والسياسي . فقد أدت نتائج الحملة هذه وما تبعها من معارك متتالية ، الى انهاء الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن ، وبالتالي فقدان المقاومة لقاعدة ارتكازها الرئيسية في الضفة الشرقية . واثر ذلك بدوره على مستوى الكفاح العسكري الفلسطيني في فلسطين المحتلة وخاصة الضفة الغربية. وادت حملة ايلول وما تبعها من معارك مكشوفة الى تمكين الحكم الاردني من استعادة زمام المبادرة بيده وبالتالي الى تمكينه من الاقدام علانية على الغاء اتفاقيتي القاهرة وعمان ، اللتين تضمنتا الى جانب تنظيم العلاقة اليومية ، بندا نص عليه بروتوكول عمان ، بأن الثورة الفلسطينية هي الممثل للشعب الفلسطيني . وكان الحكم الاردني متلهفا الى الغاء المكاسب السياسية التي حققتها المقاومة طوال فترة تواجدها العلني

في الاردن . فقبل ان ينقشع غبار آخر معركة كبيرة وعلنية بين الجيش الاردني وقوات المقاومة في أحراج عجلون ودبين ، صرح ناطق رسمي أردني بأن حكومته تعتبر ان مفعول اتفاقيتي القاهرة وعمان قد انتهى ، وانه لن تكون هناك اتفاقيات جديدة مع المقاومة(١٨).

أحدثت معارك انهاء الوجود العلني للمقاومة في الاردن ردود فعل عنيفة على الصعيدين الفلسطيني والعربي . فعلى الصعيد الفلسطيني قامت حركة المقاومة بارسال عدة دوريات عسكرية خاصة الى الاردن من الحدود السورية واشتبكت هذه الدوريات مع الجيش الاردني عدة مرات طوال شهري تموز (يوليه) وآب (اغسطس) من العام ١٩٧١ . وعلى الصعيد العربي ، بذلت كل من مصر والسعودية جهودا خاصة ومكثفة لارساء قواعد جديدة للتعايش بين الحكم الاردني وحركة المقاومة . واسفرت تلك الجهود عن عقد مؤتمر جده في خريف العام ١٩٧١ . وكان هدف الحكم الاردني خلال ذلك المؤتمر ليس تصفية علاقاته مع المقاومة التي صفاها بالفعل على الارض في الاحراج ، بل تصفية علاقاته مع الدول العربية ، وذلك بعد أن حجبت كل من ليبيا والكويت المعونة المالية عنه ، اثر المعارك التي شنها لتصفية وجود المقاومة في الاردن.

استمر الحكم الاردني يراوغ في مؤتمر جده ، للحصول على مخرج لازمة علاقاته العربية . غير ان الرصاصات التي أطلقها فدائيو منظمة ايلول الاسود على وصفي التل رئيس الحكومة الاردنية يوم ١٩٧١/١١/٢٨ ، انهت حوارات جده ، واية حوارات أخرى ممكنة بين الحكم الاردني والمقاومة الفلسطينية .

لم تنه معارك صيف العام ١٩٧١ الصراع بين الطرفين . اذ كان على حركة المقاومة بعد هذا التاريخ أن تخوض معارك متعددة ، للمحافظة على استمرار بقائها أولا والمحافظة على مبرر وجودها ثانيا . واستطاعت المقاومة رغم جراحها الثخينة أن تثبت استمرارية وجودها وقدرتها على الفعل ، من خلال قدرتها على مواصلة كفاحها العسكري ضد الاحتلال الاسرائيلي ، ذلك الكفاح الذي اعتبر مبرر وجود حركة المقاومة . الا ان الضعف النسبي الذي حل بحركة المقاومة بعد خروجها من الاردن مكن الحكم الاردني من توجيه معركته ، السياسية هذه المرة ، مع المقاومة ، في الاتجاه الذي يلغي مبرر وجودها على الارض العربية وبين جماهيرها الفلسطينية . فطرح الملك حسين في آذار (مارس) ١٩٧٢ مشروعه الاتحادي الذي عرف باسمه ، وهو مشروع المملكة العربية المتحدة . وقامت اسرائيل من جانبها ، بعد ذلك التاريخ ، باجراء أول انتخابات لمجالس البلديات في الضفة الغربية ، ملحقة بذلك هزيمة سياسية أخرى بالمقاومة ، بعد أن حاولت الأخيرة منع حدوث الانتخابات علانية ووقفت ضد اجرائها .

وعاشت المقاومة بعد ذلك التاريخ في معارك متصلة للدفاع عن النفس في وجه الهجمة السياسية الاردنية ، وفي وجه الهجمة المادية الاسرائيلية عليها . وشهد النصف الثاني من العام ١٩٧٢ ملاحقة اسرائيلية مكثفة لعناصر وقيادات حركة المقاومة شملت العالم بأسره ، وامتدت حتى خريف العام ١٩٧٣ ، أي الى وقوع حرب تشرين الاول (اكتوبر) . وبلغت الملاحقة الاسرائيلية ذروتها في نيسان (ابريل) ١٩٧٣ ، حين استطاعت وحدة اسرائيلية خاصة ، اقتحام عدة مواقع في بيروت واغتيال ثلاثة من قادة المقاومة البارزين ، وعدد آخر من عناصرها .

اختل ميزان القوى المحلية بوقوع حرب تشرين الوطنية . وكان لهذا الخلل على صعيد علاقات الصراع بين الحكم الاردني والقوى المادية للشعب الفلسطيني المنتظمة في منظمة التحرير الفلسطينية ، آثارا هامة ، عكست نفسها على مجرى الصراع العام

في المنطقة ومكوناته الاساسية . اذ انه في الوقت الذي امتنع فيه الحكم الاردني عن فتح جبهته العسكرية مع العدو ، وقام بعد عدة أيام من وقوع الحرب بارسال بعض وحدات جيشه الى الجبهة السورية ، من قبيل رفع العتب كما قال الرئيس السوري حافظ الاسد(١٩)، كانت المقاومة الفلسطينية تفتح جبهة عسكرية ثالثة مع العدو من الحدود الشمالية لفلسطين . وبما ان التحرك السياسي العربي بمجموعه ، تحدد بعد تشرين بالافاق السياسية التي حكمت العمل العسكري ، الا وهي تحقيق تسوية سياسية لمسألة الاراضي المحتلة في حرب العام ١٩٦٧ ، فقد ادى تخلف الحكم الاردني عن المساهمة الفعالة في الحرب ، الى اضعاف موقعه السياسي على خريطة التسوية . بينما ادت المشاركة الفلسطينية الفعالة في الحرب ، الى احتلال منظمة التحرير الفلسطينية ، موقع الشراكة والندية للاطراف العربية التي حاربت لتحقيق تسوية على اساس وطني .

جرى التحرك السياسي للحكم الاردني بعد حرب تشرين ، منطلقا من ادراكه التام لحقيقة ضعف موقفه بين اطراف الصراع،خاصة ضعف موقفه ازاء الطرف الفلسطيني. فعمد ، لتغطية تخلفه عن المعركة العسكرية ، الى اعلان انسجام موقفه السياسي مع الموقف العربي العام ، الذي حدد ملامحه الاولى خطاب الرئيس المصري انور السادات يوم ١٦/١٠/١٩٧٣ . فقد عقد الملك حسين مؤتمرا صحفيا قال فيه : « اننا نعتبر موقفنا جزءا من الموقف العربي العام . وعندما يكون الامر متعلقا بالقضية الفلسطينية وحقوق اهلنا هناك ، فنحن معنيون مباشرة »(٢٠). وترجمة للانسجام الاردني هذا مع الموقف العربي ، وتمسكا منه بحق التفاوض على مستقبل الارض الفلسطينية المحتلة ، جرى تحرك الحكم الاردني في اتجاه تحقيق موقع تفاوضي متوازن له في عملية التسوية السياسية . فطاف مبعوثو الملك حسين معظم العواصم العربية ، ثم قام الملك نفسه بزيارة هذه العواصم .

كان التحرك السياسي الاردني يستهدف تطويق الموقف الفلسطيني ، واستدراج الانظمة العربية الى وجهة النظر الاردنية القائلة ، بأن موضوع تحرير الارض يجب أن يحتل الاهتمام الاول لدى العرب في هذه المرحلة ، وان الخلاف الاردني مع منظمة التحرير الفلسطينية يجب ان يحل داخل جدران البيت العربي(٢١). الا ان فشل الحكم الاردني في الحصول على موافقة عربية على وجهة نظره تلك ، دفعته الى خطوة تراجعية تكتيكية عشية انعقاد مؤتمر القمة العربي بالجزائر ، الا وهي طرح خيارات محددة امام الشعب الفلسطيني بعد استرجاع الاراضي المحتلة ، تتم من خلال استفتاء عام يتقرر بموجبه اما عودة الضفة الغربية الى سابق وضعها مع الحكم الاردني ، او اختيار صيغة اتحادية معه ، او الاستقلال عنه . غير ان منظمة التحرير الفلسطينية رفضت ان يستفتى الشعب الفلسطيني على فلسطينيته . فلم يأخذ مؤتمر قمة الجزائر بوجهة النظر الاردنية هذه ، واقر في ظل مقاطعة الملك حسين لجلسات القمة ، وجهة النظر الفلسطينية المتضمنة تحديد وحصر التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني بمنظمة التحرير الفلسطينية .

اعتبر قرار قمة الجزائر ذلك ، نصرا سياسيا هاما لمنظمة التحرير الفلسطينية في مواجهة الحكم الاردني . الامر الذي دفع بالمسؤولين الاردنيين الى محاولة قطع الطريق على المنظمة ، عن طريق وضع اليد على الارض الفلسطينية ، من خلال « فصل » للقوات الاردنية والاسرائيلية على جانبي نهر الاردن . وجرت بالفعل ، محاولات اردنية متعددة لتحقيق هذه الغاية ، خلال انعقاد الدورة الاولى من مؤتمر جنيف في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣(٢٢)، وبعد ذلك . الا ان التصلب الاسرائيلي افشل محاولات الحكم

تلك ، وأعاده مجددا الى بذل محاولات جديدة على الصعيد العربي ، لكسر قرارات قمة الجزائر حول التمثيل الفلسطيني . وتحقق له ذلك من خلال اللقاء الذي تم بين الملك حسين والرئيس المصري انور السادات في تموز (يوليه) ١٩٧٤ بالاسكندرية .

كان هدف بيان الاسكندرية ذلك ، اعطاء دفع جديد لمحاولات الحكم الاردني تحقيق « فصل » القوات على نهر الاردن . وتعزز ذلك كله بتأخير انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع ، لاعطاء الحكم الاردني مزيدا من الوقت لتحقيق غايته السياسية . الا ان التصلب الاسرائيلي قاد الحكم الاردني مجددا الى الفشل ، كما كان لنجاعة وسرعة التحرك السياسي الفلسطيني ، على الصعيدين العربي والدولي ، اثرا حاسما في اعادة تصحيح الموقف المصري من مسألة التمثيل ، بصدور البيان الثلاثي المشترك بين وزيري خارجية مصر وسوريه ورئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، اثر اختتام اجتماعاتهم بالقاهرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ .

وانعقد مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط ، في اجواء الانتصارات السياسية الفلسطينية المتتالية ، خاصة على صعيد طرح القضية الفلسطينية كبند مستقل على جدول اعمال الدورة التاسعة والعشرين لهيئة الامم المتحدة ، ودعوة منظمة التحرير الفلسطينية لافتتاح النقاش حول القضية هذه ، بأغلبية مئة وخمس دول . كما كان لانحياز اوسع الجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية لصالح منظمة التحرير ، اثرا هاما في وضع الوفد الاردني لدى مؤتمر قمة الرباط في موقع التسليم لمنظمة التحرير الفلسطينية بحقها كطرف وحيد بتمثيل الفلسطينيين والتحدث باسمهم . وبنتيجة مؤتمر قمة الرباط ، وقراراته الفلسطينية ، انهت منظمة التحرير صراعها المتعدد الاشكال ضد الحكم الاردني ، والذي استمر عشر سنوات ، بنصر حاسم . وبنتيجة قرارات الرباط تلك ، بعد عشر سنوات من الكفاح الطويل والمرير للشعب الفلسطيني ، استطاع هذا الشعب ، أن يمسك بزمام قضيته السياسية بكلتا يديه ، وان ينفض عنه كل اشكال الوصاية العربية ، وأن يضع نفسه ويكتل كافة جهوده وطاقته ، لصراعه الطويل والمستمر مع العدو الاسرائيلي .

---

١ — **من القمة الى الهزيمة** مع الملوك والرؤساء العرب ، أحمد الشقيري ، دار العودة، بيروت، ص ٦٣ .

٢ — **من القمة الى الهزيمة** ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

٣ — جريدة **الاحرار** البيروتية ، ١٩٦٥/١٠/١ .

٤ — جريدة **الدفاع** الاردنية ، ١٩٦٥/١٠/١ .

٥ — جريدة **المنار** الاردنية ، ١٩٦٥/١٠/١ .

٦ — **سلسلة سجل الآراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية**، دار الابحاث والنشر، بيروت، كانون الثاني — شباط ١٩٦٦ ، عدد ١ .

٧ — جريدة **المحرر** البيروتية ، ١٩٦٥/١١/٢٦ .

٨ — « **المحرر** » ، ١٩٦٥/١٢/٢٦ .

٩ — « **المحرر** » ، ١٩٦٦/١/٦ .

١٠ — « **المحرر** » ، ١٩٦٦/٣/٢ .

١١ — **سلسلة سجل الاراء حول الوقائع السياسية**، مصدر سابق ، حزيران ١٩٦٦ .

١٢ — جريدة **النهار** اللبنانية ، ١٩٦٨/٢/١٨ .

١٣ — جريدة **الاهرام** المصرية ، ١٩٦٨/٢/٢١ .

١٤ — مجلة **الحرية** اللبنانية ، ١٩٦٩/١/٦ .

١٥ — جريدة « **النهار** » ، ١٩٧٠/٢/١١ .

١٦ — جريدة **الانوار** اللبنانية ، ١٩٧٠/٢/١٤ .

١٧ — جريدة **الحياة** اللبنانية ، ١٩٧٠/٦/١٢ .

١٨ — **اليوميات الفلسطينية**، المجلد الرابع عشر، مركز الابحاث ، يوم ١٩٧١/٧/١٨ .

١٩ — مجلة **الصياد** اللبنانية ، ١٩٧٤/٣/٥ .

٢٠ — جريدة **الدستور** الاردنية ، ١٩٧٣/١٠/١٨ .

٢١ — « **الدستور** » ، ١٩٧٣/١٢/٢٥ .

٢٢ — « **الدستور** » ، ١٩٧٣/١٢/٢٤ .

النفط العربي وقضية فلسطين : علاقة جدلية

يوسف عبدالله صائغ

احاول في هذه الدراسة ان استكشف طبيعة العلاقة بين النفط العربي وقضية فلسطين وحدود هذه العلاقة، وذلك ضمن المدى الزمني الذي يتوقع ان يتطلبه النضال من أجل تحرير فلسطين واكتمال دورة الحياة العربية ، السياسية والاقتصادية ، بعد زوال الكيان الصهيوني الذي يعطل جريان هذه الدورة .

على انني في محاولتي هذه مدرك تمام الادراك لوجوب العودة الى الخلف ، الى الفترة الممتدة بين منتصف القرن التاسع عشر وعشرينات القرن الحالي ، ومنها الى الحقب الخمس التي تصل العشرينات بيومنا الحاضر ، اي التي تنتهي بحرب رمضان (تشرين الاول) ١٩٧٣ وبالعهد الجديد الذي اطلقته . هذه العودة الى الخلف ضرورية لان بروز خطوط « المشروع الصهيوني » في الاوساط اليهودية الصهيونية ، الرامي الى استعمار فلسطين واقتلاع اهلها العرب ، والذي امتد من ثمانينات القرن الماضي حتى وعد بلفور عام ١٩١٧ ، لازمه وسبقه في الاوساط الغربية السياسية اهتمام استعماري بوجود جالية يهودية كبيرة ومن ثم كيان صهيوني سياسي في فلسطين « يحرس » طريق الامبراطورية البريطانية الى الهند ويسمح للامبراطورية كذلك بموطىء قدم في فلسطين القائمة على مشارف البحر المتوسط ، التي اتضح ان عمقها الجغرافي العربي والفارسي يختزن ثروة نفطية كبيرة : ثروة كانت الامبراطورية مهتمة كل الاهتمام بالسيطرة عليها واستخدامها وقوداً لاسطولها وآلتها الحربية جملة ولصناعاتها المتسعة على السواء .

ولا بد لي من الاعتراف انني ، اذ اسجل هذا التلازم بين اسهام الامبراطورية البريطانية (ومن ثم دول غربية اخرى) في تحقيق وتجسيد المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين ، من جهة ، وبين تطلعات المصالح الاقتصادية الغربية — والسيطرة على النفط العربي من ضمنها — من جهة اخرى ، واذ اشدد على كون ترسيخ الكيان الصهيوني والسعي الى امتلاك واستغلال النفط العربي هما ظاهرتان لمنحى واحد هو السيطرة الخارجية لقسرية على الوطن العربي : اذ أسجل هذا التلازم على النحو الذي فعلت دون ان اقدم الادلة والمستندات المأخوذة من المراجع والوثائق التاريخية والدبلوماسية ، فانني اعرض نفسي للانزلاق صوب اسلوب « البت » المسبق ، او الاسلوب التأكيدي ، مما قد يشكل تحويلا متسرعا للفرضية المراد اثباتها الى نتيجة نهائية ، وهو منزلق كثيرا ما يقع فيه الباحث الملتزم .

غير انني اقبل كلفة هذه المجازفة الفكرية المحسوبة وارجو من القارىء ان يقبلها معي ، ذلك لاني سأكرس مدى هذا البحث للعلاقة الحالية والمتوقعة مستقبلا ، لا العلاقة التاريخية ، بين النفط العربي وقضية فلسطين ، ولان تاريخ العلاقة والتلازم بين السعي الاستعماري الغربي الى السيطرة على الموارد الاقتصادية العربية ، والسعي لقيام وتوطد المشروع الصهيوني الاستيطاني ، اصبح امرا ثابتا يدلل عليه

عدد ــ وان قليل ــ من الوثائق الدبلوماسية والبحوث التاريخية المتوفرة . (ولعل تقصي ابعاد هذه الخلفية وتسجيلها يستهوي الباحثين العرب ويحملهم على تقديم جهد مكثف لاخراج دراسة شاملة ومعمقة تدور حول التلازم الذي ذكرنا).

الاستقلال السياسي للبلدان العربية :
منطق جديد للعلاقة بين النفط وقضية فلسطين

حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وخلاص معظم البلدان العربية من سلطة الاستعمار او الانتداب او الوصاية الغربية ، ظلت الدول الغربية الراسمالية وحدها تنسج خيوط العلاقة والتلازم بين ما تدعي هذه الدول من مصالح اقتصادية ــ وابرزها النفط ــ ودعم الكيان الصهيوني في فلسطين ومن ثم تمكينه من أن يتخذ شكل الدولة، كمرتكز للمصالح الغربية وكتائب للدول الغربية يفرض على البلدان العربية « البقاء في بيت الطاعة » . وظلت عملية النسج تسير في اتجاهين : تكثيف المعونة للصهيونيين ومن ثم للدولة الصهيونية لتلعب الدور الموكول اليها بالمزيد من القدرة والفاعلية ، والمسارعة في استغلال الموارد النفطية العربية لتتمكن الدول الغربية من مد مركبها الصناعي والعسكري بالوقود والمواد الصناعية ولتتمكن بالتالي من توفير المزيد من الدعم للكيانات والبلدان الدائرة في فلكها ــ ومنها الكيان الصهيوني .

وهكذا لم يبرز في الذهن العربي في فترة الحرب وفي مطلع عهد الاستقلال اي تصور واضح لامكان توجيه العلاقة بين النفط العربي وقضية فلسطين في منحى جديد يخدم البلدان العربية بالذات كما يخدم القضية الفلسطينية . وكل ما داعب المخيلة العربية اثناء الحرب كان الامل الخجول ، لدى لقاء الرئيس الامريكي روزفلت بالملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٤١ ، في أن يتمكن الملك من التأثير في موقف الرئيس بالنسبة لفلسطين من خلال تذكيره بأن تحقيق التطلعات الامريكية النفطية في العالم العربي (وكانت بعد تطلعات حينذاك) يمر عبر تحقيق تطلعات الفلسطينيين العرب في وطنهم .

... الى ان جاء خريف عام ١٩٥٦ . وللمرة الاولى جسد العرب بالفعل الحاسم ادراكهم المتزايد لاهمية النفط العربي في تحريك الاقتصادات الغربية وتسيير آلتها العسكرية ، ومارسوا دورا رادعا متواضعا ، حين قطع السوريون انابيب شركة نفط العراق التي تحمل نفط العراق عبر سورية الى شاطىء البحر المتوسط في اعقاب العدوان الثلاثي الاسرائيلي البريطاني الفرنسي ضد مصر في قناة السويس . وكان الرد السوري اول انتفاضة نفطية عربية في وجه الغرب وفي خدمة القضية الفلسطينية ، ذلك لان العدوان على القناة انما كان فصلا من فصول الصراع العربي الصهيوني الناشىء عن استعمار الصهيونيين لفلسطين .

وكما في ١٩٥٦ كذلك في ١٩٦٧ ولكن على نطاق اوسع . فقد حجبت البلدان النفطية (ولو لفترة قصيرة) نفطها عن امريكا وبريطانيا عند قيام اسرائيل بهجومها في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وفعلت ذلك خدمة لمسيرة القضية الفلسطينية . (من ثم في آب ١٩٦٧ طلبت الحكومة العراقية ان يتوقف تصدير النفط كليا لمدة اقلها ثلاثة شهور .) على أن ظاهرة جديدة برزت في أعقاب مؤتمر الخرطوم في ايلول ١٩٦٧ حين قررت البلدان العربية دعم صمود بلدين من بلدان « المجابهة » هما مصر والاردن ، (باستثناء سورية التي لم تحضر المؤتمر) ومن اجل ذلك تعهدت ثلاثة بلدان نفطية رئيسية هي السعودية والكويت وليبيا بدفع ما مجموعه ١٣٥ مليون استرليني سنويا لمصر والاردن. وهكذا اتخذت الخطوة الكبيرة الاولى في مسيرة استخدام الموارد المالية المتحققة بفضل تصدير النفط الخام من اجل فلسطين .

غير أن استخدام النفط في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية (عبر حجبه عن البلدان الغربية الماثلة والمساندة لاسرائيل) ظل محدودا في ابعاده وفي آثاره حتى حرب رمضان (تشرين الاول) ١٩٧٣ — وذلك بالرغم من تعاظم موقع النفط العربي في مجمل الصورة النفطية العالمية ، وتعاظم موقع النفط بين مصادر الطاقة المختلفة ، ومن ادراك العرب لهذه التطورات ، ومن المبادرة المالية الاولى في دعم صمود اثنتين من دول المجابهة .

كانت وراء هذا الاستخدام المحدود جدا عدة اسباب ومبررات ، تتطلب شيئا من التمعن . اول هذه الاسباب ان السيطرة العربية على الموارد النفطية ، سواء بالنسبة لحجم الانتاج او اسعار الخام او التسويق ، كانت شبه معدومة كما كانت البلدان النفطية في معظمها تعاني من مركب النقص معتقدة انها لا تستطيع ان تنتج النفط وتسوقه ان هي اخذت مقدراته في يدها . الى جانب هذا السبب الذاتي كان هنالك عامل موضوعي آخر هو أن وضع السوق النفطية العالمية في الخمسينات وحتى اواخر الستينات كان يتميز بشيء من وفرة العرض بالنسبة للطلب (أي أن السوق كانت « سوق مشترين » كما يقول المصطلح الاقتصادي) . وقد ترتب على هذا الوضع ممارسة الحذر الشديد من قبل المنتجين . اما السبب الثالث فهو عدم اكتمال التكتل الفعال لدى الدول العربية المنتجة فيما بينها والضعف العام الذي كانت « منظمة الاقطار المصدرة للبترول » (اوبك) تشكو منه حتى ابتداء حقبة السبعينات — مما لم يسمح للبلدان العربية ان تتصرف ككتلة في مجابهة البلدان الغربية الاستعمارية وعلى الاخص الولايات المتحدة الاميركية . اما السبب الاخير ، ولعله الاكثر أهمية فهو عدم نضوج الروح النضالية العربية بشكل عام من ضمن ارادة مشتركة للتحرك في مجابهة الاستعمار الغربي في معقليه : فلسطين ، والنفط .

ولعل السبب الاخير الذي قدمته يؤكد على استنتاج في غاية الخطورة يثبته استقراء الاحداث : ذلك هو التلازم الواضح والقوى بين ارادة النضال العربية للتصدي لاسرائيل وللمجابهة مع البلدان الغربية في الحقل النفطي . وهكذا يشاهد ان استخدام النفط في المجابهة بشكل فعال لم يمارس بين ١٩٥٦ و١٩٧٣ الا عندما تصدت الامة العربية عسكريا لاسرائيل . ويلاحظ ايضا ان للتلازم المشار اليه وجها اخر هو أن السعي — مهما كان محدودا ومرحليا — لتحرير فلسطين كان يرافقه سعي واضح — مهما كان هو الاخر محدودا ومرحليا — لتحرير ارادة الدول النفطية ولمد سيادتها على موارد النفط وتوسيع رقعة قدرتها على اتخاذ المقررات الرئيسية بالنسبة لحجم انتاج النفط وتسعيره وتسويقه .

النظرة المستقبلية : العلاقة الجدلية الفاعلة في اتجاهي تحرير النفط وتحرير فلسطين

قد يقال ان البلدان النفطية في سعيها لاستكمال سيطرتها على النفط انتاجا وتسعيرا وتسويقا وتصنيعا انما تتحرك من منطلق المصلحة الذاتية الوطنية لا القومية ، وبالتالي ان دلالة هذا السعي بالنسبة لقضية فلسطين انما هي دلالة هامشية ، وان اية افادة تجنيها قضية فلسطين من استكمال السيطرة العربية على النفط انما هي افادة عارضة تتحقق صدفة كمحصول ثانوي لا عن سابق تصور وتصميم . وقد يكون في هذا الادعاء شيء من الصحة . غير أنني اعتقد أن مقدار صحة الادعاء لا يمكن احتسابه بشكل ثابت ومطلق . انه على العكس مقدار متغير . فلئن كان الادعاء المذكور صحيحا الى حد بعيد قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، الا انه اصبح قابلا للدحض الى مدى يذكر خلال

هذه الحرب وفي الفترة التالية لها . أن تأكيدي هذا ينبغي الا يفهم منه أن البلدان النفطية تضع خدمة قضية فلسطين في قلب استراتيجيتها واهتماماتها النفطية وانها تضع مصلحتها الذاتية الوطنية على هامش هذه الاستراتيجية والاهتمامات . ان مقولة كهذه لا يمكن الدفاع عنها كما انها غير معقولة ، اذ لا يجوز أن يتوقع احد ان ايا من البلدان العربية يغلب المصلحة القومية العربية (وقضية فلسطين مركز الثقل فيها) علـى المصلحة الوطنية القطرية . غير انه مع هذا يمكن القول ، باستقراء المواقف والتصرفات العربية منذ مطلع السبعينات وحتى اليوم ، ان خدمة قضية فلسطين أصبحت حافزا ذا شأن في تقرير الاستراتيجية والسياسات العربية النفطية ، منتقلة بذلك من الهامش الى موقع أقرب من قلب اهتمامات البلدان النفطية في تقريرها لاستراتيجيتها وسياساتها النفطية هـذه .

ولعل عام ١٩٦٧ كان عاما فاصلا بالنسبة لجعل قضية فلسطين مدخلا (input) من ابرز المدخلات في سعي الدول العربية النفطيه للسيطرة على نفطها ، اذ شهد هذا العام للمرة الاولى حوارا وتحليلا جدا على المستوى الرسمي لمسألة استخدام النفط في المجابهة العربية الاسرائيلية سواء أكان ذلك في الاتصالات التي جرت خلال حرب حزيران ١٩٦٧ او في مؤتمر بغداد في آب ١٩٦٧ ، أو في مؤتمر الخرطوم في ايلول ١٩٦٧ . غير أن هذه المسألة وضعت على الثلج حتى مطلع السبعينات حين تحولت الى قضية عامة تناولها عدد من المفكرين العرب بحيث خلقت مقدارا محسوسا مـن الضغط على السياسيين العرب . وهكذا أخذ المجلس الاقتصادي في جامعة الدول العربية مبادرة درس موضوع استخدام المصالح الاقتصادية (ومنها النفط) في الضغط على الدول الغربية المساندة لاسرائيل لتحريك قضية فلسطين، وان اقتصر غرض هذا التحريك على حمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها في يونيو ١٩٦٧ وعلى تمكين الفلسطينيين من استرداد حقوقهم « المشروعة » . وقد شكل المجلس الاقتصادي لجنة من الخبراء لتقييم المصالح الاقتصادية وسبل استخدامها لصـالح القضية الفلسطينية وقامت اللجنة بتقديم تقريرها في ربيع ١٩٧٢*. ولئن لم تبرز على السطح دلائل تشير الى اتخاذ البلدان العربية مقررات واضحة وصريحة بهذا الشأن الا انه لا ريب في أن الاهتمام العربي بمسألة استخدام النفط في خدمة قضية فلسطين كان قد أصبح اهتماما ثابتا وجادا . وما ان جاءت حرب اكتوبر ١٩٧٣ الا وتأكد هذا الاهتمام عبر تجسيده في القرارات المتخذة يوم ١٧ اكتوبر في الكويت من قبل البلدان النفطية الخليجية العربية ، والقاضية بخفض انتاج النفط عامة وبحجبه عن بعض البلدان الغربية أبرزها الولايات المتحدة الاميركية بسبب موقفها المعادي جـدا لقضية فلسطين .

يشكل اجتماع البلدان الخليجية النفطية في الكويت منعطفا رئيسيا في تاريخ العلاقة بين النفط وقضية فلسطين ، اذ سبق القرارات المتصلة بخفض الانتاج وبحجب النفط قرارات اخرى اتخذت (بحضور ممثلي البلدان النفطية العربية الخليجية زائدا ممثل ايران) في اليوم السابق اي ١٦ اكتوبر وهي تتصل بأسعار النفط . أن التطابق الزمني بين الاجراءات المجسدة لتعميق السيطرة على مورد النفط وتلك المتصلة باستخدام النفط لدعم قضية فلسطين لم يكن صدفة . على العكس فانه يضع خطا عريضا تحت التلازم بين النضال من أجل تحرير النفط من السيطرة الاجنبية (انتاجـا وتسعيرا وتسويقا) والنضال من اجل تحرير فلسطين ــ هذا مع الادراك ان النضال من اجل

* بالنسبة للنفط ، انظر مقالي « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » في شؤون فلسطينية عدد ١٦ ، كانون الاول ١٩٧٢ .

السيطرة الكاملة على النفط تسارع بشكل واضح جدا مما يسمح بالامل ان تتم هذه السيطرة في أعمق معانيها ومدلولاتها في وقت قريب جدا ، في حين أن تحرير فلسطين يتطلب مدى زمنيا أطول ونضالا أشد عنفا ومرارة .

* * *

يجدر بنا عند هذه النقطة أن نتمعن بالمزيد من التدقيق والتعمق في طبيعة وحدود العلاقه بين النفط العربي وقضية فلسطين من زاويتين اثنتين تربطهما معـــه أرض مشتركة هي أرض التنميه العربية في أوسع معانيها : الزاوية الاولى هي النفط وتحدي التنمية والثانيه هي تحدي تحرير فلسطين والتنمية . ولئن كانت الزاوية الاولى واضحة المعالم فان الثانيه بحاجه الى شيء من الابراز ، وعلى أي حال فانني سأكرس ما تبقى من هذا البحث لدراسة كل من زاويتي النظر ولدراسة ارتباطهما وكيفية تفاعلهما .

غير ان من الضروري التشديد على وجهين من أوجـــه دور النفط في خدمة قضية فلسطين بالرغم من انهما بديهيان ولا يحتاجان الى المزيد من البحث ، ولا يقعان ضمن اطار الحديث عن التنمية بشكل مباشر . ما أقصده هنا هو أولا تمكن البلدان النفطية بفضل الموارد المالية الناجمة عن نشاط قطاع النفط من تمويل جميع حاجاتها الدفاعية ، ونصيب يذكر من حاجات الدفاع والصمود في بلدان المواجهة المباشرة . ولقد اظهرت حرب اكتوبر ١٩٧٣ أتساع نطاق المشاركة العربية في النضال المسلح ضد اسرائيل ، كما أظهرت ضرورة صياغة استراتيجية الدفاع والتسلح على نطـــاق الوطن العربي بشكل تتحقق معه الفائدة القصوى من الانفاق العسكري . أما الوجـــه الثاني فهو استخدام النفط كجهاز ضغط سياسي على البلدان الممالئة لاسرائيل ، أو كرادع لها من الاستمرار بمواقفها المعادية للعرب . ويتخذ هذا الاستخدام شكل حجب النفط ، وضغط الانتاج ، وسحب الارصدة المالية النفطية من اسواق البلدان المعادية ، كما قد يتخذ أشكالا أخرى .

النفط وتحدي التنمية :

التنمية التي هي محور الاهتمام في هذا القسم من البحث ليست مجرد تزايد في الدخل الفردي من ضمن « الدورة الاقتصادية العادية » ، فهذا المفهوم يشكل مقاربة بريئة ومغرقة بالتبسيط . بل انني لا أقصر مفهوم التنمية على كونها عملية تصنيع ، مع ان هذا المفهوم يشكل مقاربة أكثر صقلا . ذلك ان التصنيع في ذاته مع ما يعنيه من ادخال التكنولوجيا الحديثة الى النطاق الانتاجي والتنظيمـــي والتوزيعـــي أي ولوج « عصر الحضارة الصناعية » بحدودها الاقتصادية والمؤسسية، يظل خلوا من المحتوى الاجتماعي والسياسي الصريح .

ان مفهوم التنمية الذي أرمي اليه يتناول التنمية كعملية ثورية تحررية متكاملة ذات محتوى سياسي مؤسسي اجتماعي ، وثقافي علمي الى جانب المحتوى الاقتصادي . فهي تعني تزايد الدخل الفردي واستمرار ارتفاعه ، وتحقيق النمو بفضل جهد المجتمع الذاتي المتواصل ، كما تعني كذلك ولوج عصر الحضارة الصناعية ، ولكنها تمتد الى ما هو أبعد من ذلك . وبالتحديد فالتنمية ضمن المفهوم المتكامل لا يمكن ان تتم دون حدوث تبدلات سياسية واجتماعية جوهرية تسمح باستيفاء الشروط الاقتصاديـــة المتصلة بالنمو السريع والمستمر . من هنا يتضح ان التنمية المتكاملة تطلـــق تحديات ضخمة للمجتمعات والمؤسسات والافراد تتخطى في هويتها وفي اثرها التحديات الاقتصادية مهما كان شأن هذه وحجمها .

من البديهي ان يتقرر دور النفط في عملية التنمية المتكاملة من ضمن اطار مفهومها

الواسع . على انني لن ادخل في بحث مستفيض للتنمية ومقرراتها ، فليس هذا هو المجال الملائم . ولذلك سأقتصر على تعداد النواحي الانمائية التي يستطيع النفط ان يسهم فيها ، واهمها في اعتقادي :

أ) توفير الموارد المتزايدة للتثمير بفضل المداخيل النفطية ، على الصعيدين الوطني (القطري) والقومي ، وهذا يعني فيما يعني تلبية الحاجة الى الموارد التثميرية لدى البلدان العربية غير النفطية والاستغناء عن مصادر التمويل الاجنبية مع مـــا يلازم المعونات الاقتصادية الخارجية من محاذير سياسية ونفسية واجتماعية ، واقتصادية كذلك .

ب) تمكين الوطن العربي من القيام بمقاربة عربية شاملـــة لموضوع استخدام العائدات النفطية ــ أي استخدام العائدات على مستوى الوطن العربي ضمن مختلف صيغ التثمير المشترك ، وبالتالي تسهيل عملية التكامل الاقتصادي العربي .

جـ) استخدام النفط لتطوير التكنولوجيا وجعلها تتلاءم مع الحاجـــات والمعطيات الوطنية والقومية ، كمرحلة لاحقة لمرحلة استيراد التكنولوجيا الجاهزة وأرفع منها . ان هذا يستوجب تطوير العلم وتعميقه وتوسيع مداه في الوطن العربي وجعله منبعا من منابع تطوير التكنولوجيا ، كما يستوجب مقاربة عربية مشتركة ، لا قطرية مشتتة ، للبحث والاختبار العلمي والدراسة الجامعية العليا .

د) استخدام النفط لتحسين نوعية التعليم ونوعية القوى البشرية ، ولايصال فرص التعليم والتدريب الى اصغر فلاح في أقصى قرية .

هـ) استخدام النفط لايجاد توزيع أكثر عدالة للناتج القومي المتزايد مع أخذ عدد من التحفظات بالاعتبار . هذه التحفظات تشمل فيما تشمل الحذر من « الطلاق بين الجهد والمردود » مما يشاهد على نطاق واسع ومتزايد في البلدان النفطية الغنية ذات الاحجام السكانية الصغيرة ، وهي ظاهرة تنطوي على أخطار اجتماعية وقومية لا يجوز التغافل عنها أو اهمالها . كذلك ينبغي الالتفات الى خطورة تشتيت الموارد المالية وهدرها بسبب وفرتها في استخدامات استهلاكية هوجاء او تثميرية خاطئة . وعلى الصعيد الوطني ينبغي الاهتمام بتحقيق مزيد من العدالة في التوزيع لا بين الافراد فحسب بل كذلك بين المناطق وبين القطاعات ، مع الاخذ بالاعتبار في هذا السياق ضآلة نصيب العاملين في القطاع الزراعي في عملية التوزيع . واخيرا ينبغي الحذر من خطر الاقتلاع الاجتماعي بفضل الطفرة المالية ، ومن خطر افراغ الريف وخلخلة التوازن السكاني .

و) استخدام النفط بشكل يتحقق معه اندماج قطاع النفط في الاقتصاد الوطني ، من خلال انشاء شبكة من الصناعات والنشاطات المكملة والمتكاملة ، على الاخص تلك التي تستخدم النفط والغاز ومشتقاتهما كمدخلات انتاجية .

ز) استخدام النفط لتدعيم القدرات العربية العسكرية من أجل الدفاع عن المكتسبات الانمائية وعن الموارد والحقوق الاقتصادية تجاه اسرائيل وتجاه الامبريالية ، ومن أجل الدفاع عن قضايا الوطن العربي ومصالحه . وينبغي التأكيد في هذا الصدد انه لا يقوم تعارض بل تلازم وثيق بين استخدام الموارد للحاجات الانمائية واستخدامها للحاجات الدفاعية . فالتنمية تشكل قاعدة صلبة للدفاع ، كما ان الدفاع يشكل سياجا واقيا لمكتسبات التنمية .

ح) اتمام السيطرة على النفط انتاجا ، وتسعيرا ، وتسويقا ، وتصنيعا ، وتصرفا بالدخل النفطي ــ كل ذلك كوجه من أوجه امتداد السيادة القومية لتغطي جميع الموارد

العربية وكوسيلة من وسائل ضمان توفر الموارد لعملية التنمية على الصعيدين الوطني والقومي .

بعبارة مختصرة نستطيع أن نقول ان دور النفط في عملية التنمية المتكاملة هو تمكين العرب من الانطلاق بهذه العملية لترفع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية في الوطن العربي اي لترفع القدرة العربية الذاتية .

من الواضح ان استخدام النفط لهذا الغرض لا يتم بفضل قوى ميتافيزيقية مبهمة خارجة عن ارادة الانسان وفعله ، بل انه لا يتم بفضل جهود فردية متناثرة لا ضابط لها . فلا بد من قيام نظم سياسية أجتماعية اقتصادية ذات طابع وطني تقدمي وتحرري ، تقدر على أيجاد نمط لاتخاذ المواقف والقرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تستوفي عددا من الشروط ، اهمها : القدرة على استيعاب متطلبات التنمية المتكاملة ، والقدرة على وضع سلم أولويات صحيح لاستخدام الموارد النفطية وتعيين السياسة الانتاجية في ضوء ما يوحي به سلم الاولويات هذا ، وكذلك القدرة على استيعاب متطلبات العلاقات الدولية وتكييفها في ضوء المصلحة القومية لا الهلع منها والرضوخ لابتزازها والوقوع في أسرها ، وأخيرا القدرة على بلوغ الرؤية القومية الواسعة من أجل الاستخدام الأمثل للموارد النفطية على المستوى القومي .

ان قيام نظم سياسية هذه مواصفاتها يشترط قيام وتطور مؤسسات ديموقراطية حقيقية فاعلة ، ووجود مشاركة جماهيرية واسعة ، مما يمكن السلطات الوطنية من أن تعبر بصدق عن المصالح والحاجات والتطلعات الجماهيرية ، وان تجسد وجهة نظر الجماهير ومصالحها في المقررات السياسية الاقتصادية التي تتخذها ، وبالتالي ان تحقق التناسق بين الديموقراطية الاقتصادية الاجتماعية من جهة والديموقراطية السياسية من جهة اخرى .

عندئذ ، وعندئذ فقط ، يوضع النفط بفاعلية وبكامل ثقله في مواجهة تحديات التنمية الحقيقية والعميقة . ولا بد من التأكيد هنا انه في غياب شمول الرؤية الانمائية لا يتعذر وضع النفط في مواجهة التحديات فحسب ، وانما قد يؤجل ذلك طويلا ، وقد يهتز الانسجام بشكل خطير بين التنمية الاقتصادية من جهة والتنمية الاجتماعية السياسية من جهة أخرى .

آمل أن تكون قد اتضحت صلة التنمية بقضية فلسطين . غير ان لا ضرر من لمّ خيوط الافكار التي طرحت حتى الان . واستطيع ان اوجز قناعتي حول الموضوع المطروح بالقول أن التنمية التي يستطيع النفط ان يكون وقودا لمحركها (ان لم يكن محركا لعجلاتها) ذات صلة أساسية بتحرير فلسطين من خلال الاسهامات الاربعة التالية :

أ) خلق المرتكز الاقتصادي الاجتماعي الصلب للتحرير وتكوين القدرة العربية على النضال الطويل المدى .

ب) تطوير المجتمع الفاعل ، المتحرر في ذاته وتطلعاته ، الواثق من نفسه .

جـ) بلورة الارادة والروحية والنوازع النضالية التي لا بد من بلورتها اذا كان للتنمية المتكاملة أن تنطلق .

د) تمكين القيادات العربية ، من سلطات وأحزاب وقوى وطنية ، من ادراك دور المتاح من الموارد في عملية التنمية وادراك الترابط بين التنمية والتحرير ، وبالتالي تمكين هذه القيادات من حسن استخدام المتاح من الموارد .

تحرير فلسطين والتنمية :

قد لا يكون الترابط بين التنمية والتحرير واضحا لبعض من يعنون بهذين الشأنين . بل ان عددا ليس بقليل من المسؤولين العرب يتكلمون ويتصرفون كأن التنمية والتحرير أمران متناقضان لانهما ، كما يبدو لمن ينظر سطحيا الى الامور ، يتنافسان على نفس الموارد ويتنازعان جهد المجتمع واهتماماته . ولا بد من أجل التعرف الى هوية الجسر الذي يربط بين التنمية والتحرير ان يكون لدى المحلل أفق اجتماعي تقدمي والا حجبت رؤية هذا الجسر عن البصيرة . **ان جسر الترابط هو التحرر الاجتماعي** . فالتنمية تخدم هدف التحرير بفضل ما تحققه للانسان من تحرر مما يجعل المجتمع يصر على التحرير ويسعى اليه ويضحي من أجله رافضا أن يعيش في اطار غير اطاره . ولا يستطيع النمو الاقتصادي مهما بلغ شأنه في رفع الناتج القومي وتحسين مستوى الاداء الاقتصادي ان يحقق تحولات في المجتمع تحمله على الاصرار على التحرير ما لم ترافق هذا النمو وهذا الاداء تحولات علمية واجتماعية وسياسية ، تشكل في مجموعها محتوى التحرر ، وتتيح للمجتمع ان يلتزم بأهدافه بعقلانية وفاعلية ، مما يستطيع المجتمع معه أن يبلغ الرؤية القومية الصحيحة وأن ينهض بمسؤوليات التحرير ويتحمل تضحياته .

هذا الترابط بين التنمية والتحرير عبر التحرر ، مع عدم وضوحه لعدد من المعنيين بشأني التنمية والتحرير ، يظل أكثر وضوحا من دور التحدي المتمثل في السعي الى تحرير فلسطين في عملية التنمية . ان المقولة التي اطرحها هنا أن عملية تحرير فلسطين بدورها تفعل كمحرك ودافع للتنمية ، وبالتالي أن هناك تفاعلا تصاعديا ذا اتجاهين بين التحرير والتنمية مما يحدد طبيعة العلاقة بينهما كعلاقة جدلية . اما آلية فعل قضية فلسطين في عملية التنمية فيمكن وصفها بأنها تعمل باتجاه تحرير فلسطين من خلال سبل ثلاثة :

أ) الحاح منطق التحرير على ضرورة التحول ، والتحول السريع ، في النطاق العلمي والتكنولوجي والانمائي كما في النطاق العسكري والسياسي والاجتماعي .

ب) الحاح منطق التحرير على ضرورة حسن استخدام النفط والموارد النفطية كجهاز ضغط سياسي على القوى المساندة لاسرائيل ، مما يوجب تدعيم المنطلق الانمائي ليصبح هذا الجهاز الضاغط أكثر فاعلية بالنسبة لهدفه وأقل احتمالا للاضرار بالمصالح العربية التي تستخدمه .

جـ) اثر بروز الروح النضالية التي تحرك الفلسطينيين والعرب في اتجاه التحرير ، في انتشار روحية النضال في النواحي الاخرى للحياة العربية ومنها السعي الى التنمية والتحرر .

يتضح من سياق البحث حتى الان أن الضرورة الاولى اي التحول الشامل اكبر شأنا بكثير من الضرورة الثانية اي استخدام النفط كرادع وضاغط سياسي ، لان اثر منطق التحرير والسعي الى التحرير على التحولات المشار اليها دائم وعميق ، في حين ان استخدام النفط كجهاز ضغط سياسي انما هو أمر عابر . أما اثر بروز الروح النضالية التحريرية على عملية التنمية والتحرر فسنعود اليه فيما بعد .

لعل أول ما يتبادر الى الذهن هنا هو خطورة اغفال دور تحدي التحرير في اطلاق عملية التنمية وخطر هذا الاغفال . فليس من قبيل الابتزاز أو الارهاب الفكري أن يشدد الفلسطينيون واخوانهم العرب المعنيون باخلاص بتحرير فلسطين على المخاطر الضخمة

التي تحيق بالبلدان النفطية ان هي أهملت أو تجاهلت تحقيق تنميتها الذاتية ولم تسهم اسهاما بعيد المدى في تنمية شقيقاتها الاقل حظا منها . هذه المخاطر تنشأ من مصدرين: أولهما ، الجماهير الفلسطينية والعربية الراغبة في التنمية قاعدة للتحرر وللتحرير وهدفا في ذاتها على السواء ، وثانيهما اسرائيل والامبريالية اللتان تتربصان بالعرب انتظارا لاية سانحة تدلل على الضعف والتراخي واستكشافا لاية ثغرة تستطيعان أن تنفذا منها الى الوطن العربي لتفتتا ارادته ولتحققا ما تقدران عليه من سيطرة على هذا الوطن ، مهما كان شكل السيطرة أو صيغتها ، أعسكرية كانت أم سياسية أم اقتصادية ، أم مزيجا من هذه .

ولعل هذه المخاطر كانت ستنشأ ، ولكن حتما بمقدار أصغر من الحدة ، لو لم تكن قضية فلسطين قائمة. فالبلدان الغربية الرأسمالية وقد ساءها وآلمها امتداد الاستقلال والسيادة العربيين الى الموارد الاقتصادية العربية وابرزها النفط ، كانت حتما ستعمد الى ايذاء العرب ما استطاعت ردا على ممارسة العرب لسيادتهم على قطاع النفط بالنسبة للانتاج والتسعير والتسويق والتصنيع . علـــى ان حدود الاذى الذي كانت البلدان الغربية ستعمد الى ايقاعه بالعرب كانت عندئذ ستظل دون الحدود التي قد يبلغها الغرب اليوم بكثير . فالانتفاضة العربية منذ مطلع السبعينات ، وعلى الاخص منذ اكتوبر ١٩٧٣ ، تنطلق في سهمين كلاهما يؤلم الغرب لانهما موجهان معـــا الى السيطرة الغربية : تحرير النفط العربي ، ومحاولة تحرير فلسطين .

غير ان ما هو اكثر دلالة بالنسبة لتحليل دور تحدي التحرير في اطلاق عملية التنمية، من العامل السلبي أي خطورة اغفال هذا الدور ، وهو ما كنت بصدد عرضه ، هو اثر بروز الروح النضالية التحريرية على جميع نواحي الحياة العربية ، وهو جانب ايجابي ومركز الثقل الرئيسي في آلية تأثير النضال من أجل تحرير فلسطين على انطلاق عملية التنمية . فالتحدي الكبير المتمثل في الاصرار على تحرير فلسطين يعمل كما بينت على تسريع عملية التنمية ، لا بفضل الحاح تحدي التحرير فحسب ، بل ـــ وهذا ما هو أعظم شأنا ـــ بفضل اثر الانتفاضة النضالية التي يطلقها الاصرار على التحرير على جميع أوجه وجوانب الحياة العربية .

ان الروح النضالية المتوجهة أساسا صوب التحرير والتي تتحدى السيطرة الخارجية المتجسدة في وجود اسرائيل واستمرارها ، أطلقت وستستمر في اطلاق تيارات مـــن التحدي في وجه السيطرة الخارجية على الموارد العربية وابرزها النفط، كما انها اطلقت وستستمر في اطلاق تيارات من التحدي في وجه التفتت والتناحر العـــربي ، والتخلف الاجتماعي ، والجهل ، والاتكالية ، والخنوع .

خاتمـــة

لقد أسهم النفط في مطلع القرن في انشاء وترسيخ المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين . وهو قادر اليوم أن يسهم في تحرير فلسطين من هذا المشروع . وان البصيرة لقادرة أن ترى الترابط بين مصير النفط وقضية فلسطين : فهما اما أن يتحررا معا من السيطرة الاجنبية ـــ بكل ما يعنيه هذا التحرير من مدلولات ، أو يظلان معا عرضة للخضوع لهذه السيطرة . (ولا ننسى في هذا المجـــال التهديدات الامبريالية الصريحة والمبطنة على السواء الموجهة الى البلدان النفطية التي « خرجت عن الطوق » الغربي في سياستها النفطية) . كذلك تستطيع البصيرة ان ترى الاثر المشترك لتحرير النفط وحسن استخدامه في الوطن العربي ، وللسعي لتحرير فلسطين ، على مسيرة الوحدة العربية او على الاقل على التعاون المكثف بين البلدان العربية .

من خلال هذا جميعه ، ومن سياق هذا البحث ، يتضح اننا في صدد ثلاث عمليات هي التنمية والتحرر والتحرير . كذلك يتضح ان هذه العمليات أنما هي جوانب ثلاثة لمطلب عربي واحد . ومن هنا فان العلاقة الجدلية بين النفط وقضية فلسطين ، في محتواها وحدودها ، وفي تفاعلها وتصاعدها مما أشرت اليه في البحث ، ان هـــذه العلاقة الجدلية تنتهي بالتزاوج بين عمليتي التحرير : تحرير النفط وتحرر المجتمع من جهة ، وتحرير فلسطين من جهة أخرى . ولعل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وضعت العرب في مطلع طريق الالف ميل صوب تحقيق هذا التزاوج .

يبقى أن يفعل الوطن العربي ، من خلال النفط وبفضله ، بروح نضالية حركية ، وضمن نمط تصرف عقلاني وعصري ، فالمعاصرة ، التي لا يجوز أن تنسلخ عن تراث الماضي في جوانبه الايجابية القيمة ، انما هي ضمان لتحقيق الرؤية المستقبلية المشعة .

سلاح النفط
من الشعار الى الواقع

الدكتور عوده ابو ردينة

قال الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ذات مرة : « النفط هو العصب الحيوي للمدنية ، وبدونه لا تتحرك أعمالها العظيمة وأسلحتها ومواصلاتها . ويمكننا ان نعتبر انفسنا أقوياء ، أقوياء بفهمنا الكامل لقوة هذه الصلة التي تربطنا وتجعل أرضنا واحدة »(١).

تقاس قوة بلد من البلدان بمعيارين اثنين ، قوتها العسكرية وقوتها الاقتصادية ، وتكمل القوتان احداهما الاخرى عادة ، فلا تستطيع احداهما أن تدوم طويلا دون الاخرى . ولذا فان العالم العربي هو احدى أقوى الامم في العالم وفقا لواحد من المعيارين الاثنين المذكورين آنفا .وفي لعبة البقاء الوطني، يستخدم الستراتيجي الحكيم أقوى سلاح لديه في الوقت الاكثر ستراتيجية ومناسبة ــ وهذا ما يجب ان يحدث بشأن النفط العربي .

والعالم العربي مهم في صورة الطاقة على نطاق عالمي بالنظر الى احتياطيه الهائل . وليس ثمة بديل للنفط العربي . وخلال الاعوام القليلة الماضية ازداد اعتماد العالم على النفط الى حد كبير فيما تحول سكان المنازل من الفحم الى النفط للتدفئة . كما تحولت محطات الطاقة الى الغاز الطبيعي أو النفط . وقد ازداد عدد السيارات ، واكتشف مستخدمو النفط الصناعيون تطبيقات جديدة للوقود السائل . ونجد اليوم ان النفط يقدم أقل من ٥٠ بالمئة بقليل من الطاقة الاجمالية في العالم غير الاشتراكي . ولا بد من الاشارة الى ان « النفط بوصفه مزلق المدنية لا يحل ثانيا الا بعد الغذاء بوصفه أهم سلعة في العالم ، الوسيلة التي لا غنى عنها للانتصار في الحرب والمصدر الرئيسي للازدهار في السلام . وما من أمة خلال القرن الماضي استطاعت أن تصير دولة رئيسية دون مصادر مضمونة للنفط »(٢).

خلال عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ عارضت مؤسسة الدفاع الاميركية ، وبخاصة سلاح البحرية ، خلق دولة يهودية في فلسطين لان ذلك من شأنه ان يهدد بالخطر مصالح الولايات المتحدة النفطية التي تعتمد عليها حليفات الولايات المتحدة . وكان برنامج استعادة العافية الاوروبية، الذي انفقت الولايات المتحدة عليه مبلغ ٥ر٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار عام ١٩٤٨ ، يرتكز على أمل تلبية ٨٢ بالمئة من احتياجات أوروبا للنفط من النفط العربي(٣). ومن الناحية الاخرى ، اعترض الصهاينة وأصدقاؤهم على النظرية القائلة بأن خلق اسرائيل سيهدد المصالح الاميركية بالخطر . الا أن رفض العالم العربي في ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ ان يهدد مصالح الولايات المتحدة النفطية برر اعتراض الصهاينة وحلفائهم في أميركا في حين انه أضعف الثقة في الجماعات الاميركية التي كانت تضغط ضد خلق اسرائيل . وكما علقت مجلة **يو اس نيوز اند ورلد ريبورت** في الرابع من

حزيران (يونيو) عام ١٩٤٨ : « ان الحكام العرب ... الذين يحصلون على ٢٣ **سنتا للبرميل الواحد ، يمنعهم اهتمامهم الشديد بعائداتهم النفطية من ايقاف الانتاج في الآبار انتقاما من دعم الولايات المتحدة لاسرائيل** »(٤).

ولذا فان رفض العالم العربي استخدام النفط كسلاح دبلوماسي واقتصادي اقنع راسمي السياسة الاميركية بأن لا صلة هناك بين سياسة الولايات المتحدة نحو اسرائيل ومصالحها النفطية في العالم العربي . ولم يستخدم العالم العربي النفط كسلاح سياسي في نضاله ضد اسرائيل ، لا في عام ١٩٤٨ ، ولا في عام ١٩٥٦ ، ولا في عام ١٩٦٧ . ويقول العميل السابق لوكالة الاستخبارات المركزية في الشرق الاوسط مايلز كوبلاند أن الرئيس الراحل عبدالناصر كان ، قبل موته ، يخطط تخطيطا جادا لحمل العالم العربي على استخدام النفط كسلاح بطريقة موحدة منسقة ضد الولايات المتحدة . وقد أنذر كوبلاند من انه « ستكون هناك متاعب في المستقبل ، وستكون متاعب للمصالح الاميركية وليس لاسرائيل »(٥). وهكذا كان موت الرئيس عبدالناصر مصدر ارتياح عظيم للولايات المتحدة . وبعد موت الرئيس عبدالناصر ، استكشف الرئيس السادات سبلا عديدة لالغاء هزيمة عام ١٩٦٧ . وحصل على أسلحة ودفاع جوي من الاتحاد السوفياتي . وعام ١٩٧١ أكد لوسيط الامم المتحدة ، غونار يارينغ ، استعداده للقبول باتفاق سلام ، لكن اسرائيل أبت ان تلزم نفسها بالانسحاب . وفي تموز (يوليو) ، ١٩٧٢ ، أخرج الرئيس السادات السوفيات من مصر ، وكان أحد الاسباب هو عدم تزويدهم مصر بأسلحة هجومية ، ولكن السبب الآخر هو أمله في اقناع الولايات المتحدة بالضغط على اسرائيل للقبول بتسوية . على ان الولايات المتحدة لم تستجب . وفي النصف الاول من عام ١٩٧٣ ، استخدم الرئيس السادات التأييد من اخوانه العرب ، ولا سيما العربية السعودية ، كما استخدم التهديدات المبطنة حول مصالح الولايات المتحدة النفطية . ولكن بدا أن أيا من هذه التحركات لم تقرب الرئيس السادات من التسوية .

وقبل فرض حظر النفط العربي في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، لم تكن التهديدات العربية باستخدام النفط كسلاح سياسي تؤخذ على محمل الجد . ولم تكن الولايات المتحدة تشعر بتقدير كبير لقدرة العرب على ممارسة أكثر من ضغط اقتصادي متقطع ضد مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي . **وهكذا طالما ظلت الولايات المتحدة تعتبر أن اسرائيل لا تشكل خطرا جديا على مصالحها ، لم يكن ثمة ما يدعوها الى تخفيف دعمها لاسرائيل .**

ويقول الاستاذ مايكل هدسون من جامعة جونـز هوبكنز ان راسمي السياسة الاميركية كانوا ينظرون الى الحكومات العربية علـى انها ضعيفة ومتخلفة . « ان التهديدات والوعود العربية تفتقر الى المصداقية ، ومهما كان السلوك الذي يظهره العرب ــ سواء كان عنفا أم اعتدالا ــ فانه سيفسر على الارجح كعلامة على الضعف ، او النفاق ، او اللاعقلانية ، ولا يمكن توقـع استمراره في أية حـال . ولذلك فان الاستجابة الاميركية المناسبة للمناورات العربية المعادية هي تجاهلها لاطـول مدة ممكنة »(٦).

وكان راسمو السياسة الاميركية على يقين تقريبا من انه ما لـم تصب المصالح الاميركية في العالم العربي بضرر مباشر ــ وهو أمر كان يعتبر غير محتمل ــ فستبقى مصالح الولايات المتحدة النفطية غير متأثرة بالحالة السياسية في المنطقة ــ او حتى بحرب جديدة .

في شباط (فبراير) ١٩٧٣ ، سئل وزير الدفاع الاسرائيلي السابق موشي دايان اذا كان يخشى من أن أزمة النفط العالمية قد تدفع الولايـــات المتحدة ذات يوم الى تبني سياسة منصفة نحو النزاع العربي ــ الاسرائيلـــي . فأجاب دايان بطريقة جافة : « ان تقديري الكبير لاميركا يمنعني من التفكير بأنها سترضى بأن تملي عليها السياسة الخارجية لان ملكا عربيا ما يملك نفطا »(٧). والى ذلك ، جادل وزير خارجية اسرائيل السابق أبا ايبان بأن الدول العربية « لا خيار لها سوى أن تبيع النفط لانه لا يوجد لديها أية مصادر أخرى على الاطلاق »(٨). وادعى الكثيرون من الاسرائيليين الآخرين بأن الملك فيصل يقيّم روابطه الاميركية تقييما كبيرا يمنعه من أن يلعب لعبة سياسية بالنفط . وقال احد الدبلوماسيين الاسرائيليين في واشنطن : « لا نعتقد اننا يجب ان نخشى اي نوع من انواع الابتزاز العربي. ان مثل هذا الكلام هو اختراع مصطنع»(٩). وصرح السناتور هنري جاكسون ان « علاقتنا الوثيقة والتعاونية مع اسرائيل تعمل على دعم المصالح الاميركية الاخرى ، وليس على تقويضها »(١٠). وقال جاكسون ان وجود اسرائيل في الشرق الاوسط هو عامل استقرار للعربية السعودية وغيرها من الدول المنتجة للنفط والمشيخات العربية ، وجادل بأن وجود اسرائيل قوية من شأنه أن يكبح الراديكالية والقومية العربيتين ، اللتين تشكلان خطرا بعيد المدى على ممالك النفط هذه .

لقد كانت السياسة الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ، ودعم الولايات المتحدة لها، يرتكزان على المقدمة المنطقية بأن اسرائيل هي دولة محلية قوية وفقا لمقاييس الشرق الاوسط وبأن سيطرتها التكنولوجية ستزداد مع الزمن . والى ذلك ، لم يكن الدعم الاميركي لاسرائيل يهدد مصالح الولايات المتحدة النفطية في العالم العربي . وفي الواقع ، ازداد انتاج النفط زيادة كبيرة وارتفعت أرباح الشركات بسرعة .

وكانت أول ضربة كبيرة أصابت مصالح النفط الاميركية هي التي وجهها العراق ضد شركة نفط العراق (اي. بي. سي.) التي يملكها الغرب في حزيران (يونيو) من عام ١٩٧٢ . وقد أعفيت الحصة الفرنسية في شركة نفط العراق من عملية التأميم . وقالت الحكومة العراقية انها قامت بهذه الايماءة نحو فرنسا تقديرا منهـــا لسياسة فرنسا المؤيدة للعرب في نزاع الشرق الاوسط. « ان العراق ، تقديرا منه لموقف فرنسا المشرف من القضية العربية وبغية المحافظة على علائق طيبة بين البلدين ، مستعد للدخول في مفاوضات مع الجانب الفرنسي حول قانون الحكومة المؤمم لشركة نفط العراق ، اذا كان الجانب الفرنسي يرغب في ذلك »(١١). وكان اقدام حكومة العراق الثورية على تأميم شركة نفط العراق عملا مهما ذا دلالة لانها المرة الاولى التي ينفذ فيها احد البلدان العربية تهديداته ضد شركات النفط الغربية .

ومنذ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، كان الشعور المعادي لاميركا قد ابتدأ يرتفع من جديد . وكان قد أضحى واضحا لمصر وسوريا أن اسرائيل قانعة بوقف النار وببقائها في الاراضي المحتلة . ولم تظهر اسرائيل اي اهتمام في تغيير الوضع القائم . فقد كانت الاراضي المحتلة توفر لها منطقة عازلة ، وسهولة الحصول عـــلى النفط ، ومناطق للاستغلال والاستيطان ، وأيد عاملة عربية . ولن تؤدي المفاوضات الا الى التضحية ببعض هذه الفوائد . ولذا واجهت مصر وسوريا احتمال ان اسرائيل ستعمل بثبات على ترسيخ سيطرتها عن طريق الاعتماد على الدعم الاميركي .

والى ذلك ، كان قد أضحى واضحا أن اسرائيل تتمتع بحماية من الولايات المتحدة ، وانه لا يسعها البقاء في الاراضي العربية دون الدعم المالي والعسكري والدبلوماسي

الاميركي . وكانت النظرية التي دافع عنها الكثيرون هي ان تهديد مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي من شأنه ان يجعلها تسارع الى تبني سياسة منصفة . وقد عبر محمد حسنين هيكل ، رئيس التحرير السابق لصحيفة **الاهرام** عن ذلك بقوله انه سيكون من الخطأ « القبض على الثور الاميركي الغاضب والمجنون من قرنيه . فالثور يجب أن يقتل في المنطقة العربية، بلا ريب ، ولكن ينبغي أن يتم ذلك على طريقة مصارع الثيران ، باستنزاف دمه »(١٢). ومضى السيد هيكل يقول انه ، الى جانب القتال على قناة السويس ، يجب ان تخاض « الحرب » الحقيقية في البلدان العربية الغنية بالنفط(١٣).

وبنمو الشعور المعادي لاميركا نظرا الى دعم الولايات المتحدة الاعمى لاسرائيل ، ارتفعت من جديد الاصوات المحرضة على استخدام سلاح النفط ، والنظريات حول افضل طريقة لاستخدامه . ووافقت اللجنة الاقتصادية التابعة للجامعة العربية رسميا ، ومن حيث المبدأ ، على استخدام النفط العربي والموارد الاقتصادية الاخرى كأداة للضغط . وفي اجتماع عقد في بغداد ، عام ١٩٧٣ ، ذهب الاتحاد الدولي لنقابات العمال العربية ، ومركزه القاهرة ، الى حد دعوة اعضائه الى « استخدام مختلف وسائل النضال » للاطاحة بالانظمة التي تعمق « الروابط الاقتصادية » مع الولايات المتحدة والى الشروع في تدمير المصالح الاميركية في العالم العربي . وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٧٣ ربطت العربية السعودية ، لاول مرة ، تدفق نفطها الى الولايات المتحدة بسياسة واشنطن في الشرق الاوسط . وقد حمل الانذار السعودي الى واشنطن الشيخ اليماني . وقال الملك فيصل في مقابلة رسمية مع مراسلين صحافيين اميركيين في تموز (يوليو) عام ١٩٧٣ : « ان الولايات المتحدة لا تكسب شيئا من دعمها لاسرائيل ، التي هي عبء عليها . والمصلحة الحقيقية للولايات المتحدة في هذه المنطقة هي في التعاون مع العرب » . وأضاف الملك قائلا : « اننا نرغب في استمرار الروابط الودية مع الولايات المتحدة » غير ان هذا سيكون « صعبا » الا اذا اظهرت الولايات المتحدة « سياسة اكثر انصافا وعدلا »(١٤).

واعتقد الكثيرون من الخبراء داخل الحكومة الاميركية انه يمكن استرضاء الملك فيصل عن طريق عرض تقديم الخبرة الصناعية الاميركية ، وعن طريق الاسواق المضمونة والتثمير في الولايات المتحدة ، وربما بتقديم بعض المدافع والطائرات .

ولم يسبب تأميم شركة نلسون بنكر هنت للنفط في حزيران (يونيو) ١٩٧٣ اي قلق بين راسمي سياسة الطاقة . الا أن العمل الليبي كان الاول الذي تقوم به أمة عربية **مستخدمة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط كسبب رئيسي للمصادرة** . ووصف الرئيس المصري السادات تأميم شركة نلسون بنكر هنت للنفط بأنه « بداية معركة ضد المصالح الاميركية في المنطقة العربية بأسرها »(١٥). واستطرد الرئيس السادات يقول ان « على اميركا ان تدرك انه لا يسعها أن تحمي مصالحها اذا ما استمرت في تحدي الامة العربية ودعم اسرائيل بلا حدود »(١٦).

وقال الرئيس القذافي في خطاب القاه بمناسبة الذكرى الثالثة لطرد القوات الاميركية من قاعدة ويلوس الجوية : « لقد حان الوقت لان نوجه الى اميركا صفعة قوية في وجهها البارد المتغطرس »(١٧). ومضى الرئيس القذافي يقول : « لقد حان الوقت لان يتخذ العرب خطوات جديدة لتقويض المصالح الاميركية في المنطقة . لقد تخطت الامبريالية الاميركية كل حد . . . فالاميركيون يدعمون عدونا الاسرائيلي »(١٨).

وكما ذكرنا سابقا ، لم تكن التهديدات من العالم العربي في الماضي تؤخذ على محمل

الجد في واشنطن . وقد تجاهلت العاصمة الاميركية كلمـات الملك فيصل والرئيس السادات والرئيس القذافي . وقبل حرب تشرين (اكتوبر) عام ١٩٧٣ بتسعة عشر يوما ، صرح هنري كيسنجر قائلا : « لا يبدو ان هناك أي بديل قصير المدى لزيـادة الواردات من الشرق الاوسط . **لدينا علاقات ممتازة مع موردينا الرئيسيين في الشرق الاوسط ، العربية السعودية وايران ، ولا نتوقع اية ظروف تقومان فيها علـى قطع امدادنا** »(١٩). والى ذلك ، ففي أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٣ قال الرئيس نيكسون لدول النفط العربية انها ستجد نفسها بلا أسواق غربية اذا ما استخدم النفط كسلاح سياسي . كما انه ذكر الدول العربية المنتجة للنفط بما حدث لمصدق عندما أمم هو مصالح النفط الغربية في ايران . ولم يكن الرئيس نيكسون يفكر تفكيرا عقلانيا ، ربما بسبب فضيحة ووترغيت ، وتجاهل حقيقة انه لا يمكن مقارنة سوق البائعين الغالية بسوق المشترين التي كانت سائدة لعشرين سنة خلت . فالولايات المتحدة وحليفاتها تحتاج الى النفط العربي أكثر مما يحتاج العرب الى المال .

لقد استخف الاميركيون بالعرب . واستمرت الولايات المتحـدة تعتقد انها غـير مضطرة الى الاختيار بين المحافظة على الغزو الاسرائيلـي وارضاء مصدري النفط العرب . وفي الثلاثين من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، علقت صحيفـة **وول ستريت جورنال** ، منبر دوائر الاعمال الاميركية ، قائلة : « لقد عجز المناضلون العرب حتى هذا التاريخ عن حمل الحكومـات المصدرة للنفط عـلى استخدام وقودها للضغـط السياسي . ورغم الكثير من الكلام الشامخ حول الاخوة العربية ، فحتى جارات مثل سوريا والعراق واجهت صعوبات في الاتفاق على أمور مثل الرسوم المناسبة على خط أنابيب يحمل النفط من العراق عبر سوريا الى البحر الابيض المتوسط »(٢٠).

ولكن فجأة اندلعت حرب تشرين (اكتوبر) ووجدت اسرائيل نفسهـا في مأزق ، ولولا شحنات الاسلحة الاميركية الهائلة عن طريق الجو ، لكانت هزمت اسرائيل . غير ان شحنات الاسلحة الاميركية المنقولة جوا لتعزيز الغزو الاسرائيلي أنتجت تحـركا سياسيا واقتصاديا غير متوقع . فالعالم العربي ، الذي عمل بصورة مجتمعة لاول مرة ، استخدم اكبر أداة للقوة لديه ــ نفطه . وتم فرض حظر للنفط ضد الولايات المتحدة ، والبرتغال ، وجنوب افريقيا ، وهولندا . واتخذ قرار بخفض الانتاج ١٠ بالمئة كل شهر الى أن تنسحب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة .

في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، كان متوفرا للولايات المتحدة ١٧ر٦ مليون برميل من النفط يوميا (بما في ذلك النفط المحلي والمستورد) . وفيما أخذت الدول المعنية تشعر بتأثير الخفوضات العربية ، هبطت الامدادات بصورة حادة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ واستمرت تهبط حتى آخر شباط (فبراير) ، عندما بلغت أدنى نقطة ــ عند مستوى ١٦ر٣ مليون برميل يوميا ، نحو ٧ر٤ بالمئة أدنى من مستوى أيلول (سبتمبر).

ويبدو ان الولايات المتحدة خسرت بصورة متوسطة خلال الازمة نسبة من امدادات النفط أكبر مما خسرت بقية العالم . فالولايات المتحدة ، خلال أسوأ أربعة أشهر من الازمة ، انخفض امدادها متوسط ٦ر١ بالمئة مما كان عليه في أيلول (سبتمبر) ، في حين لم ينخفض امداد بقية العالم خلال أسوأ أربعة أشهر من الازمة الا بمعدل ٣ر٤ بالمئة مما كان عليه في أيلول (سبتمبر)(٢١). وأدى فرض الحظـر ، مقرونا بطقس الشتاء ، الى نقص في الوقود . واضطرت مصانع الى التوقف عـن العمل ، وظلت منازل بلا تدفئة ، وكان على الناس أن ينتظروا ساعات في الصف لشراء البنزين .

لذا كان لاستخدام النفط كسلاح سياسي فعل الصدمة بالنسبة للولايات المتحدة .

وكان الاستمرار في فرض الحظر سيهدد الاقتصاد الاميركي بالخطر ويعرض الكثيرين لخسارة اعمالهم . وقد قدر باحثو « آرثر ليتل وشركاه » ، المؤسسة الاستشارية الشهيرة دوليا ، ان استمرار الحظر « يمكن أن يؤدي الى معدل بطالة يبلغ ٦ بالمئة الى ٧ بالمئة »(٢٢). وتمكن مقارنة هذا المعدل بالمعدل السابق لتشرين الاول (اكتوبر) الذي كان يبلغ ٥ر٤ بالمئة ، واعتبر أحد أدنى المعدلات في الاعوام الاخيرة . وقد شعرت بالنتائج المتسلسلة لحظر النفط العربي قطاعات اساسية مثل صناعات الكيمياء والنحاس الاحمر والصلب والسيارات والسكن .

وفرض استخدام النفط كسلاح ترتيب أولويات جديدا تماما في الدبلوماسية الاميركية . واخذت الولايات المتحدة تنفر اسرائيل بجهودها لتحسين العلاقات مع العالم العربي . كما ان استخدام النفط كسلاح سياسي هدد المصالح الحيوية لاميركا في العالم العربي . **ولاول مرة صار ينظر الى التزام أميركا لاسرائيل كعبء ثقيل** . وقد نجح سلاح النفط في عزل اسرائيل سياسيا . ووصف جوزف س. هارش ، محلل السياسة الخارجية المعتبر لصحيفة **كريستشين سيانس مونيتور** ، استعمال النفط كسلاح وصفا ملائما : « انه الاستعمال الاكثر تأثيرا ، وقد يصير أول استعمال ناجح ، للعقوبات الاقتصادية في التاريخ الحديث »(٢٣).

وصار للعالم العربي نفوذ في واشنطن ولدى واشنطن نفوذ أكبر في اسرائيل نظرا الى **اعتماد اسرائيل التام على أميركا** . ولا يعني اي من هذا ان اميركا ستتخلى عن اسرائيل أو تسمح باجتياحها . فالمجموعة الضاغطة لمصلحة اسرائيل في واشنطن ما تزال قوية النفوذ الى حد هائل . كما ان الاصوات والاموال الموالية لاسرائيل في اية انتخابات ما تزال حقيقة هائلة في نظر السياسيين . وقد تحدث الجنرال جورج براون، رئيس هيئة الاركان المشتركة الاميركية ، عن النفوذ اليهودي ـــ الصهيوني في الولايات المتحدة ، فقال : « انه قوي الى حد لا يصدق . فالاسرائيليون يأتون الينا لاجل المعدات . فنقول لهم انه لا يعقل أن نتمكن من حمل الكونغرس على تأييد برنامج كهذا . ويقولون لنا : لا تهتموا بالكونغرس ، فنحن نتدبر أمر الكونغرس . والذي قال هذا هو شخص من بلد آخر »(٢٤). وأضاف براون : « ولكنهم يستطيعون فعل ذلك. فهم ، كما تعلمون ، يملكون المصارف في هذا البلد ، والصحف ، أنظروا فحسب أين توجد الاموال اليهودية في هذا البلد »(٢٥).

وتنعكس سيطرة اسرائيل على الكونغرس الاميركي في نقل كميات ضخمة من الامدادات العسكرية النادرة الى اسرائيل . واحدى نتائج الامدادات العسكرية الاميركية لاسرائيل هي الحقيقة المذهلة التالية : ان أحدث طراز لدبابات م ـــ ٦٠ التي جرى شحنها جوا من المستودعات العسكرية الاميركية في المانيا الغربية الى ساحة حرب الشرق الاوسط لم يتم استبدالها في مستودعات الاسلحة الاميركية حتى الآن ، اي بعد مرور سنة كاملة .

وثمة امثلة اخرى على انخفاضات خطرة في مستوى القدرات العسكرية الاميركية . وذكر ان حوالي ٦٠٠ دبابة من طرازي م ـــ ٦٠ وم ـــ ٤٨ ، قد شحنت على جناح السرعة الى اسرائيل ، وهذا يشكل نحو ١٠ بالمئة من مجموع ما تملكه القوات الاميركية العاملة . وحمل الجسر الجوي الاميركي الى اسرائيل ما يقارب نصف المخزون الاميركي من صواريخ « تاو » الشهيرة المضادة للدبابات التي توجه سلكيا . وقد حصلت اسرائيل على قواذف لصواريخ « تاو » بالاضافة الى ٢٠٠٠ صاروخ وهذا يشكل حوالي ٢٥ بالمئة من مجموع المخزون الاميركي(٢٦). وقد عوضت الولايات

المتحدة طائرات الفانتوم الاربع والثلاثين التي فقدتها اسرائيل خــلال حرب تشرين (اكتوبر) ، وأضافت ٢٠ طائرة فانتوم أخرى ، ويتوقع ان تقدم ٤٨ طائرة اخرى قبل أوائل الصيف(٢٧).

لكن نفوذ النفط يوازن نفوذ المجموعة الضاغطــة لمصلحة اسرائيــل . وترغب واشنطن الآن في تسوية ترتكز على قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ مع بعض التعديلات لاخذ الشعب الفلسطيني في الاعتبار .

لقد أنتج سلاح النفط تضمينات عميقة للقضية الفلسطينية . فمقابل اربعة أصوات « سلبية » و٢٠ امتناعا عن التصويت ، وافق ١٠٦ من أعضاء الامم المتحدة على قرار للجمعية العمومية يسمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات بأن تأتي الى الامم المتحدة في نيويورك وتشترك في المناقشة حول فلسطين . وفي ما عدا بلدين اثنين من أميركا اللاتينية ، كانت الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي انضم الى اسرائيل في الاقتراع ضد القرار .

وتشعر اسرائيل الآن بالعزلة أكثر من أي وقت منذ تأسيسها لست وعشرين سنة خلت . والامر الاسوأ من هذا هو انها تخشى أن يكون الرئيس فورد ووزير الخارجية كيسنجر يتحركان نحو الاعتراف بوجود منظمة التحرير الفلسطينية ــ الى جانب كل بلد آخر في العالم تقريبا .

ورغم الاقتراع الاميركي السلبي حول قرار الامم المتحدة ، فان سياسة الولايات المتحدة تتحرك بكثير من الدقة نحو موقف مؤيــد لدولة فلسطينية بوصفهــا الطريقة الوحيدة لحل القضية الفلسطينية التي تدور حولها جميــع مشكلات الشرق الاوسط الاخرى . وبالرغم من سياسة واشنطن المعادية لمنظمة التحريــر الفلسطينية **فان راسمي السياسة الاميركية يشعرون بأن قمة الرباط تمثل قرارا متصلبا اتخذه زعماء واثقون من أن قوتهم الاقتصادية الجديدة ــ النفط والمال ــ سترغم الولايات المتحدة واسرائيل في النهاية على الاتفاق مع الفلسطينيين ، كما ان الدبلوماسيين الاميركيين في اسرائيل أكدوا لواشنطن ما سبق لمؤتمر قمة الرباط أن أكده وهو أن عاطفة الشعب في الضفة الغربية مؤيدة وموالية بقوة لمنظمة التحرير الفلسطينية** . ويقال ان كيسنجر قال لبضعة أسابيع خلت : « لو كنت استاذا وليس وزيرا للخارجية **لقلت انه مـن الضروري التعامل مع الفلسطينيين بغية المحافظة على السلام في الشرق الاوسط**»(٢٨). وتدرك الولايات المتحدة تمام الادراك أن حظرا ثانيا للنفط سيسبب « تمزقا رهيبا » . وقد ألمح الى ذلك رئيس هيئة الاركان المشتركة الاميركية الجنرال جورج س. براون في خطاب ألقاه في العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) ، عام ١٩٧٤ . ويشعر الرئيس فورد ان الولايات المتحدة بحاجة ماسة الى تسوية ، تتم قريبا . وقد قال لمجلة **يو اس نيوز اند ورلد ريبورت** : « يجب ان يكون واضحا للجميع انه لا يسعنا الاستمرار لفترة غير محدودة بالظروف الدقيقة جدا القائمة بين اسرائيل ومصر ، وبين اسرائيل والاردن، وبين اسرائيل وسوريا ، **او أن نمتنع عن أخذ المصالح الشرعية للشعب الفلسطيني بعين الاعتبار** . وبالاضافة الى ذلك ، لدينا مشكلة الاحتمال بأنه اذا ما وقعت مواجهة جديدة بين الاسرائيليين والعرب ، فقد نواجه امكانية حظر نفط آخر . . . »(٢٩).

في هذه اللحظة الحاسمة في تاريخ العــالم العربي وبنوع خاص تاريخ الشــعب الفلسطيني لا بد من التوضيح للولايات المتحدة بأن أية محاولة تقوم هي بها لاجهاض خلق سلطة وطنية فلسطينية لن تسفر الا عن فرض حظر ثان أشد من الحظر الاول . ومن جهة اخرى ، يجب أن يقال لاسرائيل ان العالم العربي سيخوض الحرب حول

الضفة الغربية أو الفلسطينيين بحد ذاتهم . وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، يبدو أن رابين وحكومته قانعين تماما باحتمال استمرار الطريق المسدود حول الضفة الغربية . ويعتقد رابين منذ وقت بعيد بأن العالم العربي لن يخوض حربا حول الضفة الغربية .

وأخيرا ، لم يعد راسمو السياسة الاسرائيلية والاميركية في مركز يمكنهم من الاعتماد على الشقاق العربي ليسهل لهم الامر في الحرب او المفاوضات بعدمـــا أثبتت الايام خطأهم في التكهنات بأن العرب المنقسمين انقساما عميقا على أنفسهم لن يستخدموا النفط كسلاح بصورة فعالة .

---

١ — Richard O'Connor, *The Oil Barons*, Little, Brown and Company, Boston, p. 348.

٢ — المرجع السابق نفسه .

٣ — **يو اس نيوز أند ورلد ريبورت** ، ٤ حزيران (يونيو) ، ١٩٤٨ ، ص ٢١ .

٤ — المرجع السابق نفسه .

٥ — **لايف** ، ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٧٠ ، ص ٣٧ .

٦ — Michael Hudson, «Towards A Critique of U.S. Middle East Policy», *Middle East Forum*, Summer, 1971.

٧ — **نيوزويك** ، ١٩ شباط (فبراير) ، ١٩٧٣ ، ص ٤٩ .

٨ — **مانشستر غارديان ويكلي** ، ١٥ أيلـول (سبتمبر) ، ١٩٧٣ ، ص ٤ .

٩ — **وول ستريت جورنال** ، ١٥ آب (أغسطس) ، ١٩٧٣ ، ص ١ و ١٩ .

١٠ — **ناشنال ابزيرفر** ، ١٦ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ ، ص ٣ .

١١ — **واشنطن بوست** ، ٢ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ ، ص أ ١٦ .

١٢ — **مانشستر غارديان ويكلي** ، ١٥ أيلـول (سبتمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٤ .

١٣ — **المرجع السابق نفسه** .

١٤ — **كريستشين سيانس مونيتور** ، ٦ تمـوز (يوليو) ، ١٩٧٣ ، ص ٨ .

١٥ — **واشنطن بوست** ، ١٣ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ ، ص أ ٤ .

١٦ — **في المرجع نفسه** .

١٧ — **في المرجع نفسه** .

١٨ — **في المرجع نفسه** .

١٩ — **بلاتس اويلغرام** ، ١٧ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٣ ، ص ٢ . Platt's Oilgram

٢٠ — **وول ستريت جورنال** ، ٣٠ كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٣ ، ص ١٥ .

٢١ — تصريح ادلى به روبرت ستوبو Stobaugh أمام لجنة العلاقات الخارجيـة التابعة لمجلس الشيوخ في ٢٥ تموز (يوليو) ، ١٩٧٤ .

٢٢ — **وول ستريت جورنال** ، ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٣ .

٢٣ — **كريستشين سيانس مونيتور** ، ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٧٣ ، ص ب ٩ .

٢٤ — **واشنطـن بوست** ، ١٣ تشرين الثـاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص أ ٩ .

٢٥ — **واشنطـن بوست** ، ١٣ تشرين الثـاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص أ ٩ .

٢٦ — **واشنطـن بوست** ، ١٨ تشرين الثـاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص أ ٢٣ .

٢٧ — **كريستشين سيانس مونيتور** ، ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ .

٢٨ — **واشنطـن بوست** ، ٨ تشرين الثـاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص أ ٢٦ .

٢٩ — **يو اس نيوز أند ورلد ريبورت** ، ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤ .

عشرة اعوام من عمر الكفاح المسلح الفلسطيني

المقدم الهيثم الايوبي

الثورة تعبير جماهيري منظم عن رفض واقع ظالم لا يحتمل ، والسعي الى تغييره بمختلف الاساليب العنيفة . وفق مخطط واضح المعالم ، مع السير على خط التطور التاريخي تحت لواء قيادة موهوبة واعية (فرد ، او مجموعة ، او حزب) مؤمنة بالجماهير وقادرة على تجسيد تطلعاتها . وان فقدت الثورة طابعها الجماهيري غدت انقلابا بلانكيا ، وان اضاعت مخططها أصبحت حركة فوضوية او «بولانجية» تدور في مكانها ولا تصل الى هدف محدد ، واذا لم تتح لها القيادة الموهوبة الواعية تبعثرت جهودها وتضاربت نشاطاتها وتشرذمت على الطريق ، وان توفرت لها جميع الشروط، وسبحت رغم ذلك عكس تيار التطور التاريخي ، فقدت صفتها كثورة ، وغدت ثورة مضادة (دينيكين ، كولتشاك ، بيغن) .

واذا انطلقنا من هذا التعريف العلمي للثورة ، وجدنا ان حركة النضال المسلح الفلسطيني التي انطلقت قبل عشرة اعوام كانت ثورة بكل ما في الكلمة من معنى . فلقد انطلقت كتعبير مسلح عن رفض الجماهير الفلسطينية لواقع القهر الصهيوني — الامبريالي ، وحددت لنفسها هدفا بعيدا هو تخليص العرب واليهود من الفكرة العنصرية الصهيونية ، وبناء دولة ديمقراطية يعيش فيها الجميع بسلام . وسارت نحو هذا الهدف الواقع على مسار خط التطور التاريخي ، تحت لواء قيادات واعية لاهدافها وامكاناتها وحقائق الظروف المحلية والدولية المحيطة بها ، تعمل مع الجماهير الملتفة حولها من أجل تحقيق تطلعات هذه الجماهير واهدافها العادلة .

وكان اختيار « الكفاح المسلح » كوسيلة لمجابهة العدو نابعا من تقييم طلائع الثورة الفلسطينية لطبيعة العدو (الصهيوني — الامبريالي) والقوى المحلية المتحالفة معه بالفعل او بالصمت وعدم الفعل المضاد، وحقيقة التناقض العربي مع العدو بكل أشكاله . فلقد وعت طلائع الثورة ان العدو يملك قوة تقنية وتفوقا صناعيا يتحول الى قوة حربية متقدمة ومنظمة . كما يملك خبرة طويلة في عمليات القمع واجهاض الثورات . ويتمتع بقسط كبير من العدوانية والشراسة ، ويؤمن بأن العنف القمعي هو الوسيلة الوحيدة لاخضاع الشعوب ، ويتمتع « هدف النزاع » بالنسبة اليه بأهمية مصيرية تدفعه الى القتال من أجلها ، ولو اضطره الامر الى خوض معركة يائسة حتى النفس الاخير ، وظهره الى البحر . كما وعت هذه الطلائع ان **التناقض مع العدو تناقض عدائي** . وان العدائية مع اطراف التحالف المعادي متباينة ، وهي تبلغ الذروة في التناقض مع العدو الاسرائيلي . ويرجع السبب في ذلك الى : ١ — طبيعة الاستعمار الاستيطاني الذي لا يستهدف احتلال البلاد واضطهاد اهلها ونهب خيراتها وتركيز قواعده القمعية فيها فحسب ، بل يستهدف ايضا طرد شعب من وطنه والقائه خارج الحدود لاخذ مكانه ، وتصفيته « تصفية جسدية وثقافية ومادية كاملة »(١) . والانطلاق بعد ذلك الى اخضاع الامة العربية ، ومنع وحدتها وتطورها ، ومساعدة الامبرياليين

على نهب خيراتها ، ٢ ـ لجوء الاستعمار الصهيوني منذ بدايات الاستيطان الاولى الى استخدام العنف والارهاب بكل اشكاله ليثبت وجوده وسط مجتمع يرفضه ويعتبره نفيا ماديا وحضاريا لوجوده ، ٣ ـ وجود غالبية الشعب الفلسطيني خارج ارضه ، واستخدام السلاح لمنعه من العودة اليها ، ٤ ـ عجز المجتمع الدولي عن تنفيذ مقررات هيئة الامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني، وافلاس الاساليب السياسية الرامية الى تحقيق ما يصبو اليه هذا الشعب ، الامر الذي يجعل العنف (الكفاح المسلح) الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاهداف الوطنية ، ٥ ـ لجوء العدو الاسرائيلي الى استخدام كل اساليب القمع لمنع سكان الاراضي المحتلة من ممارسة أي شكل من أشكال النضال المدني ضد الكيان الصهيوني ، وتطبيق القوانين العنصرية التي تحرم النشاط السياسي الرامي الى حل التناقض القائم بأساليب مشروعة ، ٦ ـ ارتفاع مستوى التعبئة الصهيونية داخل المجتمع الاسرائيلي بشكل قلب الاسطورة الى قناعات راسخة غير صحيحة علميا ، ولكنها اخذت بالنسبة الى الانسان الاسرائيلي حجم المسلمات التي تستحق القتال من أجلها ، ٧ ـ حقائق تاريخ صراع الشعوب التي أكدت ان الاستعماريين لا يتخلون عن مواقعهم ومكاسبهم عن طيب خاطر، وان الوسيلة الوحيدة للتخلص من قهرهم واستغلالهم هي اللجوء الى العنف التحريري مقابل العنف القهري .

ولقد ساعد تحليل نضالات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته المسلحة وثوراته منذ بداية الغزوة الصليبية الجديدة على ترسيخ هذه الافكار لدى طلائع الثورة ودفعها الى «اعتماد الكفاح المسلح والثورة الشاملة كاسلوب وحيد لتحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني »(٢) . وكان هذا القرار بالاحتكام الى السلاح ، واللجوء الى العنف ، الذي طالما استخدمه العدو ضد الشعب الفلسطيني ، مبرر وجود الثورة الفلسطينية في المنطقة ، وسمة تميز هذه الثورة عن الانظمة العربية التي كانت تبدو آنذاك وكأنها قابلة بالوضع الراهن او عاجزة عن تبديله . وهكذا انطلقت الثورة « من آلام وقهر شعب خسر كل شيء ، وصار على هامش التاريخ بلا أرض ولا معنى ، وظل له شيء واحد كان اخر اختياره وهو على حافة الاحتضار : ان يموت فوق ارضه واقفا ، أو يموت خارجها راكعا مندحرا »(٣) .

ولم يلاق هذا الاختيار الصعب في البداية تأييدا شاملا . وقوبلت العملية العسكرية الاولى التي قامت بها داخل الارض المحتلة « أجنحة من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ١٩٦٤/١٢/٣١ »(٤) بكثير من الحذر . وتم جدل طويل حول توقيت الانطلاقة الثورية التي تم الاعداد لها حوالي ٧ سنوات ، منذ ان بدأ تشكيل اول خلايا حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في الكويت عام ١٩٥٨ .

ولقد راى منتقدو الانطلاقة ان الوقت غير ملائم لفتح معركة مسلحة مع العدو ، وان البدء بهذا العمل فلسطينيا يعني **توريط** الاقطار العربية في صراع لم تستعد له بعد ، **وانفرادا** لا مبرر له . وان الثورة **صغيرة** الامكانات **غامضة** الافكار والمنطلقات . ورأت طلائع الثورة أن أصحاب هذه الانتقادات أشخاص واقعون تحت تأثير الردع الاسرائيلي ، او قطريون يغلبون مصلحتهم الخاصة على كل العوامل الاخرى ، او اناس عاجزون عن الرؤية الموضوعية للتطور الذي يتم في المنطقة ، وينظرون الى تطور القوة الذاتية العربية متجاهلين قدرة العدو على الافادة من عامل الزمن ويتجاهلون تسارع التطور الذي يتم داخل مجتمع العدو في ظل الهدوء واستقرار الاوضاع .

وكانت وجهة نظر الرواد ألاول لبدء المجابهة تتلخص في النقاط التالية : ١ — ان تأجيل الصدام مع العدو الصهيوني حتى تحل المشكلات الداخلية في الوطن العربي ، وتختفي العقلية القطرية ، وتتحقق الوحدة ، امر لا يؤدي الى حل المشكلات المحلية والقومية ، لان الوجود الصهيوني الذي يعتبر نتيجة من نتائج هذه المشكلات ، هو في الوقت نفسه سبب من أسبابها ، وعامل من اهم العوامل التي تعقد حلها ، ٢ — ان فتح المعركة مع العدو لا يشكل توريطا للامة العربية ، بل يشكل على العكس حافزا يدفعها الى وعي الخطر القومي والاستعداد له . وهو « توريط واع » للجماهير العربية لا للانظمة العربية ، لانه يضعها في حالة يقظة وتحفز ، ويحرك بالتالي أقوى العوامل الفاعلة في المعركة (الجماهير) ، ٣ — ان بدء المعركة ، وظهور الخطر الخارجي بكل أبعاده سيدفع الى وحدة القوى الثورية العربية التي ستعتبر الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة « نقطة التقاء للقوى العربية وقاعدة لتوحيد جهودها »(٥)، ٤ — ان ضعف امكانات الثورة لا يعني عدم البدء بها ، لان من الطبيعي ان تبدأ الثورة ضعيفة ماديا ما دامت تملك القوة المعنوية التي تؤمن لها التطور والنمو في المستقبل . والثورة الفلسطينية — ككل ثورة — عبارة عن رد الضعيف ماديا على قوة مسلحة قاهرة متفوقة أساسا ، ومن اولى واجباتها السعي خلال النضال الى تعديل ميزان القوى عن طريق النمو المادي واستخدام القوى المعنوية كعامل معدل في موازين القوى ، ٥ — ان عدم الانتقال من التنظير الى العمل ، ومن الوعي الى الفعل ، يؤدي الى اهتراء الثورة من الداخل ، وابتعادها عن الجماهير التي لا تؤمن الا بالعمل الملموس ، ولا تلتف حول الطلائع الثورية الا اذا برهنت هذه الطلائع عن نضالية عملية خلال مجابهة العدو ، ٧ — أن الثورة غير غامضة ، فهي تجسد افكارها بحمل السلاح ضد العدو الصهيوني ، وتعتبر العمل النضالي المسلح من أجل التحرير ، المؤشر الاساسي الذي يحدد ماهيتها وطبيعة اهدافها وحقيقة القائمين بها ، ٨ — ان على الشعب الفلسطيني الذي عزل عن المساهمة في وضع الخطط اللازمة للتحرير ، ووضعت مقدراته بيد الدول العربية المهتمة بأوضاعها الداخلية ، ان يعود الى الساحة ، ويحطم طوق العزلة والصمت ، ويجابه العدو بنفسه ، ويصنع مستقبله من خلال المعركة .

واذا ما عدنا الى تقييم افكار انصار الانطلاقة وافكار معارضيها بعد مرور عشرة أعوام على بدء هذه المرحلة من مراحل الصدا م المسلح بين الشعب الفلسطيني والغزوة الصهيونية ، وجدنا أن الظروف الموضوعية لم تكن بالفعل ناضجة ، وان الاوضاع الذاتية والمحلية والدولية لم تكن مؤهلة لشن الثورة . وان الرواد الاوائل الذين اخذوا على عاتقهم مسؤولية بدء الكفاح المسلح لم ينطلقوا من اوضاع مريحة ، ولم يجابهوا المعضلات التنظيمية والعسكرية التي تجابهها كل ثورة مسلحة فحسب ، **بل جابهوا أيضا مهمة تسريع انضاج الحالة الثورية** ، وحملوا كل الاعباء التي يتطلبها هذا العمل ، وكان عليهم ان يذللوا العقبات التي يفرضها العدو من جهة وحالة الجمود من جهة اخرى ، وان يزعجوا العدو من خلال تحطيم الجمود وتسريع الانضاج الثوري، وأن يسرعوا هذا الانضاج على نار الكفاح المسلح رغم التضحيات الجسام التي يتطلبها شن الكفاح المسلح في مثل هذا الوضع غير الملائم .

ولقد تابعت « فتح » مسيرتها رغم الانتقاد والتشكيك ، وانضم الى هذه المسيرة قبل حرب ١٩٦٧ منظمتان ثوريتان : « منظمة أبطال العودة » ، و « جبهة التحرير الفلسطينية » . وكانت العمليات العسكرية ضد العدو في البداية محدودة العدد والحجم . وكانت نقاط انطلاقها موزعة بين الضفة الغربية ، وسورية ، وجنوب

لبنان . وادى صغر الامكانات ، والصعوبات التي يلاقيها أي عمل ثوري في بداياته الاولى ، وتحديدات العمل العربية ، كما سنرى ، الى جعل عمليات الثورة الفلسطينية في بداية انطلاقها عبارة عن « حرب عصابات سرية صغيرة » تشنها طلائع مسلحة ، تتعاطف الجماهير مع أهدافها ، ولكنها لا تلتف حولها لمشاركتها وحمايتها وتزويدهـا بزخم كبير من المناضلين . لذا كانت منظمات الثورة في تلك الفترة أشبه بالبؤر الثورية التي تشن عمليات الدعاية المسلحة (العمليات العسكرية) ، لا لازعاج العدو والتأثير على معنوياته فحسب، بل ايضا لاكتساب ثقة الجماهير داخل الارض المحتلة وخارجها، وتحريك النزعة النضالية في داخلها ، وكسر حالة اللاثقة واللامبالاة والخوف التي نمت بين صفوفها بعد حربي ١٩٤٨ و١٩٥٦ . وهكذا كان على طلائع الثورة ان تشـق طريقها الى قلوب الاعداء والاصدقاء وعقولهم على السواء ، وان تزرع في معسكر العدو حالة انعدام الامن ، وأن تعطي لمعسكر الاصدقاء شعورا بالامـن والثقـة بالمستقبـل .

وبالاضافة الى الصعوبات الذاتية ، واجهت الثورة منذ بداية انطلاقها صعوبـة موضوعية (عربية) . ويرجع السبب في ذلك الى ان الثورة الفلسطينية لم تنطلق في عام ١٩٦٥ من داخل الارض المحتلة ، ولم تكن قواعدها الاساسية محاطة بجماهير تعيش تحت نير الاحتلال وتحتك بأجهزة قمعه يوميا ، ولكنها انطلقت من اراض عربية لا تخضع لسلطتها مباشرة ، بل تخضع لسلطة انظمة متناقضة مع العدو الصهيوني ، وخاضعة في الوقت نفسه لعوامل جذب عكسية (الفكر القطري ، الردع الاسرائيلي ، مشاكل التنمية ، الصراعات العربية ــ العربية ... الخ .) بشكل يمنعها مـن الاستعداد لمجابهة العدو القومي بشكل عنيف وحاسم ، ويدفعها الـى وضع هذه المجابهة والاعداد لها في الصفوف الخلفية من اهتماماتها .

ولقد انعكس هذا الوضع ــ وهو خاصية من خصائص الثورة الفلسطينية ــ على موقف الانظمة العربية من الثورة ، وجعل هذا الموقف يتراوح بين التأييد الحذر المشروط والعداء المكشوف . وكانت الانظمة العربية البعيدة عن مسرح الصدام ترى ان تأييد الثورة يكسبها الشعبية في الداخل دون أن يعرضها لخطر خارجي . على حين كانت الانظمة العربية الوطنية القريبة من مسرح الصدام ترى ان التأييد يكسبها الشعبيـة في الداخل ، ويضع في مجابهة العدو قوات ثورية تعمل وراء الخطوط ، ولكنه يعرضها لانتقام اسرائيلي لا تستطيع الرد عليه ، حتى لا يصعد العدو المجابهة الى « عتبة » لا تريدها ، وان المخرج من هذه المعضلة هو « التأييد المشروط » للثورة . اما الانظمة العربية التقليدية القريبة من مسرح الصدام ، فكانت ترى ان لا مصلحة لها في استفزاز العدو وتلقي ضرباته الانتقامية التي تهدد أمنها القطري . ومن هنا كان خطها العام الحد من نشاط قوات الثورة على أراضيها ، ومنعها من اجتياز الحدود ــ ولو ادى ذلك الى استخدام القوة (صدام دوريات الثورة مع القوات الاردنية في ٦٦/١١/١٦ ، و٦٦/١١/١٨ ، و٦٦/١٢/١٥ و ٦٦/١٢/١٦ ، و ٦٦/١٢/٢١ عـلى الحـدود الاردنية ــ الاسرائيلية ، وصدام دوريات الثورة مع القـوات اللبنانيـة في ٦٧/٥/٦ و ٦٧/٥/١٤ على الحدود اللبنانية ــ الاسرائيلية (٦).

ورغم محدودية عمليات الثورة في هذه الفترة ، فقد كانت مؤشرا خطيرا بالنسبة الى اسرائيل ، لانها برهنت على ثلاث حقائق : **اولاها** ، ان الشعب الفلسطيني، الذي يعتبر قضية التحرير قضيته الاولى ، دخل ساحة المعركة كقوة محفزة للعـرب ، **وثانيتها** ، ان الثورة الفلسطينية حملت لواء الكفاح المسلح مدخلة بذلك تطورا نوعيا على طبيعة المجابهة واسلوبها ، ومتجاوزة تأثيرات الردع الاسرائيلي الذي ضمـن

أستقرار « الوضع الراهن » منذ حرب ١٩٥٦ ، وثالثتها ، ان الثورة اعتمدت حرب العصابات كوسيله لعملها ، مع الطموح الى تنمية نوايات « حرب العصابات الصغيرة » وتطويرها وتعميق جذورها بين الجماهير حتى تصل الى مستوى « حرب العصابات الكبيرة » التي تشكل اداة هامة وفعالة من ادوات حرب التحرير الشعبية .

وكان من الطبيعي ان تتحرك الدولة الصهيونية بسرعة لمجابهة الخطر الجديد ، فهي تعرف ان ضرب حرب العصابات ، وكل أشكال الحرب الثورية ، يعطي أفضل النتائج اذا ما تم في الوقت الذي تكون به قوى الثورة في حالتها الجنينية ، وان تأخر الرد بسبب ضعف الديناميكيه ، او تحت تاثير عوامل خارجية أو داخلية او بسبب الرغبة في شن حرب مضادة متدرجة ، يعطي الثورة الزمن اللازم للنمو والتجذر . وان افضل وسائل اجهاض الثورة التي تعتمد على قواعد خارج الحدود هو الاعتماد على التغطية السياسية التي تقدمها له الامبريالية العالمية، وضرب القواعد نفسها ضربات لا تتمكن القوات العربية في الدول المجاورة من صدها او الرد عليها بضربات انتقامية . وان ضرب القواعد المتمركزة في المناطق العربية الحدودية سيؤدي الى تناقض عربي ــ فلسطيني ، ويدفع الجيوش العربية الى أخذ دور « حرس الحدود » بالنسبة الى اسرائيل . ولكن حجم الرد الاسرائيلي على الثورة بقي محدودا بمحدودية عمليات الثورة نفسها . ولم يخرج في البداية عن مستوى دوريات الحدود ، ونصب الكمائن عند الممرات الاجبارية ، وتدعيم قوات الحراسة الذاتية في المستعمرات ، ومراقبة عرب الارض المحتلة بعناية ، وتسديد بعض الضربات الانتقامية للمواقع العربية بغية الحفاظ على مستوى الردع في الخارج ، ورفع معنويات الاسرائيليين في الداخل .

وفي الخامس من حزيران (يونيو) اندلعت الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة، وشاركت فيها قوات الثورة الفلسطينية ، وخاصة على الجبهة السورية ، ضمن حدود امكاناتها وطبيعة العمليات نفسها وسرعة وتيرتها . واعتقد العدو بعد انتصاره على الجيوش العربية ان بوسعه أن يغمد السيف ويخلد الى الهدوء فترة طويلة من الزمن، ويضمن استقرار « الوضع الراهن » كما ضمنه بعد حربي ١٩٤٨ و١٩٥٦ . ولكن الثورة الفلسطينية لم توقف القتال الذي بداته قبل حزيران (يونيو) ، وقررت متابعته بعده . وساعدها على اتخاذ هذا القرار عدم تدمير قواعدها وكوادرها في حرب ١٩٦٧، واتساع رقعة الاراضي المحتلة ، وتزايد عدد الجماهير الخاضعة لقهر العدو الاسرائيلي ، وارتفاع التناقض العربي الاسرائيلي الى ذروة حادة وصدامية ، وتضاؤل التناقض بين نشاط الثورة الفلسطينية المسلح ضد العدو الاسرائيلي ، وموقف دول المجابهة التي يحتل العدو جزءا من اراضيها ويرفض التخلي عنه بالوسائل السياسية، واستعداد هذه الدول لدعم المجابهة المسلحة الفلسطينية ــ الاسرائيلية (مصر وسورية) ، او التساهل في فرض التحديدات عليها (الاردن) .

ووسط هذا المناخ الملائم اكثر من مناخ ما قبل حرب ١٩٦٧ ، تصاعد الكفاح المسلح داخل الارض المحتلة ، وتدعمت مواقع المنظمات التي بدأت الكفاح المسلح قبل الحرب ، وانضمت الى صفوف الثورة في فترات متعاقبة منظمات عديدة : « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، و« الصاعقة » ، و« جبهة التحرير العربية » ، و«قوات التحرير الشعبية» ، و« جبهة النضال الشعبي » و« قوات الانصار » ... وغيرها . ولقد رأت هذه المنظمات ان الظروف الموضوعية التي افرزتها هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والمتمثلة في احتلال اسرائيل لكامل ارض فلسطين ولقسم من الاراضي المصرية والسورية ، كانت من العوامل التي أدت الى تصاعد العمل الثوري ، وتحول تفكير الجماهير نحو الكفاح المسلح والعنف الجماهيري التحريري « فانضمت [الجماهير] في قطاعات هائلة العدد للثورة الفلسطينية بسبب فقدان الثقة ، واليأس من الحركات

السياسية والانظمة التي كشفتها واسقطتها الهزيمة »(٧). واخذت الثورة من حيث شرارتها ومن حيث مركز الثقل فيها طابع « ردة فعل وتحرر ورفض للاوضاع العامة ولواقع ازمة الثورة العربية ، ازمة حركة التحرير العربي »(٨). خاصة وان حرب حزيران كانت « نتيجة حتمية لواقع التكوين الطبقي والايديولوجي والسياسي لحركة الثورة العربية . وقد جاءت حركة المقاومة العربية في الارض المحتلة كرد عملي وثوري على واقع الهزيمة ، وتعبير عن ارادة الجماهير على الصمود وتصفية العدو الصهيوني الامبريالي . فمثلت حركة المقاومة الجانب الايجابي في الوضع العربي بعد الهزيمة »(٩).

ويمكن القول هنا انه اذا كان النشاط الثوري الفلسطيني بمختلف أشكاله قبل حرب ١٩٦٧ كان عملية تسريع في انضاج الظروف الموضوعية للثورة ، فان النشاط الثوري بعد الحرب كان عملا يتم في ظروف ناضجة — محليا على الاقل — ومؤهلة لتسريع الانضاج خارجيا . ولقد استخدم هذا النشاط الثوري العملين السياسي والعسكري بشكل متناسق . وكان العمل السياسي يطرح مسألتي : **التحرر الوطني ، والوحدة الوطنية** لانجاح « المناورة السياسية الداخلية » التي لم يكن نجاحها يحتاج الى كبير عناء نظرا لتجاوب الجماهير العربية معها بشكل مسبق . كما كان يطرح مسألتي : **الدولة الديمقراطية ، والتمييز بين اليهودي والصهيوني** لتأمين نجاح « المناورة السياسية الخارجية » داخل الرأي العام العالمي وداخل المجتمع الاسرائيلي نفسه . وكانت عدالة هاتين المقولتين وراء نجاح « المناورة السياسية الخارجية » على الصعيد العالمي ، وان كان نجاحها في اسرائيل وفي صفوف الصهيونية محدودا بسبب ديناميكية العقيدة الصهيونية وقدرتها على استقطاب يهود العالم ، واستغلال عقدهم، والغاء تناقضاتهم الطبقية وتعبئتهم نفسيا ضد العرب .

أما العمل العسكري فكان يستخدم مختلف الاساليب العنيفة التي يمكن تطبيقها في حرب العصابات ضد عدو يملك أداة عسكرية متطورة سريعة الحركة ومستنفرة باستمرار ، ويعتمد على سكان مستوردين معادين للثورة ، ويقاتل على ارض تسمح بالحركة السريعة ولا تؤمن الاختفاء بشكل كامل ، ويمتلك الخبرة في العل العصابي والحرب المضادة للعصابات . ولم تكن اساليب العمل العسكري نفسها متماثلة في جميع المناطق ، وفي مختلف مراحل الصراع ، بل كانت تتحول مع تحول موازين القوى، وتتطور بتطور اساليب العدو المضادة . ويمكن على هذا الاساس تقسيم العمل العسكري الى مراحل متعددة . وتحديد الاساليب الثورية المستخدمة خلالها .

أ — مرحلة النمو الجنيني (كانون الثاني ١٩٦٥ — حزيران ١٩٦٧)

بدأت هذه المرحلة في مطلع العام ١٩٦٥ ، واستمرت حتى حرب ١٩٦٧ . وكانت في جوهرها ، كما قلنا من قبل ، « حرب عصابات صغيرة » تقوم بها دوريات صغيرة تنطلق من الدول العربية المجاورة ليلا — بموافقة ضمنية من هذه الدول (سورية) او بدون موافقتها (الاردن ولبنان) — وتنفذ عمليات التخريب وزرع الالغام ونصب الكمائن الصغيرة داخل الارض المحتلة في العام ١٩٤٨ ، والتي تقطنها غالبية من السكان المعادين ، ثم تعود الى قواعدها الخارجية السرية في الليلة نفسها ، او تختفي وراء الحدود فترة من الزمن (عدة ايام) لتعود بعد ذلك الى قواعدها مستفيدة من الظلام . وكانت هذه الدوريات تتوخى عدم الصدام مع العدو ، وتفضل تنفيذ مهمتها والعودة الى قواعدها قبل أن تتمكن قوات المطاردة الاسرائيلية من الوصول الى مكان

العملية . وهذا ما دفعها في أغلب الاحيان الى استخدام الالغام والمتفجرات الموقوته التي يتم انفجارها بعد ساعات تسمح بالابتعاد عن الهدف والنجاه من المطاردة .

ورغم صغر هذه العمليات وقلة تواترها ، فقد خلقت في الجليل وسهلي الحولة وطبرية ، وبعض المناطق المجاورة للحدود الاردنية — الاسرائيليه ، بداية حالة انعدام الامن ، التي لم يكن العدو ليسمح بها او يقبل بتصاعدها الى « عتبة » أعلى .

ب — مرحلة القواعد المتحركة (آب ١٩٦٧ — مطلع عام ١٩٦٨)

بدأت هذه المرحلة مع عودة الثورة الى العمليات العسكرية في آب ١٩٦٧ ، بعد توقف مؤقت اعقب هزيمه حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وافادت قوى الثورة من الوضع الجديد ، وحصلت على مساعدات تسليحية ومالية من الدول العربية ، واستطاعت جمع كميات كبيره من الاسلحة الخفيفة والمتوسطة التي تركت على مسارح العمليات في سيناء والجولان والضفة الغربيه وقطاع غزة ، وانضم الى صفوفها مقاتلون مدربون منحدرون من صفوف المقاومة الشعبية وجيش التحرير اللذين تم انشاؤهما وتسليحهما وتدريبهما على يد السلطات المصرية في قطاع غزة قبل حرب ١٩٦٧ ، بالاضافة الى مناضلي الضفة الغربية المعبئين سياسيا ، والمستعدين لمقاومة الاحتلال رغم الضربات التي سددها النظام الاردني الى الحركة الوطنية الفلسطينية في عامي ٦٥—١٩٦٦ . واصبح بوسع الثورة العمل بين جماهيرعربية مؤيدة في قطاع غزة والضفة الغربية ، وتجنيد المقاتلين من بين صفوف الفلسطينيين المقيمين داخل الاراضي المحتلة وخارجها ، واستقطاب مناضلين عرب قرروا ردف الثورة والعمل بين صفوفها .

ولقد حظيت الثورة الفلسطينية خلال هذه المرحلة بدعم الجماهير العربية وتأييدها العفويين ، بعد أن رأت هذه الجماهير ان البندقية الفلسطينية هي السلاح العربي الوحيد المرفوع في وجه الاحتلال ، وان صوت الثورة هو الصوت الذي يجسد رفض الهزيمة وضرورة استمرار المقاومة رغم قوة العدو العسكرية وقدرته على تدمير الجيوش العربية النظامية خلال أيام . **وكان قرار الثورة في متابعة النضال قرارا علميا ومبدئيا ومحتوما** . اذ أن القاء السلاح بالنسبة اليها ، كان يعني العودة الى حالة الجمود التي سادت بعد حرب ١٩٥٦ ، والتي كان اطلاق الرصاصة الاولى في العام ١٩٦٥ تعبيرا عن رفضها والرغبة في تحطيمها ، كما انه يعني التخلي عن المهمة التاريخية التي حملت الثورة اعباءها . وكان عدم الاستمرار في الكفاح المسلح يعني ايضا الخضوع لارادة الخصم ، والقبول بتصفية قضية الشعب الفلسطيني ووضع هذا الشعب على هامش التاريخ . ولقد اعتمد القرار في جوهره على مبادىء الحرب الثورية التي تقول بأن هزيمة أمة من الامم واحتلال أرضها في العصر الحاضر لا ينهي النزاع الذي تكمن وراءه اهداف مصيرية ، وان بوسع الشعوب المقهورة متابعة النضال بوسائط مادية محدودة ، طالما انها تملك القوة المعنوية الدافعة ، وارادة القتال ، وترفض الخضوع لارادة الخصم ، وتحظى بتأييد عالمي (محدود في البداية) ، وتتلقى الدعم السياسي والمادي من دول صديقة بعيدة كانت أم قريبة .

ولقد افادت الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة من اتساع مسرح العمليات ووجود الجماهير المؤيدة ، وعدم قيام العدو بالترتيبات الكافية لمراقبة المناطق المحتلة والحدود العربية — الاسرائيلية . فنظمت صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأمنت الاتصال مع خلايا الداخل ، ودفعت الى الارض المحتلة كوادر قيادية سياسية وعسكرية ، واخرجت من الضفة الغربية عن طريق الجسور المفتوحة مناضلين ثوريين

لتدريبهم في قواعد الخارج واعادتهم الى الارض المحتلة للقيام بعمليات عسكرية ، وارسلت الى الاراضي المحتلة وخاصة الى الضفة الغربية — التي كانت شبه مجردة من السلاح — دوريات نقل السلاح والذخيرة ، واستقطبت عددا كبيرا من عرب المنطقة المحتلة في العام ١٩٤٨ ، فتصاعد العمل الثوري ضد العدو ، وشاركت فيه كافة فئات الشعب في الارض المحتلة . وعملت المرأة الفلسطينية الى جانب الرجل في تخطيط العمليات العسكرية وتنفيذها . وكانت الهياكل التنظيمية لخلايا الثورة في الداخل تعتمد الى حد بعيد على الهياكل التنظيمية للاحزاب الوطنية القائمة ، كما تعتمد على الشخصيات الوطنية التي عرفت في الماضي بنضالها الفكري او العملي دون أن تنتظم في صفوف الاحزاب .

من هنا جاءارتفاع حدة العمليات العسكرية ضد المحتلين وانتشارها الجغرافي . ولقد أخذت هذه العمليات شكلا أكثر جرأة وأشدتنظيما . وكانت تتمثل في الاغارات على المستعمرات ، ونصب الكمائن لدوريات العدو وآلياته المنعزلة ، بالاضافة الى عمليات النسف وزرع الالغام . ورافق هذه العمليات العسكرية نضال جماهيري داخلي (اضرابات ، اعتصام ، حركات احتجا ج، عصيان مدني ، امتناع عن العمل في مؤسسات العدو الاقتصادية) . وكان الاتصال بين مناضلي الداخل والخارج متينا ومستمرا . وكانت قواعد الخارج منتشرة في سورية وغور الاردن ومرتفعات السلط وجنوب لبنان . ولم تكن مهمة هذه القواعد مقتصرة على تدريب المقاتلين واعدادهم عسكريا ونفسيا ، ودفع دوريات الامداد والتموين الى الداخل فحسب ، بل كان من مهماتها أيضا دفع دوريات قتالية للقيام بعمليات متعددة الاغراض في عمق الارض المحتلة وفي منطقة القشرة (اغارات على كمائن العدو التي تراقب الحدود ، ونصب كمائن للدوريات الالية التي تحاول منع التسلل مع زرع الالغام على مسالك سيرها) .

جـ — مرحلة القواعد الثابتة (مطلع عام ١٩٦٨ — آذار ١٩٦٨) .

لقد كان من سمات القواعد الخارجية في الفترة السابقة انها صغيرة ، ومنتشرة ، ومتحركة ، ولا تحظى بالشرعية اللازمة . ولقد رأت الثورة في مطلع العام ١٩٦٨، وبعد أربعة أشهر من العودة الى العمليات العسكرية، ان عليها أن تنهي هذه المرحلة بتثبيت القواعد والمعسكرات ، واعطائها طابعا شبه شرعي . وهكذا ظهرت القواعد الخارجية العلنية . وفسرت الثورة هذا التحول بقولها « لقد استطعنا خلال اربعة شهور ان نسترجع آذان العالم وعيونه . واخذت الجماهير العربية ، من خلال عملياتنا تتحسس الشعور بالانتصار الذي أصبح غريبا عنها » ... « تجربة الشهور الماضية اقنعتنا بان علينا ان نكتفي بما حققناه من نتائج ، وان ننهي مرحلة المشردين الهائمين بسرعة ، لان القتال بهذا الاسلوب لا يمكن ان يكون استراتيجية طويلة الامد، اذ أن الاستنزاف الذي يعاني منه كل المشردين الهائمين ، نظرا لعدم القدرة على التعويض السريع للخسائر ، يجعل انماء الذات أمرا صعبا . ومن هنا كان لا بد من الجروء على خوض النضال ، والاقدام من أجل الحصول على القاعدة الامنة . »... « ومن هنا وقع الاختيار على الاغوار لتكون منطقة العمل العلني (القاعدة الامنة) والضفة الغربية ساحة قتال »(١٠).

وانتشرت القواعدالعلنية بعد اتخاذ القرار على طول الضفة الشرقية لغور الاردن، وكان لكل منظمة قواعدها ومعسكراتها ، ثم انتقل بناء القواعد العلنية الامنة الى سوريا ولبنان ، واخذت في كثير من الحالات صفة شرعية كاملة او شبه كاملة .

وانتزعت الثورة حقها في الوجود على جزء غير محتل من الارض العربية للقيام بعملياتها بغية تحرير الجزء المحتل من هذه الارض . ولقد ادى ظهور هذه القواعد الى نتيجتين: **اولاهما**،تزايد الدور العسكري ـ السياسي الذي تلعبه في مناطق نشاطها على الضفتين الشرقية والغربية . اما **الثانية** ، فهي استقطاب ردود فعل عسكرية اسرائيلية تمثلت في القصف المدفعي والجوي للقواعد ، واختراق الحدود العربية لمطاردة الدوريـات عند عودتها من مهماتها الى قواعدها الخارجية ، مع الاستمرار في تهديد الدول العربية المجاورة وقصف التجمعات السكانية وراء الحدود لتنشيط الردع . وكانت ردود الفعل العسكرية الاسرائيلية تعتمد على مبدأ تجاهل الحدود السياسية باسم الامن ، ورسم الخطط القمعية وفق خط الحدود الايديولوجية ، اي خط الحدود الذي تستطيع قواتها الوصول اليه لضرب الثوار مع الاخذ بعين الاعتبار لكل « تحديدات العمل » المحلية والعالميـة .

ولم تكتف سلطات العدو بضرب منابع الثورة الخارجية بل عمدت الى اتخاذ التدابير اللازمة لعزل قواعد الداخل وضربها . وكانت هذه التدابير تتمثل في تكثيف الدوريات الالية على الحدود ، واستخدام الادلاء والكلاب البوليسية لاقتفاء الاثر ، ومراقبـة المخاضات على نهر الاردن ، وشن حملة اعتقالات داخل الارض المحتلة ، تستهدف كشف الخلايا وتدميرها . وكان نجاح اجهزة العدو في ضرب خلايا الداخل ملحوظا نظرا لضعف تدابير الثوار الامنية ، والروابط الحزبية او المحلية (العشائرية والقروية والعائلية) التي كانت تربط اعضاء التنظيم ، وتساعد على كشفه بمجرد كشـف احد افراده ، مع الافادة من الوثائق الامنية المتعلقة بالمنظمات والاحزاب والشخصيات الوطنية ، والتي تركتها السلطات الاردنية عند انسحابها مـن الضفة الغربيـة ، فاستخدمها المحتلون كنقطة انطلاق مادية لمجابهة الخلايا الثورية التي اعتمدت قبل كل شيء على هذه التنظيمات والاحزاب والشخصيات .

ولم تستطع جميع هذه التدابير ايقاف المد الثوري . ولذا رأت اسرائيل ان عليها توجيه ضربة قوية لقواعد الثورة في الخارج بغية قصم ظهرها وتصفيتها ماديا . ومن هنا جاءت فكرة التخطيط لعملية الكرامة التي ارادها العدو ضربة نهائية لقوى الثورة الخارجية التي أجبرتها مصادماتها المتكررة مع السلطة الاردنية على التجمع في الكرامة والكريمة . وعندما أحست الثورة باستعدادات الهجوم على معسكر الكرامة ظـهر داخل منظمات الثورة رأيان : يقول **الاول** الذي تبنته « الجبهـة الشـعبية لتحرير فلسطين » بأن من الضروري تطبيق مبادىء حرب العصابات (الانسحاب امام العدو المتقدم ، وضرب العدو المنسحب) واخـلاء الكرامة عنـد تقـدم العدو حتى تقـع ضربتـه في الفراغ . ويقول **الثـاني** الذي تبنته « فتـح » و « قـوات التـحرير الشعبية » ، بأن من الضروري خلق ملحمة بطولية ، والصمود امام العدو ، والدفاع عن القاعدة بقوة ، وصده ان امكن ، لتنتهي مرحلة الانتصارات الاسرائيلية والهزائم العربية ، وتبدأ مرحلة جديدة تذوق فيها اسرائيل طعم الخسائر والهزائم . وانسحب من المدينة معظم عناصر اصحاب الراي الاول ، بعد ان تركوا في الكرامة مجموعـة صغيرة مكلفة بالانسحاب الى تلين واقعين شرقي المدينة عندما تبدأ العملية ، لحماية خط رجعة القوات المدافعة . وبقيت في المدينة للدفاع عنها قوة ثورية كبيرة تضم ٤٢٢ مقاتلا من قوات العاصفة و٣٣مقاتلا من قوات التحرير الشعبية(١١). وعندما شـن العدو هجومه في يوم ١٩٦٨/٣/٢١ مستخدما المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية والطيران والقوات المحمولة بالهليكوبتر جابهته الثورة بمقاومة عنيفة ، وتضافـرت مجموعة من الظروف الملائمة : ١ ـ شراسة المقاومة ، ٢ ـ استهتار العدو ، ٣ ـ

وجود دبابات اردنية وأسلحة مضادة للدبابات في مواقع مختفية . ٤ ــ هبوط الضباب على مواقع العملية الامر الذي أدى الى تأخر اقلاع طائرات الهليكوبتر التي تقل المظليين المكلفين بتطويق المدينة ، وقيام الطائرة المكلفة بالقاء المنشورات فوق الكرامة بعملها قبل احتلال المظليين لمواقعهم ، الامر الذي انذر قوات الثورة بشكل مبكر ، ٥ ــ اشتراك المدفعية الاردنية بالرمي على المهاجمين رغم الاوامر المعاكسة، ٦ ــ اضطرار الاسرائيليين (سياسيا) للانسحاب من الضفة الشرقية ، ٧ ــ طابع المغامرة الذي اتسمت به العملية المحرومة من أي افق استراتيجي .

وأدى كل ذلك الى فشل الاغارة الاسرائيلية في تحقيق اهدافها ، واصابة المغيرين بخسائر كبيرة ، واضطرارهم الى ترك عدد من قتلاهم ومعداتهم على ارض المعركة . وعلى الرغم منضخامة القوة المعادية المشتركة في الاغارة، وحجم الخسائر المادية التي الحقتها بقوات الثورة ، فقد كانت نتيجتها العامة معاكسة للغرض المتوقع منها ، واخذ صمود الثورة امام قوى العدو المعتادة على الانتصار حجما معنويا هائلا ، واثبتت الثورة انها تجاوزت مرحلة الولادة واصبحت قادرة على الوقوف على قدميها ، والاشتباك في القتال في معركة غير متكافئة . وخلقت الملحمة التي كانت منعطفا حدد مرحلة جديدة من مراحل العمل الثوري .

د ــ مرحلة الصعود الثوري (آذار ١٩٦٨ ــ تموز ١٩٧٠)

لقد كان لمعركة الكرامة صدى كبير بين الجماهير العربية التي أحست ان في صمود الكرامة صمودها ، وفي فشل العدو وعجزه عن تحقيق اهدافه استرداد لكرامتها . وتصاعدت هيبة الثورة بين صفوف هذه الجماهير ، وتدفق المتطوعون الى الانخراط في منظمات الثورة ، واخترق الكفاح المسلح الجدار الاعلامي المعادي ، واصبح للثورة سمعة عالمية كبيرة . وانعكس ذلك على المساعدات العربية المادية والمعنوية ، وتزايد حرية العمل والحركة على الاراضي العربية المجاورة لاسرائيل ، وخاصة الاردن . الامر الذي سبب بالتالي تصاعد العمليات العسكرية الثورية الى حد بعيد . وكانت هذه العمليات في جوهرها خلال الشهور التسعة الاخيرة من العام ١٩٦٨ مماثلة لعمليات المرحلة السابقة ، وان كانت اكبر حجما وأشد تطورا . وفي العام ١٩٦٩ شهدت الثورة الفلسطينية مدا كبيرا ، ووصلت هيبتها وحجم عملياتها الى الذروة . وبالرغم من الانشقاقات التي اصابت عددا من المنظمات ، فان الخط العام كان يسير نحو ايجاد صيغة لتحقيق الوحدة الوطنية رغم الاختلافات الايديولوجية القائمة بين المنظمات . ولقد ادى التنافس بين المنظمات الى ظاهرتين : **ظاهرة ايجابية** تتمثل في تصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة ، **وظاهرة سلبية** كان من أبرز أشكالها عرقلة الوحدة الوطنية ، والازدواجية في الاعلان عن العمليات وتبني عدة منظمات لبعض العمليات ، والدخول في حوار مكشوف ، وعنيف احيانا حول هوية المنظمة القائمة بالعملية .

وكانت هذه الفترة ، فترة اتساع القواعد في جنوب لبنان وازدواجية السلطة في الاردن . ولقد جربت السلطات اللبنانية استخدام العنف لايقاف عملية « اردنة » جنوب لبنان (احداث تشرين الثاني ١٩٦٨ ونيسان وتشرين الثاني ١٩٦٩) . كما حاولت السلطات الاردنية حسم ازدواجية السلطة بالقوة (احداث تشرين الثاني ١٩٦٨ وشباط وحزيران ١٩٧٠) ، ولكن هذه المحاولات لم تؤد الى النتيجة المرجوة منها ، وتصاعد العمل العسكري الفلسطيني ، وحصل فيه تبدل نوعي ملحوظ تمثل في المظاهر التالية : ١ ــ استخدام أسلحة أكثر تطورا وعددا وخاصة على صعيد

الاسلحة المضادة للدبابات، ٢ ـ استخدام اساليب متقدمة في حرب الالغام والمتفجرات (التفجير عن بعد ، وشبكات الالغام) ٣ ـ القيام باغارات مشتركة كبيرة (عملية الحمة ٢ أيار ١٩٦٩) ، ٤ ـ التطلع نحو رفع مستوى العمليات الى مستوى العمليات الكبيرة والحرب المتحركة ، كعملية « حراب فتح » و« الحزام الاخضر » و« رأس الحربة » و« الارض الطيبة » ، و« فرحان السعدي » ، و« عبد القادر الحسيني » ـ ولقد نفذت بعض هذه العمليات عناصر من « فتح » كما نفذت البعض الاخر عناصر من فتح وجيش التحرير (القادسية) وقوات التحرير الشعبية . وعمليتي « الخط الاحمر » ، و«هوشي منه» اللتين نفذتهما الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، ٥ ـ تصاعد حدة المجابهة المسلحة في قطاع غزة ، وتزايد القاء القنابل على الدوريات الاسرائيلية في شوارع مدن القطاع ، وخاصة خلال العام ١٩٧٠ الذي سمي « عام القنابل » وسيطرة الثوار على القطاع وتأثيرها على مجرى حياة السكان فيه، وحصول الثوار على تأييد الجماهير التي كانت تقدم لهم الملجأ والغذاء وتردفهم بالمتطوعين « حتى غدت الفتح والجبهة الشعبية تسيطران على المواطنين ، على حين يسيطر الجيش الاسرائيلي على الارض »(١٢).

وكان من الممكن ان يصل التصعيد العسكري في هذه المرحلة الى درجة اعلى ، لولا الفشل في تحقيق الوحدة الوطنية ، وتبديد جزء من الطاقات في الصراعات الداخلية (الفكرية والمسلحة) بين المنظمات ، ومضايقات السلطة الاردنية التي كانت تستنزف قوى الثورة بشكل مستمر ، وتفرض عليها اقتطاع جزء من قواتها وتبديد قسط كبير من جهودها لحماية مواقعها من الضربات التي تأتيها من الخلف .

ولاقت الثورة الفلسطينية خلال هذه الحقبة صعوبات اخرى نجمت عن تدابير العدو المضادة . فلقد شددت سلطات الاحتلال قبضتها على سكان المناطق المحتلة ، واستخدمت الابعاد ، والاعتقال الاداري ، ونسف المنازل ، وتهجير السكان كأدوات لقمع الثورة ، وأنهت في هذه الفترة بناء خط الحواجز الذي بدأت بناءه في العام ١٩٦٨ ، وأقامت فيه الاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ، وأجهزة الانذار الاليكترونية ، والكشافات والالغام والمواقع الدفاعية على طول غور الاردن . وأنشأت على محاذاته « طريق البراشة الترابي » الناعم لكشف آثار اقدام الدوريات المتسللة وتحديد اتجاهها . وكانت دوريات القتال أو التموين التي تحاول اجتياز الخط مضطرة الى قطع المسافة القائمة بين نهر الاردن والمناطق الآهلة بالسكان في الضفة الغربية للذوبان بعد ذلك بين الاهالي خلال ليلة واحدة ، والا استطاعت طائرات الهليكوبتر ودوريات العدو كشف مكان تسللها، وتحديد مواقعها التقريبية، واستدعاء القوات الميكانيكية المستنفرة لتطويق المواقع وتمشيطها بحثا عن المتسللين الذين كثيرا مـا كشفت مواقعهم بهذا الشكل ، فحوصروا واضطروا الى القتال في معركة غير متكافئة ، تشترك فيها من جانب العدو وحدات آلية ومظلية كبيرة مدعومة بالطائرات احيانا، الامر الذي يحرم قوات الثورة من تطبيق مبدأ هام من مبادىء حرب العصابات : تحقيق التفوق التكتيكي رغم عدم وجود التفوق الاستراتيجي .

وأمام كل هذه الصعوبات برزت اهمية البحث عن حل لمعضلتين رئيسيتين : **حماية ظهر الثورة ، ومتابعة العمليات ضد العدو** . وكان الحل الامثل للمعضلة الاولى هو اعطاء الثورة عمقا عربيا بشريا وجغرافيا ، اي خلق « هانوي عربية » تسمح بعمل القواعد الثورية دون ان تتأثر بعمليات العدو الانتقامية ، ودون ان تدفعهـا هذه العمليات وتأثيرات الردع الى التناقض مع الثورة وتهديد أمنها . أمـا حل المعضلة الثانية فكان بحاجة الى ايجاد الردود الثورية على التدابير الاسرائيلية المضادة . ولقد

نجحت الثورة نسبيا في ايجاد الحلول للمعضلة الثانية ، وأوجدت أساليب تقنية لاجتياز الحاجز ، واستطاعت استغلال طول الحدود الاردنية وصعوبة مراقبتها لتتسلل عبر منطقة النقب ، ونقلت بعض نشاطها الى جنوب لبنان ومنطقة الجولان ، وركبت البحر منذ عام ١٩٧٠ للقيام بعمليات كوماندوس بحري على شواطىء الارض المحتلة ، او لتموين قواعد الداخل بحـــرا . وتابعت ازعاج العدو عــن طريق القصف بالهاون وصواريخ كاتيوشا التي استخدمت لاول مرة في ليلة ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . ولكن منظمات الثورة الفلسطينية عجزت عن حل المعضلة الثانية (معضلة الامن) رغم محاولاتها الجادة والمخلصة للتعايش مع النظام الاردني . فلقد كان التناقض في المصالح والتباين في المفاهيم وتقييم العدو واسلوب مجابهته ، يغلقان السبيل أمام كل المحاولات، كما كان نمو الثورة الفلسطينية وامتلاكها لقلوب الفلسطينيين داخـل الارض المحتلة وخارجها ، يعني تجريد الملك من سلطته على معظم رعاياه (سكان الضفة الغربية و ٦٠ ٪ من سكان الضفة الشرقية) . وكان المخرج النظري الوحيد لهذه المعضلة : **اسقاط النظام الاردني ، واقامة نظام وطني ديمقراطي في الضفة الشرقية يسمح بمتابعة النضال ضد العدو الاسرائيلي دون التعرض لضربات من الخلف** . بيد ان مجموعة من العوامل الذاتية والعربية والدولية والاسرائيلية جعلت من المتعذر تنفيذ هــذا الحل عمليا ، حتى ولو تطلعت للقيام به الحركـــة الوطنية الاردنية نفسهـــا . لهذا بقيت ازدواجية السلطة ، واستمر استنزاف النظام الاردني للثورة .

هـ ــ **مرحلة الحبوط الثوري** (تموز ١٩٧٠ ــ تشرين الاول ١٩٧٣) :

في تموز (يوليو) ١٩٧٠ ظهر عامل موضوعي جديد أثــر على الوضع الثوري في المنطقة . فلقد طرح وزير الخارجية الاميركي روجرز في هذا الشهر مشروعه الخـــاص بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، ووافق عليه الرئيس جمال عبد الناصر ليكشف التعنت الاسرائيلي أمام الرأي العام العالمي وأمام الولايات المتحدة نفسها ، وعارضته غالبية منظمات الثورة الفلسطينية ورأت فيه مؤامرة أميركية مخادعة ، فحصل من جراء ذلك انشقاق فكري داخل الحركة الوطنية العربية ، وداخل الثورة الفلسطينية. وكان وضع هيبة الرئيس جمال عبدالناصر وشعبيته مقـــابل هيبة الثورة وشعبيتها لعبـــة أميركية ذكية ، أفاد النظام الاردني من نتائجها ، واستغل حادثة خطف الطائرات من قبل ج. ش. ت. ف. وانزالها في مطار الثورة في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وسدد الى الثورة ضربة أيلول التي هزت الاسس المادية والمعنوية للمنظمات .

ورغم الوساطة العربية ، والمواثيق التي قطعتها السلطة الاردنية على نفسها ، والاتفاقات التي تم توقيعها ، وانسحاب قواعد الثورة من المدن الى جرش وعجلون ، وسحب اسلحة الميليشيا من المدن وما خلقه هذا السحب من احتكاكات داخل صفوف الثورة ، فقد تابع الاردن مخططه لتصفية الثورة . وكانت الفترة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وتموز (يوليو) ١٩٧١ ، فترة حرب استنزاف نشط، شنتها القوات الاردنية ضد قواعد الثورة المنسحبة الى الجبل (احداث كانون الثاني (يناير) عند مثلث جلعد ــ رميمين ــ أم الجوزة ، وفي عمان والزرقاء والرصيفة ومخيم شنلر ومخيم البقعة ، واحداث شباط (فبراير) في جبل هملان والهاشمي والنصر والمحطة ، واحداث آذار (مارس) في اربد ، واحداث نيسان (ابريل) في الاغوار وام السرب وجابر والشجرة والمشيرفة والروسان ودير الكهف وجبل ساكب ، واحداث أيار (مايو) في رميمين ، وعرقلة عملية امداد القواعد المتفق على بقائها في الاغوار وأحراش جرش وعجلون طوال أشهر أيار (مايو) وحزيران (يونيو) ، والنصف الاول من تموز (يوليو)) . ورافق حرب الاستنزاف المادي حرب استنزاف معنوي ، سلاحها التشهير بمبادىء

الثورة وقادتها ، والتشكيك بأهدافها واساليبها . وادى الاستنزافان المادي والمعنوي الى اضعاف فاعلية الثورة التي أصبحت مسائل الامن والامداد والتموين والدفاع عن النفس تشكل القسط الاكبر من طاقتها وتحرمها من العمل بكل امكاناتها ضد العدو الاسرائيلي .

ولم تكن الثورة أساسا في وضع يسمح لها بتحمل هذا الاستنزاف بعد أن فقدت في أحداث ايلول عددا كبيرا من مقاتليها وكوادرها ، وخسرت معظم قواعد الانطلاق والامداد في الغور ، وخسرت جميع قواعد وادي عربة . وخرج معظم قياديي الصف الاول من الاردن ، وانسحب جزء من المقاتلين الى سوريه ولبنان ، وانخفض عدد ومستوى معسكرات التدريب ، وابتعدت قواعد الثورة عن جماهيرها التي تردفها بالرجال وتمنحها الزخم المعنوي ، واضطرت للعيش في منطقة تندر فيها مصادر المياه والغذاء ، ولا تشكل امتدادا لارض صديقة مجاورة ، ويقطنها سكان غير موالين للثورة ومعبؤون ضدها . لهذا جاءت الهجمة الاردنية (١٣ ــ ١٩ تموز) في ظروف مناسبة للقوات الاردنية النظامية المتفوقة عدديا وتسليحا ، والتي قاتلت قوات شبه نظامية غير معدة للاشتباك في معركة تقليدية . وانتهت المجابهة الاردنية ــ الفلسطينية في تموز (يوليو) بتصفية قواعد الثورة الفلسطينية . وانتهت الحملة العسكرية الاردنية التي وصفها ضابط اسرائيلي بــ « انها اكبر عملية اقتحام لنا منذ عام ١٩٦٧ »(١٣). واستعادت السلطات الاردنية بعد هذه الحملة زمام السيطرة على كافة اراضي الضفة الشرقية ، وحرمت الثورة الفلسطينية من قواعد انطلاقها السابقة ، ودفعت مقاتلي الجبل ومناضلي المدن الى ترك الاردن والانتقال الى سوريه وجنوب لبنان .

ورغم كل هذه العوامل والاحداث المعيقة ، فقد مارست الثورة الفلسطينية النضال بجزء من قواها ضد العدو الصهيوني. واذا كانت حرب الاستنزاف الاردنية قد أضعفت فاعلية عمليات الثورة عبر الحدود الاردنية دون أن تستطيع ايقافها قبل تموز (يوليو) ١٩٧١ ، فان عمليات الثورة عبر الحدود اللبنانية والسورية وداخل الارض المحتلة استمرت بلا انقطاع . وكانت عمليات القشرة في العام ١٩٧١ على الحدود اللبنانية ــ الاسرائيلية أفضل نوعا واكثر عددا من العمليات المماثلة في العـــام ١٩٧٠ . وكانت بمجملها من نوع عمليات القشرة التي شنتها الثورة عبر الحدود الاردنية في مرحلة صعود الثورة . ولم يكن العمل من جنوب لبنان يلاقي صعوبات العمل من غور الاردن نظرا لطبيعة الارض الملائمة للتسلل ، وعدم وجود حاجز مائي ، وعدم وجود خط حواجز اسرائيلي على طول الحدود اللبنانية ، وقرب الاهداف المنوي ضربها ، وعدم انتشار الجيش اللبناني بكثافة على الحدود مع العدو ، ووجود المخـــافر والدوريات اللبنانية على الطرقات وفي المناطق الحساسة فقط .

وهنا ايضا جابهت الثورة الفلسطينية تحـــديدات العمل اللبنانية . وكانت هـــذه التحديدات حتى منتصف العام١٩٧١ قليلة يمكن تجاوزها، رغم ان اعتداءات العدو على القرى اللبنانية، لاستنفار السلطة ضد الثورة، وخلق شرخ بين الثورة وسكان جنوبي لبنان قد بدات منذ عملية العرقوب الاولى (أيار ١٩٧٠) ، واستمرت بعد ذلك . وكانت ترافقها دائما عمليات نسف بيوت واختطاف قرويين مع شن حملة نفسية تفتيتية . وكانت غاية العدو من كل ذلك منع « اردنة » الجنوب ، وابعاد الخطر عـــن منطقة الجليل الحساسة الحيوية المكتظة بالسكان . وفي النصف الثاني من العـــام ١٩٧١ شهدت الارض اللبنانية حملة دعاوية واسعة ضد الوجود العسكري الفلسطيني وكانت هذه الحملة تركز على السيادة اللبنانية ، والاخطار الاقتصادية والامنية الناجمة عن الوجود العسكري الفلسطيني ، وتطالب بتجاهل اتفاقية القاهرة كما تجاهل الاردن

اتفاقيتي القاهرة وعمان . ولقد استمرت الحملة طوال النصف الاول من العام ١٩٧٢. وزاد من حدتها تصاعد الاعتداءات الاسرائيلية (عملية العرقوب الثانية شباط ١٩٧٢ ، واجتياح القطاع الاوسط في الجنوب أيلول ١٩٧٢) . وكانت الثورة الفلسطينية تحس بأن ضربة ما تعد لها في لبنان . ولقد تزايد الشك والتوتر بعد العملية الاسرائيلية ضد مخيم نهر البارد ومخيم البداوي (شباط ١٩٧٣)،وعملية اغتيال القادة الثلاثة: كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار (نيسان١٩٧٣) وسلبية القوات المسلحة اللبنانية خلال كل هذه الاحداث. واخيرا انفجر الموقف في ايار (مايو)١٩٧٣، وكان المطلوب في هذه العملية رأس الثورة الفلسطينية ، ولكن موازين القوى ومجموعة من العوامل المحلية والعربية لم تسمح بذلك . وجاءت الوساطة العربية لتهدىء الوضع من جديد شريطة أبعاد القواعد عن الحدود ، ومنع التسلل الى الارض المحتلة عن طريق لبنان .

ولقد نشطت الثورة الفلسطينية في هذه الفترة على هضبة الجولان وكانت تشهد في فترة ١٩٧١ — ١٩٧٢ حوالي ٢٠ — ٥٠ عملية شهريا ، وكانت عملياتهـــا تتم تحت اشراف السلطات السورية . ولكن العدو رد على ذلك بسرعة حتى لا يسمح للثورة بتحقيق مكاسب صغيرة تتراكم مع الزمن.ولم تشأ اسرائيل الرد على العمليات المحدودة بعمليات محدودة ، بل صعدت الرد على « عتبة » استخدام الطـــيران لقصف قواعد ومعسكرات الثورة في العمق السوري ، وقصف قـــرى حوران ، والحاق الخسائر بالمدنيين ، الامر الذي أدى الى تخفيض عدد عمليات الثورة على هذه الجبهة الى حد بعيد .

وكان استمرار العمليات داخل الارض المحتلة في مرحلة الحبوط ناجما عـــن رغبة قيادة الثورة الفلسطينية في نقل عملياتها الى الداخل وتصعيدها للبرهنة على ان الثورة مستمرة رغم الاستنزاف الاردني وضربتي أيلول وجرش ، وللرد علـــى القائلين بأن الثورة تناست العمل ضد العدو الاسرائيلي ، واهتمت بالتآمر على الانظمة العربية . وكانت الثورة أمام اختيار صعب ، فهي بحاجة لفترة التقاط انفاس واعادة تنظيم ، وتعلم ان تكثيف العمل في الداخل يحتاج الى اعداد طويل ، ولكن الظروف تفرض عليها الانتقال بمركز ثقل العمل الى الارض المحتلة رغم كل الصعوبات . واختارت الثورة « العبور من الباب الضيق » . وكانت معظم عمليات الداخل تتمثل في حرب الالغـــام والمتفجرات ، واطلاق الصواريخ الموقوتة ، ونسف السكك الحديدية ، ونصب الكمائن، واغتيال العملاء ، والقاء القنابل اليدوية على الدوريات . وكانت اسرائيل تعتقد ان ضربة الاردن قد اجهضت الثورة نهائيا . واذا بها تكتشف ان الثورة « أفلت ولكنها لم تمت ميتة كاملة ونهائية » ... « وانه سيكون بمثابة استخفاف اعتبار المخربين عاملا فارق الحياة، وسيشكل التصرف على اساس وجهة نظر كهذه خطرا أمنيا شديدا»(١٤).

ولقد جابهت اسرائيل الحالة الامنية على الحدود السورية واللبنانية وفي الضفة الغربية والمنطقة المحتلة في العام ١٩٤٨ بأساليبها السابقة . ولكـــن هذه الاساليب فشلت فشلا ذريعا في قهر مقاومة قطاع غزة . ولقد وصف روبرت غراهام مدينة غزة في مطلع العام ١٩٧١ (أي في مرحلة خطرة من مراحـــل الحبوط الثوري) بقولـــه : « الشوارع مقفلة تقريبا الا من سيارات الدوريـــات المصفحة التي تقـــل جنودا اسرائيليين . وهناك حظر تجول مشدد في جزء من المدينة حول مخيم اللاجئين الرئيسي. بايجاز ، ان في غزة كل مظاهر المدينة المحاصرة »(١٥). ولمجابهـــة الحالة الامنيـــة المتدهورة في القطاع صوتت الوزارة الاسرائيلية في ١٩٧١/١/٣ على سياسة أمـــن صلبة جديدة ، واستدعيت الى غزة وحدة من قوات حرس الحدود (ذوي القبعات الخضراء) . واستخدمت هذه الوحدة مختلف التدابير الوحشية لقمع الحركة الثورية ،

وردت الثورة باستخدام أساليب الحرب السرية بمجموعات صغيرة، واللجوء الى حرب المخابىء والانفاق . وكان الثوار يشنون العمليا تيوميا . وكان ٤٠ ٪ من العمليات القاء قنابل ، و٢٥ ٪ زرع الغام ، و٣٥ ٪ عمليات متفرقة . ولم يقتصر مناضلو القطاع على العمل في قطاعهم الضيق (٢٥ ميلا × ٦ أميال) بل دفعوا بمجموعات للعمل في النقب وسيناء وضد المستعمرات المحيطة بالقطاع . واستمر الوضع على هذا الشكل طوال العام ١٩٧١ والنصف الاول من العام ١٩٧٢ ، ثم تناقصت وتيرة العمليات في قطاع غزة وان لم تتوقف حتى نهاية فترة الحبوط الثوري .

ومن الجدير بالذكر هنا ان رد العدو على العمليات الخارجية أخذ في هذه الفترة طابعا دفاعيا ــ هجوميا . وكان الدفاع يتمثل في زيادة تدابير الامن على المؤسسات الصهيونية والاسرائيلية في الخارج . أما التدابير الهجومية فكانت تتمثل في مطاردة الفدائيين وضرب قياداتهم وقواعدهم داخل الارض العربية ، وملاحقة قادة الثورة وممثليها في الخارج وتنظيم عمليات اغتيالهم المباشر أو بالطرود البريدية . ولـــــقد تصاعدت هذه العمليات المضادة واخذت شكلا هجوميا عنيفا بعد تزايد عمليات الثورة ضد الصهاينة والدبلوماسيين الاسرائيليين في الخارج ، وقتل الرياضيين الاسرائيليين في ميونيخ ، بتاريخ ١٩٧٢/٩/٦ على يد مقاتلين من منظمة ايلول الاسود التي ظهرت الى الوجود لاول مرة في عملية اغتيال وصفي التل في القاهرة (١٩٧١/١١/٢٨)، واخذت السلطا تالاسرائيلية على عاتقها تصفية الفدائيين حيثما وجدوا ، ولكن أحداثا عسكرية ضخمة اندلعت في المنطقة ، وحرمتها من الانفراد بالثورة الفلسطينية ، وأجبرتها على تقليص احلامها والركون مؤقتا الى الدفاع .

ويمكن ايجاز العمل العسكري في هذه المرحلة بأنه كان في ثلثها الاول مرحلة دفاع ضد الهجمة الاردنية ، وكان في ثلثها الثاني مرحلة التقاط أنفاس وتكثيف للعمل في الداخل ، وكان في ثلثها الثالث محاولة للعودة الى مرحلة الصعود الثوري في الداخل والخارج، (مع تصعيد في العمليات العسكرية) ، رغم تحديدات العمل العربية وتدابير العدو الصهيوني القمعية المتطورة . ولقد حاولت الثورة في هذه المرحلة الاستناد الى تجارب الماضي ، والعمل على التخلص من سلبيات التجربة السابقة والسير بخطوات أسرع على طريق الوحدة الوطنية ، وخاصة وحدة قوات الميليشيا في المخيمات ، رغم جو الركود الجزئي الذي ساد منظمات الثورة وادى الى عدد من التوترات والانشقاقات الجانبية .

ز ــ **مرحلة استعادة الفاعلية العسكرية وتعزيز الموقف السياسي** (تشرين الاول ١٩٧٣ ــ كانون الثاني ١٩٧٤) :

في السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، حطمت القـــوات العربية حالة « اللاسلم واللاحرب » التي خيمت على المنطقة ست سنوات ، وعبرت الحدود لتحطم قوات العدو الاسرائيلي . وكان عبورها المكاني على مسرح العمليات عبورا في الزمان ايضا ، لانه كان انتقالا من مرحلة الردع والغطرسة الاسرائيليين الى مرحلة المبادرة العربية الفعالة على طريق التحرير . وكانت القوة المسلحة الفلسطينية جزءا أساسيا من المعركة ، فلقد اشتركت قوات جيش التحرير الفلسطيني مع القوات العربية على الجبهتين المصرية والسورية ، وقامت بعمليات كوماندوس ضمن اطار خطة العمليات العربية العامة ، وقامت قوات الثورة الفلسطينية المتمركزة في سورية بالعمل وراء خطوط العدو ، وشنت قوات الثورة وقوات جيش التحرير المتمركزة في لبنان عمليات عسكرية جريئة وواسعة النطاق في الجليل ، وتحركت خلايا الداخـــل لضرب العدو

المنشغل على الجبهتين بشكل دفع المعلق العسكري الاسرائيلي حاييم هرتزوغ الى التحدث عن « الجبهة الثالثة » ، وارتفع عدد العمليات التي شنتها قوات الثورة في فترة الحرب الى اكثر من ٢٠٠ عملية(١٦)، ولو قيض للثورة الفلسطينية او لكتيبة جيش التحرير المتمركزة في الاردن العمل عبر الحدود الاردنية ، وتسديد الضربات لاهداف العدو في الضفة الغربية وصحراء النقب ، لقامت بأعمال تشتيتية كبيرة تؤثر على جهد العدو العسكري في الجولان وسيناء ، ولكن النظام الاردني حال دون ذلك .

ولم تكن مساهمة الثورة الفلسطينية في حرب ١٩٧٣ مقتصرة على ما قامت به من عمليات عسكرية خلال القتال . بل كان لها ايضا مشاركة استراتيجية غير مباشرة ، ساعدت الجيوش العربية على تحقيق المفاجأة . وتتمثل هذه المشاركة في لفت انظار استخبارات العدو الاسرائيلي الى عمليات الثورة في الداخل والخارج منذعملية ميونيخ، وتشتيت جهودها في محاربة الفدائيين ودرء أخطارهم، الامر الذي شغلها عن الاهتمام الكلي بمراقبة الجيوش النظامية. وبالاضافة الى ذلك، فقد أفاد السوريون والمصريون من عملية صواريخ روما (أيلول ١٩٧٣)، وتهديدات اسرائيل بالرد على هذه العملية عن طريق تسديد ضربة انتقامية الى سورية ، فحشدوا قواتهم الهجومية تحت ستار الاستعداد للدفاع وصد العدوان ، ثم أخذوا المبادرة الهجومية التي وقعت على الجيش والمجتمع في اسرائيل وقع الصاعقة .

وأدى تحطيم الردع ، وكسر حالة الجمود ، واهتزاز العسكرية الاسرائيلية بعد حرب ١٩٧٣ الى استعادة الثورة لفاعليتها العسكرية في الداخل وعبر الحدود السورية واللبنانية ، رغم تكامل خط الحواجز الذي نصبه العدو على الحدود اللبنانية — الاسرائيلية ، والذي يشبه خط الغور الى حد بعيد . واستمرت العمليات العسكرية رغم توقف اطلاق النار وفصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية ، وبقيت البندقية الفلسطينية ، كما كانت بعد حرب ١٩٦٧ ، السلاح الوحيد المشرع في وجه الاحتلال ، مع اختلاف جذري في الوضع الاستراتيجي للمجابهة ، يتمثل في انعدام الردع الاسرائيلي ، ووجود قوات عربية مستنفرة ومستعدة لشن الحرب على نطاق واسع ، وانشغال العدو باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الجيوش العربية المحتشدة على الجبهتين .

وهناك ثلاث ظواهر اخذت حجما كبيرا وبدأت تقلق الاسرائيليين وتضعهم في حالة هستيرية : **أولاها** ارتفاع مستوى معنويات سكان الارض المحتلة ، وازدياد أملهم بالتحرير ، وانخفاض تأثير عمليات القمع عليهم ، واستعدادهم لمتابعة النضال بشكليه المدني والعسكري ضد العدو الصهيوني . والظاهرة **الثانية** استمرار عمليات التسلل الى الارض المحتلة رغم الحواجز المنتشرة على طول الحدود ، ورغم القصف الجوي للقواعد والمخيمات ، واستخدام البحر كمدخل الى قلب منطقة العدو الحساسة . أما الظاهرة **الثالثة** فهي لجوء قوات الثورة (فتح ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة — الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين) الى القيام بعمليات انتحارية تهز المجتمع الاسرائيلي من جذوره ، وتهدد الحالة الامنية بالتدهور رغم كل تدابير الحيطة والحراسة ، لان وجود مغارز انتحارية تعمل بأسلوب « الكاميكاز » أحبط كل تدابير العدو وحرمها من فاعليتها .

* * *

لقد اثبتت الثورة الفلسطينية خلال مسيرتها النضالية الطويلة خلال عشرة أعوام انها المفجر الثوري والقوة المحركة لكل جمود عسكري في المنطقة . وهي تقف اليوم

امـــام العدو الصهيوني بكل صلابة وتصميم ، لتكتب بالرصاص مســـتقبل الشـــعب الفلسطيني . ولقد استطاعت الصمـــود عشر سنوات رغم مجابهتهـــا لاشرس قوة عسكرية عرفتها المنطقة ، ورغم محاولات تطويقها في البداية ، والضربات التي سددت الى ظهرها خلال مرحلة الصعود الثوري . ولقد تعرضت هذه الثورة لكثير من النكسات ، وتكبدت خسائر بشرية كبيرة ، وعانى مناضلوها كل أنواع التعذيب والقهر في سجون العدو ، ولكن هذا لم يثنها عن عزمها ، ولم يجبرها لحظة واحدة على ايقاف القتال ، وعرفت هـــذه الثورة كيف تجتاز أزماتها الذاتية الداخلية ، وكيف تخفف الى الحـــد الادنى الآثار السلبية للظروف الموضوعية السيئة ، وكيف تعيد تنظيم قواها المادية والمعنوية بعد كل نكسة ، لتتابع الطريق ، وكأن شيئا لم يكن .

ولقد استطاعت هذه الثورة الانتقال بنجاح من مرحلة النمو الجنيني الى مراحل أكثر تطورا . وعملت داخل الارض المحتلة وخارجها ، ومدت نشاطها الى الاهداف الصهيونية والامبريالية خارج المنطقة ، وتمكنت من تشتيت قوى العدو ووسائطـــه وانتباهه ، والحقت به خسائر كبيرة ، واثرت على الحالة الامنية في المناطق المحتلة ، وأفادت من تجارب الشعوب ونضالاتها الكثير من الدروس الثورية فأخذت عن الصينيين مبادىء الحرب الطويلة الامد ، والالتصاق بالجماهير . واقتبست من الجزائريين اساليب الحرب السرية المدينية (غزة) ، وطبقت الى حد ما حرب الخنادق والانفاق التي مارسهـــا الصينيون والفيتناميون ، ومارست العمليات الكبيرة الفيتنامية ضمن حدود امكاناتها ، وأخذت عن الثورة الروسية فكرة المفوض السياسي ، وعن الكوريين والفيتناميين مسألة تنظيم القواعد الخارجية ، وحاول عدد من المنظمات في فترة من الفترات تطبيق نظرية البؤرة الثورية وفق الاسلوب الكوبي . ولكنها لم تنقل التجـــارب بجمود ، بل ادخلت عليها الكثير من التعديلات لتجعلها متلائمة مع ظروفها والمعضلات التي تجابهها . بيد ان عددا من الظروف الذاتية والموضوعية لم تسمح لها حتى اليوم بالوصول الى مرحلة « حرب العصابات الكبيرة » وشن الهجوم الاستراتيجي الذي أخذته الدول العربية على عاتقها في حرب ١٩٧٣ ، وشاركت الثورة خلاله مشاركة فعالة .

ويمكن القول ان استمرار الثورة الفلسطينية وبقاءها ونموها كانت ردا عمليا على أقوال المشككين الذين طالما تحدثوا عن ضعف قوى الثورة ، وصغر عملياتها ، وعدم قدرتها على الانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي ، وفق ما تعلموه في الكتب عن مراحل الحرب الثورية (البذرة ، النمو ، حرب العصابات الصغيرة ، حرب العصابات الكبيرة ، تنظيم الدفـــاع عن المناطق المحررة ، الهجـــوم الاستراتيجي) . وكان هؤلاء المشككون قد تناسوا اربع حقائق هامة في الصراع العربي ـــ الاسرائيلي : تتعلق **أولاها** بموازين القوى وطبيعة العدو الصهيوني ، وتتعلق **ثانيتها** بعروبة المعركة ودور الجيوش العربية الوطنية فيها ، وتتعلق **ثالثتها** بأن الحرب الثورية لا تمر دائما وبالضرورة بكل هذه المراحل ، وان هناك حروبا ثورية انتصرت ووصلت الى التحرير دون المرور في مرحلة الهجوم الاستراتيجي (الجزائر) ، أما **الرابعة** فهي تتعلق بفهم العلاقة الجدلية بين الصراع السياسي والصراع العسكري مع العدو ، وتأثير هذين الصراعين المتكاملين ضمن اطار استراتيجية الانهاك التي لا تستهدف تدمير قوى العدو المادية فحسب ، بل تستهدف ايضا تأمين تآكله من الداخل ، وتدمير قواه المعنوية ، واصابته بالملل ، وتحقيق النصر عن طريق الاقناع المسلح الذي يجبر الغزاة على وعي استحالة تحقيق النصر بالقوة ، وعدم امكانية الاستمرار في الصراع الى ما لا نهاية ، والصمود امام الضغوط العالمية المتزايد ، اي تحقيق النصر بملل العدو لا بتدمير قواه المادية بعملية كبيرة تقصم ظهره .

ومن المؤكد ان المشككين الذين توجهوا بانتقاداتهم تحت ستار الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، كانوا يطالبون هذه الثورة بتنفيذ مهمات لا تدخل في اطار مهماتها ، ولا تتناسب مع قواها ، ويتعذر القيام بها الا بتلاحم قوى الثورة الفلسطينية ، مع القوى الثورية العربية الواعية لخطورة الغزوة الصهيونية ـ الامبريالية ، والمستعدة لمجابهتها حتى النصر .

ولقد اشترك العدو الاسرائيلي في هذه الخطيئة القاتلة منذ البداية . ودفعه عماه الاستراتيجي الى تجاهل حقائق العصر . فقيم الثورة عند انطلاقها بأنها قوة محدودة القوى والامكانات، وان من الممكن التغلب عليها بالتدابير البوليسية والحواجز وعمليات القصف الجوي . ولقد حققت هذه التدابير بعض النتائج ، وخاصة في فترات التناقض الاستراتيجي بين الدول العربية والثورة الفلسطينية ، ولكنها لم تستطع اخماد الثورة.

ويكمن خلل التقييم الاسرائيلي فيعدم فهم الظروف الدولية المتغيرة، وعدم وعي أهمية العامل المعنوي الذي يدفع الفلسطينيين الى القتال حتى النهاية ، وضخامة « هدف النزاع » بالنسبة الى شعب يجد نفسه معرضا للشطب من التاريخ . وكان فهم العدو الاسرائيلي لاسلوب العمل النفسي الموجه لسكان الارض المحتلة فهما قاصرا ، لذا اعتبر عملية الانعاش الاقتصادي والسكون الذي ساد المناطق المحتلة في بعض الفترات دليلا كافيا على خضوع شعب كامل لارادته ، ولكنه لم يلبث ان اكتشف بأن عرب المناطق المحتلة في العام ١٩٤٨ والعام ١٩٦٧ يتعاطفون مع الثورة ، وينضمون اليها ، أو ينظمون صفوفهم داخل خلايا قتالية مستقلة عن تنظيمات الثورة ، ولكنها تسير على خطها ، وتقاتل المحتلين بأسلوب الحرب السرية .

والخلل الاكبر في تفكير الاسرائيليين ، هو عدم فهمهم لاهمية الردع العالمي ، ومدى تأثير الراي العام العالمي وتعاطفه مع الثورة الوطنية المسلحة التي تقاتل من أجل اهداف عادلة ، وخطورة محاولة تطبيق الاستعمار في عصر تصفية الاستعمار، وتزايد نفوذ الدول الاشتراكية في العالم ، واستحالة الاعتماد على القوة المادية القمعية في العصر الحاضر لقهر شعب وتشريده وحرمانه من حقوقه اذا حمل هذا الشعب السلاح، وحصل على التأييد المادي والمعنوي من دول مجاورة وقوى عالمية صديقة محبة للسلام ومعادية للاستعمار .

ولقد أفادت الثورة الفلسطينية من كل هذه الاخطاء الاسرائيلية ، ومن غرور القوة المادية الاسرائيلي ، وعدم استعداد غالبية دول العالم لتقبل المقولات الاسرائيلية غير العادلة ، فنمت ، وحافظت على قواها ، وأبقت الشعلة متقدة ، وكانت تكتفي في كثير من الحالات بالحفاظ على البقاء ، الذي يعتبر في حالات الحبوط الثوري نجاحا في حد ذاته .

ولم تكتف الثورة بالعمليات العسكرية ، بل كانت تمارس نشاطا اعلاميا سياسيا خارجيا مكثفا تستخدم فيه كافة السبل بما في ذلك العمليات الخارجية . وادى توافق العملين السياسي والعسكري الى اكتساب « المناورة السياسية الخارجية » . واستطاعت الطلائع الثورية الفلسطينية لفت انظار العالم الى قضية شعب كامل ، وحصلت على اعتراف معظم دول العالم بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارضه ، وانتزعت من الولايات المتحدة نفسها ـ وهي جزء من معسكر العدو ـ الاعتراف بمصالح الشعب الفلسطيني . وتحولت المسألة الفلسطينية على الصعيد العالمي من مسألة انسانية (مسألة لاجئين) الى مسألة سياسية (مسألة شعب يطالب بحقوق مغتصبة) . وجاء مؤتمر القمة في الجزائر (١٩٧٣) ليعترف بأن منظمة

التحرير هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وكانت معارضة الاردن العقبة الوحيدة أمام الاعتراف العربي الكامل . ولكن مؤتمر القمة في الرباط (١٩٧٤) استطاع تجاوز هذه العقبة ، واتحدت كلمة العرب حول الاعتراف بالطليعة الثورية الفلسطينية .

وعلى الطريق الوعر الذي رسمته دماء المقاتلين الفلسطينيين ، سارت الطليعة الثورية حتى هيئة الامم المتحدة رغم معارضة اسرائيل والولايـــات المتحدة والدول العنصرية السائرة في ركابها ، وبدأت ادانات العالم للاحتلال الصهيوني تأخذ شكلا رسميا وحادا ومتصاعدا ، ودعيت منظمة التحرير كعضـــو مراقب دائم في الجمعية العمومية . وظهرت بدايات ملامح الانتصار الاستراتيجي رغم سلامـــة قوى العدو العسكرية ، ولم تعد الثورة الفلسطينية قوة معزولة تصرخ في واد ، بل غدت قوة معترفا بها ، وعاملا فعالا في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وعنصرا أساسيا من عناصره .

ولا تزال الثورة الفلسطينيـــة ، بعد عشرة أعوام ، تحمل البندقية بكل صـــلابة ، وتنادي بتحرير اليهود والعرب من الطغمة الصهيونية التي تخلق الاضطراب في المنطقة وتهدد السلام العالمي. وهي تمارس عند طرح مقولاتها السياسية عملا سلميا حضاريا، وتمارس في حمل البندقية عملا حضاريا أيضا، لان بندقيتها بندقية تحرير لا بندقية قمع.

---

١ ــ منير شفيق ، « **في التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية** » ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٤ .

٢ ــ بيان سياسي صادر عــن فتح ، بمناسبة الذكرى الرابعة لانطلاق الثورة الفلسطينية ، ١٩٦٩/١/١ ، **وثائق عسكرية** ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

٣ ــ مجلة **الثورة الفلسطينية** ، عــدد ٨ ، حزيران (يونيو) ١٩٦٨ ، ص ٩ .

٤ ــ **وثائق عسكرية** « فتح » ، ج ١ ، ص ٩ .

٥ ــ كراس « **دراسات وتجارب ثورية** » ، من منطلقات العمل الفدائي ، ص ٢٧ ، من فصل بيان التوقيت .

٦ ــ **وثائق عسكرية** « فتح » ، ج ١ ، ص ٧٢ ــ ٧٣ ــ ٨٣ ــ ٨٥ .

٧ ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) ، كراس « **استراتيجيـــة الكفـــاح المسلح** » ، ص ٢٨ .

٨ ــ من حديث الدكتور عبد الوهاب كيالي ، أمين عام جبهة التحريـــر العربية ، **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ٧ ، آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص ٣٧ .

٩ ــ كراس « **نحو فهم علمي لماهية الثورة في الارض المحتلة وانعكاساتها السياسية والطبقية على الصعيدين القومي والاممي** » ، الصاعقة، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

١٠ ــ **كفاحنا المسلح بين النظرية والتطبيق** ، فتح ، دراسات عسكرية ، ١٩٧٠ ، ص ١٨ .

١١ ــ **أربع معارك كبيرة لقوات العاصفة** ، فتح ، ١٩٧٠ ، ص ٣٣ ــ ٤١ .

١٢ ــ **عل همشمار** ، ١٩٧٠/١٢/١١ .

١٣ ــ **الغارديان** ، ١٩٧١/٧/٢٠ .

١٤ ــ **دافار** ، ١٩٧١/١٠/٢٢ .

١٥ ــ **فايننشال تايمز** ، ١٩٧١/٢/٣ .

١٦ ــ جدول العمليـــات العسكرية ، **شـــؤون فلسطينية** ، عدد ٢٧ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ .

ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي في عشر سنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥

محمود عزمي

درج الاعلام الصهيوني على تصوير ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي على أساس وضع الدول العربية كلها من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي في كفه تضم مختلف عناصر قوتها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، ووضع اسرائيل بمفردها في كفة مقابلة لها ، ومن ثم تبدو كفة العرب راجحة بصورة تؤكد للعالم مدى خطورة الموقف الذي تتعرض له أسرائيل نتيجة عداء الدول العربية وحاجتها الشديدة الى الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري من الدول الغربية ، كما تتأكد في الوقت نفسه مدى كفاءة الجيش الاسرائيلي الذي استطاع أن يلحق الهزيمة بالجيوش العربية في حرب ١٩٦٧ وأن يصد هجومها في حرب ١٩٧٣ .

ولما كان واقع المواجهة العربية ـ الاسرائيلية في العشر سنوات الاخيرة يوضح أن مصر وسوريا هما الدولتان اللتان وقع عليهما العبء الرئيسي في المواجهة ، سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية ، فان دراستنا لميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي ستركز اساسا عليهما ، مع اضافة الاردن بسبب اشتراكه في حرب ١٩٦٧ والاحتمال الذي كان قائما أمام اسرائيل لاشتراكه في حرب ١٩٧٣ ، وسنضيف العراق أيضا نظرا لمساهمته في كل من حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بدرجة متفاوتة من الفاعلية ولاحتمال اشتراكه في الحرب الخامسة المتوقعة .

أما بقية الدول العربية فمنها من لم تشترك اطلاقا في القتال ، ومنها من ساهم مساهمة رمزية مثل الكويت والمغرب والسعودية لا تدعو الى حساب قوتها ضمن ميزان القوى ، أو من حاول أن يساهم مساهمة فعالة ولكن قواتها كانت تصل بعد توقف القتال بسبب بعد المسافة وذلك مثل الجزائر وليبيا ولذلك لن نستطيع اضافة حسابات قوتها الى الجانب العربي في ميزان القوى .

وتتناول دراستنا لميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي ، ضمن الاطار المذكور ، مختلف عناصر قوة طرفي الصراع ، والتي تشمل القوى البشرية والموارد الاقتصادية والموقع الجغرافي ـ الاستراتيجي والقوة العسكرية والقيم المعنوية والعلاقات الدولية والقدرات التنظيمية والقيادية .

١ ـ عنصر القوى البشرية : يشمل هذا العنصر في حسابات علاقات القوى بين أطراف الصراع النسبة العددية لمجموع السكان ، ونسبة الافراد الذين في سن الخدمة العسكرية منهم ، ونسبة المتعلمين من هؤلاء الافراد نظرا لان جزءا متزايدا من الاسلحة والمعدات الحربية الحديثة أصبح يتطلب ضرورة توفر حد أدنى معين من التعليم ، والاكثر أهمية بعد ذلك كله معرفة اجمالي عدد الجنود الذين يستطيع كل طرف من أطراف الصراع تعبئته وحشده في ساحات القتال خلال المراحل المختلفة لفترة الدراسة .

تفيد الاحصاءات التقريبية لعدد السكان في مصر عام ١٩٦٥ بانهم كانوا نحو ٢٩ مليون نسمه ، وفي سوريا حوالى ٥ر٢ مليون نسمه ، وفي الاردن نحو ٢ مليون نسمه ، وفي العراق ٠٠٠ر٦١١ر٨ نسمه ، اي ان اجمالي عدد سكان الدول الاربع كان يقدر بنحو ٠٠٠ر٦١١ر٤٤٥ نسمه . على حين ان عدد سكان اسرائيل من اليهود كان يقدر بنحو ٠٠٠ر٢٢٩ر٢ نسمه، اي ان الجانب العربي كان يتمتع بنسبه تفوق في العنصر البشري بصفه عامة تصل الى ٢٠ : ١ . ومن الصعب التوصل الى احصائيه دقيقة لعدد السكان المتعلمين الى الحد الذي يسمح باستيعاب الاسلحه الحديثه ، ولذلك سنعتبر اجمالي عدد الطلبه في المدارس الثانويه والمهنيه ومدارس المعلمين والتعليم العالي (الجامعي والمعاهد العليا) بمثابة مؤشر هام يوضح نسبة تقريبية للافراد الممكن اعتبار مستواهم التعليمي صالحا كاساس لاستيعاب المعدات القتاليه الحديثه . لقد كان عدد هؤلاء الطلبة في مصر عام ٦٤ — ٦٥ نحو ٤٣٦ الف طـالب وفي سوريا نحو ٩٢ الفا وفي العراق ٢٥٦ الفا ، وذلك مقابل حوالي ١٢٩ الف طالب يهودي في اسرائيل ضمن هذه المستويات التعليمية(١) .

أي أن نسبة عدد الطلبة الى اجمالي السكان في مصر كانت حوالي ٥ر١ ٪ ، وفي سوريا حوالي ٢ ٪ ، وفي العراق اكثر قليلا من ٣ ٪ . اما في اسرائيل فكانت النسبة حوالي ٦ ٪ ، وهذا النقص في نسبة المتعلمين لدى الجانب العربي كان له أثره على المستوى الثقافي العام لجنودهم عشية حرب ١٩٦٧ وبالنسبـة للمستوى الصحـي للسكان والذي يؤثر بدوره على نسبة الافراد ذوي اللياقة الصحية اللازمة للمقاتلين بصفة عامة ، فانه من الصعب التوصل الى احصائيات دقيقة لقياس هذا المستوى في كل دولة من أطراف الصراع العربي — الاسرائيلي ، ولذلك سنذكر احصاء مقارنا لعدد الأسرة في المستشفيات لدى كل دولة كمؤشر هام دال على حجم الخدمات الصحية المتاحة موضوعيا للسكان . ففي عـام ١٩٦٤ كان يوجد في مصـر ٢٧٠ر٥٢ سريرا بالمستشفيات الحكومية بمعدل سرير واحد لكل ٥٠٠ فرد تقريبا ، وفي سوريا كان يوجد عام ١٩٦٣ في المستشفيات الحكومية ٤٣٠٧ اسرة ، بمعدل سرير واحد لكل ١١٦٠ فردا تقريبا . وفي العراق كان يوجد ٨٤٠ر١٥ سريرا عام ١٩٦٣ بمعدل سرير واحد لكل ٥٦١ فردا تقريبا . على حين أن اسرائيل كان فيها ١٦٧٤٤ سريرا بمعدل سرير واحد لكل ١٥٠ فردا تقريبا(٢) .

وفضلا عن ذلك فقد كان معدل الوفيات بصفة عامة في مصر عام ١٩٦٣ يبلغ ٣ر١٥ فردا من كل ١٠٠٠ من السكان ، كما كان معدل وفيات الاطفال في السنة نفسها ١١٨ طفلا من كل ١٠٠٠ طفل . على حين أن معدل الوفيات العام كان في اسرائيل وقتئذ ٦ أفراد من كل ١٠٠٠ من السكان اليهود ، ومعدل وفيات الاطفال ٧ر٢٢ طفلا من كل ١٠٠٠ طفل من السكان اليهود .

وفي عام ١٩٧٣ بلغ عدد السكان في مصر نحو ٧ر٣٥ مليون نسمة ، وفي سوريا نحو ٧ر٦ مليون نسمة ، وفي العراق حوالي ١ر١٠ ملايين نسمة ، اي ما مجموعه حوالي ٥ر٥٢ مليون نسمة . مقابل نحو ٢ر٦٧٨ر٢ مليون من السكان اليهود في اسرائيل عام ١٩٧٢ (٣) .

أما عدد طلبة التعليم الثانوي والتعليم العالي (وما يعادلهما) فقد بلغ في مصر عام ٧١ نحو ٨٢٢ الف طالب ، وفي سوريا نحو ١٤٢ الف طالب ، وفي العراق حوالي ٤٠٥ الاف طالب ، وذلك بالنسبة لأعداد السكان التقديرية التالية على التوالي : حوالي ٣٤ مليونا في مصر ، و٤ر٦ مليون في سوريا ، و٧ر٩ مليون في العراق ، اي بنسبة تقل عن

٥ر٢ ٪ في مصر ونسبة ٤/١ ٢ ٪ في سوريا ، ونسبة ٤ ٪ تقريبا في العراق .

اما في اسرائيل فقد كان عدد الطلبة المذكورين عام ١٩٧١ حوالي ١٤٥ الف طالب يهودي مقابل نحو ٦ر٢ مليون من السكان اليهود ، اي بنسبة ٥ر٥ ٪ تقريبا . ومعنى هذه الارقام ان اسرائيل ما زالت تتمتع بنسبة تفوق واضحة في عدد السكان المتعلمين بالنسبة لدول المواجهة رغم التحسن النسبي الذي طرأ على عدد المتعلمين في مصر وسوريا والعراق ، ولذلك اضطرت مصر بالذات عقب هزيمة ١٩٦٧ أن تركز في عملية التجنيد العسكري على خريجي المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا ، وأن تستبقيهم أطول فترة ممكنة في الخدمة العاملة للقوات المسلحة لتستفيد من نسبة تفوقها الكمي في عدد هؤلاء الخريجين بالنسبة لاسرائيل في سد فجوة تخلف المستوى الثقافي لغالبية جنودها بالقياس للجنود الاسرائيليين خلال حرب ١٩٦٧ ، ولكن ذلك تم بطبيعة الحال على حساب التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي افتقدت جزءا رئيسيا من العناصر البشرية المؤهلة علميا. ويرجع انخفاض المستوى الثقافي والصحي للسكان في دول المواجهة العربية الى تركة التخلف المثقلة التي ورثتها هذه الدول من عصر الاستعمار والاقطاع ، والى استنزاف مواردها الاقتصادية في سباق التسلح واعادة التسلح نتيجة لصراعها المسلح ضد السيطرة والتوسع الاسرائيلي ، فقد اضطرت مصر أن تنفق خلال عام ١٩٦٤ مثلا على الدفاع مبالغ تفوق نسبتها المئوية عن نسبة ما أنفقته على التعليم والخدمات الصحية بحوالي ٢١٩ ٪ ، كما بلغت النسبة المذكورة في سوريا خلال العام نفسه ٣٥٩ ٪ وفي العراق ٢٠٦ ٪ وفي الاردن ٥٢٥ ٪ ، على حين النسبة المذكورة كانت في اسرائيل خلال العام نفسه ١٨٨ ٪(٤). هذا بالاضافة الى ضخامة المساعدات الخارجية المالية لاسرائيل سواء من الولايات المتحدة أو المانيا الغربية (التعويضات الالمانية) والدور الهام الذي تلعبه في دعم الاقتصاد والنفقات العسكرية الاسرائيلية دون أن يؤثر ذلك كله على خدمات التعليم والصحة ، كما ان نسبة كبيرة من السكان اليهودتأتي الى اسرائيل عن طريق الهجرة منمجتمعات اوروبية متطورة علميا وصحيا وتدعم القاعدة البشرية الاسرائيلية دون ان تكبد الاقتصاد الاسرائيلي نفقات اعدادها .

وفي النتيجة كانت اسرائيل تستطيع دائما في كل الحروب السابقة لحرب ١٩٧٣ أن تعبىء وتحشد قوات تفوق قوات دول المواجهة العربية ، التي تتمتع احصائيا بميزة التفوق البشري الضخم . ففي حرب ١٩٤٨ كان لها في المراحل الاخيرة من الحرب نحو ٨٠ الف جندي مقابل حوالي ١٨ الف جندي مصري على الجبهة الجنوبية ، التي كانت قد اصبحت هي الجبهة الوحيدة المقاتلة . وفي حرب ١٩٥٦ كان لدى الجيش الاسرائيلي ١٩٠ الف جندي عند التعبئة العامة مقابل نحو ٩٠ الف جندي لدى الجيش المصري (لم يتوفر الوقت الكافي والظروف المناسبة لحشدهم بسرعة وفاعلية في سيناء نتيجة للتدخل العسكري البريطاني ــ الفرنسي) ، وفي حرب ١٩٦٧ كان لدى الجيش الاسرائيلي نحو ٢٦٥ الف جندي ، مقابل ١٦٠ الف جندي يتألف منهم الجيش المصري(٥) (كان يوجد منهم نحو ٣٠ الف جندي في اليمن) و٦٥ الف جندي بالجيش السوري وحوالي ٥٠ الف جندي بالجيش الاردني . أي ان مجموع القوات العربية المتاحة عمليا كان يبلغ نحو ٢٤٥ الف جندي ، ومعنى هذا أن اسرائيل كان لها ، نظريا ، ٢٠ الف جندي أكثر من الجيوش العربية في الميدان .

اما في حرب ١٩٧٣ ، نتيجة للجهود المصرية والسورية المضنية في انشاء قوات مسلحة قوية عقب حرب ١٩٦٧ (نتيجة لاخذ المبادرة الهجومية التي كفلت تحقيق حشد متفوق مسبق) ، فقد كان لدى الجيش المصري نحو ٢٦٠ الف جندي ، وللجيش

السوري حوالي ١٢٠ الف جندي ، اي ٣٨٠ الف جندي للجيشين معا ، مقابل نحو ٢٧٥ الف جندي كانوا بالجيش الاسرائيلي عند التعبئه العامة(٦)، اي ان الجيوش العربية (قبل ان تنضم القوات العراقية الى الجبهة السورية في مرحلة صد الهجوم المضاد الاسرائيلي) كانت تفوق الجيش الاسرائيلي بحوالي ٢٨ ٪ بالنسبة لقوتـــه البشرية ، اي أن كل ٤ر١ جندي عربي كان يواجه جنديا اسرائيليا. ورغم هذا التحسن النسبي في عنصر القوه البشريه العربية الا ان نسبة التفوق هذه بقيت دون النسبة المتعارف عليها دوليا كحد ادنى لتحقيق التفوق بالقوات المحاربة اللازم للطرف المهاجم وهي ٢ ــ ٣ : ١ .

وتشير الارقام التقديرية لقوة طرفي الصراع خلال النصف الاخير لعام ١٩٧٤ والنصف الاول لعام ١٩٧٥ بأنها على النحو التالي : الجيش المصري حوالي ٢٨٠ الف جندي ، والجيش السوري حوالي ١٢٥ الف جندي ، والجيش العراقي نحو ١٠٠ الف جندي ، أما الجيش الاسرائيلي فيقدر بحوالي ٣٧٥ الف جندي(٧)، وقد تمت هـــذه الزيادة الواضحة في القوة البشرية للجيش الاسرائيلي خلال السنة الاخيرة نتيجة لتقليل حالات الاعفاء من التجنيد التي كان يجري التوسع فيها قبل حرب ١٩٧٣ (تحت شعـــور الاستهانة بالقوة العسكرية العربيه الذي كان مسيطرا على المؤسسة العسكريـــة الاسرائيلية) ولاستدعاء كثيرين من الاسرائيليين العاملين في الخارج (بالولايات المتحدة وكندا أساسا)ممن سبق لهم الخدمة الميدانية بالجيش،وذلك ضمن سلسلة الاجراءات التي تتخذها اسرائيل لزيادة قوتها العسكرية عقب حرب ١٩٧٣ . ومعنى ذلك ان القوة العسكرية العربية الاساسية في حالة نشوب حرب خامسة خلال عام ١٩٧٥ ستكون حوالي ٤٠٥ الف جندي مصري وسوري، ذلك لاننا لا نستطيع حاليا تقدير حجم القوات العراقية الفعلية التي يمكن دفعها الى القتال قبل ان يتم انهاء الصراع المسلح الدائر مع اكراد « الملا مصطفى البرازاني » وتخفيف التوتر على الحدود العراقية ــ الايرانية . وبهذا تصبح النسبة التقديرية للتفوق البشري العربي حاليا ضئيلة اذ انها لا تتعدى ٨ ٪ فقط . الامر الذي يؤكد ضرورة التركيز على رفع الكفاءة القتالية للمقاتلين العرب بصفة عامة (حتى تكون الوحدات العربية المحدودة الحجم التي تصل الى ساحـــات المواجهة ذات فاعلية حقيقية) وللمقاتلين المصريين والسوريين بصفة خاصة ، سواء على مستوى الافراد او التشكيلات او القيادات وعلـــى المستويات العمليـــاتية والاستراتيجية على وجه الخصوص ، والاهمية القصوى لاعداد وتدريب اطقم احتياطية عديدة من الجنود ذوي التخصصات القتالية الدقيقة مثل أطقم الدبابات والصواريخ المضادة للطائرات او للدبابات وأطقم اخلاء المعدات واصلاحها بسرعة ، والفنيين الذين يستخدمون أجهزة الاتصال والانذار المبكر وخدمات القوات الجوية المختلفة الخ ، نظرا لان العدو الاسرائيلي يتمتع بميزة التفوق الكمي والنوعي في العناصر البشرية المؤهلة تقنيا لادارة المعدات القتالية المتطورة، ولاستطاعته الحصول على اعداد كافية من هذه العناصر والاطقم من الولايات المتحدة الامريكية عند الضرورة بفضل القانون الامريكي الذي يسمح للمواطن بالجنسية الامريكية والجنسية الاسرائيلية في آن واحد ، الامـــر الذي سهل على اسرائيل سرعة استيعاب الاسلحة الجديدة المرسلة لها خلال الحرب بواسطة الجسر الجوي الامريكي ، ووفر على اسرائيل في الوقت نفسه نفقات تدريب واعداد هذه الاطقم الفنية الاحتياطية .

ان تأمين الكفاءة النوعية للجنود العرب الى أقصى حد ممكن ، وتوفير اكبر قدر مستطاع من الاحتياطي المرتفع النوعية للقوات العاملة العربية ، هو السبيل الرئيسي لاستثمار ميزة التفوق البشري العربي ، المتمثلة أساسا في توفر خامة بشرية احتياطية

تستطيع ان تمتص حجما اكبر ونسبة اعلى من الخسائر بالقياس لمحدودية الاحتياطي البشري الاسرائيلي ، وذلك متى أمكن اعداد هذا الاحتياطي البشري علـى النحـو المطلوب في الحرب الحديثة ، خاصة وان الصراع العربي المسلح مع اسرائيل ما زالت تحكمه قوانين الحرب القصيرة ، ويبدو انها ستظل تحكمه لفترة طويلة مقبلة ، ومن ثم فأن المعادلة الصعبة المطروحة على التخطيط الاستراتيجي العسكري العربي هـي كيفية اطالة الحرب القصيرة مع الحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية بالعدو ، مع توفر القدرة على امتصاص الضربات المعادية والخسائر المترتبة عليها ، بحيث تفوق كثيرا قدرة العدو على تحمل الخسائر عند انتهاء مرحلة الصدام المسلح . وضمن هذا الهامش يمكن للعرب ان يستفيدوا من ميزة تفوقهم البشري الاحصائي.

٢ ـ عنصر الموارد الاقتصادية :

يشمل هذا العنصر القيمة الاجمالية للناتج القومي ، والموارد المالية المتاحة لكل طرف محليا ودوليا ، والثروات الطبيعية المتوفرة من المواد الخام اللازمة للمجهود الحربي ، ومصادر الطاقة المختلفة ، والامكانات الصناعية والزراعية ، والنسبـة المستخدمة من الدخل القومي للانفاق الحربي ، والقدرة الاقتصادية والماليـة علـى تحمل الخسائر المادية الخ .

ونظرا لان الصراع العربي ـ الاسرائيلي المسلح يدور حتى الان ، ولمستقبل ليس قصيرا ، ضمن اطار معين من الظروف الخاصة التي لا تخضع لها الحروب التقليدية عامة ، من حيث قصر فترات الصدام المسلح الشامل ومن حيث الاعتماد شبه الكلي للاطراف المشتركة فيه على مصادر تسليح وعتاد وذخيرة خارجية (نظرا لعدم وجود انتاج حربي محلي يعتد به في تقرير مجرى الحرب) ، ومن حيث اعتماد هذه الاطراف بدرجات ونوعيات مختلفة على المساعدات الخارجية في تمويل صفقات الاسلحـة الرئيسية ، فان عددا من عوامل العنصر الاقتصادي في حسابات ميزان القـوى التقليدي ، لا تحتل الاهمية نفسها التي تحتلها عند دراسة هذا العنصر بالنسبة لدول اخرى دخلت او من المحتمل ان تدخل في صراعات مسلحة مع دول مماثلة لها في مستوى التطور الصناعي والاقتصادي . ومن الامثلة على ذلك ان وجود المواد الخام اللازمة للانتاج والمجهود الحربيين كالحديد والمنجنيز والنحاس والنفط والمطاط لـدى دول المواجهة العربية او اسرائيل لا يمثل ، حتى الان ، عنصرا هاما من عناصر المـوارد الاقتصادية اللازمة لادارة الحرب ، مثلما كان الحال خلال الحرب العالمية الثانية لدى المانيا وايطاليا واليابان من جهة والولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي من جهة اخرى ، فأي قدر متوسط من المخزون في المحروقات لدى مصر وسوريا من جهة واسرائيل من جهة اخرى كان كافيا لتشغيل عجلة المجهود الحربـي والعمليـات العسكرية خلال حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، وكذلك الحال بالنسبة للمنتجات الزراعيـة والصناعية التي تلعب دورا هاما في تعزيز القدرة الدفاعية لاطراف الصراع ، من حيث توفيرها لكثير من متطلبات القوات المسلحة والسكان المدنيين دون الاضطرار الى القاء مزيد من الاعباء المالية على ميزان المدفوعات ورصيد العملة الصعبة ، ولكنه في الوقت نفسه ليس الدور الذي تلعبه كميات ونوعيات هذه المنتجات في الحروب العاديـة الاخرى التي تسري عليها كل قوانين الحرب .

ولذلك فان عنصر الموارد الاقتصادية في حسابات ميزان القوى بين دول المواجهـة العربية واسرائيل يتركز اساسا في القيمة المالية لهذه الموارد المتمثلة في اجمالي الناتج القومي والدخل القومي ، وما ينتجه ذلك من موارد مالية لازمة للدفاع ولدعم القاعدة

الاقتصادية للمجتمع وتخفيف آثار اعباء الدفاع وخسائر الحرب . وضمن هذا الاطار سنبحث عنصر الموارد الاقتصادية ومدى تأثيرهـا علـى ميزان القوى العربي — الاسرائيلي .

في عام ١٩٦٥ كان الناتج القومي في مصر يقدر بنحو ٢٠٠٥٨ بليون جنيه مصري وانفق على الدفاع مبلغ يقدر بنحو ٢٥١،٦ مليون جنيه ، اي بنسبـة ١٢،٢ ٪ من اجمالي الناتج القومي ، وفي سوريا قدر الناتج القومي في العام نفسه بنحو ٥،٢٦٨ بليون ليرة وانفق على الدفاع مبلغ يقدر بنحو ٤٣٤،٨ مليون ليرة ، اي بنسبة ٨،٣٪ . أما اسرائيل فكان ناتجها القومي يبلغ عام ١٩٦٥ نحو ١٠،٢٠٢ بليون ليرة اسرائيلية وانفاقها العسكري يقدر بنحو ١،١٧٠،٨٠٠،٠٠٠ ليرة، اي بنسبة ١١،٥٪ من اجمالي الناتج القومي . وحتى تتضح لنا صورة المقارنة بعض الشيء نورد ارقام الانفاق على الدفاع لدى الدول الثلاث بالدولار وكانت على التوالي : ٥٧٥،٢ مليون دولار لمصر، ١٠٧،٦ مليون دولار لسوريا ، ٣٩٠،٣ مليون دولار لاسرائيل*. كما ان الناتج القومي الحقيقي لمصر (على أساس اسعار عام ١٩٥٠) كان يزيد عن الناتج القومي الحقيقي لاسرائيل عام ١٩٦٥ بنسبة ٦٦ ٪ فقط(٨)، وذلك بعد أن كان يزيد عنه بنسبة ١٣٤ ٪ عام ١٩٥٥ ، ويرجع ذلك الى سرعة نمو الاقتصاد الاسرائيلي نتيجـة للمساعدات الامريكية والالمانية الغربية وقلة عدد السكان .

وفي عام ١٩٧٣ بلغ اجمالي الناتج القومي في مصر نحو ٨،٤٤ بليون دولار ، على حين انه بلغ في اسرائيل حوالي ٨،٧ بليون دولار . اما سوريا فبلغ ناتجها القومي في العام نفسه ٢،٥٣ بليون دولار(٩). اي ان اجمالي الناتج القومي لمصر وسوريا ١٠،٤٥٣ بليون دولار مقابل ٨،٧٠٠ بليون دولار لاسرائيل ، وهي نسبة لصالح اسرائيل متى أدخلنا عدد السكان لدى كل طرف ، ولذلك كان دخل الفرد في اسرائيل ١٩٦٢ دولارا في السـنة ، في حـين لا يزيد عن ١٩٧ دولارا للفرد في مصر و٢٧٩ دولارا للفرد في سوريـا .

وبلغت تقديرات الميزانية العسكرية في مصر عام ١٩٧٣ — ١٩٧٤ حوالي ١٧٣٧ مليون دولار ، وفي سوريا حوالي ٢١٦ مليون دولار ، وفي اسرائيل ١٤٧٤ مليون دولار، واذا ما وضعنا عدد السكان لدى كل دولة من الدول الثلاث في الحساب اتضح لنا ان تكاليف الدفاع بالنسبة للفرد الواحد كانت في اسرائيل عام ١٩٧٢ نحو ٤٦٣،٥ دولارا وفي مصر عام ١٩٧١ حوالي ٤٨ دولارا ، وفي سوريا عـام ١٩٧١ نحو ٣١،٩ دولارا(١٠). وهذه مؤشرات كافية للدلالة على مدى الارتفاع وكثافة الموارد المـالية المخصصة للدفاع في اسرائيل ، وقد تضاعفت هذه النسبة حاليا ، اذ بلغت ميزانيـة اسرائيل العسكرية عام ٧٤ — ١٩٧٥ حوالي ٣٦٨٨ مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ٤٧،٨ ٪ من اجمالي(١١) ناتجها القومي .

أما مصر فقد بلغت ميزانيتها العسكرية عام ٧٤ — ١٩٧٥ نحو ٣١١٧ مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ٣٢،٨ ٪ من اجمالي ناتجها القومي ، وبلغت ميزانية سوريا العسكرية في العام نفسه حوالي ٤٦٠ مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ١٤،٩ ٪(١٢) من اجمالي ناتجها القومي . اي ميزانية كل من مصر وسوريا خلال العام الحالي تبلغ ٣٥٧٧ مليون دولار ، وهو مبلغ يقل عن ميزانية اسرائيل بنحو ١١١ مليون دولار ، واذا مـا وضعنا نسبة السكان بين الطرفين في الاعتبار تبين لنا بوضوح مدى كثافة الموارد المالية المخصصة للانفاق العسكري في اسرائيل ، ومدى جدية الاستعدادات التـي تجريها لشن حرب جديدة خامسة تحاول ان تزيل بها أثر النصر المعنوي الذي احرزته مصر وسوريا في الحرب الرابعة .

وقد أدت زيادة النفقات العسكرية بعد حرب ١٩٧٣ ، فضلا عن آثار التضخم المالي العالمي الى زيادة اضطراب ميزان المدفوعات الاسرائيلي ، رغم اعتماده شبه الكامل على الهبات والمساعدات الامريكية ، ونقص احتياطي العملة الصعبة بصورة كبيرة ، الامر الذي دفع الحكومة الاسرائيلية في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ الى اقرار خطة تقشف اقتصادي شديد تضمنت خفض سعر الليرة ورفع اسعار السلع الكمالية وتقييد الائتمان ، وذلك لزيادة الصادرات وتقليل الاستهلاك وتوفير العملة الصعبة بعد ان ارتفعت نفقات استيراد الاسلحة من حوالي ٧٠٠ مليون دولار سنويا قبل حرب ١٩٧٣ الى ٢٣٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٥ ، وبعد ان زادت نفقات استيراد المواد الغذائية من ١٧٠ مليون دولار عام ١٩٧٣ الى ٧٠٠ مليون دولار(١٣)، عام ١٩٧٥ الخ .

وبطبيعة الحال لم يكن من الممكن للاقتصاد الاسرائيلي ان يعتمد على موارده المحلية في تمويل نفقات التسلح والدفاع الباهظة في جميع مراحل الصراع العربي — الاسرائيلي وخاصة في المرحلة التي اعقبت حرب ١٩٧٣ ، بدون المساعدات المالية الخارجية التي تأتي اليه من الولايات المتحدة بصفة اساسية .

وكذلك الامر بالنسبة لمصر وسوريا اللتين لم يكن من المستطاع لهما اقتصاديا وماليا اعادة بناء قوتهما العسكرية عقب حرب ١٩٦٧ ، (وكذلك خلال حرب الاستنزاف بالنسبة لمصر عامي ٦٩ و١٩٧٠) وتعويض خسائرهم في الاسلحة والعتاد وتدعيم قوتهما وتطويرها بعد حرب ١٩٧٣ ، بدون المساعدات العسكرية السوفييتية ، ولكن المساعدات العسكرية والمالية الامريكية لاسرائيل تعد اكثر كثافة وتركيزا بالقياس لعدد السكان لدى الطرفين وارتفاع تكاليف الدفاع بالنسبة للفرد الواحد ، فضلا عن أن كفاءة الادارة الاقتصادية وسرعة استيعاب العتاد والسلاح الحديث في اسرائيل (نتيجة للظروف التي تعرضنا لها بالنسبة لعنصر القوة البشرية) تتيح لهــا تحقيق مردود أكبر من وراء هذه المساعدات في وقت اقصر من الوقت الذي تحتاجه مصر او سوريا لتحقيق المردود نفسه من وراء المساعدات العسكرية والاقتصادية السوفييتية .

كما ان اضطرار كل من مصر وسوريا الاحتفاظ بقوات عاملة كبيرة ضمن اسلحتها البرية والجوية والبحرية (نظرا لعدم كفاءة نظام الاحتياطي من حيث سرعة استدعائه والمحافظة على ارتفاع مستوى تدريبه ومن ثم صعوبة حشده واستخدامه بفاعلية في زمن قصير) بلغت نحو ٢٩٨ الف رجل عام ١٩٧٣ في مصر وحوالي ١٣٢ الف رجل في سوريا في العام نفسه مقابل نحو ١١٥ الف رجل في القوات المسلحة الاسرائيلية العاملة، كان يتيح دائما لاسرائيل القدرة على انفاق نسبة أكبر من ميزانيتها العسكرية على الاسلحة والعتاد من تلك التي تنفقها مصر وسوريا عليهما بالقياس لنسبة الانفاق على الافراد ، الامر الذي ساعد اسرائيل على زيادة القوة النارية لاسلحتها والقدرة الحركية لقواتها ومستوى أعلى من التدريب سواء للقوات العاملة أو الاحتياطية .

ولا شك ان الدعم المالي المقدم من دول النفط العربي لمصر وسوريا قبل وبعد حرب ١٩٧٣ قد لعب دورا في دعم القدرات الاقتصادية والعسكرية للدولتين (غير معروف بدقة ارقام هذا الدعم) ولكن هذا الدعم كان سيؤتي ثمارا افضل فيما لو كانت نسبته في ميزانيتي الدولتين العسكرية اكبر خلال السنوات السابقة للحرب ، بل ان الرقم المالي لهذا الدعم الذي اعلن ضمن مقررات مؤتمر القمة العربي في الرباط والبالغ قدره مليار دولار لكل من مصر وسوريا خلال ميزانية ٧٤ — ١٩٧٥ لا يعد كافيا بالدرجة

الملائمة لدعم القدرات الاقتصادية اللازمة للمجهود الحربي في الدولتين ، وخاصة بالنسبة لمصر التي تقدر ميزانيتها العسكرية خلال هذا العام بنحو ٣١١٧ مليون دولار والتي تقل عن ميزانية اسرائيل العسكرية بمبلغ ٥٧١ مليون دولار ، وذلك متى وضعنا في الاعتبار التفاوت في عدد السكان بين مصر واسرائيل والبالغ نسبته حوالي ١٢:١ ، وحتى تقل الاعباء الاقتصادية الواقعة على كاهل الاغلبية الساحقة من الستة والثلاثين مليونا الذين يؤلفون سكان مصر حاليا نتيجة للاستنزاف الاقتصادي المستمر عبر العشرين عاما الماضية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي وما يصاحبه من انخفاض مستمر في مستوى المعيشة ودخل الفرد ، علما بأن دخل دول النفط العربي قد ارتفع بدرجة كبيرة نتيجة لرفع اسعار النفط المترتبة على حرب ١٩٧٣ .

٣ ـ عنصر الموقع الجغرافي ـ الاستراتيجي :

تحيط دول المواجهة العربية باسرائيل ، أي بالارض المحتلة في فلسطين ، من الشمال والشرق والجنوب ، على حين يشكل البحر الابيض المتوسط الحد الغربي للدولة الصهيونية ومنفذها الوحيد الى العالم الخارجي . ويوفر هذا الوضع الجغرافي امكانية موضوعية للجيوش العربية لكي تعمل على «الخطوط الخارجية» ، كما يقال في لغة الاستراتيجية العسكرية ، التي توفر لها ميزة الهجوم من عدة اتجاهات جغرافية في آن واحد تتلاقى كلها في مركز واحد في نهاية الامر . ولكن هذه الامكانية الموضوعية الملائمة للعرب تتطلب للافادة الحقيقية منها تحقق عدة امور أساسية ، اولها مدى استعداد دول المواجهة المباشرة جغرافيا بأن تتحول الى دول مواجهة مسلحة فعلية تحشد مواردها وطاقاتها الاستراتيجية وتنسق خططها في الحشد والتنظيم قبل بدء العمليات القتالية بفترة كافية لتحقيق مشاركة فعلية ذات اثر ملموس ، وليس مجرد مشاركة متعجلة تجري عشية بدء القتال كما حدث بالنسبة للاردن في حرب ١٩٦٧، وذلك لان طبيعة ظروف الحركة على الخطوط الخارجية بالنسبة لحلقة دول المواجهة العربية المحيطة باسرائيل ، تجعل من المستحيل تقريبا ، في ظل عدم وجود اتصال بري مباشر بين جميع دول المواجهة وقوة الطيران الاسرائيلي التي تهدد الملاحة في البحر الابيض المتوسط بين مصر وسوريا ، اجراء تنقلات اساسية للقوات العربية من جبهة الى اخرى ، خاصة في الاطار الزمني المحدود للحرب القصيرة التي تحكم الصراع العربي ـ الاسرائيلي المسلح .

وبالاضافة الى ذلك فأن وجود قيادة عسكرية وسياسية مشتركة وفعالة السيطرة والقدرة ، قبل واثناء احتدام الصراع المسلح ، بين دول المواجهة المباشرة (وخاصة بين مصر وسوريا) يشكل الشريط الرئيسي لاستئجار ميزة الوضع الجغرافي ـ الاستراتيجي المتاحة لهذه الدولة ، وهو الامر الذي لم يتحقق في حرب ١٩٦٧ وكان بذلك أحد أسباب الهزيمة ، والذي شهدت حرب ١٩٧٣ درجة جيدة من بداية تحققه على مستوى التنسيق والاعداد المسبق وكانت عاملا هاما من عوامل النجاحات العربية التي تمت خلال الحرب المذكورة ، وكان من الممكن ان تزيد نجاحات هذه الحرب او ان تقل سلبياتها على الاقل لو تحققت لقوات دول المواجهة قيادة مشتركة سياسية وعسكرية ، كما اظهرت التجربة العملية في المراحل المتوسطة والاخيرة من الحرب والمرحلة التي سبقت اتفاقيتي فصل القوات على كل من الجبهتين المصرية والسورية.

ولقد كان من الممكن لدول المواجهة العربية ان تستفيد من ميزة وضعها الجغرافي ـ الاستراتيجي على نحو أخطر بالنسبة لاسرائيل لو كان الاردن ، او ما يسمى بالجبهة الشرقية ، له دور فعال في الصراع المسلح ضدها . فلقد كانت هذه الجبهة

وما زالت تشكل بصورة موضوعية اخطر طرق الاقتراب المباشر الاستراتيجي نحو قلب اسرائيل ، نظرا لاتساع مواجهتها بصورة كبيرة . تفوق مواجهة الجبهة المصرية (الجنوبية) البالغ طوله عام ١٩٦٥ نحو ٢١٠ كلم و١٨٠ كلم عام ١٩٧٣ ، ومواجهة الجبهة السورية (الشمالية) البالغ طوله ٥٦ كلم عام ١٩٦٥ ونحو ٨٠ كلم عام ١٩٧٣، ذلك لان طول المواجهة على الجبهة الاردنية (الشرقية) عام ١٩٦٥ كان يبلغ نحو ٥٣٠ كلم وعام ١٩٧٣ نحو ٤٨٠ كلم (بما في ذلك طول البحر الميت البالغ عند منتصفه ٨٣،٥ كلم) . ولهذا نجد « آلون » يقول في كتابه « انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي » في معرض حديثه عن الوضع الجغرافي ـ الاستراتيجي لاسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ « كانت القوة العسكرية الرئيسية للعرب كامنة في مصر ، وكان الضعف الجغرافي ـ الاستراتيجي الرئيسي لاسرائيل كامنا في السهل الساحلي المواجه للاردن . فان نظرة خاطفة الى الخريطة كانت كافية لاظهار مدى قابلية اسرائيل للهجوم من هذا الجانب . ذلك لان الاراضي التي كانت تحتلها الاردن على الضفة الغربية لنهر الاردن كانت تواجه « أسفل البطن الطري » في خطوط اسرائيل الدفاعية . وان أي قوة عسكرية مهاجمة تحاول تقطيع اسرائيل الى جزئين او ثلاثة كافتتاحية لهجوم عام على عدد من الجبهات »(١٤).

وبطبيعة الحال لم تكن اسرائيل غافلة عن المزايا الاستراتيجية للجبهة الشرقية حال وجودها بصورة فعلية ، ولذلك بادرت بضربها خلال حرب ١٩٦٧ بمجرد أن اظهر النظام الاردني رغبة شبه شكلية في مشاركة مصر وسوريا دورهما الرئيسي في مواجهة اسرائيل عسكريا ، كما اعتبرت اي خطوة تحمل طابع الجدية في خلق وتدعيم هذه الجبهة احد المبررات الرئيسية التي تعطيها الحق في شن حرب وقائية ضد الاردن، وكان ذلك التهديد أحد العوامل الاساسية التي جعلت النظام الاردني يحجم عن المشاركة الفعالة في حرب ١٩٧٣ ويكتفي بارسال اللواء المدرع ٤٠ الى الجبهة السورية كرمز للمشاركة في الحرب .

ولقد كان لاتباع دول المواجهة العربية المباشرة استراتيجية دفاعية ضد اسرائيل في المراحل السابقة لحرب ١٩٧٣ ، اثره ايضا في عدم تحقق الاستفادة الممكنة موضوعيا من ميزة الحركة على الخطوط الخارجية التي يتيحها الوضع الجغرافي ـ الاستراتيجي لهذه الدول بالنسبة لاسرائيل ، التي ساعدتها العوامل المذكورة آنفا سواء في حرب ١٩٦٧ او حرب ١٩٧٣ في الاستفادة من ميزة الحركة على الخطوط الداخلية التي يوفرها لها وضعها الجغرافي ـ الاستراتيجي ، والمتمثلة اساسا في قدرتها على نقل قواتها الضاربة الجوية والبرية بسهولة نسبية من جهة الى اخرى نظرا لوجود شبكة جيدة من الطرق تربط البلاد من شمالها الى جنوبها . ففي عام ١٩٦٥ كان في اسرائيل طرق معبدة بالاسفلت طولها ٣٦٨٢ كلم تقوم الحكومة بصيانتها او المساهمة في صيانتها فضلا عن طرق اخرى تنفق عليها السلطات المحلية طولها ٣٧١٥ كلم(١٥)، اي ما جملته ٧٣٩٧ كلم ، وبلغت جملة مساحة مسطحات هذه الطرق حوالي ٤١ الف متر مربع (اذ كان متوسط عرض الطرق حوالي ٥،٣ متر) ، وهي نسبة عالية من اطوال الطرق ومساحتها بالقياس لمساحة اسرائيل وقتئذ البالغة ٢٠،٧٠٠ كلم مربع . كما كان لديها خطوط سكك حديدية اساسية طولها ٤٦٤ كلم ، و٣١،٩٣٠ سيارة نقل تجارية و٢٩٢٧ سيارة نقل ركاب (اتوبيس) ومعظمها يستخدم في المجهود الحربي وفي اجراءات التعبئة العامة .

على حين أن مصر كان لديها عام ١٩٦٤ طرق معبدة طولها ١٧،٠٥٨ كلم وخطوط

سكك حديد اساسية طولها ٤٢٣١ كلم و ٢٢٠٧٠٠ شاحنة و ٦٥٠٠ سيارة نقل ركاب (اتوبيس) مقابل مساحة جغرافية تبلغ ١٠٠٢٠٠٠٠ كلم مربع (منها ٣٦ الف كلم مربع تقريبا مساحة المنطقة المسكونة و ٦١ الف كلم مربع مساحة سيناء) . اما سوريا فكان لديها عام ١٩٦١ طرق معبدة بالاسفلت طولها ٤١٩٤ كلم (وطرق غير معبدة لا تصلح في الشتاء عامة طولها ٩٥٩٤ كلم) و ١٢٧٧٨ سيارة نقل و ١٨٤٨ سيارة نقل ركاب (اوتوبيس) عام ١٩٦٣ ، وذلك مقابل مساحة جغرافية تبلغ ١٨٤ الف كلم مربع(١٦) (منها ١١٥٠ كلم مربع في هضبة الجولان) .

وتوضح هذه الارقام بكل جلاء مدى التفوق الذي كان لدى اسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ في طرق ووسائل المواصلات والنقل بالنسبة لكل من مصر وسوريا ، الامر الذي سهل عليها موضوعيا امكانية الاستفادة من ميزة العمل على الخطوط الداخلية القصيرة ، خاصة في ظل الظروف المتصلة بعدم قدرة العرب من الاستفادة الواجبة من ميزة العمل على الخطوط الخارجية الطويلة ، وعلى ضوء عنصر السيطرة الجوية الاسرائيلية على سماء المعركة بصفة كاملة الذي ضمن تأمين نقل القوات البرية من جبهة الى اخرى .

وبعد حرب ١٩٦٧ زادت مساحة الارض المحتلة من قبل اسرائيل بحيث أصبحت جملتها ٨٩٫٣٥٩ كلم مربع (نتيجة لاحتلال شبه جزيرة سيناء البالغ مساحتها ٦١٫١٩٨ كلم مربع وقطاع غزة البالغ مساحته ٣٦٣ كلم مربع والضفة الغربية ومساحتها ٥٨٧٨ كلم مربع والجولان ومساحتها ١١٥٠ كلم مربع) ، وبطبيعة الحال أدت هذه المساحات الجديدة الى تعقيد الحركة على الخطوط الداخلية نسبيا ، خاصة في سيناء ، الا ان استمرار تفوق الطيران الاسرائيلي خارج مناطق الدفاع الجوي العربي فوق جبهات القتال خلال حرب ١٩٧٣ ، مكن القيادة الاسرائيلية من الاستفادة من ميزة الحركة على الخطوط الداخلية ، خاصة بالنسبة للقوة الجوية الضاربة .

ولقد اضافت الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ عمقا استراتيجيا لاسرائيل افضل بكثير مما كان متاحا لها قبل ذلك ، مكنها من صد الهجوم المصري في سيناء وتركيز ضربتها المضادة الاولى في جبهة الجولان ضد الجيش السوري (ساعد على ذلك محدودية الهدف الاستراتيجي العسكري المصري واستمرار سيطرة الطيران الاسرائيلي النسبية فوق الجولان وفوق العمق الدفاعي لاسرائيل) دون تعرض المناطق الحيوية فيها لمخاطر الهجوم العربي والقتال الجوي . الا ان دولتي المواجهة العربيتين ، مصر وسوريا ، ما زالتا تتمتعان بميزة العمق الجغرافي ــ الاستراتيجي ، وان كان ذلك بدرجة أقل مما كانت عليه الحال عام ١٩٦٧ بعد أن قلت المسافة الفاصلة بين القوات الاسرائيلية والمدن المصرية والسورية الرئيسية (خاصة العاصمتين دمشق والقاهرة) ، وذلك يوفر لمصر وسوريا ميزة الاستفادة من عنصر الكثافة السكانية بالكامل فيما لو استطاعتا تحقيق الشروط اللازمة لاغراق راس الحربة الاسرائيلية في بحر حرب الشعب المسلح .

وفي حالة اذا ما تحقق التعاون والتنسيق العسكري العربي بصورة فعالة بين مصر وسوريا بصفة خاصة ، وبينهما وبين الدول العربية الاخرى المجاورة لهما (العراق والاردن بالنسبة لسوريا والسودان وليبيا بالنسبة لمصر) مع توفر اكبر نسبة ممكنة من تعاون الدول العربية الاخرى الاكثر بعدا على المستويين العسكري والاقتصادي ، فان عنصر الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي سيصبح عنصرا شديد الفاعلية في الصراع العربي ــ الاسرائيلي المسلح ويحقق قدرة ممتازة على امتصاص اي ضربة خاطفة اسرائيلية ، بل قدرة فعالة على مواجهة أي تدخل عسكري امريكي يتم لصالح اسرائيل او من اجل السيطرة على منابع النفط العربي .

٤ ـــ **عنصر القوة العسكرية** : يشمل هذا العنصر اجمالي القوات المسلحة لكل من الطرفين من حيث عدد الافراد والاسلحة الرئيسية ، ونوعيتها ودرجة تطورها التقني، ومستوى التدريب الفردي والجماعي وقدرات الحركية والصيانة والاصلاح وتعويض الخسائر وتوفر قطع الغيار الخ .

لقد كان لدى اسرائيل في بداية عام ١٩٦٥ (وفقا لتقديرات تقارير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني التي سنتخذها اساسا نسبيا للمقارنة رغم تحفظاتنا الخاصة على بعض أرقامها بالنسبة لاسرائيل) حوالي ٦٠٠ دبابة ونحو ٣٠٠ طائرة حربية (باستثناء طائرات النقل والهليكوبتر) وكانت قواتها المسلحة عند التعبئة تضم حوالي ٢٥٠ الف رجل . واصبح لديها عام ١٩٧٣ ، عشية حرب اكتوبر ، نحو ١٧٠٠ دبابة وحوالي ٥٠٠ طائرة حربية ونحو ٣٠٠ الف رجل في قواتها المسلحة . أي انها زادت دباباتها بنسبة ١٨٣ ٪ تقريبا وزادت طائراتها الحربية بنسبة ٦٧ ٪ على حين ان نسبة زيادة عدد افراد قواتها المسلحة لم تزد عن ٢٠ ٪ ، وذلك فيمـــا بين ١٩٥٥ و١٩٧٣ . أما مصر فكان لديها عام ١٩٦٥ نحو ٩٠٠ دبابة وحوالي ٤٠٠ طائرة حربية ونحو ١٨٠ الف رجل في قواتها المسلحة العاملة(١٧) (لن ندخل قوات الاحتياطي في الحساب وهي تقدر بنحو ١٢٠ الف رجل) ، واصبح لديها عام ١٩٧٣ حوالي ١٩٥٠ دبابة ونحو ٤٢٠ طائرة حربية (باستثناء طائرات التدريب والنقل والهليكوبتر) وبلغ اجمالي عدد افراد قواتها المسلحة العاملة نحو ٢٩٨ الف رجل(١٨). ومعنى ذلك أنها زادت قوتها من المدرعات بنسبة ١١٦ ٪ وزادت طائراتها الحربية بنسبة ٥ ٪ كما بلغت نسبة زيادة عدد افراد قواتها المسلحة العاملة ٦٥ ٪ تقريبا . ويلاحظ مدى ارتفاع نسبة نمو قوة الدبابات والطائرات لدى اسرائيل خلال الفترة الزمنية محل المقارنة بالقياس لمصر ، مع انخفاض نسبة الارتفاع في عدد الرجال ، (حاليا ارتفعت نسبة الافراد في القوات المسلحة الاسرائيلية بنسبة ٣٣ ٪ خلال السنة الاخيرة تقابلها نسبة ٨ ٪ تقريبا زيادة في افراد القوات المصرية) اما انخفاض نسبة نمو قوة الطائرات الحربية المصرية الشديد بالنسبة لاسرائيل ، فيرجع الى تدمير نحو ٣٠٠ طائرة مصرية خلال حرب ١٩٦٧ واستبدال طائرات « الميغ ١٩ » بعدد مماثل من طائرات « سوخوي ٧ » واختفاء معظم القاذفات « اليوشين ٢٨ » من الخدمة ووجود عدد اكبر من طائرات « الميغ ٢١ » عما كان موجودا عام ١٩٦٥ . أما سوريا فكان لديها عام ١٩٦٥ قوات مسلحة يبلغ عددها نحو ٧٠ الف رجل ، ونحو ٣٥٠ دبابة وحوالي ٨٠ طائرة حربية (باستثناء طائرات التدريب والنقل والهليكوبتر) . وفي عام ١٩٧٣ أصبح لديها نحو ١٣٢ الف رجل ونحو ١٢٧٠ دبابة وحوالي ٣١٠ طائرات حربية ، اي ان قوتها البشرية زادت خلال هذه الفترة بنسبة ٩٠ ٪ ، وارتفعت قوتها من الدبابات بنسبة ٢٦٢ ٪ تقريبا وقوتها الجوية بنسبة ٢٨٨ ٪ .

ويرجع ارتفاع معدلات نمو القوة السورية خلال هذه الفترة بالقياس لمعدلات نمو القوة المصرية ، والقوة الاسرائيلية ايضا ، الى صغر قوتها نسبيا عام ١٩٦٥ وضخامة الجهود التي بذلتها القيادة السورية السياسية والعسكرية مـــن أجل تطوير قوتهـــا العسكرية عقب حرب ١٩٦٧ ، والتي دعمتها المساعـــدات العسكرية السوفييتيـــة الكبيرة ، فضلا عن عدم تعرض القوة العسكرية السورية لاستنزاف مماثل للاستنزاف الذي تعرضت له قوة مصر العسكرية والاقتصادية خلال حرب الاستنزاف في عامي ٦٩ ، ١٩٧٠ . اما ارتفاع نسبة نمو قوة المدرعات والطائرات لدى اسرائيل بالقياس لمصر فيرجع الى ارتفاع نسبة انفاقها على الاسلحة بدرجة تفوق نسبة انفاقها على

الافراد كثيرا نتيجة لصغر حجم قواتها العاملة بالنسبة لقواتها الاحتياطية ، كما سبق أن أشرنا عند تناولنا لعنصر الموارد الاقتصادية .

ولا يكفي في حساب علاقات القوى العسكرية بين طرفي الصراع أن نحدد عدد الدبابات ونسبة تفوقها الكمي ، أو أن نحدد عدد الطائرات لديهما ونستخرج نسبة التفوق الرقمية ، حتى لو كانت الطائرات محل المقارنة كلها من طائرات الصف الاول الحديثة . وذلك نظرا لان اختلاف نوعية السلاح التقنية ومدى قدراته التكتيكية تخل بالضرورة بالمقارنة الرقمية المجردة .

فلقد كان لدى مصر وسوريا مثلا عشية حرب ١٩٧٣ نحو ١١٠ طائرات « سوخوي ٧ » و١٨٠ « ميغ ١٧ » و٤١٠ « ميغ ٢١ » و٢٥ قاذفة متوسطة « ت يو ١٦ » ، اي ما مجموعه ٧٢٥ طائرة حربية . ويضاف اليها نحو ٢٠ طائرة هوكر هنتر عراقية كانت موجودة في مصر وشاركت في الحرب ، وحوالي ٣٨ طائرة « ميراج ٥ » ليبية اشتركت في القتال بطيارين مصريين ، مقابل ٥٠٠ طائرة حربية لدى اسرائيل(١٩) . وتتفاوت حسابات القوى بين القوتين الجويتين عند اجراء المقارنة بينهما في حالة القصف الارضي ، عنها في حالة القتال الجوي الاعتراضي . ففي الحالة الاولى نجد أن الطيران الاسرائيلي يتمتع بتفوق واضح في القوة النارية اذ أن الحمولة القصوى لمجموع طائراته في الطلعة الواحدة تبلغ نحو ١٥٨٥ طنا من القنابل ، على حين ان الحمولة القصوى لمجموع الطائرات المصرية والسورية في الطلعة الواحدة تبلغ حوالي ٩٤٥ طنا من القنابل ، يضاف اليها نحو ٢٢٦ طنا اخرى تستطيع طائرات الهنتر العراقية والميراج الليبية ان تحملها في الطلعة الواحدة . وتتفوق معظم طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي على طائرات السلاحين الجويين العربيين في بعد المدى ، باستثناء « الميغ ٢١ » المتطورة التي يبلغ مداها القتالي نحو ١١٠٠ كلم ، والقاذفات « ت يو ١٦ » التي يمكن ان يصل مداها في حالة حمولة ٣٠٠٠ كلغ من القنابل وسرعة ٧٧٠ كلم الى ٦٤٠٠ كلم . وذلك كما يوضح جدول الخصائص الفنية المقارن للطائرات العربية والاسرائيلية المرفق بهذه الدراسة .

أما بالنسبة لحالة القتال الجوي الاعتراضي فاننا نعتقد على اساس دراسة قدرات السرعة والمناورة والمدى والتسليح لطائرات الطرفين ، وكميات الطائرات من كل نوع ، ومع الاخذ في الاعتبار مزايا « الفانتوم » المتفوقة في القتال الجوي ، ان الطيران المصري والسوري معا كانت لديهما فرصة موضوعية لتحقيق درجة معقولة من التوازن في السيطرة الجوية مع الطيران الاسرائيلي ، فيما لو توفرت لهما قيادة مشتركة ومستوى ارفع من التدريب والخدمات الارضية وادارة العمليات الجوية ، لان ٣٠٠ طائرة « ميغ ٢١ » تقاتل في ظروف ملائمة لها من حيث عدم التوغل في عمق اسرائيل تستطيع أن تواجه تحدي ٩٥ طائرة « فانتوم » في ظل الشروط المذكورة آنفا ، و١٨٠ طائرة « ميغ ١٧ » و١١٠ طائرات « ميغ ٢١ » المتبقية تستطيع ان تواجه طائرات « السكاي هوك » و« الميراج » و« الميستير » و« الاورغان » الاسرائيلية .

أما بالنسبة للمدرعات فلقد كانت القوات المصرية والسورية تملك تفوقا واضحا في كميتها (٣٢٢٠ دبابة ، فضلا عن نحو ٤٠٠ دبابة عراقية وصلت سوريا عند مرحلة صد الهجوم الاسرائيلي المضاد) مقابل ١٧٠٠ دبابة اسرائيلية وفقا لتقدير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني أو ٢٤٠٠ دبابة وفقا لتقدير امريكي آخر) يدعمه توازن تقريبي في القدرات الفنية والقتالية مع نوعيات الدبابات الاسرائيلية، وذلك كما يوضح جدول وخصائص الدبابات العربية والاسرائيلية المرفق ، بل ان معظم الدبابات

العربية تتميز على معظم الدبابات الاسرائيلية في السرعة والمناورة وبعد مدى عملياتها وانخفاض هيكلها الذي يقلل نسبة اصابتها من المسافات البعيدة في الاراضي المنبسطة. وتتفوق الدبابات الاسرائيلية المسلحة بمدفع عيار ١٠٥ مم على الدبابات العربية المزودة بمدفع عيار ١٠٠ مم أو ٨٥ مم في بعد المدى (حوالي ٣٠٠ متر) ونوعية الذخيرة الخارقة للدروع ، ولكن ارتفاع مستوى التدريب وادارة العمليات المدرعة وسرعة الصيانة والامداد بالذخيرة والوقود كان يمكن أن يعادل هذه الميزة ويحقق تفوقا في نتيجة العمليات المدرعة (نظرا للتفوق الكمي الملحوظ ، والبالغة نسبته وفقا لاعلى التقديرات لقوة المدرعات الاسرائيلية ، ومع عدم ادخال الدبابات « ت ٦٢ » السورية في الحساب البريطاني لميزان القوى عام ٧٣ — ١٩٧٤ ، نحو ٣٣ ٪) ، ولكن استمرار احتفاظ الطيران الاسرائيلي ببعض تفوقه في سماء المعركة خارج نطاق مظلة الدفاع الجوي العربي الميداني كان له أثره غير المباشر في الحد من امكانية تفوق المدرعات العربية ، التي تقيد مدى مناورتها الهجومية بحدود حماية مظلة الدفاع الجوي ولحقت بها خسائر فادحة نتيجة للقصف الجوي الذي تعرضت له خارج نطاق هذه المظلة ، خاصة في الجولان وفي الجبهة المصرية عقب الثغرة التي حدثت في جدار الصواريخ . فضلا عن ارتفاع مستوى تدريب أطقم وتشكيلات المدرعات الاسرائيلية الذي يزيد مردودها بنسبة لا تقل عن ٢٠ — ٣٠ ٪ ، والخبرة السابقة لها في عمليات حرب الحركة عام١٩٦٧ ، وسرعة اخلاء واصلاح وصيانة الدبابات وتزويدها بأطقم جديدة في الجانب الاسرائيلي بالقياس لسرعة الجانب العربي في هذا الخصوص ، (حيث تبرز مزايا الاعداد النوعي للقوة البشرية) وكل هذه العوامل حالت دون استفادة الجيوش العربية من تفوقها في المدرعات . وهناك عامل آخر يلعب دورا غير مباشر في عنصر القوة العسكرية وتفوقها أو توازنها بين الطرفين (التفوق كان في حرب ١٩٦٧ والتوازن كان في حرب ١٩٧٣) وهو أن اسرائيل تتصرف دائما في الادوات العسكرية المتاحة لديها ، وهي تشعر أن الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي الامريكي يشكل ضمانة قوية لها ضد أي هزيمة أو خسارة كبيرة قد تلحق بقواتها (الجسر الجوي الامريكي واعلان حالة الطوارىء النووية خلال حرب ١٩٧٣ نموذجان بارزان لهذه الضمانة الدولية غير العادية) الامر الذي يجعلها تستخدم قوتها بالكامل دون ان تهتم كثيرا لمشكلات الاحتفاظ باحتياطي هام لمواجهة الطوارىء أو بارتفاع نسبة الخسائر في العتاد والسلاح ، كما حدث بالنسبة للطيران خلال الايام الاولى في الجولان ، الامر الذي يجعل هذه الحماية أو المظلة الامريكية تشكل بعدا رابعا خفيا ، أو غير مباشر ، ضمن أبعاد حساب ميزان القوى في الوسائل العسكرية كما ونوعا ، يعوضها جانبا هاما من النقص الكمي الذي قد تجد نفسها تواجهه في القتال ضد الجيوش العربية ، ذلك لانه يحرر تفكير القيادة الاستراتيجية من ضغوط حساب الاحتفاظ باحتياطيات هامة في مختلف مراحل العمليات الحربية .

وفي المقابل يتمتع الجانب العربي بدعم وتأييد الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بصفة عامة ، على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وبدون هذا الدعم كان يستحيل على الجيوش العربية النظامية ان تواجه التحدي الاسرائيلي — الامريكي ، ويدخل هذا الدعم بطبيعة الحال في تقدير القيادة العربية السياسية والعسكرية وهي تخطط أو تنفذ عمليات عسكرية ضد اسرائيل ، ولكن نظرا لاختلاف نوعية العلاقة السياسية والعقائدية التي تربط دول المواجهة العربية بالاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية عن تلك التي تربط اسرائيل بالولايات المتحدة الامريكية ،

فان دول المواجهة العربية لا تستطيع ان تمضي في شوط استخدام قوتها العسكرية حتى نهايته بالطريقة نفسها التي تنتهجها اسرائيل .

ويصعب التوصل حاليا الى حساب تقريبي للقوة والوسائل العسكرية لدى الطرفين، نظرا للتغييرات السريعة المتلاحقة التي تجري في عمليات استيراد الاسلحة بين شهر وآخر وصعوبة تقدير كمياتها بدرجة معقولة من الدقة .

ويمكن ان نقدر علاقات القوى في الوسائل العسكرية المتاحة لكل من مصر وسوريا من جهة واسرائيل من جهة اخرى في نهاية عام ١٩٧٤ على نحو تقريبي ومع مراعاة التحفظات السابقة ، في ضوء التقديرات التي يقدمها معها الدراسات الاستراتيجية البريطاني وأخبار بعض صفقات الاسلحة التـي تذكرها وكالات الانبـاء والصحف والمجلات العالمية على النحو التالي : يقدر حجم الجيش المصري البري بنحو ٢٨٠ الف جندي موزعين على ٣ فرق مدرعة ولوائين مدرعين مستقلين و٣ فرق مشاة ميكانيكية و٥ فرق مشاة عادية ولوائين مشاة مستقلين ولوائين قوات محمولة جوا ولواء مظلات و٢٦ كتيبة مغاوير و٤ الوية مدفعية ولوائين هاون ثقيل وفوجي صواريخ ارض — ارض من طراز « سكود » يضمان ٢٤ صاروخا ، وفوج صواريخ ارض — ارض من طراز « فروغ ٧ » ، وبطاريات عدة من صواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ . وتضم قوة المدرعات نحو ٢٠٠٠ دبابة من انواع ت ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ و« ب ت ٧٦ » و« ت ١٠ » و« ستالين ٣ » ، فضلا عن نحو ١٢٠ مدفع ذاتي الحركة « س يو ١٠٠ » و« ج س يو ١٥٢ » وحوالي ٢٠٠٠ ناقلة جنود مصفحة من مختلف الانواع .

اما الطيران المصري فتقدر قوته الاساسية بنحو ٢٠٠ « ميغ ٢١ » و١٠٠ «ميغ ١٧» و١٠٠ « سوخوي ٧ » وعدد قليل من « الميغ ٢٣ » وعدد قليل من « الميراج ٣ ي » و٢٥ قاذفة متوسطة « ت يو ١٦ » و٥ قاذفات خفيفة « اليوشين ٢٨ » . وتضـم القوة البحرية المصرية الرئيسية ٥ مدمرات و١٢ غواصة و١٨ زورق صواريخ سطح — سطح و١٢ زورق قانص للغواصات و٢٩ زورق طوربيد(٢١).

أما سوريا فيقدر حجم جيشها حاليا بنحو ١٢٥ الف جندي موزعين علـى فرقتين مدرعتين ولواء مدرع مستقل و٣ فرق مشاة ميكانيكية و٣ الوية مشاة ميكانيكية مستقلة و٥ كتائب مغاوير و٣ كتائب مظليين ولوائي مدفعية وتشكيلات غير معروف حجمها من صواريخ « سكود » و« فروغ ٧ » ، وبطاريات عدة من مختلف أنواع صواريخ «سام» المضادة للطائرات .

وتضم قوتها المدرعة نحو ١٦٧٠ دبابة (من بينها حوالي ٥٠٠ ت ٦٢) ونحو ٧٥ مدفع ذاتي الحركة « س يو ١٠٠ » وحوالي ١٤٠٠ ناقلة جنود مصفحة . كما يضم سلاحها الجوي نحو ٢٠٠ « ميغ ٢١ » و٤٥ « ميغ ٢٣ » و٦٠ « ميـغ ١٧ » و٣٠ « سوخوي ٧ » وعدد غير معروف من « سوخوي ٢٠ » وعدد آخر مـن القاذفات الخفيفة « اليوشين ٢٨ » ، و١٠ طائرات هليكوبتر مضادة للغواصات « كوموف — ٢٥ » . أما قوتها البحرية فتضم ٦ زوارق صواريخ و١٢ زورق طوربيد .

ويقدر حجم الجيش العامل الاسرائيلي بنحو ١٢٥ الف جندي والجيش الاحتياطي بنحو ٢٥٠ الف جندي (وهذا بخلاف القوات الجوية والبحرية) ، ويصعب تقدير عدد التشكيلات الاسرائيلية المقاتلة عند التعبئة الشاملة ، ونحن نعتقد انها تضم نحو ٢٠ لواء مدرعا و١٠ الوية ميكانيكية و١٠ الوية مشاة صف أول و٦ الوية مظليين و٣ — ٤ الوية مدفعية بخلاف عدة الوية مشاة من الصف الثاني ووحدات الدفاع المحلي . كما نعتقد ان القوة المدرعة الاسرائيلية ستصبح في أوائل عام ١٩٧٥ نحو ٣٠٠٠ دبابة

معظمها « باتون » بنوعيها « م ٤٨ » و« م ٦٠ » . (فقد حصلت اسرائيل على نحو ٤٥٠ دبابة امريكية وهي في طريقها كي تحصل على ٥٥٠ دبابة امريكية اخرى وحوالي ٤٠٠ دبابة سنتوريون البريطانية ، فضلا عن اصلاحها لبعض دباباتها المصابة في حرب ١٩٧٣ وبعض الدبابات العربية المتروكة على ارض المعركة) ، ونحو ٣٦٠٠ ناقلة جنود مدرعة .

اما الطيران الاسرائيلي فتقدر قوته الحالية بنحو ١٥٠ طائرة فانتوم (ومن المقرر ان تبلغ قوته نحو ٢١٠ فانتوم في المستقبل) ونحو ١٨٠ « سكاي هوك » (وهناك عدد آخر تحت الطلب) و٢٥ « ميراج ٣ » و٣٠ « براك » (وهي ميراج مزودة بمحرك واحد من النوع الذي تستخدمه الفانتوم) وحوالي ١٢ طائرة « سوبر ميستير » و٢٠ « ميستير ٤ » و١٠ « فوتور ٢ » و٣٠ « اورغان » (والنوعين الاخيرين في المخازن) . وتضم البحرية الاسرائيلية غواصتان (فضلا عن ٣ اخرى يجري تصنيعها في بريطانيا) و١٦ زورق صواريخ (وهناك اثنان تحت التصنيع) و٩ زوارق طوربيد(٢٢) .

ومن المتوقع أن تزود الولايات المتحدة اسرائيل قريبا بنحو ١٠٠ صاروخ أرض ــ أرض من طراز « لانس » (الذي يصل مداه الى نحو ١١٠ كلم ويستخدم من فوق آلية مدرعة « م ١١٣ » كما يمكن نقله مع منصب وجهاز اطلاق بواسطة طائرة هليكوبتر طراز « شينوك »س هـ ــ ٤٧ سي) تكفي لتسليح لوائي صواريخ(٢٣) . وتستطيع هذه الصواريخ ان تحمل رأس متفجر تقليدي وزنه حوالي ٤٥٠ كلغ أو رأس نووي ، ويمكن أن يصل مداها اذا ما تسللت بها هليكوبتر داخل الاراضي العربية الى ٢٩٥ كلم (يبلغ مدى الهليكوبتر من طراز شينوك نحو ١٨٥ كلم) . كما تزودت اسرائيل بنحو ٢٠٠٠ صاروخ « تاو » مضاد للدبابات وبعدد من طائرات الهليكوبتر المسلحة طراز « كوبرا » التي تحمل الواحدة منها ٦ صواريخ من هذا النوع ، وكذلك بكميات من صواريخ « مافريك » المضادة للدبابات والموجهة تليفزيونيا وبصواريخ « شرايك » الموجهة ضد اجهزة الردار ، وبطائرات الاستطلاع التي تعمل بدون طيار .

وعلى ضوء هذه التقديرات الاولية يمكن ان نقول ان هناك توازنا في القوة البشرية للطرفين (ما لم يغيره تواجد قوات عربية اخرى فعالة حجما ونوعا في وقت مناسب من بدء القتال) وأن هناك تفوقا طفيفا في المدرعات يقدر بنسبة ٢٠ ــ ٢٥ ٪ لصالح العرب (خاصة مع زيادة نسبة الدبابات « ت ٦٢ » لدى الجيش السوري) ، وان الطيران الاسرائيلي ما زال متفوقا في القوة النارية ، اي في عمليات القصف الارضي ، اذ انه يستطيع ان يحمل حمولة قصوى من القنابل في الطلعة الواحدة تقدر بنحو ١٩٦٣ طنا ، مقابل نحو ٩٧٠ طنا حمولة قصوى للطائرات المصرية والسورية في الطلعة الواحدة (لم ندخل طائرات الميغ ٢٣ في الحساب لان عددها وحمولتها غير معروفة بدقة) ، ولكن قدرات القتال الجوي لدى السلاح الجوي السوري والمصري ستتحسن كثيرا نتيجة لوجود طائرات « الميغ ٢٣ » التي تتفوق في تقديرنا على « الفانتوم » ولارتفاع مستوى التدريب والخبرة اثر الحرب الاخيرة وتوقع ارتفاع مستوى ادارة العمليات الجوية ايضا . والواقع ان تطوير الطيران العربي اصبح يشكل جوهر التحدي مع القوة العسكرية الاسرائيلية حتى يمكن مواجهة تسلح الطيران الاسرائيلي بالصواريخ جو ــ أرض التي تهدف لتدمير بطاريات الصواريخ العربية من خارج مداها الفعال ، وحتى يمكن اعطاء فرصة أفضل لحركة وقتال المدرعات العربية بعيدا عن تهديد صواريخ « تاو » و« مافريك » المحمولة بطائرات الهجوم الارضي والهليكوبتر .

٥ ــ **عنصر القيم المعنوية** : يشمل هذا العنصر مجموعة الافكار والمبادىء والدوافع

السياسية والايديولوجية المحركة للصراع بين الطرفين المتجابهين ، وتشكل كلها عنصراً هاما في كيفيه استفاده كل طرف من مجموع عناصر قوته المختلفــه التي عرضناهـا سابقا ، نظرا لاتصالها بنوعيه وكميه الزخم النفسي الكامن وراء السلاح والموارد الاقتصادية والقوه البشريه والمزايا الجغرافيه ــ الاستراتيجية ، والذي يستطيع ان يضاعف او يقلل من حجم وفاعلية هذه العناصر في الاستخدام العملي لها .

ويتوقف إثر عنصر القيم المعنوية ، ضمن مجموع عناصر القوة الاخرى ، على مدى صحه وعداله وموضوعيه الاهداف النضالية في كل مرحلة تاريخية من مراحل الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، ومدى كفاءة الحشد المعنوي لهذه القيم . ولا شك ان الشعوب العربيه ، خاصه شعوب مصر وسوريا وفلسطين ، تملك أهدافا نضالية وطنية وقومية عادلة ومشروعة وفقا لكل المقاييس ، كما انها تملك خامة طيبة مــن الزخم النفسي والشجاعة القادره على دفع حركه الصراع المسلح العربي مــن أجل تحقيق هــذه الاهداف ، ولكن كفاءة الحشد المنظم لهذا الزخم واستمرار المحافظة على قوة دفعه تتوقف على كفاءة القيادة السياسية العربية وانتهاجها أسلوب ديمقراطي يعتمد على الالتصاق الشديد بحركة الجماهير العربية في ممارستها السياسية الداخلية والخارجية، وهو الامر الذي لم يتحقق حتى الان على النحو المطلوب ، والذي بدونه سيبقى قدر اساسي من جوهر الطاقة البشرية العربية شبه معطل وغير موظف على نحو فعال في الصراع ضد العدو الاسرائيلي .

٦ ــ **عنصر العلاقات الدولية** : يشمل هذا العنصر نوعية وحجم الروابط القائمة بين طرفي الصراع والقوى الدولية الاخرى المؤيدة لكل طرف منها او المحايدة ، ومدى توفر التأييد الدولي أو التحييد الدولي بالنسبة لبعض القوى العالمية تجــاه اهداف وشعارات كل طرف في كل مرحلة من مراحل الصراع . ولقد نجحت اسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ في كسب درجة كافية من التاييد او التحييد الدولي بالنسبة لهدفها المنظور وقتئذ ، وهو تعرضها لخطر الابادة من جانب العرب ، نتيجه لفشل المناورة الخارجية العربية المترتب على عدم وضوح أهداف المرحلة بصورة جيدة والمغالاة الشديدة في طرح شعارات دعائية غير قابلة للتنفيذ العملي مرحليا .

أما عشية حرب ١٩٧٣ فقد نجح العرب في مناورتهم الخارجية، نتيجة اتضاح أهداف نضال المرحلة وعدالتها الكاملة وتكشف النوايا العدوانية والتوسعيــة الاسرائيلية بصورة لا تقبل الشك ، وتخلى العرب عن الشعــار الدعائي الخاص بازالة دولــة اسرائيل ، وجاءت انتصاراتهم الاولى واستخدامهم لسلاح النفط مدعمة للتأييد الدولي المتاح لهما من دول المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني ودول عدم الانحياز ، ومحيدة عديد من دول اوروبا الغربية . وبذلك حقق العرب تفوقا في عنصر العلاقات الدولية ، كما حققوا خلال السنة الاخيرة مزيدا من النجاحات في محيط العلاقات الدولية (باستثناء التوتر الذي ساد العلاقات المصرية ــ السوفييتية) متجسدا في قطع معظم دول افريقيا علاقاتها باسرائيل ودخول منظمة التحرير الفلسطينية هيئة الامم المتحدة والاعتراف المتزايد عالميا بحق الشعب الفلسطيني في اقامة سلطة وطنية على كل ارض ينسحب منها العدو الاسرائيلي ، واتخاذ معظم دول اوروبا الغربية موقفا اكثر تعاطفا مع العرب الخ ، ولا زال في امكانهم المحافظة على هذا التفوق حتى يتم على الاقل تحرير الارض المحتلة عام ١٩٦٧ واقامة دولة فلسطينية ، متى طبقوا استراتيجية سياسية سليمة بتنسيق وتعاون كامل فيما بينهم وبين بعضهم البعض ، وبالمحافظة على دعم وتطوير علاقاتهم مع المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني .

عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية : ويشمل هذا العنصر مدى القدرات الانسانية المتاحة عمليا في كل مرحلة من مراحل الصراع على تحويل كل العناصر المختلفة السابقة الى طاقات فعالة تعطي مردودها الاقصى في الصراع المسلح الجاري بين الطرفين او المحتمل ان يجري .

اي ان هذا العنصر يشمل قدرات التخطيط لاستخدام موارد القوة البشرية والاقتصادية والعسكرية وامكانات الوضع الجغرافي والطاقة المعنوية الكامنة والعلاقات الدولية وكيفية استثمارها عمليا بنجاح . وهذا يعني انه يشمل مجالات الاستراتيجية العسكرية وادارة العمليات والتكتيك والتعبئة وتنظيم المواصلات والحشد والتخزين الاستراتيجي لحاجات المجهود الحربي ، وتنظيم القوات المقاتلة سواء من حيث نوعية وحجم التشكيلات الميدانية التي توفر اقصى مردود ممكن للاسلحة والعتاد الحربي يتفق مع حقيقة امكاناتها الفعلية الكامنة ، أو من حيث طريقة توزيع وتحريك هذه التشكيلات قبل وخلال القتال العملي ، وايجاد التنسيق الفعال بين فروع التشكيلات القتالية المختلفة اثناء المعارك والتحركات ، وكذلك من حيث كفاءة خطط واساليب اعاشة وامداد وتعزيز هذه التشكيلات ، وكفاءة اساليب تنظيم اقتصاد الحرب والدفاع المدني والاستخبارات وحماية المؤخرة البعيدة ، الخ...

ولقد كانت اسرائيل متفوقة بوضوح كامل على العرب بالنسبة لهذا العنصر خلال حرب ١٩٦٧ ، وهذا التفوق في المقدرة التنظيمية والقيادية لدى اسرائيل كان السبب الحقيقي الكامن وراء عناصر القوة العسكرية الاخرى ، وساعد عليه تخلف المستوى التقني والثقافي للجنود والقادة العسكريين واتباع استراتيجية دفاعية سلبية من جانب القيادات السياسية العربية وضعف التنسيق والتعاون العسكري العربي .

ولقد شهدت حرب ١٩٧٣ تطورا واضحا في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية لدى الجانب العربي ، ساعد عليه حسن استيعاب الخبرة العسكرية السوفييتية والتخطيط والتدريب السابق واتباع استراتيجية هجومية أعطت العرب المبادأة ، ولعب دوره الهام في فرض حالة شبه التوازن التي انتهت اليها الحرب ، ولكن نجاح اسرائيل في صد الهجوم العربي والانتقال الى الهجوم المضاد العام ، يعكس بطبيعة الحال تفوق الجانب الاسرائيلي نسبيا في عنصر التنظيم والقيادة ، وهو تفوق دعمته من قبل خبرات حرب ١٩٦٧ ومحدودية الاستراتيجية العليا للحرب من الجانب العربي وعدم تحقق درجة ارقى من التنسيق والتعاون العسكري والسياسي العربي .

والخلاصة ان دول المواجهة العربية المباشرة ، أي مصر وسوريا ، قد انتقلت من مرحلة التفوق الاسرائيلي التي كانت سائدة منذ ١٩٦٧ ،الى مرحلة توازن تقريبي في القوة عقب حرب ١٩٧٣ ، وهي تستطيع ان تنتقل الى مرحلة التفوق العربي على اسرائيل اذا ما عملت بجدية كاملة ، وضمن استراتيجية سياسية واضحة وسليمة ، على تطوير مختلف عناصر قوتها البشرية والاقتصادية والجغرافية — الاستراتيجية والعسكرية والمعنوية والدولية والتنظيمية ، بدعم الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي والقدرات المالية العربية النفطية ، التي ما زالت أقل من المستوى المطلوب لتطوير عناصر القوة العربية ، بمعدل سريع يتفق وسرعة الاستعداد الاسرائيلي — الامريكي لشن حرب خامسة تعيد الاوضاع العربية الى ما كانت عليه قبل حرب ١٩٧٣ .

جدول رقم (١)
أبرز خصائص الدبابات العربية ١٩٦٥ ـــ ١٩٧٥

طراز الدبابة	الوزن بالطن	قوة المحرك بالحصان	السرعة(١) كلم/ساعة	مدى(٢) العمل كلم	التسليح الرئيسي	المدى الفعال ضد الدروع بالمتر	قدرات اخرى
ت ٣٤	٣١،٥	٥٠٠	٥٠	٣٥٢	مدفع ٨٥ مم	١٠٠٠	عبور مخاضات ماء حتى عمق ١،٣٠ بدون تجهيزات
ستالين ٣	٤٥،٨	٥١٩	٣٧	٢٠٨	مدفع ١٢٢ مم		عبور مخاضات ماء حتى عمق ١،٣٠ بدون تجهيزات
ت ٥٤	٣٥،٤	٥٢٠	٥٠	٦٢٠	مدفع ١٠٠ مم	١٢٠٠	عبور مخاضات حتى عمق ٥،٤ متر مع تجهيزات ، معدات ليلية
ت ٥٥	٣٦	٥٨٠	٥٠	٦٢٠	مدفع ١٠٠ مم	١٢٠٠	عبور مخاضات حتى عمق ٥،٤ متر مع تجهيزات ، معدات ليلية
ت ٦٢	٣٨	٧٠٠	٥٥	٦٠٠	مدفع ١١٥ مم	١٦٨٠	مخاضات حتى عمق ٤ متر مع تجهيزات، معدات ليلية
بت ٧٦	١٤	٢٤٠	٤٠	٢٤٠	مدفع ٧٦ مم	١٠٠٠	دبابة برمائية سرعتها في الماء ١١ كلم/ساعة

١ ـــ السرعة القصوى على الطرق (وكذلك بالنسبة للدبابات الاسرائيلية).

٢ ـــ المدى الاقصى على الطرق (وكذلك بالنسبة للدبابات الاسرائيلية).

جدول رقم (٢)
أبرز خصائص الدبابات الاسرائيلية ١٩٦٥ ـــ ١٩٧٥

طراز الدبابة	الوزن بالطن	قوة المحرك بالحصان	السرعة كلم/س	مدى العمل كلم	التسليح الرئيسي	المدى الفعال ضد الدروع بالمتر	قدرات اخرى
سوبر شيرمان	٣٩،٦(٢)	٤٦٠	٤٥	٢٤٠	مدفع ١٠٥ مم أو ٧٥ مم	١٥٠٠ للاول ١٠٠٠ للثاني	عبور مخاضات حتى عمق ٠،٩ متر
أم أكس ١٣	١٥	٢٥٠	٦٠	٣٣٦	مدفع ٧٥ مم	١٠٠٠	
سنتوريون	٥٢	٦٥٠	٣٤	١٩٠(٣)	مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠	معدات ليلية
باتون م٤٨	٤٧،٢	٨١٠	٥١	٤٦٤	مدفع ٩٠ مم أو ١٠٥ مم	؟ ١٥٠٠	مخاضات حتى ٢،٤ متر بتجهيزات ومعدات ليلية
باتون م٦٠	٥٣	٧٥٠	٤٨	٥٠٠	مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠	مخاضات حتى ٢،٤ متر بتجهيزات ومعدات ليلية
ت٥٤/٥٥(١)	٣٥،٤ ٣٦	٥٢٠ ٥٨٠	٥٠	٦٠٠	مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠	مخاضات حتى ٥،٤ متر بتجهيزات ومعدات ليلية

١ ـــ دبابات مصرية وسورية غنمت عام ١٩٦٧ وأعيد تسليحها بمدفع عيار ١٠٥ مم .

٢ ـــ وزن السوبر شرمان المسلحة بمدافع ١٠٥ مم .

٣ ـــ يقول الاسرائيليون انهم ضاعفوا مدى السنتوريون بعد تجهيزها بمحرك امريكي يعمل بالديزل .

جدول رقم (٠٣)

أبرز خصائص الطائرات الاسرائيلية ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥

الطراز	القوة الدافعة	السرعة القصوى كلم/ساعة		مدى العمل (كلم)		التسليح / حمولة قصوى	
	محرك/كلغ	على ارتفاع عـال	على ارتفاع منخفض	اعتراض	قصف	اعتراض	قصف
ميراج٣	١/٤٢٥٠[1]	٢٣٠٠	١٤٩٠	٢٢٧[2]	٧٦٠	٢رشاش٣٠مم ٣صواريخجو ــ جو	٩٠٠ كلغقنابل
سوبرميستير	١/٣٤٠٠	١١٩٥	١١٠٤	٤٢٥	٧٠٥	٢رشاش٣٠مم ٢صاروخجو ــ جو	١٠٠٠كلغقنابل
ميستير٤	١/٣٥٠٠	٩٨٥	١٠٣٥	٤٥٦	٧٨٠	٢رشاش٣٠مم	٩٠٠ كلغقنابل
فوتور٢	٢/٣٥٠٠	؟	١١٠٤	؟	١٢١٠	٤رشاشات٣٠مم	١٨٠٠كلغقنابل
اورغان	١/٢٢٥٠	٨٥٥	٩٣٥	؟	٤٤٨	٤رشاشات٢٠مم	٩٠٠ كلغقنابل
فوغاماجستر	٢/٤٠٠	٧١٥	٦٥٠	—	٩٢٥	٢رشاش٧،٥مم	١٠٠ كلغقنابل
فانتوم	٢/٥٣٨٥	٢٤١٤	١٤٦٤	٣١٥	١٦٠٠	رشاش٢٠مم ٨صواريخجو ــ جو	٧٢٥٧كلغقنابل
سكايهوك	١/٤٢١٨	١٠٣٠	١١٠٢	—	٥٤٧	٢رشاش٣٠مم	٤١٧٠كلغقنابل

١ ــ القوة الدافعة محسوبة للمحرك الواحد بدون استخدام الحراق الخلفي وذلك بالنسبة لجميع الطائرات بالجدول .

٢ ــ مدى العمل في المهام الاعتراضية محسوب على اساس تسليح اعتراضي كامل وبدون حمل خزانات وقود اضافي .

جدول رقم (٤)

أبرز خصائص الطائرات العربية ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥

الطراز	القوة الدافعة	السرعة القصوى كلم/ساعة		مدى العمل (كلم)		التسليح / حمولة قصوى	
	محرك/كلغ	على ارتفاع عـال	على ارتفاع منخفض	اعتراض	قصف	اعتراض	قصف
ميغ ١٧	١/٢٧٠٠	١٠٢٢	١١٠٧	؟	٧٥٠	٣رشاشات٢٣مم	٥٠٠ كلغقنابل
ميغ ١٩	٢/٢٥٦٦	١٤٥١	؟	٤٥٠	٢١٨٤	٣رشاشات٢٣مم	٩٠٠ كلغقنابل
ميغ ٢١	١/٥١٠٠	٢٢٣٠[1] ((٢١٢٥)	١٣٠٠ (؟)	١١٠٠ (٦٠٠)	١٨٠٠ (؟)	٢رشاش٢٣مم ٢صاروخ جو ــ جو	١٠٠٠كلغقنابل
سوخوي٧	١/١٠٠٠٠[2]	١٧٠٠	١١٦٠	—	٤٦٠	٢رشاش٣٠مم	٢٠٠٠كلغقنابل
اليوشين٢٨	٢/٢٦٩٨	٩٣٣	٩٢٨	—	٢٤١٤	٢رشاش٣٠مم	٢٠٤١كلغقنابل
ت يو ١٦	٢/٩٥٠٠	٩٤٥	—	—	٤٨٠٠	٧رشاشات٢٣مم	٩٠٠٠كلغقنابل

١ ــ البيانات الموضوعة بين أقواس في الميغ ٢١ خاصة بالنوع القديم الذي كان موجودا عام ١٩٦٧ .

٢ ــ قوة دفع محرك « السوخوي ٧ » محسوبة على اساس استخدام حراق خلفي بخلاف بقية الطائرات .

١ — *The Middle East and North Africa*, 1967-68, London, Europa

٢ — *The Statesman's Year - Book*, 1966-67, London, MacMillan

٣ — *Statistical Abstract of Israel* 1973, p. 21

٤ — Safran. Nadav, *From War to War*, New York, Pegasus, 1969, p. 195

٥ — *The Military Balance*, 1966-67

٦ — *The Military Balance*, 1973 - 74

٧ — *The Military Balance* 1974-75

* — صفران نداف ، **المرجع السابق** ، صفحات ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٧٠ .

٨ — **المرجع السابق** ، ص ٢٠١ .

٩ — *The Military Balance*, 1974-1975

١٠ — الهيثم الايوبي ، هشام عبدالله ، **ميزان القوى العربي — الاسرائيلي** ، مركز الابحاث م.ت.ف. ، بيروت ، ص ١٩٤ ، ٤٤ ، ٨٣ .

١١ — *The Military Balance*, 1974-1975

١٢ — **المرجع السابق** .

١٣ — نشرة « **قضايا اسرائيلية** » ، عدد ٢٨/١١/ ١٩٧٤ مركز الابحاث م.ت.ف. ، بيروت ، ص ١٦٣ .

١٤ — آلون ، ايغال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، بيروت ، دار العودة ، ص ١٨٦ .

١٥ — *Statistical Abstract of Israel* 1973, 536, 537

١٦ — *The Statesman's Year Book*, 1965-66

١٧ — *The Military Balance*, 1965-66

١٨ — *The Military Balance*, 1973-74

١٩ — **المرجع السابق** .

٢٠ — Brower-Kenneth, «Armor in the October War», *Armor*, May-June 1974, p. 10, 11.

٢١ — *The Military Balance* 1974-75, p. 32, 33

٢٢ — **المرجع السابق** ، ص ٣٤ .

٢٣ — *Aviation Week*, 18-11-1974

النظرة الاسرائيلية للشعب الفلسطيني بعد عشر سنوات من الثورة

صبري جريس

مع مرور عشر سنوات على انطلاقتها المسلحة ، وبعد صدور قرارات مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد في الرباط في اواخر تشرين الاول الماضي واعتراف الدول العربية بالاجماع بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني، ثم صدور قرارات مماثلة عن الامم المتحدة في تشرين الثاني ، بعد مرور ٢٧ عاما على صدور قرار تقسيم فلسطين لسنة ١٩٤٧ ، تجد الثورة الفلسطينية نفسها — ومعها الشعب الفلسطيني — في مركز الاحداث التي تمر على المنطقة ، بأبعادها المحلية والعالمية . ومن الواضح ايضا ان نجاح الثورة الفلسطينية المسلحة في اثبات وجودها ، ومن ثم احياء القضية الفلسطينية وارجاعها الى حجمها الطبيعي لم يقتصر ، محليا ، على الصعيد العربي فقط وانما تعداه ودخل في صميم المجال الاسرائيلي ايضا ، بحيث ظهر وكأن القضية الفلسطينية هي احدى القضايا الرئيسية — ان لم تكن القضية الرئيسية — التي تشغل بال الاسرائيليين ، حكومة وشعبا ، رغم عمق وحدّة المشاكل الاخرى التي تجابهها ، وبعد ان كادوا يقتنعون ، قبيل انطلاق الثورة المسلحة ، بأنهم قد ربحوا الجولة الهادفة الى تثبيت وجودهم في المنطقة على الصعيد الفلسطيني ، وبعد ١٧ عاما فقط من اقامة دولتهم ، ولم يبق امامهم الا احراز نفس التقدم على الصعيد العربي ، الى ان جاءت أحداث السنوات العشر الماضية لتثبت لهم عكس ذلك .

لا يمكن القول ان الاسرائيليين، او دوائر معينة منهم على الاقل ، لم تتوقع حدوث ما حدث خلال العقد الاخير ، وان تجد اسرائيل نفسها في نهاية الامر في نفس الوضع الذي تعيشه حاليا ، وهي تجابه القضية الفلسطينية بكل أبعادها ، وعلى الصعيدين المحلي والعالمي ، وتشاهد فشل محاولاتها المتكررة للالتفاف حول الفلسطينيين بسعيها الدائم الى حل مشاكلها مع العالم العربي مباشرة من خلال تجاهل العنصر الفلسطيني من جهة، وعودة المسالة الفلسطينية الى المسرح الدولي وتعاظم التأييد العالمي للفلسطينيين ومطالبتهم بالحصول على حقوقهم المشروعة من جهة اخرى . بل ، وعلى العكس من ذلك ، يبدو من استعراض مواقف اسرائيل والاجراءات التي اتخذتها لمجابهة التطورات على الصعيد الفلسطيني ، في الداخل والخارج ، ومنذ سنة ١٩٦٤ وحتى اليوم ان الاسرائيليين تنبهوا باكرا الى امكان حدوث تلك التغييرات التي يجابهون نتائجها الان ، وحاولوا العمل على احتوائها او ، على الاقل ، الحد من الاضرار التي قد تصيبهم من جراء ذلك . فسلطات اسرائيل ، اولا ، تنبهت باكرا الى اقامة منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤ ، ولم يقلل من قيمة هذه الواقعة اعتبار اسرائيل المنظمة ، يومها ، بمثابة اداة في أيدي الدول العربية لا تستطيع ان تتحرك الا بموافقة تلك الدول الاجماعية ، مما يعني في ضوء الواقع العربي المنقسم على نفسه آنئذ عدم قدرة المنظمة

على اتخاذ أية اجراءات ذات معنى يمكن ان تمس باسرائيل ومصالحها ، محليا وعالميا. ولكن على الرغم من ذلك ، لم تتردد اسرائيل في اتخاذ بعض الاجراءات ، على صعيد اعادة تنظيم بعض أجهزتها الامنية ، التي اعتقدت انها ضرورية لمجابهة أي تحد قد يتمخض عنه المستقبل ، ولا يقلل من قيمة الهدف « الفلسطيني» لتلك الاجراءات كونها جاءت ، ايضا ، تحديا لتطورات سياسية على الصعيد الداخلي في اسرائيل ، بعد ان استقال الرجل القوي هناك ، بن غوريون ، من منصبه كرئيس للحكومة وراح يشن حملات دون ــ كيشوتية على وريثه اشكول ، رغم انه اختاره بنفسه . كذلك حظيت ، ثانيا ، انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة في مطلع سنة ١٩٦٥ ، رغم بدايتهـــا المتواضـعة ، باهتمام بالغ لدى معظم أصحاب النفوذ في اسرائيل ، ان لم يكن كلهم ، الذين قدروها ، ومنذ اول خطواتها ، معربين عن تخوفهم من تعاظمها وكأنهم يستطلعون المستقبل ويخشون من ان يجدوا انفسهم ، في نهاية الامر ، في مجابهة اوضاع كهـــذه التي يمرون فيها الان . ولعل تصرف السلطات العسكرية الاسرائيلية بتلك الطريقة العصبية التي تصرفت بها مع اول أسير من حركة « فتح » يقع في أيديها ، محمود حجازي ، وأصدار حكم بالاعدام عليه من قبل محكمة عسكرية اسرائيلية ، بعد ان وجهت اليه تهما لا تستوجب اصدار مثل هذا الحكم بحسب أي عرف دولي ، ورغم ان حكما كهذا لم يصدر بحق اي لاجىء فلسطيني كان قد دخل اسرائيل في السابق وقام بأعمال مماثلة او اكثر منها ، ثم اضطرارها الى اعادة المحاكمة وتخفيض الحكم الى السجن المؤبد ، بعد ان كادت المسألة تتحول الى فضيحة شبه دولية ، خير دليل على نية تلك السلطات في العمل على خنق ذلك الكفاح المسلح في مهده ، وقبل ان يستفحل أمره ويصل الى ما وصل اليه حاليا .

لم تستطع اسرائيل ، بالطبع ، اتخاذ أية اجراءات تذكر لمجابهة تلك التطورات ، المتمثلة في اقامة منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الرسمي العربي وبروز فكرة الكفاح المسلح الى حيز الوجود على الصعيد الشعبي الفلسطيني ، خارج حدودها . ولكنها ، في مقابل ذلك ، سرعان ما فتحت عينيها لاعادة النظر في اوضاع تلك القلة من العرب الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون داخلها منذ سنة ١٩٤٨ ، ويشكلون ما يزيد قليلا عن عشر سكانها ، واتخاذ اجراءات قد تمنع تسرب « العدوى » عبر الحـــدود اليهم . وكانت اسرائيل قد اتبعت ، منذ قيامها ، سياسة عدوانية واضحة المعالم تجاه تلك الاقلية من العرب الفلسطينيين تمثلت، باختصار، في فرض الاحكام العسكرية الدائمة عليهم ومصادرة اراضيهم وتضييق سبل العيش امامهم ، بالاضافة الى التنكر لحقوقهم القومية ، الى ان وجدت ان اغلبية اولئك السكان تبادلها عداء بعداء . واذا كانت اسرائيل قد استطاعت « احتواء » ذلك الموقف العدائي للسكان العرب ، بعد أن تكفلت اجهزتها الامنية « بمعالجته » ، فقد اقتنعت بعد تلك التجربة ، من ناحية ثانية ، انها لن تستطيع الاستمرار في ذلك طويلا ، بينما راح بعض المسؤولين الاسرائيليين يبدون تخوفهم من امكان تأثير التطورات الخارجية على الصعيد الفلسطيني على اولئك العرب ودفعهم الى السير في طريق لا تحمد عقباها بالنسبة لاسرائيل . وقد كان هذا الشعور الذي ساد لدى اولئك المسؤولين الاسرائيليين فاتحة لمداولات ، استمرت فترة غير قصيرة ، توصلت الاجهزة الاسرائيلية المعنية في نهايتها الى نتيجة تقضي بتغيير سياسة اسرائيل الرسمية تجاه سكانها العرب وذلك ، على وجه التحديد ، بالغاء قيود الحكم العسكري التي كانت مفروضة على الجماهير العربية وقصرها على قلة مـــن « المشاغبين » العرب ، والعمل على « استيعاب » السكان العرب هناك في حيـــاة الدولة ومحاولة حل مشاكلهم المعيشية . وعلى الرغم من ان هذه السياسة الاسرائيلية

« الجديدة » تجاه السكان العرب لم تضع حلا لكل مشاكلهم ولم تسفر عن تغيير جذري في اوضاعهم ، فمن الواضح على أية حال انها خلقت بالنسبة لاولئك السكان ظروفا احسن من تلك التي كانت قائمة قبل اقرارها ، بحيث تكون الثورة الفلسطينية المسلحة قد حققت بهذا ، ولو بطريقة غير مباشرة وربما غير مقصودة ايضا ، اول انتصار من انتصاراتها .

ان الاجراءات التي اتخذتها سلطات اسرائيل تجاه السكان العرب هناك، كما أشرنا، لم تقر او تنفذ بين ليلة وضحاها، اذ ان المداولات بشأنها استمرت خلال عامين كاملين، ١٩٦٥ و١٩٦٦ ، ولم تدخل حيز التنفيذ الى اواخر سنة ١٩٦٦ ، بحيث لم يمر على بدء العمل بها الا نصف سنة ، حتى نشبت حرب حزيران ١٩٦٧ ووجدت اسرائيل نفسها ، نتيجة لذلك ، تسيطر على كل الاراضي الفلسطينية ، بالاضافة الى اراض مصرية وسورية ، وتحكم ما يقارب من نصف ابناء الشعب الفلسطيني ، وتقف وجها لوجه مقابل القضية الفلسطينية بكل ابعادها .

ولكن على الرغم من هذا الانتصار ، الذي غيَّر خارطة المنطقة السياسية ووضع تحت تصرف اسرائيل معطيات جديدة ومنحها قاعدة قوية تستطيع منها الانطلاق للتعامل مع المشكلة الفلسطينية وبوسائل لم تكن ، بالطبع ، تحت تصرفها في الماضي ، لم تبدل القيادة الاسرائيلية شيئا من نظرتها الى الفلسطينيين او تغير موقفها منهم ، بحيث لم تكن السياسة التي اتبعتها تجاه سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، في جوهرها ، الا امتدادا لتلك السياسة التي اتبعت في الماضي تجاه العرب داخل اسرائيل ، وفق طبعتها المنقحة في ضوء التجربة التي مرت بها السلطة الاسرائيلية في تعاملها مع السكان العرب منذ ١٩٤٨ ، وكما كانت نافذة المفعول في منتصف الستينات . فلقد كان واضحا منذ الخطوات الاولى التي اتخذتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في المناطق التي استولت عليها ان الهدف الاول لتلك السلطات كان تأمين سيطرتها الامنية ــ العسكرية على تلك المناطق والحفاظ على الهدوء فيها، بما يكفل لها ضمان مصالحها الاقتصادية، كاستغلال تلك المناطق كسوق لبضائعها او الافادة من القوة العاملة فيها لدعم الاقتصاد الاسرائيلي، او ما يساعدها على اقامة المستوطنات اليهودية هنا وهناك . كذلك كان واضحا ، من ناحية ثانية ، ان السلطات الاسرائيلية استفادت ، عند اتباعها هذه السياسة ، من التجربة الغنية التي مرت بها في هذا المجال من خلال تعاملها مع السكان العرب داخل اسرائيل ، بحيث اتجهت الى تنفيذ تلك الاجراءات التي تخدم مصالحها فقط ، أمنيـة كانت او اقتصادية او سياسية ، ومن خلال التدخل بأقل مدى ممكن في شؤون معيشة السكان اليومية ، دون اللجوء الى ذلك النوع من الخطوات الانتقامية ، الهادفة الى اضطهاد السكان حبا في اضطهادهم فقط ، ولدرجة يمكن معها القول ان تلك السياسة الاسرائيلية التي اتبعت تجاه السكان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ كانت فعلا ، اذا ما قيست بتلك التي كانت من نصيب أولئك الذين عاشوا داخل المنطقة المحتلة منذ ١٩٤٨ ، « ليبرالية » للغاية .

من الواضح ان سياسة اسرائيل هذه في المناطق المحتلة ، المستندة الى عدم التدخل في شؤون معيشة السكان اليومية او عدم مضايقتهم ما لم تكن هناك مصلحة اسرائيلية حيوية تستوجب ذلك من جهة وابعادهم عن الاهتمام بالامور السياسية ، ناهيك عن القيام بنشاط سياسي فعلي ، حتى وان كان مثل هذا النشاط متعلقا بصميم قضاياهم المصيرية من جهة أخرى ، لم تكن الا جزءا مكملا للموقف الاسرائيلي الرسمي الذي يصر على اعتبار أهالي تلك المناطق مجرد سكان فيها محرومين من ممارسة حقوقهم السياسية ، أو لا حقوق سياسية لهم ، يبت في مصيرهم ، وعندما يحين الوقت لذلك ،

من خلال أخذ المصالح الاسرائيلية الآنية أو المستقبلية بالاعتبار أولا . ولقد ثابر حكام اسرائيل على اتباع سياستهم هذه ، منذ سنة ١٩٦٧ وحتى اليوم ، دون ادخال أي تغييرات تذكر عليها ، رغم الاوضاع المتقلبة التي كانت تسود تلـــك المناطق ، او خارجها ، من حين لآخر ، والتي كاد يظهر معها ، أحيانا ، ان هناك مبررات لاعادة النظر في تلك السياسة على الاقل . ولم يكن في بروز العمل الفدائي ، ثم تعاظمه أيضا ، اذا كان ذلك على الحدود الاردنية أو داخل الضفة الغربية خلال السنوات ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ثم ، وبعد أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن ، في قطاع غزه حتى سنة ١٩٧٢ ، ما يدفع سلطات اسرائيل على تغيير سياستها تلك ، التي اكتفت ازاء هذا بالعمل على ضرب ذلك النشاط الفدائي أو محاولة احتوائه ، ومن خلال اجراءات تهدف الى المس بمن يقومون بذلك النشاط فقط وانزال العقوبات بهم أو الانتقام منهم ، مع مراعاة عدم التعرض لاغلبية السكان أو اثارة غضبهم قدر الامكان . واذا كانت اسرائيل قد حادت عن هذه الطريق من حين لآخر ، ولجأت الى تطبيق العقوبات الجماعية في هذه المنطقة أو تلك ، كهدم البيوت والاحياء او طرد السكان من بيوتهم أو قمع المظاهرات والاستيلاء على الاملاك ، فان هذه الاجراءات لم تطبق ، عامة ، الا في أماكن معينة وخلال فترات محددة أو ردا على تحركات آنية ، ولم تكن الا من قبيل التصرفات الشاذة التي تثبت القاعدة الاساسية وتدعمها .

ان الظروف الجديدة والتغييرات التي طرأت على المنطقة خلال السنوات العشر الاخيرة ، على الصعيدين العربي والفلسطيني ، لم تكن كافية ، اذن ، لاحداث أي تجديد يذكر في سياسة اسرائيل ومواقفها ، على الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، من السكان العرب الذين يقعون تحت حكمها ، اذ أن السياسة التي اتبعت تجاه السكان العرب في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ لم تكن ، كما أشرنا ، الا استمرارا لتلك التي طبقت على العرب داخل اسرائيل منذ ١٩٤٨ والتي لا تعترف أساسا بأية حقوق قومية أو سياسية لاولئك السكان وتتنكر ، بالطبع ، لحقهم في تقرير مصيرهم . كذلك فان تلك الظروف نفسها لم تستطع أيضا ادخال أي تغيير على سياسة اسرائيل الخارجية أو في مواقفها السابقة من القضية الفلسطينية وطرق حلها ، اذ أن سلطات اسرائيل ، ورغم تصاعد العمل الفدائي الفلسطيني وتعاظم شأنه ، ثم بروز العنصر الفلسطيني وتبلوره ، وفرضه وجوده على الساحة العربية ثم الدولية ، اكتفت لكي تتخلص من مجابهة النتائج السياسية المترتبة على ذلك النشاط بأن تسكت تلك الاصوات الداعية الى العمل على ايجاد طرق جديدة لحل القضية الفلسطينية ، بعرض النشاط الفدائي على انه « أعمال تخريبية » يتزعمها « مخربون » لا يمتون الى الشعب الفلسطيني او القضية الفلسطينية بصلة ، مبرره الدعم المالي او الادبي الذي يقدم له من قبل جهات عربية معينة ، خدمة لاغراضها . ومن الواضح ، بالطبع ، ان هذه الادعاءات لم تكن الا أعذارا واهية ، القصد من ورائها كسب الوقت والابقاء على الوضع الراهن بشكل يخدم المصالح الاسرائيلية ، الآنية او المستقبلية ، على أحسن وجه ، اذ ان اسرائيل لم تكتف فقط بالاعلان عن رفضها الاعتراف بحق الفلسطينيين خارج المناطق المحتلة في « التدخل » في شؤونها الداخلية ، أو بحقهم في ابداء الرأي في مصير الفلسطينيين او طرق حل قضيتهم ، اذ أنكرت ذلك أيضا على السكان العرب الذين يعيشون داخل المناطق المحتلة نفسها ، وحظرت عليهم القيام بأي نشاط سياسي مهما كان طابعه ، رغم مطالبة دوائر اسرائيلية عديدة بتغيير هذه الطريق ودعوتها الى خلق زعامة محلية في تلك المناطق ، أو السماح بتبلور مثل هذه الزعامة التي يمكن لاسرائيل ان تصل يوما ما الى حل القضية الفلسطينية معها ، مصرة على موقفها السابق الداعي الى ايجاد

حل للقضية من خلال المفاوضات مع الدول العربية المجاورة . ولا تزال اسرائيل حتى الآن عمليا عند موقفها هذا، رغم قرارات مؤتمر القمة العربي الاخير في الرباط المدعومة بقرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة ، التي يمكن اعتبارها بمثابة « اشارة » عربية وعالمية لاسرائيل بوجوب حل القضية الفلسطينية مع الشعب الفلسطيني بالذات ومن خلال ممثليه الشرعيين ، وان أي حل كهذا قد يحصل على « تغطية » عربية وعالمية أيضا ، ما دام الطرف الاساسي فيه الشعب الفلسطيني نفسه . وحتى الموقف الاسرائيلي هذا ، الذي يصر على التعامل مع الدول العربية ، او بصورة أوضح مع غير الفلسطينيين بالذات ، لحل القضية الفلسطينية ليس جديدا ، كما هو معلوم ، وتعود جذوره الى أواخر الثلاثينات ، عندما عملت بريطانيا على اشراك بعض الدول العربية في المساعي التي بذلت لايقاف الثورة العربية الكبرى يومها ، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، وهو « الاختراع » الذي سرعان ما نقلته الصهيونية عنها ، ولا تزال منذ ذلك الحين تصر على تطبيقه .

يتضح مما تقدم ، اذن ، ان عشر سنوات من الكفاح الفلسطيني المسلح لم تكن كافية لاحداث أية تغييرات جوهرية في سياسة اسرائيل ومواقفها من الشعب الفلسطيني أو حقوقه ، عدا عن تغيير بسيط يقضي بالاعتراف بمدى أكبر من الحقوق المدنية أو « الانسانية » للسكان العرب الذين يعيشون في ظل الحكم الاسرائيلي ، وهو التغيير الذي أحدثه الكفاح المسلح عندما بدا وكأنه جاء مكملا للنضال اليومي الذي خاضه العرب في الداخل دفاعا عن وجودهم في وجه التحدي الصهيوني الذي جابههم. كذلك من الواضح أيضا أن حصيلة هذه السنوات لم تكن كافية لزعزعة العقيدة الصهيونية الاسرائيلية أو لاختراقها على نطاق ملحوظ ، رغم الحديث الكثير الذي يدور حول ذلك في اسرائيل وخارجها والذي يفسره البعض على أنه نوع من الكفر بالمسلمات الصهيونية ، اذ عدا عن ذلك التغيير الطفيف الذي طرأ بعد حرب تشرين ، والمتمثل في اعلان الجناح العمالي الحاكم في اسرائيل عن « اعترافه » بوجود «فلسطينيين» او « شعب فلسطيني » ، لم يسجل أي « انقلاب » آخر في العقيدة الصهيونية ومواقفها من الفلسطينيين خاصة والعرب عامة ، وحتى ذلك الاعتراف جاء مشروطا بالاعلان عن النية على حل القضية الفلسطينية مع جهة غير فلسطينية . واذا كان الجناح العمالي قد اكتفى بالاعلان عن مثل هذا التغيير في موقفه ، فان جناحي اليمين والمتدينين ، اللذين يمثلان نحو نصف سكان اسرائيل في برلمانها ، لا يزالان يتمسكان بمواقفهما السابقة من الفلسطينيين والعرب ، والتي لم تتغير منذ أربعين عاما أو أكثر . صحيح ان اجنحة العمال واليمين والمتدينين ليست كل اسرائيل ، وان كانت تمثل الاكثرية الساحقة هناك وتتحكم بمصير البلد ، فهناك ايضا دوائر اخرى ، برز من بينها خلال السنين الاخيرة من سجل العديد من الاعتراضات على المواقف الصهيونية التقليدية وطالب بتغييرها ، وذلك بالاضافة الى ما يسمى حركات الاحتجاج التي يطالب بعضها باتخاذ مواقف مماثلة ، الا ان هذا كله تم ، ويتم ، من خلال الالتزام بالعقيدة الصهيونية وبأهدافها النهائية .

لقد قطعت الثورة الفلسطينية المسلحة ، خلال عقدها الاول ، شوطا كبيرا على طريق الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه ، على الصعيدين العربي والدولي . ولكن يبدو ، في مقابل ذلك ، انها لا تزال في بداية الطريق على الصعيد الاسرائيلي .

الكفاح الفلسطيني وعلاقات اسرائيل الدولية

الدكتور محمد الحلاج

عندما صوتت الجمعية العمومية للامم المتحدة على ادراج القضية الفلسطينية في جدول أعمالها للدورة الحالية ، لم تجد اسرائيل من بين المئة وثمانية وثلاثين عضوا في المنظمة الدولية سوى ثلاث دول تؤيدها . ولما اقرت للشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره والسيادة على أرضه والنضال من اجل ذلك الحق ، لم تجد اسرائيل سوى سبع دول تعارض معها اقرار توصية أسقطت اي ذكر لاسرائيل وحقها في الوجود . ولم تكن هذه الاحداث سوى رمزا لدرجة العزلة الخانقة التي أصبحت الدولة الصهيونية تحياها على المسرح الدولي وانعكاسا لمدى التدهور الذي انتاب علاقاتها الدولية .

لا شك أن انهيار مكانة اسرائيل في المجتمع الدولي ، والذي يتمثل في عزلتها المتزايدة ، جاء نتيجة لعدد من العوامل منها جشعها الذي ساقها الى حروب عدوانية توسعية متكررة ، وتصحيح التشويه الذي كان يسود المجتمع الدولي نتيجة لغياب اكثر شعوب الارض عن المسرح العالمي ، وتجاهل اسرائيل المستمر لنداءات الرأي العام العالمي . لكن فشل سياسة اسرائيل الخارجية جاء بشكل أساسي نتيجة لانهيار الدعامتين الرئيسيتين اللتين ارتكز عليهما نجاحها في الماضي ، وهما تحالفها مع الاستعمار وقدرتها على اخفاء ضحيتها .

وكان للكفاح الفلسطيني المسلح دور رئيسي في تقويض هذه الاسس التي قامت عليها الدبلوماسية الصهيونية . فقد ساهم في حرمان الصهيونية من الاستمرار في التمتع بخيرات تحالفها مع الاستعمار دون تحمل اعبائه ، وكان وحده قادرا على الكشف عن أن للصهيونية ضحية بريئة . وما حياة المنبوذ التي تحياها اسرائيل اليوم سوى الدليل على ان الثائر الفلسطيني أفلح في اجتياز هذا الشوط من مسيرته .

ولدت الحركة الصهيونية في الوقت الذي وصلت فيه الامبريالية أوج قوتها . وادركت الحركة منذ البداية انها لن تصل الشواطىء الفلسطينية الا على ظهر الموجة الامبريالية . كما ادركت الامبريالية امكانية استغلال الصهيونية كمبرر لفرض سلطانها على فلسطين(١) . وكان هذا التوافق المصلحي بين الصهيونية والاستعمار أساس التحالف بينهما الذي ولد وعد بلفور عام ١٩١٧ وكل ما لحقه من دعم امبريالي للصهيونية واسرائيل . اي ان النجاح الدبلوماسي الذي حققته الصهيونية جاء نتيجة المد الامبريالي الذي اعطاها مظهر الشرعية المستمد من القبول الدولي ، ووفر لها الحماية في عصر ضعفها وطفولتها .

وكما استخدم الاستعمار الصهيونية لتبرير استيلائه على فلسطين ، استخدمها عند اضطراره الخروج منها . فعندما بدأ الاستعمار يترنح تحت ضربات الحرب العالمية الثانية والثورات التحررية لجأ ثانية الى الحركة الصهيونية فأقام لها دولة

لتحرس مصالحه في غيابه المباشر عن المنطقة العربية(٢) لكن الحركة التحررية العالمية كانت أقوى من أن يصمد الاستعمار امامها ، ولم يكن حظ الاستعمار الجديد احسن من حظ الاستعمار القديم . وكان الربع الثالث من هـذا القرن فترة تقهقر مستمر للاستعمار بكل اشكاله . فأصبح التحالف الصهيوني ـ الاستعماري عبئا ثقيلا على الصهيونية وعقبة تعرقل مساعيها الدبلوماسية بعد أن كان عونا وسندا لها في عصر الامبريالية .

لم يكن النضال الفلسطيني هو الذي أسدل الستار على العهد الاستعماري . ولكنه كان شريكا فعالا في حركة التحرر العالمية التي فعلت ذلك . ويمكن ايجاز مساهمة الكفاح الفلسطيني في الحرب الناجحة ضد الاستعمار كما يلي :

اولا : ساهم الكفاح الفلسطيني في استنزاف القوة الاستعمارية باصطدامه المباشر معها ، كما فعل مرارا اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين ، وباصطدامه بالمصالح الاستعمارية عن طريق توعية واستنفار الشعوب العربية الاخـرى في المعركة ضد حلفاء الصهيونية .

ثانيا : بالابقاء على الرفض العربي لاغتصاب فلسطين حيـا ، ساعـد الكفاح الفلسطيني على الابقاء على حاجة الدولة الصهيونية الى استمرار الحماية الاستعمارية لها ، مما اطال بقاءها عبئا على الاستعمار واجل مردودها كاستثمار يهدف الى تعزيز مكاسبه .

ان دور الكفاح الفلسطيني في تصعيد واستمرار الاتكال الصهيوني على الشريك الاستعماري زاد احتمال حاجة الاستعمار لتسديد الديون عن طريق قيام الحركة الصهيونية والدولة اليهودية التي نبتت من راسها بتقديم خدمات أصبح الاستعمار بحاجة لها في مرحلة اشتداد المعركة ضده . وبالتالي وجدت اسرائيل نفسها في الصف الاستعماري في معركة تلو أخرى . فقد أيدت الولايات المتحـدة في الحرب الكورية ، وعارضت دخول الصين في الامم المتحدة ، وشاركت في العدوان الثلاثي على مصـر ، وأيدت الجيش السري الفاشي في الجزائر ، وصوتت ضد بحث القضية الجزائرية في الامم المتحدة ، وعارضت حركات التحرر في المغرب وتونس وأندونيسيا ، وعملت مع هيئة الاستخبارات المركزية الامريكية في الحبشة والكنغو ، وأيدت سياسة الاحلاف الامريكية ، واظهرت عطفها بشتى الطـرق علـى المغامرة العسكـرية الامريكية في فيتنام ، ووقفت مع الدول العنصرية في أفريقيا .

لا شك أن دور الكفاح الفلسطيني في كشف استمراريـة التحالـف الصهيوني ـ الاستعماري في الربع الثالث من هذا القرن ساعد على ابراز شذوذ الدولة الصهيونية عن مبادىء هذا العصر وعن قيم ومثل ومصالـح الاغلبية الساحقة من شعوبـه . وباظهار هذا الشذوذ الاسرائيلي ، ساعد الكفاح الفلسطيني علـى تقويض مكـانة اسرائيل في المجتمع الدولي المعاصر وخلق الظروف التي أدت الى نبذها من المجتمـع الدولي وعزلتها عنه .

أما الدعامة الرئيسية الثانية التي ساعدت الصهيونية (كفكرة وكحركـة وكدولة) على اكتساب عطف الشعوب وتأييد الدول حتى حرمها الكفاح الفلسطيني مـن ذلك العطف والتأييد فتتمثل في الاسطورة الصهيونية القائلة بأن الصهيونية حركة تطالـب بتطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها على الشعب اليهودي . فأيد الكثيرون فكـرة الوطن القومي اليهودي ودولة اسرائيل بعد قيامها ظنا منهم انهم بذلك ينصرون مبدأ نبيلا يقر العصر عدالته ويعترف ميثاق الأمم المتحدة بشرعيتـه . ثم جـاء النضـال

الفلسطيني وحطم هذه الاسطورة وكشف عن زيف ادعاء الصهيونية التي ما قامت الا لتقهر شعبا وتحرمه من حقه في تقرير المصير .

لا شك أن الحركة الصهيونية ادركت منذ اللحظات الاولى من حياتها ان قدرتها على كسب العطف والتأييد تعتمد الى حد كبير على قدرتها على طمس وجود الشعب الفلسطيني واقناع الرأي العالمي بأن الحلم الصهيوني لن يوقع ضحايا ولن يخلق مأساة . وفعلت الحركة الصهيونية ذلك باختلاق سلسلة من الاساطير التي لم تكن بطبيعتها قابلة للتحطيم الا بالسلاح الفلسطيني . وكانت أهم هذه الاساطير هي :

أولا : أسطورة الارض المهجورة : اتخذت الجهود الصهيونية الرامية الى الحصول على عطف وتأييد الرأي العالمي شكل اسطورة مفادها بأن اليهود شعب هائم بلا أرض تأويه وأن فلسطين أرض مهملة بلا شعب يرعاها ، وأن الحركة الصهيونية هي الحل الانساني لشتات الشعب المشرد والارض المهجورة . وتجسدت هذه الاسطورة بالشعار الصهيوني الذي ابتكره اسرائيل زانغويل : « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » . ويظهر أن الحركة الصهيونية احرزت بعض النجاح المؤقت في بث هذه الاسطورة ، بالرغم من غرابة الامر . ويحدثنا الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر في هذا الصدد عن ماكس نوردو ، احد مؤسسي الحركة الصهيونية وساعد هيرتزل الايمن ، الذي وخزه ضميره عندما اكتشف وجود الشعب الفلسطيني فذهب الى هيرتزل وصاح به : « لم أكن أعلم ذلك ... اننا نقترف ظلما » !(٣).

بالاضافة الى هذا المفهوم الحرفي لاسطورة الشعب اللاموجود ، عملت الحركة الصهيونية على بث مفهوم معدل يلتقي معها في الجوهر وان اختلف معها في الشكل ، عندما اعترفت بوجود اناس لا يرتقون الى مرتبة الشعب في فلسطين . وتم تخليد ونشر هذه الاسطورة في وعد بلفور الذي وصف الشعب الفلسطيني بالطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، وبالتالي اقر له بحقوق دينية ومدنية ولم يعترف له بالحق في تقرير المصير ، لانه حق يقتصر التمتع به للشعوب .

ثانيا : أسطورة النهر الذهبي : أما الاسطورة الاخرى التي اختلقتها الحركة الصهيونية لاخفاء ضحيتها من اجل تسهيل عملية الحصول على عطف الشعوب وتأييد الدول ، فاتخذت شكل اكذوبة قاسية مفادها أن الحركة الصهيونية تحمل الخير والامل للتعساء من ابناء « الطوائف غير اليهودية » في فلسطين . وقد بدأت هذه المغالطة الصهيونية حياتها في عقل هيرتزل : فأثناء محاولته اقناع القيصر الالماني بتبني الحركة الصهيونية عام ١٨٩٨ رفع له عريضة جاء فيها ان الصهيونية « ستحمل الى هذه البلاد [يعني فلسطين] موارد مالية وعلمية وستعمل على تثمير مساحات واسعة من الارض المهملة في المستقبل القريب . وفي هذا كله زيادة في السعادة والثقافة لاناس كثيرين »(٤). وبلغ حماس هيرتزل لهذه الاسطورة درجة وصف فيها الغزو الصهيوني المزمع لفلسطين بأنه « نهر من الذهب »(٥).

لسنا هنا بحاجة الى اثبات هذا التزوير في أهداف الحركة الصهيونية ومقاصدها . فقد اثبتته الاحداث وعرفه الشعب الفلسطيني والغزوة الصهيونية ما زالت في بداية عهدها ، كما يتضح من رد اللجنة التنفيذية العربية على كتاب باسفيلد الابيض عام ١٩٣٠ عندما قالت : « ليس من سفسطة اعظم من السفسطة القائلة بأن العرب نالوا خيرا من المهاجرة اليهودية ومن حشد اليهود في أراضي البلاد »(٦) .

لا شك أن الحركة الصهيونية ، قبل قيام الدولة اليهودية ومنذ ذلك الحين ، جلبت الى فلسطين نهرا من الذهب . ولكن مما لا شك فيه ايضا انها قصدت لذلك النهر أن

يغرق شعب فلسطين لا ان يروي ظمأه . وكانت النتيجة الفعلية كما وصفها الشيخ فريج أبو مدين ، شيخ عشائر بئر السبع ، عندما قال في شهادته التي أدلى بها أمام لجنة شو التي جاءت الى فلسطين لتحقق في أسباب ثورة البراق (١٩٢٩) أنه « لم يبق شيء للعرب في هذه البلاد سوى الموت او الرحيل »(٧).

وقامت ثورات ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ لتعلن للعالم زيف اسطورة النهر الذهبي ، حتى بدأ العالم يدرك ان للحلم الصهيوني ضحايا وانه لا يمكن اقتطاع رطل اللحم بدون دماء . واعترفت لجنة بيل (١٩٣٧) بهذه الحقيقة عندما عزت الهدوء النسبي الذي ساد فلسطين قبل ثورة البراق الى « التقهقر العظيم الذي اصاب مقدرات الوطن القومي »(٨). ووجدت أن هناك علاقة عكسية بين الوضع الاقتصادي والحالة السياسية في فلسطين(٩) ؟

بعد أن بدأ الكفاح الفلسطيني زعزعة أسس الدبلوماسية الصهيونية بكشف زيف شرعيتها المستمدة من تحالفها مع الاستعمار وقدرتها على اخفاء ضحيتها ، حرم الشعب الفلسطيني من ثمرة كفاحه وتضحياته التي قدمها في العشرينات والثلاثينات ، وأصيبت قضيته بنكسة تاريخية عندما عاد فاختفى في الاربعينات وخفت صوته فنسيت حقوقه ومزق وطنه وقامت دولة المستوطنين الغزاة على أرضه . ويعود هذا التحول لصالح الحركة الصهيونية الى اربعة عوامل خدمت كدعامات ثانوية مساندة للدبلوماسية الصهيونية . وهذه العوامل هي :

١ ـ كانت ثورة التحرر العالمية ما زالت في بداية مسيرتها . وبالتالي لم تكن قد افلحت بعد في تغيير البيئة الدولية لصالح الشعوب المقهورة . وكان الرأي العام العالمي ما زال رأيا أوروبيا ، وكانت المنظمة الدولية التي افرزها ذلك العصر رابطة للشعوب الراضية . اي أن المجتمع الدولي كان ما زال مشوها لا يمثل الاسرة البشرية تمثيلا صادقا . لذلك كان توقيت طرح القضية الفلسطينية على المنبر الدولي في أواخر الاربعينات عاملا ساعد الدبلوماسية الصهيونية على التغلب على العقبات التي وضعها الكفاح الفلسطيني في طريقها .

٢ ـ كذلك ساعد اكتشاف مدى البربرية النازية على اثارة موجة من التعاطف مع اليهود استغلتها الحركة الصهيونية في طمس الحقائق التي ابرزها الكفاح الفلسطيني عن حقيقة النزاع الفلسطيني ـ الصهيوني . ولم يعد العالم الغربي قادرا على تحكيم عقله وانساق وراء عاطفته التي شوهها شعوره الشديد بالاثم تجاه مأساة يهود اوروبا . وتظهر هذه الحقيقة من خلال تجربة اللجنة الانجلو ـ اميركية التي أرسلت الى فلسطين عام ١٩٤٦ لدراسة مشلكتها ، لكنها انجرفت امام التيار العاطفي الذي اجتاح العالم الغربي آنذاك فحكمت على فلسطين وقررت مصيرها حال مشاهدتها لمعسكرات الاعتقال النازية وقبل ان ترى اللجنة فلسطين . وروى أحد اعضاء اللجنة شعوره فقال ان الشعب اليهودي قاسى بما فيه الكفاية ، والان يجب ان يعطى ما يريد ، واذا كان ذلك فلسطين فليكن كذلك !(١٠) من الواضح انه لا يوجد متسع للشعب الفلسطيني وحقوقه في مثل هذا التفكير .

٣ ـ اتضح عقب الحرب العالمية الثانية ان نهاية الاستعمار المباشر اقتربت ، فشعرت الدول الاستعمارية بحاجة الى من يحرس مصالحها بعد رحيلها . فحاولت ان تقيم في المستعمرات انظمة ودولا تعمل من موقع التبعية لها . وكانت الدولة الصهيونية جزءا من هذه الخطة .

٤ ــ شهدت الاربعينات تحول المشاركة العربية في الكفاح الفلسطيني الى وصاية عربية على فلسطين وشعبها . وجاء هذا التحول نتيجة لثلاثة عوامل هي : أ ــ قيام الجامعة العربية كمنظمة اقليمية لترعى مصالح الوطن العربي . ب ــ قيام الامم المتحدة التي لم تكن فلسطين عضوا فيها . ج ــ اتضاح تفوق القوة الصهيونية في فلسطين عند بدء الحرب الفلسطينية الاولى وتحول ذلك الصراع نتيجة لذلك الى حرب عربية ــ اسرائيلية .

ومع ان هذه العوامل الثلاثة أدت الى التنبيه الى ضرورة المشاركة العربية القومية في الكفاح ضد الغزو الصهيوني ، وبالتالي كان لها اثر ايجابي ، الا أنها اكتسبت طابعا سلبيا عندما تحولت المشاركة العربية الى وصاية سهلت طمس الطابع الفلسطيني للنزاع واظهرته بمظهر الخلاف بين عدد من الدول المتجاورة .

تضافرت ظروف الاربعينات ضد منجزات الكفاح المسلح الفلسطيني وساعدت على طمس الحقائق التي كشف عنها ، وبذلك اسعفت الدبلوماسية الصهيونية ومدتها بعمر جديد . وفي ضوء هذه الاحداث اصبح تجدد الكفاح الفلسطيني امرا ذو أهمية قصوى لمستقبل القضية الفلسطينية ، اذ لم يكن بمقدور غيره اعادة تاكيد الحقائق التي حجبها ضباب الاربعينات عن الانظار . فتفجرت الثورة الفلسطينية في منتصف العقد الماضي تلبية لهذه الضرورة . وسرى في عروق الشعب الفلسطيني وعي جديد بوجوده ، وعاد يبني لنفسه تنظيمات ويخلق قيادات قومية ، ويفرض نفسه من جديد طرفا في صراع كان ضحيته المنسية .وحدث كل ذلك هذه المرة في بيئة عالمية جديدة وعلى مرأى من مجتمع دولي اصدق تمثيلا للبشرية ، وبالتالي اكثر قدرة على الاستجابة للصرخة الفلسطينية الجديدة ، صرخة الثائر الذي ازاح بسلاحه الغبار المتراكم وبدد بحرارة ناره الضباب فكشف من جديد عن حقائق كان قد خلقها اخوة سبقوه في النضال ، وازال القناع عن اساطير كانوا قد هشموها . أعاد تأكيد وجوده ، وأعاد الى الذكرى ان للحلم الصهيوني ضحية . وعاد يؤكد من جديد أن الدولة الصهيونية قامت لتحرم شعبا من استقلاله ، وأن الصهيونية خلقت لا لتجمع شتات شعب بل لتشتت شعبا وتمزق اوصاله . وحرمت اسرائيل من قدرتها على ان تتقمص ثوب المظلوم وظهرت على حقيقتها : ظالما حرم شعبا من حقه في الحياة على أرضه . وبذلك فقدت اسرائيل أهم دعامات سياستها الخارجية واكثر اساليبها فعالية للحصول على عطف الامم وتأييدها .

ان محاولة اسرائيل الحالية لسد الثغرة التي أحدثها الكفاح الفلسطيني في علاقاتها الدولية تظهر قوة اعتمادها على تحالفها مع الامبريالية وعلى قدرتها على اخفاء ضحيتها . ويتضح ذلك من كون محاولتها لترقيع الصدع الذي ظهر في مكانتها الدولية تدور حول المرتكزات القديمة ذاتها :

١ ــ نتيجة لفقدانها عطف العالم الثائر على الاستعمار ، تجد اسرائيل نفسها اليوم مضطرة الى الاتكال بقوة اكبر وصراحة اكثر على مساندة ودعم القوى الامبريالية . لقد كانت الحركة الصهيونية منذ مولدها مرتبطة إرتباطا عضويا بالاستعمار . لكن الاساطير التي استترت وراءها حتى حطمها الكفاح الفلسطيني مكنتها من الظهور وكأنها جزء من حركة التحرر العالمية العاملة على نصرة حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولما انكشف امرها ولم يعد بامكانها التنكر كدولة من دول العالم الثالث ، لم يعد لها خيار سوى العودة الى اصولها والارتماء بلا خجل في احضان امها الحقيقية .

٢ — بعد أن فقدت اسرائيل قدرتها على الاستناد على الادعاء بأن الفلسطيني كائن خرافي او راض عن نصيبه من الخيرات التي جلبتها الحركة الصهيونية الى المنطقة ، وبعد أن كشف الكفاح الفلسطيني وجود الشعب الفلسطيني ومأساته التي خلقها الغزو الصهيوني لبلاده ، لم تجد اسرائيل بدا من الاعتراف بوجود قضية فلسطين . لكنهـا تحاول مواجهة المتغيرات الجديدة التي فرضها الثائر الفلسطيني بطريقـة تبرؤهـا وتعفيها من المسؤولية تجاه ذلك الشعب وقضيته . فراحت تدعو الى حل القضيـة الفلسطينية من خلال وطن بديل مجاور للدولة الصهيونية(١٢)، ظنا منهـا بأن ذلـك يطمس الحقيقة الرئيسية التي كشفها النضال الفلسطيني المستمر ، وهي أن اسرائيل لم تقم انسجاما مع فكـرة حق الشعوب في تقرير المصير ، بـل تحديا لذلـك الحق وامتهانا لـه .

ان محاولة اسرائيل الجديدة للتغلب على الحواجز التي اوجدها الكفاح الفلسطيني في طريق علاقاتها الدولية محكوم عليها بالفشل ، لانها في الحقيقة اعتراف اسرائيلـي بالتهم التي ادان المجتمع الدولي اسرائيل بموجبها . فاضطرارها لزيادة اتكالها علـى دعم القوى الامبريالية قد يساعدها في الصمود امام التحدي العسكري العربي ، ولكنه عاجز عن تبرئتها من جريمة التحالف مع القوى المعادية للشعوب المظلومة . لذلـك لا مفر من بقاء اسرائيل في موقعها الحقيقي : موقع الشذوذ عن قيم المجتمع الدولـي السائدة ، مع ما يترتب على ذلك من اثر عكسي على جهودها الدبلوماسية وعلاقاتها الدولية .

أما دعوتها الى حل المشكلة الفلسطينية ضمن اطار الوطن البديـل فهي ايضـا محكومة بحتمية فشلها . لان هذه الدعوة ما هي الا شكل جديـد للدعـوة القديمـة المرفوضة بحل المشكلة عن طريق توطين اللاجئين خارج وطنهم ، وهي تؤكد استمرار اسرائيل في انكار حق الشعب الفلسطيني في وطنه .

لقد أدى استمرار تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه وبحقه ، وأدى كفاحه المستمر من اجل استردادهما الى اكراه اسرائيل على أن تسلك سلوكا اقرب الى طبيعتهـا ، وادى ذلك السلوك الى ازدياد الادراك العالمي بأن حروبها لم تكن من اجل الاستقلال بل لانكاره . وبذلك ساهم الكفاح الفلسطيني في حرمان الدولة الصهيونية من قدرتهـا على الاستمرار في التمتع بتأييد الشعوب عن طريق خداعها . والدولة الصهيونية لا تمتلك المرونة الكافية لايجاد مرتكزات جديدة تساعدها على تبرير وجودها بشكـل يقبله المجتمع الدولي لان وجودها في أصله وطبيعته عدواني قائم على حرمان شعب من حقه الطبيعي في الوجود والحرية . فاستمرارها يتطلب بالضرورة استمرار الظلم الذي اوقعته بشعب فلسطين ، كما يتطلب استمرار حاجتها لحماية القوى الشاذة عن ارادة الشعوب ومفاهيم العصر .

ان افتقار اسرائيل الى هذه المرونة التي تمكنها من تبرير وجودها دون الشذوذ عن قيم المجتمع الدولي السائدة هو نقطـة الضعف القاتلة في سياستها الخارجية . وهي نقطة ضعف دائمة لانها تنبع من طبيعة المجتمع الاستيطاني وليست وليدة ظـروف طارئة قد تزول .

لهذا السبب ، قد تجد الدولة الصهيونية نفسها مضطرة في المستقبل الى العـودة الى المرتكزات الثانوية التي استندت عليها دبلوماسيتها في الماضي ، وان يشهد العالم محاولة لبعث خرافة الوعد الالهي وشبح اللاسامية . وهناك دلائل تشير الى ان هذا التحول قد بدأ فعلا . فاشتد تركيز اسرائيل على ابراز ما تسميه بالطبيعة التخريبية

والارهابية للثورة الفلسطينية في محاولة لتصويرها وكأنها بعث جديد للاسامية . وفي الخطاب الذي القاه مندوب اسرائيل في الامم المتحدة على اثر اقرار الجمعية العمومية لقراريها الاخيرين حول القضية الفلسطينية ، تلا المندوب الصهيوني الاية القرآنية : « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم » .

فهل هذه بداية الاستراتيجية الجديدة للدبلوماسية الصهيونية ؟ وهـل هذه هـي الزاوية الضيقة الجديدة التي حشر المناضل الفلسطيني الدبلوماسي الصهيوني فيها ؟

---

١ ــ وصف نائب بريطاني وعد بلفور بأنه «حصان طروادة » الذي أخفت بريطانيا بداخله أطماعها الاستعمارية في فلسطين .
John Marlowe, *Rebellion in Palestine.* London: The Cresset Press, 1946, p. 39.

٢ ــ كتبت مجلة **نيوزويك** الامريكية في عددها الصادر في ١٩ حزيران١٩٦٧ «ان الولايات المتحدة كانت المستفيد غير المباشر من الحرب الاسرائيلية الخاطفة ، حيث انه أصبح بامكانها تحييد الشرق الاوسط وتسويق نفطه بطريقة مربحة واستعمال ميزاته المالية لاغراض التجارة الدولية ».

٣ ــ Arie Bober, *The Other Israel.* Garden City, N. Y.: Doubleday, 1972, p. 37.

٤ ــ **يوميات هرتزل** ، اعداد أنيس صايغ، ترجمة هلدا شعبان صايغ ، بيروت : مركز الابحاث في م.ت.ف. ، ١٩٦٨ ، ص ١١٧ .

٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٧ .

٦ ــ اللجنة التنفيذية العربية ، **بيان على الكتاب الابيض** الصادر في اكتوبر ١٩٣٠ ، القدس : مطبعة بيت المقدس ، ١٩٣٠ ، ص ٤٠ .

٧ ــ **تقرير لجنة التحقيق** عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ ، القدس، مطبعة دير الروم ، ١٩٣٠ ، ص ١٢٧ .

٨ ــ **تقرير اللجنة الملكية لفلسطين** (١٩٣٧) ، القدس ، مطبعة حكومة فلسطين (ب.ت.) ، ص ٤٨٤ .

٩ ــ **المصدر نفسه** .

١٠ ــ Bartley C. Crum, *Behind the Silken Curtain.* New York: Simon and Schuster, 1947, p. 23.

١١ ــ ظهرت هذه الحقيقة بأقصى درجات الوضوح في حرب تشرين .

١٢ ــ الموقف الاسرائيلي الرسمي الان يقول بوجوب اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ضمن اطار الدولة الاردنية .

التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥

سهيل الناطور

لا تقتصر العلاقات الدولية اليوم على قيام تمثيل دبلوماسي بين الاشخاص الدوليين، وانما تشمل ميادين شتى واسعة تكاد تغطي كافة مجالات العلاقات البشرية تقريبا . فالتبادل التجاري والثقافي والعلمي والفني والصلات المالية والفكرية والمصالح المشتركة تشد العلاقات بين الدول حكومات وشعوبا في عصر خف حاجز المسافات عن التأثير بسبب المخترعات الحديثة للمواصلات . ورغم ان واجهة العلاقات الدولية تتركز في وزارات الخارجية فان تشعب المهام أدى الى تعدد الاجهزة والمؤسسات التي تصب جهودها لتمتين النشاط الخارجي . وتبرز وزارة الخارجية الاسرائيلية كاحدى أهم الوزارات التي تلعب دورا خطيرا في ارساء الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين . وتعمل هذه الوزارة ، كما ورد في الكتاب الحكومي الاسرائيلي للعام ١٩٧٢ ، على ادارة الجهود السياسية لتأمين سلامة وأمن اسرائيل وتقوية علاقاتها مع الدول الاخرى ، كما انها تمثلها لدى دول العالم والمؤسسات الدولية وتقيم العلاقات الاقتصادية والتجارية الدولية . وتتابع هذه الوزارة النشاط الاعلامي الاسرائيلي في الخارج بهدف استقطاب الحكومات والمنظمات الدولية والراي العام العالمي لتأييد القضايا والسياسة الاسرائيلية . كما تعمل على تقديم الخدمات القنصلية للاجانب ثم أخيرا المساهمة في تمتين العلاقات بين اسرائيل واليهود في العالم(١). من كل هذا يمكن القول أن الاهداف الاسرائيلية الخارجية تتركز فيما يلي :

أولا : تثبيت وجود اسرائيل : وذلك بالعمل الدائم لخلق المناخ الدولي القابل بوجود الكيان الصهيوني والضامن لاستمراره واقناع العالم بأن اسرائيل جزء من الشرق الاوسط ليس جغرافيا فحسب بل سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ثانيا : ضمان امن اسرائيل : وذلك تغطية لنشوئها غير الشرعي وطرح قضيتها على انها مهددة بسبب النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، والسعي لضمان تأييد الدول لها في المحافل الدولية وفي المؤتمرات الاقليمية وتثبيت علاقات ثنائية مع الدول على كافة الاصعدة خصوصا محاولة الحصول على السلاح والمعدات العسكرية وتنويع مصادرها ، وكذلك العمل لتأمين طاقة بشرية تدعم الكيان الاسرائيلي بتأمين هجرة اليهود .

ثالثا : الهجرة اليهودية : تعمل السياسة الاسرائيلية على الاتصال بيهود العالم . وتتميز السفارات الاسرائيلية عن غيرها في العالم باعتبار السفير الاسرائيلي نفسه ممثلا عند يهود البلاد التي يعتمد لديها : يعمل على تنظيمهم وجمع التبرعات منهم وحملهم على الهجرة الى فلسطين المحتلة وكذلك تحريكهم للضغط على سياسة الدول التي يعيشون فيها لصالح اسرائيل .

رابعا : تثبيت الوضع الاقتصادي الاسرائيلي : وذلك بسبب الاقتصاد المتأزم دائما لاسباب كثيرة أهمها الحصار العربي المفروض عليه واغلاق الاسواق المجاورة .

وتشكل المساعدات الغربية خصوصا التعويضات الالمانية الغربية والدعم الاميركي العامل الاساسي في تدعيم الاقتصاد الاسرائيلي حتى الآن .

خامسا : الخروج من العزلة العربية التي تحيط باسرائيل : وتحاول اسرائيل ان تفرض واقعها على العرب وذلك عبر الالتفاف باقامة العلاقات الممكنة مع كل الدول وخصوصا تلك المحيطة بالعالم العربي في افريقيه وآسيه(٢).

لم تستطع اسرائيل تجاوز الكثير من العوامل الاساسية التي تبعد بها عن طبيعة الشرق وتطوير علاقات واسعة مع الدول الاسيوية . واهم هذه العوامل :

١ ـ نوعية المهاجرين اليهود الذين قدموا الى فلسطين ومعظمهم من الغرب ، يحملون عقليته وتراثه ونهجه في الحياة خصوصا الفئات القابضة على زمام السلطة والتي تتمتع بالنفوذ في الكيان الصهيوني .

٢ ـ الطبيعة الانغلاقية لهذا الكيان الدخيل الذي يركز على الاصطباغ بلون واحد هو اللون اليهودي وديانة خاصة هي اليهودية ، الامر الذي يتناقض بشكل عام مع آسيه التي تتصف بتعدد الجذور والحضارات والاديان(٣).

٣ ـ عدم اهمية المساعدات الاسرائيلية للدول الآسيوية بسبب كبر الاحتياجات وضآلة حجم هذه المساعدات .

٤ ـ ان بعض الدول الآسيوية كانت مستقلة وأعضاء في هيئة الامم المتحدة عندما بدأت مشكلة فلسطين تطرح أمامها مما سمح لها الاطلاع على تفاصيل هذه القضية وتطوراتها .

٥ ـ خلق الحصار العربي صعوبات جمة أمام اقامة أو تطوير الصلات الاسرائيلية مع الدول الآسيوية . ولم تستطع اسرائيل الاتصال عمليا بدول آسيه الا عقب حرب السويس ١٩٥٦ التي أدت الى فتح طريق خليج العقبة أمامها .

٦ ـ لعب الدين الاسلامي دورا في ابتعاد بعض الدول الآسيوية عن اسرائيل وفي اعاقة التسلل الاسرائيلي اليها .

٧ ـ بعد انجاز الاستقلال خلف الاستعمار الكثير من المشاكل للدول الآسيوية ، وعرض بعض هذه المشاكل أمام المحافل الدولية كالامم المتحدة . ولما كانت الدول العربية تمثل كتلة كبيرة العدد نسبيا فقد تحاشت الدول الآسيوية اغضاب هذه المجموعة مما عرقل نمو العلاقات الاسرائيلية في القارة(٤).

لكن الامر لم يكن مماثلا في القارة الافريقية حيث استغلت اسرائيل معاناة الدول الافريقية طويلا من الاستعمار وحداثة استقلالها وغياب معرفتها بحقيقة تطورات القضية الفلسطينية فركزت على العمل للنفاذ الى دول القارة . وشهدت مرحلة ما بعد حرب السويس اقتحاما اسرائيليا لافريقيه . ولعبت عدة عوامل دورا مهما لتحقيق نجاح اسرائيلي هناك . ومن هذه العوامل :

أ ـ الظروف السياسية للقارة وذلك بحداثة استقلال معظم دولها واسراع اسرائيل للمبادرة بالاعتراف بهذه الدول سياسيا وعقد الاتفاقات معها . على العكس من الدول العربية التي اتصف موقفها بالتردد في أحيان كثيرة في هذا المجال .

ب ـ الظروف الاقتصادية البائسة التي خلفها الاستعمار مما استدعى طلب المعونات من الدول غير الاستعمارية فعمدت اسرائيل لتقديم المعونات والخبرات تحت رداء الدولة الصغيرة المتقدمة التي ليس لها مطامع استغلالية .

جـ ـــ دعم الاستعمار لاسرائيل وذلك بافساح المجال لها للحلول مكانه وتسليمها الكثير من المصالح الاستعمارية في الدول الافريقية قبل استقلالها وتوفـير الاموال اللازمة لما اتخذ شكل معونات اسرائيلية الى افريقيه كي تحافظ هذه الدول على بنى ومناهج غربية مرتبطة بالاستعمار الجديد عبر وسيط ثالث . وقد ساعد على ذلك الامر التراث الحضاري الغربي المنتشر في افريقيه وتشرب القيادات الافريقية له .

د ـــ الجالية اليهودية في القارة الافريقية وهي جالية كبيرة العدد نسبيا اذ تقارب ١٤٠ الف نسمة . وتمارس هذه الجـــالية نفوذا هاما في القطاع الاقتصادي وبعض المجالات الاخرى . ولهذه الجالية مواقف مؤثرة بشكل عام في دعم الكيان الصهيوني وتغلغله في القارة الافريقية .

هـ ـــ الاهتمام الاسرائيلي الخاص بافريقيه ، وهو من أهـم العوامل الذاتية التي ساهمت في الوصول الى النجاح . فقد ثابر الاسرائيليون على ابراز أنفسهم كأصدقاء لافريقيه وذلك عبر كل الوسائل المتاحة لهم سواء من قدراتهم أو القدرات والامكانيات التي وفرتها المصادر الامبريالية لهم .

و ـــ غياب المنافسة والاهتمام العربي بدول القارة الافريقية بشكل عام(٥).

لكن الصورة الاسرائيلية لم تستطع الصمود طويلا في القارة الافريقية مع بدء النضال العربي وخصوصا النضال الثوري الفلسطينـــي ضدها . وقـــد اتجهت العلاقـــات الاسرائيلية ـــ الافريقية نحو الاسوأ يوما اثر آخـــر خلال سنوات الثورة الفلسطينية العشر لتنتهي مؤخرا الى ما يجب الانتهاء اليه طبيعيا وهي ثبات في العلاقات الاسرائيلية مع دول التفرقة العنصرية في افريقيه وانهاء لهذه العلاقات مع الدول الاخرى . وأهم العوامل التي ساهمت في كشف الزيف الاسرائيلي أمام الافارقة هي :

١ ـــ مواقف اسرائيل من القضايا الافريقية خصوصا من مسألة تحرير الاجزاء التي بقيت مستعمرة من القارة مثل أنجولا وموزامبيق وغينيا بيساو ، بالاضافة الى موقفها المعادي لاستقلال الجزائر في ١٩٥٨ ومعارضتها مشروع منع فرنسا من اجراء التجارب النووية في الصحراء الافريقية ١٩٥٦ ومساعداتها للمرتزقة في جنوب السودان ووقوفها الى جانب الانفصاليين في نيجيريه ١٩٦٧ ـــ ١٩٧٠ .

٢ ـــ نقص التمويل الاسرائيلي في القارة وعجزه عن بلوغ المستوى المطلوب لسد احتياجات الدول الافريقية ، مما أدى الى فشل الكثير من المشاريع الاسرائيلية وكذلك فشل مشاريع أخرى بسبب عدم ملاءمتها للظروف المحلية وتركيز المعونات في المجال العسكري الذي لم يكن له بالنسبة لافريقيه تفضيل على قضايا التنمية .

٣ ـــ التطورات السياسية التي شهدتها القارة الافريقية والتي اتجهت نحـــو شد أواصر دول القارة معا للوقوف في صف متراص لمقارعة الاستعمـــار بنوعيه القديم والجديد ، وبروز اشكال للتعاون الافريقي كمنظمة الوحدة الافريقية وتعاون افريقيه مع الدول الاخرى كمنظمة الدول الافرو ـــ آسيوية وغيرها ، مما أدى الى تطور كبير في المواقف الافريقية من القضايا الدولية وعلى وجه الخصوص الموقف مـــن القضايـــا العربية .

٤ ـــ العلاقات العربية ـــ الافريقية التي نمت بشكل كبـــير خصوصا عقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بعد ادراك الدول العربية لاهميـــة الدول الافريقية كحليف طبيعي لها وضرورة تمتين الاواصر معها . وقد لعبت الدول العربية الافريقية أدوارا

هامة في القضايا الافريقية كالمساهمة في تأييد وحدة نيجيريه ضد حرب الانفصال ودعم حركات التحرر الافريقية وغير ذلك .

٥ ــ المؤتمرات الدولية الافريقية التي زادت من متانة العلاقات العربية ــ الافريقية وعززت النضال المشترك ضد الاستعمار بكافة أشكاله(٦).

وقد تأثرت العلاقات الاسرائيلية مع دول الكتلة الشرقية عموما بتطور العلاقات السوفياتية ــ الاسرائيلية ، باستثناء الصين الشعبية التي لم تعترف ولا تزال بالكيان الصهيوني . ورغم الملابسات التي أحاطت بالاعتراف السوفياتي بهذا الكيان عند اعلانه في ١٩٤٨ وهي الموقف السوفياتي من أنظمة الحكم في البلاد العربية آنذاك وسياسته الهادفة لاخراج بريطانية من الشرق الاوسط والعمل للحد من زيادة النفوذ الاميركي وكذلك الموقف السوفياتي من الحركات القومية في العالم الثالث وغير ذلك ، فان الاتحاد السوفياتي وقف موقفا حذرا في علاقاته مع اسرائيل(٧). وازداد هذا الحذر بعد ذلك لاسباب عديدة أهمها :

١ ــ اتضاح الدور الاسرائيلي في المخططات الامبريالية العالمية في التصدي لحركة التحرر العربية ، وانشاء اسرائيل حاجزا في قلب العالم العربي تعيق وحدته النضالية ضد الاستعمار ، كما انها تشكل في الوقت نفسه تهديدا دائما بالاعتداء على العرب واشعال نيران الحرب .

٢ ــ اتضاح الدور الذي تلعبه اسرائيل في التغلغل الى الدول الافريقية والآسيوية لانجاز أهداف الاستعمار الجديد والعمل على تشويه ومحاربة الاشتراكية والشيوعية فيها .

٣ ــ الالحاح الاسرائيلي على مسألة تهجير المواطنين اليهود في الاتحاد السوفياتي ومحاولة تعبئتهم ضد النظام السوفياتي نفسه .

٤ ــ مواظبة الاتحاد السوفياتي منذ مطلع ١٩٥٤ على الوقوف الى جانب العرب في الامم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية ثم تقديمه المساعدات الاقتصادية والعسكرية الى العرب .

وقد تأزمت العلاقات بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي في العام ١٩٥٣ عقب حادث نسف الارهابيين الصهيونيين للبناية التي تقيم فيها المفوضية السوفياتية في تل أبيب ، وأعلن السوفيات احتجاجا على العقوبات الخفيفة التي قضت بها المحكمة الاسرائيلية يومها ضد الفاعلين . كما سحب الاتحاد السوفياتي سفيره في العام ١٩٥٦ بسبب أزمة السويس لكنه أعاده في نيسان (ابريل) ١٩٥٧ بعد انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة ومن الاراضي المصرية(٨).

وتأخذ العلاقات الاسرائيلية مع الدول الرأسمالية الاهمية القصوى في خلق واستمرار الكيان الاسرائيلي ، وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الاميركية التي تتسم العلاقات الاسرائيلية معها بالمركز الاول من الحيوية . فقبل اعلان انشاء الكيان اشتد النشاط الصهيوني في اميركة لاقتناع الاوساط الصهيونية بعدم القدرة على الاستمرار في الاعتماد على بريطانية لتحقيق اهدافهم وبالتالي ضرورة تحالفهم مع الولايات المتحدة . ولم تتخذ السياسة الاميركية في فلسطين صورة علنية فاعلة بل تصرفت بحرص كي لا تثير عداء العرب محافظة على المصالح البترولية التي بدأت في ١٩٣٢ بالحصول على امتياز التنقيب والاستثمار للنفط في البحرين ، وكان للمنافسة مع بريطانية على الحلول مكانها لاستغلال الشرق العربي دور في اعتماد الولايات

المتحدة على البرجوازية اليهودية لاضعاف المواقع البريطانية هناك . ومنذ ١٩٤٤ بدأ الحزبان الاميركيان الجمهوري والديمقراطي تضمين برامجهما الانتخابية تأييد الهجرة اليهودية المفتوحة والعمل على تحويل فلسطين الى كومنولث يهودي . وعقب الحرب العالمية الثانية تركز الدعم علنا لانشاء دولة يهودية في فلسطين(٩). ومنذ ١٩٤٨ استمرت العلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية في النمو محكومة باعتبارات أهمية الموقع الاستراتيجي للكيان الاسرائيلي عند ملتقى القارات الثلاث آسية واوروبة وافريقية ، وبالقدرة الاميركية على الاستفادة منه كقاعدة لمحاربة الدول الاشتراكية ومحاربة الثورة العربية للحفاظ على المصالح البترولية الاميركية . كما تحكمت عوامل عديدة في اتجاهات العلاقات الاسرائيلية مع الدول الراسمالية في أوروبة الغربية . وأهم هذه العوامل :

١ ــ النفوذ الاميركي في أوروبة الغربية وتأثيره على سياسة دولها مما يعكس تأييدا للمواقف الاسرائيلية ودعما لها . وأهم الدول المؤيدة تلك المنضوية في حلف الاطلسي .

٢ ــ المصالح الامبريالية المباشرة لدول غرب اوروبة وتاريخها الاستعماري خصوصا في علاقاتها مع المشرق العربي .

٣ ــ النفوذ الصهيوني في أوروبة الغربية وذلك عائد أساسا للقوة الاقتصادية والاعلامية لليهود الاوروبيين وتأثيرهم في الكثير من الاحزاب والسياسيين ، بالاضافة الى الضعف الاوروبي ازاء اليهود الناجم عن أزمة المعاداة لليهودية(١٠).

٤ ــ تأثير الاحزاب الشيوعية والاشتراكية في أوروبة الغربية : وقد اتخذت الاولى موقفا ينسجم بشكل عام مع موقف الدول الاشتراكية التي أدانت العدوان الاسرائيلي في ١٩٦٧ وأخذت تطرح في الاوساط الاوروبية وجهة نظر معادية للسياسة الاسرائيلية التوسعية . أما الاحزاب الاشتراكية الاوروبية فقد كانت مواقفها منسجمة مع الاحزاب اليمينية بتأييد اسرائيل ومعاداة العرب حتى فترة الحرب الرابعة حيث جرت بعض محاولات تفهم الصراع العربي ــ الاسرائيلي بشكل أعمق .

٥ ــ السوق الاوروبية المشتركة(١١) التي اضطرت بسبب المصالح الاقتصادية أن تعيد حسابات علاقاتها شيئا فشيئا مع الدول العربية وتجلى هذا الامر بوضوح في موقف دول السوق خلال الحرب الرابعة والذي اختلف عن الموقف الاميركي .

٦ ــ النفط العربي وأثره الهام الذي دفع الى حدوث تغييرات في مواقف الدول من ازمة الشرق الاوسط واسطع مثال لذلك فيأوروبه الغربية هو المانيهالاتحادية وفرنسه.

٧ ــ الحرب الرابعة وما تخللها من اختلاف المواقف في المعسكر الغربي خصوصا من عملية الامداد الاميركي بالسلاح لاسرائيل واعلان الاستنفار النووي واستياء دول غرب أوروبة من الخطر المفروض عليها(١٢).

٨ ــ أثر اغلاق قناة السويس على الكثير من مصالح الدول الاوروبية الغربية التي حاولت جاهدة ايجاد اية تسوية جزئية لاعادة فتح القناة دون جدوى .

ومع الفاتح من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ بدأت دورة جديدة من الزمن في حلبة الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، هي من أخطر وأعمق الصدامات المصيرية في تاريخ الشرق الاوسط ، اذ بها واجه المحتلون الغاصبون أصحاب الحق الشرعيين يحملون السلاح ويستخدمون كفاءاتهم في كافة المجالات وعلى مختلف الاصعدة للوصول الى

هدفهم باقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . وعاشت ساحة العلاقات الدولية هذا الصدام بكل ابعاده الخطيرة ، وبعد انقضاء عشر سنوات تبدو الصورة مختلفة اختلافا تاما عما كانت عليه . وسنركز فيما يلي على ذكر أهم التطورات والمؤثرات التي جرت في ساحة التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي في العالم خلال هذه الفترة وايضاح آخر ما وصلت اليه حاليا . **دول العالم الثالث** : آسية : **سيريلانكه** كانت الدولة الاسيوية الاولى التي بادرت الى اعلان تجميد علاقاتها مع اسرائيل . ففي ٢٧ ايار (مايو) سنة ١٩٧٠ جرت الانتخابات العامة وفاز حزب الحرية بقيادة السيدة سيريمافو بندرانايكه بالاغلبية . وقد أعلنت في بيان حكومتها تجميد العلاقات مع اسرائيل حتى تنصاع لقرارات الامم المتحدة او حتى يتم الوصول الى اتفاق ترضى به الدول العربية الثلاث مصر وسورية والاردن(١٣). ومن جهة ثانية نجحت اسرائيل في اقامة تمثيل دبلوماسي مع دول جديدة في القارة على مستوى سفارة في كل من **سنجافوره** ١٩٦٩ ، **جمهورية خمير** ١٩٧١ **وفيتنام الجنوبية** ١٩٧٢ . وقد حصل الاتفاق مع الاخيرة في ٧ كانون الاول(١٤) (ديسمبر) قبل أعلان وقف اطلاق النار في الحرب هند ـ الصينية ، وأعلنت فيتنام الجنوبية عن افتتاح سفارتها في القدس رغم عدم اعتراف معظم دول العالم بها عاصمة للكيان الصهيوني . كما أعربت مصادر تل أبيب انه مع اقتراب نهاية حرب فيتنام فان من المرغوب قيام علاقات دبلوماسية قبل تشكيل حكومة يشترك فيها الشيوعيون الذين قد يعارضون اقامة علاقات مع اسرائيل . أما **الهند وتركية وايران** فقد شهدت العلاقات الاقتصادية تطورا كبيرا رغم عدم وجود تمثيل دبلوماسي مع اسرائيل . واجتازت العلاقات التركية ـ الاسرائيلية اختبارا عسيرا عندما اختطف ثوار اتراك القنصل الاسرائيلي في اسطمبول افرايم ايلروم وهددوا بقتله اذا لم تطلق الحكومة التركية سراح المعتقلين من الثائرين ضدها الموجودين في سجونها . وقد نفذوا تهديدهم فعلا في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٧١(١٥). وأعربت اسرائيل عن رضاها لما قامت به الحكومة التركية من جهود لانقاذ القنصل الاسرائيلي . وفي ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢(١٦) هاجمت مجموعة من مناضلي منظمة أيلول الاسود السفارة الاسرائيلية في **تايلاند** واحتلتها وسيطرت على بعض أعضائها كرهائن ، مطالبة باطلاق سراح الفدائيين المعتقلين في السجون الاسرائيلية . وانتهى الامر باطلاق سراح الرهائن الاسرائيليين وانتقال الفدائيين الى القاهرة دون الاستجابة لطلباتهم . وشهدت العلاقات الاسرائيلية مع الدول الاسيوية الاخرى استقرارا عاما فيما عدا اليابان التي قامت بدفع تعويضات لاسر القتلى الاسرائيليين الذين وقعوا على أيدي فدائيين يابانيين أعضاء في الجيش الاحمر ، الذين نفذوا عملية انتحارية في مطار اللد في ٣٠ أيار (مايو) ١٩٧٢(١٧) مما أدى الى استياء عربي للبادرة اليابانية . كما تميز موقف اليابان بالتردد عقب حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ في تأييد العرب ، لكنهم أعلنوا عن الدعم لهم بعد ذلك بسبب تأثير المصالح البترولية الخطير على الاقتصاد والازدهار في اليابان . ولاسرائيل قنصلية في الهند مركزها بومباي وأخرى في هونج كونج واثنتان في كل من اسطمبول وانقره . أما على المستوى الاخر فاللائحة التالية تبين التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي الحالي في آسية :(١٨)

اسم الدولة	مستوى التمثيل الدبلوماسي	مركز التمثيل الدبلوماسي
بورمه	سفارة	رانجون
تايلاند	سفارة	بانكوك
فيليبين	سفارة	مانيله

كمبوديه	سفارة	(رانجون) نقلت الى فنوم بنه ١٩٦٦
كوريه الجنوبية	سفارة	سيئول
لاوس	سفارة	(بانكوك) ثم (فنوم بنه) ١٩٧١
جزر مالديف	سفارة	(بانكوك) ثم (رانجون) ١٩٦٨
نيبال	سفارة	كاتمندو
اليابان	سفارة	طوكيو

افريقية : **غينية** كانت الدولة السباقة لاتخاذ اجراءات قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . فقد أعلن الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري ذلك في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧(١٩) وذلك تضامنا مع الدول العربية التي بدأت اسرائيل بالعدوان عليها . وكان هذا الموقف تعبيرا عن قمة في سلسلة مواقف سابقة أبدى فيها سيكوتوري تفهما عميقا للقضية الفلسطينية وحق الفلسطينيين في وطنهم . لكن بداية التطور العلني لتأزم العلاقات الاسرائيلية ــ الافريقية بدأ بانفجار العلاقات الاسرائيلية ــ الاوجندية في ٣٠ اذار (مارس) ١٩٧٢ عندما أعلن اللواء عيدي أمين انه أصدر امرا باغلاق السفارة الاسرائيلية في كمباله وان دبلوماسييها أعطوا مهلة عشرة أيام لمغادرة البلاد بسبب النشاطات الهدامة لهم في أوجنده(٢٠). وكان أمين قد اشتكى للسفير الاسرائيلي دافيد لاور في ٢٩ شباط (فبراير) من ان بلاده تنشر دعاية مناوئة لنظام الحكم في أوجنده وتقدم العون للرئيس المخلوع ميلتون أوبوتي ، كما اشتكى من تقاعس الخبراء الاسرائيليين في سلاح الطيران الاوجندي عن القيام بواجباتهم . ثم اتبع أمين ذلك باعلان عدم تجديد الاتفاق الذي يدرب بموجبه الاسرائيليون سلاح الطيران الاوجندي وأمر الخبراء العسكريين منهم بمغادرة البلاد . وتطور الامر في ٢٦ من الشهر ذاته الى طلب السلطات الاوجندية ايقاف مساهمة الاسرائيليين في كل مشاريع التنمية في البلاد وانهاء اتفاقات التسليح وطلب خروج ٧٠٠ اسرائيلي من أوجنده . وقد هزت سرعة تدهور العلاقات الاسرائيلية ــ الاوجندية المسؤولين الاسرائيليين وحاولت الصحافة الاسرائيلية دراسة الازمة لاستخلاص عبرها والاستفادة منها . لكن الغرور ساهم في مزيد من التدهور ، فقد زعمت مئير ان عيدي أمين قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع اسرائيل بسبب رفضها منحه هبة مالية قدرها عشرة ملايين جنيه استرليني واعطائه طائرات من طراز فانتوم طلبها لمحاربة تانزانية . وانتقلت البادرة نفسها الى دولة افريقية أخرى . ففي **تشاد** أعلن الرئيس فرانسوا تومبلباي في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢(٢١) في اذاعة له ان بلاده قررت قطع علاقاتها مع اسرائيل وذلك لازالة أي ابهام حول تضامن افريقية مع العالم العربي ، ولان وجود ممثلين لاسرائيل في تشاد يهدد أمن البلد وأمن البلاد الافريقية الاخرى . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢(٢٢) أعلنت **الكونجو برازافيل** انها قررت كذلك قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الاسرائيلي لان اسرائيل ، وفقا لما قاله الرئيس نجوابي ، كانت « عدونا كحكومات واشنطن ، بريتوريه ، سالزبوري ولشبونه » . وقامت **النيجر** في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣(٢٣) بالامر ذاته ، كذلك **مالي** في الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، **وبوروندي** في ١٦ أيار (مايو) ١٩٧٣(٢٤)، **توجو** في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ **وزائير** (الكونجوكنشاسا) التي اعلنت قطع العلاقات قبل يومين فقط من الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة وذلك في الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . وقد مهدت مهمة الحكماء الافارقة التي نتجت عن قرار منظمة الوحدة الافريقية بالمساهمة في حل أزمة الشرق الاوسط ، والتي

زار خلالها بعض الرؤساء الافريقيين كلا من مصر واسرائيل وفشل هذه المهمة بسبب الموقف الاسرائيلي ، مهدت الاجواء المناسبة لتقبل الافريقيين لوجهة النظر العربية واعلان دعمهم وتأييدهم . وكان الوقت المناسب في فترة الحرب الرابعة لاظهار هذا التأييد ، فقررت معظم دول افريقية قبل وبعد مؤتمر وزراء الخارجية الافارقة الذي عقد في ١٩٧٣/١١/٢٠ في الجزائر قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل واغلاق سفاراتها وطلبوا سحب السفراء الاسرائيليين من عواصمهم . وتبين اللائحة التالية العلاقات الدبلوماسية الاسرائيلية مع دول القارة الافريقية :

اسم الدولة	درجة التمثيل الدبلوماسي	مكانه	مآل العلاقات الدبلوماسية	التاريخ
غينيه	سفارة	كوناكري	قطعت	١٩٦٧/٦/٥
أوغنده	سفارة	كمباله	قطعت	١٩٧٢/٣/٣٠
تشاد	سفارة	فورت لامي	قطعت	١٩٧٢/١١/٢٨
كونجو برازافيل	سفارة	برازافيل	قطعت	١٩٧٢/١٢/٣١
نيجر	سفارة	نيامي	قطعت	١٩٧٣/١/٤
مالي	سفارة	باماكو	قطعت	١٩٧٣/١/٥
بوروندي	سفارة	بوجومبورا	قطعت	١٩٧٣/٥/١٦
توجو	سفارة	لومي	قطعت	١٩٧٣/٩/٢١
كينيه	سفارة	نيروبي	قطعت	١٩٧٣/١٠/١
زائير	سفارة	كنشاسا	قطعت	١٩٧٣/١٠/٤
داهومي	سفارة	كوتونو	قطعت	١٩٧٣/١٠/٩
رواندا	سفارة	كيجالي	قطعت	١٩٧٣/١٠/٩
بوتسوانه	سفارة	(لوساكه)	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٣
تانزانيه	سفارة	دار السلام	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
غينيا الاستوائية	سفارة	(ياوندي)	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
فولته العليا	سفارة	اوجادوجو	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
كاميرون	سفارة	ياوندي	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
مالاجاسي	سفارة	تاناناريف	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٠
نيجيريه	سفارة	لاجوس	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٥
غامبيه	سفارة	(داكار)	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٥
زامبيه	سفارة	لوساكه	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٦
غانا	سفارة	أكرا	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٨
سنجال	سفارة	داكار	جمدت	١٩٧٣/١٠/٢٩
سيراليون	سفارة	فريتاون	جمدت	١٩٧٣/١٠/٢٩
جابون	سفارة	ليبرفيل	جمدت	١٩٧٣/١٠/٢٩
ليبيريه	سفارة	مونروفيه	قطعت	١٩٧٣/١١/٢
ساحل العاج	سفارة	أبيدجان	قطعت	١٩٧٣/١١/٨

أما بقية الدول الافريقية التي احتفظت بعلاقات دبلوماسية مع اسرائيل فهي :

اسم البلد	مستوى العلاقات الدبلوماسية	مكانها	ملاحظات
جمهورية جنوب افريقيه	مفوضية	بريتوريه	
سوازيلاند	سفارة	(لوساكه)	
ليسوتو	سفارة	(بلانتير)	انشئت العلاقات في ١٩٦٨
مالاوي	سفارة	بلانتير	انشئت العلاقات في ١٩٦٦
موريشوس	تنصلية عامة رفعت الى سفارة ١٩٦٨	(تاناناريف)	

أميركة اللاتينية : في الوقت الذي شهدت فيه العلاقات التجارية بين اسرائيل وبلدان اميركة اللاتينية نموا مطردا فان العلاقات الدبلوماسية عاشت استقرارا عاما حتى عقب الحرب الرابعة حينما وقفت دول العالم الثالث مع العرب يؤيدونهم . وتمتع هذه العلاقات بمستوى جيد من المتانة يعود بشكل رئيسي لنفوذ الولايات المتحدة على دول اميركة اللاتينية رغم بعض الحذر الذي شاب العلاقات الاسرائيلية مع **شيلي** خلال فترة حكم سلفادور الليندي الذي أبدى محاولة لتفهم أزمة الشرق الاوسط ، كما انها عاشت قلقا مع **الارجنتين** عند اقتراب تسلم الحزب البيروني للحكم . لقد حال الضغط الاميركي على هذه الدول بشكل عام دون ابراز موقف متضامن مع دول العالم الثالث ازاء ازمة الشرق الاوسط ، وابرز مثال ظهر بوضوح مؤخرا عند التصويت في الامم المتحدة لدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في مناقشة قضية فلسطين التي جرت في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ حينما امتنعت معظم دول اميركة اللاتينية عن التصويت رغم تأييدها للقرار .

وفي ايار (مايو) ١٩٧٠ حاولت مجموعة فدائية اغتيال القنصل الاسرائيلي في أسانسيون عاصمة **باراجواي** . لكن المحاولة فشلت وقتلت سكرتيرة القنصلية ، وقد اتخذ القضاء في العاصمة موقفا متشددا من الفدائيين وحافظت اسرائيل على متانة علاقاتها مع الباراجواي . اما أهم الاحداث في العلاقات مع هذه الفئة من الدول فقد وقعت في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ باعلان الزعيم الكوبي فيدل كاسترو قطع علاقات **كوبه** مع اسرائيل اثناء حضوره مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر(٢٥). وكان ذلك صفعة قاسية للدبلوماسية الاسرائيلية التي دأبت على الادعاء بانها تمثل انتصار « حركة التحرر اليهودي » ، وتعتمد في تثبيت علاقاتها مع كوبه على التأثير النسبي الملحوظ للجالية اليهودية فيها . وقد أقامت اسرائيل علاقات دبلوماسية على مستوى سفارة مع الدول الاميركية اللاتينية التالية :

اسم الدولة	درجة التمثيل الدبلوماسي	مكان البعثة الدبلوماسية	ملاحظات
السلفادور	سفارة	(غواتيمالا سيتي)	قنصلية في سان سلفادور
جزر الانتيل	—	—	قنصلية في ولمستاد
باربادوس	سفارة	(كاراكاس)	
ترينيداد وتوباجو	سفارة	(كاراكاس)	
جامايكه	سفارة	(كاراكاس)	قنصلية في كنجزتاون
جواتيماله	سفارة	جواتيماله سيتي	
دومينيكان	سفارة	سانتو دومنجو	

كوستاريكه	سفارة	سان جوزيه	
نيكاراجوا	سفارة	(سان جوزيه)	
هايتي	سفارة	(باناما سيتي) ابتداء من ١٩٦٩	
هوندوراس	سفارة	(جواتيماله سيتي) وفي سان جوزيه) ابتداء من ١٩٧١	قنصليتان في بيدروسولا وتيجو سيجالبه
الارجنتين	سفارة	بيونيس آيريس	
اكوادور	سفارة	كيتو	قنصلية في جواياكيل
اوروجواي	سفارة	مونتيفيديو	
باراجواي	سفارة	أسانسيون ابتداء من ١٩٦٧	
بانامه	سفارة	بانامه	
برازيل	سفارة	برازيليه بدءا من ١٩٧١	قنصلية في ساو باولو
بوليفيه	سفارة	(ليما)	
بيرو	سفارة	ليما	
جوايانه	سفارة	(بوجوته)	
شيلي	سفارة	سانتياجو	
فنزويله	سفارة	كراكاس	
كولومبيه	سفارة	بوجوته	

الكتلة الاشتراكية : ردا على العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أعلن **الاتحاد السوفياتي** في العاشر من ذلك الشهر(٢٦) قطع علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل واغلق السفارة الاسرائيلية في موسكو . وبذلك بدأت مرحلة التدهور العميق في هذه العلاقات التي استمرت حتى الان . وقد اتخذت دول الكتلة الشرقية في حلف وارسو اجراء مماثلا للاجراء السوفياتي ولم يشذ عنهم سوى **رومانيه** التي أبقت على علاقاتها ، بل انها وقعت في ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ اتفاقات اضافية للتعاون التجاري تهدف الى تبادل ما قيمته ١٤ مليون دولار خلال ١٩٦٨ أي بزيادة الضعف عن الوضع القائم قبل الاتفاق وزيادة عشرة بالمئة على ذلك في ١٩٦٩ وزيادة أخرى بنسبة ١٥ بالمئة خلال ١٩٧٠(٢٧). كما ان رومانيه رفعت درجة التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل الى درجة سفارة في ١٧ آب (اغسطس) ١٩٦٩ عندها قطعت سوريا والسودان علاقاتهما مع رومانيه واستدعت الجمهورية العربية المتحدة يومها سفيرها من هناك(٢٨). واستمر تحسن العلاقات الاسرائيلية ففي الفترة بين ٤ ــ ٧ ايار (مايو) ١٩٧٣ قامت جولدا مئير بزيارة الى بوخارست كما قام أبا ايبن وزير الخارجية الاسرائيلي بزيارة مماثلة عقب الحرب الرابعة بتاريخ ١٩٧٣/١١/٤ . وظهر كأن بوخارست تحاول القيام بوساطة ما في صراع الشرق الاوسط . وقد زار رومانيه في ١٩٧٤/٨/١٨ ايضا فاروق القدومي على رأس وفد من م.ت.ف. حيث أجرى محادثات على مستوى عال انتهت ببيان أعلن فيه الجانبان الاتفاق على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في بوخارست .

ويبين الجدول التالي العلاقات الحالية لاسرائيل مع دول الكتلة الشرقية :

اسم البلد	ملاحظــات
الاتحــاد الســوفياتي	قطع العلاقات في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
بلجــاريه	قطعت العلاقات في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
بولنــده	قطعت العلاقات في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
تشـيكوسـلوفاكيــه	قطعت العلاقات في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
هنجــاريه	قطعت العلاقات في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
يوجوسلافيــه	قطعت العلاقات في ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
رومــانيــه	رفعت العلاقات من مفوضية الى مستوى سفارة في ١٩٦٩

المعسكر الغربي : الولايات المتحدة الاميركية : منذ كشف صفقة الاسلحة الالمانية الغربية لاسرائيل في ١٩٦٥ وافتضاح دور الولايات المتحدة في حمل المانية الاتحادية وقبلها فرنسة على تزويد اسرائيل بالسلاح ، اتخذت السياسة الاميركية موقفا سافرا في العداء للحق العربي ودعمت اسرائيل في كافة المجــالات السياسية والعسكريـــة والاقتصادية وغيرها . ويمكن القول ان الموقف الاميركي عموما يتطابق بشكل شبه تام مع الموقف الاسرائيلي . فالمشروعان الاميركيان الرئيسيان لحــل أزمة الشرق الاوسط بعد ١٩٦٥ هما مشروع ليندون جونسون الذي أعلنه في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ومشروع وزير الخارجية وليم روجرز الذي عرضه في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ يضمنان الكيان الصهيوني ويعملان على تأمينه وحمايته وتحقيـق المكاسب لصالحه عبر التنازلات مقابل الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وليس من دولة ازدادت وتأصلت العلاقات الاسرائيلية معها خلال السنوات العشر الاخيرة كما تم مع الولايات المتحدة ، وتدفقت المساعدات والهبـــات الهائلة الحجم في كافـــة المجالات خصوصا العسكرية والمالية وبالذات في الفترة التي ترأس فيها اسحق رابين البعثة الدبلوماسية الاسرائيلية في واشنطن . ومع بدء سنة ١٩٦٥ كان لاسرائيل سفارة في واشنطن بقيادة سفير فوق العادة ومطلق الصلاحيات بالاضافة الى ثلاث قنصليات عامة في نيويورك ، لوس انجلوس وشيكاجو الى جانب خمس قنصليات في أطلنطه ، هيوستن ، سان فرانسيسكو ، بوسطن وفيلادلفيـــه . واليوم فالقنصليات جميعها عامة . وتكاد العلاقات مع الولايات المتحدة تكون السند الدولي الاساسي في العزلة التي تعيشها اسرائيل حاليا . ورغم كل ثباتها فان الاهتزاز الشديد يعصف الان حول الموقف من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني بين الاطمئنان لتصريحات وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر الرافض لهذا الاعتراف وبين تلميحات المسؤولين في البيت الابيض التي تمهد لايجاد سبيل للاعتراف بالمنظمة خصوصا عقب قرارات مؤتمر القمة العربي السابع . أمــا **كنده والمكسيك** فلم تشهد علاقاتهما أية تغيرات هامة ، وقد اتبعتا النهج الاميركي عموما من الشرق الاوسط . من جهة أخرى لعبت السفارة الاسرائيلية في كانبـــره دورا أساسيا في العلاقـــات الاسرائيلية مع القارة الاسترالية . ووقفت **استراليه** مع اسرائيل في الامم المتحدة ، كما ان الروابط التجارية ازدادت رسوخا . وتمثل أوروبه الغربية الساحة الاكثر وضوحا للصراع العربي ــ الاسرائيلي في المجال الخارجي ، حيث التنافس على أشده لكسب تأييد حكومات وشعوب بلدانها . وكانت أوروبه الغربية الاكثر تأييدا ودعما للكيان الصهيوني في حرب ١٩٦٧ بينما تختلف الصورة في أواخر ١٩٧٤ حيث تتأرجح المواقف بين التأييد للعرب أو الحياد السلبي تجاه اسرائيل أو الاستمرار في العداء المقنع أو

العلني للعرب : فقد شهدت **المانيه الاتحادية** أزمة علاقات عربية معها في ١٩٦٥ عندما قررت القاهرة الترحيب بزيارة الزعيم الالماني الشرقي فالتر أولبرخت(٢٩) وعندها أثارت بون الاعتراض لدى القاهرة فردت الاخيرة باثارة قضية دعم المانيه الاتحادية لاسرائيل عسكريا فوافقت على وقف شحنات الاسلحة الى الشرق الاوسط ثم بادرت الى انشاء علاقات دبلوماسية مع اسرائيل . عند ذلك قطعت عشر دول عربية العلاقات الدبلوماسية مع بون . وفي ١٩٦٩/١١/٣ اتخذت المانيه الاتحادية اجراء مماثلا لاجراء اميركي فسمحت لرعاياها الذين يرغبون في الانضمام الى الجيش الاسرائيلي بحمل الجنسية المزدوجة . وذكرت بعض المصادر آنذاك ان القرار جاء متمما للتعاون بين العسكريين من الفريقين الذي بدأ قبل الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في التنسيق والتخطيط لتلك الحرب . وشهدت العلاقات الاسرائيلية ـ الالمانية الغربية أسوأ هزة لها عقب حادثة ميونيخ في ١٩٧٢/٩/٥ التي هاجم فيها فدائيو منظمة أيلول الاسود الفريق الرياضي الاسرائيلي في القرية الاولمبية هناك . وقامت المانيه الغربية باتخاذ اجراءات تعسفية ضد العرب القاطنين أو القادمين الى البلاد وخاصة ضد الفلسطينيين ، واعتبرت التنظيمين الفلسطينيين للطلاب والعمال خطرين على الامن عندها وتم طرد عدد كبير من أعضائهما . وسادت بعض المماحكات في تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حول تحميل الالمان مسؤولية النقص في اجراءات الامن لحماية الفريق الاسرائيلي . وازداد اشتعال الغضب الاسرائيلي عندما اضطرت السلطات الالمانية لاطلاق سراح المعتقلين الاحياء من منفذي العملية بعدما اختطف فلسطينيون طائرة المانية أثناء رحلة من دمشق الى ميونيخ . لكن العام ١٩٧٣ شهد محاولة المانية لتحسين تلك العلاقات ومحاولة ازالة ما تبقى من آثار حادثة ميونيخ فقام المستشار الالماني فيلي برانت بأول زيارة رسمية لمسؤول الماني الى اسرائيل . لكن الحرب الرابعة أعادت التشويش الى تلك العلاقات خصوصا بعدما منعت السلطات الالمانية الاتحادية نقل المعدات العسكرية منها أو من القواعد الاميركية والاجنبية لديها الى دول الشرق الاوسط ، وكان هذا الموقف تعبيرا حقيقيا عن التناقض في المصالح بين أوروبه الغربية من جهة والولايات المتحدة واسرائيل من جهة أخرى ، الذي كشفه بوضوح اعلان العرب حظر النفط عن الدول التي تساعد عدوهم .

ايطاليه : شهدت تطورا ملحوظا في تفهم القضية الفلسطينية سواء على الصعيد الشعبي الذي كان للتعاون بين المقاومة الفلسطينية والاحزاب اليسارية وخاصة الحزب الشيوعي الايطالي أثره الفعال في هذا المضمار . كما ان الحكومة الايطالية أبدت بعض التطور في تفهم الموقف العربي وذلك بسبب التأثير الاقتصادي للعالم العربي خاصة بسبب اغلاق قناة السويس التي بلغ الضيق لدرجة أن ايطاليه اقترحت التوسط لايجاد حل جزئي لقضية اغلاق القناة وعرض رئيس الوزراء الايطالي على مصر فكرة شق قناة جديدة بديلة في السويس وذلك في السادس من أيار (مايو) ١٩٧٣(٣٠) . وقد كان لمصرع ممثل م. ت. ف. وائل زعيتر أثر كبير في استقطاب العطف والتأييد للفلسطينيين وتوجيه الانتقاد واللوم للاسرائيليين . كما ان ايطاليه تؤيد الاقتراحات العربية في الامم المتحدة ، لذلك سيطر الجمود على العلاقات الاسرائيلية ـ الايطالية في السنوات الاخيرة . اما **البرتغال** فانه على الرغم من عدم وجود تمثيل دبلوماسي مع اسرائيل فان التعاون بينهما كان على أشده خصوصا ان اسرائيل دعمت محاولات الحكومة البرتغالية السابقة للانقلاب في عملياتها لقمع الثورات في الدول الافريقية المستعمرة : غينيا بيساو ، انجولا وموزامبيق . لكن الانقلاب الاخير في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٤ أدى الى تغيير في سياسة البرتغال وعودتها للعمل على كسب

العرب . وكان لاستخدام الاميركيين قاعدتهم في البرتغال وبعض الجزر التابعة لها اثناء الحرب الرابعة لامداد اسرائيل بالسلاح اثر كبير في بلوغ هذه الغاية خصوصا بعد منع دول أوروبه الغربية لهذا الامر على أراضيها . **بريطانيه** : التأييد البريطاني لاسرائيل مسألة قديمة أكثر من فترة حياة الكيان الصهيوني نفسه . لكن عوامل كثيرة ادت دائما الى محاولة تغليف هذا التأييد بطرق مقنعة . وأهم هذه العوامل : مراعاة المصالح الاقتصادية مع العرب ، دخول السوق المشتركة ، المنافسة مع فرنسه في قيادة أوروبه الغربية ، العلاقة مع الولايات المتحدة الاميركية ، الوجود الصهيوني المنظم في بريطانيه وتأييد الاحزاب البريطانية المختلفة لاسرائيل . وقد لعبت بريطانيه دورا هاما في الوصول الى الصيغة التي اقترحت كحل لازمة الشرق الاوسط بشكل قرار ٢٤٢ في مجلس الامن ، هادفة للوصول الى حل نهائي للازمة لمصلحة اسرائيل عقب الانتصار الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ . وكان لحزب المحافظين تجربة معارضة الارادة الاسرائيلية عندما رفض الضغوط الاسرائيلية والصهيونية كي لا يسمح بافتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في لندن في أواخر حزيران (يونيو) ١٩٧٢(٣١).

بلجيكه : نشطت الاوساط الصهيونية خلال حرب ١٩٦٧ في بلجيكه التي أيدت اسرائيل ودعمت مواقفها . وتتمتع تجارة الماس بمركز هام في العلاقات التجارية الاسرائيلية — البلجيكية ، اذ أن بلجيكه تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في شراء الماس الاسرائيلي المصقول . هذا وقد باءت الجهود الاسرائيلية لافتتاح مصنع للاسلحة في بلدة لياج قرب بروكسل بالفشل لان البرلمان البلجيكي رفض الموافقة على المشروع تخوفا من نتائجه عقب عملية ميونيخ .

الفاتيكان : تركز اهتمام الحاضرة الدينية على سلامة الاماكن المقدسة في فلسطين والدعوة الى العدالة لانصاف اللاجئين الفلسطينيين . ولم يعترف الفاتيكان بالكيان الاسرائيلي أو باجراءاته لضم القدس. ورغم ذلك فقد عملت اسرائيل دائما لمد الجسور مع البابا فزار آبا ايبن الفاتيكان في النصف الاول من ١٩٧٢ كما قامت جولدا مئير بمقابلة البابا بولس السادس في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ قالت في نهايتها أن البابا شكرها للعناية الاسرائيلية بالاماكن المقدسة وأكد على ضرورة استمرار الحوار بين الكنيسة الكاثوليكية واسرائيل . كما ساد التوتر العلاقات بين الفريقين في أواخر ١٩٧٤ بعدما أعلن عن اعتقال المطران هيلاريون كبوجي واتهامه بتهريب الاسلحة الى الفدائيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة .

فرنسه : كانت المبادرة الاولى بين الدول الغربية لاتخاذ مواقف بعيدة عن التأييد المعتاد لاسرائيل . وقد كان لوجود الجنرال شارل ديجول على رأس الدولة الفرنسية ومنهجه في منافسة السياسة الاميركية في القارة الاوروبية اثر كبير في التحول الفرنسي بالاضافة الى التقدير الشديد للسلطات الفرنسية لمصالحها مع الدول العربية . وعقب حرب ١٩٦٧ أعلنت فرنسه حظرا على بيع الاسلحة الى دول الصراع في منطقة الشرق الاوسط وخاصة على اسرائيل لانها بادرت بالعدوان . وحاول الاسرائيليون دون جدوى تغيير الموقف الفرنسي ، وذلك لان تسليح الجيش الاسرائيلي خصوصا في سلاح الطيران كان فرنسيا . لكن السلطات الفرنسية ، ردا على الهجوم الاسرائيلي على مطار بيروت في آخر أيام ١٩٦٨ أعلنوا حظرا تاما على شحنات الاسلحة وعلى قطع الغيار ايضا على اسرائيل في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩(٣٢). صب الصهيونيون كل جهودهم واستخدموا نفوذ الراسمالية الفرنسية الموالية لهم لاسقاط ديجول في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ بعدما لم يحصل على اغلبية مطلقة في الاستفتاء الذي طلبه . وأمل

الاسرائيليون تغييرا في السياسة الفرنسية بمجيء جورج بومبيدو ، لكن هذا الامل خاب ، فقاموا بعملية احراج للرئيس وللحكومة الفرنسية عندمـــا نجحوا في تهريب خمسة زوارق من طراز شيربورج من فرنسه الى اسرائيل في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ (٢٣). ان استمرار ثبات الموقف الفرنسي في رؤيته لحل أزمة الشرق الاوسط عبر تعاون الدول الكبرى وليس فقط بين الدولتين الاعظمـــين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، زاد في حساسية العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين وظلت الاتهامات الاسرائيلية تترى بأن فرنسه تحابي العرب . وفي ١٥ شباط (فبراير) ١٩٧٢ اتفقت فرنسه واسرائيل على اعادة دفع ثمن صفقة الميراج التي حظر تسليمها سابقا . من جهة أخرى تأثرت العلاقات الفرنسية ــ الاسرائيلية بنشاطات الاحــزاب الفرنسية ومواقفها من قضية الشرق الاوســط ، فبعضها لعب دورا هاما في تعبئة الجمهــور الفرنسي لصالح القضية العربية وعلى الاخص الحزب الشيوعي الفرنسي ، كما كان للاحزاب اليمينية مواقف شديدة الارتباط بالصهيونية . ومما أثر على هذا الجمهور أيضا النشاط الفلسطيني نفسه ونشاط المجموعات المؤيدة لهم . وفي محاولة لارهاب القائمين بهذا النشاط وشل فعاليتهم قامت المنظمـــات الصهيونية باغتيال محمـــود الهمشري ممثل م.ت.ف. في باريس . واستمر الموقف الفرنسي المتفهم للقضية العربية بالتعمق خلال وبعد الحرب الرابعة ، حيث أيدت فرنسه الامة العربية في كافة المجالات وخاصة داخل اطار دول السوق الاوروبية المشتركة وعارضت الولايات المتحدة بعناد في كل ما ترتب عن الحرب من أزمات سواء على صعيد البترول أو الارصدة أو غيرها. وكان لوفاة بومبيدو المفاجئة وانتخاب فاليري جيسكار ديستان للرئاسة باعثا لامل جديد في تحسن العلاقات الفرنسية ــ الاسرائيلية . وأعلنت السلطات الفرنسية رفع حظر بيع الاسلحة الى الشرق الاوسط بعدما كشفت رسائل السادات ــ القذافي في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ عن ارسال طائرات الميراج الليبية الى مصر مخالفين بذلك الاتفاق المعقود مع فرنسه بهذا الخصوص . وكانت مظاهر الجفاء والتدهــور في العلاقات الفرنسية ــ الاسرائيلية واضحة التجلي خلال زيارة وزير الخارجية الفرنسي جـــان سوفانيارج الى الشرق الاوســط ولقائه برئيس اللجنـــة التنفيذية لمنظمة التحريـــر الفلسطينية ياسر عرفات في بيروت بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٢١ وكذلك تصويت فرنسه في الامم المتحدة الى جانب قرار دعوة م. ت. ف. للمشاركة في مناقشة قضية فلسطين في ١٩٧٤/١٠/١٤ .

النمسه : دخلت النمسه ميدان الصراع في الشرق الاوسط لصالح اسرائيل من ناحية مباشرة عندما رخصت للمهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفياتي بالتمركز فيها والانتقال بعد ذلك الى فلسطين المحتلة . وقد اشتد الاستياء العربي من هذا الموقف لدولة حاولت الظهور محـــايدة ازاء صراع الشرق الاوسط فقـــام بعض الفدائيين بالسيطرة على قاطرة تنقل المهاجرين في ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ (٢٤) وتم الاتفاق على اطلاق الرهائن مقابل تعهد نمساوي باغلاق معسكر شناناو حيث تقدم التسهيلات للهجرة اليهودية . وقد استاءت اسرائيل من هذا الموقف وحاولت التأثير على المستشار النمساوي كرايسكي للتراجع عن القرار فرفض . لكن تدهور العلاقات لم يبلغ حدا سيئا بسبب اشتعال الحرب الرابعة التي قام كرايسكي بعدها ضمن وفد للاشتراكية الدولية بمهمة تقصي الحقائق في الشرق الاوسط وقابل المسؤولين الفلسطينيين .

سويسره : استطاعت الصهيونية ان تحافظ علـــى ثبات العلاقات الاسرائيلية ــ السويسرية . وقد نشطت المنظمات الصهيونية خلال حرب ١٩٦٧ لدعم اسرائيل ماديا. كما استطاعت اسدال ستار كثيف من الصمت على الفضيحة التي أعلنت في السادس

من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ عندما كشفت الحكومـــة السويسرية ان الملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية في بيرن تسفي آلون اعتبر شخصا غير مرغوب به لاكتشاف فضيحة تسرب صور معادلات تركيب محركات طائرات ميراج ـــ ٣ فرنسية الصنع في عملية جاسوسية على يد المهندس السويسري الفريد فروتنكخت .

هولنده : دعمت هولنده الموقف الاسرائيلي بشدة . وقد وافقت على رعاية المصالح الاسرائيلية في الاتحاد السوفياتي وبولنده عندما أعلنا قطع العلاقات الدبلوماسية عقب ١٩٦٧ . واثنـــاء حرب ١٩٧٣ سمحت بنقل الاسلحة الاميركيـــة والمتطوعين لمساعدة اسرائيل مما أدى الى غضبة عربية ازاءها فحرمت من النفط العربي مما أدى الى أزمة اقتصادية خانقة لها ، وفشلت محاولاتها رفع الحرمان النفطي الى أن بدأت مساعي التسوية الاخيرة في ميدان الصراع الشرق ـــ أوسطي .

قبرص : كان لموقف مصر بتأييد نضال القبارصة للتحرر من الاستعمار البريطاني أثره الكبير في الموقف المتعاطف مع العرب . وقد وقفت قبرص ضد العدوان الاسرائيلي ١٩٦٧ مما أدى الى التردي في العلاقات الاسرائيلية ـــ القبرصية. ورغم وقوع عمليات فدائية ضد السفارة الاسرائيلية واغتيال بعض العملاء الاسرائيليين في الجزيرة ومقتل ممثل حركة فتح فيها فان السلطات القبرصية حافظت على موقف منسجم مع مواقف دول عدم الانحياز .

اليونان : لم تطور علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل تخوفا من الرد العربي . وقد أعلنت خلال الحربين الاخيرتين بأنها لن تسمح باستخـــدام أراضيها للمساعـــدة في العمليات الحربية في الشرق الاوسط ، لكن قدرتها على ضبط تنفيذ القرار كانت غير فعالة بسبب استخدام الاميركيين لقاعدتهم في بيريه التي أنشأوها في منتصف ١٩٧٢ لتحقيق عملية نقل السلاح الهائلة خلال حرب ١٩٧٣ .

اسم البلد	درجة التمثيل الدبلوماسي	مكان البعثة الدبلوماسية	ملاحظـــات
الولايات المتحدة الاميركية	ســـفارة	واشنطن	قنصلية فخرية في كل من: نيويورك، لوس انجلوس ، فيلادلفيـــه ، شيكاجو ، أطلنطه ، هيوستن ، سان فرانسيسكو ، بوسطن .
كنده	ســـفارة	اوتاوا	قنصلية عامة في كل من مونريال وتورنتو .
المكسيك	ســـفارة	مكسيكو سيتي	
استراليه	ســـفارة	كانبره	قنصلية عامة في سيدني .
نيوزيلنده	ســـفارة	(كانبره)	ابتدأت منذ ١٩٦٧ بعد ان كانت مفوضية .
المانيه الاتحادية	ســـفارة	بون	
ايســـلنده	ســـفارة	(أوسلو)	قنصلية في ريجافيك .
ايطاليه	ســـفارة	رومه	قنصلية عامة في ميلانو .
البرتغـــال	—	—	قنصلية عامة في لشبونه .
بريطانيه	ســـفارة	لندن	
بلجيكه	ســـفارة	بروكسل	
جبل طارق	—	—	قنصلية .

فرنسه	سفارة	باريس	قنصلية عامة في مرسيليه .
فنلنده	سفارة	هلسنكي	
قبرص	سفارة	نيقوسيه	
لوكسمبورج	سفارة	(بروكسل)	قنصلية عامة في لوكسمبورغ .
ليختنشتاين	—	—	قنصلية عامة في (زيوريخ) .
مالطة	سفارة	فاليته	ثم نقلت الى تاكس بياكس .
موناكو	—	—	قنصلية عامة في (مرسيليه).
نروج	سفارة	أوسلو	
النمسه	سفارة	فيينه	
سان مارينو	—	—	قنصلية عامة في (رومه) .
السويد	سفارة	ستوكهولم	
سويسره	سفارة	بيرن	
هولنده	سفارة	لاهاي	
اليونان	—	أثينا	ممثلية دبلوماسية .

ان اسرائيل بوصفها بلدا مستوردا بكامله مضطرة لايجاد سبل استيراد حياتها : الاستيطان الاسرائيلي في الارض الفلسطينية يحتاج لاستيراد المهاجرين اليهود من الخارج . الاقتصاد العاجز عن بناء اكتفاء موضوعي يحتاج كذلك لاستيراد اقتصادي وتجاري خارجي . وكذا الامر بالنسبة للصناعة التي كانت في طور النمو بحاجة الى دعم كبير لتحقيق حد من حاجات القوة الاسرائيلية وخاصة العسكرية . الموارد المالية الضئيلة محليا بحاجة الى سيل هائل من المساعدات الخارجية . ان الاستيراد من خارج البلاد هو تفسير لعملية الجهد الصهيوني الكامل في سبيل احتلال فلسطين وتثبيت الكيان الصهيوني عليها وحمل الآخرين على الاقرار بذلك . لذا لا عجب من أهمية الدور الذي تلعبه السياسة الخارجية الاسرائيلية وتعمدها التركيز الشديد في الصلات والاواصر مع الدول الامبريالية التي تتطابق مصالحها في استغلال ثروات العالم العربي والاستمرار في نهبها والحؤول دون قيام قوة عربية ثورية تناهض الاستعمار وتحقق الاستقلال بكافة أوجهه .

الحواشي :

١ — *Israel Government Year Book 1971-1972*, p. 173

٢ — **سياسة اسرائيل الخارجية** ، ابراهيم العابد ، منشورات مركز الابحاث م.ت.ف. ١٩٦٨ .

٣ — **الصهيونية واسرائيل وآسيه** ، ج. ه. جانسن . مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٧٢ .

٤ — **التسلل الاسرائيلي في آسيه** (الهند واسرائيل) ، اسعد عبد الرحمن ، مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٧ .

٥ — **التغلغل الاسرائيلي في افريقيه وطرق مجابهته** ، رياض القنطار ، مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٨ .

Jewish Year Book 1974 - Great Britain

٦ — **اسرائيل وافريقيه ١٩٤٨ — ١٩٧٣** ، عواطف عبد الرحمن ، مركز الابحاث م.ت.ف. ١٩٧٤ .

٧ — **الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين** ، د. صلاح الدباغ ، مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٨ .

٨ — **علاقات اسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧** —

١٩٧٠، شحاده موسى، مركز الابحاث م.ت.ف. ١٩٧١ .

٩ — *The State of Israel,* Galina Nikitina, Progress Publishers, Moscow 1973, pp. 41-198.

١٠ — لمزيد من التفصيل، **اسرائيل في أوروبه الغربية**، عقيل هاشم وسعيد العظم، مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٧ .

١١ — لمزيد من التفصيل : **اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة**، أنجلينا حلو، مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٨ .

١٢ — **الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة، وقائع وتفاعلات** . مركز الابحاث م. ت. ف. ١٩٧٤ .

١٣ — *keesing's Contemporary Archives* 1970, p. 24050.

١٤ — *keesing's C. A.* 1973, p. 25717.

١٥ — **اليوميات الفلسطينية**، الجزء الثالث عشر، مركز الابحاث م.ت.ف.

١٦ — أرشيف مركز الابحاث م. ت. ف. ملف رقم ١/٢١٠٨ .

١٧ — **اليوميات الفلسطينية**، الجزء الخامس عشر، مركز الابحاث م. ت. ف.

١٨ — كافة اللوائح التي سترد هي خلاصة لما جاء في *Israel Gov. Year Book 1965-1974* *The Statesmen Year Book 1974*

— اسم العاصمة المذكور بين هلالين يدل على ان السفير غير مقيم في المكان المعتمد فيه .

١٩ — **اليوميات الفلسطينية**، الجزءان الرابع والخامس، مركز الابحاث م. ت. ف.

٢٠ — *keesing's C. A.* 1972, p. 25236

٢١ — *keesing's C. A.* 1972, p. 25601

٢٢ — *keesing's C. A.* 1973, p. 25715

٢٣ — المصدر ذاته .

٢٤ — صحيفة **الاهرام** المصرية بتاريخ ١٧/٥/١٩٧٣ .

٢٥ — **الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة**: المرجع السابق .

٢٦ — *keesing's Contemporary Archives* 1967, p. 22105

٢٧ — *keesing's Contemporary Archives* 1967, p. 22048

٢٨ — *keesing's Contemporary Archives* 1969, p. 23523

٢٩ — *keesing's Contemporary Archives* 1965, p. 20737.

٣٠ — **نشرة رصد اذاعة اسرائيل**، مركز الابحاث م. ت. ف. بتاريخ ٧/٥/١٩٧٣ .

٣١ — **اليوميات الفلسطينية**، الجزء الخامس عشر، المرجع السابق .

٣٢ — *keesing's C. A.* 1969, p. 23152

٣٣ — *keesing's C. A.* 1970, p. 23802

٣٤ — *keesing's C. A.* 1973, p. 26159

الاقتصاد الاسرائيلي في عشر سنوات : منجزات جزئية وخيبات أمل مستمرة

الدكتور يوسف شبل

ان الهدف من هذا المقال هو دراسة الاثار التي خلفتها احداث العشر سنوات الماضية منذ ان بدأ العمل الفدائي انطلاقته في مطلع عام ١٩٦٥ وخلال جميع فترات المد والجذر التي تلت تلك الانطلاقة من حيث كثافة هذا العمل ونوعيته ، وكذلك الاثار الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة التي تسببت فيها حرب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ وحرب السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ . ونظرا لتشعب الموضوع فانه من المناسب تقسيم الاحداث الى قسمين رئيسيين رغم التلازم العضوي بين الاثنين : اولا الاحداث التي اثرت على بنية الاقتصاد الاسرائيلي من الداخل وكذلك على رفاهية الفرد الاسرائيلي من حيث اضطراره للعيش في تقشف وحرمان دائمين بالاضافة الى عدم الشعور بالثقة والامن ، وثانيا الاحداث الاقتصادية الخارجية التي واكبت التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة وما رافق ذلك من محاولات اسرائيل المستمرة الاعتماد على مصادر التمويل الخارجي وتوسيع اسواقها الخارجية بسبب انغلاق المجال الحيوي امامها والمتمثل في الاسواق العربية المجاورة .

ان هذا المقال لا يهدف بأية حال الى رصد التطورات الاقتصادية وتسجيلها خلال العشر سنوات الماضية ، وانما يهدف الى ربط الاحداث الاقتصادية التي لها صلة وثيقة بنمو واتساع العمل الفدائي وكذلك المجابهة مع الجيوش العربية النظامية خلال الفترة المشار اليها . على ضوء ذلك يمكن تقسيم فترة العشر سنوات الماضية الى اربعة اقسام رئيسية من حيث طبيعة الاحداث ونوعية التغيرات التي طرأت على الاقتصاد الاسرائيلي على النحو التالي : أ — الفترة ما بين عام ١٩٦٥ حتى حرب حزيران من عام ١٩٦٧ ، ب — الفترة ما بين حزيران ١٩٦٧ حتى ايلول من عام ١٩٧٠ عندما توقف العمل الفدائي في الاردن عن العمل بفعل ظروف خارجة عن ارادته ، وقد تخللت هذه الفترة حرب « الاستنزاف » ، ج — الفترة ما بين سبتمبر ١٩٧٠ وحرب اكتوبر من عام ١٩٧٣ وقد تميزت بهدوء كامل على الجبهات العربية ونشاط فدائي متقطع ، د — الفترة التي تلت حرب اكتوبر وحتى الان والتي تشمل كافة الذيول الاقتصادية لحرب اكتوبر واتساع حجم وكثافة ونوعية العمل الفدائي داخل اسرائيل بحيث وصل الى اماكن لم يصلها من قبل .

١ — **الفترة ما بين عام ١٩٦٥ — حزيران ١٩٦٧** : تميزت هذه الفترة بظهور العمل الفدائي الى النور وباسترخاء كامل على مختلف الجبهات العربية المواجهة لاسرائيل . ونظرا لان العمل الفدائي كان لا يزال في طور الاستعداد في الوقت الذي كانت الجبهات العربية فيه هادئة تماما ، فان ذلك اعطى اسرائيل فرصة للالتفات الى مشاكلها الاقتصادية التي بدأت تظهر بعد فترة لا يستهان بها من الانجازات على الصعيد

الاقتصادي في الجزء الاخير من الخمسينات واوائل الستينات . على ان طبيعة هـذه المشكلات كانت بفعل ظروف اقتصادية واجتماعية داخلية أكثر منها بفعل الظـروف الخارجية المحيطة بها . فالمعروف عن اقتصاديات البلدان التي تعتمد على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج انها تبدأ في افراز تقلبات اقتصادية ومشاكـل خصوصا بعد فترة لا يستهان بها من الازدهار الاقتصادي . وبعبارة اخرى هنالك « دورة اقتصاديـة » ترتفع فيها مستويات الانتاج والدخل والعمالة الى درجة تقـارب حالة « التشغيـل الكامل » ثم تبدأ هذه المستويات بالهبوط تدريجيا عندما تظهر بذور مضادة اقتصادية واجتماعية تبدأ في الضغط على كافة القطاعات الاقتصادية ولكن بدرجات متفاوتة .

المشاكل الاقتصادية التي بدأت تظهر في عام ١٩٦٥ في الاقتصاد الاسرائيلي واشتدت حدتها خلال عامين تتلخص بما يلي :

أ ـ ارتفاع مستوى البطالة الى حوالي ١٢٪ من مجموع القوى العاملة ، فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي ١٣٠٫٠٠٠ شخص وهو أعلى مستوى بلغته منذ عام ١٩٤٨ .

ب ـ انخفاض النشاط في قطاع البناء بسبب انخفاض عـدد المهاجرين اليهـود القادمين من الخارج حيث هبط عدد هؤلاء من ٥٤٫٠٠٠ عام ١٩٦٤ الى ١٨٫٠٠٠ في عام ١٩٦٧ .

ج ـ انخفاض في الانتاجية الحدية للقطاع الزراعي نتيجة لاستثمار اراض زراعيـة غير صالحة اصلا للزراعة ، او انها بحاجة لاستصلاح قبل زرعها والافادة منها . لقد دخل القطاع الزراعي مرحلة « الغلة المتناقصة » Diminishing Return بعد نمو سريع لفترة لا يستهان بها .

د ـ الصعوبة في ايجاد موطىء قدم ثابت للسلع الاسرائيلية في الاسواق العـالمية وخصوصا داخل السوق الاوروبية المشتركة والتكتلات الاقتصادية الاخرى .

هـ ـ محاولة تقليل الاعتماد على مصادر التمويل والمساعدات الخارجية دون اللجوء الى تخفيض معدل النمو الاقتصادي المنشود او تخفيض حجـم العمالة والخدمـات الاقتصادية والاجتماعية .

ب ـ **حرب عام ١٩٦٧ وحتى ايلول ١٩٧٠** : لقد وقعت حرب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ في وقت كانت تحاول فيه الحكومة الاسرائيلية الخروج من حالة الجمود الاقتصادي الذي بدأت معالمه في اوائل العام ١٩٦٧ وتعمقت جذوره خلال عام ١٩٦٦ والنصف الاول من عام ١٩٦٧ . ومما زاد في صعوبة ايجاد حل لهذا الجمود هو رفض الحكومة الاسرائيلية التنازل جزئيا عن تحقيق معدل نمو سنوي قدره ١٠٪ ورفضهـا تخفيض حجم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية او التقليل من استقبال المهاجرين الجدد الى جانب الاستمرار في تدعيم الجيش الاسرائيلي بالمعدات الحديثة والالات الالكترونية الباهظة الثمن .

لذلك عندما نشبت الحرب وقامت اسرائيل بهجومها المفاجىء صباح الخامس مـن حزيران كانت اسرائيل تحاول التغلب على مشاكلها الاقتصادية الداخلية دون التنازل عن اي من اهدافها الرئيسية وهو اسلوب لم تتخل عنه اسرائيل في اشد الاوقـات حراجة . وفي جميع الظروف كانت ولا تزال تعتمد على المساعـدات الخارجية مـن الولايات المتحدة والصهيونية العالمية لتنفيذ هذه الاهداف دفعة واحدة .

ان تقدير اعباء حرب الايام الستة على الاقتصاد الاسرائيلي يتطلب احتسـاب عدة

عوامل في آن واحد . وجميع التقديرات التي ظهرت حول حجم الخسائر الاسرائيلية انصبت على تقدير الخسائر في المعدات والاسلحة بمختلف انواعها دون الاخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب الاقتصادية الاخرى والتي تتعلق بمستويات الدخل والانتاج والعمالة الى جانب وضع ميزان المدفوعات وايرادات الدولة وغيرها . وكما جاء في دراسة اسرائيلية حول هذا الموضوع :

« ان تقدير الاكلاف المباشرة للحرب يجب ان يشمل تكلفة اعادة بناء الابنية والمعدات والمهمات الاخرى مدنية وعسكرية الى جانب الهبوط في الانتاج نتيجة لتحريك الموارد البشرية والمادية وكذلك العبء المتزايد على ميزان المدفوعات والاعباء المترتبة على الخزينة نتيجة لزيادة نفقات الدفاع والتعويضات التي تدفع لعائلات الجنود القتلى والجرحى وهبوط العائدات الضريبية نتيجة لهبوط مستويات الدخل والانتاج »(١).

لا شك ان حرب الخامس من حزيران قد خففت من حجم البطالة الذي وصل الى ١٢٪ من مجموع القوى العاملة قبل الحرب بقليل نتيجة الزيادة الكبيرة التي طرأت على قطاع الانتاج الحرفي بعد ان نجحت اسرائيل في احتلال الضفة الغربية وغزه وسيناء والجولان . كما خففت من حدة مشكلة تعريف بعض سلعها الصناعية خصوصا تلك التي لا تملك خصائص في الجودة والسعر تمكنها من مزاحمة السلع الاميركية والاوروبية واليابانية في الاسواق العالمية . لقد وجدت اسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة حلولا جاهزة لكثير من مشاكلها الاقتصادية . فهذه المناطق العربية المحتلة تملك خصائص ديمغرافية لا تتوفر في اسرائيل نفسها . فاليد العاملة تتوفر بكثرة وبأجور زهيدة اذا قورنت بالاجور السائدة في اسرائيل ، كما انها تشكل سوقا حيويا لتصريف كثير من السلع والخدمات الاسرائيلية . ولقد ظلت اسرائيل حريصة خلال سنوات الاحتلال على ربط هذه المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي بشكل يمكن هذا الاقتصاد من تحقيق اكبر فائدة ممكنة دون استنزاف اي من مواردها الاقتصادية المتاحة باستثناء طبعا نفقات الدفاع وحفظ الامن داخل الضفة الغربية وغزة .

لم يمض اكثر من بضعة شهور على انهاء حرب حزيران حتى بدأت جبهة قناة السويس تسخن تدريجيا اذ بدأت الاشتباكات بالمدفعية والطيران بين الجيش المصري والجيش الاسرائيلي وقد ازدادت حدة هذه الاشتباكات حتى غدت يومية تقريبا وكانت الخسارة كبيرة بين الجانبين . وفي نفس الوقت بدأ العمل الفدائي نشاطه على نطاق واسع ، انطلاقا من قواعده الطبيعية في الاردن لضرب اهداف اقتصادية ومنشآت حيوية في تل ابيب والقدس وحيفا وغيرها من الاماكن في عمق اسرائيل كمصافي البترول ، والمعامل الكيماوية ، ومعامل الورق وغيرها من الصناعات . وكانت السلطات الاسرائيلية تحاول دوما اخفاء الخسائر البشرية وكذلك المادية والتقليل من أهميتها حتى لا تهبط معنويات السكان في اسرائيل ، كما انها كانت تعزو معظم هذه العمليات الى حوادث طارئة داخل المعامل حتى لا تعترف علانية بأي عمل ناجح للفدائيين العرب .

لقد قلبت هذه التطورات امال وتوقعات اسرائيل راسا على عقب . فقد كانت الحكومة الاسرائيلية تأمل في ان النصر العسكري السريع الذي حققته اسرائيل سيؤدي الى توقيع اتفاقيات سلام مع الدول العربية المجاورة على اساس الشروط الاسرائيلية التي تنهي حالة الحرب وتفتح الاسواق العربية على مصراعيها أمام الانتاج الاسرائيلي وانهاء عزلة سياسية واقتصادية دامت عشرين عاما . ان ظروف ومعطيات ونمط النشاط الصناعي في اسرائيل يجعل الاسواق العربية المجاورة المكان الامثل

لتصريف الانتاج المتوفر . فارتفاع نسبة الالات والمعدات الى اليد العاملة نظرا لارتفاع مستوى الاجور النسبي يجعل معظم الصناعات الاسرائيلية تعمل بطاقة انتاجية مرتفعة لتغطية التكاليف الحدية العالية وهذا يتطلب مزيدا من التسويق وتصريف الفائض من انتاجها والذي تجد صعوبة جمة في تصريفه في البلدان الاوروبية . لقد بدات ملامح جديدة تظهر على هيكل الاقتصاد الاسرائيلي .

اولا : ظهور صناعة جديدة على نطاق واسع تغذي مختلف الاسلحة وقطاعات الجيش الاسرائيلي بالمعدات والذخيرة والتموين . وقد نمت هذه الصناعة الى الدرجة التي اصبحت فيها جزءا اصلا من الاقتصاد الاسرائيلي كما اصبحت صناعة برسم التصدير الى الخارج . وقد قوى ذلك من سيطرة وهيمنة المؤسسة العسكرية على اتجاهات السياسة الاسرائيلية تجاه الدول العربية .

ثانيا : تعاظم نشاط قطاع البناء خصوصا ذلك المتعلق ببناء التحصينات القوية على ضفاف قناة السويس مثل « خط برليف » وفي مرتفعات الجولان المحتلة . وقد بلغ من ارتفاع حجم النشاط في هذا القطاع ان ارتفعت اسعار مواد البناء والحديد بشكل لم يسبق له مثيل ، كما عمدت السلطات العسكرية الاسرائيلية الى انتزاع خطوط السكك الحديدية في بعض مناطق سيناء والضفة الغربية لاستعمالها في بناء المنشآت والتحصينات الجديدة . وتقدر الاوساط الاسرائيلية مجمل نفقات انشاء « خط بارليف » و « خط الون » في المرتفعات السورية بما لا يقل عن ثلاثة بلايين ليرة اسرائيلية ذهبت كلها ادراج الرياح في يومين فقط من القتال .

ثالثا : اعتماد القطاع الزراعي عموما وزراعة الحمضيات خصوصا المتزايد على اليد العاملة العربية ومحاولة تسريب جزء من انتاج هذا القطاع للبلدان العربية المجاورة اعتمادا على سياسة الحدود المفتوحة بين الضفة الغربية والضفة الشرقية . وقد نجحت اسرائيل نسبيا في تنشيط هذا القطاع بعد ان تعرض للجمود في الفترة التي سبقت الحرب .

رابعا : محاولة امتصاص مدخرات جماهير الضفة الغربية وغزه عن طريق انشاء مصارف عربية ــ اسرائيلية تقوم في النهاية بتحويل هذه المدخرات لخدمة اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل اسرائيل . وقد حرصت السلطات الاسرائيلية على ان تقيم من خلال سلسلة من الاجراءات القانونية والاقتصادية جدارا عازلا بين اقتصاديات اسرائيل واقتصاديات الضفة الغربية وغزه حتى لا يخرج نطاق التبادل بين الاقتصادين عن الحدود المرسومة لها وبالتالي حتى لا تكسب الضفة الغربية اية ثروة او موجودات حقيقية من الاقتصاد الاسرائيلي .

حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ : خلال الفترة ما بين سبتمبر ١٩٧٠ واكتوبر ١٩٧٣ كانت اسرائيل قد نجحت في تجميد الجبهات العربية المتاخمة لها من خلال مشروع روجرز الذي بدأ العمل بموجبه ابتداء من يوليو ١٩٧٠ . ونظرا لنجاح النظام الاردني في تصفية قواعد الفدائيين في الاردن على مرحلتين الاولى في سبتمبر من عام ١٩٧٠ والثانية في صيف ١٩٧١ ، فقد اعتقدت السلطات الاسرائيلية ان « الاستقرار » الامني الذي تنشده قد بلغته تماما . غير ان العمل الفدائي استطاع ان ينقل نشاطه الى الخارج حيث بدات مواجهة واسعة بين العمل الفدائي والاستخبارات الاسرائيلية .

وكان بنحاس سابير ، وزير المالية آنذاك ، قد اعلن بأن نفقات الامن الاسرائيلي منذ حرب الايام الستة حتى منتصف عام ١٩٧٣ قد بلغت حوالي ٢٥ مليار ليرة اسرائيلية (حوالي ٦ مليارات دولار) ، وان نفقات الامن في الست السنوات القادمة (قبل

حدوث حرب (اكتوبر) ستبلغ ٤٠ مليار ليرة ، اي حوالي (٩) مليارات دولار . وهذه الارقام تثبت بلا شك ان اسرائيل لم تستطع في يوم من الايام وخلال فترات تراجع العمل الفدائي والعمل العسكري العربي النظامي ان تخفض من ميزانياتها الدفاعية ولو بجزء يسير بل كانت الميزانيات الدفاعية في تصاعد مستمر . لذلك فعندما وقعت حرب اكتوبر التي وقعت كالصاعقة على المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، فان حجم الموارد المتاحة لهذه المؤسسة كان اكبر منه في اي وقت مضى ، بالاضافة الى ان قطاع التصنيع الحربي كان في حالة نمو مستمر .

واذا كانت خسائر اسرائيل في حرب اكتوبر فادحة من الناحية البشرية ، اذا قيست من زاوية مطلقة او زاوية نسبية ، واذا كانت خسائرها النفسية لا تقل عن خسائرها البشرية ، فان الخسائر المادية كانت بدون جدال اكبر هذه الخسائر ليس فقط في العتاد والاسلحة وانما في شل النشاط الاقتصادي باسره لمدة طويلة وما خلفه ذلك من خلل في هيكل الاقتصاد الاسرائيلي نفسه . وقد حاولت اسرائيل من خلال المساعدات المادية الهائلة التي تلقتها من الولايات المتحدة ومن الحركة الصهيونية في العالم ان تسد جزءا من هذه الخسائر التي قدرها وزير المالية بحوالي ثلاثة الاف مليون دولار بدون الاخذ بعين الاعتبار الخسائر غير المباشرة والمتمثلة في ارتفاع حجم البطالة في القطاع المدني وانخفاض الانتاج بكافة اشكاله . وحتى كتابة هذه السطور لم تظهر اي وثيقة اسرائيلية رسمية تبين فيها خسائر اسرائيل المادية والبشرية بالتفصيل بشكل موثوق يمكن الركون اليه . لذلك فان اثار الحرب يمكن التقاطها من مصادر اسرائيلية متفرقة بعضها مصادر اقتصادية واخرى سياسية .

وفي راي مجلة « اسرائيل ايكونوميست » ان اهم الاثار الاقتصادية المترتبة على حرب اكتوبر في عام ١٩٧٣ هي الاتية :

١ ــ لقد حولت الحرب جزءا كبيرا من اليد العاملة من الانتاج المدني الى القطاع العسكري اما كجنود احتياط او كعاملين في المصانع الحربية ومشتقاتها في وقت كانت هنالك ضغوط شديدة قبل الحرب على سوق العمل مما زاد من حدة المشكلة .

٢ ــ فرضت الحرب على اسرائيل ان تعيد ترتيب جدول اولوياتها بالنسبة لعملية توزيع الموارد المتاحة في الاقتصاد الاسرائيلي على النحو التالي : اعتبارات الامن تأتي في الدرجة الاولى ، زيادة حجم الصادرات الى الاسواق العالمية والضفة الغربية في الدرجة الثانية ، وتوفير السلع الاستهلاكية للسكان في الدرجة الثالثة .

٣ ــ ظهرت بشكل حاد مشكلة التوفيق بين متطلبات محاربة الغلاء الذي استفحل امره ومحاولة الوقوع في مصيدة الجمود الاقتصادي كطريق لا مفر منه لاحتواء الغلاء. وبعبارة اخرى فان المشكلة تتلخص في كيفية خفض حجم الطلب الفعال في الاقتصاد دون احداث جمود اقتصادي في البلاد .

٤ ــ هبوط كبير في حجم الصادرات الاسرائيلية خصوصا فيما يتعلق بالسلعة الاكثر اهمية واكثر قيمة مادية وهي الالماس ، كما هبط النشاط في قطاع البناء بسبب النقص الكبير في اليد العاملة وارتفاع اسعار مواد البناء محليا وعالميا .

٥ ــ نتيجة للاعباء الدفاعية المتزايدة ، وازدياد نشاط المنظمات الفدائية داخل الاراضي المحتلة وفي محاولة لتمويل الزيادة الكبيرة في مخصصات الدفاع فقد عمدت اسرائيل الى رفع معدلات الضريبة بشكل حاد بحيث وصلت الضريبة الحدية الى ٨٧٫٣٪ من الراتب منها ٦٥٪ ضريبة دخل ، و ٢٠٪ قروض دفاع اجبارية و ٢٫٣٪

ضريبة مشتريات . اما الشركات فتصل الضريبة الحدية فيها الى ٩٤٪ من مجموع ارباحها(٢).

وبينما كانت اسرائيل تحاول اعادة الثقة الى سكانها ، بعد تحقيق فك الارتباط بين جيشها وكل من الجيشين المصري والسوري ، وبينما كانت تحاول تسريح جزء كبير من احتياطها حتى تستطيع العودة الى الحياة العادية وتساهم في دفع عجلة الانتاج مجدداً اذ بها تفاجأ في تغيير واسع النطاق في اسلوب ونوعية وعمق العمل الفدائي . فقد استطاع العمل الفدائي اقتحام مستوطنات « كريات شمونة » و « معالوت » و « نهاريا » وغيرها من المستوطنات خلال فترة قصيرة لا تتعدى الشهرين مما اثار الذعر في اسرائيل ودفع السلطات الاسرائيلية الى القيام بغارات انتقامية والى اعادة النظر كليا في جهاز دفاعها على الحدود اللبنانية «السورية . وقد أدت العمليات الفدائية في شمال الجليل وعلى وجه التحديد في « كريات شمونة » و « معالوت » و « نهاريا » الى هزة نفسية عنيفة في جميع انحاء اسرائيل . وقد رافق هذه الهزة اعادة النظر في كثير من الترتيبات الدفاعية التي كانت السلطات العسكرية قد اقامتها قبل العمليات المشار اليها . فعمدت الى اقامة خط اليكتروني مكهرب على طول الحدود اللبنانية في سفوح جبل الشيخ شرقا وحتى الناقورة غربا في محاولة لمنع الفدائيين من التسلل الى داخل الجليل الاعلى والغربي ، كما قامت بتوزيع الاسلحة على سكان هذه المناطق تحسبا لاية هجمات جديدة . وقد وصلت حالة التوتر الى درجة توقف معها كثير من النشاط الزراعي والتجاري في كثير من المستوطنات الاسرائيلية المتاخمة للحدود اللبنانية . فقد جاء في تقرير للمراسل العسكري لصحيفة دافار جاء فيها ما يلي : «تقوم القوات الاسرائيلية بتمشيط الوديان ومراقبة أعلى التلال وارسال دوريات سيارة واخرى راجلة وتحرس المدارس ومؤسسات التعليم كما تضع حواجز على محاور الطرق كل ذلك ضمن عملية الاستنفار الكبيرة والتي لم يسبق لها مثيل في الجليل الغربي » . أما المراسل العسكري لصحيفة جازيت فيقول بأن الاستنفار العسكري قد شل الحياة اليومية الاعتيادية »(٣).

في وسط هذا القلق المتزايد ومن خلال النشاط الفدائي المتصاعد ، ومن خلال اقتناع دول المواجهة وخصوصا مصر وسوريا بأن اسرائيل لن تنسحب من الاراضي العربية ولن تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الا بقوة السلاح وبالتالي نتيجة للشروع في الحصول على أحدث الاسلحة والطائرات من الاتحاد السوفياتي ، بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يضعف أمام جميع هذه التطورات ، فالاسعار بدأت ترتفع بشكل لم يسبق له مثيل والاجور تحاول عبثا اللحاق بمستوى الاسعار ، والضرائب تحاول امتصاص اي زيادة ممكنة في الدخل لتمويل الميزانية الدفاعية والانمائية ، وازمة الطاقة العالمية بعد فرض حظر النفط العربي مع بعض الدول الصديقة لاسرائيل زاد من المصاعب الاقتصادية والاجتماعية وقلل من امكانية السلع الاسرائيلية للتنافس في الاسواق العالمية . لقد ادت جميع هذه العوامل بالاقتصاد الاسرائيلي الى طريق مسدود : اما التراجع عن الاهداف السياسية والاقتصادية الرئيسية ، او التشبث بهذه الاهداف ومحاولة احتواء الاثار التضخمية وتخفيف العجز في الميزان التجاري عن طريق بعض الاجراءات . وكعادتها في كل مناسبة آثرت اسرائيل الطريق الثاني رغم انه لا يحل المشكلة من جذورها وانما يخفف من حدتها الى حين . وهكذا كان فأقدمت السلطات الاسرائيلية على عدد من اجراءات التقشف في العاشر من نوفمبر من عام ١٩٧٤ .

الاجراءات الاقتصادية الجديدة : تركت حرب اكتوبر من عام ١٩٧٣ آثارا وجراحات

في الجسد الاسرائيلي لا يمكن ان تندمل . فالى جانب الخسائر البشرية الكبيرة واهتزاز الثقة بالنفس بعد شعور بالمناعة قارب الربع قرن ، فان الخسائر المادية والآثار الاقتصادية كانت كبيرة وشاملة الى درجة هزت معها الهيكل الاساسي للاقتصاد الاسرائيلي بأسره. وعلى الرغم من توقف القتال بعد اسبوعين من اندلاعه فان السلطات الاسرائيلية بدأت في التعويض فورا عن الخسائر التي منيت بها في الاسلحة والمعدات وكذلك اعادة النظر في كافة الترتيبات الدفاعية واقامة تحصينات وخطوط جديدة على الجبهتين المصرية والسورية كلفت الخزينة الاسرائيلية عدة بلايين من الدولارات . والجدول التالي يبين مقارنة اعباء الدفاع في اسرائيل وكل من مصر وسوريا خلال العام ١٩٧٤ .

البلد	عدد السكان (مليون نسمة)	الناتج القومي (بليون دولار)	ميزانية الدفاع (بليون دولار)	نسبة الميزانية للناتج القومي	اعتماد الدفاع لكل شخص (دولار)
مصر	٣٦،٥	٨،٥	٣،١	٣٦،٥٪	٨٤،٩
سوريا	٧،٠	٢،٥	٠،٥	٢٠،٠٪	٧١،٤
اسرائيل	٣،٣	٨،٧	٣،٧	٤٢،٥٪	١١٢،١!

لقد أقدمت السلطات الاسرائيلية في العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٤ على اتخاذ عدد من الاجراءات الاقتصادية تتلخص فيما يلي :

اولا : تخفيض قيمة العملة الاسرائيلية بنسبة ٤٣٪ بحيث أصبح سعر التعادل بين الدولار الامريكي والليرة الاسرائيلية ٦،٠٠ ليرات اسرائيلية لكل دولار . وهذا الخفض يعتبر أكبر ما أقدمت عليه الحكومة الاسرائيلية حتى الان علما بأن هذه هي المرة الثامنة التي تخفض بها اسرائيل عملتها .

ثانيا : منع استيراد ثلاثين سلعة « كمالية » لمدة ستة اشهر على ان يعاد النظر في القرار بعد انتهاء المدة المشار اليها .

ثالثا : رفع التعرفة الجمركية بمقدار ١٥٪ على كافة السلع المستوردة وكذلك زيادة التعرفة على الاغذية بمقدار ١٠٠٪ .

رابعا : تجميد الاسعار والاجور في محاولة يائسة لاحتواء التضخم المالي او على أحسن الاحتمالات تخفيض معدل الزيادة السنوي في الاسعار الذي وصل الى ٥٠٪ .

خامسا : زيادة معدلات الضريبة على ارباح الموجودات وعلى مؤسسات التأمين والمصارف التجارية لتمويل نفقات الدفاع المتزايدة .

ان هذه الاجراءات تهدف الى تحقيق جملة من الاهداف الاقتصادية . ويأتي في طليعة هذه الاهداف تحسين وضع الاحتياطي من العملات الاجنبية الذي تدنى بشكل خطير خلال الاشهر الماضية اذ هبط الى (٨٠٠) مليون دولار وهو مبلغ بالكاد يستطيع تمويل ما قيمته شهرين من الواردات الاسرائيلية . الهدف الثاني هو محاولة تحسين الوضع التنافسي للسلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية بعد ان امتص الغلاء الرهيب أية « ميزة نسبية » كانت تتمتع بها السلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية . ويقدر العجز حاليا بـ ١،٨ بليون دولار وهذا أعلى رقم في تاريخ اسرائيل الاقتصادي .

أما الهدف الثالث لهذه الاجراءات التقشفية فهو محاولة الحد من حالة الانفلات الاستهلاكي الذي بدأ يمارسه المستهلك في اسرائيل بعد سنين طويلة من الحرمان

والترقب والامل بأن هذه الحالة الشاذة التي يعيشها انما هي فترة عابرة وان السلام قادم لا محالة . ولما فشلت كافة الوسائل القسرية من رفع معدلات الضريبة الى فرض القروض الاجبارية ، بدأت السلطات الاسرائيلية تلجأ الى محاولات « الاقناع النفسي » Moral Suasion بقصد اقناع المستهلك بتخفيض حجم استهلاكه تلقائيا حتى يساهم في عملية انقاذ الاقتصاد الاسرائيلي من التردي والتفكك . ويجب الاعتراف في هذا السياق بأن هنالك حالات قليلة في الشواهد التاريخية الاقتصادية التي مارس فيها السكان التقشف بمثل ما مارس به الاسرائيليون ذلك ، غير ان هنالك حدودا لا يستطيع أي فرد ان يتخطاها بالنسبة للمدى الذي يستطيع فيه ان يصبر على الايام العصيبة .

لقد اختلفت الصورة الان عما كانت عليه في العشرين عاما الماضية . فالبلدان العربية ، الان ، هي مصدر الطاقة ومصدر الثروة ومحط أنظار حتى الدول الصناعية كالولايات المتحدة واوروبا واليابان . لذلك فان محاولة اسرائيل الاستمرار في موقفها السياسي الراهن والاعتماد على مصادر المساعدات الخارجية لدعم هذا الموقف لن تعيش طويلا. فالولايات المتحدة تعاني الان من كساد وتضخم في آن واحد وهو ما يشار اليه باسم Stagflation حيث يتواجد الكساد الى جانب التضخم ، وهي ليست في وضع يمكنها من مد يد المساعدة وبدون قيود الى اسرائيل. واسرائيل لن تستطيع ان تعيش الى ما لا نهاية في اجواء التقشف التي تعيشها حتى الان حيث وصلت معدلات الضريبة الى ما يشبه المصادرة الكاملة ، والموارد البشرية والمادية هي في جانب العرب أكثر منها في جانب اسرائيل، والعمل الفدائي في نمو مستمر والشخصية الفلسطينية أصبحت واضحة المعالم ، لذلك فان الخيارات المتاحة امام اسرائيل تكاد تكون معدومة ولعل اكثرها سلامة هو اعادة النظر بكافة منطلقاتها .

---

١ ــ أنظر الياهو كونونسكي ، **الآثار الاقتصادية لحرب الايام الستة** (نيويورك ، شركة برايجر للنشر ، ١٩٧٠) ، ص ٤٢٠ .

٢ ــ مجلة « **اسرائيل ايكونوميست** » ، عدد يناير ــ فبراير ، ١٩٧٤ .

٣ ــ مركز الابحاث الفلسطيني ، **رصد اذاعة اسرائيل** ، العدد ٥٤٣ في ١٩٧٤/٥/٢٥ ، ص ٦٢١ ــ ٦٢٥ .

الرساميل الاجنبية والمناطق المحتلة : عاملان حيويان في الاقتصاد الاسرائيلي

انطوان منصور

تحاول هذه الدراسة معالجة السياسات الاقتصادية الاسرائيلية وتطورها ونتائجها خلال الفترة ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤ في ميدانين : جذب الرساميل الاجنبية واستغلال المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ . لقد تم اختيار هاتين الزاويتين من الاقتصاد الاسرائيلي نظرا لان الرساميل الاجنبية تحدد الى حد بعيد وتيرة التطور الاقتصادي كما انها العمود الاساسي في تكوين الاقتصاد الاسرائيلي . وسنعالج دراسة الرساميل من عدة جوانب: تأثيرها على الركود الاقتصادي الاسرائيلي خلال الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ ، الضمانة التي وفرها الاقتصاد الاسرائيلي لهذه الرساميل ، وتأثيرها على القطاع الخاص . وسيتبين من هذه الدراسة مدى ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بالبنيــة الاقتصاديــة الاميركية وزيادة اعتماده عليها .

كما يمكن القول بأن احتلال اراض عربية عام ١٩٦٧ شكل نقطـــة تحول بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي ومكن اسرائيل من الخروج من ازمتها الخانقة خلال الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ . وحققت اسرائيل ، من خلال هذا الاحتلال ، هدفها الجزئي ، وهو فك الحصار العربي جزئيا الذي أتاح لها تسويق بضائعها في هذه المناطق واستغلالها . لذلك سنعالج سياسة اسرائيل الاقتصادية في الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تتلاءم وهدفها النهائي : السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية .

الاستثمارات الاجنبية

١ ـ الاستثمارات الاجنبية ومرحلة الركود في الاقتصـــاد الاسرائيلي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ :

تشير الاحصائيات الاسرائيلية المختلفة الى ان الوضع الاقتصادي الاسرائيلي تحسن بكثير بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وخرجت اسرائيل من أزمتها التي عانت منهـــا خلال الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ . اتسمت هذه الازمة بزيادة البطالة وتدنـــي في مستـــوى المعيشة وخفض الانتاج . وكان سبب الركود الاقتصادي حينذاك وهو الركود الاول منذ قيام اسرائيل ، انخفاض التمويل الخارجي من مساعدات وقروض واستثمارات . وبلغ العجز في ميزان المدفوعات ذروته بعد أن كانت اسرائيل تغطي هـــذا العجز بواسطة التحويلات (من مساعدات واستثمارات بقروض) . وجاء الركود نتيجـــة التناقض الذي يعيش فيه النظام الرأسمالي الاسرائيلي ، فمن اجل تخفيض العجز في ميزان المدفوعات ، اقرت اسرائيل في بداية عام ١٩٦٥ عدة قيود على سياستها النقدية ووضعت حدا لنمو الاعتمادات المالية والمشاريع الاقتصادية ، الا ان ذلك ادى الـــى زيادة كبيرة في البطالة التي بلغت اكثر من ١٠ ٪ من القوة العاملة الاسرائيلية(١) عشية

حرب حزيران ، وبالتالي الى تخفيض القوة الشرائية للمستهلك . هذا وفي حين كان نمو الناتج القومي الاجمالي مرتفعا في السابق ، هبط الى ٨٫٢ ٪ عام ١٩٦٥ والى ٦ ٪ عام ١٩٦٦ والى ١٫٢ ٪ عام ١٩٦٧(٢).

وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى ان الاستثمارات الاجنبية عرفت هبوطا ملحوظا ابتداء من عام ١٩٦٥ . في حين كانت مستمرة في الارتفاع في السابق حيث بلغت ١٥٦٫٧ مليون دولار عام ١٩٦٤ ، انخفضت الاستثمارات الاجنبية الى ٩١٫٨ مليون دولار عام ١٩٦٥ والى ٢٤٫٨ مليون دولار عام ١٩٦٧ (انظر الجدول).

وازدادت الازمة الاقتصادية بتوقف التعويضات الالمانية عام١٩٦٦ وتدني المساعدات الخارجية ، خاصة من الجاليات اليهودية . وانخفضت التحويلات (من جانب واحد) الى اسرائيل من ٣٣٤٫٩ مليون دولار عام ١٩٦٤ الى ٢٩١٫٩ مليون دولار عام ١٩٦٦(٣).

كيف واجهت اسرائيل الازمة الاقتصادية الحادة ؟ تكمن الازمة في طبيعة الاقتصاد الاسرائيلي نفسه المبني على نهب الموارد الطبيعية للاراضي الفلسطينية وفي طبيعة الكيان الصهيوني الذي خلقته الامبريالية ليلعب دور الشرطي في المنطقة ، لقد استطاع الاقتصاد الاسرائيلي الخروج من أزماته منذ تكوين اسرائيل حتى اليوم بفضل الاعتماد على الرساميل والمساعدات الاجنبية . وكان لا بد لاسرائيل التي تعيش في عزلة تامة نتيجة المقاطعة العربية ، للحيلولة دون وقوع اقتصادها المصطنع في انهيار ، ان تشن عدوانا شاملا على الامة العربية عام ١٩٦٧ باحتلال اراضي جديدة (الضفة الغربية وسيناء والجولان) وبالتالي فتح أسواق جديدة امام بضائعها واستغلال الموارد الطبيعية لهذه الاراضي . ان أي نظام رأسمالي لا يمكن له العيش في عزلة ، فطبيعته تتطلب منه ، على الدوام ، التوسع وان كان بالقوة ، على حساب المناطق المتخلفة .

٢ ــ الاستثمارات الاجنبية وضماناتها :

واثر حرب حزيران ١٩٦٧ ، خفضت البطالة جزئيا وازدادت الاستثمارات الاجنبية التي فتحت لها مجالات عدة،خاصة في المناطق المحتلة التيتتوفر فيها اليد العاملة العربية الرخيصة . هذا وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى ارتفاع الاستثمارات الاجنبية الصافية من حدها الادنى عام ١٩٦٧ (٢٤٫٨ مليون دولار) الى ٤٦ مليون دولار عام ١٩٦٨ والى ١٤١٫٧ مليون دولار عام ١٩٧٢ . ويعني ذلك أن الاستثمارات تضاعفت أكثر من خمسة امثال خلال الفترة ١٩٦٧ ــ ١٩٧٢ .

وقد حصل الارتفاع الهائل للاستثمارات الاجنبية بعد حرب ١٩٦٧ بفضل الضمانات التي وفرتها اسرائيل للرساميل الاجنبية الهادفة الى تحقيق اقصى الربح في المدى القصير كما في المدى الطويل . واخذت هذه الضمانات شكلين رئيسيين ، الاول ، ضمانات قانونية والثاني ضمانة سياسية .

أ ــ **الضمانة القانونية** : دفع الركود الاقتصادي الكبير الذي شهدته اسرائيل في الفترة ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ والمجالات الاقتصادية الضخمة المتوفرة بعد حرب ١٩٦٧ ، دفع الحكومة الى اجراء تعديل هام على قانون « تشجيع استثمار رأس المال » في عام ١٩٦٧ . وقد منحت للمستثمرين الاجانب امتيازات كبيرة منها التخفيض او الاعفاء من الضريبة ومساعدات وقروض . كما سمح لهم القانون باخراج كل ارباحهم من اسرائيل واسترداد الرأسمال المستثمر بكامله بعد فترة من الزمن . والجدير بالذكر ان هذا القانون صدر عام ١٩٥٠ بهدف تشجيع وتنظيم استثمار الرساميل المحلية والاجنبية في

قطاعات وفروع اقتصادية محددة . وشهد هذا القانون تطورا خلال الفترة ١٩٥٠ — ١٩٧٠. اذ أعيد النظر فيه عام ١٩٥٩ وعرف عدة تعديلات جرى الهـام منها عـام ١٩٦٧(٤).

ب — **الضمانة السياسية** : الا ان المستثمرين الاجانب يطالبون قبل كل شيء بوضع سياسي ملائم يتيح لهم استثمار الرساميل دون أية مخاطرة . وكـان المستثمرون يهدفون ، من خلال استثمار اموالهم في اسرائيل ، استغلال المنطقة العربية بشروط أفضل ولو على المدى البعيد . ففي الفترة ١٩٦٥ — ١٩٦٧ ، لم تكن هناك أزمـة اقتصادية فحسب ، بل أيضا وضع سياسي غير مستقر في منطقة الشرق الاوسط تميز بصعود حركة التحرر العربية (خاصة في مصر وسوريا) عموما وبداية تحرك الشعب الفلسطيني خاصة . وتتوافق هذه الفترة مع بدء حركة التحرير الوطني الفلسطيني — فتح — بالعمليات العسكرية ضد اسرائيل وبروز بوادر الشخصية الفلسطينية . ومما أعـاد الثقـة بالاقتصاد الاسرائيلي في أوساط المستثمرين الاجانب ، الانتصـار الاسرائيلي الساحق في حرب حزيران١٩٦٧ واحتلال مناطق عربية وفلسطينية واسعة. لقد شكل هذا الانتصار الضمانة السياسية للمستثمرين الاجانب ، وهذه الضمانة هي اهم بكثير من الضمانة القانونية .

الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل ، ١٩٦٤ — ١٩٧٢

(بملايين الدولارات)

	مجموع الاستثمارات	الاستثمارات الصفاة	اعادة استثمار الارباح	مجموع الاستثمارات الصافية
١٩٦٤	١٦٩،٤	١٧،١ —	٤،٤	١٥٦،٧
١٩٦٥	١١٤،٩	٢٧،٩ —	٤،٨	٩١،٨
١٩٦٦	١٠٤،٣	٢٧،٠ —	٥،٢	٨٢،٥
١٩٦٧	٥١،٦	٣١،١ —	٤،٣	٢٤،٨
١٩٦٨	٥٥،٣	٣٢،٧ —	٤،٠	٢٦،٦
١٩٦٩	٧٤،٥	٣٣،٧ —	٥،٢	٤٦،٠
١٩٧٠	٧٦،٦	٢٧،٨ —	٥،٢	٥٤،٠
١٩٧١	١٤٨،٢	٣٣،٠ —	٥،٦	١٢٠،٨
١٩٧٢	١٨٣،٣	٤٧،٥ —	٥،٦	١٤١،٧

المصدر : Bank of Israel, Annual Report, 1970, 1972

٣ — الاستثمارات الاجنبية والقطاع الخاص :

تشير الفترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى الاعتماد الاسرائيلي المتزايد علـى الرساميل الاجنبية وبالتالي الى تراجع القطاعين العام والهستدروت لصالح القطاع الخاص المرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الراسمالي العالمي . هذا لا يعني ان القطاعين العام والهستدروت لا يعتمدان على الخارج ، بل أن هذا الاعتماد يجري بطريقة غير مباشرة من خلال المساعدات المتأتية من الجاليات اليهودية والولايات المتحدة الامريكية الى الحكومة الاسرائيلية .

لقد ادى احتلال اراض جديدة وتوسيع السوق الاسرائيلية الى ازدياد حاجة الاقتصاد الاسرائيلي الى هذه الرساميل . فدعت الحكومة الاسرائيلية رجال الاعمال اليهود وغيرهم في الخارج الى عقد مؤتمر في القدس في نيسان عام ١٩٦٨ لبحث الامكانية المتاحة لاستثمار الرساميل في اسرائيل . فقد قرر هذا المؤتمر الذي ضم اكثر من ٧٠ مليارديرا ، معظمهم من اميركا الشمالية ، استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . كما قرر المؤتمر انشاء شركة استثمار دعيت بـ « اسرائيل كوروبريشن » مهمتها تنسيق وانجاز استثمارات الرأسماليين الاجانب في اسرائيل .

وتطرق المؤتمر الى موضوع الضمانات التي تقدمها الحكومة الاسرائيلية الى القطاع الخاص وطالب بأن يلعب القطاع العام دور الشريك فقط على غرار اصحاب المؤسسات الخاصة وان يتقلص تأثير قطاع الهستدروت على الاقتصاد . وتجدر الاشارة هنا الى أن الناتج القومي الصافي كان يتوزع عام ١٩٦٠ حسب القطاعات على النحو التالي : ٥ر٥٨ ٪ للقطاع الخاص و٢١،١ ٪ للقطاع العام و٢٠،٤ ٪ لقطاع الهستدروت(٥). وشكا الرأسماليون ، خلال المؤتمر ، من العوائق التي يخلقها وجود قطاع الهستدروت والقطاع العام امام توسع اعمالها ، مما دفعها لرهن الاستثمار بعدد من الشروط اهمها تخفيف اثر هذين القطاعين في الاقتصاد . والمثال على ذلك هو ما قاله الملياردير الكندي ، آلان بروفمان ، اذ طرح الاسئلة التالية : « هل يوجد تضييق على نمو الاعمال الخاصة ؟ هل تفسح النقابات العمالية المجال امام الاستثمارات الخاصة لتحصيل الارباح ؟ هل توجد افضليات للمؤسسات العامة او للمؤسسات التي تديرها الدولة ، بحيث يستطيع القطاع الخاص المنافسة وتأمين مدخول مرضي » ؟(٦).

هذا وبعد حرب ١٩٦٧ ، وبالتحديد بعد مؤتمر الملياردير عام ١٩٦٨ ، نمت الاستثمارات الخاصة (الاجنبية بشكل خاص) على حساب قطاع الهستدروت والقطاع العام . ومن جهة اخرى ، تقلصت ملكية الدولة في الاقتصاد باستمرار منذ ١٩٦٧ واصبحت عدة مشروعات رئيسية واساسية تحت سيطرة القطاع الخاص والرأسمال الاجنبي . فقد قامت الدولة في عام ١٩٧٠ ببيع ٢٦ ٪ من أسهم مصفاة حيفا و ٥٠ ٪ من اسهم « الشركة الوطنية للملاحة » — « تسيم » — الى شركة « اسرائيل كوربوريشن » التي يسيطر عليها الرأسمال الاجنبي(٧). وفي عام ١٩٧٣ ، سمحت الدولة لـ « اسرائيل كوربوريشن » بزيادة حصتها في مصفاة حيفا الى ٥٠ ٪ (٨). كما بيعت كليا او جزئيا منذ عام ١٩٦٧ عدة مشروعات عامة او شبه عامة لشركات اجنبية واهم هذه المشروعات : شركة باز للنفط ، ستيل سيتي (مدينة الفولاذ) في عكا ، خط أنابيب ايلات — عسقلان وشركة راسكو للبناء(٩). وتزايدت سيطرة الرأسمال الاجنبي على القطاع المصرفي وعلى شركات الاستثمار الاسرائيلية . فقد تقلصت مساهمة الدولة الاسرائيلية في بنك الانماء الصناعي الذي يلعب دورا بالغ الاهمية في تمويل المشروعات الصناعية ، من ٩٣ ٪ عام ١٩٥٨ الى ٥٤ ٪ عام ١٩٦٧(١٠). واصبح هذا البنك تحت سيطرة المستثمرين الاجانب . اما فيما يتعلق بشركات الاستثمار الاسرائيلية (الاسرائيلية بالاسم) . فتهيمن عليها الرساميل الاميركية ، مثل الشركات التالية : Ampal, Pec Israel, Israel Investor Corp., & Israel Development Corp. وبلغت قيمة المشاريع التي باشرت بها شركات امريكية في عام ١٩٦٩ مبلغا قدره ١٠٦ ملايين دولار(١١).

أما فيما يتعلق بقطاع الهستدروت ، فقد انخفض نصيبهما في صافي الانتاج بين

عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧٠ ، من ٢١،٤ ٪ الى ١٨،٩ ٪ . وكان الانخفاض في بعض القطاعات على النحو التالي : في الصناعة من ١٩،٥ ٪ الى ١٦،٤ ٪ ، في البناء من ٢٨،٩ ٪ الى ٢٢،٤ ٪ وفي النقل من ٢٤،٥ ٪ الى ٢٠،٧ ٪(١٢). هذا والزم الهستدروت ببيع جزء او كامل حصصه في عدة مشروعات الى شركات اجنبية او الاشتراك مع هذه الشركات في مشاريع جديدة . وعلى سبيل المثال ، عرض شارل كلور ، رجل الاعمال البريطاني ، الذي يملك شركة الكترونية ضخمة (تلكو) في انكلترا ، عرض دمجها مع شركة تلراد التابعة لشركة « كور » الاسرائيلية ووزارة الدفاع(١٣). ان اتجاه اشراك الشركات الاجنبية بمؤسسات الهستدروت قد عبر عنه ممثل الهستدروت ، اشير يدلين، اثناء مؤتمر المليارديرات ، اذ قال : « ان حفرات عوفديم (التابعة للهستدروت) تتطلع باهتمام لاقامة الصلة مع رجال الاعمال الاجانب بغية جذب الاستثمارات الاجنبية »(١٤). هذا وبين المشاريع المقدمة من قبل الهستدروت للمؤتمر الاقتصادي ، توجد عروض حول توسيع فنادق موجودة في ايلات (فندق ايلات) وفي القدس (فندق « موريه ») وكذلك بناء فنادق جديدة في منطقة تل ابيب — وقدر نصيب مساهمة الرأسماليين الاجانب في هذا المشروع السياسي بـ ٥٠ ٪(١٥). كما باعت شركة « كور » والشركة المركزية في عام ١٩٧١ مصالحها في شركة الباصات الانكليزية « ليلند »(١٦).

المناطق المحتلة

علقت اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ أهمية خاصة للمناطق المحتلة بهدف : استغلال هذه المناطق ونهبها (استخدام اليد العاملة العربية الرخيصة ، واستغلال الموارد الطبيعية ...) ، ربط اقتصادها بالاقتصاد الاسرائيلي ، استخدام المناطق المحتلة لنفاذ البضائع المصنعة الاسرائيلية الى الدول العربية .

لقد حدد تقرير لوزارة الدفاع الاسرائيلية حول « التطور والوضع الاقتصادي في يهودا والسامرة وقطاع غزة وشمال سيناء » طبيعة العلاقة بين اسرائيل والمناطق المحتلة على النحو التالي : تعتبر هذه المناطق سوقا مكملا للبضائع والخدمات الاسرائيلية من ناحية ، ومصدر عوامل انتاجية ، خاصة اليد العاملة ، للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية اخرى »(١٧).

١ — صادرات وواردات المناطق المحتلة :

تبنت اسرائيل ، بالنسبة للمناطق المحتلة ، سياسة « الجسور المفتوحة » التي هي جسور مفتوحة باتجاه واحد ، اي السماح للضفة الغربية وغزة بالتصدير للضفة الشرقية والدول العربية ، ومنعها من الاستيراد من هذه الاخيرة الا بعد سماح من سلطات الاحتلال . ويقول تقرير لوزارة الدفاع الاسرائيلية : « في الواقع ، ان حرب الايام الستة قد ادت الى ازالة « الخط الاخضر » الذي كان يفصل اسرائيل عن المناطق التي تديرها حاليا ومن المحتم والطبيعي ان تعتمد هذه المناطق الآن على اسرائيل في كل الخدمات والمسائل الاقتصادية »(١٨). هذا وازداد اعتماد الاراضي المحتلة الاقتصادي على اسرائيل خلال السنوات الاخيرة . فقد قفزت وارداتها من اسرائيل من ١٨٧،٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ٥٤٤،٢ مليون ليرة عام ١٩٧٢ ، اي انها استوردت من اسرائيل ٧٦،٥ ٪ من مجمل حاجاتها عام ١٩٦٨ و ٨٤،١ ٪ عام ١٩٧٢ . وتشير الاحصائيات الاسرائيلية الى أن هذه الواردات تتكون بشكل رئيسي من البضائع المصنعة . ففي عام ١٩٦٨ ، كان ٧٣،٣ ٪ من واردات المناطق المحتلة من اسرائيل بضائع مصنعة وارتفعت هذه النسبة تدريجيا حتى بلغت اكثر من ٨٤ ٪ عام ١٩٧٢(١٩).

ولا يستغرب ، من جهة أخرى ، أن صادرات المناطق المحتلة الى اسرائيل هي ، بشكل خاص ، منتجات مصنعة اذ قفزت هذه الاخيرة من ٤ر٣٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ٤ر١٣٣ مليون ليرة عام ١٩٧٢ ، أي انها ارتفعت من ٢ر٦٤ ٪ الى ٨ر٨٤ ٪ بالنسبة لمجمل الصادرات الى اسرائيل . ويبدو من هذه الارقام ان اسرائيل قد أقامت عدة صناعات ومشروعات في المناطق المحتلة حيث اليد العاملة العربية رخيصة ومتوفرة .

غير ان صادرات المناطق المحتلة الى اسرائيل شكلت ٦ر٤٦ ٪ من مجمل صادراتها عام ١٩٧٢ ، وتتوزع بقية الصادرات بين الاردن (٩ر٣٥ ٪) ودول اخرى (٥ر١٧ ٪)(٢٠).

٢ ــ سياسة اسرائيل الاقتصادية في المناطق المحتلة :

تهدف اسرائيل الى ربط المناطق المحتلة اقتصاديا بها ودمجها في اطار الاقتصاد الاسرائيلي . وباشرت منذ عام ١٩٦٧ بتنفيذ خططها الاقتصادية في القطاعين الصناعي والزراعي .

ففي قطاع الصناعة ، تعمل في اتجاهين :

١ ــ انشاء صناعات تحويلية تعتمد على مواد أولية او نصف مصنعة مصدرها اسرائيل تضيف اليها الصناعة المحلية من فائض القيمة وتعود فتصدرها الى اسرائيل نفسها . والهدف هنا هو بالاضافة الى ربط المناطق المحتلة باسرائيل ، تحقيق أرباح مرتفعة نتيجة تدني اجور اليد العاملة العربية . وعلى سبيل المثال ، تشير الاحصائيات الاسرائيلية الى أن الضفة الغربية استوردت من اسرائيل عام ١٩٧٢ ، بقيمة ٩٧ر٦١ مليون ليرة اسرائيلية من منتجات النسيج ، ثم صدرت الى اسرائيل بقيمة ٤٧ر٤٥ مليون ليرة من هذه المنتجات(٢١). وتظهر هذه الارقام بوضوح أكثر عندما نقارنها بأرقام السنة السابقة حيث لم تستورد الضفة الغربية الا بقيمة ٤٥ر١٦ مليون ليرة ثم صدرت الى اسرائيل بقيمة ٦٠ر٢٥ مليون ليرة (تجدر الاشارة هنا الى أن معظم تبادل هذه المنتجات يجري مع اسرائيل)(٢٢).

٢ ــ انشاء صناعات تحت سيطرة شركات اسرائيلية مباشرة أو بطريقة غير مباشرة (امتلاكها للخبرة أو لرؤوس الاموال أو للآلات) وتعمل هذه الصناعات على انتاج بضائع تحتاج اليها اسرائيل او معدة للتصدير للاسواق العربية بعد اخفاء هويتها الاسرائيلية .

هذا وقد شهدت الاستثمارات في المناطق المحتلة تطورا هاما . فأعلنت الحكومة الاسرائيلية في آب ١٩٦٩ عن قرار تقدم بموجبه مساعدات للاستثمار الاجنبي والمحلي في المناطق المحتلة ، بما في ذلك الاعفاء الضريبي وضمانات الامن وأسعار مخفضة للمواد الاولية(٢٣). وتم في تشرين الاول ١٩٧٣ توسيع قانون « تشجيع استثمار رأس المال » حيث شمل المناطق المحتلة وأعطيت امتيازات جديدة للمستثمرين في هذه المناطق . ومن أهم هذه الامتيازات ، امكانية حصول كل مشروع جديد على قرض قدره ٥٠ ٪ من قيمة الرأسمال المستثمر ، كما يعفى المستثمر من ضريبة الدخل لمدة خمس سنوات .

وقد تضاعفت الاستثمارات في المناطق المحتلة في عام ١٩٦٩ بالنسبة للسنة السابقة ، اذ بلغت قيمتها ٦٧٠ مليون ليرة اسرائيلية ، منها النصف تقريبا مساهمة من الدولة الاسرائيلية . ففي قطاع غزة مثلا ، كان أكثر من ٠٠٠ر١ عامل في عام ١٩٧٠

يستخدم في صناعات تعمل لحساب شركات اسرائيلية فقط . ومن ناحية أخرى ، عرفت الصناعه في القطاع تطورا هاما اذ بلغ عام ١٩٧٠ عدد المعامل ٥٣٥ تستخدم ٠٣٠ر٤ عاملا في حين لم يكن هذا العدد الا ٣٥٠ تستخدم ٧٠٠ر٢ عامل(٢٤). وتوجد في غزة ، ٨ معامل نسيج تعمل بآلات حديثة اسرائيلية الصنع ، كما توجد ٦ معامل لخياطة بعض الالبسة تعمل لمصلحة مؤسسات اسرائيلية . ويتبين ذلك في عدد العاملين في قطاع الالبسة والخياطة حيث ارتفع من ٥٠ عاملا في نيسان عام ١٩٦٨ الى ٥٠٠ في أيلول عام ١٩٦٩ . وشهدت صناعة السجاد نموا هاما بعد ١٩٦٧ نتيجة حاجات اسرائيل المتزايدة لهذه المنتجات . ففي عام ١٩٧٠ ، كان يوجد في غزة ٢٥ مصنعا لانتاج السجاد يعمل معظمهم بمساعدة الخبراء الاسرائيليين ، في حين لم يكن هناك الا ٩ مصانع قبل عام ١٩٦٧ (٢٥).

وفي الضفة الغربية ، استخدمت اليد العاملة الرخيصة لتوفير طلبات الصناعة الاسرائيلية . ففي عام ١٩٦٩ ، كان يعمل ٩ ٪ من قوى عمل الضفة الغربية في صناعات تابعة لاسرائيل(٢٦). وعرفت صناعة النسيج والاقمشة والمفروشات تطورا سريعا في الضفة . فقد اكد تقرير لصحيفة الجيروزاليم بوست « ان محلات الخياطة تندفع للقيام بأعمال لشركات عطا وركس وبربير والاستيك وغيرها . وتتم العقود من قبل معامل الاثاث : فقد حجز معمل رامات في اللد طلبيات من شركات في نابلس وبيت لحم . وكانت شركة اسرائيلية تخطط لبناء مصنع « فرشات » خاص بهـا ، ولكنها عوضا عن ذلك قدمت طلبيات من معمل في الضفة الغربية بلغت قيمتها ٠٠٠ر٤٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ وستضاعف هذه الكمية في عام ١٩٧٠ »(٢٧). هذا وقد ارتفعت قيمة العمل الملحق بالصناعة الاسرائيلية والذي تنجزه معامل الضفة الغربية من ٠٠٠ر٨١٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ٠٠٠ر٨٠٠ر٣ ليرة عام ١٩٧٠(٢٨).

وفي الزراعة ، تهدف الخطة الاسرائيلية في المناطق المحتلة الى التقليل من اعتماد الزراعة على الاسواق العربية وتحويل بعض المنتجات الزراعية حسب حاجات اسرائيل . ومن الاهداف التي رسمتها وزارة الزراعة الاسرائيلية في الضفة والقطاع : ادخال وتوسيع بعض أنواع المنتجات كالتبغ والسمسم التي يحتاج اليها الاقتصاد الاسرائيلي ، ادخال المحاصيل الصالحة للتصدير .

هذا وارتفعت مساحة الاراضي المنتجة للسمسم من ١٨ الف دونم عام ١٩٦٨ الى ٣٦ الف دونم عام ١٩٦٩(٢٩). أما الاراضي المزروعة بالتبغ ، فقفزت مساحتها من ٥٠٠ر٤ دونم عام ١٩٦٩ الى ٠٠٠ر١٢ دونم عام ١٩٧٠ . وفي حين يزداد انتاج المحاصيل التي تحتاجها اسرائيل ، انخفض انتاج البطيخ من ٣٦ الف طن عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ الى ١٤ الف طن عام ١٩٧٠ — ١٩٧١(٣٠).

اما بالنسبة **لاستخدام اليد العاملة** العربية في اسرائيل ، فقد أصبح عاملا حيويا للاقتصاد الاسرائيلي . وتشير الاحصائيات الى أن اسرائيل قد لا تستطيع التخلي عن هذه الايدي العاملة الرخيصة التي تستخدم في قطاعات اقتصادية محددة . فأكثر من ٢٥ الف عامل عربي عملوا في قطاع البناء في عام ١٩٧٢ ، اي ما يساوي ٥٠ ٪ من مجمل العمال العرب العاملين في اسرائيل . كما ان ٩٥ ٪ من مجمل اليد العاملة في قطاع البناء في اسرائيل هم من العرب .

هذا وقد ازداد عدد عمال المناطق المحتلة في اسرائيل من ٩ آلاف عام ١٩٦٩ الى ٥٠ر٨ الفا عام ١٩٧٢ ، ويقدر عدد العمال اليوم بأكثر من ٧٠ الفا(٣١).

اعتماد اسرائيل المتزايد على المساعدات الامريكية ١٩٦٧ ـ ١٩٧٤

لم تكن حرب ١٩٦٧ العامل الوحيد الذي ادى الى ازدياد المساعدات والقروض الامريكية الى اسرائيل . كان هنالك عامل حاسم هو تصاعد الكفاح المسلح الفلسطيني وحرب الاستنزاف العربية . لقد شهدت المساعدات ارتفاعا هائلا خلال السنوات الاخيرة ، لم يسبق لها مثيل منذ قيام اسرائيل . فقد حصلت اسرائيل من الولايات المتحدة على شكل مساعدات وقروض ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٢ حوالي ١٨٢ر١ مليون دولار أي ما يزيد على ما تلقته طوال عشرين عاما من الولايات المتحدة من ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ ، اي حوالي ١٧٤ر١ مليون دولار(٢٢). كما يظهر بوضوح اكثر اعتماد الكيان الصهيوني المتزايد على الولايات المتحدة الامريكية بتغير تركيب التحويلات المالية من الخارج الى اسرائيل . فقبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، كان أكثر من ٧٠ ٪ من المبالغ التي حصلت عليها من الخارج على شكل مساعدات وهبات . أما اليوم ، ومع تزايد النفقات العسكرية التي يتطلبها الوضع في المنطقة ، بلغت القروض حوالي ٥٠ ٪ من مجمل الرساميل الاجنبية(٢٣). وحصلت اسرائيل على معظم هذه القروض من الامبريالية الامريكية التي قدمت لها في العام ١٩٧٠ قرضا بقيمة ٥٠٠ مليون دولار ، في حين لم تتلق منها الا ٩٢ مليون دولار عام ١٩٦٩ (٢٤).

وأكدت حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ارتباط اسرائيل ارتباطا دقيقا بالامبريالية الامريكية واعتمادها اعتمادا كليا عليها . ان الضربة التي وجهت للامبريالية الامريكية والكيان الصهيوني في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ جعلت الولايات المتحدة تستأنف مساعداتها الضخمة لاسرائيل لتغيير موازين القوى لصالحها في المنطقة . ولا يمكن لكل التحركات الامريكية في المنطقة العربية أن تخدع القوى الثورية الفلسطينية والعربية ، فالمساعدات الامريكية الهائلة لاسرائيل بعد حرب أوكتوبر هي بمثابة اعادة الهيمنة العسكرية في المنطقة للكيان الصهيوني . لقد حصلت اسرائيل بعد حرب تشرين الاول على ٢ر٢ مليار دولار لتمويل شراء الاسلحة ، منها مليار ونصف مليار على شكل منحة والبقية كقروض ، اي ما يوازي تقريبا المساعدات والقروض التي تلقتها من الولايات المتحدة من ١٩٤٨ حتى ١٩٧٢ . وسيصل المبلغ الاجمالي للمساعدات الامريكية في نهاية الامر الى ٣ مليارات دولار تقريبا ، بما في ذلك المنح والقروض . وعلاوة على هذه المساعدات ، طلبت الحكومة الاسرائيلية من وزير المال الامريكي ، وليم سايمون ، اثناء زيارته لاسرائيل في تموز ١٩٧٤ ، تخصيص مبلغ مليار ونصف مليار دولار سنويا وفي صورة دائمة ، لتمويل مشتريات اسرائيل من الاسلحة من الولايات المتحدة(٢٥).

ومن جهة أخرى ، يبدو من الازمة الاقتصادية الخانقة الحالية في اسرائيل ، ان الاستثمارات الاجنبية قد هبطت بشكل ملحوظ بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . فالوضع الاقتصادي والسياسي في اسرائيل بعد الحرب الاخيرة، لا يمكن ان يشجع رجال الاعمال الاجانب على استثمار أموالهم في الكيان الصهيوني . لقد رأينا ان هؤلاء المستثمرين يطالبون بضمانة لاموالهم ، وترتكز هذه الضمانة ، قبل كل شيء ، على ضرورة تحويل ميزان القوى لصالح اسرائيل . ويتصور العدو الصهيوني اليوم بأن شن حرب جديدة على العرب هو بمثابة اعادة الثقة للمستثمرين الاجانب ! ولمواجهة الوضع الاقتصادي بعد حرب اوكتوبر ، ركزت اسرائيل ، اثناء زيارة سايمون ، على ضرورة تقوية التعاون الاقتصادي بينها وبين الولايات المتحدة ، عن طريق جذب الاستثمارات الاميركية . وبحث خلال الزيارة في مشروع لتشجيع هذه الاستثمارات بحجم واسع في اسرائيل . ولذلك تم الاتفاق على تشكيل ٤ لجان : الاولى للاستثمارات ، الثانية

للخبرة العلمية ، الثالثة للمواد الخام والرابعة للتجارة . كما اتفق على اقامة مجلس عام يمثل غيه كبـار خبراء الاقتصاد في الولايات المتحدة واسرائيل . وستؤلف كذلك « لجنة لدراسة الاوضاع الاقتصادية » ، يشترك فيها عشرة ممثلين عن كل جانب(٢٦). وقد وصف وزير المال الاسرائيلي ، رابينوفيتش أهميـة الاستثمارات الاميركية في اسرائيل بقوله : « انها تفتح أمامنا امكانات للتصدير ، لم نحلم بها ابدا . كما يحتمل ان تكون نقطة تحول حاسمة في جهازنا الاقتصادي »(٢٧).

الخاتمـة

بعد أن حققت هدفها المرحلي الاول وهو تكوين وتثبيت الدولة ، تهدف اسرائيل الى الخروج من عزلتها الاقتصادية . فالعالم العربي يشكل ، بالنسبة لها ، سوقا طبيعية تتيح لها تسويق بضائعها المصنعة واستغـلال الموارد الاقتصادية العربية . هـذا وباحتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة ، حققت اسرائيل هدفا جزئيا ، فهي تجني أرباحا عن طريق فتح أسواق جديدة لبضائعها المصنعة واستغلال الموارد الطبيعية في هذه المناطق ، بما في ذلك المواد الخام واليد العاملة العربية . كما يمكنها الاحتفاظ بهذه المناطق من نفاذ بضائعها الى الدول العربية .

وما تهدف اليه البورجوازية العالمية (الاميركية بشكل خاص) من خلال استثمار رؤوس أموالها في اسرائيل هو تكوين القاعدة الصناعيـة القادرة على خرق الاسواق العربية وجعل اسرائيل « ولايات متحـدة » جديدة في المنطقـة ، اي أن تلعب الدور نفسه الذي تلعبه الولايات المتحدة بالنسبة لبلدان اميركا اللاتينية . لقد عبر عن ذلك ابا ايبان عندما أعلن ان اسرائيل تطمح في اقامة علاقات مع جيرانها العرب « شبيهة بالعلاقات بين الولايات المتحدة وقارة اميركا اللاتينية »(٢٨). وفي حديث امام الامـم المتحدة عام ١٩٥٢ ، صور ابا ايبان نموذج التجارة التي قد تنشأ فيما لو رفع العرب الحظر وأقيم السلام : مواد خام من البلدان العربية — انتاج زراعي من سوريا ولبنان والاردن ، لحوم من العراق وقطن من مصر — يمكن شحنها الى اسرائيل التي بدورها تستطيع تصدير بضائع مصنعة الى البلدان العربية(٢٩). الا ان هذا السلام الذي تطالب به اسرائيل اليوم هو بعيد من ان يحصل بسبب التناقض الكبير الذي مـا زال بين المصالح الاقتصادية العربية وخاصة مصالح الانظمة الوطنية التي تريد المحافظة على سوقها وبين مصالح الكيان الصهيوني .

---

١ — *U. S. News and World Report* ، ١٩٦٧/٤/١٧ ، ص ٧٣ .

٢ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ .

٣ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٧٢ .

٤ — انظر الى دراسة انطوان منصور حول « سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل » ، **شؤون فلسطينية** رقم ١٥ ، ص ١٠٢ .

٥ — Haim Barkai, *The Falk Project for Economic Research in Israel*, Six Report 1961-63, Jerusalem, Centrall Press, 1964.

٦ — *Israel Economist*, May 1971, p.83

٧ — **جيروسالم بوست** ، النشرة الاسبوعية ، ١٩٧٠/٣/٢ .

٨ — *Israel Economist* ، ١٩٧٢ ، ص ٧٥ .

٩ — **جروسالم بوست** ، النشرة الدولية ، ١٣ شباط و٣ تشرين الاول ١٩٧٢ .

١٠ — التقرير السنوي ، بنك اسرائيل للانمـاء الصناعي ، ١٩٦٧ .

١١ — التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٨ ، ص ٧١ .

١٢ — **جروسالم بوست** ، النشرة الدوليـة ، ١٩٧٢/٣/٢١ .

١٣ ـ **اسرائيل اكونوميست** ، ايار ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .
١٤ ـ **المصدر نفسه** .
١٥ ـ **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .
١٦ ـ **المصدر السابق** ، شباط ١٩٧١ ، ص ٨٣ .
١٧ ـ وحدة تنسيق النشاط في المناطق المدارة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **التطور والوضع الاقتصادي في يهودا والسامرة وقطاع غـزة وشمال سيناء** ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ ، تشريـن الاول ١٩٧٠ .
١٨ ـ وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، حزيران ١٩٧٠ ، ص ٤ .
١٩ ـ *Statistical Abstract of Israel* ١٩٦٨ و١٩٧٢ .
٢٠ ـ **المصدر نفسه** .
٢١ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢ .
٢٢ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧١ .
٢٣ ـ ISRAC ، ايار ١٩٦٦ .
٢٤ ـ **اسرائيل اكونوميست**، كانون الثاني ١٩٧٠.
٢٥ ـ **المصدر نفسه** .
٢٦ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ص ٣١ ـ ٣٢ .
٢٧ ـ **جروسالم بوست** ، النشرة الاسبوعية ، ١٩٦٩/٢/٧ ، ص ٧ .
٢٨ ـ وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **اربع سنوات من الحكم العسكري** ١٩٦٧ ـ ١٩٧١ ، ص ٥٤.
٢٩ ـ *Statistical Abstract of Israel* ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ و١٩٧٠ .
٣٠ ـ **المصدر نفسه** .
٣١ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٦٩ و ١٩٧٢ .
٣٢ ـ السجل والتقرير العربي ، ١ ـ ١٥ آذار ١٩٧٢ ، ص ١٢٨ .
٣٣ ـ **جروسالم بوست** ، ١٩٧١/٢/٢ .
٣٤ ـ **جروسالم بوست** ، ١٩٧١/١/١١ .
٣٥ ـ **جروسالم بوست** ، ١٩٧٤/١١/٢٩ .
٣٦ ـ صحيفة **يديعوت احرونوت**، ١٩٧٤/٨/٢٣.
٣٧ ـ صحيفة **معاريف** ، ١٩٧٤/٨/٢٣ .
٣٨ ـ « القومية والامية في الشرق الاوسط » ، من مقتطفات ابا ايبان ، ص ١١١ .
٣٩ ـ « كتاب ازرق للسلام » ، **صوت اسرائيل** (نيويورك ١٩٥٧) ، ص ٧٦ .

تلك صورتها ..
وهذا انتحار العاشق

محمود درويش

وأريدُ أن أتقمَّص الأشجار :
قد كذب المساءُ عليه . أَشهدُ أنني غطّيتهُ بالصمت قرب البحر
أَشهدُ أنني ودّعتُهُ بين الندى والانتحار .

وأُريدُ أن أتقمَّص الأسوارَ :
قد كذب النخيلُ عليه . أشهد أنه وجد الرصاصةَ .. أنه أخفى الرصاصةَ
أنـه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار .

وأُريد أن أتقمص الحُرّاس :
قد كذب الزمانُ عليـه . أَشهد أنه ضد البدايةِ .. أنه ضد النهايةِ
كانت الزنزانةُ الأولى صباحاً

كانت الزنزانة الأخرى مساء
كان بينهما نهـــارْ .

وكأنـَّهُ انتحرَ
السماءُ قريبة من ساقهِ
والنحل يمشي في الدم المتقدّمِ
الأمواجُ تمشي في الصّدى
وكأنه انتحرَ
العصافيرُ استراحت في المدى
وكأنه انتحرَ
احتجاجاً
أو وداعاً
أو سدى .
وكأنه انتحرَ
الظهيرةُ لا تمرُّ .. ولا يمرُّ
كأنه انتحر
السماء قريبةٌ من ساقـهِ
والنحل يمشي في الدم المتقدّمِ
البركان يولد بين حبّات الندى .

والصوتُ أسودُ
كنتُ أَعرف ان برقاً ما سيأتي
كي أرى صوتاً على حجر الدجى .
والصوتُ أسودُ

كنتُ في أوج الزفافْ
الطائرات تمرُّ في عرسي
– كتبتُ –
وكنتُ أعرف أنّ برقاً ما سيأتي كي يعود المطربون الى ملابسهمْ
وإنَّ الطائرات تمرُّ في يومي
أنا المتكلّم الغائبْ
الطائرات تمرّ في عرسي
فاختزل الفضاءَ ، وأشتهي العذراءَ
إنَّ الطائرات تمرُّ في يومي وفي حُلمي تمرّ الطائرات فأشتهي ما يُشْتَهى
وأُحبّ قبل الحبِّ .
في زمن الدخان يضيء تُفّاحُ المدينة
تنزل الرؤيا الى الجدرانِ
في زمن الدخان يخبّيءُ السّجانُ صورته ..
رأيتُ رأيتُ عصفورين يحتّلان قُبّعةً
رأيت الذكريات تفرُّ من شُبّاك جارتنا
وتسقط في جيوب الفاتحين .
وأشتهي ما يُشتهى
والطائراتُ تمرّ
والزمن المُكَلّس ينتهي في الانهيارات
الأصابعُ ظلُّ ذاكرة على الجدرانِ
والدمُ نُطْفةٌ أو بذرةٌ
لا لون لي
لا شكل لي
لا أمس لي
إن الشظايا حاصرتني

فاتّسعْتَ الى الأمامِ
وصرتُ أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيدُ
أنا الشظايا و .. الهدايا

أرتديكِ ، وأخلع الأيامَ
لا تاريخ قبل يديكِ
لا تاريخ بعد يديكِ
سمّوكِ البديل
لأنّ لون الثورة احتلّ الكآبةَ
والغزاةُ يمشّطون يديكِ من آثار ظهري.
أرتديكِ ، وأخلع الأيامَ
سمّوكِ البديل
وبدّلوكِ
كأنّ أغنيةً تغيّر أو تطهّرُ أو تدمّرُ أو تفجّر .
هم يبحثون عن البكارة خندقاً
ويمارسون الغزو ضد الغزو في خلجان جسمكِ
أرتديك .. وأخلع الأيامَ
سمّوك البديلَ
وهم ضحاياكِ .
اتّسعْتُ الى الأمام ، وصحت بالأيام :
لي يومٌ
وخطوتُها ...

أنا ضدّ المدينةِ :
في زمان الحرب غطّتني الشظيّةُ
في زمان السلم غطّاني العراءُ .
عادوا الى يافا . ولم أذهب
أنا ضد القصيدةِ :
غيَّرتْ حزن النبيِّ ولم تغيِّر حاجتي للأنبياءْ .
والطائرات تعود من عرسي . تغادرني بلا سببٍ ،
فأبحثُ عن تقاليدي .. وموتايَ الذين يحاصرون الليل ، يقتربون من
صدري ، ويزدحمون في صدري ، ولا يَصيلون لا يصلون

كان يصيح بالأسوار :
لي يومٌ
وخطوتُهم
وكان البحر يرحل في المساء

وحضرتُ في جرحي وقمحكِ
لا لذاكرتي
ولا لقصيدة الآثارِ
لا لبكائك الصفصافِ
لا لنبوءة العرّافِ
يومُكِ خارج الأيام والموتى
وخارج ذكريات الله والفرح البديل .

حدّقتُ في جرحي وقمحكِ

للأشعّة فيها وطنٌ يدافع عن مسافته ، ويسقط عندما نمضي
ونسقط عندما نبقى حدوداً للاشعةِ
والمدينةُ قرب حنجرتي تغني حين تسقط في مرايا النهرِ
صوتي ليس لافتـةٍ
ولكني أسمّيك البديل .

حدّقتُ في جرحي
سأتّهمُ المدينة بالعذوبة والجمال الشائع الموروث من جبل جميل .
هبطتْ نساء من قشور الضوءِ
جاء البحرُ من نومي على الطرقاتِ
جاء الصيف من كسل النخيل .
أحصيتُ أسباب الوداعِ
وقلتُ :
ما بيني وبين اسمي بلادٌ
ليس لي لغـةٌ
ولكني أُسمّيك البديل .

ضدُّ العلاقـةِ :
أن يجيء الوجهُ مثل الزرقة الخضراءِ .
أن يمضي لأرسمه على جدران هذا السجن.
أن يغزو شراييني ويخرج من يدي –
هذا هو الحبُّ الجميل .
وأُحبُّ أن تأتي لتمضي .

طائرات
طائرات
طائراتٌ .
حاور السجّانُ صمتي
قال صمتي برتقالاً
قال صمتي هذه لغتي
وأرّختُ اللقاء .
الصخرُ يهتف لاسمكِ الوحشيِّ كمُمّثرى
وأسأل : هل تزوّجتِ الجبال
ووصمتني بالعار والسفح البطيء ؟

وأُصدّق الراوي ، وأنكسرُ :
الرجالْ
يبقون كالندم .. الخطيئة .. والبنفسج فوق أجساد النساء .
وأُصدّق الراوي ، وأنفجرُ :
النساءْ
يذهبن كالعنب .. الغبار .. وضربة الحُمّى عن الذكرى وأجساد الرجال .

وأُصدّقُ الراوي
ولا أجد الاشارة والدليل
وأُكذّب الراوي
ولا أجد البنفسج والحقول .
إنّ الدروب اليكِ تختنقُ .. الدروب اليك تحترق .. الدروب اليك تفترقُ .. الدروب اليك حبلٌ من دمي

والليل سقفُ اللصّ والقديّسِ
قُبَّعةُ النبيّ وبزّة البوليس
أنتِ الآن تتّسعين
أنت الآن تتسعين
أنت الآن تتسعين
أرسمُ جثتي ويداكِ فيها وردتانْ
بيني وبينكِ خيمة أو مهرجان
بيني وبينكِ صورتان .
وأُضيف كي تنسي وكي تتذكّري :
بيني وبين اسمي بلاد .
حاور السجّان صوتي
قال صوتي : طائرات طائرات طائرات .
سجّانُ ! يا سجّانُ
لي وجهٌ يحاول أن يراني
سجّان ! يا سجّانُ
لي وجهٌ أحاول أن أراهْ
قيدي يلفُّكَ بالدخان
قيدي يُعيد لِيَ الإله

لكنهم عادوا الى يافا ، ولم أذهب
أنا ضدّ القصيدةِ
ضد هذا الساحل الممتدّ من جرحي
الى ورق الجريدة .
كثر الحياديون . أو كثر الرماديّون

قال البرتقالُ : أنا حيادي رماديٌ
وقال الجرح : ما أَصلُ العقيده ؟
قلتُ : أن تبقى وأَمشي فيكَ كي أُلغيك .. كي أشفيكَ منّي .
والسجن يتّسع .. البحار تضيق ..
أَشهدُ أنني غطيتُهُ بالصمت قرب البحر
أَشهدُ أنني ودّعته بين الندى والانتحار .

والطائراتُ تمرّ في يومي
كأن الحرب عاداتٌ ولم أذهب الى الحرب الأخيرةِ . يخلع السجّانُ
ألواني ويعطيني زماني كي أفكّر فيكِ أو بكِ ...
كان يسألها ويسألها ويسألها :
متى تأتين من ساعات هذا السجن أو رئتي ؟
متى تأتين من يافا ولا أمضي الى بلدي ؟
متى تأتين من لغتي ؟
متى تأتين كي نمضي الى جسدي !

أَنا ضد العلاقةِ :
مرَّ عصفورٌ وغطّاني وسافرَ
مرّ عصفور وجمّدني على الأحجار ظِلاً
هل يعيش الظلُّ ؟
جاء الليل . جاء الليل .. جاء الليلُ
من يدها ومن نومي .

أنا ضد العلاقةِ :
تشرب الأشجارُ قتلاها وتنمو في ضحاياها
أنا ضد العلاقةِ :
أن تكون بدايةُ الأشياء دائمة البداية —
هذه لغتي .
أنا ضدّ البدايةِ :
أن أواصل نهر موسيقى تؤرّخني وتفقدني تفاصيل الهوية —
هذه لغتي .
أنا ضد النهايةِ :
أن يكون الشيء أوّله وآخره وأذهبُ —
هذه لغتي .

وأشهدُ أنه مات ، الفراشةُ ، بائع الدم ، عاشق الأبواب .
لي زنزانةٌ تمتدُّ من سنة الى .. لغـةِ
ومن ليل الى .. خيلِ
ومن جرح الى .. قمحِ
ولي زنزانة جنسيّةٌ كالبحرِ
قال : حبيبتي موجٌ
وأمضى عمره في الحائط المتموّجِ .. السقفِ القريب وحلمه الهاربْ .
أنا المتكلّم الغائبْ
سأنتظرُ انتظاري . كنتُ أعرفني
لأنَّ طفولتي رجلٌ أحبُّ .. أحبُّ إمرأة تمرّ أمام ذاكرتي ونيراني .
ولا تبقى ولا تمضي ..

أُحبُّ يمامةً سمَّيتُها وطنا .
أنا ضد العلاقة ، والبداية ، والنهاية ، ضدّ أسمائي .
أنا المتكلّم الغائبْ
يغيبُ — رأيتُ عينيها
شهدْتُ سقوط نافذتي .
سماويٌّ هو البحر الذي سَرَقَ الشوارعَ من يديها قُرْبَ ذاكرتي .

يغيبُ —
وإنَّ أجراساً تدقُّ على المسافة بين خطوتها ومذبحتي .
سماويٌّ هو البحر الذي سرق الرسائل من يديها قرب ذاكرتي .

وأَحضرُ — من وراء الشيء عبرَ الشيء
أَحضرُ ملء قُبلتها على مرأى من النسيان
أَحضرُ من خلاياها
ومن عامودها الفقريّ أَحضرُ
من إصابتها ببرق الشهوة العسليّ
أَحضرُ ملء رعشتها
على مرأى من النسيان
لي زَمَنٌ تؤرِّخُهُ بذورُ الجنس والعشبُ الذي يمتدّ خلف الشيء
والنسيان

أَحضرُ
كنتُ شاهدَهُ وشاهدها
وصرت شهيده وشهيدها
آتي من الشهداء
الى الشهداء

أنا المتكلّم الغائبْ
أنا الحاضر
أنا الآتي .

والصوتُ أخضرُ . إنّ شلّال السلاسل والبلابل يلتقي في صرخة .
أو ينتهي في مقبره
والصوتُ أخضرْ . قال لي أو قلت لي : أنتم مظاهرةُ البروق
وهم نشيد الإعتدال
والصوتُ موتُ الجزره .
ضدّ القرنفل .. ضد عطر البرتقال
ومع التراب .. مع اليد الأخرى .. مع الكفّ التي تلج السلاسل
والسنابل .
كدتُ أنسى . كاد ينسى التسميه :
أنتم جذوع البرتقال
وهُمُ نشيد الإعتدال .
والله لا يأتي الى الفقراء ، إذ يأتي ، بلا سببٍ
وتأتي الأبجديةُ معولاً أو تسليه .
عادوا الى يافا ، وما عدنا
لأنّ الله لا يأتي بلا سببٍ
ذهبنا نحو يافا – الأمنيَه .
يا أصدقاء البرتقال – الزينة اتّحدوا !
فنحن الخارجين عن الحنين .. الخارجين عن العبير نسير نحو عيوننا ..
ونسير ضد المملكه

ضدَّ السماء لتحكم الفقراءَ
ضدَّ محاكم الموتى
وضدَّ القيد قومياً
وضدّ وراثة الزيتون والشهداءِ
نحن الخارجين من العراء لتلبس الأشجار أثواب السماء نسير ضد المملكه
ضدَّ المغنّـي حين يرضى
ضد اعتقال المعركه !.

والصوتُ أخضرُ ..
كان ينتظر المفاجأة – الجدارَ
يقول : يومٌ ما سيأتي من هواء البحرِ ،
أو من خصرها المشدود بين الماء والأملاحِ
آخُذُ مَوْجَةً وأُعيد تركيب العناصر :
خصرها
يــدها
نعاس جفونها
وبروق ركبتها .
سآخذ موجة وتكون صورتها وأُغنيتي .
وأشهدُ أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والإنفجار .

الأرض تبدأ من يديهِ
وكان يرمي الأرض بالأحلامِ
قنبلتي قرنفلتي

وحاول أن يموت فلم يَفُزْ بالموتِ
كان محاصراً بتشابُهٍ يعطي المساءَ مداه. ينتظر النتيجة:
كان لي يومٌ يكونْ
وفراشةٌ بنت السجون
والأرض تبدأ من يديهِ. وكان ضد الأرض.. ضد مساحة الصَّدَف
التي تأتي وتذهب في الفصول.
أَالمستحيل هويّتي
وهويتي ورق الحقول.

والأرض تبدأ من يديهِ. كأنني سجّانُ نفسي. غاصتِ الجدرانُ في
عضلاته ومحاولاتُ الانتحار.
يا من يحنُّ إليك نبضي
هل تذكرين حدود أرضي!

والأرض تبدأ من يديه، ومن زغاريد القرى البيضاءِ
تبدأ من دفاتر صِبْيَةٍ يتعلمون
الأبجدية فوق ألغام الحروب وخلف أبواب النهار:

جاء وقتُ الانفجارْ
وعلى السيف قمرْ
وطني ليس جدارْ
وأنا لستُ حجرْ

والأرض تبدأ من يديه ومن نهايتها.

ويسأل : أين وقتي ؟
قال : إنَّ الوقت من قمحٍ
وقال : رصاصة أولى تثير الأرض توقظهـا ، فتنكشف الفضائـح
والعصافيرُ العنيفةُ واحتمالاتُ البداية .
من هنا .. من هذه الأجراس في جدران سجني يبدأ الوقت الفدائي

أُخرجي من أيِّ ضلعٍ
خنجـراً أو سوسنـه
وادخلي في أيِّ ضلـعٍ
خنجراً أو سوسنـه .

والأرض تبدأ من نسيج الجرح .. أُشبُهها
وأَمشي فوق رأس الرمح تشبهني
وأَمشي في لهيب القمحِ
واشتعلتْ يداهُ
فرأى يدين جديدتين
يدين حافيتين
هل سقط الجدار ؟
سقطتْ كواكبُ فوق عينيه ، فغنـّى أو تنفس :
إنّ قنبلتي قرنفلتي
أُريد الانتحار الانتحار الانتحار .
– من أين يبدأ جسمه ؟
● من كـُلِّ قيـد وانكسار
قال للبركان : يا بيتي البديل
وجدتُ وقت الانفجار .

والياسمينُ اسمٌ لأمّي . قهوةُ الصبح .
الرغيفُ الساخنُ . النهرُ الجنوبيُّ . الأغاني
حين تتكّىء البيوتُ على المساء
أسماء أمّي .

— من أين تبدأ أرضُه ؟
● من جسمه المحتلّ بالمستعمرات .
الطائرات . الانقلابات . الخرافات . الأناشيدِ
الرديئةِ ، والمواعيد البطيئة .

والياسمين اسمٌ لأمي . باقـةُ الزَّبَدِ . الأغاني حين تنحدر الجبال الى الخريف . القطنُ . أصواتُ البواخر حين تمخرني ، وأسماء السبايا والضحايا .
أسماءُ أمي .

— من أين يبدأ صوتـهُ ؟
● من أوّل الأيام حـين تبارَزَ الحكماءُ في مدح النظـام ومُتعة السّفر البعيد .
فأتى ليرميهم بجُثّتهِ
وكان دويُّها .. والأنبياء .

لكـُمُ انتصاراتٌ ولي حـُلمٌ
دمي يمشي وأتبعه — إليها
لكـُمُ انتصارات ولي يَوْمٌ

وخطوتُها ..
فيا دَمِيَ اختصرني ما استطعتْ .

وأُريدها :
من ظلّ عينيها الى الموج الذي يأتي من القدمين ،
كاملة الندى والانتحارِ .
وأُريدها :
شجرُ النخيل يموت أو يحيا .
وتتّسع الجديلةُ لي
وتختنق السواحلُ في انتشاري
وأُريدها :
من أوّل القتلى وذاكرة البدائيّين
حتى آخر الأحياء
خارطةً
أُمزّقها وأُطلقُها عصافيراً وأشجاراً
وأمشيها حصاراً في الحصار .
أَمتدُّ من جهة الغد الممتدّ من جهـة انهياراتي العديدة
هذه كفّـي الجديدة
هذه ناري الجديدة
وأُمعْدنُ الأحلام
هل عادوا الى يافا ولم تذهبْ ؟
سأذهب في دمي الممتد فوق البحر فوق البحر فوق البحر
هل بدأ النزيف ؟

أُريدها . قد أحرقتني من جهـات البحرِ . والحُرّاسُ ناموا عنـد زواية الخريف .

والوقتُ سرداب وعينا هانوافذ عندما أمشي إليها .
والوقت سرداب وعيناها ظلام حين لا أمشي إليها .
وأُريدها
زمني أصابعها . أعود ولا أعود
أُسرّحُ الماضي وأعجنه تراباً
ليست الأيام آباراً لانزلَ
ليست الأيام أمتعة لأرحلَ
لا أعودُ ..

لأنها تمشي أمامي في يدي . تمشي أمامي في غدي . تمشي أمامي في انهياراتي . وتمشي في انفجارتي .

أعودْ ..

لأنها ذرّاتُ جسمي . أيُّ ريح لم تبعثرني على الطرقات . كان السجن يجمعني . يرتّبني وثائقَ أو حقائق . أيُّ ريح لا تبعثرني

أعود ..
لأنها كفني . أعود لأنها بدني
أعود
لأنهـا
وطني
أعود

حين انحنتْ في الريحِ
قال : تكون قنطرةً وأعبرها إليها

وبنى أصابعه من الخشب المخبأ في يديها.
البندقيَّةُ والفضاء وآخر القتلى . سأدفن جثّتي في راحتيها .
وستضرمين النار .
قالت : أين كنتَ
ففرَّ من يدها الى اليوم المرابط خلف قامتها . وغنّى : أيها النَدَمُ
اختصرني بندقيّه
قالت : لتقتلني
فقال : لكي أعيد لي الهويّه

وقفتْ ، كعادتها ، فعاد من انحناءتها الى قدميهِ
كان طريقهُ طرقاً وكان نزيفهُ أفقاً
وكان يدور في الماضي ولا يجد اليدين وكان يحلم باكتمال الحلمِ
ما بيني وبين اسمي بلادٌ . حين سمّيتُ البلاد فقدتُ أسمائي . وحين مررتُ باسمي لم أجد شكل البلاد .
الحلم جاء الحلم جاء وكان يسأله : مَنِ الأصلُ العيون أم البلاد ؟ .
قال المغنّي للضفاف :
الفرقُ بين الضفتين قصيدتي .
قال المهاجر للوطنْ :
لا تنسني .
والياسمينُ اسمٌ لأمي . والزمنْ
عشبٌ على الجدرانِ
قال البحر . قال الرمل . قال البيت . قال الحقل . قال الصمتُ
لكنَّ المغنّي قال قرب الموت :

إنّ الفرق بين الضفتين قصيدتي
وأراد أن يلغي الوطن
وأراد أن يجد الوطن .

هل تُكملين البحر ؟
هل تأتين من ساعات هذا الموج
أم تأتين من رئتي .. وهل تأتين ؟
هل نمشي على السكين برقاً
أم دماً نمشي ؟
أحبُّكِ .. أم أُحبُّ نتيجتي في حُبِّكِ التكوين ؟
قد قالت لي الأيّامُ :
إذهبْ في الزمانِ
تجد مكانك جاهزاً في وقت عينيها
فقلتُ : العمرُ لا يكفي لقُبلتها
وهـذا العمر ..

قد قالت لي الأيامُ :
إذهب في المكانِ
تجـد زمانك عائداً في موج عينيها
فقلت : الجسمُ لا يكفي لنظرتها
وهذا البحر

ما اسمُ الأرض ؟

بحرٌ أخضرُ . آثار أقدام . دويلاتٌ . لصوص . عاشقات . أنبياء .
آهِ ما اسمُ الأرض ؟
شكلُ حبيبة يرميكَ قرب البحر .

ما اسمُ البحر ؟
حدُّ الأرض . حارسُها . حصار الماء . أزرقُ أزرقُ امتدّتْ يدان الى عناق البحر فاحتفل القراصنةُ البدائيُّون والمتحضرون بجُثّةٍ .
فصرختُ : أنت البحرُ . ما اسم البحر ؟
جسمُ حبيبة يرميك قرب الأرض .

قد قالت لنا الأيّامُ :
تلتقيان . تلتحمان . تنهمران
قلتُ : لها انفجاراتٌ
كأنَّ البرتقال لهيبُها الأبديُّ
تنفجرين . تنفجرين . تنفجرين في صدري وذاكرتي . وأقفز من شظاياك الطليقة وردةً ، ورصاصةً أُولى ، وعصفوراً على الأفق المجاورْ
ولي امتدادٌ في شظاياك الطليقة . إنَّ نهراً من أغاني الحب يجري في شظيّه .
قد بعثرتني الريحُ ، فاختنقتْ بأصوات الملايينِ
ارتفعتُ على الصدى وعلى الخناجر .
شكراً ! أنام على الحصى فيطير

شكراً للندى .
وأمرُّ بين أصابــع الفقراء سنبلةً ، ولافتةً ، وصيغةَ بندقيّه .
ضدَّ اتجاه الريحِ
تنفجرين تنفجرين في كل اتجاهٍ

تنتهي لـُغَةُ الأغاني حـين تبتدئين أو تجـدُ الأغاني فيك معدنها ..
رصاصتها .. وصورتها

أقول : البحرُ لا
والأرض لا

بيني وبينك « نحن » . فلنذهب لنلغينا ويتّحد الوداع .

الآن أُغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي على أُفـُق نبيذيّ . ويسقط في أغانيك البياض .

الآن أغنيتي تمرّ .. تمرُّ أغنيتي على مُدُن السواد .
فتسرّحين الشَّعر ، او تتناثرين على الخرائط والبلاد .

والآن أغنيتي تمرّ .. تمرُّ أغنيتي على حَجرٍ فيزهر في يديكِ اسمي ويتّحد اللقاء .

ماتوا ولا تدرين . لكنَّ الجدار يقول ماتوا في تساقطه ولا تدرين. ماتوا...
تلك أُغنيتي ووجهك طائرٌ ومدى
يودّعني الوداع
وساعةُ الدم دقّت الموتى

وموعدَنا النحاميُّ ، الدخـانيّ ، الحريريّ المزوّد بالزلازل والمقيَّـد بالجدائل .

الآن تنتحرين .. تنتصرين .. تنطفئين .. تشتعلين في الميدان والنسيانِ

دقّتْ ساعةُ الدم

دقّت الموتى

ليفتتحوا نشيدَ الفرق بين العشق واللغة الجميله .

هو أنتِ

أنتِ أنا

يغيب الحاضرُ العلنيُّ . يأتي الغائب السريُّ .. يلتحمان .. يتحدان في المتكلّم المفقود بين البحر والأشجار والمدن الذليلة .

والآن أشهد أنني غطّيته بالصمت قرب البحر ..

أُشهد أنني ودعته بين الندى والانتحار .

قال : انتحرتُ . وردّ معتذراً : أتيتُ .

وقال حارسُهُ الزمانيُّ : انتحاركَ انتصار .

الانتحار – الانتصار يمدُّ جسراً

هكذا يبنون نهراً

قال : ماتوا

ردّ معتذراً : لقد وضعوا حدود الانتحار.

والآن أغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي

وتلتحق الخطى بدمي
دمي المتقدّمِ
الفتياتُ تخرج من أزيز الطائراتِ
البحرُ يخرج من خدوش الاسطواناتِ
المدينةُ قد أعدّتْ عُرْسها
وجنازتي
وتمرُّ أغنيتي ، وترمي عادة الأزهار في الأنهار . سيّدتي ! سأُهديك انتحاري الساطعَ اختصري نعاسكِ وانفجار الشارعِ ، اختصري المسافة بين
سكّيني وصدري
واستقرّي أنتِ بينهما بلاد .
النهرُ يعفيني من التاريخ
والجلّاد أعفاني من الذكرى
فأنسى حصّتي من جثتي الأخرى
وأُهديك التتمّة والحوار .

قال انتحرتُ . وردّ معتذراً : أتيت . وقال حارسه : رأيتُ القمح ملء يديه
عند الانتحار
كانت يداهُ خريطتين : خريطة للحلم تمطر حنطةً
وخريطةً لمحاورات الانتظار
والطائرات ؟ سألتُ

قال : تمرُّ في يومي القديم .. يُحلّقُ الأطفال . يبتهجون في السنة الجديدة . يجعلون البحر أَصغر من زوارقهم

أنا أعتاد هذا الموت . أعتاد الرحيل الى النهار .

والآن أشهد أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار .

الحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنَّ المدينة واقفهْ
في أوج قيدي
وانفجار العاصفه
مَطرٌ على خيلٍ
وأعددنا لك الفرح الترابيَّ الجديد
خيل على ليلٍ
وأعددنا لك الفصح الخواتم والنشيد
والحلم يأخذ شكله
ويصير صورتك العنيفه
موتي : أو اختصري هنا موتاكِ
كوني ياسميناً أو قذيفه .

والحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنّ المدينة واقفه
في قمّة الجرح الجديد
وفي انفجار العاصفه .
ماذا تقول الريح ؟
نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب والخيام مع العروش الزائفة
ماذا تقول الريحُ
نحن الريحُ
ننشر عار فخذيك السماويينِ
ننشر عارنا
ونُطيل عمر العاصفه .
ليلٌ على موتٍ
وأعددنا لك المهدَ الحضانةَ والجبلْ
والحلم يشبهنا
ويشبهكِ المغني والمنادي والبطلْ
والحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنّ المدينة واقفهْ
في شعلة النار الطليقة

في شرايين الرجال

ذوبي ! أو انتشري رماداً أو جمال

ماذا تقول الريح ؟

نحن الريح

نحن الريح

نحن الريح ...

دليله

(الى فتح في العيد العاشر لانطلاقتها المسلحة)

صـــخر

عندما تضرب الحقيقة بمهمازها جلد التاريخ وتحفر فيه اخاديد الصدق ، تتهاوى تراكمات الزيف ، وتطل دليله الفلسطينية لتسجل في هذا العصر الزاحف نحو أمـــاني الفقراء صورة العذراء الغزاوية التي ما عشقت الا تراب فلسطين . ولا نذرت عمرها الا من اجل حرية شعبها . ان ما لفقه اعداؤها عن علاقتها بشمشون لم يكن في الحقيقة الا علاقة المناضلة الثائرة بأعدائها ، تقاتلهم من أجل الخلاص ، من أجل الحرية ، من أجل تأكيد شخصيتها الفلسطينية . ودليله لم تيأس من عتبة وله تستسلم لقوة العدو الخارقة وانما اثبتت بنضالها المستمر وطول نفسها على ان قوة الحق تدمر باطل القوة . ودليله كانت سهما تجمع في زند فلسطين وانطلق نحو الحـــرية عاصفة ورياحا تمطر عشقا عربي القلب ، فلسطيني الوجه ، جميلا كالمهر الرافض قيد السرج الشامخ فوق الاعناق . يتمختر كالامل النوراني ، يصافح وجه الله ، ووجه القدس ، براق . وكانت نصائح دليله دائمة الصواب ، وهي تؤكد في هذه الايام على وصيتها الازلية وهى ان من يبغي تحقيق النصر فان عليه ان يجتث الخطر من جـــذوره .

[١]

يحملـني أمـلٌ أزليْ
يترجرج حينـا ... .. أخشى
أنسى ان التاريخ معي
وافيق لاحـلم بالأمل الازلي
تتكسّرُ مرآتي
فافتش عن لوني بين فتاتِ الضوءِ
فالمح في العتمـة لوني العربيْ

أنسى ...
أتذكّر ... أنسى
ويموت النسيانُ
فصوت العاصفةِ يمزق رحم الصمتِ
فيولد صوتي

أتحرك والجبس الرسميّ يُكبّلُ همسي
أفتــح عينيّ فأسمع لحن الفتحِ
فاقتل موتي

من طاقةِ كوخي يمتدُ رغيفٌ يتثاءب فوق شفاهي
يسرق جوعي
أشتم ُخطى الفقراء تـُغازل اغصانَ الزيتون
وترصف شوق الارض بأوردة الأمل
وتسكب روح الخـلد على نفسي

عيناي تلمـلم اوردة الجوعِ
وتنشرها فوق خيــام الشمسِ
وتحت بقايا اوراق خريف الامسِ
فاسمع لحنَ سلاحٍ
اسمعُ لحنَ ربيعي

— قومي اوّاه ... دليـلةَ
وأرامم حولي
فتفيض من الفرح دموعي
وأرامم أهـلي
أتساءل ... ماذا ..؟ ولماذا الصبر ؟
لقد فرش النسيان كآبته فوق ضلوعي

يبكون ... أصدقهم
واكذب تجربتي .. وذكائي
اتماوج في أعينهم .. ارتشف رحيق الصبر
والعق همس جراحي ..
فيبيعون بكائي

اتساءل عن سر الخوف وعن سر الضعف
وأعرف ان إله الرعب أسيري

ينامون وطويلا ... وانا واقفـة

ويفيقون وعمري يتأرجح بين سماء الخوف وبين ضميري
تشخص أعينهم وجـلا
هـذا هو شمشون طريحا فوق سريري
من منكم يحمل سيف صلاح الدين ؟؟
تطل سيوفٌ سبع .. بدون صلاح
يقتتلون ... وينسون مصيري

[٢]

يتناثر جسدي بين لغات الأرض ولا أنسى لغتي
وأنادي شجر الزيتون فيفهمني ... ويداعب شفتي
وأكلّم أمواج البحر فيغرق صوتي في بحر اللهجات
ويمتد الساحل كوباً تختلط به كل سوائل هذي الأرض
وتنتفخ الأسماك حبالى
واحاول ان افهم ماذا .. ولماذا يغرقني السمسار
بأكوام بضائع مستوردة بالخوف .. وبالثمن
وباسم الله تبارك وتعالى
وصراخي واعرباه تأرجح بين البحر وبين الصحراء
وغزة بوقي
واريحا سكين تعطي شيلوك مزيداً من لحمي
ودمي وعروقي
سمسار اللحم يملّس لحيتـه .. ويعدل عِمّتـهُ
ويكزّ الأسنان
يراني سكينا لاهبة كالقدر تعشش في الأقصى
فيبيـع الرملة ... واللد ليقتل شحذي
ويغازلني ..
ويصافح شمشون
وقلبي يفرد أجنحتي فوق خيام تتجمع فيها اوردتي
عقلي ... ودمي ... عيناي
تجمّع جسدي في فخذي

اشلائي تنتظر صقور الفتح وايزيس دليل
تعرف كيف يفتّت لحم العشاق
واين يُخبأ لحم العشاق
وجدائل شمشون قيود تتناثر كالليل تعشش في الآماق
ويهوذا ينبش تحت جذور الأقصى يبحث عن بذره جنّي
ويعمّق في الماضي المنسيّ الانفاق
هذا هو يومي المتلكىء تغزوه بواخر صيد الارض
تترجم يوم حصادي ثمرا مصبوغ القشرة والاسم
فتصبح يافا .. جافو في الاسواق
وجفوني الذبلى كم عطشت للنور .. تطرّز عمري حبا يتكاثر
والغرزة تلو الغرزة .. وفراشات القز تجمّع الواني
ثوبا يسرق ... ينسخ ... يطبع
ويعلّق في دور الأزياء غريب الاسم
وتُسلب مني الاحداق
يا نفسُ اتكئي تحت ركيزه دالية تقطر خمرا
فالهوس الدوليُّ المتحطّم في الفيتنام
يزواج بين الضدين ... النفط .. ونار العشاق
ما بين الشمس وبيني تتأرجح نجمة شمشون
تلملم اضواء الوطن العربي
وتقتلع جذور التاريخ من الأعماق
وكأية زوبعة تتلاشى النجمة حين تهب الشمس
رياحا تمطر عشقا عربي القلب
فلسطينيّ الوجه ...
جميلا كالمهر الرافض قيد السرج
الشامخ فوق الأعماق

يتمختر كالأمل النورانيّ
يصافح وجـه الله ...
ووجـه القدس ... بُراقْ

[٣]

عاشقة قالوا ...
وجزاء العشق الحرق ...
فمـن يحرقني

وتمزق ثوبي يقتسمون شظاياه
الفاء .. اللام .. السين
الطاء .. الياء .. النون
ويختلفون
وبين الحزبين اضاعوا فلسا في الطين وتاهوا
عطشوا فامتدت ألسنة للنهر تغير مجراه

عاشقةٌ قالوا ...
وأقول انا عاشقة عطشى للحب فمن يروي عطشي
من يسدل فوق عمى عينيّ ستاراً من غبش
أتلمس عن كثب صوت الزعماء
المتذبذب بين الهمس وبين الاعصار
يغطي صوت ملوك النفط النافش كالديك الحبشي

اتلفّت ضاع يميني ... ويساري
عاشقة .. من يقتل حزن العشق بسيف
لا ببيان ناري ..
من يسكب طعم العنف على اشعاري
وجزاء العشق الحرق ...
فمن يحرقني ... ويحرر داري

وصبرت على جمر لا يطفئه الموج وهمسي يتصاخب
فوق هدير البحر ...
فما خفت هدير البحر ولا خافت عكا
وتجذّرنا في غزة ... والكرمل
زورعنا في وادي الباذان ..

حوافر خيل الفرسان
وصرخة زيد دكتهم دكا
باسم الفقراء كتبتُ على أوراق الزيتون اسمي
وغرست سناسلهم كبريت الحقد ..
يضوع وقد لمسته الثورة في شغف مسكا
اتنشق رائحة القسام
سحابة عشق تتلألأ فوق القسطل
اعبر بين شقوق التاريخ وافضح كل الأسرار

هـــذا هو عشقي
يا زمن الفقراء
ترقّب كيف يصير العشق دمـا .
حين تغازل ريح الجوع عيون الفقراء
حاصرهم جوع القحط
وجوع النهم المنتفخ السارق من اعينهم لون القمح
حاصرهم سوط المهاز
ولون العرق المترامي
يحرث ... يبذرُ ... يحصد
يطحن ... يعجن ... يخبز
ثم يجوع

يا زمن الفقراء
ترقب كيف ستصرخ فـاء الفقراء لتصبح فاء الفتح
وكيف ستزهر تضحيـة الفقراء لتعطي تـاء الفتـح
وكيف تفجـر فتـح الحـاء فـتزهر حرب الشعـب
لتعطي الأرض
وتعطي الحرية للفقراء .

[٤]

يحملني أمل أزليٌّ
يترجرج حينا .. .. اخشى

أنسى ان التاريخ معي
وأفيق لأحلم بالأمل الازلي

تتكسر مرآتي
فافتـّش عن لوني بين فتات الضوء
فالمح في العتمة لوني العربي
أبحث عن أهلي بين خبايا الغفلة
أُحجية يتساقط منها العقل
وفي بؤرته مليون فقير جانب كل غني
مليون ذكي يحكمهم تاجر نفط
وتحيط بهم كالليل حظيرة بدوي
أتساءل .. من سيقص ضفائر شمشون ..
وهذا السيل طلائعه جوعي
يرثون الفقر وأيديهم تتبعثر باحثة عن حزمة ضوء
عن قمر وردي .

– نامي ... واتكئي فوق الموج دليلة ...
جاء الصوت
فمقص العصر بليد الشفتين
يحيط بـه الحراس
ويلعب ضمن وفاق الهمسة والصمت
– نامي ...
وانام ...
واحلم بالامل الازليّ وارقب كيف يجيء
يتسلل ... يقطع شعرة جفن .. يخطف طعم النوم
ويصرخ شمشون
وقبضته تتساقط غيظاً تسحق اي بريء
يتكاثر فعل الغيظ ورد الفعل
يتساقط شعر القتل
ما بين جدائله والليل نهار يمضي كالبرق ويبقى الليل

والغيظ يروح ويأتي ... والحلم بطيء
وانا عاشقة ..
اشتم أريج فداء يسألني قبلة حب فأذوب على شفتيه
واسأله ان يبقى ويذوب معي
يتصاعد مثل خيوط الفجر وينسج قامته في الأفق
ألملم ذاكرتي وأراه يفيض دماً يتجمع في شفق ويعود إلي
بالفرح يعود إليّ
أتلقف بسمته فتحيط بنا غيمات سود
تزرعه خلف النسيان
وتقذفني خلف القضبان

وأمزّق حلمي
أتذّكر ان التاريخ معي
فأمد يديّ وراء الغيم الأجوف أبحث عن رائحة الماء
فتعانق راحتي السكرى شمس الحرمان
ويثور الغيم .. ولا يمطر
يعصره ليل حزيران
يتلاشى الدجل ... فتهرب من ذاكرتي كل الأسماء
أنسى .. أتذكر أنسى ...
ويموت النسيان
فصوت العاصفة يمزق رحم الصمت ... فيولد صوتي
أتحرك والفشل الرسمي يفجر همسي
افتح عينيّ .. فأسمع لحن الفتح ... فاقتل موتي

[٥]

يا هذا الورد المتفتح في الغور يقيني أنك تعصر جرح الشرقِ
فاني ألمس طيباً حين تطل من الشرق غمامه
يتناثر حولي مطر الخوف فلا يلمسني
يهطل ... لا تبتل غصون الزيتون

ويهطل .. يحرق كل الزيف الأخضر ..
يتفجر حولي غضب الماء .. يفيض التنور
وفي زمن الطوفان تثور الارض المحتله والغيم معاً
فتفيض على الغور كرامــه

ويعانق جرحي همس الماء العاشق
يحفر في كفي وشم حمامه

ويضم جراحي .. وسلاحي مطر الوديان
يتساقط شعر الزيف النابت زورا في ليل حزيران
ويعذبني الشوق لهمسٍ تتعانق فيه الكلمات
تموت فواصلها وتذوب الأحرف في كأس
يحمل لون تراب الوطن المحتل
ما أجمل ان يتعانق اسمي .. واسم ابي حركيا فوق اجازةِ فتح
أحمل رائحـة العشق .. واتَّشح بكوفيةِ عاشق لون القمـح
وعلى كتفي يتألق لون جواز السفر .. وفي يدي المنجل
أبحث عن فرحي العربي ... اتوه ..
وفي زاوية ميتة . فتشت عن التاريخ .. وجدت عظاما
ووجدت سلاسل من ذهب
ووجدت قلائـد من كذب
ووجدت سلاما ...
لكن من حطب
يتجمع حولي فرح عربي .. يخصب شهر العسل ...
فأحسبها حطين
يتدفق مني الفجر فألمح في عمان غرابا يسرق خمري
ويطل على شفتي «روجرز» يغطي عورته بوشاح صلاح الدين
يتمزق وحل التاريخ الأيلوليّ شظايا
تشنق خارطة التاريخ على صلبان رماح تتآلف في صِفّين
وفي دبّــين

هذا هو عشقي
يا فارس حلمي المتأرجح بين الزرقاء وبين الصحراء
تحاور في جدة كالسيف فتصلب في الفردان
وما عرفتك خيول الهرب
وتولد منك .. وفيك الاحزان
تصب على ايلول لظى يحرق ذاكرة النسيان
أراك تحاور كل بقاع الأرض الضائعةِ
وتغرس فيها من ثوبي علمـا ..
وتطرز وجه الكرة الأرضية باسم فلسطين
وتكشف سر الأرض
لقد هَرَبَتْ يوما من سجن الشمس
وبيت المقدس اول من ثار ..
هذا هو عشقي
فالآن عرفت لماذا يهوى الله الثوار

[٦]

هذا هو عشقي
فالآن عرفت لماذا كان يُحارَب كل الثوار
عرفت لماذا يختلط الأمر فلا يُعرف ابليس من القديس
ولا يُعرف كيف يساوم باسم العري وباسم الجوع وباسم الفقراء طواويس
وكيف زمام الأمر يلوح شهياً تعشقه كل اذاعات العرب .. تغنيه
يتجاهلني الحقل فانمو فيـه
أزحف ... أتفشى .. وأغطيـه
ألملـم أطرافي .. اتشامخ هرما يعرف معنى العشق ومعنى البغض
وأرفع صوتي .. أتناثر في أعين من حرموني اسمي
هذا هو عشقي
أقف الآن عـلى درب وردي يتشعب مني فيغطي الأرض
عيناي تلمـلم أوردة الجوع .. وتنشرها فوق خيام الشمس
وتحت بقايا أوراق خريف الأمس

أضم سلاحي ..
أسمع لحن سلاح يأتي من حولي
وأرى أهــلي
يتسابق فيهم صوت العشق
فيحملهم أمل أزلي يعبر في بوقي ..
يتعاظم يصبح غابة حب
يتكاثر فعل الغيظ .. ورد الفعل
يتساقط كالباروكه شعر القتل
وهشيم حزيران يصير دخاناً في رمضان
يتهاوى شمشون بلا شعر ...
من يحمل سيف صلاح الدين .. ؟؟
وألمح كل سيوف العرب مخضبة بالنفط
تحارب ضمن حدود وفاق الهمسةِ والصمت
وأصرخ ...
يا حراس المعبد ما زالت في الحقل ثعالب شمشون
وما زالت عيناه مخضبتين بحقد الجرح
أفتت بين أياديكم صور التاريخ
وتنتعشون بنشوة كأس تذهب سكرتها
وأحذّر من هوس دولي تصخب همسته فتمزق صمت الريح
فأني ألمح خلف البسة وجه الاستعمار قبيح
اتساءل والفرحة بالألم تمزق ذاكرتي
كيف حصدنا من وحل حزيران صمودا
ولماذا نحصد ما نحصده الآن ؟
اتساءل كيف نخادع شجر الزيتون
لأن زكام العصر يبدّل رائحة الزيت
وكيف نصدق ان الأفعى تصبح قبّرة ان غيّرت الجلد .
هــذا هو صوتي
ينذر .. ويحذر .. ويذكر كيف تهاوى المعبد

كيف « على اعدائي يا رب » تصير مساده
فمقص العصر بليد الشفتين تجلـّد في رمضان ونام
وهذا زمن أصبح فيه النوم عبادة ..
يتفاخر فيه الساسة من منهم أكثر في معركة الشتم بَلادة
يتفجر عشقي .. غيظاً
وأمامي صورة صحراء تتمزق بالخوف الذري
ويعصرها سم الحيـة
اتذكر كيف يموت الخوف
أنام .. وأحلم بالأمل الأزلي .. وأرقب كيف يجيء
تملأني الريح بعاصفةٍ ... وبلحن الحرب الشعبيه .

[٧]

يا أملي المتنامي كالأطفال المتشامخ فوق عظامي وعيون الشهداء
تكسّر كل اغاني الخوف
وتسكب روح اليقظة في الأعياء
تذوّب الوان الزيف
بصابون المـاء
يتركز فيك الزمن وتلتحم الأشياء
وتعبر بين مسامك انفاس شموخ الفقراء
تغيّر خارطة الغاب
بقانون العنف العاشق
وتصب على لغة الارهاب
حروف الحب الحارق
كم درب عبرته الشمس أمامك ... ضاعت ..
غمرتها العتمة في وحل سراديب الذهب النفطيه
والشفق الوردي يمازج ألوانك بعيون الشعب
ويفرش أنفاسك فوق أريج الزيتون وصوت البارود
وتنمو .. يتعاظم فيك شعاع من عصر ضيـّعه التجـار
يذكـّر أن وصايتهم بئر عطشان لضحيه .

يا أملي .. ثوبي يتجمع فيك وتصبغه ألوان الغربة
عاد بتجربة التاريخ من التخمة ... والجوع .. وفيـه
نشيد الخيمة
وشواهد كل مقابرنا المجهولة ... والمنفيه

حاربت بسيف الوعي ...
فحاذر ان يسقط سيفك ...
فالغزو الفكري يذوّب اسمنت الهرم فينهدُّ بنسمة أُغنيّه
وتشبث بالصوان . فان الريح على قدميه تذوب
وحاذر لمعان حجارتك .. ولا يخدعك بريق الزيف
فأقسى أنواع الصخر الفقراء ..

وأعتى أمواج الريح تهاجم في القمه
وغبي من يخدعه الوهج هشيما ..
فالهرم المرصوص يعانق درب النصر ..
والهرم الاجوف ... قبر
وسياج الهرم الوعي ... ووعي الهرم سلاح

يكذب من يرصف أشواق العالم بالخلد وينسج رائحة النصر
بعيداً عن بحر المدن العاشقة
وعن لهثات الايدي المشدودة فوق محاريث الريف
وعن رائحة الصحراء
يكذب من يحلم بالنصر بلا جيش الفقراء

يا أملي الوردي .. لهاث الغيم الاسود يحـلم ان يجعـل من املي .. المي
يتسلل كالطاعون ليسرق اسمي وليحرق علمي
وعلى كعب البارودة محفورة اسمي وعلى غصن الزيتون
وفوق مآذن يافا ... وعلى صلبان القدس
وفوق عيون القمح

وستبقى يا أملي ... امـلي
فاسمي يتعانق واسم ابي حركيا فوق اجازة فتح .

عالم الدلالات في الشعر الفلسطيني

الياس خوري

١ –

تأخذ القراءة النقدية للنتاج الادبي الفلسطيني معنى خاصا ، حين تأتي من داخل هذا النتاج بوصفه ممارسة تتشكل من خلال التقاء مستويين من الرؤيا الابداعية داخل حقل واحد . فهذان المستويان : مستوى الانطلاق من حيز مكاني ، داخل دلالات المكان ، او الامتداد نحو المكان وشحنه بالدلالات التاريخية والمستقبلية ، لانه يشكل من الداخل والخارج اطار الصراع ومدخله والحس الاولي الذي يمتزج به . ومستوى البحث عن مناطق اشعال الواقع وتفجيره في سبيل الوصول الى أقصى درجات التوتر الصدامي الذي يفرض وعيا مأساويا هو جزء من مفهوم المعركة المفترضة او التي تخاض باسم الشعب بأسره . في نقطة التقاء هذين الحدين ، تتكون الملامح الخاصة للصوت الادبي الفلسطيني حيث النقطة المحورية هي في **دلالات المكان**. هذه الدلالات هي نقطة الانطلاق التي تشحن الرؤيا وتقيم للزمن الثقافي أبعاده الجديدة . اي ان اشكال المواجهة التي تتخذ من الشعر او القصة والرواية مسرحا لها ، لا تبقى محدودة في التحليل النهائي بنقاط انطلاقها ، بل يأتي الرمز او عالم العلاقات الفجيعية ليشكل المقترب الذي يعطي مدلولات جديدة للاشياء . فتصبح هذه المفاصل بدايات جديدة داخل حقل يتعدد ، وتتمايز الاصوات فيما هي تحاول الاقتراب من نقطة مفترضة هي ايصال هذا الوعي العام الى أقصى درجات توتره . هذا التعدد في المقتربات وعالم العلاقات الدلالية هو الذي يكون **الزمن الادبي** . هنا لا يعود الموضوع حدا ، بل يصبح مدخلا . لا يرسم المكان الاطار ، بل يفتح امكانات عدة . فالزمن الادبي هو عالم الدلالات التي تتركب داخل كل بنائي . فاكتشاف تطور الدلالات واطار هذا التطور هو المدخل النقدي الذي يواكب المدخل الابداعي الذي يقيم هذه العلاقات الدلالية في مستوى تطور الاشارة وتطور علاقاتها الداخلية . عند هذه النقطة يتحول الزمن الادبي الى زمن العلاقات المتشابكة ، ويتحول بعده الايديولوجي الى جزء من المقترب الادبي العام . فيفقد هذا البعد استقلاله داخل العمل ، ليبقى محددا لافاقه ، واطارا لدراسته في التنظير الذي يكتفي من البنية الادبية ببعض نقاطها . هنا نصل الى السؤال الاساسي الذي تطرحه الممارسة الادبية على نفسها . كيف نصل الى تفجير الابعاد التعبيرية داخل الحقل الادبي ؟ كيف تتمفصل عناصر هذه الابعاد في وحدة متكاملة هي بنية العمل الادبي ؟ عند نقطة هذا التساؤل المشروع يفقد الادب الفلسطيني طابع فلسطينيته ، بمعنى خصائصه الثابتة المتميزة . فيتحول من مجرد ظاهرة ثقافية ترافق ممارسة نضالية محددة ــ حركة المقاومة ــ الى حقل لا يمكن فهمه ودراسته ، الا من خلال ادراجه داخل **كيف** اكثر اتساعا وشمولا . داخل بنية الاسئلة التي يطرحها الادب العربي على نفسه . لكن الخصائص التي ينفرد

بها الادب الفلسطيني ، تبقى خصائصه ، لانها تنبع من خصوصية اطاراته وطموحه . فدلالات المكان ، حين تتحول داخل اسئلتها الى زمن ادبي ديناميكي ، تنتقل الى مستوى اخر من البحث لا يقلل من مدلولاتها الفنية ـــ السياسية ، بل ينقل هذه المدلولات الـــى حيز اكثر شمولا ، لتتداخل مع تساؤلات الثقافة العربية الاكثر الحاحـــا وجذريـــة . فتتفاعل معها وتتداخل بها . من هنا لا يمكن دراسة النتاج الادبي الفلسطيني بمعزل عن حركة المقاومة ، كما لا يمكن فهمه من داخل هذه الحركة فقط . فتتركب أبعاد المعادلة الجديدة التي تمتد داخل الحقل الادبي العربي بأسره ، حيث تلعـــب ممارســـة النضال المسلح دورا مؤثرا بالغ الاهمية .

الزمن الادبي ، هو مجموعة من الازمنة المتداخلة . فهو ليس زمنا تطوريا ، انه زمن تداخلي . فالدلالات التي يمكن استخلاصها من خلال دراسته لا تتبع خطا مستقيما يمكن تحديده سلفا . فالوعي المأساوي ، حين ينسج اطاراته داخل رؤية فنية محددة ، فانه يتبلور بالعلاقة مع نفسه اولا ، أي بالعلاقة مع اشكاله الخاصة . ومن داخل هذه الاشكال تخرج الدلالات غير قادرة على المطابقة مع تاريخها الخاص . فلا تتحدد دلالات الكلمات مسبقا ، من داخل تاريخها بل تتحدد من خلال علاقاتها ومستقبل هذه العلاقات الـــذي تستشرفه . لا تنبع تداخلية الزمن الادبي من طبيعة علاقاته الـــداخلية فقط . فهـــذه العلاقات الداخلية تستطيع ان تتركب في شبكة من الدلالات التي تحمل معنى تطوريا ، أي أن هذا الزمن المتداخل ، يتطور في حركته اللولبية في قفزات وخطوط بيانية هي صدى لتطور عام في المستوى الايديولوجي وفي علاقات المستويات داخل نمط الانتاج . فهـــذا الزمن التداخلي يتطور اذن في حركة متناسقة . ان هذا المعطى العام ، الذي نستعيره من النموذج الثقافي ـــ الادبي في اوروبا الراسمالية ، لا يمكن سحبه على الادب العربي الحديث والمعاصر . فسمات التطور في الحركة الادبية العربية المعاصرة ، لا تخضـــع لتحقيب من طبيعة تطورية مطلقة . فتطورها هو تطور من طبيعة **انقطاعية** غير نهائية ، وهذا يعود اساسا الى أسباب لا تتحدد بالبنية الادبية بل تتجاوزها الى البنيـــة الايديولوجية العامة والى نمط الانتاج السائد ، ان هذا الانقطاع غير الثابت والنهائي يؤدي الى تداخل أزمنة متعددة داخل زمن ادبي واحد . الى تفاوت مفترض على اساس محاكمة لبنية هذا الادب من خلال تاريخه قبل الانحطاطي . هذا التداخل ، يفرز بنية مترجرجة تحمل سماتها الخاصة ولا تزال بحاجة الى النظريـــة النقدية الجديدة التي تستطيع دراستها من داخلها . من هنا منشأ التفاوت ، الدائم بين الشكل والمضمون . ومنشأ التفاوت داخل المضمون نفسه . حتى ان تعدد الصوت الادبي في حقبة واحـــدة يصبح بلبلة كاملة اذا بقينا عند نقطة افتراض التطورية المبدئية كشكل وحيد لتأريخ الادب المعاصر .

ان البحث عن عالم الدلالات ، داخل نسق ادبي مفترض ، يأخذ على أساس هـــذا الافتراض ، معنى البحث عن تداخلية ازمنة الدلالة داخل زمن واحد . فهو ليس بحثا تحقيبيا . رغم انه يفترض انقطاعات غير نهائية حدثت داخل هذا النسق . انه مجرد محاولة أولية لدراسة معنى الدلالات واشكال تبلورها . فالدلالة الادبية ، حين تتخذ الرمز اطارها او حين تتوقف عند علاقات اللغة والاشياء ببعضها ، لا تحافظ علـــى معانيها المسبقة ، بل تأخذ معان مختلفة . فمعناها هو حاضرها ، وليس ماضيها . انها لا تتوقف عند هذا الماضي ، بل تبقى في تجاوز دائم له ، وهذا يقود بدوره الـــى استنتاج اساسي هو عدم القدرة على بناء نسق موحد .

ان الحدود التي نفترضها ، لهذا البحث ، هي حدود بيانية . أي اننـــا لا نتوخى

الوصول الى ادراج جميع النماذج الادبية الفلسطينية داخل بحث واحد . بل نحاول ان نؤشر فقط الى أوالية تداخل دلالة الادب في حقبات مختلفة (أو هكذا يفترضها النقد) لنكشف عن كيفية تبلور عالم الدلالات في علاقتها بالرمز وبالمصطلح الادبي .

ليست الدلالة ثابتا . انها تتبع بنية العمل الادبي . من هنا تؤدي نفس الاشارة ، او علاقات متشابهة الى معان متضاربة ، وتقود بنية العمل الادبي في حقول مختلفة . لذلك يبقى همنا ، هنا ، محاولة لكشف دلالات الصوت الادبي الفلسطيني عبر بعض نماذجه ، فالتعميم النظري في النقد ، يخدم غرضا ايديولوجيا ، اذا لم يستطع ان يتحول الى مقدمة فعلية لنمذجة ادبية تنطلق من النص اساسا . من هنا فنحن لا نريد الوصول الى تعميمية مفرطة في دراستنا لنماذج الادب الفلسطيني . بل سنحاول التوقف عند بعض نقاطه الاساسية فقط ، محاولين من خلالها رسم خط بياني أولي يحاول اكتشاف مفاصل عالم الدلالات الذي يفرزه الرمز والعلاقات داخل البنية الادبية .

٢ —

يحمل الشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات ، المسألة الوطنية بوصفها قضيته الاساسية والوحيدة . فهو في قصائد شعرائه الثلاثة طوقان ومحمود والكرمي ، اشبه بنشيد جماهيري يستقي موضوعاته وبنيته من داخل مهمات الحركة الوطنية ، دحر الانتداب البريطاني ، والنضال ضد محاولات الحركة الصهيونية اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . أمام هذه المهمات ، يعود الشاعر الى الرجع المباشر . فهو صدى الصوت الجماعي ، والمحرض السياسي . والداعية الى الثورة . وتأخذ القصيدة حجمها بوصفها أداة **نضالية** . اي ان الشعر ، ليس عالم الصياغة الرؤيوية الجديدة للعالم . انه عالم محدد الاطراف وبسيط الملامح .لذلك لا تظهر في جسده آثار انتفاضات تعبيرية ، الا بمقدار ما تجيب هذه الانتفاضات على ضرورات ملحة . فحين تصبح القصيدة نشيدا (طوقان) ، فان النشيد هو هتاف جماهيري ، وسلاح مباشر في التجمعات الشعبية الصاخبة والمظاهرات والنضالات التي خاضها الشعب الفلسطيني في تلك الفترة . أي ان هذا الشعر لم يطرح من داخل بنيته ضرورات تحويل مسار هذه البنية ، انه لا يبحث الا عن الفعالية والقدرة على التأثير . فاستعارته للمستوى الذي وصلته القصيدة العربية مع شوقي او امتداده الى بعض العناصر الرومانسية التي ظهرت مع جماعة « أبوللو » في مصر ، ليس مؤشره الاساسي . فالقصيدة هي وعاء . تنطلق من اكثر العناصر اثرا في الذاكرة الجماعية — اللغة — وتقيم لهذه اللغة ، معنى ثابتا . أي أن عوالم الاحتمال في الكلمة الشعرية لا تستطيع هنا أن تجيب على المهمات الواقعية التي فرضت على الحركة الشعرية . فالشعر هو صدى لوعي الجماعة ، يستعير بعض نماذج ممارستها (حركة القسام على سبيل المثال) ويعود فيصبه في الذاكرة . فالذاكرة الشعرية هي مقياس الشعر . لكن الذاكرة ليست معطى مطلقا . انها تخضع هي الاخرى لعناصر تكوينية فرضهـا التطـور الادبي في بدايات عصر « النهضة » . لذلك يلعب الايقاع الخليلي ، وعناصر توازنه التقليدية ، العنصر الاساسي في تحديد القصيدة . القصيدة هي بناء **يتفكك** ، لا نريد هنا أن نعود الى طرح مسألة وحدة القصيدة ووحدة البيت ، بل نريد ان نشير الى مسألة اكثر بعدا واكثر جذرية ، فحين تكون القصيدة عالما مفككا ، فهذا لا يعني غياب وحدة الموضوع. فالموضوع واحد او مقنن في اتجاه واحد هو غالبا عنوان القصيدة ، لكن تفكك القصيدة يعود الى انها لا تبحث عن عناصر وحدتها الداخلية ، بل تبحث عن وحدة

ارجاعية مع جمهورها . فهي تتوحد في ذاكرة جمهورها اللغوية والسياسية . من هنا تعددها الذي يفتقد الى القعر الثابت . فهي تتعـدد باتجاه المعطى ولا تبحث عـن معطيات خاصة ، هل هي صدى للواقع بالمعنى المباشر ؟ أم انها جزء من عملية تأليفية طويلة يلعب فيها ايقاع الواقع دورا خاصا ؟

ليس طرح هذا التساؤل خاطئا ، لكنه ليس طرحا متكاملا . فالعلاقة المباشـرة بالجمهور الذي يشير الى البنية الارجاعية في القصيدة ليست علاقة هيولية او شاملة. فالشعب باسره ليس جمهور شعر يكتب بلغة فصيحة ، بينما الامية لا تزال غالبة في الاكثرية الشعبية الساحقة . اذ ان هذه الاكثرية ، بحسها الشعبي الخاص استطاعت ان تطور اشكالها التعبيرية « الشعبية » التي تشير الى العناصر الدفاعية في الحكمة الشعبية . بينما يبقى هذا الشعر ، الذي نعالج ، لصيقا بهموم شرائح متباينة مـن المثقفين ، الذين يحاولون الانخراط من منطق الطبقة الوسطى النامية داخل حركـة الصراع الوطني . من هنا فالبنية الارجاعيـة التي تحكم القصيـدة ، ليست بنيـة اطلاقية . انها جزء من حقل ادبي جرى تطويره وبلورته بشكل أسـاسي خـارج فلسطين — لاسباب سياسية — ثقافية ، اهمها بقاء فلسطين داخل قبضة الهيمنـة العثمانية في فترة بدايات محاولات النهضة . هذا الحقل الادبي ، هو الذي ينعكس هنا في بناء القصيدة ، ويعكس فيها واقعا نضاليا خاصا ومهمات نضالية لم تكن لتطرح بمثل هذه الحدة على شعراء المدرسة الرومانسية في مصر على سبيل المثال . فالطابـع الارجاعي اذن هو حقل شامل يطبع الشعر العربي بأسره في هذه المرحلة ، رغم انـه يحمل في داخله بذور التطور اللاحقة التي برزت في محاولات تجاوز شـكل القصيدة واطاراتها في شعر السياب المبكر .

ان القصيدة كسطح من المشاعر والتداعيات الخارجية ، وهي سمتها الغالبة في هذه المرحلة ، تحمل في الواقع ، بعض خصائص التوتر المأساوي الذي سيطبع الحركـة الشعرية المعاصرة . ويأخذ هذا التوتر في الشعـر الفلسطيني هنا ثلاثة اشكـال مترابطة :

١ — الاقتراب من الاغنية الشعبية . هذا الاقتراب الذي يصل الى صياغة لون اخر من الموشحات البسيطة التركيب ، الواضحة الايقاع والتي تستطيع ان تلعب دورا خاصا في الممارسة السياسية . ان التقطيع التوشيحي الذي نلحظه في بعض قصائد طوقان على سبيل المثال هو أحد اسس تلك البدايات التي حاولتها القصيدة العربية للخروج من جلدها القديم . ونحن لا نريد ان نغالي في الدور الذي لعبه طوقان في هذا المجال ، فهو لم يلعب دورا أساسيا او حاسما . لكنه في اناشـيده اشر الى هـذه الامكانية التي كان يجري تطويرها بشكل خلاق في مكان آخر ، ورسم اطارات أغنية سياسية ، تلعب دورها النضالي وهي تنطلق من الشعر : فالنشيد الذي كتبه لثورة الامير عبد الكريم الخطابي في مراكش ، اصبح مثلا للاناشيد اللاحقة التي صاغهـا شعراء اخرون .

٢ — الطرح السياسي — النضالي . فهم **الشعراء الفرسان** . كما يكـتب جبـرا ابراهيم جبرا(١). فالشاعر الفارس ، هو صيغة يجري استعارتها من التاريخ الادبي العربي القديم ، لانها تشير الى نوع من الطموح الذي نلمحـه خاصة في شعر عبـد الرحيم محمود . فهذا الشعر هو شعر المهمات المباشرة . لذلك هو شعر يطمح الى جماهيرية واسعة . الى ايصال صوته اقصى درجات الفعالية الجماهيرية الممكنـة . هذه الفعالية ، هي معانقة للممارسة النضالية التي تصبح مقياسا شبه مطلق ضمـن

مؤشرات التمرد على القيادات التقليدية التي كانت تقود النضال الوطني الفلسطيني . من هنا بداية الامتداد الى المثال الذي تضربه ثورة القسام . والى ضرورات حمل السلاح والقتال داخل عملية تنظيم الجماهير الشعبية . ان هذا المؤشر الذي لا يزال في هذه المرحلة في أول محاولات بلورة نفسه ، سوف يتحول الى العصب الرئيسي الذي يشد التجربة الشعرية الفلسطينية ، دون ان يفقد الشاعر دوره بوصفه فارس القبيلة والناطق باسمها ، ان بعد الممارسة السياسية ــ النضالية ، هو بعد متعدد ، يأخذ قضايا الانسان الكبرى ، ويعيد صياغتها بلغة الشعر . فتأتي هذه القضايا ــ الموت على وجه التحديد ــ وقد حملت جماعية تفقدها بعدها الرومانسي الفردي ، لتضعها داخل كل رومانسي ايضا ، لكنه كل جماعي . حيث تفقد القضية معناها الفردي ، لتتحول الى حدث اجتماعي ينبض بالفعالية . من هنا فحين يطلق على عبد الرحيم محمود لقب الشاعر الفارس ، فانه يأتي من داخل الافق الذي استشرفه الشاعر اطارا لتجربته الجماعية ــ الفردية . فهو ينبض بقيم الفروسية ، الشهامة ، ويحولها الى قيم من الفعالية الوظيفية داخل المهمات السياسية .

٣ ــ من خلال هذين البعدين ، يتبلور وعي ثالث ، هو الوعي الاساسي الذي سيطبع الشعر الفلسطيني فيما بعد . انه وعي الارض ، بوصفها امتداد الانسان في المكان ، ووعي الانسان لنفسه بوصفه امتدادا لها في الزمن . هذا الوعي المزدوج الذي بدأت تباشيره الاولى تظهر في هذه المرحلة المبكرة ، هو المذاق الاساسي الذي للممارسة الادبية الفلسطينية . انه ليس مجرد امتداد لشعر الحنين الوطني القديم الذي نتعرف عليه في بعض نماذج الشعر المهجري . بل هو محاولة لصياغة معادلة جديدة ، **فلاحية** ، في سمتها الغالبة ، تحاول رسم دلالات هذه العلاقة المعقدة وقد بدأت تأخذ معنى مأساويا في ذلك التشبث الجنوني بفكرة الموت ، وكأن الموت قد اصبح الجسر الوحيد الذي يستطيع هذا الوعي المأساوي العبور منه الى الارض . ان العلاقة بالارض تأخذ هنا مدلولا ثابتا . . رفض الاقتلاع الذي لم يتم بعد . ضمن هذا الثبات ، يبدأ الصوت النضالي الانتقادي يرتفع كشكل اولي من الحس بضرورات الانتماء القومي العام وبمسؤوليات مستقبلية لاشكال هذا الانتماء . فيجري التعامل مع الشعر ، بوصفه ميدان الطرح السياسي المباشر بشكل خافت في البداية (محمود) ثم يبدأ هذا الصوت بالارتفاع حتى يصل الى انتقادية سياسية كاملة في شعر الكرمي.

تسمح لنا هذه الاطلالة السريعة على الاتجاهات الرئيسية في حركة الشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات ، بمحاولة الذهاب في اتجاه تحليلي اكثر عمقا . محاولة دراسة بعض النقاط الدلالية الاساسية في هذا الشعر . والكشف عنها في خلال علاقتها بمصطلح القصيدة السائد في تلك الفترة . اي اننا سنحاول طرح بعض مسائل اشكالية الدلالة في هذا الشعر ، دون أن نسقط عليه قيمة فنية نستعيرها من نماذج متقدمة . فالاساسي هنا ، في تجربة القصيدة الافقية ، هو الدلالات السياسية والايديولوجية العامة ، التي استطاع الشعر ، عبر التعبير عنها ، ان يشكل بعض نقاط المنطلق التي تصلح كأساس لمحاكمة دلالية للمراحل اللاحقة .

الارض ــ الوطن

في احدى اكثر قصائده اهمية ، يطالعنا ابراهيم طوقان ، بالقيمة المركزية التي تستطيع شحن النضال الفلسطيني بابعادها الاساسية . انها قيم **الفلاح** الذي يتعلق بأرضه . ان هذا الابراز الاساسي للفلاح والتركيز على قيمه ، هو الرد الاولي ، الذي يمكن ان تتخذه مقاومة شعبية من طبيعة «فانونية»(٢) . فالقيم الاجتماعية والايديولوجية

السابقة على الاحتلال تصبح حاجزا اجتماعيا كثيفـا في مواجهـة الغزو الخارجي . لكن الدلالة الاساسية هنا ، لم تتخذ بعد هذا البعد الشامل ، الذي نلاحظه في قصيدة درويش « سجل انا عربي » . حيث البعد الوحيد المسـيطر هو بعد قانوني مئة في المئة .

« أعداؤنا — منذ ان كانوا — صيارفة ونحن — منذ هبطنا الارض — زراع »

في هذه العودة الاساسية الى دلالة الصراع ، يحاول طوقان صياغة معادلة الصراع العربي — الاسرائيلي ، المركزية . لكن هذه الصياغة لا تأتي الا بوصفها جزءا مـن مهمة نضالية . مقاومة محاولة الاقطاعيين بيع الاراضي للحركة الصهيونية . في هذه المقاومة يبرز البعد الاساسي للصراع . فمن جهة أولى هناك الفلاح الذي يتمسـك بأرضه ، لانها وطنه الوحيد الذي لا يستطيع الابتعاد عنه ، ومن ناحية أخرى هنـاك زمرة من الاقطاعيين الذين ما زالوا على نمط الاقطاع العثماني ، بعد أن فقد هـذا الاقطاع اساسه الذي يضبطه ، بوصفه اقطاعا عسكريا . فتأتي قصيدة طوقان هذه، لترسم اطراف المعادلة بشكل واضح لا لبس فيه :

« باعوا البلاد الى اعدائهم طمعا بالمـال ، لكنـما أوطانهم باعـوا
قد يعـذرون لو ان الجوع أرغمهم والله، ما عطشوا يوما ولا جاعوا »

ثم تنتهي القصيدة في بيت يلخص ابعادا جديدة لمعادلة الوطن . فاذا كان الوطـن بالنسبة لهؤلاء لا يعني شيئا محددا ، فان موت الفلسطيني يعني لـه اشياء كثيرة . فالانسان هو الارض وهي تتحرك في الزمن . لكن الشعر يأخذ من هذه الوجهة اكثـر عناصرها بساطة ومباشرة .

« فكر بموتك في أرض نشأت بهـا واترك لقـبرك أرضـا طولها باع »

اذا اخذنا هذه القصيدة ، التي اقتطفنا بعض أبياتها هنا ، كوحدة متكاملة ، فاننا نكتشف انها تتحرك في مستويين مترابطين . مستوى الدلالة السياسية المباشرة التي تقود الشعر الى افتراض دوره الاساسي بوصفـه محرضا اجتماعيا . ومسـتـوى الدلالة غير السياسية التي تحاول تمثل دور الفلاح ، وعلاقته الحميمة بالارض . لكن العلاقة بين هذين المستويين ليست علاقة تكاملية ، كما نفترض عندما نناقش قصيدة تحمل طموحا سياسيا . بل هناك غلبة واضحة للعنصر الاول ، الذي يقوم باستخدام العنصر الثاني بشكل ذرائعي . ان ذرائعية هذه العلاقـة تكشف اين يقع التركيـز الاساسي للشعر . وما هي العلاقة بين افق القصيدة وعمقها . فحين نفترض علاقة متكاملة بين هذين العنصرين ، نكون قد وصلنا الى افتراض نوع مـن الابتعاد بـين المستويات . أي ان المستوى الايديولوجي — السياسي لا يندغم بشكل كامل بالمستوى الفني . لكننا هنا امام اندغام كامل . حيث افق القصيدة يشكل فعاليتها . فهي تتفكك كبنية وتتوحد كمخاطبة سياسية في اذهان سامعيها . تأتي دلالتها السياسية لتشكـل وثيقة في الحاضر او وثيقة تأريخية على وعي محدد . ان هذين الطابعين ، التفـكك والوثيقة ، قد يفسران على انهما آتيان من طبيعة بنية القصيدة الخليلية ، هذا صحيح اذ بقينا عند حدود النقد الانطباعي . فالانطباع الاول الذي نخرج منه الان وبعـد ان استطاعت الحركة الشعرية المعاصرة خلخلة ثوابت القصيدة الخليلية . لكننا اذا قرأنا بعض الشعر غير الخليلي قراءة داخلية ، لاكتشفنا نفس البعدين : التفكك والوثيقة . غلبة دلالة واحدة هي الدلالة المباشرة على بقية الدلالات التي تحملهـا القصيـدة . ان هذا ليس مجرد مسألة شكلية . انه مسألة تتعلق **بالدور** المفترض الذي للشعر .

هذا الدور وعلاقته ببقية مستويات الايديولوجيا هو الذي يحدد في اخر تحليل بنيـة القصيدة وعلاقة دلالاتها .

في قصيدة طوقان التي عالجناها ، يرتفع تساؤل عن **الوطن** :

« تلك البلاد اذا تلت اسمها (وطن) لا يفهمون ودون الفهم أطـماع »

يبدأ الوطن بالتحول الى **مفهوم** . وهذا التطور ليس اساسيا في الشعر ، انه تطور في الايديولوجية العربية . لكنه هنا يأخذ انعكاسه بشكل حنيني لاهب . ففي قصيدة عبد الرحيم محمود « حنين الى الوطن » يلتقي صوت الشاعر ببدايات الحنين اللاهب، الذي استطاع الشعر المهجري ايصاله الى ذروته الاجتماعية . لكن الحنين يأتي هنا من واقع بالغ الخصوصية ، فالشاعر مطارد في العراق ، ويرسل في قصيدته هـذه دلالات جزئية علاقته بالوطن حين يكون بعيدا عنه . فالوطن في شعر محمود ، هـو أساسا ميدان الصراع ، لذلك فحين تكون غائبا عنه ، تكون فعليا غائبا عن ميـدان الصراع هذا . لكننا نتوقف عند هذه القصيدة لانها تحمل خصوصية انعكاس التيـار الرومانسي بشكل واضح على الشعر الفلسطيني . هنا يتحرر هـذا الانعكاس من ضغط الممارسة المباشرة ، فيأخذ مداه المتكامل ، ويرتفـع صوت الشاعر في أنـين رومانسي خافت :

« في ضـياء الشـمس في نور القمر في النسيم العـذب في ثـغر الزهـر
في خـرير الجـدول الصـافي وفي صـخب النهـر وأمـواج البحـر »

هذه البساطة التعبيرية التي تقترب من النثر في مخاطبة رومانسية وتفتقد الصرامة والمراجع التراثية التي يمتلىء بها شعر محمود ، تتحول في قصائد اخرى الى صخب عنيف ، ممتلىء بارادة القتال ، وبالدعوة اليه .

« دعا الوطن الذبيـح الى الجهـاد فـخف لفـرط فـرحتـه فـؤادي
وسـابقت النسـيم ولا افتخـار اليس علي ان أفـدي بـلادي »

بين هاتين القصيدتين ، مستوى واحد من الدلالة يخترقهما . فنحن في القصيـدة الاولى ، امام ابواب الوطن ، نبحث مع صوت الشاعـر عن نقـاط الالتقاء في نبرة رومانسية ، تضع حدا واحدا او خطا مستقيما بين تجربة الشاعر واطار هذه التجربة . فاذا كانت هذه التجربة تحمل الحنين الى الوطن ، فان الخط الواحد ، هو محـاولة لرسم اطارات هذا الحنين بشكل دقيق يطال الذات والموضوع محافظا عـلى الحد الواضح بينهما . لكن هذه الرومانسية تنتقل الى القصيـدة الثانية ، وتحول هـذا البعد الذي بدا هادئا في اطار القصيدة الاولى الى بعد صاخب يبقي هذا الحد المفترض بين الذات والموضوع . فينساب عالم الدلالة في خط مستقيم . انه خط البحث عـن الفعالية . مفهوم الوطن هو مفهوم وظيفي يقوم برد الهجمة الصهيونية . لذلك يبقى المستوى الاول ، الافقي ، الذي لاحظناه خلال قراءتنا لقصيدة طوقان ، هو المستوى الغالب ، مؤطرا دلالات القصيدة في خط مستقيم .

الموت

قد تكون تجربة عبد الرحيم محمود مع الموت ، هي اولى النماذج الشعرية والادبية التي تطرح هذه المسألة ، بتلك الروحية الشاملة . فالموت هو الاطار النهائي الـذي تصب فيه تجربة محمود الشعرية وتشحنه بدلالاتها الخاصة ، ليصبح جسد الشاعر حين يسقط في معركة الشجرة ، عنوانا نضاليا خاصا . فهو في طليعة الجسد الادبي الفلسطيني الذي تلون بالدماء ، واصبح عنوانا للكتابة التي تمزج الممارسة السياسية

بالابداع . فالثقافة ليست عالما غائما من الصور المثالية التي لا يستوعبها احد ، وليس المثقف هو الذي يكتب ، بل المثقف هو من يبحث عن عضويته ، داخل الممارسة الجماهيرية التي تصنع التاريخ وكل مجد ثقافي .

يمكن تحليل علاقة محمود بالموت ، من خلال أكثر قصائده شعبية « الشهيد »(٢). ففي هذه القصيدة اكثر من مستوى دلالي واحد :

يشير مطلع القصيدة الى المستوى الغالب فيها . فالموت هو مؤشر **ارادي** . تنبع هذه الارادية من طبيعة اطاره — الصراع — فحين يكون هناك صراع وطني لم تتبلور بعد ملامحه بشكل كامل ، تصبح ارادية الاختيار عاملا اساسيا . فالشهيد يختار الموت .

« سأحمل روحي على راحتي — وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق — واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان — ورود المنايا ونيل المنى »

هذا هو المدخل الاساسي ، الاقبال على الموت ، الموت هو بهذا المعنى حدث اجتماعي — سياسي — جماعي . ليس فيه أي اقتراب من مستوى القلق الذي اصبح عنوان شعر الموت الفردي . انه هنا مجرد فعل متكامل . فالفرد في داخله ليس حاسما . الحاسم هو الموضوع نفسه . الموت . لذلك تأتي الاوصاف التي يطلقها الشاعر على « نفس الشريف » وكأنها اوصاف للموت ولا علاقة للشهيد بها ، فالشهيد يأخذ اوصاف الموت حين يموت . هنا يتأكد العنصر الدلالي الاساسي في هذه القصيدة . فالدلالة تأتي من الفعل وليس من علاقة تضاد او تواز جامد ، لكن هذا المستوى الغالب الذي يؤكد عليه مطلع القصيدة ، يتحول الى وعي مأساوي حاد . فالشاعر حين يرى مقتله دون النصر الذي يبتعد يقوم بصياغة صراخه المأساوي في وجه الحياة ، ليأتي هذا الصراخ موقفا يمتليء بمأساوية فجوات الموت . فحين لا يستطيع الموت ان يمتليء بمداليل صراخ شعبي نضالي ، يتحول هذا الصراخ الى فعل لتدمير الذات ، تبلغ ذروتها في هذا الوصف لجسد الشهيد :

« وجسم تجدل فوق الهضاب — تناوشه جارحات الفلا
فمنه نصيب لاسد السماء — ومنه نصيب لاسد الثرى
وعفر منه بهي الجبين — ولكن عفارا يزيد البها
وبان على شفتيه ابتسام — معانيه هزء بهذي الدنا »

هذا المؤشر الثاني ، المليء بمأساوية مواجهة الموت ، ليس مؤشرا فرديا . فحين تصرخ ذاكرة عبد الرحيم محمود « فيعلم قومي اني الفتى » تلقي بظلالها كاملة على دلالات القصيدة تشير الى مستوى ثالث هو مستوى دور الذاكرة الثقافية — الشعرية في طبع هذا الشعر . لكننا هنا لا نزال امام حس مأساوي تتبلور في داخله ارادة جماعية يستطيع الشعر استشراف مضامينها بوصفه صداها الاساسي . فالجسد الذي ترسمه القصيدة ، هو جسد جماعي ، يأخذ طابعه الفردي لضرورات متعددة : دور الشاعر والمدى الذي يستطيع فيه التأثير بشكل حاسم . وهو كذلك يرفع مستوى الصراع الى الدلالة المأساوية التي عرفها الفلسطيني في سلسلة طويلة من تراكم موت بدا مجانيا ، لكنه في تراكمه يؤسس خطا جديدا في ممارسة بدايات نهضة حقيقية .

هذه المستويات الثلاثة في الموت عند عبد الرحيم محمود تؤكد دلالة مركزية ، حولها يجري تمحور الدلالات الاخرى . فنحن امام مواجهة للموت من طبيعة جماعية ، لذلك

يأتي دور الشعر التحريضي وكأنه بدأ ينحني لمأساوية الواقع الجديد . فالتحريض هنا فقد طابعه التجريدي السابق وغرس في عينية صاخبة . لذلك تأتي العناصر المأساوية لتلف هذا التحريض الجماعي بطابعها ، ولترسم من داخل أفق القصيدة بدايات لاعماق لا تزال على سطح التجربة الشعرية ، تستعير صورها من الذاكرة ، لكنها تبحث في ايقاعها الخاص عن قعرها العامودي الذي يحيل الموت من مجرد اطار تحريض الى فعل متكامل . لا يأخذ الموت هنا الدلالة المأساوية التي اضافها السيّاب الى الشعر العربي في تلك النبرة الايوبية الرهيبة الايقاع ، انه لم يصل بعد الى صياغة الوعي الجماعي من داخل مناطقه المتفجرة . فلا يزال التفجر يحمل اولا دلالة سياسية — تحريضية ، تطبع بقية عناصر الدلالة في القصيدة .

قد تؤشر قصيدة ابراهيم طوقان « الشهيد » لما اردناه من تحليلنا لقصيدة محمود بشكل اكثر وضوحا . فالشهيد هو اطار وصفي خلف هدف سياسي مباشر . تتوقف القصيدة عند بعض التفاصيل التي تبقى تفاصيل مجردة ، لا تحمل المعنى الانساني ، الفردي ، الا بوصفه وصفا لصورة تجريدية في الاذهان . « فالشهيد » هو من معدن يتجاوز المعدن الانساني ، ليصل الى ازدواجية المناضل ، الموت ، التي تصبح ثابتا لا يتغير . هنا وعلى ايقاع موسيقي بالغ الانضباط ، حتى يصلح ان يكون نشيدا وفي الخاتمة العامة للمقطع الشعري التي تتألف من عجز دون صدر ، تصبح الشهادة مجرد فعل اجتماعي . ويتحول الشعر الى محرض فقط . هذا البعد يعود ليسحب نفسه في قصيدة اخرى لطوقان بعنوان « الفدائي » . لكنه يبدأ في هذه القصيدة انحناءة انسانية من خلال محاولة الدخول في احشاء الفدائي المقاتل وفي حياته بالقرب من الموت :

« لا تسل عن سلامته ... روحه فوق راحته
بدلته همومه ... كفنا من وسادته »

لكنه يعود الى اللهجة الجماعية — السياسية . لا يتوقف الا قليلا عند اوجاع الموت ، ليحيل الموت وبسرعة الى مجرد حاجز لا بد من اختراقه وصولا الى الوطن . فاذ الموت يرتجف ، والفدائي يتقدم نحو غايته :

« هو بالباب واقف ... والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف ... خجلا من جرأته »

ليس الموت اذن موضوعا للشعر ، انه أحد اطاراته . فالقصيدة هي مستقبل الفعل الجماهيري . ومستقبلها هو هذا الفعل . من هنا هذا الاندغام الذي يصنع للقبيلة شاعرها ، ويحيل ظاهرات الكون الكبرى الى امتداد اجتماعي لعلاقاتها الاساسية . يؤخذ الموت هنا بأكثر معانيه الاجتماعية مباشرة انه فعل . وأمام هذا الفعل تتحدد العلاقات وتنمو . لذلك تصبح لغة القصيدة ايقاعها الخارجي كما أن الموت هو الايقاع النضالي الخارجي ويتحدد عبر هذا الحيز الاساسي دلالات الموت ، ويقفز المستوى السياسي المزوج بالذاكرة الجماعية الى المقدمة .

المستوى السياسي — الانتقادي

قد يكون هذا المستوى هو الموحد الاساسي لجميع عناصر القصيدة في هذه المرحلة، لكننا حين نحاول دراسة دلالات الشعر ، حاولنا من خلال موضوعاته الاساسية الكشف عن هذا الجانب التوحيدي . ونحن هنا أمامه وقد اخذ شكله الايديولوجي الاكثر وضوحا . فاذا كانت مهمات النضال المباشرة تفترض وعيا محددا ببعض

المسائل المركزية ـــ الارض ـــ الوطن ـــ الموت ـــ الشهادة . فانها تفترض بالدرجة الاولى وعيا سياسيا حادا يقوم بتقييم الاساسي في الوضع السياسي العربي والفلسطيني . ان هذا الجانب الذي سنحاول الاحاطة به هنا ، له مؤشرات ايديولوجية واضحة . ونحن نتعامل مع هذه المؤشرات بشكل واضح . فالمسألة الفنية ، تعود في بنية لا تتعدد الى حيز ضيق جدا وترتفع الدلالات الايديولوجية ـــ السياسية بوصفها مؤشرا عاما لمرحلة متكاملة .

١ ـــ **الوعي النقدي** . تطرح قصيدة عبد الرحيم محمود : « نجم السعود » ، مسألة فلسطين من خلال وعي نقدي هادىء يبدأ في تلمس المسألة او بعض اطرافها على الاقل . فهي تبدأ بشكل تقليدي ، المدح . لكن المدح يخفي وراءه انتقادية بالغة الدلالات :

« يا ذا الامير أمام عينك شاعر ضمت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجد الاقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه »

هذا البعد الانتقادي الذي يكشف عن نفسه في هذين البعدين ، يبقى مضمرا في بقية ثنايا القصيدة . فاضماره يدل على وعي سياسي فرض عليه النظر الى « الخارج العربي » وبطريقة متسامحة . هذا التسامح هو في الوقت نفسه جزء من ضرورات او اشكال التعبئة السياسية التي يقوم بها عرب فلسطين عبر طموحهم لتجنيد هذا « الخارج العربي » في خدمة قضيتهم وعبر الدورين المعنوي والمادي الذي يستطيع هذا النوع من الامتداد ان يقدمه في سبيل التعبئة الداخلية في صفوفهم . وسوف نلاحظ لاحقا ان الاساسي في هذه الموضوعة سوف يبقى في تجربة الشعر الفلسطيني القادم من الارض المحتلة ، حيث ستخفت نبرته الانتقادية أو تبقى مضمرة في سبيل اهداف مشابهة وان اختلف الاطار .

لكن هذا الوعي النقدي حين يتداخل مع الواقع المحلي للصراعات التي كانت تخاض في فلسطين ، فانه يصبح اكثر وضوحا .

« حبذا لو يصوم منا زعيم مثل (غندي) عسى يفيد صيامه
لا يصم عن طعامه في فلسطين يموت الزعيم لولا طعامه
ليصم عن مبيعه الارض يحفظ بقعة تستريح فيها عظامه »

هنا ترتفع سخرية طوقان الى ذروتها . ويلجأ الشعر في مباشرته الى اسلحة التجريح فيتقدم نفسه باعتباره وعيا قادرا على كشف المساوىء في كل لحظة . فالنقد يأخذ هنا كذلك معنى وظائفيا مباشرا . هنا لا وجود للقصيدة او حتى للمقطع الشعري . فيتحول هذا المقطع الى غطاء سياسي يسمح للشاعر بتوجيه نقده . هذا الجزء الملح من الشعر الفلسطيني في هذه المرحلة هو مرجع جماعي للموقف السلبي . فالسخرية هي موقف سياسي يحمل دلالة خاصة في ظروف خاصة اشرنا الى بعضها في سياق هذا البحث . لكنها هنا ، وفي شعر طوقان بشكل خاص تلعب دور الوعي الشعبي في ردود فعله التقليدية . وهي السخرية بوصفها دائما مقدمة للانتقال الى مستوى اخر من اشكال المقاومة الشعبية . ثم ينقل طوقان مستوى سخريته الى نوع من التشهير السياسي :

« أنتم المخلصون ! للوطنية أنتم الحاملون عبء القضية
وبيان منكم يعادل جيشا بمعدات زحفه الحربية »

ان الوعي النقدي ليس فقط وعيا ذاتيا . أي انه ليس موجها فقط في اتجاه تحليل

الاخطاء الداخلية والعربية ونقدها . ولكنه يحـاول اساسا الكشف عـن الاعـداء وتسميتهم باسمائهم . فالعدو مزدوج : الصهاينة والاستعمار الانكليزي :

« لنا خصمان : ذو حـول وطول   وآخـر ذو احتيـال واقتنـاص
تواصـوا بينـهم فـأتي وبـالا   واذلالا لنـا ذاك التـوامي »

هذا التحديد الشامل الذي لا يختلف احد عليهم ، هو صدى لتجـارب الحركـة القومية مع الاستعمار الانكليزي . فالشعر يأتي هنا ليشير فقط ، وليرفع اشارته الى مستوى الرؤية السياسية التي تتوافق بشكل كامل مع الرؤيـة السياسية العامـة السائدة في صفوف الحركة الوطنية .

٢ ـ **اشكال التعبئة** : حين يرتفع صوت عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) بشكل رومانسي غنائي نحو الوطن . فانه يذهب بعيدا في رؤيته الانتقادية . يتجاوز الاطار الذي فرضه شعر الثلاثينات والاربعينات . فالفلسطيني أصبح اليوم مشردا . وأصبح العدو أكثر وضوحا ويمكن الاشارة اليه :

« زعـماء ! دنسـوا تـاريخـكم   ومـلوك !.. شردوكم دون ذنـب
وجيـوش غـفـر الله لهـا   سلمت أوطانـكم من غير حرب(٤) »

لكن مسألة دور الشعر ، تتحـدد اساسا في اطـارات التعبئة التي يفترضهـا . فالشاعر هو اذن جزء اساسي او هكذا عامل قصيدته . فأتى الشعر ، ليخدم هدفـا تعبويا مباشرا ، فخلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، يرتفع صوت الكرمي في قصيدة مؤقعة وكأنها نشيد حماسي :

« أنشـر عـلى لهـب القصيـد   شكوى العبيـد الى العبيـد (٥) »

ثم حين يتوتر بعد التعبئة فانه يأخذ أكثر من شكل واحد :

أ ـ العودة الى التاريخ العربي والتركيز على نقاط البطولات فيه . على أسـاس ان التاريخ يقوم بتعبئة الجماهير ، ويثير فيها احساس الانتماء والقدرة على الفعـل البطولي .

ب ـ استعارة نماذج من القرآن ، ومن الشعر العربي القديم . اي العـودة الى الذاكرتين الدينية واللغوية ، لانهما تقومان كثابتين أساسيين في الذاكرة الجماهـيرية بدور الحاجز الثقافي والموحد السياسي في وجه الغزوة الاجنبية . فالعودة الى الذاكرة الثقافية الجماعية ، تأتي دائما وبشكل ملح في فترات التهديد القومي لانها قادرة على ان تتحول الى قوة فعلية لحظة يتهدد بناء اجتماعي كامل بالانهيار والدمار .

ج ـ محاولة اكتشاف اساليب نضالية والمشاركة فيها . ولعل قصيدة عبد الرحيم محمود « عيد الجامعة العربية » ، التي تقوم باعطاء دعم الدول العربية للنضـال الفلسطيني حجمه الحقيقي ، تشـير في الـوقت نفسـه الى الطريق الحقيـقي الذي يجيب على النضال الفلسطيني السير فيه الى نهاياته المنطقية :

« هذي طريقك للحياة فـلا تحد   عـنـه سـارها من قبلك القسام »

ان اشارتنا السريعة جدا لاشكال التعبئة ، قادتنا الى محاولة وضع بعض الاسس التي تشير اليها بنية القصيدة . فالقصيدة تبقى في التحليل الاخير خاضعة لمستـوى علاقاتها الافقي . يقود هذا الخضوع بالضرورة الى تكون الدلالة حول مسألتين :

١ ـ الرمز الثقافي ، الذي لا يلعب هنا أكثر من دور ثانوي . أي دورا داخل مضمون كلي يخاطب بالدرجة الاولى ويتوقف عند نقطة المخاطبةهذه. من هنا تأخذ قضايا الكون،

بعدها ، كجزء من جماعية ، لا تزال على المستوى الشعري ، جماعية القبيلة التي تنتخب مشاعرها ناطقا باسمها .

٢ ــ الدلالة السياسية التي تقود الى وعي مباشر . يحدد الوضع السياسي ، ويقيم للشعر دوره من خلال هذا الوعي .

هنا تعود القيمة الارجاعية ، لتشكل القيمة الاساسية لهذا الشعر . وتأتي قدرته على التعبئة ، كجزء من طموح مشروع . في وقت كان فيه الشعر العربي لا يزال أسير رومانسية الخروج من تجربة شوقي الشعرية .

يقودنا هذا التحليل الاولي لدلالات القصيدة في الشعر الفلسطيني الحديث ، في مرحلة تكونه الى استنتاجين أساسيين : ــ

اولا : تقيم بنية القصيدة ، اكثر من بعد واحد . البعد الاول هو التحريض او الفعالية . لذلك يستعير هذا البعد الانجاز الشعري العربي ويقوم بمحاولة تطويعه لخدمة اغراض هذا الهدف . فتبقى البنية في القصيدة الفلسطينية هي نفسها بنية القصيدة العربية مع محاولات ضئيلة الحجم والاثر لخلخلة معادلة بناء القصيدة . الابعاد الاخرى : هي محاولة ادراج الواقع السياسي داخل رؤيا خاصة ، تنطلق من أشكال التعامل مع قضايا الحياة ، من خصوصية التجارب وفرادتها . لكن البعد الاول يبقى هو المسيطر والغالب ولا يسمح للابعاد الاخرى بالتطور والتبلور الا بمقدار ما يقوم هذا التطور بخدمة اغراضه . ان هذا العامل التحديدي ليس مجرد مصادفة، فهو ينبع من خصوصية المواجهة التي فرضت على الشعب الفلسطيني ، كما انه ينبع من نسق التطور الذي كانت تخوضه الحركة الشعرية المعاصرة .

ثانيا : ان هذه المعادلة داخل القصيدة تقود الى تمركز الدلالة حول النقطة المباشرة، تحاشي الغموض ، والنسج على نموذج حماسي في الشعر . فتقوم الدلالة المباشرة بدورها بتدمير أية امكانية لنمو الرمز ، وتفرض على علاقة عناصر القصيدة خطا مستقيما ، يتفكك . ولا يتوحد الا داخل جمهور متناسق مفترض .

٣ ــ

لقد استطاع الشعر الفلسطيني القادم من الارض المحتلة ان يتحول الى ظاهرة شعرية متكاملة ، بفضل الظروف التي سمحت له بأن يصبح المعبر الاساسي عن مرحلة صعود رومانسية عامة ، ترافقت مع صعود حركة المقاومة . قبل الدخول في تحليل هذا الشعر ، لا بد لنا من الاشارة الى فجوة مفترضة قبل بروز هذا الشعر بوصفه استكمالا لشعر الثلاثينات والاربعينات الوطني . هذه الفجوة هي في الواقع مرحلة الحركة الشعرية الجديدة التي استطاعت ان ترسم الاشكال الاولى للقصيدة العربية الممكنة . فالشكل الجديد ، هو تعبير عن واقع جديد له طرفان : ــ **التطور الانقطاعي الدائري** : الذي لا ينتج بالضرورة عن تراكم تطوري ، بل يأتي كقفزة في مجهول بنائي . فعلى الرغم من محاولات اكتشاف اسس قصيدة التفعيلة في محاولات عصر « النهضة » للخروج على عامود الشعر الخليلي ، فان المسألة ليست مسألة التفعيلة كوحدة موسيقية للقصيدة ، اذ سرعان ما جرى تجاوزها الى أشكال قصيدة النثر المتعددة . بل المسألة هي في غرس رؤية جديدة للشعر . فالشعر ليس للالقاء ، بل للقراءة . هذه القفزة وان بقيت طموحا يتخلله جميع رواسب المرحلة السابقة ، تؤشر الى انفجار في التعبير بلا مقدمات حقيقية . **والتطور من خلال نموذج خارجي** ، حيث يلعب هذا النموذج دور رافعة تغييرية ، فيأتي الجديد متداخلا في مدارس شعرية

وفنية متنوعة ، فيسقط على الواقع الادبي السابق محدثا فيه ثورة بلا مقدمات وبلا نتائج تراكمية . اي أن هذا النموذج الخارجي ، يستطيع أن يقوم بثورات مشابهة وبتحولات جديدة عميقة ، دون ان تضبط هذه التحولات في تراكمية تطورية ، هي الاساس في حركة ادبية مطابقة مع نفسها . ان هذا الوصف الخارجي ، للحركة الشعرية العربية المعاصرة ، لا يقود الى افتراض نموذج تطوري من طبيعة مطلقة ، به نقيس الحركة الشعرية المعاصرة . لكنه يفترض نسقا ، يلعب فيه عامل التطور التحقيبي دورا مؤشرا . هذا النسق مفتقد في الحركة الشعرية المعاصرة ، في مركزها الاساسي بالمشرق : ان هذا النمط من التطور سوف يعكس نفسه على حركة شعرية لم تشارك في صياغة اسئلته الاولى . بل بقيت نتيجة ظروفها الثقافية والسياسية مبعدة عن أسئلة البدايات . فتعاملت مع هذا النمط الذرائعي من التطور بطريقة ذرائعية كاملة . محولة الشكل الى مجرد وعاء لا يحمل مداليل خاصة به ، الا بمقدار فعاليته السياسية ــ التحريضية .

في هذه الفجوة التي نشير اليها ، يصعب الحديث عن شعر فلسطيني خاص . فالتشرد والتمزق الذي عاناه الشعب الفلسطيني ، جعل لاصوات الشعر الفلسطيني في هذه الفترة مذاق الانماط المختلفة للحركة الشعرية العربية . فبماذا يتميز صوت سلمى الخضراء الجيوسي(٦)، في مجموعتها الشعرية « العودة من النبع الحالم » الصادرة سنة ١٩٦٠ ، وبماذا يتميز صوت فدوى طوقان في مجموعاتها المختلفة. يحمل هذين الصوتين الشعريين ، جميع سمات بقايا التيار الرومانسي الذي بقي حيا في شكل القصيدة الجديد . يزاوج بين الشكلين ، ويقوم باسقاطات ذاتية رومانسية الطابع على الواقع . فترتفع نبرة الحنين ، او يعلو حس فجيعي بالاضطهاد ، كما في شعر طوقان ، او ترتفع صيحات العزة القومية والانتماء الوطني ، التي اصبحت بعض سمات المرحلة الناصرية . غير ان هذا الاندماج الكامل في خصائص التيارات المختلفة للحركة الشعرية العربية ، لم يحجب بعض السمات الفلسطينية . حيث تابع ابو سلمى ، من مواقعه الكلاسيكية القديمة ، محاولته التأكيد على الالتزام والحنين الفلسطينيين من موقع الامتداد العربي . فهو الوحيد الذي بقي ليشكل استكمالا ، دون تطوير الا من بعض نواحي استكمال البناء الكلاسيكي ، لشعر الثلاثينات والاربعينات . انه استكمال من طبيعة غير قادرة على الاستمرار(٧). وقد يكون صوت معين بسيسو في « مارد من السنابل » ، او « فلسطين في القلب »(٨) و « الاشجار تموت واقفة »(٩). محاولة لتطوير الرؤية الفلسطينية من موقع الاتجاه الواقعي في الشعر . هنا ، تصبح علاقة الذات بالموضوع ، علاقة امتداد بين طرفين . وتصبح القصيدة هي الحيز الاساسي بين طرفين يحاولان الوصول . فيأتي الوعي الفلسطيني مأساويا ومليئا بأوجاع البدايات :

« كتبت عن طيورنا المهاجرة
وقبلت ليس للرياح ذاكرة
كتبت عن أشجارنا التي تموت
وهي واقفة
هذا الشتاء دقت الاجراس
لم تمر عاصفة ».

ان مأساوية هذا الوعي ، تبقى داخل انماط الحركة الشعرية العربية ، في طريق مواكب لها . فاصوات شعراء هذه المرحلة ، كانت تتداخل مع الحركة الشعرية العربية ، ببعض خصائصها الدلالية ، دون ان تفرز القصيدة بنية متفاوتة عن اشكال

تطور الحركة الشعرية العربية ، كما ستكون الميزة الاساسية لبدايات الاصوات الشعرية القادمة من الارض المحتلة . الوعي الفلسطيني في المنفى ، بعيد عن مواجهة العدو في ظل ركود الجبهات العربية . فهو عامل داخلي في سياق الحركة القومية . من هنا لم يكن لصوته الشعري الاستقلالية النسبية التي عادت فانفجرت في اواخر الستينات ، لتؤشر لتطور من نمط جديد في الشعر الفلسطيني .

غالبا ، ما يجري طبع مناقشة الحركة الشعرية الفلسطينية في الارض المحتلة ، بطابع رومانسي ، فيصبح النقد خارج النقد . اي يجري تغييب النقد لمصلحة احد اتجاهين :

١ ــ الاتجاه الاول الذي يتعامل مع هذا الشعر بما يشبه القداسة . فهو صوت مرحلة صعود حركة المقاومة . وهو الصوت الذي يؤكد الهوية والانتماء . لذلك جرى البحث في مضامينه وفي دلالات هذه المضامين . وجرى ادماج هذه المضامين داخل الحقل الايديولوجي العربي السائد ، الذي فقد مع الارتجاجة الحزيرانية عناصر قدرته على الثبات ، او جرى ومن موقع آخر رفع هذا الشعر الى مصاف لا يمس من خلال التركيز على رومانسيته الواقعية التي تتواكب مع مرحلة صعود رومانسية قومية .

٢ ــ الاتجاه الثاني الذي نظر الى هذا الشعر من موقع عدم ثقة مسبقة . فهو ليس شعر مقاومة ، لان الموقف السياسي الذي ينطلق منه هو موقف لا يرفض وجود الدولة الصهيونية ، بل يعارض من خلال مؤسساتها الشرعية . وجرى من خلال هذه الوجهة التركيز على الطابع غير الثوري لهذا الشعر وعلى عدم قدرته على الاستمرار .

بين هذين الاتجاهين قاسم مشترك أساسي . هو محاكمة الشعر بمقاييس غير شعرية . أي محاكمته من موقع الدلالة السياسية المباشرة . لذلك يقع الموقفان في الخطأ نفسه الذي يعتبر دلالة الشعر مجرد دلالة سياسية مباشرة ، ولا يلتفت الى الدلالة الاساسية : دلالة البنية التي تلخص موقفا شاملا هو محصلة لممارسة كاملة. أي ان المقياس التاريخي الذي يحاكم حركة شعرية بدلالاتها التأشيرية التاريخية ، بوصفها تعبيرا عن الوعي قد بقي غائبا أو شبه غائب . لذلك قد يتحول الاتجاه الاول وفي مرحلة تراجع سياسية الى الاتجاه الثاني ويذهب ابعد من ذلك الى ادانة كل شيء.

ان النقطة الاساسية التي ننطلق منها في دراسة دلالات هذا الشعر هي في وضعه داخل سياقاته التأسيسية . فهو ينطلق من وعي « قانوني » حاد . انه التعبير عن شعب مقتلع ، يبقى في ارضه متشبثا بها ، ورافعا راية الوحدة القومية ــ الثقافية المهددة . ان نقطة انطلاقه القانونية هذه تلقي الضوء على اربع دلالات :

١ ــ **دلالة الشكل** ، حيث الشكل لا يدخل ضمن المعاناة الا بوصفه لباسها الخارجي . فالقصيدة هي وعاء للشعر . من هنا ضمور المعاناة التشكيلية الى حد الخفوت . فهذا الشعر الذي يقفز من تجربة حنا ابو حنا(١٠) الكلاسيكية التي تجد نقطتها الاساسية في الامتداد نحو الخارج العربي ، الى شعر « حديث » يستعيد اللغة النزارية ، ويحاول استيعاب تجربة البياتي الواقعية من موقع بنية القصيدة التي تركز على القضايا البسيطة واليومية ، وتحيلها الى جو شعري متكامل ، يفترض الوعي القومي ، اساسا لعملية الامتداد الاجتماعية ــ السياسية التي يقيم هذا الشعر اطاراته في داخلها .

٢ ــ **دلالة الايقاع** ، حيث يشحن هذا الايقاع نفسه ، بأرضية التواصل البسيط في

اشكاله الاولية . فيأتي ايقاع القصيدة مؤشرا على طرفيها المفتوحين لاستيعاب التجربة الشعبية ، التقاطا . أي ان ايقاع القصيدة يلتقط من الايقاع الشعبي بعض سماته ويقوم بادخاله داخل بنية شكل القصيدة . فتأتي دلالة الايقاع الذي لا ينفجر لتشير الى رومانسية من طبيعة خاصة تقود توجه هذا الشعر .

٣ ــ **دلالة الحكمة الشعبية** . غالبا ، ما يجري تضمين مقاطع من الشعر الشعبي، داخل القصيدة الفلسطينية . فيأتي هذا الشعر ليشير داخل بنية القصيدة الى محاولة استيعاب العناصر التقدمية في الثقافة الشعبية ، لتؤكد ، طابع التوجه العام لهذا الشعر .

٤ ــ **دلالة اللغة** . وهي اكثر دلالات هذا الشعر اهمية . لا تظهر هذه الدلالة بشكل مستقل . لكنها هي الاطار العام الذي يغلف التجربة الشعرية في الارض المحتلة. فاللغة هي اطار الصمود . انها العلامة الاساسية التي يجب التمسك بها والتركيز عليها . فاللغة هي مستودع الذاكرة الجماعية . انها القيمة القومية الاساسية التي يجب المحافظة عليها . من هنا دور الشعر الكبير . فهو ليس أكثر قدرة على التعبئة السياسية من بقية أشكال الكتابة فقط ، لكنه ايضا يحمل في الذاكرة الشعبية ، معنى الاستمرار القومي . من هنا أهمية دلالته القصوى . ومؤشرات هذه الدلالة .

قد تكون هذه التعميمية التلخيصية ، بالغة الغموض ، اذا لم نستطع البرهنة عليها واقعيا ، وفي اطار النماذج الشعرية العينية . لذلك سوف يكون تعاملنا مع بعض نماذج شعر الارض المحتلة ، تعاملا انتقائيا ، أي سوف نحاول ، ومن خلال القصائد الاكثر تعبيرية ، الاشارة الى طابع الدلالات التي يحملها النص الشعري . من هنا فنحن لا نؤرخ لخطوط تطور هذا الشعر . نحاول فقط دراسة احد عناصره الاساسية ، لنعيد من خلال مقارنته بالنماذج الشعرية السابقة الارتباط الدلالي داخل بنيتين شعريتين يفترض انقطاعهما بشكل نسبي .

الهوية :

تحمل قصيدة محمود درويش « بطاقة هوية »(١١) عنصر الدلالة التكوينية لهذا الشعر واضحة ، ولا تحتاج الى تفسير نقدي . فسلبية المقاومة ، التي تظهر واضحة في هذه القصيدة ، هي الجانب الخفي من صراخها الايجابي . انها قصيدة بالغة البساطة ، ذات اتجاه واحد من بدايتها وحتى النهاية . يرسم هذا الاتجاه ، الاطار القومي للمقاومة ، نبدأ بصيغة المفرد « سجل أنا عربي » . ثم تتحول هذه الصيغة الى نقاط تنقل وصفا عميقا لظاهرات الصمود . التكاثر العددي . الجذور القديمة :

« جذوري ..
قبل ميلاد الزمن رست
وقبل تفتح الحقب ».

ثم يعود الى قيم التمسك بالارض . فهو فلاح . يحمل المقطع الثالث دلالة الانتماء الشعبي الذي يبتعد عن الانتماء الفولكلوري الرديء بمقدار ما ينغرس في«الوطن البعيد» الاعزل . هنا يصبح لون الشعر ، والكوفية ، والقرية العادية ، علامات على زمن البدايات الذي تستطيعه مقاومة معزولة تبدأ تبحث لنفسها عن أرضها الثابتة . ثم يرتفع صوت الدعوة الى المقاومة من خلال رفض سياسة مصادرة الارض المستمرة . فاذا بهذه الخصائص ــ الحواجز في وجه المحتل ، تتحول في وجهتها من السلب الى الايجاب . فالرفض السلبي الذي تمارسه الشعوب المضطهدة احتماء بتراثها الشعبي

وبامتداداتها التاريخية ، يتحول من حاجز الى قوة تتقدم ، فتبدأ أطراف المعادلة بالتغير:

« ولكني .. اذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار .. حذار .. من جوعي
ومن غضبي !! ».

ان الدلالات التي تحملها هذه القصيدة النموذجية في تعبيريتها عن وعي عرب الارض المحتلة تنقسم الى نوعين :

١ ــ البعد السياسي ــ التحريضي : لكن هذا البعد لا يأتي هنا مباشرا ، انه يختبىء خلف رموز شعبية وثقافية ، تشكل اطار هذا البعد التحريضي الذي يعود ليبرز في نهاية القصيدة ، كبداية لها . أي ان القصيدة تتحول هنا الى دائرة ، نهايتها هي البداية التي تضيء بقية عناصر القصيدة ، فتدرجها داخل ايقاعها الخاص وتعيد تفسير بقية عناصرها . فالبعد السياسي ، هو بعد غير مباشر . انه يختفي خلف أشكال الحياة . وهذه هي قفزة البنية الشعرية التي لم يستطع الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة المحافظة عليها ، فعاد في اغلبه التحريضي والسياسي الى نفس نقطة الانطلاق التي كان عليها الشعر في الثلاثينات والاربعينات .

٢ ــ البعد الثقافي : الذي يقوم هو انطلاقا من واقع الحياة اليومية التي يعيشها الناس في الارض المحتلة ، بصياغة الحواجز الثقافية التي تحافظ على احساس الصمود ، والتي تشحن هذا الاحساس بتوتر من طبيعة خاصة . فدلالات الاشياء والرموز الثقافية في الارض المحتلة هي من دلالات مختلفة عما في خارجها ، اذ تأخذ الاشياء هنا مدلول الثبات . ومن داخل الثبات يتأسس عالم جديد ينتقل من الموقع السلبي الى الفعل الايجابي .

تقوم بنية القصيدة بتوحيد هذين البعدين في لهجة المخاطبة . فهناك طرفان في معادلة درويش الاولى : الشعب والعدو . وبين هذين الطرفين يقوم حوار من طبيعة عدائية ومدمرة . هذا الحوار ليس متكافئا . وهو كذلك في الواقع . لكنه هنا يقلب معادلة الواقع ، فالصوت الذي نسمعه هو الصوت الشعبي ، ولا يظهر صوت القمع الا من خلال ردود فعل هذا الصوت ، حتى نصل في المقطع الاخير الى لهجة أكثر مباشرة . هنا تظهر القصيدة الصوت الآخر بلهجة المجهول ، وتنزل لحظة من تداعي هذين المستويين لتضم مستوى مباشرا ، لا يخدم أغراض القصيدة ، لكنه يخدم دلالة الشعر السياسية .

اذا حاولنا العودة ثانيا الى قراءة القصيدة لنقارنها بالاتجاهات المختلفة للشعر العربي ، نكتشف انها قصيدة بالغة البساطة ، هذه البساطة التي ينظرها شعر درويش في مكان آخر داعيا الى ضرورة « فهم البسطاء للقصائد » . وهي تفترض قارئا ، وسامعا . لكنها تركز على السامع ــ القارىء بطريقة القائية ، لانها قصيدة خطابية بالدرجة الاولى .

يشير هذا التحليل للقصيدة الى اتجاه عام يقودها ، هو الاتجاه الواقعي الذي تلعب صيغة المباشرة فيه دورا حاسما . وتقوم الدلالات داخل القصيدة بالاندماج داخل مستوى **العلاقة بالآخر** . فالرموز الثقافية المباشرة التي تحملها القصيدة لا قيمة لها خارج هذه العلاقة . هنا تتوحد القصيدة من حيث المبدأ ، في حين تبقى مفككة . فقصيدة « بطاقة هوية » هي احدى النماذج المتقدمة في بنية شعر الارض المحتلة ،

لكن اذا أخذنا قصيدة أخرى فاننا سنكتشف ان الرموز الثقافية سوف تنحل داخل علاقة ثنائية مباشرة هي صدى لاطارات الشعر الفلسطيني الاول .

ففي شعر توفيق زياد، يرتفع الرمز الثقافي الشعبي الى أقصى درجاته. فهو يضمن قصيدته دائما ، او في الكثير من الاحيان ، مقاطع من الشعر الشعبي التي تدل على الصمود. لكنه في قصائده يحافظ بشكل واضح على ثنائية الذات والموضوع ، بل انه يترك هذه الثنائية تذهب بعيدا من داخل حرصه على الايقاع الخارجي ، وعلى العلاقة بالجمهور . فتخرج القصائد مفككة ، لكنها تحمل نقطة مركزية يجري عليها التركيز الدائم . ففي قصيدة « من وراء القضبان »(١٢)، وهي قصيدة تحاول الاشارة الى الطموح النضالي الفلسطيني الذي يستحيل الى « نار الكفاح نفسه » :

« ان يحبسـونا .. انهم
لن يحبسـوا نار الكفاح
لن يحبسـوا عزم الشباب الحر
يعصـف كالريـاح ».

هنا تسقط الدلالات جميعها ، عند هدف واحـد ، التحريض . وتصبح القصيدة وموضوعاتها ، وأشكالها المتعددة ، مجرد مداخل للوصول الى هذا الهدف. فالتحريض لا يخرج من داخل معاناة شعرية متكاملة ، يبدأ وكأنه معطى ، ويمتد داخل موضوعات مختلفة دون أن يتلون بها ، الا في الحد الادنى الذي يسمح له بالتقدم .

بحث الفلسطيني في الداخل عن الهوية ، محاولة للوصول الى ردم هوية تاريخية . فأوالية المقاومة الثقافية التي استطاع الشعب الفلسطيني تفجيرها من خلال الشعر ترسم أولى البشارات في مسيرة الدماء التي يخوضها هذا الشعب . لكن الهوية ، لم تكن ضائعة في الداخل فقط ، بل كانت ضائعة في الخارج ، في مخيمات التشريد ، أو هذا ما تريد ان تقوله قصيدة دحبور «الافادة»(١٣) . فالانتماء يتحول وبعد سنوات طويلة من القتال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني الى انتماء من طبيعتين: — انتماء الى الفقراء، وانتماء الى القتال . فهذان الانتماءان ، هما الشكل الجديد للانتماء الفلسطيني . الرمز الثقافي القديم الذي يستعيره شعر الارض المحتلة ، بوصفه عامل توحيد ، يصبح هنا رمزا مستقبليا . الثقافة الجديدة هي ما يجري صنعه على أرض المعركة . لهذا تتقدم قصيدة دحبور في نضجها الفني لتزاوج بين ايقاعين ولتقيم عبر هذه المزاوجة محاولة لتأريخ من طبيعة جديدة . فهي ترسم اطارات الهوية من خلال الواقع الذي يتحرك وتقيم دلالتها على أساس حركته حين « النهر يصير بساطا للفقراء متى يورد » .

ان البحث الفلسطيني عن الهوية ، يأخذ اطاره الاساسي مـن خلال عالم القرية وثوابت العلاقة بالارض وبأشياء الطبيعة . ففي قصيـدة لسميح القاسم « أمطار الدم »(١٤) يعود الوجدان الشعبي الى محاولته الاساسية ، رسم اطارات العلاقة التي لا تتغير ويرفع الشاعر سؤاله « ما لون المطر ؟ » عند هذا التساؤل يعود الى الاشياء حجمها الطبيعي ويصبح البحث عن ثابت العلاقة مقدمة للوصول الى « نهر الفقراء » . أي ان بدايات المقاومة الثقافية ، تمتد هنا ، لتصبح مؤشرات لمقاومة من طبيعة ثانية.

ان الدلالة الاساسية ، التي تخرج منها من خلال قراءة هـذا الشعر تتألف مـن عنصرين :

١ — العنصر الاول هو تزاوج ابعاد القصيدة في محـاولة الوصول الى الفعـل السياسي المباشر ، من خلال أقنية سلبية في مجملها . هنا يعود هذا الشعر الى الالتقاء

بالشعر الفلسطيني الاول بوصفه امتدادا له ، رغم أنه يتخلى هنا عن البنية الخليلية ، لكنه يحافظ على جميع عناصر علاقاتها .

٢ ــ العنصر الثاني ، هو بروز بدايات مؤشرات محاولات الخروج مــن دائرة القصيدة التي تتفكك فالايقاع الخارجي الذي يشكل عصب الشعر ، يبدأ بالتحول في اتجاه استجماع اللحظة الانسانية ، وتركها تتحرك بحرية أكثر ، وهذا يعود الى الاثر المباشر للشعر الواقعي العربي في الشعر الفلسطيني .

الارض ــ المكان :

حين ارتفع في شعر الثلاثينات ، صوت الارض ــ الوطن ، فان هذا الصوت يؤشر الى نوع من الوعي السياسي الذي يجيب على تطور عام في الايديولوجيا العربية التي تركز على هذا المفهوم . لكن هذا الصوت بقي صوتا خارجيا ، فهو يتعامل مع المفهوم بوصفه علاقات محددة ، دون أن يصل الى رسم لوحة المكان بوصفها اطارا للحظة جماعية . فالاضافة التي يقدمها شعر الارض المحتلة ، هي اضافة من طبيعة نوعية . فالمكان الفلسطيني يصبح اطارا جديدا . الارض قادرة على التعبير عن نفسها ، انها جسد . داخل هذا الجسد يقيم الشاعر علاقاته الجديدة ، ويرسم صورته واوجاعه . العلاقة الجديدة هي نتيجة تجربة اقتلاع جماعية . فالاقتلاع حين يمس الشعب بأسره ويبقي اقلية ضئيلة في « اسرائيل » ، فان وعي هذه الاقلية لعلاقتها بالارض يصبح وعيا حادا . الارض هي مورد الرزق الوحيد ــ انها العمل . امتداد الفلسطيني في الزمن ، وهي أساس وحيد للاحساس بالانتماء . من هنا هــذه النبرة الخاصة في التعامل مع الارض ، التي تصل الى حدود نسيان دور سياسي مفترض على الشعر أن يؤديه :

« ثلثي قابــع في الســجن
والثلثــان في عشــب الحديقة »

دلالة الارض هي دلالة مزدوجة :

الدلالة التي يشير اليها شعر سميح القاسم ، حين تصبح الارض موضوعا للرؤيا ، اطارا للفعالية المباشرة . فالعلاقة بالارض تأخذ هنا بعدها من الذات ، من صاحب العلاقة الذي يقاد الى انشادها من خلال موضوعات الفعالية التي تخــرج منها . فالعلاقة هذه هي علاقة فلاح ، أو هي في الوقت نفسه علاقة مقاومة :

« يوم ولدنــا ولد الرفض
فاستبشري أيتها الارض
عيوننــا مفتوحة في الــدجى
ضل على شطآنهــا الغمض[١٥] ».

داخل هذا النسق الاساسي من العلاقة ترتفع الشهادة السياسية ، بوصفه مخاطبة مباشرة . يدمج الشعر نفسه بالخطابة ويصبح خطا مستقيما لا يتعدد . يعلق على الاحداث السياسية ، أو يشارك فيها ، محتفظا بموقعه الاساسي الذي يقيم الدلالة من طرف واحد . فالقصيدة هنا تبقى أسيرة توقها الى الفعل . من هذا المنظور يمكن قراءة شعر القاسم ، والمستويات المختلفة التي تتداخل في هذا الشعر . فالقاسم هو شاعر يحس احساسا حادا بالخارج . أي يقيم لهذا الخارج اطارات كاملة في بنية قصيدته ، فيصخب الايقاع ، ويقود هذا الى شكل القصيدة الخليلية مباشرة ، حتى عندما تعتمد القصيدة التفعيلية وحدها . ان الوصول الى هذا الشكل في بناء القصيدة لا يحمل دلالة

شخصية أو ذاتية ، لكنه يحمل دلالة عامة تضم جميع الاصوات الشعرية الفلسطينية. فغالبا ما يصل زياد ودرويش الى نفس المعادلة ، معادلة القصيدة الخارجية ، التي لا تبحث عن علاقاتها داخل اطارات الشعر الخاصة ، اي داخل الحركة الداخلية التي يستطيع الشعر أن يضغطها ويجعلها في تفاعل مع الواقع الذي تنطلق منه وليست مجرد صدى له . ان تحليل هذه المعادلة الشعرية ، يعود فيقودنا الى افتراض أساسي انطلق منه الشعر « الواقعي » ، الذي يشكل الشعر الفلسطيني أحد روافده . هذا الافتراض هو افتراض فعالية الشعر ودور السياسي الاساسي . لكن هذا الافتراض وان كان يقود الى هذه العلاقة فانه لا يحجب أبعادها الانسانية .

« في وجهي لون الارض »

داخل هذا البعد من العلاقة بالارض تندرج قصائد توفيق زياد . هنا تصبح علامات الارض شاهدا على ضرورات البقاء والصمود . فالشجر والبيت والطبيعة ، هي المداخل الاساسية التي ينطلق منها هذا الشعر :

« وأحفر كل أســراري
على زيتونة
في ســـاحة
الــدار ..؟؟(١٦) ».

الارض هي العلامة التي يجري التوقف عندها ، لكنها علامة خارجية يقيم معها الشاعر علاقة على هذا الاساس . يسقط عليها بهمومه وهموم شعبه ويستعيرها نموذجا للصمود . فهي علامات يجري زرعها على درب طويل من النضال . هنا تبقى القصيدة كما في التحليل السابق ايقاعا ، تغلب عناصره الخارجية على بقية العناصر . وتصبح القافية هي طريق الايصال السهل والمباشر .

ان النقطة التي تثيرها هذه النماذج ، هي الحافة التي وصل اليها الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة . فهو يطور مفاهيم النضال ، يتوقف طويلا عند قيم الفلاح البسيط ، ليمهد لقفزة نوعية في التعامل مع المكان .

يمثل شعر درويش ابتداء من مجموعته « العصافير تموت في الجليل »(١٧)، محاولة الخروج الاساسية الى العلاقة الرحبة بالارض ، فتستحيل الارض الى فعـــل خاص يشحن العلاقة الانسانية بها ويعيد تشكيلها . فالاطار الوظائفي للعلاقة الذي كان حتى الآن سائدا ، يفتقد بشكل شبه نهائي ، وتصبح العلاقة نفسها هي موضوع الشعر . هنا ينحني الصوت الشعري فيما يبحث عن اطاراته ؛ لا تعود أطراف القصيدة حادة ومسننة ، بل تصبح دوائر متتالية ، وتقوم بالنسج على منوالها الخاص :

« هي الارض لاجئــة في جراحــه ».

لم نعد أمام استعارة للارض « عنب الخليل » أو أشياء القرية ، نحن أمام مكان بلا حدود ، يستطيع أن يفتح منافذ لا حدود لها للرؤيا الشعرية وايقاعاتها المختلفة . هنا تتحول غزة من رمز ثنائي مجرد الى كل نضالي :

« وغزة لا تبيع البرتقال لانه دمها المعلب »

أو يصبح المكان هو النضال في حركيته الخاصة . فلم تعد تلك الثنائية التي افترضت اساسا لتفصل بين الفعل واطاره ، بين الشكل ومضمونه ، تستطيع استيعاب ابعاد هذا الامتداد الذي يحمل في داخله تجربة الارض المحتلة بمعانيها القمعية وتجربة المنفى بكل ما تحمل هذه التجربة من مأساوية الدماء ومن تفاصيل المســـيرة الطويلة التي

يقطعها اللاجئون بحثا عن الوطن ، لذلك « يختلف الزمان مع المكان » ، ولا تعود الاشياء واضحة وسهلة المسالك . فطريق الوطن تختلط بالوطن ، وتصبح المسيرة الثورية هي علامة المكان ومدلولاته . فلا مكان هنا لخط واضح من الاسقاط المباشر . فالاشياء التي تتقدم هي الفعل الانساني الذي يسير بلا حماية . ما هي الحماية ؟ حين يرسل درويش صراخه الرومانسي في خاتمة قصيدة « النزول من جبل الكرمل »(١٨)، فان هذا الصراخ يأتي لا ليحجب دائرية القصيدة وتوزعها في ابعاد داخلية متعددة ، تلعب فيها الصورة الامتدادية دور المناطق المركزة التي يجري الانطلاق حولها ، ولكنها تأتي لتضيء هذه المناطق ، عبر ادغامها في ذلك الوجع الفلسطيني الذي يعود بين لحظة وأخرى الى منطقة الذاكرة .

في هذا الشعر ، تنحل الحلول ، وتأتي الدلالات من داخل البنية الشعرية لتقيم لها امتدادها في الزمن الواقعي . فالشعر ليس فعالية خطابية ، انه محاولة للخروج من الخطابية الى نفسه ، حيث يصبح تلخيصا مكثفا بلغة الايقاع والحلم للتجربة الجماعية .

البعد النضالي المباشر :

النقاط التي رفعناها سابقا ، هي أبعاد هذا الشعر النضالية . لكننا سنحاول اثارة ثلاث نقاط حاولها الشعر الفلسطيني في سبيل الوصول الى فعاليته المباشرة :

١ ــ **الانتماء العربي** : يأخذ هذا الشكل اكثر من بعد واحد . فهو قد يكون امتدادا الى الواقع السياسي العربي ــ تثمين بالغ للانتصارات القومية ، ومحاولة الانتماء اليها بشتى الوسائل ، بورسعيد ، الجزائر ، السد العالي ... أو قد يأخذ شكل الانتماء الى التاريخ العربي . هنا يجري التركيز على الصليبيين :

« وان كسر الردى ظهري
وضعت مكانه صوانة
من صخر حطين »

كما يقول توفيق زياد . أو قد يأخذ شكلا اكثر مباشرة وتعددا . تذكير بمعارك الصليبيين وفشلها . « خيول الروم أعرفها » كما يقول محمود درويش . لكن نفس الاشارة تعطي مدلولين مختلفين : هنا يصبح صلاح الدين رمزا قوميا يجب التمسك به ، ويجب التذكير الدائم به . وفي الخارج « يباع صلاح الدين وخالد بخلخال امرأة ». نفس الاشارة ترسم تفاوتا هائلا في مقترب الوعي السياسي . فداخل تجربة الارض المحتلة تأخذ الاشياء مداليل مختلفة ، وترسم بصورة مختلفة عنها في الخارج .

٢ ــ **التراث الشعبي** : الحكمة الشعبية هي هنا أداة فعالية . تأتي فعاليتها من كونها تعود لتدمج بالمقاومة الثقافية . هكذا تصبح الاغاني الشعبية في الداخل والخارج أداة داخل الشعر . لكنها تأخذ مدلولات مختلفة :

فهي في شعر توفيق زياد ، يراد بها السخرية السلبية : « واوي بلع منجل » أو احياء التراث نفسه عبر اعادة كتابته من جديد ، على اعتبار ان هذا الاحياء يلعب دورا تقدميا خاصا . وهي في بعض شعر درويش اطارات للوصول الى الارض ، لذلك لا يجري التوقف عندها لكنها في شعر دحبور مثلا تلعب دورا نضاليا مباشرا . انها جزء من عالم ذكريات فتى المخيم الذي يصر على ان « الكف سوف تلاطم المخرز ».

٣ ــ **الاشارة السياسية المباشرة** التي قد تأخذ اشكالا متعددة . الخطابة التي يركز عليها هذا الشعر كثيرا . أو الحنين الرومانسي الى الوطن الذي يستعير اشياء الطبيعة لتنقل همه المباشر :

« يا عنب الخليل السمر لا تثمر (١٩) »

أو التركيز على مفاصل الممارسة النضالية . رموز المقاومـــة الفلسطينية . ففي قصيدة « عائد الى يافا » يستعير درويش شخصية المناضل الشهيد ابو علي اياد ، ليرسم من خلالها ، اطارات بالغة الشفافية للعملية النضالية وقد لبست رجلا ــ رمزا. هنا لا يعود الشهيد أسطوريا ، بل يصبح الفعل الثوري هو الاسطورة التـــي يتحلق حولها الشعر ويرسم لها . أو حين يستعير القاسم شخصية « ليلى العدنية » فيقوم باسقاط التاريخ العربي بأسره على شخصية مناضلة ، لتعود هذه الشخصية وقــد لخصت تاريخ شعب بأكمله .

غير أن هذه الاشارة تأخذ في الشعر الفلسطيني في الخارج ــ دحبور والمناصرة ــ بعدا يمزج بين الاطار الرومانسي الواضح كما في قصيدة دحبور « صفحة من كتاب الاغوار » ، حيث تتحول الشهادة الى قصة رومانسية عادية جدا ، لكنها تستطيع اثارة العواطف والحماس ، أو في بعض قصائد المناصرة التي يشير بها الى الوطن مـــن الخارج ــ يا عنب الخليل ــ او قد تأخذ شكلا بالغ الانفعال الاحتجاجـــي . فيمتزج الاحتجاج بمرارة واقعية ، يحدها اليأس الكامل والامل الثوري في طرفين متزاوجين .

ان الطموح الاساسي للشعر الفلسطيني المعاصر ، هو طموح التعبير عن تجربة كلية ، هي تجربة الانغراس الثوري الكامل . لكن هذه التجربة لم تجد بعد اطاراتها الفنية التي تستطيع الانطلاق منها في سبيل الوصول الى طرح مشكلة الانسان المضطهد في علاقاته المعقدة . قد يرتفع صوت وليد سيف ليمتد صوب خضرة ، او يبدأ سرحان درويش رحلة الخروج . لكن هذا الخروج يحمل في ذاته مؤشرات خاصة وجديدة ، لا بد قبل الوصول اليها من تلخيص مكثف ، لعنصر الدلالة في هذه المرحلة الشعرية .

لا تزال القصيدة تستعير نموذجها ، فهي محكومة بثنائية الشكل والمضمون بشكل لا خلاص منه . هنا يتقدم الشكل ونبقى في غالب الاحيان في نفس مضامين الاشكال الفنية للشعر الفلسطيني الاول . فعالية سياسية وضمور في البحث التشكيلي . تراجع أمام لحظة الانفعال الشاملة ، ومحاولة للدخول ، في عالم جديد ، لا تزال ملامحه غـــير واضحة . أي لا نزال أمام متطلبات بنية تتزامن فيها الاشكال والمضامين بشكل غير انقطاعي . وآذا حدث هذا الانقطاع فانه لا يحدث نتيجة تراكم ولا يتراكم .

ان محاولة حصر الدلالة ، في الاطار الذي وضعناه في مقدمة هذا البحث ، تشير الى واقع أساسي ، هو واقع دلالات الخروج من الاطارات السابقة التي يعلو فيها صوت الارجاع المباشر . فالقصيدة لا تزال في سمتها الغالبة قصيدة ارجاعية . قصيدة فارس القبيلة الذي يخاطبها ويتكيف معها من خلال هذه المخاطبة .

٤ ــ

قد نكون في بحثنا هذا ، لم نصل الى لوحة بيانية متكاملة لمعنى الدلالة في الشعر الفلسطيني الحديث . لكننا ، استطعنا على الاقل ، ان نتوقف عند محطات أساسية ، تسمح لنا بالوصول الى نوع من الفرضية التي تبقى بحاجة الى التعميم والتوقف عند بعض المظاهر التفصيلية الاخرى . لكن الاساسي في موضوعنا ، هـــو الوصول الى افتراض ثبات نسبي للدلالة في الشعر الفلسطيني . هذا الثبات ينشأ أساسا من واقع سياسي محدد ، ما كانت العناصر الجديدة فيه ، الا لتؤكد الطابع القمعي الشامل الذي يرزح فيه الشعب الفلسطيني . فبالاحتلال الاسرائيلي ، اتخذ هذا القمع طابعا جديدا وحفر ضرورات من طبيعة ثقافية ــ سياسية ، فرضت اصالة خاصة ، استطاعت

ان تصل الى اقنية تعبيرية جديدة ، هدفها الاساسي يبقى خارجها ، أي يبقى في ايصال سياسي ، يوقع القصيدة ، على اذن اعتادت نوعاً معينا من الايقاع ، واصبح هـذا الايقاع جزءاً اساسيا من مقاومتها .

ان قفزة هذا الشعر ، خارج اطار « فلسطينيته » ، التي أكدت خصائصها ، طابعها اللصيق بالانجاز الشعري العربي ، تفترض تداخلا في هذا الانجاز أكثر عمقا وفعالية . أي الوصول الى قصيدة البحث ، التي تبحث عن الشكل الشعري الجديد فيما تبحث الحركة الجماهيرية عن تجذير طابع ثورتها الوطنية . فالوعي الرومانسي ــ الثوري ــ نستعمل هنا كلمة رومانسي بأكثر ما تستطيع هذه الكلمة حمله من ايجابية ــ أصبح مطالبا ، كضرورة واقعية ، بالخروج من اطاراته السابقة . هنا تأتي المحاولة الجديدة التي ابتدأت مع قصيدة درويش « سرحان يشرب القهـوة في الكافيتريا » وجـرى استكمالها فيما بعد في مجموعته الشعرية الاخيرة « محاولة رقم ٧ » . وهنا كذلك تقع اهمية قصيدة سميح القاسم « مراثي سميح القاسم »(٢٠) وبعض قصائد سيف ودحبور الاخيرة فالكلمة الشعرية ، تحاول اختراق معانيها جميعها . انها في داخل العملية الابداعية ، تترك لهذه العملية جميع امكانيات الوصول الى آفاقها الرحبة . هنا ندخل حيزا جديدا في الوعي المأساوي الفلسطيني :

ــ تحاول الكلمة ان تصبح دائرة ، تفتح نفسها لاستقبال دوائر الكلمات ، فيستدير المقطع الشعري وتستدير القصيدة ، وقصيدة درويش « الخروج من ساحل المتوسط » هي أكثر محاولات الوصول الى دائرية لا تكتفي بالتعبير عن حالة ، بل تنتقل الى التعبير في حالة . التعبير عن حالة هو مسافة يفترضها الشاعر أو تكون داخل تجربته مؤشرا على ثبات الثنائية بين القصيدة وموضوعها . اما التعبير في حالة ، فانه يعكس تعددا لا يستطيع القياس النظري الوصول اليه بشكل مسبق . هنا يدخل الشعر ، دائرة جديدة ، دائرة التخلي ولو جزئيا عن ماضيه والانتماء الى مستقبله .

ــ تأخذ الاشياء معان جديدة . فهي بالغة البساطة والشفافية ، لكنها في الوقت نفسه ، لا تستطيع ان تتوقف عند ظاهر هذه الشفافية بل تقوم باختراقها . الشهيد هو انسان عادي « حلولوا أن يصعدوا » كما يقول درويش . لكن في عاديته وعي مأساوي يتأسس خارج زمن الرجع المباشر والذكاء الشعري ؟

ــ تتعدد الاصوات ، داخل العمل الواحد . هذا التعدد هو صدى لعالم غير مستقيم الحركة بين نقطتين ثابتتين . فالحركة الجماهيرية هي وليدة حركتها . هكذا الشعر ، حين يعبر داخل الشيء ، يصبح وليد هذا الداخل . هنا يصعد العـــالم الذي يحجبه الواقع ويقيم فراغات حركته ، استدارات في القصيدة .

ــ داخل هذا المدى ، لا يكون التطور وحيد الجانب ، بل يبقى القديم متعايشا مع الجديد ، وهو في تعايشه هذا قد يقيم اطارا قادرا على تعبئة الفراغات ، بمستقبلية الكلمة ، اي بمعناها الجديد . أو قد يحدث تفاوتا هائلا في النص الشعري بين شكله ومضمونه كما في « المراثي » . هنا يظهر تزامن « الحقب » الادبية المختلفة في نص واحد ومن اول تحليل .

امام هذا التزامن الذي يطبع هذا الادب التجريبي يجري التوقف . فهو ينخرط في طابع عام داخل حقل التجارب الشعرية والادبية العربية ، لكنه هنا لا يفقد خصائصه « الفلسطينية » الا ليستعيدها . فتظهر خصيصة **المكان المأساوي** بوصفها اطار الوعي الجديد الذي استطاعت التجربة الشعرية الفلسطينية . فمأساوية هذا المكان تعـود لتندغم بطموحه « الثوري » . بمعنى طموحه التغيري . فالتغيير هنا ، لا يجـري في

فضاء بلا قاعدة ، انه يقف على قاعدة حركة ثورية حية وواقعية . تمده هذه الحركة بطابعه القادر على التجاوز لكنها تستطيع كذلك أن تحد من تجاوزيته ، وهذا يعود الى خصائصها الايديولوجية والمرحلة التي وصلت بها في تعبيرها الايديولوجي — السياسي عن معاناتها الواقعية .

ان دلالة الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر ، لم تعد دلالة ثابتة . فهي في تحولها تحمل بذور الصراع بين موروثها ومستقبلها . وداخل هذا الصراع يتشكل زمنها الادبي التداخلي . فالتداخل في الزمن الادبي ليس مجرد مسألة تقنية يمكن حلها بشكل تقني . انها تفتح البحث في ميادين خارج الحقل الادبي وحده . تفتح البحث في الايديولوجيا العربية ومسار تحولاتها . والمقاييس التي نقيس بها هذه التحولات .

العالم الشعري الذي لا يحد ، الا ليكسر الحدود ، هو وليد تجربة جديدة ، لا تزال في ادبنا العربي في مراحلها الاولى . لكنها تستطيع بارتباطها بالقوى الجذرية المغيرة . أن تفتح عالما جديدا لدلالات جديدة .

---

١ — جبرا ابراهيم جبرا ، **الرحلة الثامنة** ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩ وما يليها .

٢ — فرانز فانون ، **معذبو الارض** ، ترجمة د. سامي الدروبي ، دار الطليعة ، بيروت .

٣ — **ديوان عبد الرحيم محمود** ، جمعه د. كامل السوافيري ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٤ — أبو سلمى ، **المشرد** ، دمشق ١٩٦٣ .

٥ — د. ناصر الدين الاسد ، **الشعر الحديث في فلسطين والاردن** ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٦ — سلمى الخضراء الجيوسي ، **العودة من النبع الحالم** ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٠ .

٧ — أبو سلمى ، **من فلسطين ريشتي** ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، نيسان ١٩٧١ .

٨ — معين بسيسو ، **فلسطين في القلب**، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٥ .

٩ — معين بسيسو ، **الاشجار تموت واقفة** ، منشورات دار الاداب ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٦٦ .

١٠ — حنا ابو حنا ، **نداء الجراح** ، دار العودة، بيروت ، ١٩٧٠ .

١١ — محمود درويش، **الاعمال الشعرية الكاملة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٧٣ . مجموعة **أوراق الزيتون** ، ١٩٦٤ .

١٢ — توفيق زياد ، **ديوان توفيق زياد** ، دار العودة ، بيروت (بدون تاريخ) ، مجموعة **اشد على اياديكم** .

١٣ — أحمد دحبور ، **طائر الوحدات** ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، تشرين الثاني ١٩٧٣ .

١٤ — سميح القاسم ، **ديوان سميح القاسم** ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ، من مجموعة **اغاني الدروب** .

١٥ — سميح القاسم ، **المرجع السابق** ، من مجموعة **سقوط الاقنعة** .

١٦ — توفيق زياد ، **المرجع السابق**، من مجموعة **ادفنوا أمواتكم وانهضوا** .

١٧ — محمود درويش ، **المرجع السابق**، مجموعة **العصافير تموت في الجليل** .

١٨ — محمود درويش، **محاولة رقم ٧**، منشورات دار الاداب ، بيروت ١٩٧٤ .

١٩ — عز الدين المناصرة ، **يا عنب الخليل** ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .

٢٠ — سميح القاسم ، **مراثي سميح القاسم** ، دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٧٠ .

الفن هو أيضا طريق للتحرر

منى السعودي

كثوريين نؤمن أن الفن فاعلية محوّلة للحياة ، وأنه ضرورة لأنسنة العالم ، أي أنه اداة نضال ضد الامبريالية ، بكل أبعادها اللاانسانية ، ففي مقابل قوى الظلم والتدمير والقهر والاستغلال يكون الفن ـ الشعر ـ الثورة قوى متكاملة للنضال من أجل الحرية ·

الممارسة الفنية في جوهرها ممارسة ثورية ، ان خلق اشكال جديدة هو تفجير واغناء للحياة الانسانية ، توسيع لدائرة الفعل والرؤيا والامكانية ، وهو تجسيد للوعي · ان القدرة الانسانية على الابداع في التعبير عن نفسها بشكل دائم ، تشكل خرقا للنظام القائم ، تلغي المحرّم والثابت والجامد والماضي والميت ، متوجهة دائما نحو المستقبل والحلم والحيّ ·

الخطّ يحوّل العالم الى حيّ

الدم يحوّل العالم الى حيّ

اللون يحوّل العالم الى حيّ

نحن نحوّل العالم الى حيّ ، فرَح ، قدرة ، اذ نكتب ونقاتل ونرسم ونكوّن ·

ان التقاء الفن بالثورة هو تقاطع في الجوهر أي في فعل الابداع ، فالفن ليس بديلا للعمل النضالي وليس زينة له ، وليس تعبيرا عنه بشكل مباشر أيضا ، وهو أيضا ليس تابعا له أو واضعا ، ان الفنانين الذين تحولوا من رسم اللاجيء الى رسم الفدائي، لم يفعلوا اكثر من التقوقع في شكل ماض ميت ، وهم لم يفعلوا في الثورة بل استعملوها ·

ان مهمة الفنان كطليعي هي البحث عن لغة فنية وأشكال تعبيرية جديدة ، فكل فنان جيد هو فنان طليعي ، ان توجه الفنان نحو الخلق يضعه حتما في علاقة مع مادة العالم الحية المتغيرة ، ومع القوى الصانعة للتاريخ ، والهادمة للقيم الجامدة ، وان اتخاذ الفنان موقفا ثوريا لا يعني انه مطالب بأن يكون فنانا واقعيا ، بالمعنى الضيق المحدود للواقع ، فالفنانون الذين اتخذوا موقف الثورة كانوا دائما فنانين طليعيين في تعبيرهم الفنيّ أيضا ، من الفنانين الروس مؤسسي الحركة التجريدية والبنائية الذين كانوا ثوار اكتوبر ١٩١٧ الى جواد سليم وفناني أيار ١٩٦٨ ، وبول غيراغوسيان وضياء العزاوي ··· فالابداع الحقيقي نقيض الرجعية والموت ·

ان المناخ الثوري هو مجال تفجير القوى المبدعة خاصة في فترة تكوين الثورة ، أي قبل تحولها الى سلطة · يلتقي فيه كل هؤلاء الذين يبحثون عن تغير شامل في الكتابة والفن والسياسة والاقتصاد والعلاقات البشرية، وان عصرنا الذي هو عصر الثورات السياسية هو أيضا عصر الثورات الفنية ، فلقد طرح الفنانون الشيوعيون خلال فترة

تكوّن ثورة اكتوبر وفي السنوات القليلة اللاحقة لانتصار الثورة ، طرحوا مفاهيم ولغة جديدة للفن كانت ثورة جذرية على كل المفاهيم الاكاديمية والبورجوازية التي كانت سائدة في اوروبا والعالم في ذلك الوقت ، فلقد قام فنانون مثل مالفيتش وتاتلين وكاندينسكي وكابو وبغزنر ما بين ١٩١٢ ـ ١٩٢٠ بابداع أسلوب جديد في الفن هو الفن التجريدي الذي يقوم على عناصر بلاستيكية تعتمد على التكوين الهندسي الديناميكي ، فن يتوجه نحو المستقبل والحركة في مضمونه وشكله ووظيفته أيضا ، ففي الوقت الذي كان فيه فنانون آخرون مثل بيكاسو وبرانكوزي وماتيس يبحثون عن فن تعبيري او رمزي او وحشي او تكعيبي ، أي فن له علاقة تطورية بالفنون السابقة وفنون الحضارات القديمة ، نجد الفنانين الروس يبدعون لغة فنية جديدة نوعيا ، ولم يسبق لها مثيل في التاريخ ، وكانت اول ثورة ناضلت من أجل تغيير مفاهيم الفن في القرن العشرين ، لقد حاول هؤلاء الفنانون خلق ثورة في الفن معادلة للثورة السياسية والاقتصادية الشيوعية ، أي رفض جذري للاشكال والاساليب القديمة الماضية ٠

اننا حين نريد تحديد الالتزام الثوري الحقيقي في الفن اليوم لا بد أن نرجع الى الاصل ، فنربط الالتزام الثوري في الفن بالحركة التجريدية الطليعية ، اذ أن هؤلاء الفنانين كانوا اول مناضلين من اجل التعبير عن روح الثورة وولادة العالم الجديد ، يقول هربرت ريد (١) « لقد قُمعت الحركة ونُفي محركوها أو أنهم صمتوا ، ولكنهم كانوا قد خلقوا ليس فقط حركة فنية جديدة ، وتطويرا في الاسلوب ، ولكن نوعا جديدا كليا من الفن البنائي Constructivist Art وانتشرت ممارسته من موسكو الى كل العالم » ٠

في العالم العربي اليوم بدايات حركة فنية ، بعد ركود طويل وانقطاع تام عن الممارسة الابداعية تبدأ في استعمال اللون والخط والشكل كلغة للتعبير ، وتبدأ مرحلة الوعي للذات كقوة فاعلة لها خصوصياتها الحضارية والابداعية ، ولقد كان جواد سليم (العراق) وأدهم اسماعيل (سوريا) ، وبول غيراغوسيان (لبنان) من اوائل الفنانين الذين حاولوا رسم ملامح تعبيرية فنية ناضجة ذاتيا ومرتبطة بالحركة الفنية العالمية المعاصرة ، وجسد هؤلاء الفنانون الوعي العربي الجديد في الخروج من السلب الى الايجاب ، من الغياب الى الحضور ، وكانوا طليعة من عبر عن هذا الوعي التاريخي ٠

لا نستطيع ان ننظر الى الفنانين الفلسطينيين الا كجزء من الحركة الفنية العربية عامة ، لقد ألحّ بعض الفنانين الفلسطينيين في البداية على تصوير المأساة والتشرد، وكانت هذه مرحلة طبيعية للتعبير عن الهزة المباشرة التي تعرض لها الانسان الفلسطيني في صميم وجوده وحياته ، وفي حين جمد بعض الفنانين الفلسطينيين عند هذه المرحلة الاولى ، أخذ آخرون طريق المغامرة باحثين عن الخروج من المباشرة الانفعالية البسيطة للوصول الى لغة فنية ذات خصائص بلاستيكية مستقلة ، كانت جزءا من الحركة الفنية الابداعية العربية ٠

من الخطأ الادعاء ان هنالك فنا فلسطينيا ، هنالك فنانون فلسطينيون ، كما هنالك فنانون من دمشق أو بغداد، وان الارتباط الفني العربي الفلسطيني هو ارتباط لا مثيل

---

1) A consise History of modern sculpture - Herbert Read.

له الا الارتباط بالدم · لقد شارك الفنانون الطليعيون العرب جميعا في اغنـاء المعركة الفلسطينية بأعمالهم الفنية ، كما استشهد مناضلون عـرب علـى أرض فلسطيـن ، ان شمولية القضية الفلسطينية سياسيا وانسانيا تجعلها غير قابلة لان تحدد فقط بحدود فلسطين ومن هو فلسطيني المولد فقط ، بـل تأخذ طريقها الى دم كل تقدمي ، اذ انهـا قضية الحرية الانسانية عامة ، ففي الزمن الذي تصير فيه قضية الثورة قضية عالمية، وفي الزمن الذي صار فيه الفن أيضا حركة ذات صبغة وسمات عالمية ، نرفض العودة الى تكريس مفاهيم ضيقة ومحدودة ·

ان زمن المقاومة الفلسطينية الذي هو زمن ابداعي ، زمن الحلم والفعل ، ساهم في خلق علاقات جديدة بين الفن العربي والحياة ، أخذت هـذه العلاقات أبعادها ضمن العمل الفني ذاته في شكله ومضمونه وفي وظيفته أيضا ، فبعد حزيران ٦٧ وبتصاعد المقاومة الفلسطينية ومدها الشعبي على الارض العربية حدث التقاء فعال بين الفنان والمجتمع ، وخرج الفنانون من دفاترهم ولوحاتهـم ومراسمهم للمشاركة في صنع التاريخ ، يقول كمال بلاطة(٢) « بأن الفن الذي انتجه الفلسطينيون بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بنوع خاص هو خطوة أولى نحو اتحاد الفرد بالكل » · ان مثـل هذا الاتحاد لم يقتصر على الفنان الفلسطيني بل شمل طليعـة الفنانين العرب ، فكان « شهادة الاطفال في زمن الحرب » تعبيـرا عن هذه الروح الثورية الجديدة في البحـث عـن الالتحام ، وتفجير القاعدة الشعبية نحو المشاركة الابداعية ، كان نذير نبعة في ذلك الوقت يرسم لمجلة الثورة في دمشق ويزين كتبا لشعراء المقاومة في الارض المحتلة ، وعبد القادر أرناؤوط يبدع ملصقات ضدالصهيونية بلغة بلاستيكية هندسية توحد بين الشعار النازي والنجمة السداسية ، وفي بغداد رسم ضياء العزاوي « شاهد من هذا العصر » عن يوميات مقاتل فلسطيني في عمان ــ ايلول ١٩٧٠ ·

في امريكا كان كمال بلاطه من القدس القديمة يرسم بالحبر الملون أحـلام فلسطين ، حصان جامح من ارابيسك عربي ، امرأة فلسطينية ترتدي أشعارا فلسطينية ، وكـان فلاديمير تماري من يافا يبحث فيبيروت عن حرف عربي جديد بسيط وعملي ، ثوري، سماه مؤخرا حرف القدس ، وعرض فنانون آخـرون مجموعة لوحات عن الثورة والحب ، وفي بغداد أقيم معرض للملصقات في ساحة عامة ، واخذت الاعمال الفنية طريقها نحو الشارع عن طريق الملصقات والكتب والبطـاقات ، وترك فنانون آخرون ريشهم والوانهم وحملوا البنادق ·

« ان الانسان الذي يبحـث عن وحدة الانا المحـدودة بوجود جماعي عن طريق الفن » (٣) يعرف في مثل هذه الفترات الديناميكية اتصالا حيا وعموديا بالجماعة ، بحيث يصير هو والعالم نارا واحدة ، برقا واحدا ···

ان حاجتنا للفن ــ التعبير هي حاجتنا للقتـال ، فقضية الثورة واحدة لا تتجزأ ، وان مدننا تحتاج الى اعمال فنية حاجتها الـى الديناميت ، ان الفن هو أيضا نوع من العنف ، وهو أيضا طريق نحو التحرر ·

---

(٢) كمال بلاطة ، نحو فن عربي ثوري ، مواقف عدد ٩ ·
(٣) ارنست فيشر (ضرورة الفن)

السينما وقضية فلسطين

وليد شميط

انتبهت الحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الاول في بال عام ١٨٩٧ ، أي بعد سنوات قليلة جدا من ولادة السينما ، الى اهمية هذا الاختـــــراع العجيب والدور الاعلامي والدعائي الخطير الذي يمكن ان يلعبه · وبعد سنتين فقـط من مؤتمر بال شددت على ضرورة استعمال السينما كوسيلة لنقل الفكـــــر الصهيوني الى اليهود انفسهم والى شعوب اوروبا بشكل خاص · وتطور مع الوقت، وحسب مقتضيات الحاجة والضرورة والخطط الانية والاستراتيجيـــة للصهيونية ، الهدف من السينمـــا الذي ارتكز ، في البداية ، على أسس عامة ثم تبلور فيما بعد حول ثلاثـــة محاور رئيسية : دعم فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين والتركيز على اللاسامية وبالتالي اضطهاد اليهودي في كل مكان ، صبغ الفكر الصهيوني بالطابـــــع الانساني ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها وربط هذا المبدأ بحق اليهود في فلسطين ·

ونجحت الصهيونية ، بعد قيـام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، نجاحا ملموسا ، بفعـل رؤوس الاموال اليهودية في اوروبا واميركا وبفعل هيمنتها على قسم كبير من وسائل الاعلام الغربية ، في استعمال السينما بهدف تشويـه الحقائق وقلبها واعطاء صورة مزيفة عن طبيعة الدولة اليهودية تبدو اسرائيل من خلالها دولة متقدمـة ومنارة اشعاع في المنطقة العربية المتخلفة · بل ذهبت ابعد من ذلك وحـاولت ان تلغي وجود الشعب الفلسطيني ، وان توهم العالم بأن حق اليهود في فلسطين حـق تاريخي ، وبأن حرب ١٩٤٨ كانت حرب استقلال وتحريـــر خاضها الشعب اليهودي ضد الانجليز والعرب معـــا ·

وتحقيقا لهذه الغاية كـــان لا بد من تسخير التاريـــخ وتوظيفه لصالح « الشعب المختار » ، فقامت هوليوود بانتاج مجموعة افـــلام « تاريخية » تدور احداثها قبل المسيحية وتتناول مشاكل القبائـــل اليهودية مع الفراعنة الذيـــن اضطهدوا اليهود وحاولوا منعهم من العيش بسلام في« ارض الميعاد »· ومن ابرز هذه الافلام« الوصايا العشر » لسيسل ب· دي ميل ، و « الفراعنـــة » لهيوارد هوكس و « سليمان والملكة سبأ » الذي « يظهر » جذور علاقة تل ابيب بأديس ابابا !

وكان من الطبيعي بعد ذلك ان تستغل الصهيونية المجـازر التي ارتكبها هتلر بحق يهود اوروبا في الحرب العالمية الثانية ، للتأكيد على مسألـة اضطهاد العالم ، قديمه وحديثه ، لليهود الذين لا حـــل لمشكلتهم سوى بانشاء وطـــن قومي لهم ، وبالتالي ضرورة قبول العالم باسرائيل كحل نهائي للمسألة اليهوديـة · ومن أبرز الافلام التي شددت على هذا الامر فيلـــم « اكسودوس » (Exodus) للاميركي اوتو برمنجر و « حائط في القدس » للفرنسي فردريك روسسنف ·

واهتمت الصهيونية كثيرا بالتأكيد على ان « فلسطين ارض دون شعب لشعب دون ارض » · وعندما لم يعد بالامكان جعل العالم يعـرف ان فلسطين كانت ارضا قاحلة وغير مأهولة ، غيرت الدعاية الصهيونية تبريراتها واعترفت بأنه كان في فلسطين بعض السكان ، ولكن هؤلاء تركوها قاحلة جرداء · وظهـــرت بعد ذلك مجموعة كبيرة من

الافلام التي تصور كيف ان اليهود حولوا الصحراء الى جنـــة ، وبالتالي كيف أهمل العرب هذه الارض خلال قرون • وتمكنت الصهيونية بذلـــك من التأثير على قطاعات كبيرة جدا في الرأي العام العالمي • بل انها ضمنت تأييد وعطف عـــدد غير قليل من المثقفين والفنانين والسينمائيين التقدميين الذيـن اعجبوا بالتجربة الاسرائيلية ، كما قدمتها وصورتها الدعاية الصهيونية ، حتى ان المخرج الفرنسي التقدمي كريس ماركر قام عام ١٩٦٠ في اسرائيل ، باخراج فيلم « وصف كفاح » اشاد فيه بالشعب « الذي عرف كيف يحوّل الصحراء الى حدائق » •

أمام هذه الحملة الاعلامية الشرسة التي استخدمت فيها السينما حسب تصورات وخطط موضوعة ومدروسة وواعية ، عجز الاعلام العربي بشكل عام والسينما بشكل خاص ، منذ بداية الصراع العربي الاسرائيلي ولغاية ٥ حزيران ١٩٦٧ ، عن القيـام بأي تحرك فعلي من شأنه مواجهة الصهيونية التي وجـــدت نفسها وحيدة في الساحة تصول وتجول كما تشاء •

وبالرغم من كون القضية الفلسطينية « قضية العـــرب الاولى » ، ومع انها لعبت دورا كبيرا على المستوى السياسي العربي وكانت ، بشكـل أو بآخر ، وراء معظم ما عرفته المنطقة من تبدلات وتغييرات في انظمة الحكـــم ، وبالرغم من ان هذه القضية بالنسبة للعرب هي قضية ارتباط قومي ومصيري بالاضافة الى كونها قضية انسانية ، مع ما في ذلك من حتمية الصراع ضد الصهيونية العنصرية وضد الكيان الاسرائيلـي الذي يشكل رأس حربة للامبريالية العالميـــة ، وخاصة الاميركية ، في قلـــب الوطن العربي ، بالرغم من كل هذا بقيت السينما العربية ، وخاصة المصرية ، خلال سنوات طويلة ، بعيدة كل البعد عن القيام بأي اهتمام حقيقـــي بالقضية الفلسطينية من شأنه مواجهة ادعاءات وافتراءات واكاذيب الاعـــلام الاسرائيلي • ويعود تخلف السينما العربية عن القيام بهذه المهمة الخطيرة والملحـــة الى اسباب عديدة في طليعتها عدم اهتمام الاعلام العربي جديا ، وخاصة الاعلام الموجه الى الخارج، بالقضيةالفلسطينية والتخلف الفكري الذي كانت تعاني منه السينما العربيـــة ، ولا تزال الى حد بعيد ، وبالتالي عدم ادراك أهمية استعمال السينما كسلاح فكـــري وايديولوجي وسياسي واعلامي ، وهيمنة انظمة الحكم ووسائل الرقابة والقمع على السينما ومنعها من اثارة كل ما له علاقة بالقضية الفلسطينية الا من بعض الجوانب العاطفية الهامشية ظهرت في سبعة افلام مصرية فقط ، هي مجموع الافـــلام العربية التي اشارت الى القضية الفلسطينية من قريب او من بعيد قبل هزيمة ٦٧ • وأول هذه الافلام «فتاة من فلسطين» (١٩٤٨) لمحمود ذو الفقار لا يختلف شكلا ومضمونا عن كافـــة الافلام الميلودرامية المصرية : فتاة فلسطينية تترك بلدها بعد قيام دولة اسرائيل وتذهـب الى مصر وتقيم عند اسرة في القاهرة • ويقع ابن هذه الاسرة بحب الفتـــاة وينسى خطيبته • وبقية الحكاية معروفة • الخطيبة تتهم الفتاة الفلسطينية بأنها سرقت خطيبها، والفتاة تحزن وتهرب ، وفي النهاية تلتقي مع الشاب ويتزوجـــان • وتضمن الفيلم لا أقل من ثماني اغنيات •

وفي العام ١٩٥٧ ، أي بعد العدوان الثلاثي على مصر ، قـام المخرج كمال الشيخ باخراج فيلم « ارض السلام » الذي يتحدث عن شاب يشارك باحدى العملياتالفدائية داخل الارض المحتلة ويتعرف على شابة تساعده في تنفيـــذ العملية ، ويتزوجان بعد العودة الى مصر • ويعلق الناقد المصري سمير فريد على الفيلمين بقوله « •• وهكذا انتقل الفيلم المصري الروائي الطويل من ميلودرامـــا الحب والزواج الى ميلودراما المغامرة والشجاعة التي تنتهي أيضا بالحب والزواج دون تحليل طبيعة العمل الفدائي واسبابه واغراضه » •

الفيلم المصري الثالث « جريمـــة في الحي الهادئ » لحسام الدين مصطفى الذي يتناول اغتيال اللورد موين في القاهرة لانه قال للحكومـة البريطانية ، على حد تعبير الفيلم « انت حكومة غلطانة علشان تشجعـــي الصهيونية وتقفي ضد العرب » ، انتقل بدوره من مغامرات الحب والشجاعة الى المغامرات البوليسية ·

هذه النماذج من الافلام التيحشرت اسم فلسطين فيحكايات ميلودرامية ومغامرات بوليسية ، تعبر خير تعبير عن « الدور » الـــذي قامت به السينما العربية في تناولها للقضية الفلسطينية ، وعن نظرة هذه السينما للقضية ، في الـــوقت الذي كان العدو الصهيوني يجيِّش كل طاقاته الاعلاميـــة ، بمافيها السينمـــا ، لاغراضه العنصرية والعدوانية ·

هذا الواقع المرير لم يتغير كثيرا بعد قيام الثورة الفلسطينية عـــام ١٩٦٥ وبعد هزيمة ٦٧ · فكما قام عام ٤٨ منتج « فتاة من فلسطين » باستغلال وقع الهزيمة على الشعب المصري ، ومنتج « ارض السلام » باستغلال المشاعـــر الوطنية بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، قام عدد من المنتجين التجار في سوريا ولبنان والاردن بشكل خاص ، باستغلال عاطفة الجماهير وحماسها للثورة الفلسطينية منذ قيامهاعام ١٩٦٥ · فجرى انتاج مجموعة كبيرة من الافلام التي لا تحمل اي فكر سياسي سوى الفكر المتخلف الذي كان وراء انتاجها ، ولا تتضمن اي تحليل للواقع الفلسطيني · ولم تقم هذه الافلام سوى بنسج الاحلام والاوهام حول العدو وحول العمل الفدائي، ونقلت صورة مشوهة وكاريكاتورية ومغلوطة عن الثورة · وارتبطت هـــذه الافلام ، كما السينما التجارية العربية التقليدية ، بمفهوم شباك التذاكر و « الجمهور عاوز كده » وانفصلت تماما عن الواقع الموضوعي الذي استغلته بهدف تحقيق اربـاح مادية على حساب الثورة فحسب · وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الافلام، على الاقل في البداية، اقبالا شديدا من جماهير عرفت طعم الهزيمة اكثـــر من مرة واعتادت على الخطب الحماسية والشعارات الرنانة · غير ان بعض فصائل الثورة الفلسطينية التي ساهمت الى حد ما في هذه الافلام عبر المساعدات والتسهيلات التي وفرتها للمنتجين ، تداركت الامر وتشددت في السماح لهؤلاء بانتاج المزيد منها ·

والى جانب هذه الافلام التجارية الضحلة ، جـــرى تحقيق بعض الافلام الروائية والتسجيلية التي تشكلعلامة مضيئة في تعاملالسينما العربية مع القضيةالفلسطينية· ومعظم هذه الافلام كان من انتاج القطاع العام في سورية والعراق ومصر والجزائر، وابرزها من الافلام الروائية الطويلة ، حسب تواريخ انتاجها ، « رجال تحت الشمس» لنبيل المالح ومحمد شاهين ومروان مؤذن، و « السكين »لخالد حماده، و «المخدوعون» لتوفيق صالح (والفيلمان الاخيران مأخوذان مـــن روايتين للشهيد غسان كنفاني) — انتاج المؤسسة العامة للسينما السورية التي شاركت ايضا بانتاج فيلم« مائة وجه ليوم واحد » لكريستيان غازي · و « سنعود » لمحمـــد سليم رياض (انتـــاج جزائري) و « اغنية على الممر » لعلي عبد الخالق (مصر) المأخوذ عـــن مسرحية بنفس الاسم لعلي سالم نقلها الى السينما ايضا في سورية المخـــرج امين البني تحت اسم « حتى الرجل الاخير » · هذا الى جانب العديد من الافلام التسجيلية والتجريبية والوثائقية·

ان ما يميز معظم هذه الافلام بشكل عاموعلى اختلاف مستوياتها واساليب تنفيذها، هو الوضوح الفكري والتحليل السياسي الواعي لابعـــاد القضية الفلسطينية · ولقد حاول مخرجو هذه الافلام تقديم مضامين افلامهـــم بأشكال نقية متقدمة مما ساعدها على الوصول ايضا الى بعض التظاهـــرات السينمائية الدولية الهامة التي ساهمت بالتالي على نشرها والتعريف بها في الخارج · وكان ذلـــك الى حد كبير اول خطوة

عملية من السينما العربية في تخطي جدار الاعلام الصهيوني في الخارج· وفي الوقت نفسه عبرت هذه الافلام عن اتجـــاه اخر في السينما العربيه غير الاتجاه التجاري التقليدي السائد ·

والاقرار بواقع ان السينماالفلسطينية ، في اطار الظروف الموضوعية القائمة ، هي انتماء سياسي ونضالي وليست انتماء جغرافيا ، يؤدي بنـــا الى اعتبار هذه الافلام من سينما فلسطينية ولدت فعلا عام ١٩٧٠ ، اي بعد خمس سنوات من قيام الثورة ، على ايدي سينمائيين فلسطينيين وعرب ارتبطوا بالمقاومة ارتباطا مباشرا· وفي مطلق الاحوال خدمت هذه الافلام الى حد كبير السينما الفلسطينية بالرغم مما قديؤخذ عليها من انها انتجت دونما معايشة حقيقية لواقع الثورة الفلسطينية ودونما رؤية واضحة ومعبرة عن استراتيجية الثورة الفلسطينية ، نتيجة لظروف انتاج هذه الافلام فيإطار الواقع السياسي العربي الموضوعي ·

وقبل تناول السينما الفلسطينية لا بد من الاشارة الى انه منذ نشوء حركة المقاومة الفلسطينية بشكلها المسلح واتساعها ما بعد عـام ١٩٦٧ ، على أثر هزيمة حزيران ، وفد الى مناطق تواجد الفلسطينيين قواعد ومخيمات ، مجموعة من المصورين الاجانب ليسجلوا الى وكالات الانباء ومكاتب الارشيف جملـــة من الوثائق عن حياة الشعب الفلسطيني الذي بدأت قضيته تأخذ بعداً أكثر انسانية نتيجة للواقع الموضوعي الفريد من نوعه الذي عاشه الشعب ضمن ظروف غير أمنية على مستوى المنطقةوغير انسانية على مستوى التآمر الامبريالي الصهيوني · والذي يطلـــع على الوثائق الارشيفية القديمة، منذ الحرب العالمية الاولى عندما تحركتالكاميرة في ارض فلسطين مع تحرك الجيوش العالمية في المنطقة العربية، وحتى الوقت الحاضر يجد آلاف اللقطات القصيرة الاخبارية المجردة التي بثتها الجرائد العالميـــة ووكالات الانباء السينمائية · وهذه الظاهرة ـ ظاهرة الخبر والارشيف ـ لاتزال قائمة وكانت هي احدى الدوافع التي جعلت هذا العدد الهائل من الكاميرات تفد الى المخيمـــات لتسجل هذا الواقع الاجتماعي والكفاحي · ومع عودة الكاميرات الاجنبية الى المنطقـــة ، جاء عدد من السينمائيين والمصورين ليحققوا افلاما من نوع خاص لتستعمل في غيــر صالح المقاومة والشعب الفلسطيني · ولقد اغفلت الثورة وللاسف اهدافهم ، فسمحت للكثيرين منهم بتسجيل ما يريدون تسجيله دونما رقابة · وفي الوقت الذي كان فيه الاعلام الرأسمالي الذي يقدم خدماته الكثيرة للحركة الصهيونية بسبب النزعة العدائية لحركات التحرر، كانت اجهزة التلفزيون ومؤسسات السينما هي الاكثر تحركـا وفعالية في هذا المجال ، فتم تصوير مجموعة من الافلام التي خدمت الى حد بعيد الاعــــلام الصهيوني الذي كان يؤكد على أمرين اساسيين : ١ ـ حق اليهود الذين عــــانوا من الاضطهاد النازي في العيش في وطن قومي خاص بهم · ٢ ـ ان الفلسطينيين هم مجموعة من الارهابيين ، رغم انهم لم يقاسوا كثيرا في حياتهم قياسا بما تحملـه اليهود ، وان مشاكلهم يمكن ان تحل بحياة افضل من حياة المخيم ، ضمن امكانات الواقع العربي ·

ضمن هذه الحالة لم تكن الكاميره الفلسطينية قـد تحركت بمعنى التحرك الواعي والقادر على مستوى الانتاج والتوزيع · ومع قلـــة السينمائيين الموجودين في حركة المقاومة ، ومع عدم مساهمـــة السينمائيين في التصدي للحملـــة الصهيونية نتيجة للاوضاع السياسية العربية ، فان الكـادر السياسي الفلسطيني لم يكن هو الاخر قد ادرك حتى ذلك الوقت البعـــد السياسي والاهمية الاعلاميـــة للشريط السينمائي الفلسطيني · وكثيرا ما عرقلت محاولات فلسطينية بهذا الصدد · الا ان الاصرار كان رائد بعض الشبان الذين ارادوا ان يجانب الشريط السينمائي قدرة البندقية والمقاتل·

فسجلت بعض الوثائق دون ان تتضمن أية رؤية سياسية · وكانت هـذه البداية مهمة أدت الى انتاج افلام تتخطى مفهوم الوثيقة بحد ذاته ، كمـا ادت الى الاقتناع باهمية وضرورة استعمال السينما ، مما حمل الثورة الفلسطينية عـــام ١٩٧٠ على تقديم مذكرة الى اللجنة التحضيرية للمهرجان الدولي الاول لافـلام وبرامج فلسطين الذي أقيم في بغداد ، ضمنتها مرتكـــزات ومبادىء اساسية عامة « مستقـــاة من صميم الممارسة العملية للثورة الفلسطينية في مخاطبة الذهن الانساني » · ولقد جاء فيهذه المذكرة ما يمكن اعتباره خلفية فكرية وسياسية للسينمـا الفلسطينية او التي تتناول القضية الفلسطينية ·

ومن النقاط التي تضمنتها المذكرة :

ـ ابراز الجانب الانساني في قضيـــــة شعب فلسطين من زوايا انها قضية وطن يغتصب وشعب يشرد وانسان يحرم من حقه في تقرير مصيره ·

ـ ينبغي الابتعاد كل البعد عن كل ما يظهـر الانسان الفلسطيني او العربي بمظهر الانسان المتهدم الرث المنكر ·

ـ ينبغي التأكيد على جماهيرية العمل الفلسطيني والعربـي وابراز بطولة الشعب من غير الاغراق في المبالغة الخطابية والانشائية ·

ـ ينبغي ابراز الجـــانب النضالي من القضية وارتباطه بحركة النضال التحرري العالمي ضد قوى الاستغلال والاغتصاب والاستعمار بكل اشكاله ·

ـ ابراز المبررات المنطقية الكافية لحق الشعب الفلسطيني في حمل السلاح من اجل التحرير ، مع التأكيد على انسانية المقاتل الفلسطيني وثورته البعيدة عن كل النزعات العنصرية او التآمرية او الانتقامية او التعطش الدموي · وانهـا تحارب لمنع الحرب وليس حبا بالحرب ·

ـ التأكيد على ان الثورةبشعارها الاستراتيجي حول الدولةالفلسطينية الديمقراطية تقدم الحل العملي والمنطقي المنسجم مع روحالعصر بديلاً للكيان الصهيوني العنصري الفاشي المتناقض مع الواقع الانساني ومع روح العصر ·

ـ دحض كل المزاعم الصهيونية التي تحـــاول ان ترهب الضمير الانساني بسيف اللاسامية ·

ـ ابراز التراث الفلسطيني والحضارة التي بناها العرب في فلسطين والتأكيد على الجوانب المشرقة في الشعب الفلسطيني وامكانياته وطاقاته (···) ·

بعض الافلام الفلسطينية التي انتجتها فصائل المقـــاومة تطرح مضامين نابعة من هذه المرتكزات الاساسية · غير ان ثمة اسئلة مهمة طرحت نفسها في مهرجان دمشق لسينما الشباب العرب حيثنوقشت السينما الفلسطينية واهدافها، وفي مهرجان بغداد لافلام وبرامج فلسطين ، منها : ما هي كيفية الربط الجولي بين الفكر والصياغة بصفة عامة ؟ وما هو وجه الصراع الموضوعي والفني للفنان السينمائي في تناوله للقضية؟ وماهي امكانية نشر الافلام الفلسطينية وعرضها على الجماهير الفلسطينية والعربية والعالمية ؟

ولقد كان لطرح مثل هذه الاسئلة ومناقشتها في دمشق وبغـداد تأثيره الكبير على السينمائيين العاملين في صفوف الثورة الفلسطينية الذيـــن نجد في افلامهم تطورا ملحوظا في الشكل وفي المضمون وبحثا عن صيغ فنية متقدمة تتفق مع ما تطرحه من قضايا ·

ولا بد من القول انه لم تتوفر لهذه الافلام ظروف عرض جيدة· اذا استثنينا عرضها في بعض المخيمات والقواعد الفلسطينية ، فانها لم تعرض في معظم البلدان العربية لاسباب سياسية مختلفة · ولعبت التنظيمات الفلسطينية السياسية في الخارج دورا كبيرا في اقامة عروض سينمائية شكلت بدايات وصول الفيلم الفلسطيني الى الرأي العام العالمي ، ونقلت بهذا الشكل او ذاك ردة الفعل بالنسبة للفيلم الفلسطيني· وكانت مشاركة فيلم « النهر البارد » لقاسم حول (انتاج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) في مهرجان لايبزغ ١٩٧١ بداية التحرك السينمائي الفلسطيني نحو التظاهرات السينمائية الدولية ، هذا التحرك الذي افاد ويفيد على اكثر من صعيد ولا سيما توطيد علاقة السينمائيين التقدميين في العالم مع القضية الفلسطينية · واستقطبت الثورة الفلسطينية مجموعة كبيرة من السينمائيين التقدميين في العالم الذين انتجوا وحققوا افلاما تسجيلية تطرح جوانب عديدة من حياة الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة ·

وتتولى انتاج الافلام الفلسطينية اربعة تجمعات سينمائية هي :

١ ـ قسم الثقافة الفنية بدائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية ·

وانتج هذا القسم مجموعة افلام منها : « معسكرات الشباب » (١٩٦٩) و « ذكريات ونار » (١٩٧٢)و « الفداء الملح »(١٩٧٣)و « على طريق فلسطين » (١٩٧٤)، وجميعها من اخراج اسماعيل شموط ·

٢ ـ قسم السينما في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ تأسس عام ١٩٧٠ ، وانتج : « النهر البارد » (١٩٧١) ، « الكلمة البندقية »و « بيوتنا الصغيرة » من اخراج قاسم حول ، و « على طريق الثورة » من اخراج فؤاد زنتوت ·

٣ ـ « افلام فلسطين » في منظمة فتح الذي تحول مؤخرا الى مؤسسة السينما الفلسطينية في الاعلام الموحد انتج هذا القسم مجموعة افلام منها : « بالروح بالدم » (١٩٧٠) ، « عدوان صهيوني » (١٩٧٢) ، « ليس لهم وجود » (١٩٧٤) ، وهي من اخراج مصطفى ابو علي· وتنتج مؤسسة السينما الفلسطينية جريدة فلسطين المصورة التي صدر منها عددان حتى الان ·

٤ ـ قسم السينما في الجبهة الديمقراطية ، الذي انتج عدة افلام ايضا منها « الطريق » و « ايار ·· الفلسطينيون » من اخراج رفيق حجار ·

بالاضافة الى التجربة الوحيدة التي قام بها مركز الابحاث في هذا الصدد عندما رعى جماعة السينما الفلسطينية وحقق فيلم « مشاهد من الاحتلال في غزة » ·

ملصقات الثورة الفلسطينية

زاهي نجيب خوري

رافقت الثورة الفلسطينية حركة فنية كبيرة كانت لها أبعاد وأصداء ايجابية على غير صعيد . ومما لا شك فيه ان الوقت لا يزال مبكرا لتقييم هذه الحركة ــ النهضة لاننا ، أولا ، ما نزال نعيش غمارها ولا بد ان يمر ردح طويل من الزمن حتى تستكمل هذه النهضة شخصيتها ، وثانيا، لان الانتاج الفني الفلسطيني مشتت في مختلف بقاع الارض ويحتاج جمعه ودراسته الى وقت وجهد طويلين . ولا أعتقد ان أحدا من النقاد العرب قد بدأ يعمل في هذا السبيل . اذن التقييم او النقد الشامل في الوقت الحاضر لا يمكن ان يفي الفن الفلسطيني حقه ولا بد ان يكون مبتوراً مهما اجتهد الناقد في بحثه .

الناحية التي سنتناولها في هذه الكلمة ، ولو بايجاز ، تتعلق بالفن « الجرافيكي » ، أي بالاعمال الفنية التي تنسخ طباعيا على مئات ، بل آلاف النسخات ، وتهدف أكثر ما تهدف الى ايصال رسالة أو فكرة ما الى أكبر عدد ممكن من الناس بطريقة سهلة تعتمد على الاستيعاب النظري السريع . مثال ذلك الاعلانات الصحفية والطوابع البريدية وبطاقات المعايدة والملصقات . وسنركز بصورة خاصة على هذه الاخيرة .

* * *

أول ملاحظة يمكن ان نبديها بثقة هي ان الثورة الفلسطينية انطلقت في عصر ، بل عقد من الزمن لم يشهد تاريخ الانسان أكثر منه اهتماما وتأثـرا بوسائل الاعلام ، وبالتالي استعدادا لتبني كل ما هو غريب وجميل ومنطقي بنفس الوقت . ان الصحف والمجلات وسائر المطبوعات ، بالاضافة الى الراديو والتلفزيون ، تنقل يوميا من والى جهات العالم المختلفة مئات الافكار السياسية والاجتماعية والتجارية التي يستوعبها الانسان المعاصر بسرعة وببديهة مذهلتين . هذه الوسائل السمعية ــ البصرية لم تكن يوما موضع توجيه واهتمام مثلما كانت في السنوات القليلة الماضية .

الجو الاعلامي العام اذن كان مهيئا عند قيام الثورة الفلسطينية بايصال أهدافها واخبارها بسرعة الى عدد كبير من المجتمعات العربية والدولية . وقد تنبهت الثورة على الصعيد القيادي وغيره مـن المستويات الى هذه الناحيـة المهمة فأولتها عناية خاصة . وطبعا لسنا هنا في موضع تقييم نتائج هذه الحركة وبحث الوسائل الاعلامية الصهيونية المضادة والمهيمنة عالميا والتي نجحت ، حتى مؤخرا ، في طمس الكثير من الحقائق وتشويه عدالة قضيتنا الكبرى .

* * *

مما لا شك فيه ان سيلا كثيفا من الابحاث والدراسات رافق الثورة الفلسطينية بشكل قلما شهدته أي حركة ثورية او فكرية مماثلة في التاريخ . وكان من الطبيعي ان تنتج عن هذه الاعمال حركة طباعية واسعة شملت عواصم عربية عدة ولعبت فيها

العاصمة اللبنانية دورا أساسيا ، ذلك أن عددا كبيرا من دوائر الاعلام الفلسطينية وغيرها اتخذ من بيروت مركزا رئيسيا له . ولا نبالغ اذا قلنا ان قسما محترما من القطاع الطباعي في بيروت اعتمد في تطوره في السنوات الاخيرة على ما نتج عن الثورة من حركات اعلاميه واسعة . وحيث ان هده الدوائر اولت الناحية الفنية اهتماما خاصة ، فقد تم اخراج المطبوعات الفلسطينية ـــ اذا صح التعبير ـــ على مستوى يمكن وصفه ، اذا ما قورن بالمستويات العالمية ، بانه جيد في غالبيته وممتاز في بعضه . وكفن ثورة ، يعتبر هذا المستوى غير عادي حيث انه قلما نتج عن أية حركة ثورية مطبوعات بهذا المستوى .

ولا بد لنا هنا من الاشادة بالمراكز والمؤسسات البحثيـــة والدراسية والاعلامية الخاصة التي تبارت في رفع مستوى منشوراتها الطباعية حتى تستطيع الوصول الى المجتمعات الغربية بسهولة أكثر .

كما لا بد لنا هنا بالقول اننا لا نعني بتعبير « فن الثورة » أي حركة او اتجاه فني واضح المعالم ومخطط له من افراد او هيئات ولا نعني حتى ان هدا الفن هو بالضرورة من نتاج فنانين فلسطينيين دون غيرهم . هذا الفن يعني لنـا الوسيلة الجمالية التي تستخدم في نقل او تفسير فكرة او واقع مؤيد للشعب الفلسطيني .

فمن مميزات فن الثورة انه جمع عددا كبيرا من الفنانين والمصممين العرب اشتركوا أحيانا في اخراج اعمال موحدة جاءت مثالا في التقنية والجماليـــة . واذا اعتبرنا أن الاعلانات المؤيدة للشعب الفلسطيني والتي ظهـــرت في كبريات الصحف الاميركيـــة والاوروبية جزءا من هذا الفن لا بد لنا بالاشارة الى بعض الفنانين الاجانب المقيمين بيننا والذين أسهموا اسهاما فعالا بنقل صورة الواقع الفلسطيني بشكل تتفهمه العقلية الغربية بسهولة .

غير ان القسم الاكبر من فن الثورة كان ولا يزال من أعمال فنانين فلسطينيين نادرا ما يسمع الانسان بهم او يعرف شيئا عن شخصياتهم . وقد أبدع هؤلاء بصورة خاصة بتصميم الملصقات التي عكست أكثر من غيرها من وسائل الاعـــلام الطباعية مراحل القضية الفلسطينية بوضوح وببساطة وأحيانا بعفوية جريئة .

واهمية الملصقات كوسيلة اعلامية لا تحتاج الى الكثير مـــن الشرح . فتوزيـــع الملصقات لا يقتصر على المكتبات او الافراد المهتمين بالقضية كما هي الحال في الكتب أو على قراء صحف معينة كما هي الحال في المقالات او الاعلانات الصحفية او عـــلى الاصدقاء والمعارف كما هي حال بطاقات المعايدة ، بل يتعدى كل هؤلاء اذ أن نشره يمكن أن يتم في الشوارع والساحات ويمكن أن يدخل القاعات العامة والصالات وحتى البيوت . ويمكن ان يكون متحركا حين يلصق على وسائل النقل العامة او يرفع في المظاهرات والمسيرات الشعبية . والملصق الجميل الاخراج له طابع الديمومة اذ أنه يحفظ ضمن اطارات كعمل فني يفرض نفسه بنفسه .

أهمية الملصقات الاساسية اذن تكمن في كثرة وسهولة انتشارها وبالتالي في عرضها بل فرض رؤيتها على كل فرد من المجتمع يستطيع القراءة .

والاهمية الثانية تكمن عموما في بساطة الملصقات من الناحية الاخراجية . فباستطاعة صورة معبرة واحدة أو بضع كلمات متقنة الصياغة نقل موقف أو بث فكرة بحيث يمكن استيعابها شعبيا وعلى مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية بسهولة وعفوية .

* * *

اذا استعرضنا مئات الملصقات التي صدرت عن هيئات فلسطينية أو مؤيدة خلال العشر سنوات الماضية يلفت نظرنا التطور المرتب وغير الشعوري الذي طـرأ على الاجواء والموضوعات التي عولجت . وقد كانت تعكس هذه الملصقات ولا تزال الشعور الفلسطيني العام الذي رافق كل مرحلة من نضاله .

ونقتصر في قولنا هذا على الملصقات التي عالجت مواضيع عامـة وشاملة وليس ملصقات المناسبات التي صدرت كردة فعل سريعة علـى حوادث معينة كاستشهاد فدائيين في معركة ما مع العدو أو كتعليق على سياسة منحرفة أو خطاب عدائي من قبل بعض الدول والشخصيات . فهذا النوع من الملصقات ، مـع فعاليته وضرورته ، لا ينطوي عادة على أي قيمة فنية اذ ان تحضيره يتم بسرعة فائقة والغاية الاساسية منه هو الاعلان عن نبأ أو موقف وليس التأثير المدروس على الرأي العام .

* * *

مرت مواضيع الملصقات الفلسطينية في نظرنا بثلاث مراحل واجواء واضحة المعالم رغم وجود بعض الشواذات . وكانت هذه المراحل انعكاسا مباشرا لنفسية الشعب الفلسطيني في فترات مختلفة من حياته .

المرحلة الاولى : هي أطول المراحل ، فقد امتدت من أوائل الخمسينات حتى اندلاع الشرارة الاولى للثورة . وكان من الطبيعي ان تعكس ملصقات هـذه المرحلة البؤس والتشرد أكثر من غيرهما من النواحي الانسانية . فصورة الفلسطيني كانت دائما هي صورة اللاجىء المظلوم الذي يبغي عطف الناس وتأييدهم . كانت هذه الملصقات تسعى لافهام العالم بالاجحاف اللاحق بالشعب الفلسطيني . انها المرحلة التي كانت تظهر فيها فلسطين بشكل انسان مصلوب والفلسطيني اما بشكل شيخ عجوز ظهرت آثار الخوف والتعب على وجهه أو بشكل طفل يحمل حمامة بيضاء في يده وكأنه يتسول أو يطلب الشفقة . وحتى الملصقات المتفائلة فكانت تعكس أمان وطنية أكثر من واقع ملموس .

ورغم طول هذه الفترة فقد ظهر فيها العدد القليل من الملصقات والجيد منه فنيا كان نادرا . وكانت معظم هذه الملصقات تصدر في مناسبات أليمة كذكرى وعد بلفور أو ذكرى تقسيم فلسطين وكان توزيعها يتم على نطاق محلي ضيق .

المرحلة الثانية : هذه المرحلة هي في الواقع المرحلة التي شهدت انطلاقة الملصقات الفلسطينية في المعنى الاعلامي الصحيح وفيها وصلت المستويات الفنيـة الى أعـلى قممها . فمع انطلاقة اول شرارة للثورة بدأت الملصقات الجميلة الاخراج والمدروسة فنيا واعلاميا تظهر في كل مكان . وكانت هذه الملصقات ، كما هو متوقع ، تعكس الثقة الجديدة التي اكتسبها الشعب الفلسطيني نتيجـة لانتفاضته الشجاعة . فصـورة الفلسطيني تغيرت فجأة من الانسان المشرد المسكين الى الشاب القوي الثائر المفتول العضلات . أصبح الشعب الفلسطيني ماردا لا يطلب الشفقة من أحد . صور الشهداء الشباب احتلت مكان الرجل العجوز . والصبية الفلسطينية بـدأت تظهر مع رفيقها الثائر وهي تحمل الكلاشينكوف بدل من ظهورها في خيمة البؤس وهي في حيرة مـن أمرها . حتى الاطفال أصبحوا أشبالا في مخيمات التدريب .

هذه المرحلة الرومنطيقية والمبنية في نفس الوقت على واقع ملموس ، اشترك في تصويرها بعض الفنانين العراقيين بجانب اخوانهم الفلسطينيين ، فجاءت أعمالهم ممتازة ومعبرة عن أماني الامة العربية كلها ، ومما لا شك فيه ان بعض هذه الملصقات سيخلد لجمالياته وحسن اخراجه .

وقد رافق هذا النوع من الملصقات البطولية ، وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، نوع آخر من الملصقات الاعلامية المدروسة والتي اشترك في تنفيذها بجانب الفنان ، رجل الفكر والسياسة . فملصقات ما بعد ١٩٦٧ لم تعد تقتصر على افهام العالم ان الفلسطيني من الآن فصاعدا هو رجل كفاح وثورة ، بل تعدته لتعكس أعمال العدو الهمجية واقواله المتضاربة . وقد سخرت هذه الملصقات أحيانا بطرق ذكية وبسيطة بسياسة اسرائيل فجاءت مقنعة وفعالة الى اقصى الحدود .

ومع ان هذه المرحلة لا يمكن ان تنتهي ما دامت هناك قضية وهناك حاجة للاعلام عنها ، نستطيع نظريا القول ان انتصار العرب في حرب اكتوبر ١٩٧٣ شهد انطلاق مرحلة مميزة في هذا الحقل .

المرحلة الثالثة : مميزات هذه المرحلة نستطيع التعرف عليها مـــن خلال الملصقات الفلسطينية المرفوعة حاليا في مدن العالم العربي . الثورة الآن أفهمت العالم من هو الفلسطيني وما هي أهدافه الوطنية المشروعة. أفهمته كم هو مستعد للتضحية والكفاح للوصول الى هذه الاهداف .

الملصقات طبعا تستمر في الظهور . انها اليوم تعتمد البساطة والواقعية المبنية على الثقة بالمستقبل . ملصقات هذه الفترة توحي بارتياح أن الفلسطينيين أصبحوا شعبا معترفا به وبحقوقه . مثلا ، كلمة « فلسطين » مكررة على ملصق واحد بألوان مختلفة دون أي تعبير آخر تعكس الزهو بمرحلة جديدة . وجه المناضلة ليلى خالد على ملصق يعلن عن « سنة المرأة العالمية » يعبر ببساطة عن دور المرأة الفلسطينية في وطنها وفي العالم . خارطة فلسطين أصبحت جذابة تحت أضواء العالم ولم تعد الانسان المعلق على الصليب . الملصقات الفلسطينية في هذه المرحلة تعلن بثقة أن الشعب الفلسطيني سائر الى النصر لا محالة .

ملاحظات احصائية

الشعب الفلسطيني : ارقام ومؤشرات

جاكلين فرهود جريصاتي

تهدف هذه الملاحظات الاحصائية ، الى محاولة تقديم صورة عامة ، شاملة ودقيقة قدر المستطاع ، عن اوضاع الشعب الفلسطيني وتوزيعه الجغرافي ، وتركيبه الديمغرافي ، وقواه العاملة · وسوف تخدم هذه الصورة في التأشير الى الواقع الاجتماعي الذي تنطلق منه هذه الاحصاءات ، فهدف تقديم هذا العدد من الجداول الاحصائية ، هو الوصول الى المؤشرات الواقعية ، التي نريد ان نقدم لها بشكل اولي ·

غير ان ، طموح هذا البحث ، يبقى في مجمله طموحا عائما في عدم القدرة على الوصول الى دقة علمية نهائية · نصل فقط الى مؤشرات احصائية واجتماعية · وتعود عدم الدقة هذه الى اسباب منهجية عديدة :

١ ــ الصعوبة الاولى التي تواجهنا ، هي غياب المصطلح الاحصائي الموحد · فكتاب **احصاءات فلسطينية** ، الذي يشكل الوثيقة(١) الاحصائية الوحيدة الشاملة ، يسد فراغا كبيرا ، لانه يقدم لاول مرة ، عرضا شاملا ، لاحصاءات متنوعة تتناول أوضاع الشعب الفلسطيني في مناطق عديدة من العالم العربي · لكن هذا الكتاب ليس كافيا · فضرورته ، هي في متابعته،وصولا الى تقديم أولي لمصطلح احصائي فلسطيني اكثر توحيدا ، يسمح للدراسات الاجتماعية **الشاملة** ، التي تريد دراسة اوضاع الشعب الفلسطيني العامة ، بالارتكاز الى معلومات موحدة ودقيقة ·

٢ ــ ان غياب هذا المصطلح الموحد ، هو نتيجة لاوضاع اجتماعية وسياسية ، يعيش الشعب الفلسطيني في ظلالها · فواقع التشتت والتمزق الاجتماعي ، الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في هجرته الاجبارية ، انتج احصاءات متنوعة ومشتتة · فاحصاءات الشعب الفلسطيني ، موجودة في احصائيات البلاد العربية المختلفة التي يعيش فيها الفلسطينيون · لذلك تعالج المجموعات الاحصائية العربية ، واقع الشعب الفلسطيني من واقعها · أي بمقدار ما يمسها الواقع الفلسطيني بشكل مباشر ، مهملة خصوصياته ·

٣ ــ من هنا كان التفاوت في السنوات التي نستطيع التوقف عندها · لان التعدادات العامة للسكان ــ وهي احصائيا افضل بكثير من المجموعات الاحصائية السنوية ــ لم تجر في سنة واحدة في جميع البلاد العربية · وقد اعتبرنا عام ١٩٧٠ ، قاسما احصائيا مشتركا وحاولنا ، استجماع ملاحظاتنا في سنة واحدة · حتى نعطي مؤشرات تقريبية دقيقة نسبيا ·

٤ ــ نتوقف عند كلمة **تقريبية** · لان الاحصاء عمل كلي · يجب ان يتم بشكل مركزي ، حتى يقدم معلومات متكاملة ودقيقة · ونحن ندعو ، الى الاهتمام جديا بهذا الحقل ، الذي تستطيع منظمة التحرير من خلال اجهزتها البحثية والتنفيذية بالاعداد لاجراء أول احصاء فلسطيني دقيق وشامل·

---

١ ــ الياس خوري :**احصاءات فلسطينية**· مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، حزيران (يونيو) ١٩٧٤ ، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا بشكل اساسي على هذا الكتاب ·

٥ – من هنا سوف نقدم في هذه الملاحظات اكثر من مقترب واحد • التوقف اولا عند الفلسطينيين في العالم بشكل شامل، ثم تقديم ملاحظات تفصيلية حول الفلسطينيين في ستة بلدان ومناطق عربية ، هي الاماكن الوحيدة التي تقدم،معلومات احصائية شاملة نسبيا،اما بقية البلدان التي يتواجد فيها الفلسطينيون، فاننا لا نكاد نعثر الا علـــى ارقام **جزئية** ، ولا تجيب على حقيقة التواجد الفعلي فيها •

٦ – هذه المعالجة الاولية اذن،هي معالجة تقترب من العلمية ، بمقدار استطاعتهـــــا الاحاطة بموضوعهـا • لذلـــك ركزنا على موضوعتين لا تزالان في غياب شبه شامل : **الاحصاء الحيوي** ، الذي يقـــدم مؤشـرات اجتماعية عن الهجرة القصريـــة واشكالها ، **الاحصاء الديمغرافي** : التزايـد السكاني ، هرم الاعمار ••• **واحصاء القوى العامـلة** ، الذي يحاول للمرة الاولى – فيمـا نعلم – تقديم اكبر سجل ممكن عـــن توزيـع القوى العاملة بحسب الاحصاءات العربية المتوفرة، في المناطق الاساسية للتواجد الفلسطيني •

٧ – ان النقطة المنهجية التي لم نرفعها في هذا البحث ، هو مدى **صلاحية** الاحصـــاءات العربية • الصلاحية ليست مقياسا اخلاقيا ، فنحن نستعملها هنا بمعناها العلمي•– وهذا يحتاج الى بحث خـــاص ومستقل – لكننــا نستطيع أن نلاحظ مثلا ان احصاءات غزة ، التي تقدمها ادارة الحاكم العسكري المصري للقطاع ، هي احصــــاءات غير دقيقـــة في الغالـــب • ومليئـــة بالنواقص والفراغات والاخطاء •

الفلسطينيون في العالم

لقد حسمـــت الهجرة القصريـــة ، التي تعرض لها الشعب الفلسطيني عـــام ١٩٤٨ ، موضوعة اخضاعه للشتات ، وتمزيق اوصاله الاجتماعية • فجرى تهجير الفلسطينييـــن ، بقوة القمع الدموي الى المناطق العربيـــــة المجاورة • ثـــم بدأت سلسلـــة هجـرات ، لا تنتهي : **هجرات داخلية** : داخل الاقطـــار العربية في سبيل تجميع الفلسطينييـــن في معسكرات محـــددة • حتى يجـــري ضبط تحركاتهم بشكل فعـــال ، منعــا لاحتمالات تطورات سياسيـــة ، لعـــب ويلعـــب فيها الفلسطينيـــون دورا حاسمـــا • وبدأت بعد هذا ، الهجرات الداخلية ، الضيقة ، التـــي تقـوم بها عائـلات او مجموعـــة عائلات ، للم الشمل ، أو للبحث عن امكانيات عمـل • وقامت وكالة الغوث بشطب اعداد كبيرة من الفلسطينيين من سجلاتها بحجج مختلفـــة واهية • **وهجرات خارجية** : الـــى مناطق العمل • ففي ظل الفصل القسري بيـن الفلاح وقوى انتاجه – الارض – اصبح التعليم هـو المجال الوحيد للتثمير الاقتصادي•واصبحت مناطق الخليج بشكل خـــاص ، والمناطـــق العربية والاجنبية الاخرى ، هي مجال العمل الوحيـــد المفتـــوح • فابتـــدأت الهجرات الخارجية ، التي زادت في تفتيت الشعـــب الفلسطيني وتوزيعه على مناطق شاسعـــة يصعب حصرها • من هنا ، وفي ظـل غياب فلسطيني سياسي ، بالمعنى الدقيق ، والـذي لم يبدأ بالبروز الا بعـــد انطلاقة الثورة ، ١٩٦٥ ، اصبح التشتت ، ضياعا في مصـــادر القبض الاحصائـــي – على الاقـــل – على معلومات حقيقية ودقيقة • (دون ان ننسى أن في الكثير من البلدان التي يتواجد فيهـا فلسطينيون ، لا يوجـــد أي احصاء لهم) • لذلك يقـــدم الجدول رقـــم – ١ – ، مجرد معلومات تقريبية •

وقد ميزنا فيه بين مستويين : **العـــــدد الاحصائي** • أي العدد الذي تقدمه احصاءات البلدان ، ومن ضمنـه تقديـــرات لبلدان لا احصاء فيها • **والعدد التقديري الاكثر دقة** • والذيقمنا فيه بتصحيح بعد الامور الواضحة للعيان •

يقدر الجدول رقم – ١ – عدد الفلسطينيين بـ ٢،٩٦٧،٣٥٢ نسمة • وهو عدد تقريبـــي يمكن أن يكون مقبولا علـــى أساس التقديرات الاخيرة التي تشير الى أن عدد الفلسطينيين اليوم هو حوالي ثلاثة ملايين وربع المليـــون نسمة •

وقد قمنا في سبيـــل الوصول الى هـــذا الرقم ، بمحاكمة للاحصاءات المتوفرة :

جدول رقم ١
عدد الفلسطينيين موزعا بحسب بلدان ومناطق الاقامة والنسبة المئوية ٪ ـ ١٩٧٠

بلد الاقامة	العدد الاحصائي	تقديرات إكثر دقة	٪
فلسطين المحتلة	٤٤٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠	١٢ر٨
الضفة الغربية	٦١٠٣٠٠	٦٧٠٣٠٠	٢٢ر٦
غـــزة	٣٧٢٤٠٠	٣٧٢٤٠٠	١٢ر٥
الضفة الشرقية	٧٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠	٣٠ر٣
لبنـــــان	١٣٣٦٩٥	٢٤٠٠٠٠	٨ر١
سوريـــة	١٥٥٧٢٣	١٥٥٧٢٣	٥ر٢
الكويت	١٤٧٦٩٩	١٣٢٩٢٩	٤ر٥
العربية السعودية	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٠ر٧
بلاد الخليج	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	٠ر٥
العراق	١٤٠٠٠	١٤٠٠٠	٠ر٥
مصر	٣٣٠٠٠	٣٣٠٠٠	١ر١
ليبيــا	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٠ر٢
الولايات المتحدة	٧٠٠٠	٧٠٠٠	٠ر٢
اميركا اللاتينية	٧٠٠٠	٧٠٠٠	٠ر٢
المانيا الغربية	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	٠ر٥
المجموع		٢٩٦٧٢٥٢	١٠٠ر٠

١ ـ فاحصاء عرب فلسطين المحتلـــة ، قامت « اسرائيل » ، بزيادة ٦٠ ألف نسمـة عليه ، هو عدد سكـان القـــدس العربية ، فقمنا بطرح هذا العدد من رقم عدد عـــرب الارض المحتلـــة ، واضفناه الـــى الضفة الغربية ٠

٢ ـ يجمع الاحصاء الاسرائيلي سكـــان قطاع غزة الى شمال سيناء (العريش وبقية المناطق المصرية المحتلة) ٠ ولم نقم هنـــا بأى عملية ، لعدم توافـر مصـــادر الارقام الدقيقة من جهـــة ، ولتقديرنـــا بأن هذه الاضافة لا تؤثر كثيـــرا على الرقم الذي نقدمه ، نظرا لكون سكـان هـــذه المناطق المضافة قليلا ٠

٣ ـ توصلنا الـــى العـــدد الاحصائـي للفلسطينيين في شرق الاردن علـــى أساس اعتبار الفلسطينيين ٦٠٪ مـن سكانهـــا ٠ فعلى أساس التعداد الاردنـــي ١٩٦١ يكون عدد سكان الضفـــة الشرقية ٩٠٠٧٧٦ ٠ ويكون الفلسطينيون بالتالـــي ٥٤٠،٤٦٥ ٠

واذا حسبنا الزيـادة السنويـــة بين ١٩٦١ و ١٩٧٠ بـ ٣٪ يكـــون عددهم حـوالي ٧٠٠ ألف نسمة ٠ اما التقدير الآخر فأخذناه من دراسة لنبيل شعث (١) ٠

٤ ـ الرقم الاحصائي اللبنانـــي ، الذي يقدر الفلسطينييـــن ١٣٣٦٩٥ مأخـــوذ من رقمين : الفلسطينيون في المخيمات : احصاء بالعيّنة للقوى العاملة اللبنانية ٩٠،٦٠٠(٢) ونضيف اليها رقم ٤٣٠٩٥ يقدرهـا احصاء القوى العاملة اللبنانيـة لفلسطين خـارج المخيمات ٠ اما الرقم التقديري فمأخوذ عـن دراسة شعث ٠

٥ ـ قدرنا نسبة الفلسطينييـــن الـــى الفلسطينيين والاردنيين في الكويت بـ ٩٠٪ ٠

(١) Shaath Nabil: High level palestinian man power, in Journal of Palestinian Studies, Vol. No. 2 Winter 72.

(٢) الياس خوري : احصاءات فلسطينية المرجع السابق ، ص ـ ٢٠٨ ٠

وهذا سبب التفاوت بين الرقم الاحصائي ١٤٧٦٩٩ والرقم التقديري ١٣٢٩٢٩ ·

٦ ـ اما بقية الارقام ، السعودية ، الخليج ، العراق ، مصر ، ليبيا ، الولايات المتحدة ، اميركا اللاتينية ، المانيا الغربية فماخوذة من دراسة شعث ·

رسم بياني رقم ١

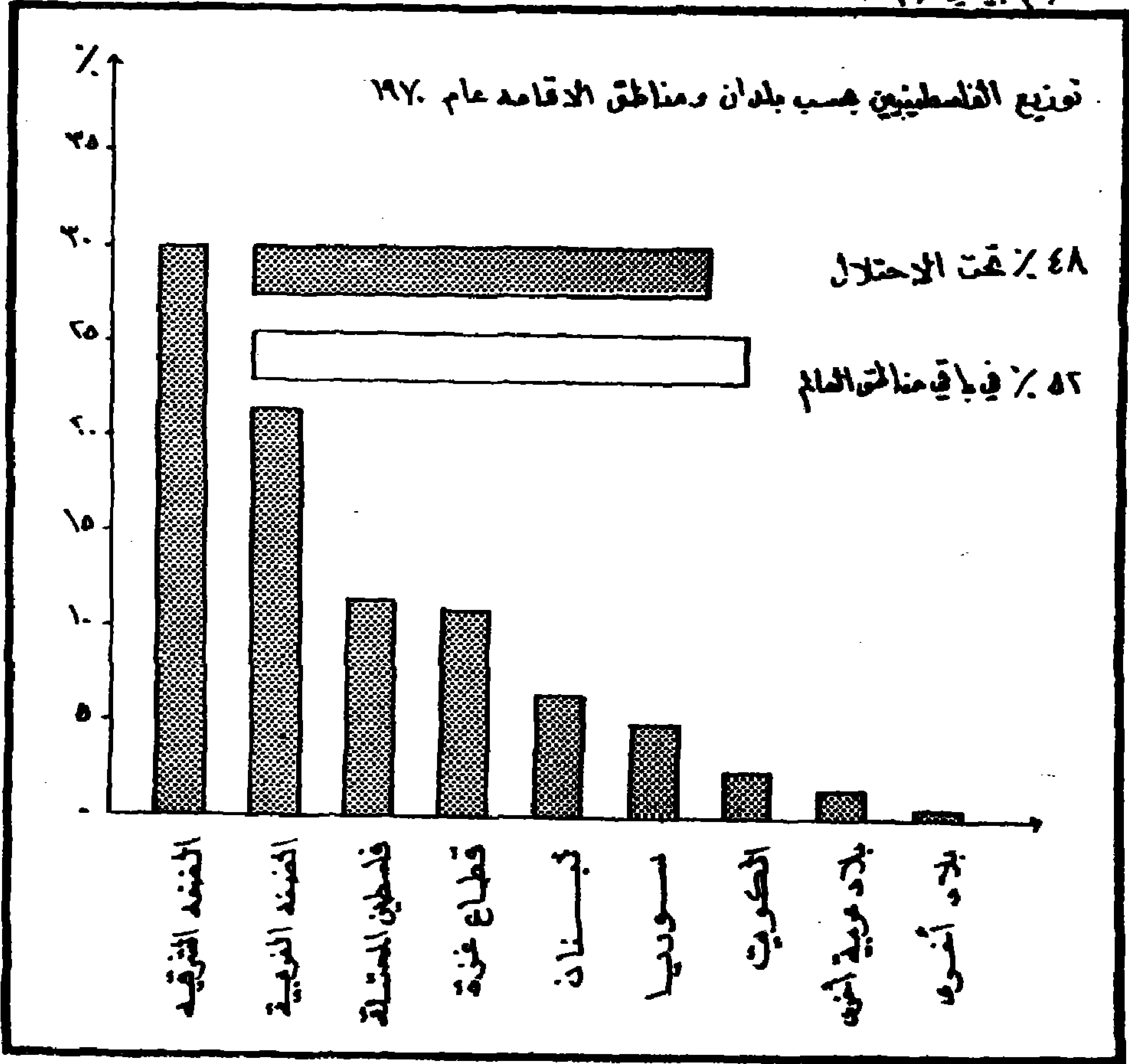

يقدم لنا ، الرسم البياني رقم ـ ١ ـ ، الذي يفسر الجدول الاول ، خريطة ذات دلالة ، عن تقسيم الفلسطينيين ، بحسب الخضوع للاحتلال او عدمه · فهناك حسب التقدير ٤٨٪ من الفلسطينيين تحت الاحتلال· وهذا الرقم التقريبي ، يقدم بالاضافة الى مؤشراته الاجتماعية ، مؤشرا سياسيا · عن اوالية المقاومة في الداخل ، التي ترتبط بالخارج بشكل واضح · فتكون اساسا تعبيرا عن اوضاع المراكز الرئيسية في الخارج ، حيث يتمتع الفلسطينيون بقدرة أوسع نسبيا على الحركة السياسية ·

الفلسطينيون في البلدان والمناطق العربية الاساسية المدروسة

سوف نحاول الآن ، أن نتقدم في اتجاه اكثر تحديدا · فنحاول ان نلقي نظرة على البلدان والمناطق ، التي تتوفر لنا فيها معلومات احصائية تسمح لنا ، بتقديم صورة عن اوضاع الفلسطينيين فيها :

١ ـ نميز هنا ، كذلك ، بين رقمين احصائيين : ـ **العدد الاحصائي المعتمد في الدراسة** : وهو العدد الاحصائي الذي نجد انفسنا مجبرين على التعامل ، رغم عدم دقته ، لان على اساسه ، تقوم الاحصاءات المختلفة ـ العربية ـ والاحصاء الاسرائيلي ·

جدول رقم ٢
عدد الفلسطينيين موزعا بحسب البلدان والمناطق العربية الاساسية المدروسة والنسبة المئوية ــ ١٩٧٠

البلد والمنطقة	العدد الاحصائي المعتمد في الدراسة	التوزيع الحقيقي	٪
فلسطين المحتلة	٤٤٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠	١٩ر٥
الضفة الغربية	٦١٠٣٠٠	٦٧٠٣٠٠	٣٤ر٣
غــزة	٣٧٢٦٠٠	٣٧٢٦٠٠	١٩ر١
لبنــان	١٠٦٢٠٠	٢٤٠٠٠٠	١٢ر٣
سوريــة	١٥٥٧٢٣	١٥٥٧٢٣	٨ر٠
الكويت	١٤٧٦٩٩	١٣٢٩٢٩	٦ر٨
	١ر٨١٦ر٩٢٢	١٩٥١٥٥٢	١٠٠ر٠

بتوزيع النسب ، والقطاعات . لذلك اجبرنا على اعتبار عدد الفلسطينيين ، في الارض المحتلة ١٩٧٠ ، ٤٤٠،٠٠٠ ، بخلاف الحقيقة، أي مع عدد سكان القدس العربية . كما اجبرنا على اعتبار الفلسطينيين في لبنان ١٠٦٢٠٠ ، مع فارق كبير مع الرقم الحقيقي الذي يشير الى ٢٤٠،٠٠٠ . لان احصاء القوى العاملة فيلبنان يشير الى الرقم الاول حاصرا نفسه في دراسة المخيمات . اما في الكويت فقد حذفنا ١٠٪ من عدد الفلسطينيين ، باعتبارهم من شرق الاردن . فنحن نتعامل اذن مع رقم بعيد عن الرقم الصحيح . وتصحيح هذا الوضع ، لا يتم الا بشكل جذري ، أي من خلال احصاء فلسطيني خاص . لذلك فجميع نتائجنا ، تقريبية .

٢ ــ لم نستطع التعامل ، مع فلسطينيي ، شرق الاردن . لانه في الاحصاء الاردني ، لايوجد اي تمييز بين اردني وفلسطيني . يمكن ان نعتبر ان ٦٠٪ من سكان شرق الاردن هم فلسطينيون ــ كما فعلنا في الجدول رقم ــ ١ ــ ونقيم جداولنا على هذا الاساس . لكن هذا الاعتبار قد يؤدي الى نتائج خاطئة كليا ، خاصة مع دراسة القوى العاملة . لان افتراض أن القوى العاملة تنقسم بشكل متساو ، هو افتراض بعيد عن الدقة العلمية .

٣ ــ يشير الجدول رقم ــ ٢ ــ والرسم البياني رقم ــ ٢ ــ المرفق به الى النسبة الكبيرة لسكان المناطق الخاضعة الان للاحتلال الاسرائيلي . لكن اذا اضفنا ٩٠٠،٠٠٠ فلسطيني في شرق الاردن ، تتحول الصورة اكثر لمصلحة الخارج . مع اشارة الى بقاء فجوات واضحة ، في البلدان الاخرى ــ الخليجية والبترولية العربية ــ والمناطق الاجنبية .

٤ ــ يشير الجدول رقم ــ ٢ ــ الى نسبة الفلسطينيين الى السكان المتمتعين بجنسية بلد الاقامة . وهو يقدم ارقاما كبيرة ــ

رسم بياني رقم ٢
توزيع الفلسطينيين بحسب المناطق العربية المدروسة

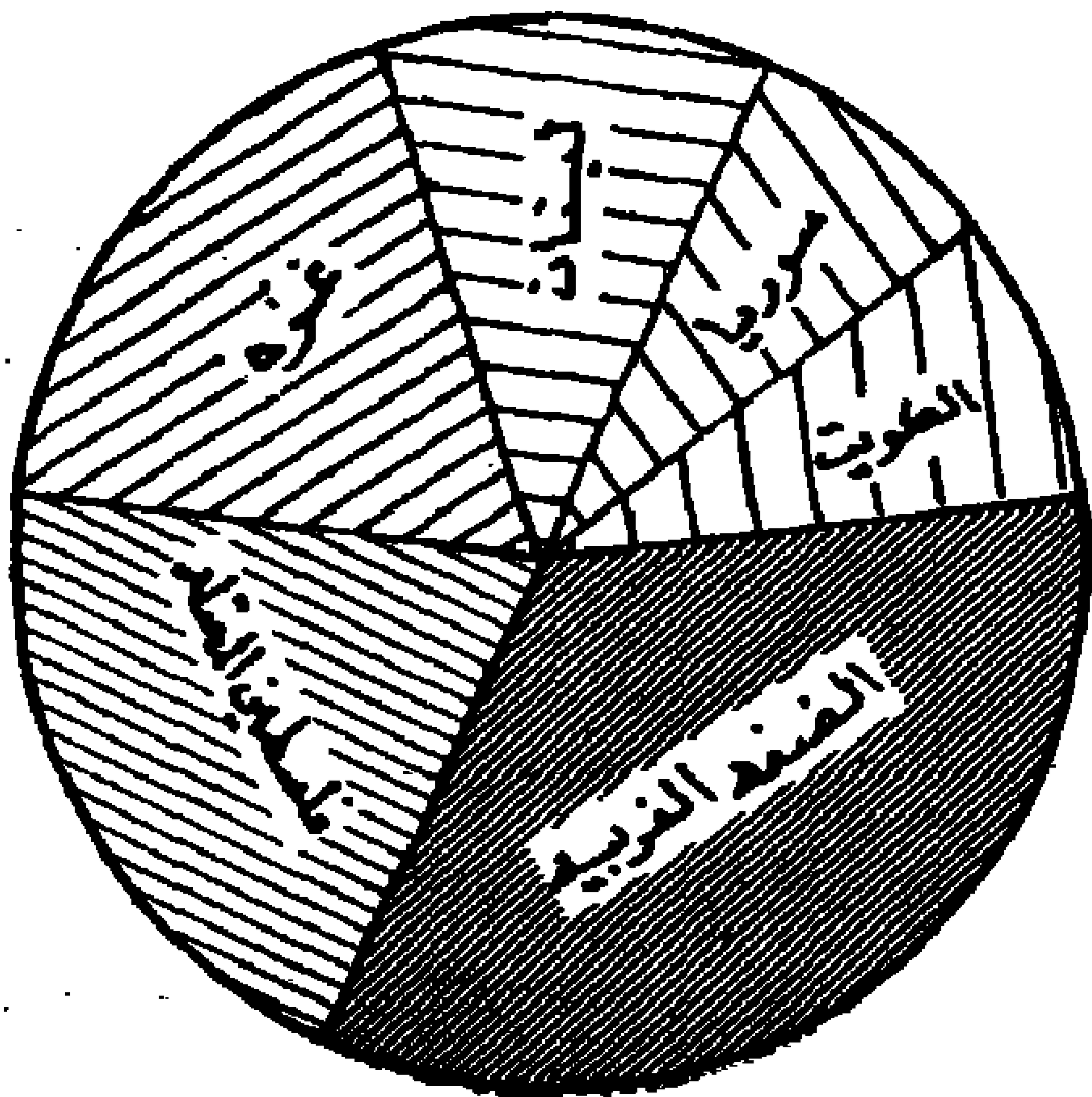

جدول رقم ٣
نسبة الفلسطينيين الى السكان المتمتعين بجنسية بلد الاقامة ــ ١٩٧٠

بلد الاقامة	السكان المتمتعون بجنسية بلد الاقامة	الفلسطينيون	نسبة الفلسطينيين الى السكان المتمتعين بجنسية بلد الاقامة
فلسطين المحتلة	*٢٩٥٨٢٠٠	٤٤٠٠٠٠	٩ر١٤٪
الضفة الغربية	٠٠٠٠٠	٦١٠٣٠٠	ـ
غــزة	٠٠٠٠٠	٣٧٢٤٠٠	ـ
سورية (١٩٦٩)	٦٤٧١٠٧٤	١٧٤٨٥٠	٧ر٢
لبنــان	**١٩٢٨٥٨٠	٢٤٠٠٠٠	٤ر١٢
الكويت	***٣٤٧٣٩٦	١٣٢٩٢٩	٣ر٣٨

* Statistical Abstract of Israel 1971

** القوى العاملة في لبنان ــ الجزء الثـاني ــتموز ١٩٧٢ ــ مديرية الاحصاء المركزي

*** تعداد سكان دولة الكويت لعام ١٩٧٠ ٠

٩ر١٤٪ في فلسطين المحتلة ، ٢،٧ بالمائة في سوريا ، ١٢،٤٪ في لبنان ، و٣٨،٣٪ فـي الكويت ٠ تشكـل هـذه النسب المرتفعة ، عنصرا كبير الدلالة على المستويين الاقتصادي ــ الاجتماعي والسياسي ٠ حيث تشكـل عنصر تفاعل وتداخل على جميع المستويات داخل البنيـة السياسية والاجتماعيـة ــ الاقتصادية لهذه البلاد ٠

٥ ــ لقد حاولنا في الجدولين ٤ و ٤ مكرر، تقديم صورة لتطور عدد الفلسطينيين فـي البلاد والمناطق العربية الاساسية المدروسة٠ والرسم البياني رقم ــ ٣ ــ يشير الى نتائج مذهلة :

ــ في فلسطين المحتلة ، نلاحظ زيـادة هائلة سنة ١٩٦٧ ، وهذا يعود ، الى ضـم القدس والمناطق المحيطة بها الى « اسرائيل » وتظهر هذه النسبة المرتفعـة ، حتى دون ان نأخذ بعين الاعتبار قضية ضم القدس ٠ وهذا واضح في المنحنى وراجع اساسا الى معدل الزيادة الطبيعية المرتفع في الارض المحتلة ٠

ــ نلاحظ في الضفة الغربيـة ، تناقصـا سنة ١٩٦٧ ٠ ــ نتائـج الحرب ، والهجرة الاجبارية الجديدة ٠ ثم تعود الزيـادة الى وتيرة عادية نسبيا ٠

ــ في غزة ، يبدأ الهبوط من سنة ١٩٦٣ ، وربما مرد هذا الى الهجـرة طلبا للعمل ٠ ثم يستمر سنة ٦٧ و ٦٨ ٠ ليعود سنة ١٩٦٩ الى وتيرة عادية ٠

ــ تقدم سوريا ، خطا تطوريا عاديا جدا وثابتا ٠ وهي البلد الوحيد الثابت نسبيا في نسبة الزيادات للفلسطينيين ، لكننا نفاجـأ بهبوط سريع ين ٦٩ و ٧٠ ، لا نستطيـع تفسيره ٠

الخصائص الديمغرافية

تلعب الخصائص الديمغرافية دورا هاما، في فهـم وضعية الشعب الفلسطيني ، لانها تشير الى عنصـرين اساسيين : ــ **هـرم الاعمار** الذي يؤشر الى التركيب البنيـوي للشعب ٠ فئات السن ــ التي تشير الى نسبة الذين هم في سن الدراسة ، ونسبة القـوة العاملة ٠ وتكون ، قاعدة هذا الهرم كبيـرة عادة في البلاد التابعة ، حيث تكون وتيـرة التزايد السكاني مرتفعـة لاسباب عدة ٠ **ونسبة الذكورة** التي تعطي لهـذا الهرم معناه الحقيقي ، فنسبة الذكور الى الاناث لا تظهر في هرم الاعمار ٠ وهـذه النسبة بالغة الاهمية ، لانها تشير الى هجرة الذكـور او نسبة الوفاة فيهم بحسب الاعمار ٠ ولهذيـن المؤشرين دلالات سياسية واجتماعيـة ــ اقتصادية مهمة ٠

جدول رقم ٤

تطور عدد الفلسطينيين في البلاد والمناطق العربية الاساسية المدروسة ١٩٤٨ – ١٩٧٠ (بالآلاف)

البلد / السنة	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
١ – فلسطين المحتلة	١٥٦,٠	١٦٠,٠	١٦٧,١	١٧٣,٤	١٧٩,٤	١٨٥,٨	١٩١,٨	١٩٨,٦	٢٠٤,٩	٢١٣,١	٢٢١,٥	٢٢٩,٨	٢٣٤,٢	٢٤٧,١	*٢٥٧,٧	٢٦٨,٤	٢٨٠,٤	٢٩٢,٨	٣٠٦,٠	٣٥٢,٧	٣٩٨,٦	٤١٤,٦	٤٤٠,٠
٢ – الضفة الغربية	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	٨٥١,٦	...	...	...	...	...	٥٩٦,٠	...	٥٩٩,٦	٦١٠,٣
٣ – غزة	...	...	...	...	...	٣٠٦,٢	٣١٢,٨	...	...	...	...	٣٥١,٦	٣٦٠,٥	٣٦٩,٢	٣٨٢,٢	٣٩٧,١	٤١٢,٣	...	...	٣٨٩,٧	...	٣٦٥,٥	٣٧٢,٤
٤ – سورية	...	...	...	٩١,٤	٩٥,٦	٩٨,٥	١٠١,٩	١٠٥,٥	١٠٩,٤	١١٣,٢	١١٧,١	١٢١,٨	١٢٦,٧	١٣١,٥	١٣٦,٤	١٤١,٠	١٤٦,٣	١٥٢,٢	١٥٧,٢	١٦٣,٠	١٦٨,٨	١٧٤,٨	١٥٥,٧
٥ – الكويت														٣٧,٣				٧٧,٧					١٤٧,٧
مجموع (١+٢+٣+٤)														١٥٥٩,٤						١٥٠١,٤		١٥٥١,٥	١٥٧٨,٤

* الارقام من سنة ١٩٦٢ الى سنة ١٩٧٠ من Statistical Abstract of Israel 1970

جدول رقم ٤ مكرر

النسبة السنوية* لتزايد الفلسطينيين في البلاد والمناطق العربية الاساسية المدروسة ١٩٤٨ – ١٩٧٠

من سنة ١٩٤٨ الى	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	معدل المرحلة
فلسطين المحتلة	٢,٥٧	٤,٤٢	٣,٧٥	٣,٤٥	٣,٢٥	٣,٢٥	٣,٥٤	٣,١٥	٤,٠١	٣,٩٢	٣,٧٤	١,٨٢	٥,٦٠	٤,٢٩	٤,١٥	٤,٤٧	٤,٤١	٤,٥٠	١٥,٢٧	١٣,١٠	٣,٩٢	٦,١٢	+ ٤,٨٥
																−٦,١٢				٠,٣٠		١,٨٠	(١)
الضفة العربية																−٤,٨٠				٠,٣٠		١,٨٠	− ١,٦١
قطاع غزة						٢,١٣			٢,٣٥			٢,٥٢	٢,٤١	٣,٥٠	٣,٩٢	١,٢٩		− ١,٠٧		−٣,٢٣	١,٨٩	١,١٦	+ ١٦١٦
سورية				٤,٦١	٣,٠٣	٣,٥٢	٣,٥٠	٣,٦٧	٣,٥١	٣,٤٥	٤,٠٢	٣,٩٥	٢,٨٥	٣,٦٨	٣,٤١	٣,٧٦	٤,٠٠	٣,٢٧	٣,٧٦	٣,٥٢	٣,٦١	−١,١٦	+ ٣,٤٢
																−١,٠٥				١,٧١		١,٥٥	(٢)
المجموع																−٠,٤٠				١,٧١		١,٥٥	+ ٠,٩٥

* استخرجت النسبة السنوية لتزايد الفلسطينيين وفقاً للمعادلة التالية $x_t = x_0 (1+r)^t$

(١) و (٢) إذا أخذنا بعين الاعتبار ٦٠ الف فلسطيني يعيشون في القدس ، وتضمهم إسرائيل إلى إحصاءاتها .

رسم بياني رقم ٣

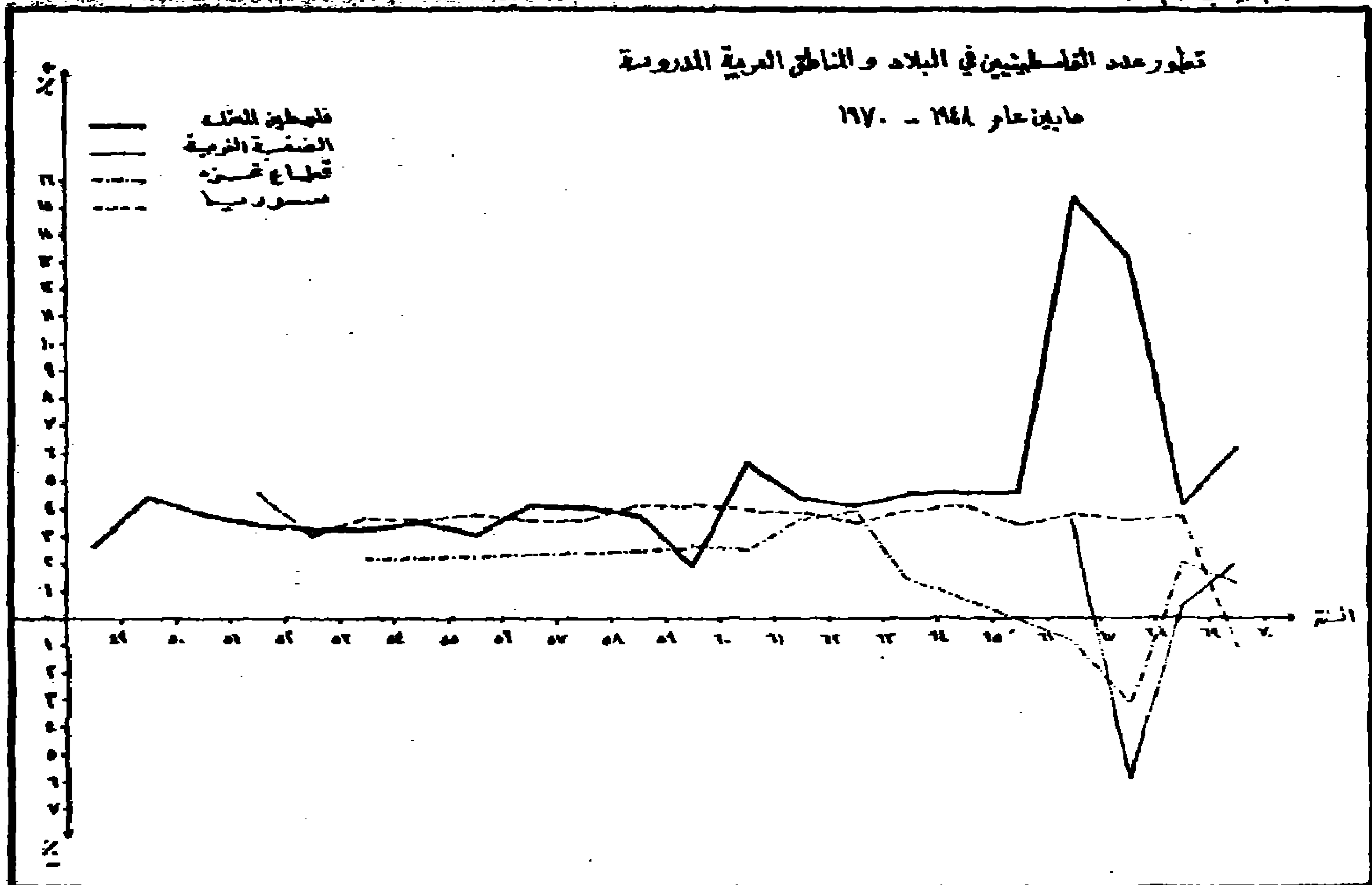

امامنا ارقام احصائية حول الخصائص الديمغرافية للشعب الفلسطيني سنة ١٩٧٠ في بلدان ومناطق اقامته الاساسية ٠ فلسطين المحتلة ، الضفة الغربية ، قطاع غزة ، سوريا ، لبنان والكويت ٠ والعدد الاحصائي الذي ننطلق منه هو ١،٨٣٢،٤٠٠ ٠ اي اكثر بقليل من نصف تقديراتنا لعدد الفلسطينيين في العالم ٠ هذا الرقم هو نتيجة تعداد عام في جميع بلاد ومناطق الاقامة ، ما عدا لبنان ، حيث نستند الى رقم احصائي جاء على اساس الاحصاء بالعينة في المخيمات ٠ وبما ان الرقم المتداول عن عدد الفلسطينيين في المخيمات ، كما يشير هذا الاحصاء ، ضئيل اي ١٠٦،٢٠٠ منهم ٨٥،١٪ فلسطينيون فقط ٠ فهو لا يؤثر على النتائج العامة ، بل يحفظ لها درجة ثقة احصائية مرتفعة ٠ ويجب الاشارة ايضا الى ان نتيجة تعداد الكويت ١٤٧،٧٠٠ تتضمن تقديرا ١٠٪ من هذا الرقم للاردنيين ٠

١ ـ يقدم الجدولان ٥ و٥ مكرر ، توزيع الفلسطينيين بحسب فئات السن في البلاد والمناطق الست المدروسة ويأتي الجدول رقم ٦ ليبين بايجاز ، ان حوالي ٦٠٪ من الفلسطينيين هم مادون الـ ٢٠ من عمرهم ٠ وهي نسبة مرتفعة ، حتى اذا قورنت بنسب بلدان العالم الثالث ٠ كما ان هناك نقصا واضحا في عناصر القوة العاملة بين ٢٠ ـ ٦٠ سنة ٠

٢ ـ اكبر نسبة ، لمن هم دون العشرين هي في لبنان ٦٤،٣٪ ، حيث نجد ايضا ، اقل نسبة لمن هم بين ٢٠ ـ ٦٠ ، ٣٠،٦٪ ٠ وذلك عائد الى ان الارقام الاحصائية عن لبنان ، مأخوذة حول المخيمات فقط ، حيث يغادر عنصر الشباب المخيم بحثا عن عمل ٠

٣ ـ تشير احصاءات الكويت ، الى ان اكبر نسبة بين اعمار الفلسطينيين فيها ، هي لمن هم بين ٢٠ و ٦٠ سنة ٤٢،٩٪ وهذا عائد الى كون التجمع الفلسطيني في الكويت هو تجمع هجرة للعمل ٠

٤ ـ ترتفع نسبة من هم اكثر من ٦٠ سنة في الضفة الغربية الى ٧،٥٪ بينما النسبة العامة لهذه الفئة هي ٥،٨٪ وهذا يعود الى كون المجتمع في الضفة الغربية هو مجتمع فلسطيني اولا واخيرا٠ وهو مجتمع زراعي اساسا ٠ واقرب الى تشكيلة اجتماعية حقيقية من النماذج المأخوذة ، كلبنان وسوريا والكويت خاصة ، حيث نسبة الذين اكثر من ٦٠ سنة في الكويت هي ١،١٪ ٠

جدول رقم ٥

توزيع السكان الفلسطينيون بحسب فئات السن والجنس ١٩٧٠ (بالآلاف)

فئات السن	فلسطين المحتلة (١)			الضفة الغربية (٢)			غــزة			سورية			لبنان (٣)			الكويت (٤)			المجموع العام		
	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع
٠ — ٤	٤٤٫٤	٤١٫٥	٨٥٫٩	٥٣٫٩	٤٧٫٤	١٠١٫٣	٣٣٫٧	٣٠٫٥	٦٤٫٢	١٤٫٤	١٣٫٦	٢٨٫٠	١٢٫٠	١٠٫٧	٢٢٫٧	١٧٫٩	١٧٫٠	٣٤٫٩	١٧٦٫٣	١٦٠٫٧	٣٣٧٫٠
٥ — ٩	٣٨٫٧	٣٦٫٤	٧٥٫١	٥٦٫٣	٥١٫٤	١٠٧٫٧	٣٥٫٤	٣٢٫٨	٦٨٫٢	١٤٫٠	١٣٫٠	٢٧٫٠	١٠٫١	٩٫٢	١٩٫٣	١٣٫٠	١٢٫٣	٢٥٫٣	١٦٧٫٥	١٥٥٫١	٣٢٢٫٦
١٠ — ١٤	٣٠٫٢	٢٧٫٥	٥٧٫٧	٤٦٫٤	٤١٫٠	٨٧٫٤	٢٧٫٥	٢٥٫٢	٥٢٫٧	١١٫٣	١٠٫٦	٢١٫٩	٧٫٤	٧٫٧	١٥٫١	٧٫٣	٦٫٩	١٤٫٢	١٣٠٫١	١١٨٫٩	٢٤٩٫٠
١٥ — ١٩	٢٣٫١	٢١٫٢	٤٤٫٣	٣٣٫٥	٣٠٫٠	٦٣٫٥	٢١٫٤	٢٠٫٧	٤٢٫١	٨٫٤	٧٫٨	١٦٫٢	٦٫٠	٥٫٢	١١٫٢	٣٫٥	٤٫٨	٨٫٣	٩٥٫٩	٨٩٫٧	١٨٥٫٦
٢٠ — ٢٤	١٦٫٩	١٥٫٧	٣٢٫٦	١٩٫٩	٢٢٫٤	٤٢٫٣	١٣٫٢	١٦٫٨	٣٠٫٠	٦٫٣	٥٫٧	١٢٫٠	٣٫٨	٣٫٤	٧٫٢	٦٫١	٧٫٥	١٣٫٦	٦٦٫٢	٧١٫٥	١٣٧٫٧
٢٥ — ٢٩	١٥٫١	١٤٫٣	٢٩٫٤	١٢٫٦	١٨٫٨	٣١٫٤	٦٫٩	١٢٫٩	١٩٫٨	٥٫٧	٤٫٨	١٠٫٥	٢٫٧	٣٫٢	٥٫٩	٩٫٩	٧٫٥	١٧٫٤	٥٢٫٩	٦١٫٥	١١٤٫٤
٣٠ — ٣٤	١٢٫٦	١٢٫٠	٢٤٫٦	١١٫٧	١٧٫٣	٢٩٫٠	٦٫٤	١١٫٠	١٧٫٤	٤٫٥	٤٫٠	٨٫٥	٢٫٦	٢٫٧	٥٫٣	٨٫٥	٥٫٠	١٣٫٥	٤٦٫٣	٥٢٫٠	٩٨٫٣
٣٥ — ٣٩	٩٫٢	٩٫٤	١٨٫٦	١١٫٦	١٦٫٣	٢٧٫٩	٧٫٣	١٠٫٣	١٧٫٦	٣٫٦	٣٫٤	٧٫٠	١٫٩	٢٫٢	٤٫١	٥٫٨	٢٫٦	٨٫٤	٣٩٫٤	٤٤٫٢	٨٣٫٦
٤٠ — ٤٤	٨٫٠	٨٫٦	١٦٫٦	١١٫٢	١٤٫٢	٢٥٫٤	٧٫١	٨٫٣	١٥٫٤	٢٫٨	٢٫٧	٥٫٥	١٫٩	١٫٧	٣٫٦	٣٫٩	١٫٦	٥٫٥	٣٤٫٩	٣٧٫١	٧٢٫٠
٤٥ — ٤٩	٦٫١	٦٫٤	١٢٫٥	٩٫٦	١٠٫٥	٢٠٫١	٥٫٦	٥٫٧	١١٫٣	٢٫٤	٢٫٣	٤٫٧	١٫٧	١٫٥	٣٫٢	١٫٩	٠٫٦	٢٫٥	٢٧٫٣	٢٧٫٠	٥٤٫٣
٥٠ — ٥٤	٤٫٣	٥٫١	٩٫٤	٧٫٦	٧٫٦	١٥٫٢	٤٫٠	٤٫٠	٨٫٠	١٫٧	١٫٧	٣٫٤	١٫٠	٠٫٨	١٫٨	١٫١	٠٫٥	١٫٦	١٩٫٧	١٩٫٧	٣٩٫٤
٥٥ — ٥٩	٣٫٩	٤٫١	٨٫٠	٦٫٨	٦٫٥	١٣٫٣	٣٫١	٣٫١	٦٫٢	١٫٥	١٫٤	٢٫٩	٠٫٧	٠٫٧	١٫٤	٠٫٤	٠٫٥	٠٫٩	١٦٫٤	١٦٫٣	٣٢٫٧
٦٠ — ٦٤	٣٫٦	٤٫٣	٧٫٩	٧٫٢	٦٫٧	١٣٫٩	٣٫١	٢٫٩	٦٫٠	١٫٣	١٫٣	٢٫٦	٠٫٨	٠٫٦	١٫٤	٠٫٣	٠٫٣	٠٫٦	١٦٫٣	١٦٫١	٣٢٫٤
٦٥ — ٦٩	٢٫٩	٢٫٧	٥٫٦	٦٫٣	٥٫٧	١٢٫٠	٢٫٦	٢٫٣	٤٫٩	١٫٠	١٫٠	٢٫٠	٠٫٦	٠٫٥	١٫١	٠٫١	٠٫٣	٠٫٤	١٣٫٥	١٢٫٥	٢٦٫٠
٧٠ — ٧٤	٢٫٥	٢٫٩	٥٫٤	٤٫٩	٤٫٨	٩٫٧	٢٫١	٢٫٢	٤٫٣	٠٫٧	٠٫٩	١٫٦	*١٫٥	١٫٤	٢٫٩	٠٫١	٠٫٢	٠٫٣	١١٫٨	١٢٫٤	٢٤٫٢
٧٥ واكثر	٣٫٢	٣٫١	٦٫٣	٥٫٦	٤٫٦	١٠٫٢	٢٫٥	٢٫٠	٤٫٥	٠٫٩	١٫٠	١٫٩				٠٫١	٠٫٢	٠٫٣	١٢٫٣	١٠٫٩	٢٣٫٢
المجموع	٢٢٤٫٧	٢١٥٫٢	٤٣٩٫٩	٣٠٥٫١	٣٠٥٫٢	٦١٠٫٣	١٨١٫٩	١٩٠٫٧	٣٧٢٫٦	٨٠٫٥	٧٥٫٢	١٥٥٫٧	٥٤٫٧	٥١٫٥	١٠٦٫٢	٧٩٫٩	٦٧٫٨	١٤٧٫٧	٩٢٦٫٨	٩٠٥٫٦	١٨٣٢٫٤

* ٧٠ سنة وأكثر

١ ـ تشمل فلسطينيو القدس المحتلة ١٩٦٧ .

٢ ـ فلسطينيو الضفة الغربية ما عدا القدس .

٣ ـ ١و٨٥٪ من هذه الأرقام هي للفلسطينيين في مخيات لبنان ، إذ هناك ٩و١٤٪ من سكان المخيات من غير الفلسطينيين .

٤ ـ أعيد تقسيم السكان الفلسطينيين في الكويت إلى هذه الفئات (إذ يعطي الإحصاء الكويتي فئات أكبر حجماً) على أساس توزيع السكان غير الكويتيين في الكويت ، جدول رقم ١ ـ ص ١ ـ تعداد السكان العام في الكويت ١٩٧٠

جدول رقم ٥ مكرر

التوزيع النسبي للسكان الفلسطينيين بحسب فئات السن والجنس بالنسبة المئوية٪ لعام ١٩٧٠

فئات السن	فلسطين المحتلة			الضفة الغربية			قطاع غزة			سورية			لبنان			الكويت			مجموع البلاد والمناطق الاساسية المدروسة		
	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع	ذكور	اناث	مجموع
٠ – ٤	١٩,٨	١٩,٣	١٩,٥	١٧,٧	١٥,٥	١٦,٦	١٨,٥	١٦,٠	١٧,٢	١٧,٩	١٨,١	١٨,٠	٢١,٩	٢٠,٨	٢١,٤	٢٢,٤	٢٥,١	٢٣,٦	١٩,٠	١٧,٧	١٨,٤
٥ – ٩	١٧,٢	١٦,٩	١٧,١	١٨,٤	١٦,٨	١٧,٦	١٩,٥	١٧,٢	١٨,٣	١٧,٤	١٧,٣	١٧,٣	١٨,٥	١٧,٩	١٨,٢	١٦,٣	١٨,١	١٧,١	١٨,١	١٧,١	١٧,٦
١٠ – ١٤	١٣,٤	١٢,٨	١٣,١	١٥,٢	١٣,٤	١٤,٣	١٥,١	١٣,٢	١٤,١	١٤,٠	١٤,١	١٤,١	١٣,٥	١٤,٩	١٤,٢	٩,١	١٠,٢	٩,٦	١٤,٠	١٣,١	١٣,٦
١٥ – ١٩	١٠,٣	٩,٨	١٠,١	١١,٠	٩,٨	١٠,٤	١١,٨	١٠,٩	١١,٣	١٠,٤	١٠,٤	١٠,٤	١١,٠	١٠,١	١٠,٥	٤,٤	٧,١	٥,٦	١٠,٣	٩,٩	١٠,١
٢٠ – ٢٤	٧,٥	٧,٣	٧,٤	٦,٦	٧,٣	٦,٩	٧,٢	٨,٨	٨,١	٧,٨	٧,٦	٧,٧	٧,٠	٦,٦	٦,٨	٧,٦	١١,١	٩,٢	٧,١	٧,٩	٧,٥
٢٥ – ٢٩	٦,٧	٦,٦	٦,٧	٤,١	٦,٢	٥,١	٣,٨	٦,٨	٥,٣	٧,١	٦,٤	٦,٧	٤,٩	٦,٢	٥,٥	١٢,٤	١١,١	١١,٨	٥,٧	٦,٨	٦,٢
٣٠ – ٣٤	٥,٦	٥,٦	٥,٦	٣,٨	٥,٧	٤,٧	٣,٥	٥,٨	٤,٧	٥,٦	٥,٣	٥,٤	٤,٧	٥,٢	٥,٠	١٠,٦	٧,٣	٩,١	٥,٠	٥,٧	٥,٤
٣٥ – ٣٩	٤,١	٤,٤	٤,٢	٣,٨	٥,٣	٤,٦	٤,٠	٥,٤	٤,٧	٤,٥	٤,٥	٤,٥	٣,٥	٤,٣	٣,٩	٧,٢	٣,٨	٥,٧	٤,٣	٤,٩	٤,٦
٤٠ – ٤٤	٣,٦	٤,٠	٣,٨	٣,٧	٤,٧	٤,٢	٣,٩	٤,٣	٤,١	٣,٥	٣,٦	٣,٥	٣,٥	٣,٣	٣,٤	٤,٩	٢,٤	٣,٧	٣,٨	٤,١	٣,٩
٤٥ – ٤٩	٢,٧	٣,٠	٢,٨	٣,١	٣,٤	٣,٣	٣,١	٣,٠	٣,٠	٣,٠	٣,٠	٣,٠	٣,١	٢,٩	٣,٠	٢,٤	٠,٩	١,٧	٢,٩	٣,٠	٣,٠
٥٠ – ٥٤	١,٩	٢,٤	٢,١	٢,٥	٢,٥	٢,٥	٢,٢	٢,١	٢,١	٢,١	٢,٣	٢,٢	١,٨	١,٦	١,٧	١,٤	٠,٧	١,١	٢,١	٢,٢	٢,١
٥٥ – ٥٩	١,٧	١,٩	١,٨	٢,٢	٢,١	٢,٢	١,٧	١,٦	١,٧	١,٩	١,٩	١,٩	١,٣	١,٣	١,٣	٠,٥	٠,٧	٠,٦	١,٨	١,٨	١,٨
٦٠ – ٦٤	١,٦	٢,٠	١,٨	٢,٣	٢,٢	٢,٣	١,٧	١,٥	١,٦	١,٦	١,٧	١,٧	١,٥	١,٢	١,٣	٠,٤	٠,٤	٠,٤	١,٨	١,٨	١,٨
٦٥ – ٦٩	١,٣	١,٢	١,٣	٢,١	١,٩	٢,٠	١,٤	١,٢	١,٣	١,٢	١,٣	١,٣	١,١	١,٠	١,٠	٠,١	٠,٤	٠,٣	١,٥	١,٤	١,٤
٧٠ – ٧٤	١,١	١,٣	١,٢	١,٦	١,٦	١,٦	١,١	١,١	١,٢	٠,٩	١,٢	١,٠	٢,٧*	٢,٧	٢,٧	٠,١	٠,٣	٠,٢	١,٣	١,٤	١,٣
٧٥ – وأكثر	١,٤	١,٤	١,٥	١,٨	١,٥	١,٦	١,٤	١,٠	١,٢	١,١	١,٣	١,٢				٠,١	٠,٣	٠,٢	١,٣	١,٢	١,٣
المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	٦٠٠,٠

* ٧٠ سنة وأكثر.

جدول رقم ٦

توزيع الفلسطينيين بحسب الاعمار في البلاد والمناطق الاساسية المدروسة ـ ١٩٧٠

بلد ومنطقة الاقامة	فئات السن : أقل من ٢٠ سنة %	من ٢٠ الى ٦٠ سنة %	اكثر من ٦٠ سنة %	المجموع
فلسطين المحتلة	٥٩٫٨	٣٤٫٤	٥٫٨	١٠٠٫ـــ
الضفة الغربية	٥٨٫٩	٣٣٫٥	٧٫٥	١٠٠٫ـــ
غـــزة	٦٠٫٩	٣٣٫٧	٥٫٣	١٠٠٫ـــ
لبنان	٦٤٫٣	٣٠٫٦	٥٫٠	١٠٠٫ـــ
سورية	٥٩٫٨	٣٤٫٩	٥٫٢	١٠٠٫ـــ
الكويت	٥٥٫٩	٤٢٫٩	١٫١	١٠٠٫ـــ
مجموع البلاد والمناطق المدروسة	٥٩٫٧	٣٤٫٥	٥٫٨	١٠٠٫٠

٥ ـ يقدم الجدول رقم ٧ نسبة الذكـورة في المناطق المدروسة ، ومجموعها العـام ٠ والنقطة التي يجب ملاحظتها ، والتي تستلفت النظر ، هي النقص في نسبة الذكـورة بين سنوات ٢٠ ـ ٤٥ ، حيث تصل الى نسبة ٨٦ رجلا لكل ١٠٠ امرأة في فئة ٢٥ ـ ٣٠ سنة٠

٦ ـ وهناك ملاحظـــة طريفة ، وهي ان نسبة الرجال للنساء الكهـــول (ما فوق ٧٥ سنة) مرتفعة ١١٢٫٨٪ بينمـــا تكون هذه النسبة عادة عكسية ٠ لكن ربما كان تفسير هذه الظاهـرة في وفيات النســاء نتيجـــة للاهمال الصحي ، خاصة في ظروف الحمـل والولادة ٠

٧ ـ تفصيليا ، نشير الى ان النســـب المسجلة للفلسطينيين في سوريـا هي الاكثر طبيعية ٠ فهي قريبة جدا من ١٠٥ ذكور لكـل ١٠٠ انثى ، في فئة الاولاد الذين هم اقل من سنة واحدة ٠ ثم يتناقص هذا الرقم تدريجيا حتى تصير اقل من ١٠٠ في الفئات العليا من الاعمار ٠ (اي ٥٥ ـ ٦٠ سنة) ٠

ان نسبة الذكورة في المناطق المدروسة ، بعيدة عن النسبة المتعارف عليها ، وسيظهـر ذلك واضحا في الرسوم البيانية التفصيلية ٠

٨ ـ تقـــدم الرســـوم البيانيـــــــة رقـــم ٤ و٤ (أ) (ب) (ج) (د) (هـ) (و) و ٥ و ٥ (أ) (ب) (ج) (د) (هـ) (و) ٠ هرم الاعمار العام والتفصيلي ونسبة الذكورة العام والتفصيلي :

أ ـ يقدم الرسم البياني رقم ٤ هرما عاما لاعمار الفلسطينيين في البـــلاد والمناطـق الاساسية الست المدروسة ٠ نلاحـظ هنا ان قاعدة الهرم كبيرة ٠ وهذه خصيصة لجميـــع البلدان التابعة ، حيث وتيرة التزايد السكاني مرتفعة ٠ لكن في الرسم رقم ٤ هناك نقص غير مبرر في اعمـــار الفلسطينيين بين ٢٠ و٤٠ سنة ٠ ربما يعود هذا النقص الـــى الفراغات الاتية مـــن نقص بعض مناطـــق تواجد الفلسطينيين ٠

ب ـ الملاحظة السابقة التي رفعناها حـول الذكورة ، تظهر واضحة في الرسم البيانـــي رقم ٥ ٠ فبين ٢٠ ـ ٤٠ سنة هناك نقـص في نسبة الذكور الى الاناث بشكل غير طبيعي ٠ هل يعود هذا الى نقص احصائي ؟ ام الـى هجرات الى بلاد خارجية غير مذكورة فـــي الاحصاء؟ام الى نسبة مرتفعة في الوفياتفي هذا الســـن لاسباب سياسيـــــة نضالية ؟ لا نستطيع ، من خلال المعطى الاحصائي الذي بين ايدينا ، الاجابة على هذه التساؤلات ، ولكننا نرفعها كمقدمات فقط ٠

ج ـ تشير اهرام الاعمار التفصيلية رسم بياني ٤ (ب) و ٤ (ج) في الضفة الغربية وغزة الى ظاهرات مشابهة ٠ فيتقلص الهرم عند القاعدة (فئة الاقل من ٥ سنوات) ٠ اي ان المواليـــد الذين يفرض فيهم ان يكونوا ولدوا حوالي سنة ١٩٦٧، قبلها بقليل وبعدها،

جدول رقم ٧
نسبة الذكورة بحسب فئات السن ـ ١٩٧٠

فئات السن	فلسطين المحتلة	الضفة الغربية	غزة	لبنان	سورية	الكويت	المجموع
٠ ـ ٤	١٠٧ر٢	١١٣ر٧	١١٠ر٥	١١٢ر٢	١٠٦ر٠	١٠٥ر٣	١٠٩ر٧
٥ ـ ٩	١٠٦ر٣	١٠٩ر٥	١٠٧ر٩	١٠٩ر٦	١٠٧ر٦	١٠٥ر٧	١٠٨ر٠
١٠ ـ ١٤	١٠٩ر٨	١١٣ر٢	١٠٩ر١	٩٥ر٩	١٠٦ر٣	١٠٥ر٨	١٠٩ر٤
١٥ ـ ١٩	١٠٩ر٠	١١١ر٧	١٠٣ر٤	١١٥ر٨	١٠٨ر١	٧٣ر٠	١٠٦ر٩
٢٠ ـ ٢٤	١٠٧ر٦	٨٨ر٨	٧٨ر٦	١١٠ر١	١١١ر٥	٨١ر٣	٩٢ر٤
٢٥ ـ ٢٩	١٠٥ر٦	٦٧ر٠	٥٣ر٥	٨٥ر١	١١٩ر١	١٣٢ر٠	٨٦ر٠
٣٠ ـ ٣٤	١٠٥ر٠	٦٧ر٦	٥٨ر٢	٩٧ر٧	١١٠ر٥	١٧٠ر٠	٨٩ر٠
٣٥ ـ ٣٩	٩٧ر٩	٧١ر٢	٧٠ر٩	٨٧ر٥	١٠٣ر٤	٢٢٣ر٠	٨٩ر١
٤٠ ـ ٤٤	٩٣ر٠	٧٨ر٩	٨٥ر٥	١١١ر٢	١٠٣ر٨	٢٤٣ر٧	٩٤ر٠
٤٥ ـ ٤٩	٩٥ر٣	٩١ر٤	٩٨ر٢	١٠٩ر٩	١٠٦ر٨	٣١٦ر٧	١٠٠ر٧
٥٠ ـ ٥٤	٨٤ر٣	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٣٠ر٢	٩٩ر٢	٢٢٠ر٠	١٠٠ر٠
٥٥ ـ ٥٩	٩٥ر١	١٠٤ر٦	١٠٠ر٠	١٠٢ر٢	١٠٤ر٤	٨٠ر٠	١٠٠ر٦
٦٠ ـ ٦٤	٨٣ر٧	١٠٧ر٥	١٠٦ر٩	١١٨ر٦	٩١ر٤	١٠٠ر٠	١٠١ر٢
٦٥ ـ ٦٩	١٠٧ر٤	١١٠ر٥	١١٣ر٠	١٢٤ر٢	١٠١ر٨	٣٣ر٣	١٠٨ر٠
٧٠ ـ ٧٤	٨٦ر٢	١٠٢ر١	٩٥ر٤	١٠٣ر١	٨٧ر٢	٥٠ر٠	٩٥ر٢
٧٥ واكثر	١٠٣ر٢	١٢١ر٧	١٢٥ر٠		٨٧ر٩	٥٠ر٠	١١٢ر٨

رسم بياني رقم ٤

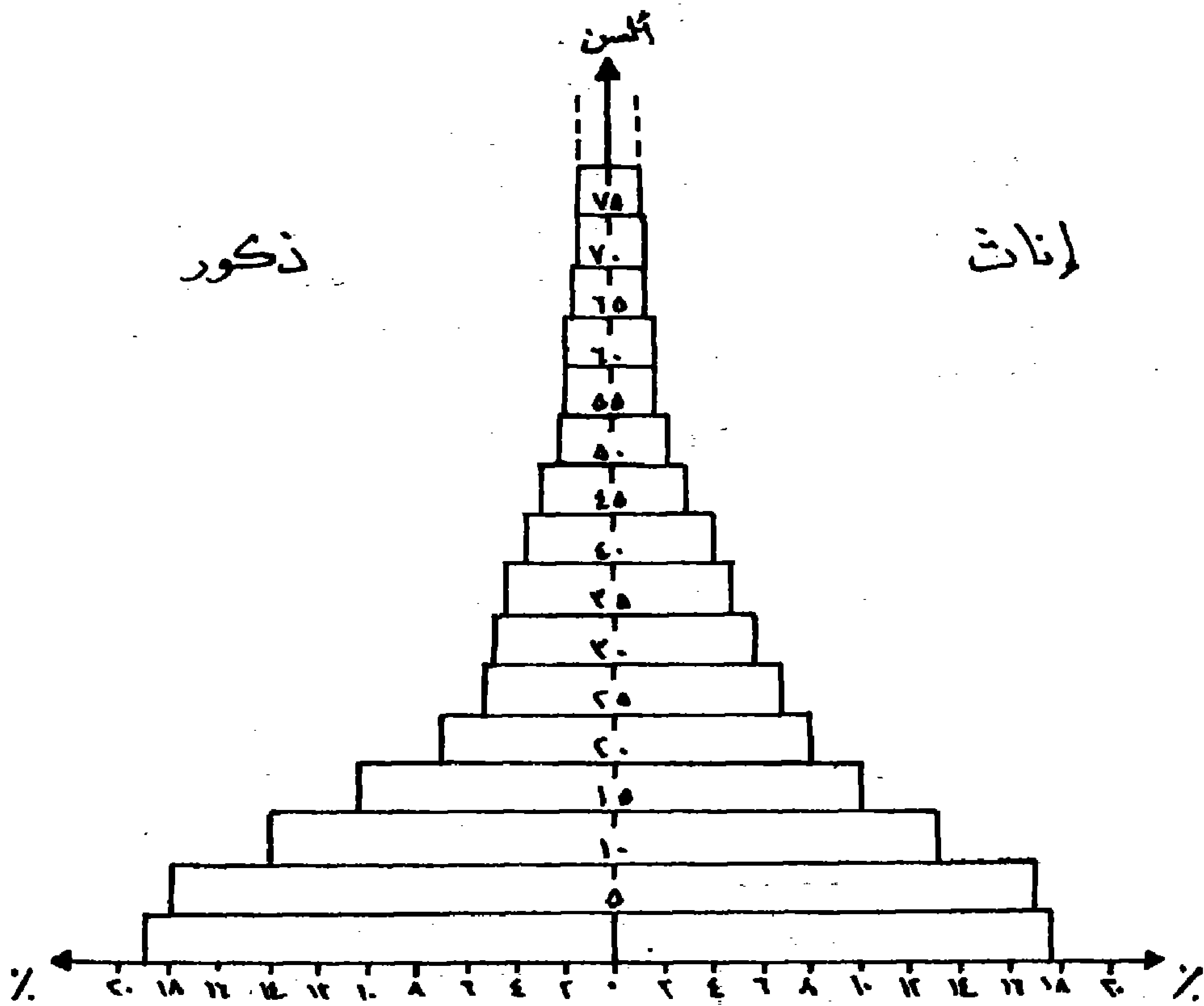

رسم بياني رقم ٥

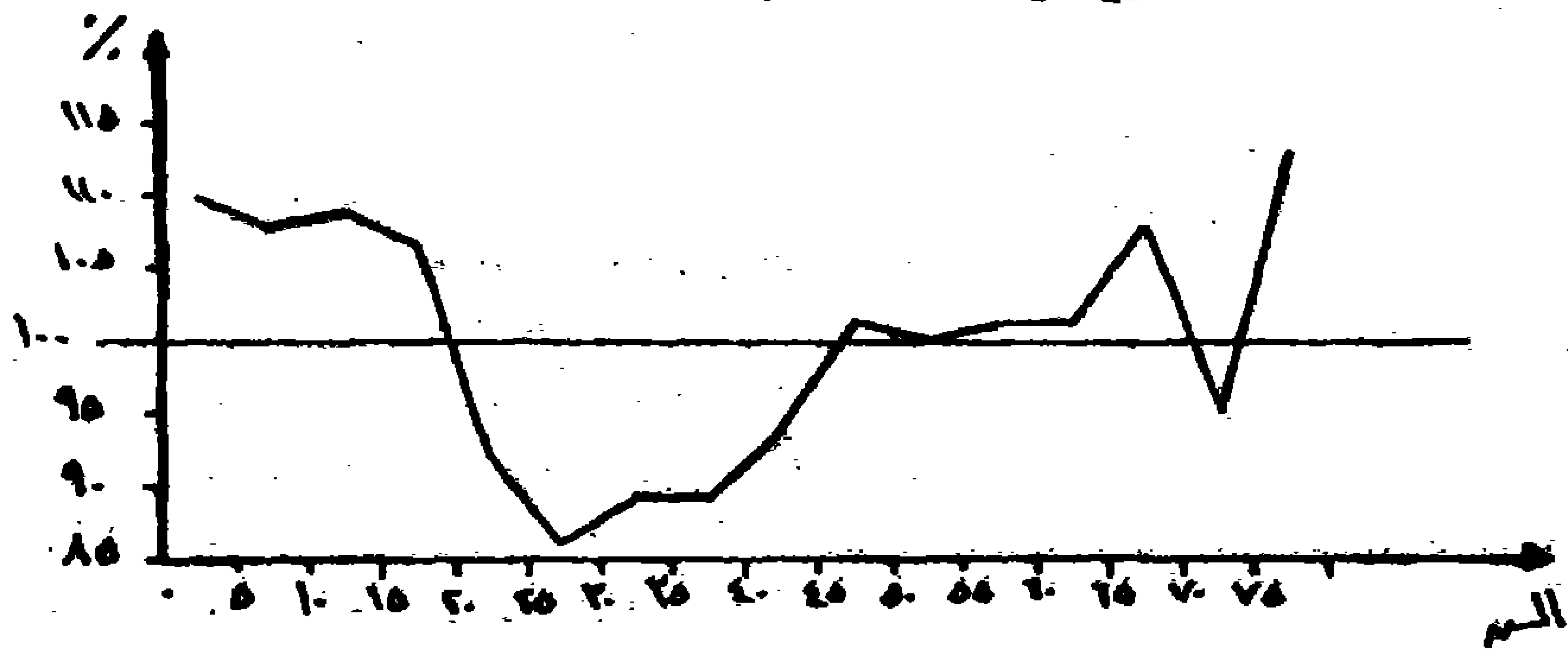

نلاحظ ان الولادات قد خفت ٠ وهذا نتيجة الحرب والتهجير ٠ كما ان القوى العاملة بين ٢٠ و ٥٠ سنة قليلة نسبيا ٠ وهذا يعود الى عامل الهجرة للعمل في الخارج ٠ ويشير الرسم البياني ٥ (ب) و ٥ (ج) الى ضعف نسبة الذكورة بين ٢٠ و ٥٠ سنة ٠ ضعفا يصل اقصاه بين ٣٠ ــ ٣٤ سنة في الضفة الغربية ٦٧،٧٪ وبين ٢٥ و ٣٠ سنة في غزة ٥٣،٥٪ ٠ والملاحظ ان نسبة الذكور هي افضل نسبيا في الضفة الغربية ، نتيجة كونها مجتمعا زراعيا بشكل اساسي ٠

د ــ يشير الرسم البياني رقم ٤ (أ)٠ الفلسطينيون في فلسطين المحتلة ، الى كبر قاعدة الهرم ٠ اي انه مجتمع عادي وهناك ضعف نسبي للقوى العاملة بين ٢٠ و ٦٠ سنة ٠ هناك انخفاض في نسبة الذكورة كما بين الرسم البياني رقم ٥ (أ) ٠ وربما يعود هذا الى تهجير نسبي ٠

هـ ــ يشير هرم اعمار الفلسطينيين في سوريا ٠ رسم بياني رقم ٤ (هـ) ٠ ان هرم السكان هو اكثرها عادية ٠ اي هرم عريض في قاعدته ٠

و ــ النقطة الاساسية ان هرم اعمار الفلسطينيين في لبنان هو نتيجة تعداد بالعينة وليس نتيجة تعداد عام ٠ وانه محصور فقط في المخيمات ٠ لذلك لا يقدم مؤشرا حقيقيا على اوضاع الفلسطينيين في لبنان ٠ لكنه يشير الى وضع الفلسطينيين في المخيمات حيث نلاحظ تكاثرا كبيرا في لمن هم اقل من ٢٠ سنة اكثر من ٦٤٪ ٠ وربما كان انخفاض نسبة الذكور بين ٢٠ و ٤٠ سنة ، عائدا الى مغادرة الشباب المخيم للعمل ٠

ز ــ تقدم الكويت مؤشرات مكملة ٠ لا قيمة لها بحد ذاتها ٠ فالمجتمع الفلسطيني في الكويت هو مجتمع هجرة لاحقة للعمل ٠ الطريف اننا حين ننظر الرسمان البيانيان رقم ٤ (و) و ٥ (و) نعتقد ان النقص في القوى العاملة في بقية البلدان سوف نجدها هنا ٠ اذ نرى ، ان هرم الاعمار ليس هرما ، ينتفخ في وسطه لمصلحة الذين يتراوح عمرهم بين ٢٠ و ٤٥ سنة ٠ وان الذكورة مرتفعة حتى

رسم بياني رقم ٤ (ب)

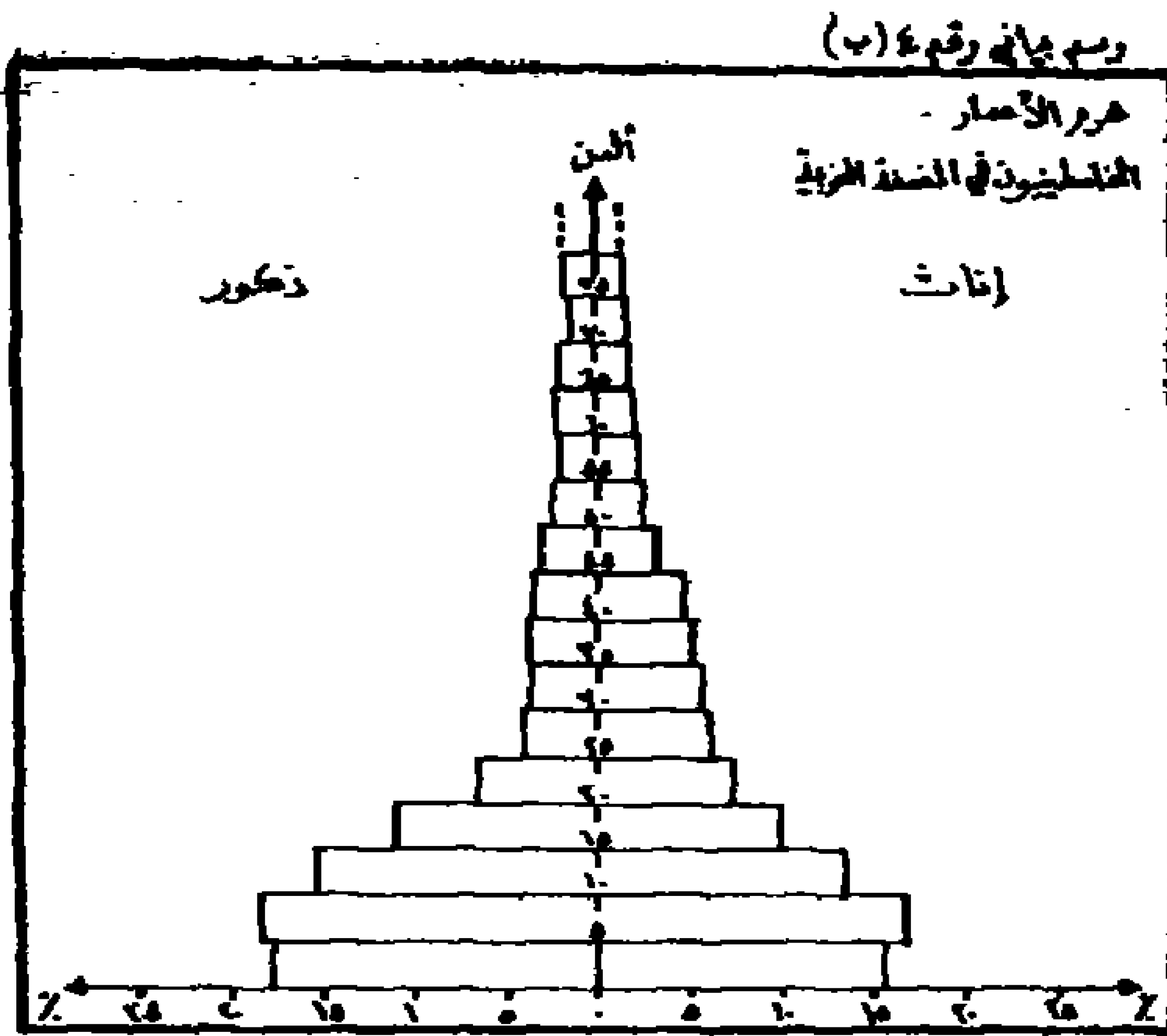

رسم بياني رقم ٥ (ب)

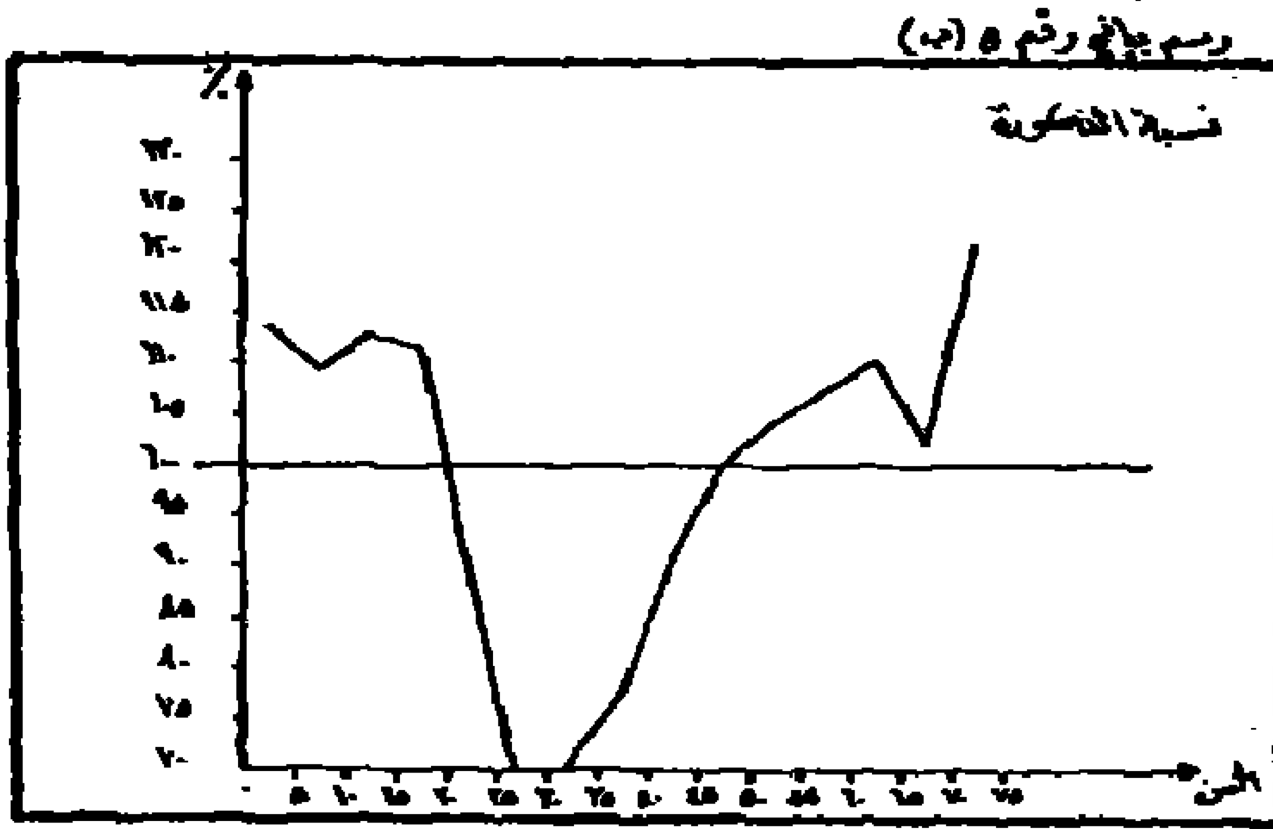

رسم بياني رقم ٤ (ج)

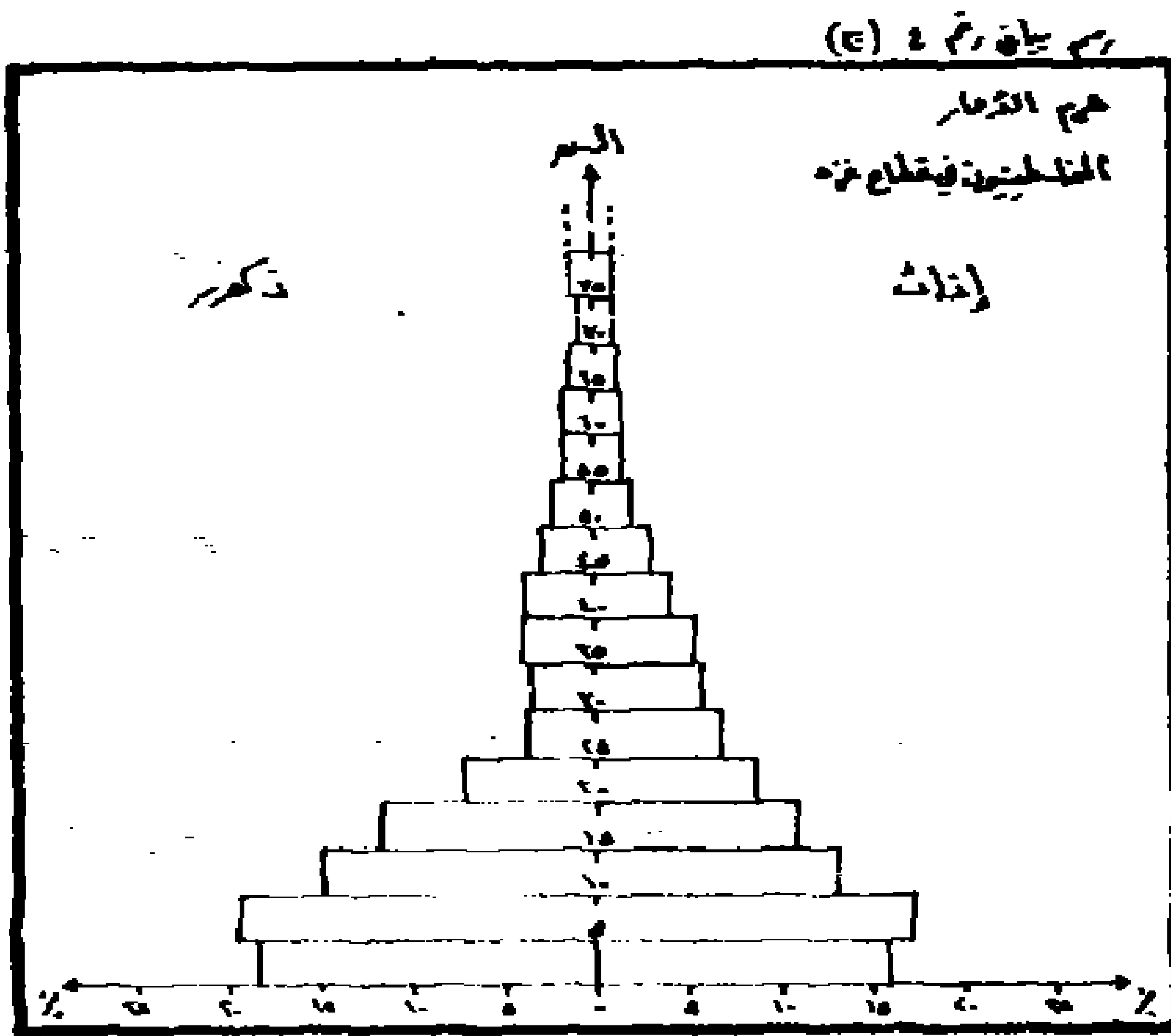

رسم بياني رقم ٥ (ج)

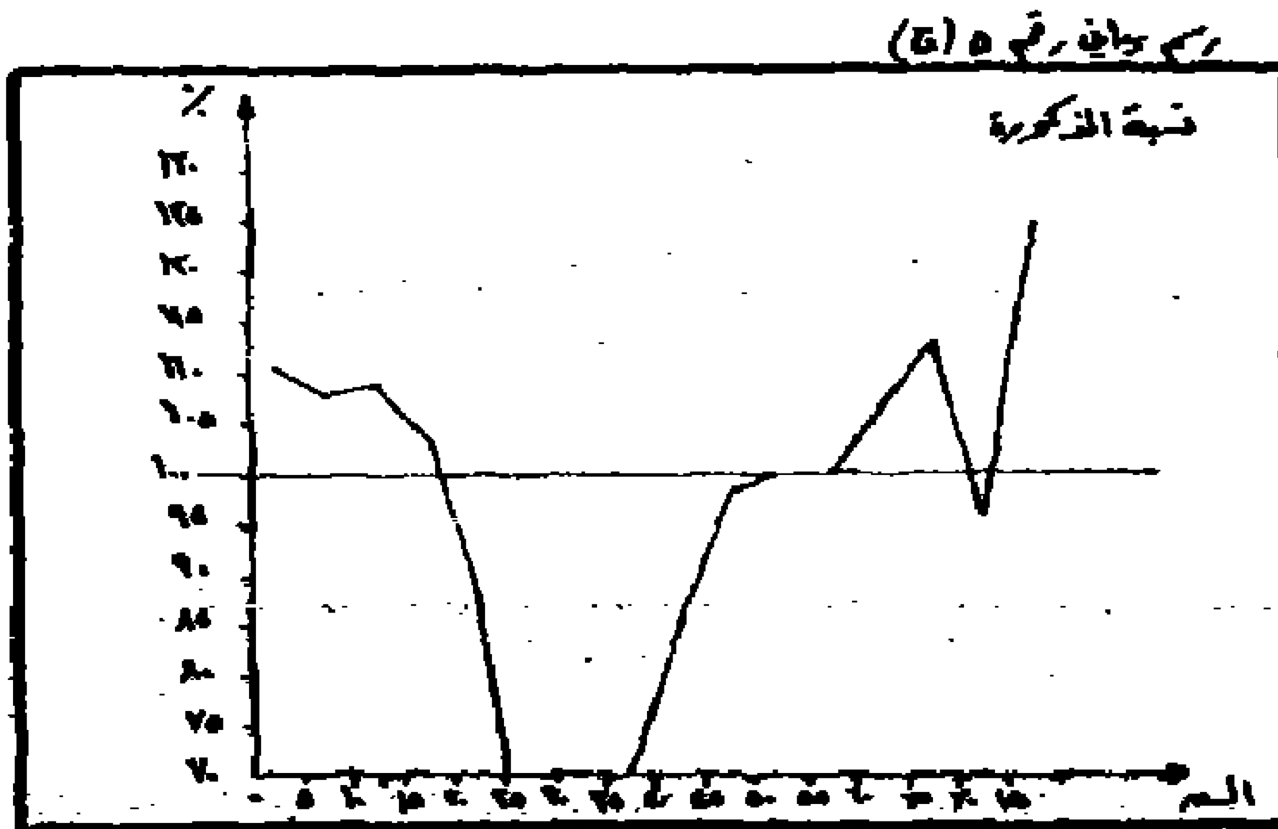

رسم بياني رقم ٤ (أ)

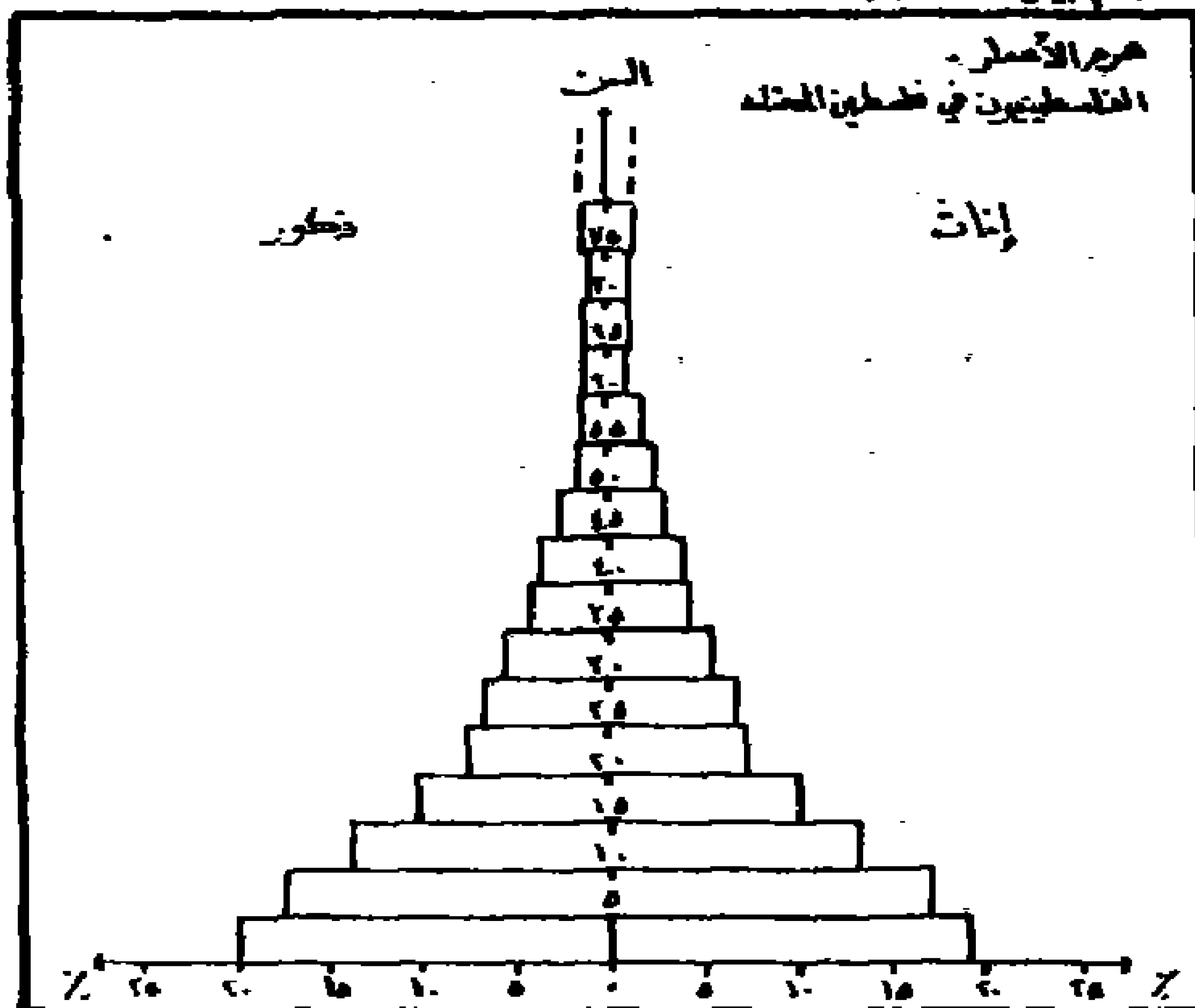

رسم بياني رقم ٤ (د)

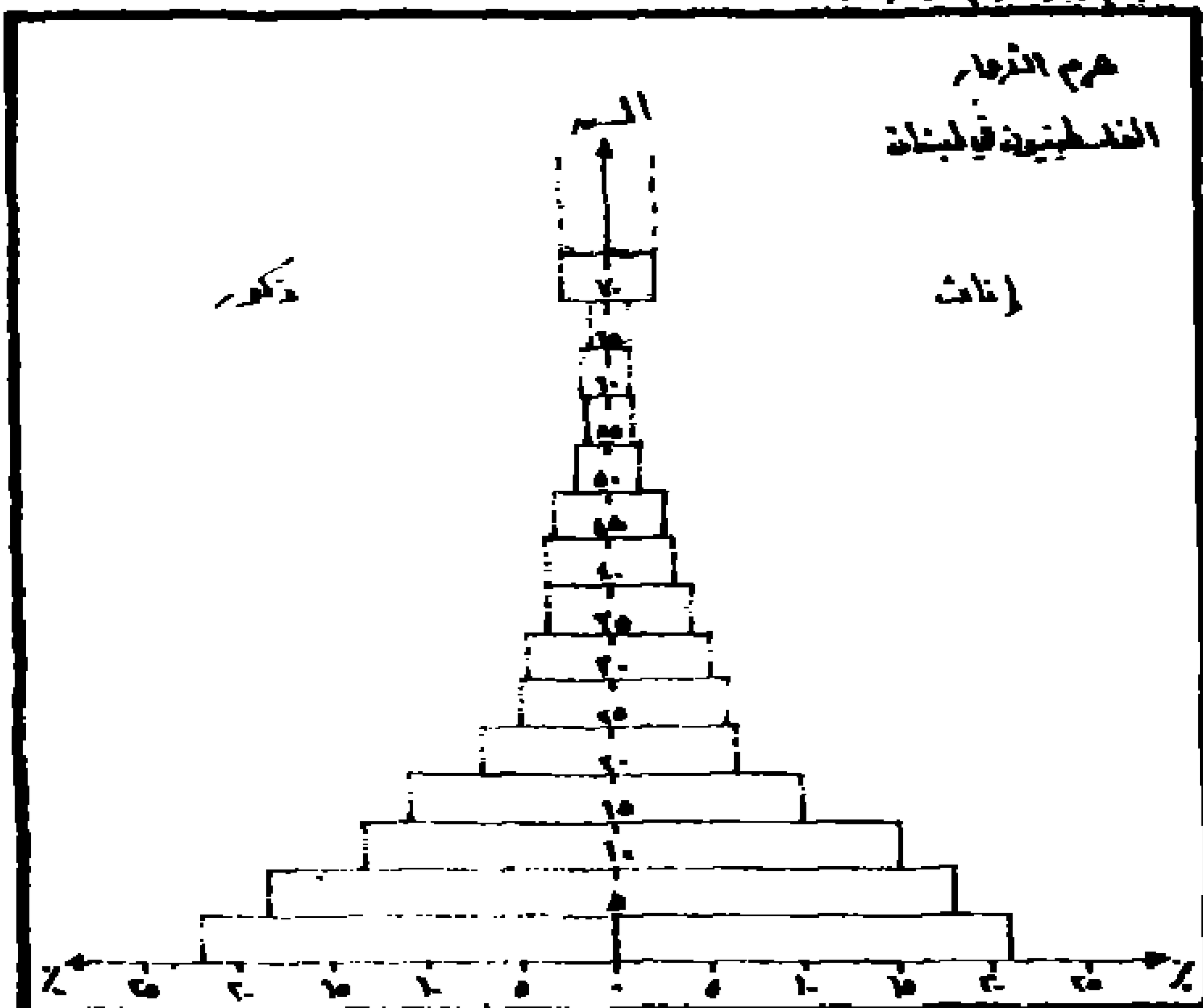

رسم بياني رقم ٥ (أ)

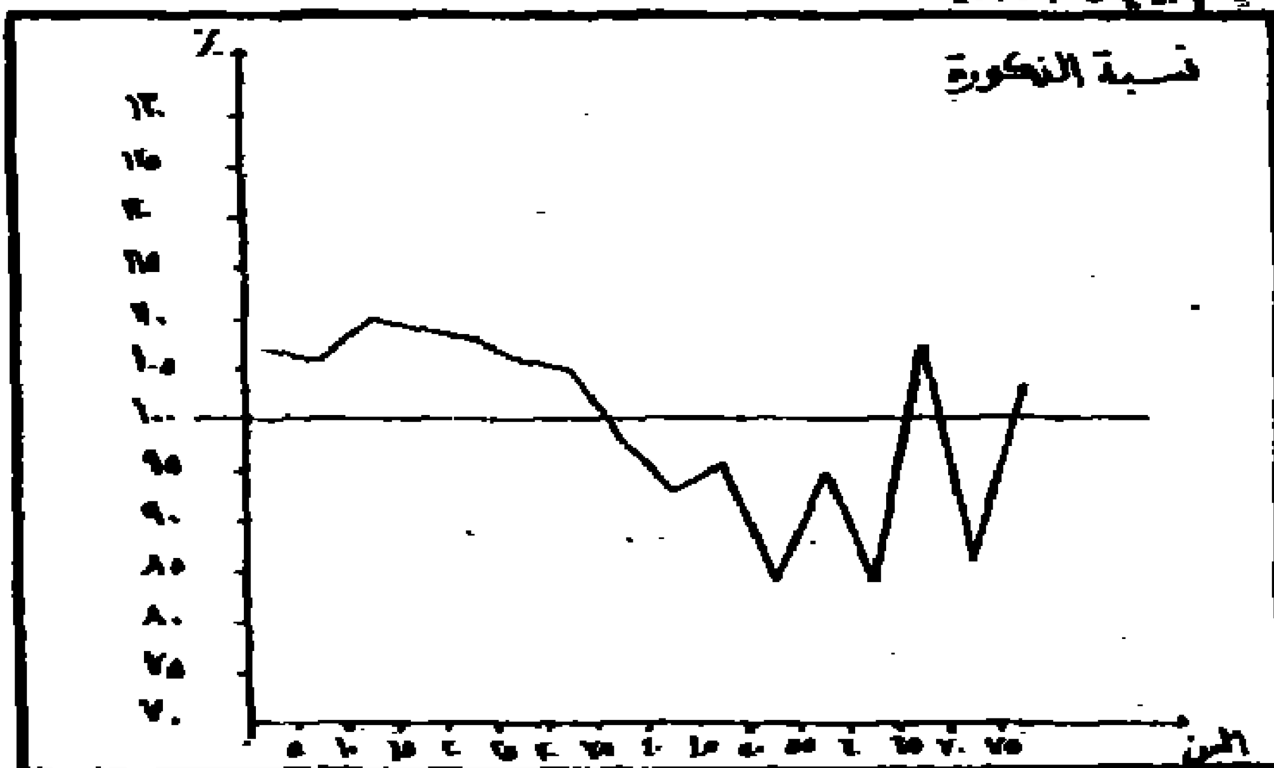

رسم بياني رقم ٥ (د)

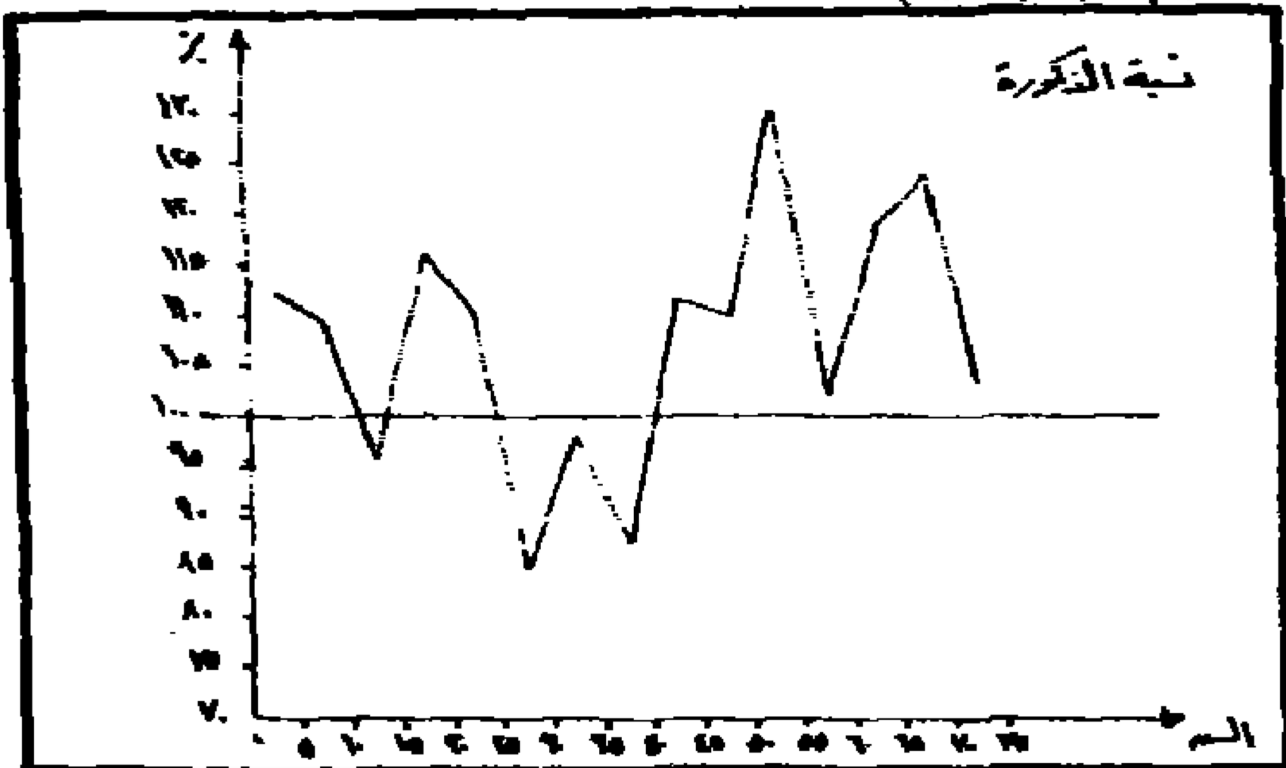

رسم بياني رقم ٤ (هـ)

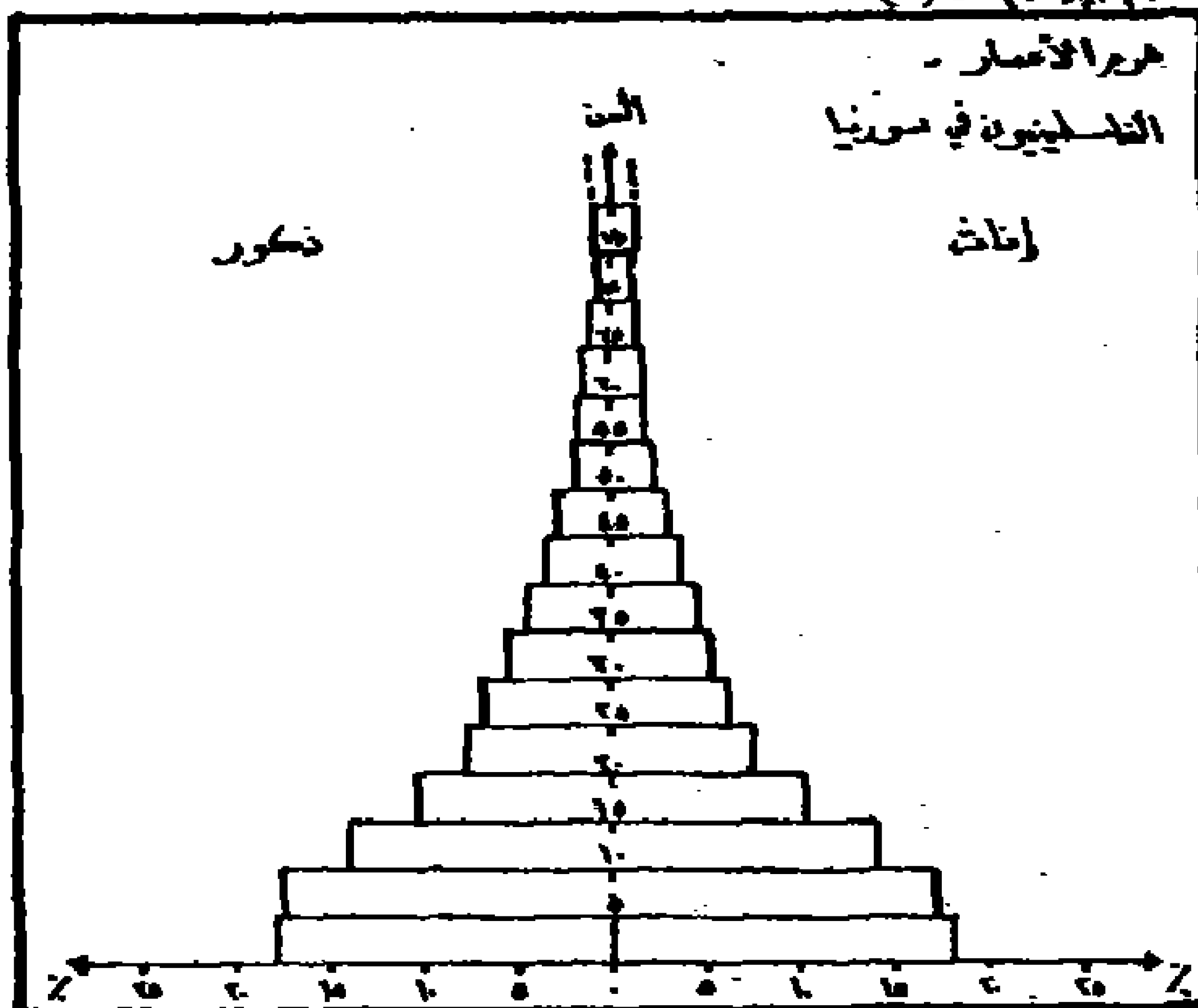

رسم بياني رقم ٤ (و)

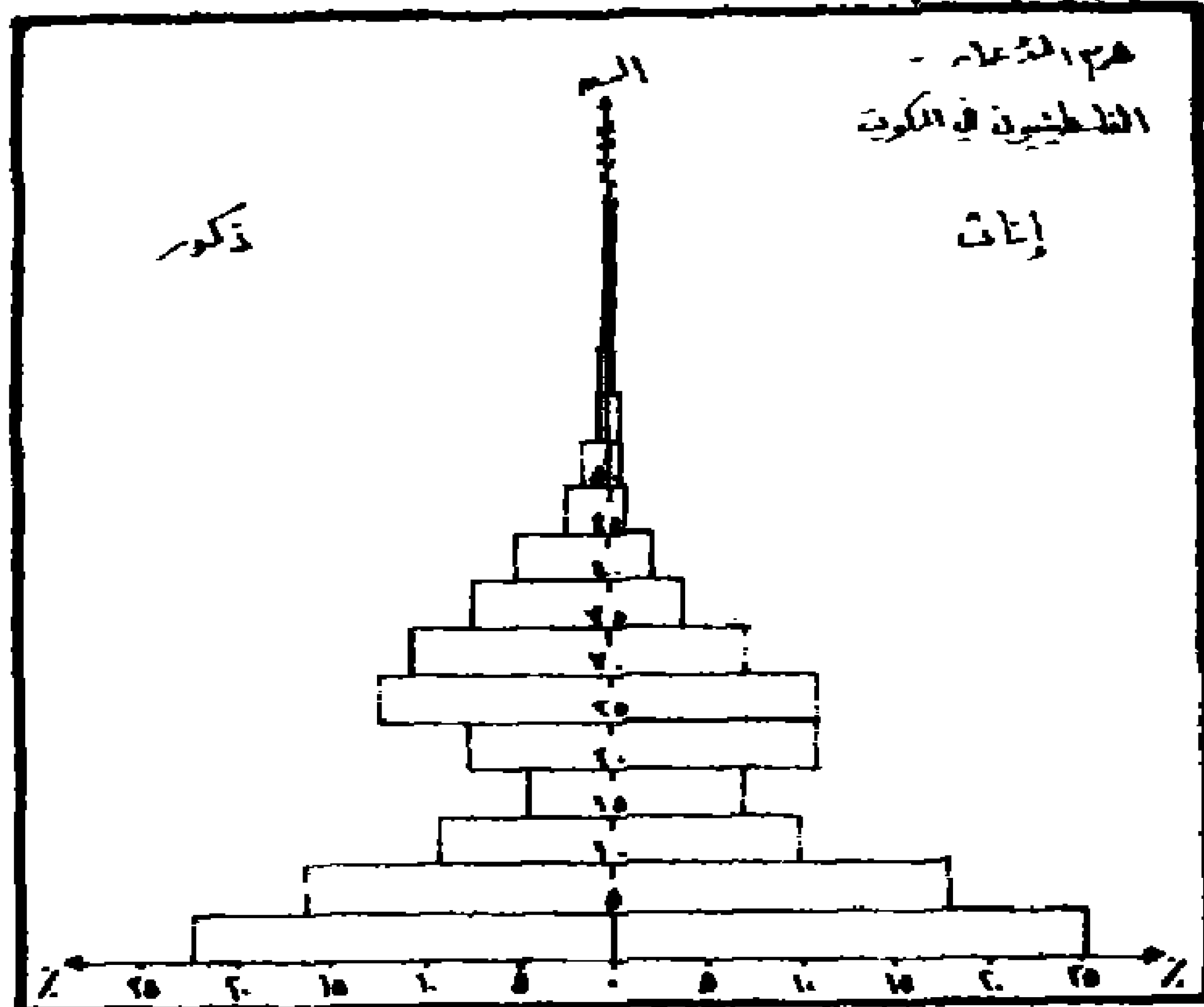

رسم بياني رقم ٥ (هـ)

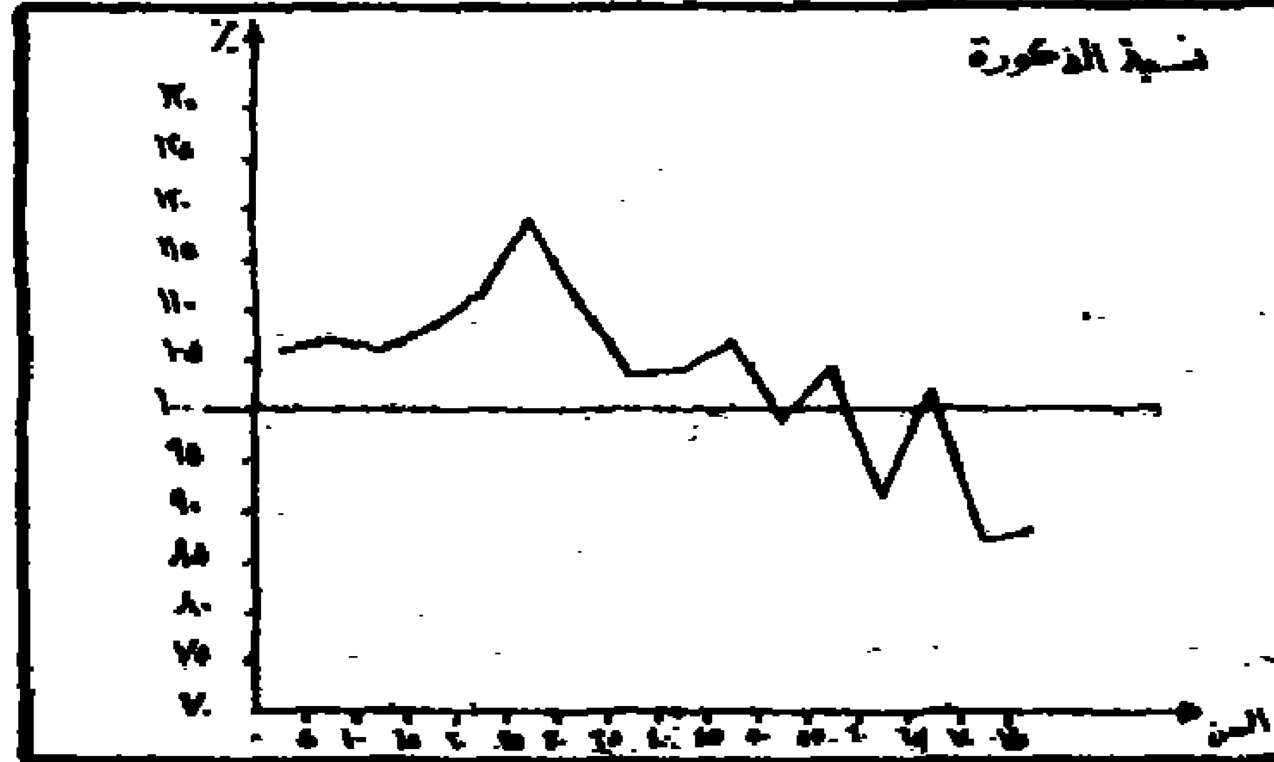

رسم بياني رقم ٥ (و)

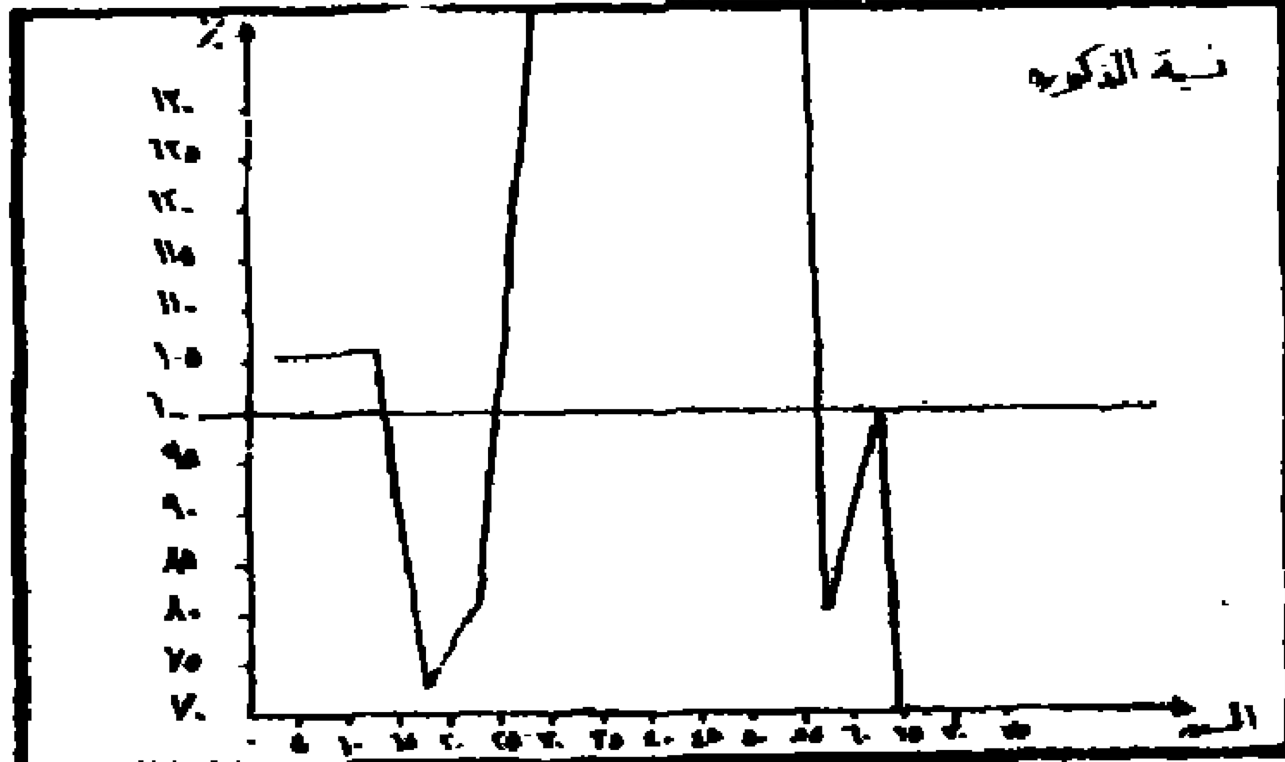

تصل الى نسبة٢١٧٪ في من تتراوح اعمارهم بين ٤٥ـ٥٠ سنة ٠ لكن هذا الانطباع خاطىء كما بين الرسمان البيانيان رقم ٤ و ٥ هرم الاعمار العام ٠ حيث لا يشكل الفلسطينيون في الكويت الا نسبة غير كافية لتعديل نسب الاعمار والذكور بشكل عام ٠

ان الوضع الديمغرافي غير الطبيعي الذي نستخدمه هنا ، يدل على مؤشرة اساسية ٠

فهنـاك نقص في المعلومات الاحصائية ٠ لوجود بـلاد غير مدرجة في هذه الجداول ، تستطيع تعديل هذا التصـــور العام ٠ لكن الخصيصة الديمغرافية الذي نخرج بها ، هي ان الشعب الفلسطيني يشترك في السمـات العامـة للخصائص الديمغرافيـة للشعوب التابعة ٠ مع خصوصيـــة التشتت الذي يعاني ٠

٤ ـ نقدم الاحصاءات الحيوية ، الزواج والطلاق والوفيات ٠ على رغم النقص الهائل في المعلومات بشأنها مؤشرات خطرة ٠(هناك تفاوت في السنوات لسنا بمسؤولين عنه ، بل تسأل عند الاحصاءات التي نستخدمها)٠

يشير الجدول رقم ـ ٨ ـ الى معدل كبير في الزيادة الطبيعية لعرب فلسطين المحتلة ٣٩ ٠٠/٠ وهـــي اكبر نسبـــة زيادة بين الفلسطينيين ، ولهـذا دلالات اجتماعيـــة وسياسيـــة ، اكثرها بداهة هو كـــون الاخصـــاب جـــزءا اساسيـــا مـــن مقاومة سلبية٠ واذا قورن هذا الرقم بالزيادة في اسرائيل ١٩،٨ ٠٠/٠ بما فيها العرب ، نكتشف الفرق الهائل٠ كما يشير الى ضخامة وفيات الاطفال ، حيث اكبر نسبة في فلسطين المحتلـــة ٤١،٨ ٠٠/٠ ثم تليهـــا سوريا ٣١،٦ ٠٠/٠ ٠ وهذا يعـــود الى ضعف العناية الصحية ٠

القوى العاملة

سوف نحاول ، في هذا القسم من دراستنا، اعطاء صورة عامـــة ، عن اوضاع القوى العاملة الفلسطينية ٠

لكننا لا بد وان نلاحظ قبل الشروع فـي هذا القسم ثلاثة امور هامة :

جدول رقم ٨
معدل الزواج والطلاق والمواليد والوفيات والزيادة الطبيعية للفلسطينيين في المناطق والبلدان الاساسية المدروسة (بالآلاف)

بلدان ومناطق الاقامة	معدل الزواج	معدل الطلاق	معدل المواليد	معدل الوفيات: الخام	وفيات الاطفال	معدل الزيادة الطبيعية
فلسطين المحتلة ١٩٧٠	٧ر٢	٠ر٥	٤٥ر٦	٦ر٦	٤١ر٨	٣٩
الضفة الغربية	...	...	...	...	...	...
غـزة ١٩٦٤	٧ر٢	١ر٥	٤٦ر٧	٩ر٩	...	٣٦ر٧
سورية ١٩٦٩	٦ر٧	٠ر٧	٣٣ر٥	٥ر١	٣١ر٦ (١٩٦٢)	٢٨ر٥
اسرائيل* ١٩٧٠	٩ر١	٠ر٨	٢٦ر٨	٧ر٠	٢٢ر٩	١٩ر٨

* Annual Report. United Nations 1971

أ ـ ان المجتمع الفلسطيني ، ليس مجتمعا موحدا ٠ وهو في مناطقه المتباعدة ، مجتمع لاجئين ، او ان نسبة اللاجئين فيه مرتفعة جدا ٠ كنتيجة لفصل الانسان عن مصادر انتاجه ٠ من هنا كان هذا التفتت العامل الاساسي في تخريب بنيتـه الاجتماعية ٠ وستظهر آثار هـذا التخريب في سيـاق بحثنا ٠

ب ـ يؤدي هذا الواقع الى كـون العمل الاقتصادي الفلسطيني ملحقا باقتصاديات اخرى ٠ لا يملك الحد الادنى من الاستقلالية٠ فهو بهذا المعنى لا يضع اهدافا لنفسه ، بـل يساهم في اهداف اقتصادية موضوعة لبنيات اجتماعية اخرى ٠

ج ـ وهو كمجموعـة اجتماعيـة تخضـع للقوانين الديمغرافيـة للمجتمعات التابعة : تتمتع بفتـوة كبرى في سكانها ، وبنسبـة منخفضة جدا لعمل المرأة ٠

١ ـ معدل النشاط

يقدم الجدول رقم ٩ ، عرضا عاما لاوضاع القوى العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة ولبنان وسورية والكويت لعام ١٩٧٠ ولفلسطين المحتلة ١٩٦١ ٠ ولا نخرج من هذا الجـدول الا بمعلومات مطلقة (لها معنى تأشيري) بمعنى انها تؤشر لهذه المعلومات المطلقة ٠ لنعود في الجدول رقم ١٠ لنكتشف خصائص القوى العاملة الفلسطينية :

أ ـ نكتشف اولا ان نسبـة العمل ، اي نسبة المشتغلين على مجموع السكان هـي نسبة منخفضة جدا ٠ نسبتها العامة ١٨،٩٪ اي ان فردا واحدا ، هو مسؤول عن معيشة ٥،٥ افراد ٠ تفصيليا ترتفع نسبة العمل في الكويت لتصبح ٢٧،٩٪ اي ان فردا واحدا، هو مسؤول عن معيشـة ٣،٥ افراد ٠ وهذه نسبة مرتفعة ايضا ، باعتبار ان الكويت هي مجتمع العمل الوحيد الاساسي للفلسطينيين المدروسين هنا ٠ تنخفض هذه النسبة بشكل مخيف في قطاع غزة اذ تصبح ١٥،٧٪ ٠ اي ان الفرد الواحد مسـؤول عن معيشة ٦،٤ افراد ٠ يمكـن تفسير هذه الظاهرة بعدة أمور اهمها اثنان : البطالة والبطالة المقنعة التي سيجري تفصيلها ٠ وضخامة العائلة اي ضخامة نسبة الافراد الذين خارج القـوة البشريـة ٠

ب ـ تغيير نسبة القوى العاملة اي نسبة الذين يعملون والباحثين عن عمل الى مجموع السكان هي ١٩،٨٪ ٠ وهي نسبة منخفضـة جدا يفسرها ، انكباب الفلسطينيين عـلى التعليم ، بوصفـه مجالا تثميريا مستقبليا ، وبطالة المرأة بشكل شبه شامل ٠

ج ـ اذا درسنا نسبة القوى العامـلة الى مجموع القوى البشرية ، اي نسبة الذيـن يعملون او يبحثون عن عمـل الى القوى البشرية اي الذين تجاوزوا الرابعـة عشر ، نقوم بهذا لنصل الى مؤشرات اكثـر دقة ، تأخذ بعين الاعتبار النسبـة الكبيرة للذين دون الرابعة عشر بين الفلسطينيين، لاكتشفنا ان النسبة هي ٣٩،٢٪ اي ان اكثر من ٦٠٪ من افراد المجتمع القادرين على العمـل لا يعملون ٠ وهذه نسبة كبيرة ، تنخفض فـي الكويت لتصبح ٤٣،١٪ من القادرين عـلى العمل لا يعملون ٠ وترتفع في غزة لتصبـح ٦٦،٧٪ لا يعملون ٠

د ـ نقوم بنفس العملية لدراسـة نسبة العمل الى مجموع القوى البشرية ٠ لنفـس الاسباب ، مع حذف العاطلين عـن العمل لاكتشفنا فعاليات اجتماعية كبيرة مجمدة ٠

هـ ـ تقدم نسبة البطالة،اي نسبة العاطلين على القوى العاملة ، مؤشرات هامة معدلها العام ٤،٨٪ من مجموع القوى العاملة ٠ اي ان ٥٪ من الذين يريدون العمـل لا يجدون عملا ٠ وترتفع هذه النسبة الى اقصاها في فلسطين المحتلة (١٩٦١) الى ١٠،٥٪ ٠

تعود نسبة البطالة اساسا ، الى نسبة العمالة في كل بلد او منطقة ٠ ويجب ان لا تخدعنا الارقام ٠ فمن ضمن العاطلين عـن العمل هناك العمال الموسميين الذين يشكلون جزءا هاما منهم ٠ لانهم في غالبيتهم عمالا زراعيين وعمال بناء ٠٠٠

٢ ـ قطاع النشاط

تقدم احصاءات توزيـع المشتغلين بحسب

جدول رقم ٩
توزيع الفلسطينيين بحسب دورهم داخل القوى العاملة (بالآلاف) ـ ١٩٧٠

المعطيات	الضفة الغربية	غـــزة	لبنان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والمناطق الخمسة	فلسطين المحتلة ١٩٦١
المشتغلون	١١٤ر٦	٥٨ر٧	١٩ر٠	٣٠ر٥	٤١ر٢	٢٦٤ر٠	٥٣ر٥
العاطلون عن العمل	٣ر٨	٣ر٧	١ر٦	٢ر٠	٠ر٥	١١ر٦	٦ر٣
مجموع القوى العاملة	١١٨ر٤	٦٢ر٤	٢٠ر٦	٣٢ر٥	٤١ر٧	٢٧٥ر٦	٥٩ر٨
مجموع القوى البشرية (اكثر من ١٤ سنة)	٣١٣ر٩	١٨٧ر٥	٤٩ر٢	٧٨ر٨	٧٣ر٣	٧٠٢ر٧	١٣٢ر٠٠*
المجموع العام للمقيمين في كل بلد ومنطقة	٦١٠ر٣	٣٧٢ر٦	١٠٦ر٢	١٥٥ر٧	١٤٧ر٧	١٣٩٢ر٥	٢٤٧ر١

* استخرج هذا الرقم من الجدول رقم ٣ ـ «المسلمون والمسيحيون والدروز في اسرائيل» ـ ١٩٦١

جدول رقم ١٠
خصائص بنية القوى الفلسطينية العاملة بالنسبة المئوية ٪ ـ ١٩٧٠

معدل النشاط	الضفة الغربية	غـــزة	لبنان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والمناطق الخمسة	فلسطين المحتلة ١٩٦١
١ ـ نسبة العمل	١٨ر٨	١٥ر٧	١٧ر٩	١٩ر٥	٢٧ر٩	١٨ر٩	٢١ر٦
٢ ـ نسبة القوى العاملة	١٩ر٤	١٦ر٧	١٩ر٤	٢٠ر٨	٢٨ر٢	١٩ر٨	٢٤ر٢
٣ ـ نسبة القوى العاملة الى مجموع القوى البشرية	٣٧ر٧	٣٣ر٣	٤١ر٩	٤١ر٢	٥٦ر٩	٣٩ر٢	٤٥ر٣
٤ ـ نسبة العمل الى مجموع القوى البشرية	٣٦ر٥	٣١ر٣	٣٨ر٦	٣٩ر٣	٥٦ر٢	٣٧ر٥	٤٠ر٥
٥ ـ نسبة البطالة	٣ر٢	٥ر٩	٧ر٨	٦ر١	١ر٢	٤ر٨	١٠ر٥

قطاع النشاط والتي يشير اليها الجدولان رقم ١١ و ١١ مكرر نتائج عديدة :

أ ـ نلاحظ عند التقسيم الى القطاعات الاقتصادية الثلاثة نسبة ٢٧،١٪ للزراعة ، و ٢٧،٩٪ صناعة وبناء ، و ٤١،٧٪ خدمات ٠ وقد يبدو هذا التقسيم العام نموذجيا لبلد عادي ٠ تضخم في القطاع الثالث وقاعدة زراعية واسعة ، وقطاع صناعي ، يستوعب نسبة كبيرة ٠ لكن هذه الارقام تغش ، لان لا قيمة لها مطلقا ، لان قطاعات النشاط لا تعطي دلائل الا فيكل بلد او منطقة علىحدة٠ هنا نلاحظ عدم فعالية الصورة العامة ٠ وضرورة مناقشة التفاصيل ٠ لانها تشكل اجزاء من اقتصاديات بلاد مختلفة ٠

ب ـ يعطينا التوزيع النسبي للفلسطينيين في الكويت بحسب قطاع النشاط ، الصورة التالية : ـ زراعة ٢،٢٪ ، صناعة وبناء ٣٣،٥٪، خدمات ٦٣،٣٪٠ اي لا وجود مطلقا للزراعة ٠ ويتضخم قطاع الخدمات وقطاع الصناعة ٠

جـ ـ اما في سوريا ، فتكون الصورة على الوجه التالي : زراعة ٨،٥٪ ، صناعة وبناء ٤٢،٠٪ وخدمات ٤٨،٨٪ ٠ اي لا وجود للزراعة ٠

د ـ اما بالنسبة الى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ونظرا الى كون هاتين المنطقتين هما اساسا اجزاء من المجتمع الفلسطيني ، وعدد الفلسطينيين فيهما ، يشكل رقما كبيرا، لانهما بقيا مجتمعا منخرطا مع اضافة لاجئين اليهما ، يأخذ التوزيع فيهما شكلا تشبه المثلث : ١/٣ لكل قطاع ، مع تضخم نسبي للخدمات في غزة٠ وملاحظة ان الفصل بين القطاع الصناعي ، والبناء والاشغال العامة ، يكون لصلحة قطاع البناء ٠

هـ ـ وكملاحظة تأشيرية فقط ، نرى ان فلسطين المحتلة١٩٦١،تعطي للزراعة ٢٨،٢٪، للصناعة والبناء ٢٨،٢٠٪ والخدمات٢٤،٣٪٠ لا معنى لها في المطلق ٠ بل يجب دراستها من داخل الحركة الاقتصادية في فلسطين المحتلة بأسرها ٠

٣ ـ الوضع في العمل

تسمح لنا دراسة الوضع في العمل ، بالاطلال على دراسة البنية الطبقية للمجتمع الفلسطيني ٠ لكن المعلومات الاحصائية المتوافرة لعام ١٩٧٠ ، لا تشمل سوى لبنان وسوريا والكويت ٠ اي مجتمعات لاجئين ، او هجرة للعمل ٠ وهي بهذا المعنى احصاءات ذات دلالة ، لانها تشير الى طبيعة مجتمع اللاجئين ٠ وسنقارنها باحصائيات الضفة الغربية لعام ١٩٦١ ، لنرى الفرق بين مجتمع اللاجئين ومجتمع يملك اكثر خصائصه الاجتماعية العادية ، رغم انه يضم عددا من اللاجئين ٠

أ ـ يشير الجدول رقم ١٢ ، الى النسبة المرتفعة جدا للذين يعملون بأجر نقدي ٠ اذ تصل الى نسبة ٨٢،٧٪ وهي مرتفعة جدا في الكويت ٨٩،٦٪ ٠ ومنخفضة نسبيا في لبنان لتصبح ٧٣،٢٪ ٠ لهذه النسب دلالة كبرى ٠ اذ لا يوجد هنا بنية اجتماعية ٠ ففي المجتمعات التابعة كما يشير سمير امين (١) تكون هذه النسبة من ١ ـ ٣٠٪ في اقصى حد ٠ حيث تكثر الحرف والزراعات الصغيرة ٠ بينما ترتفع هذه النسبة الى ٦٠ ـ ٩٠٪ في البلدان المركزية ٠ واذا حذفنا نسبة العاملين الموسميين تبقى النسبة مرتفعة ٠

بينما نجد ان الضفة الغربية تقدم مؤشرا مختلفا ٥٨،٣٪ يعملون بأجر نقدي بما فيهم الموسميين ٠ وهي نسبة اكثر مطابقة لاوضاع اجتماعية عادية ، رغم انها تبقى غير مطابقة ٠

ب ـ نلاحظ ، ان نسبة العاملين لحسابهم واصحاب الاعمال هي نسبة منخفضة جدا ٠ تصل الى اقصى انخفاضها في الكويت ١٠،٣٪ وترتفع في الضفة الغربية لتصبح ٣٤،٥٪ ٠

---

(١) Samir Amin: *Le Developpement Inegal,* Edition de Minuit, Paris 1973, p. 191.

جدول رقم ١١

توزيع الفلسطينيين الذين يمارسون عملا بحسب قطاع النشاط وبلد او منطقة الاقامة – ١٩٧٠ (بالآلاف)

قطاع النشاط	الضفة الغربية	غــزة	لبنـان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والمنطق الخمسة	فلسطين المحتلة ١٩٦١
١ – الزراعة ، الغابات ، الصيد	٤٥ر٠	١٩ر٢	٤ر٠	٢ر٦	٠ر٨	٧١ر٦	٢٠ر٥
٢ – الصناعة ، الحرف والمناجم	١٦ر٣	٦ر٩	٢ر٢	٦ر٩	٩ر٤	٤١ر٧	٨ر٠
٣ – البناء والاشغال العامة	١٦ر٩	٧ر٣	٢ر٦	٥ر٨	٤ر٥	٣٧ر١	٧ر٠
٤ – التجارة والفنادق	١٢ر٨	٩ر٥	٢ر٧	٣ر٧	٦ر٢	٣٤ر٩	٣ر٣
٥ – المواصلات والنقل والتخزين	٤ر٧	٣ر٥	٠ر٥	١ر٨	٢ر٧	١٣ر٢	٢ر٠
٦ – خدمات وغيرها	١٤ر٥	٩ر٠	٤ر٠	٨ر٩	١٤ر٧	٥١ر١	٧ر٣
٧ – كهرباء ، مياه وخدمات صحية	٤ر٤	٣ر٣	–	٠ر٥	٢ر٧	١٠ر٩	٠ر٤
٨ – غير مبين	–	–	٣ر٠	٠ر٢	٠ر٣	٣ر٥	٥ر٠
المجموع	١١٤ر٦	٥٨ر٧	١٩ر٠	٣٠ر٥	٤١ر٣	٢٦٤ر٠	٥٣ر٥

جدول رقم ١١ مكرر

التوزيع بالنسبة المئوية ٪

قطاع النشاط	الضفة الغربية	غــزة	لبنان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والمناطق الخمسة	فلسطين المحتلة ١٩٦١
١ – الزراعة ، الغابات والصيد	٣٩ر٣	٣٢ر٧	٢١ر٠	٨ر٥	٢ر٢	٢٧ر١	٣٨ر٢
٢ – الصناعة ، الحرف ، المناجم	١٤ر٢	١١ر٨	١١ر٦	٢٢ر٨	٢٢ر٧	١٥ر٨	١٥ر١
٣ – البناء والاشغال العامة	١٤ر٧	١٢ر٤	١٣ر٧	١٩ر٢	١٠ر٨	١٤ر١	١٣ر١
٤ – التجارة والفنادق	١١ر٢	١٦ر٢	١٤ر٢	١٢ر٠	١٥ر١	١٣ر٢	٦ر١
٥ – المواصلات والنقل والتخزين	٤ر١	٦ر٠	٢ر٦	٥ر٩	٦ر٥	٥ر٠	٣ر٨
٦ – خدمات غيرها	١٢ر٧	١٥ر٣	٢١ر٠	٢٩ر١	٣٥ر٦	١٩ر٤	١٣ر٧
٧ – كهرباء ، مياه وخدمات صحية	٣ر٨	٥ر٦	–	١ر٨	٦ر٤	٤ر١	٠ر٧
٨ – غير مبين	–	–	١٥ر٨	٠ر٦	٠ر٦	١ر٣	٩ر٣
المجموع	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

توزيع الفلسطينيين المشتغلين حسب قطاع النشاط ١٩٧٠

مجموع المناطق المدروسة

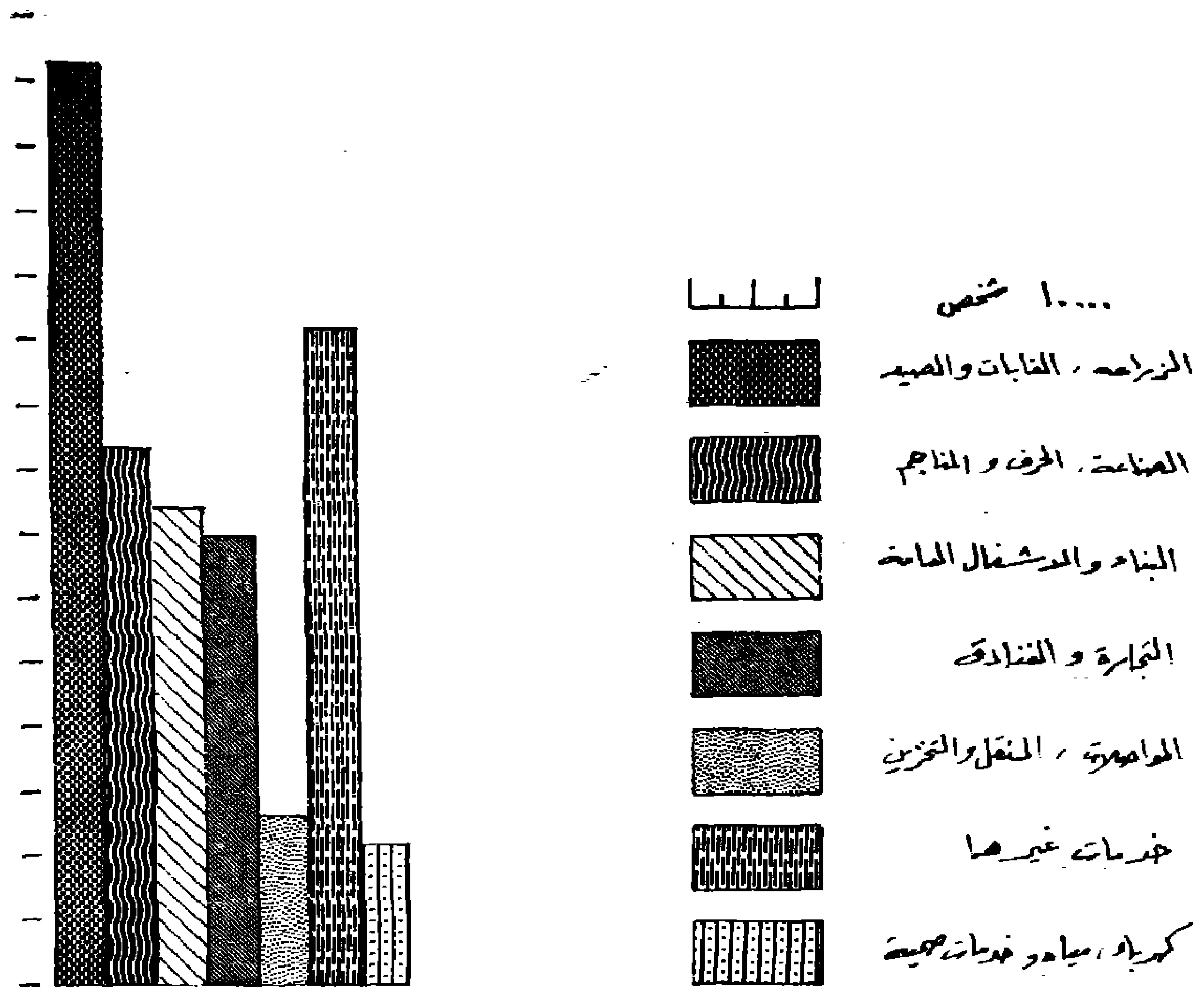

قطاع غزة

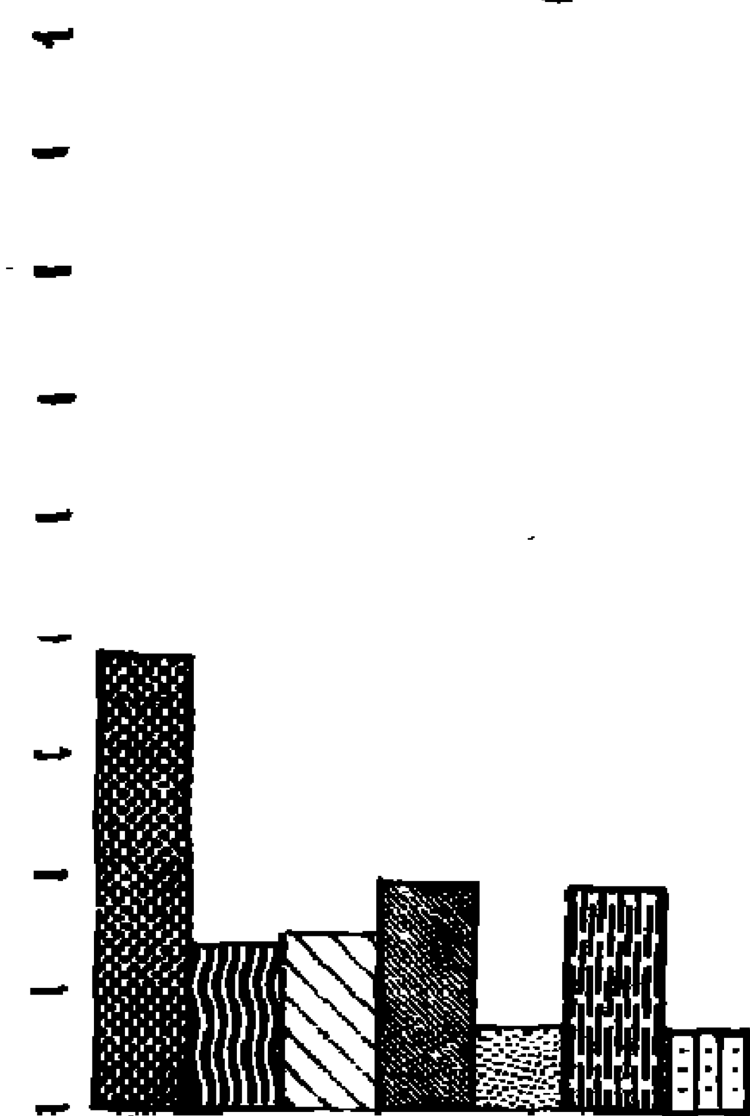

الضفة الغربية

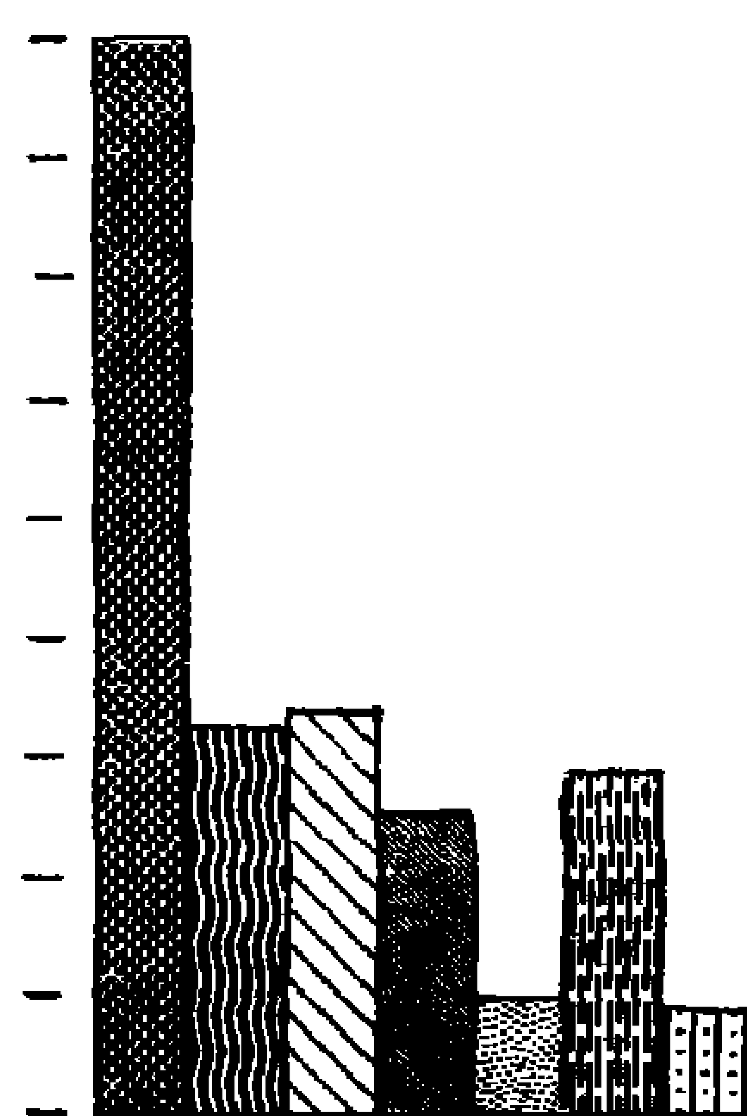

لبنان

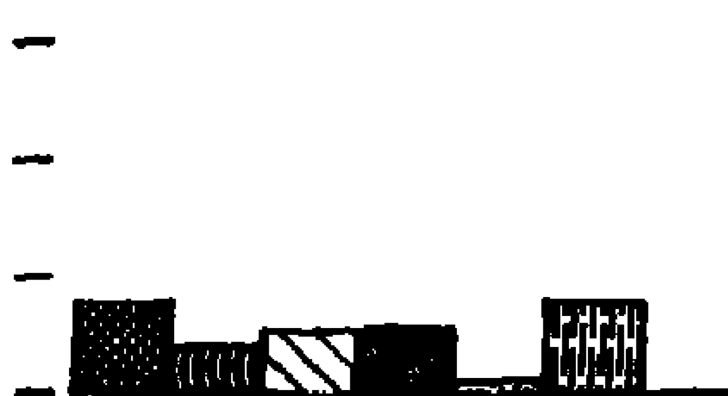

سوريا

الكويت

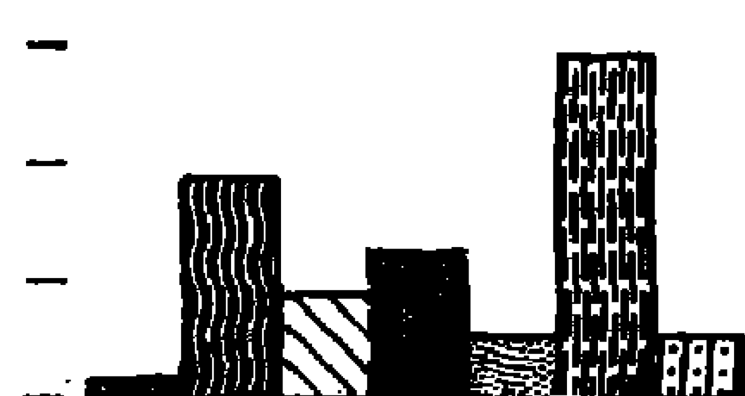

جدول رقم ١٢
توزيع الفلسطينيين المشتغلين في لبنـــان ، سورية ، الكويت سنة ١٩٧٠
حسب وضعهم في العمل ونسبة النساء (بالآلاف)

الوضع في العمل	لبنان		سورية			الكويت			البلدان الثلاثة		الضفة الغربية ١٩٦١		
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	نسبة النساء	العدد	النسبة %	نسبة النساء	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	نسبة النساء
يعملون لحسابهم	٣ر٣	١٧ر٤	٥ر٠	١٦ر٤	٣ر٨	٣ر٥	٨ر٤	٠ر٥	١١ر٨	١٣ر٠	٤٩ر٣	٣٠ر٧	٥ر٠
يعملون باجر نقدي	٠ر٢	١ر٠	٠ر٧	٢ر٣	٠ر٧	٠ر٨	١ر٩	٠ر٩	١ر٧	١ر٩	٦ر١	٣ر٨	٢ر٩
اصحاب اعمال	١٣ر٩	٧٣ر٢	٢٤ر٢	٧٩ر٣	٩ر٠	٣٧ر٠	٨٩ر٦	٩ر٠	٧٥ر١	٨٢ر٧	٩٣ر٥	٥٨ر٣	٧ر٧
غيرهم	١ر٦	٨ر٤	٠ر٦	٢ر٠	١٦ر٠	٠ر٠	٠ر١	٧ر٧	٢ر٢	٢ر٤	١١ر٥	٧ر٢	٣٣ر٢
المجموع	١٩ر٠	١٠٠ر٠	٣٠ر٥	١٠٠ر٠	٨ر١	٤١ر٣	١٠٠ر٠	٨ر١	٩٠ر٨	١٠٠ر٠	١٦٠ر٤	١٠٠ر٠	٨ر٥

٤ ـ المهن

ان تقسيم السكان بحسب مهنهم ، يتبع تصنيفا عاما ، اعتمده مكتب العمل الدولي · وهذا التصنيف بتركيزه على تقسيم شرائحي حاد للمهن،يتجاهل وضع الاختلاط الشرائحي وعدم التخصص في البلدان التابعة · لذلك يجري هنا التركيز على الشرائح وعلى الوضع الاجتماعي (Statut social) وتضيع الطبقات ·

لذلك لا توجد مؤشرات حقيقية وراء هذه الارقام · هناك فقط اتجاهات يمكن التعامل معها بوصفها اتجاهات غير دقيقة ·

يشير الجدولان رقم ١٣ و ١٣ مكرر الى توزيع المشتغلين بحسب المهن ويبين الرسم البياني رقم ٧ هذا التوزيع كما يشير الى الرقم الاجمالي ·

أ ـ يشير توزيع المهن في الجدولين ١٣ و ١٣ مكرر ، الى مجموع عام لنسب العاملين في المهن كما يلي : ٣٦،٥٪ حرفيون وعاملون في المصانع وعمال بنـاء ، ٢٦،٩٪ عاملون في الزراعة ، ٢٠،٢٪ عاملون في قطاع الخدمات بينهم اكثر من النصف اي ١٠،٦٪ يعملون في التجارة · و ٩،٢٪ مهن حرة وتقنية · لا يؤشر مؤشر عام حقيقي لهذه النسب الا داخل مقارنات تفصيلية بحسب البلدان والمناطق · لكننا نشير الى ارتفاع نسبة العاملين في المهن الحرة والتقنية٩،٢٪ اذا قورنت ببلد كلبنان حيث يعمل في هذه المهنة ٩،٨٪ ويعود هذا الى ارتفاع مستوى التعليم العالي في صفوف الفلسطينيين ·

ب ـ نلاحظ ان اكبر نسبة من المشتغلين في المهن التقنية والتعليم هي في الكويت · اذ تبلغ ٢٠٪ من مجموع المهن · ومرد هذا ، الى طبيعة الهجرة الفلسطينية الى الكويت، حيث يهاجر الكثير من الدارسين دراسات عليا ، لانسداد مجالات العمل بالنسبة لهم ، كما نلاحظ عدم وجود عاملين في المهن التقنية والحرة في لبنان ، لان الاحصاء لا يشمل سوى سكان المخيمات حيث لا وجود لهذه الفئة ·

جدول رقم ١٣

توزيع الفلسطينيين المشتغلين حسب المهنة والجنس سنة ١٩٧٠ (بالآلاف)

المهنــة	الضفة الغربية			قطاع غزة			لبنان			سورية			الكويت			مجموع البلاد والمناطق المحتلة	فلسطين المحتلة ١٩٦١		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع		ذكور	اناث	المجموع
١ ـ المهن التقنية والحرة	٥٫٢	٣٫٠	٨٫٢	٢٫٧	١٫٣	٤٫٠	—	—	—	٣٫٠	٠٫٩	٣٫٩	٥٫٩	٢٫٤	٨٫٣	٢٤٫٤	١٫٩	١٫٣	٣٫٢
٢ ـ المديرون الاداريون والموظفون والكتبة	٣٫٥	٠٫٢	٣٫٧	٢٫٤	—	٢٫٤	...	...	٠٫٩	٢٫٥	٠٫٢	٢٫٧	٧٫٤	٠٫٤	٧٫٨	١٧٫٥	١٫٤	٠٫٢	١٫٦
٣ ـ عمال التجارة، وكلاء وباعة	١٠٫٤	٠٫٤	١٠٫٨	٨٫٤	٠٫٣	٨٫٧	...	...	٢٫٧	٢٫٥	٠٫٠	٢٫٥	٣٫٤	٠٫٠	٣٫٤	٢٨٫١	٢٫٥	٠٫١	٢٫٦
٤ ـ العاملون في النقل والمواصلات	٣٫٦	—	٣٫٦	٢٫٨	—	٢٫٨	...	...	*			*			**	٦٫٤	١٫٨	٠٫٠	١٫٨
٥ ـ اختصاصيون للخدمات	٥٫٦	٠٫٨	٦٫٤	٤٫٤	٠٫٢	٤٫٦	...	...	١٫٦	١٫٨	٠٫٣	٢٫١	٣٫٧	٠٫٥	٤٫٢	١٨٫٩	٢٫٣	٠٫٨	٣٫١
٦ ـ العاملون في البناء والمحاجر	١٩٫٩	٠٫١	٢٠٫٠	٧٫٦	—	٧٫٦			***			***			***	٢٧٫٦	٧٫٨	٠٫٠	٧٫٨
٧ ـ الحرفيون والعاملون في المصنع وعمال الانتاج	١٣٫٦	٣٫٦	١٧٫٢	٨٫٤	١٫٨	١٠٫٢	...	...	٨٫١	١٥٫٩	٠٫٧	١٦٫٦	١٦٫٦	٠٫٠	١٦٫٦	٦٨٫٧	٧٫٣	٠٫٤	٧٫٧
٨ ـ المزارعون وصيادو السمك وأمثالهم	٢٩٫٢	١٥٫٥	٤٤٫٧	١٧٫٩	٠٫٥	١٨٫٤	...	...	٤٫٤	٢٫٢	٠٫٤	٢٫٦	٠٫٩	—	٠٫٩	٧١٫٠	١٧٫٨	٢٫٦	٢٠٫٤
٩ ـ غير مبين	—	—	—	—	—	—	...	...	١٫٣	٠٫١	٠٫٠	٠٫١	—	—	—	١٫٤	٣٫٠	٢٫٣	٥٫٣
جميع المهن	٩١٫٠	٢٣٫٦	١١٤٫٦	٥٤٫٦	٤٫١	٥٨٫٧	...	...	١٩٫٠	٢٨٫٠	٢٫٥	٣٠٫٥	٣٧٫٩	٣٫٣	٤١٫٢	٢٦٤٫٠	٤٥٫٨	٧٫٧	٥٣٫٥

* يعتبر العاملون في النقل والمواصلات ضمن اختصاصيون الخدمات في لبنان وسورية .

** تضم الاحصاءات الكويتية العاملين في النقل والمواصلات إلى الفئة -٧- الحرفيون والعاملون في المصانع.

*** هذه الفئة مضمومة إلى الفئة - ٧ - عمال الإنتاج في كل من لبنان وسورية والكويت .

جدول رقم ١٣ مكرر

توزيع الفلسطينيين المشتغلين حسب المهنة والجنس بالنسبة المئوية ٪ ونسبة النساء في كل مهنة سنة ١٩٧٠

المهنة	الضفة الغربية				قطاع غزة				مجموع	سورية				الكويت				المناطق الخمسة *		فلسطين المحتلة ١٩٦١			
	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النساء	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النساء	لبنان	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النساء	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النساء	المجموع	نسبة النساء	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النساء
١ – المهن التقنية والحرة	٥٫٧	١٢٫٧	٧٫٢	٣٦٫٦	٥٫٠	٣١٫٧	٦٫٨	٣٢٫٥	—	١٠٫٧	٣٤٫٤	١٢٫٧	٢١٫٩	١٥٫٥	٧١٫٤	٢٠٫٠	٢٨٫٩	٩٫٢	٣١٫١	٤٫١	١٧٫٤	٦٫٠	٤١٫٨
٢ – المديرون الاداريون ، الموظفون والكتبة	٣٫٨	٠٫٨	٣٫٢	٥٫٤	٤٫٤	—	٤٫١	—	٤٫٧	٨٫٨	٦٫١	٨٫٦	٥٫٨	١٩٫٥	١٠٫٦	١٨٫٨	٤٫٦	٦٫٦	٤٫٨	٣٫٠	٢٫١	٢٫٩	١٠٫٣
٣ – عمال التجارة ، وكلاء وباعة	١١٫٤	١٫٧	٩٫٤	٣٫٧	١٥٫٤	٧٫٣	١٤٫٩	٣٫٤	١٤٫٢	٨٫٩	٠٫٧	٨٫٢	٠٫٧	٨٫٨	٠٫٨	٨٫٢	٠٫٨	١٠٫٦	٢٫٧	٥٫٥	٠٫٩	٤٫٨	٢٫٧
٤ – العاملون في النقل والمواصلات	٤٫٠	—	٣٫١	—	٥٫١	—	٤٫٨	—										٢٫٤	٠٫٠	٣٫٨	٠٫٥	٣٫٣	٢٫٢
٥ – اختصاصيون للخدمات	٦٫٢	٣٫٤	٥٫٦	١٢٫٥	٨٫١	٤٫٩	٧٫٧	٤٫٣	٨٫٣	٦٫٦	١٢٫٥	٧٫١	١٤٫٣	٩٫٨	١٥٫٩	١٠٫٣	١٢٫٥	٧٫٢	١٠٫٤	٥٫١	١٠٫٥	٥٫٩	٢٥٫٧
٦ – العاملون في البناء والمحاجر	٢١٫٩	٠٫٤	١٧٫٥	٠٫٥	١١٫٠	—	١٣٫٠	—										١٠٫٥	٠٫٠	١٧٫٠	٠٫٥	١٤٫٧	٠٫٥
٧ – الحرفيون والعاملون في المصانع وعمال الانتاج	١٤٫٩	١٥٫٢	١٥٫٠	٢٠٫٩	١٥٫٣	٤٣٫٩	١٧٫٣	١٧٫٦	٤٢٫٨	٥٦٫٧	٢٩٫٤	٥٤٫٥	٤٫٣	٤٣٫٨	١٫٣	٤٠٫٤	٠٫٣	٢٦٫٠	١٠٫١	١٥٫٩	٥٫٠	١٤٫٣	٥٫٠
٨ – المزارعون وصيادون للسمك وأمثالهم	٣٢٫١	٦٥٫٧	٣٩٫٠	٣٤٫٧	٣٢٫٧	١٢٫٢	٣١٫٤	٢٫٧	٢٢٫٩	٧٫٨	١٦٫٧	٨٫٦	١٥٫٧	٢٫٥	—	٢٫٣	—	٢٦٫٩	٢٤٫٦	٣٩٫٠	٣٣٫١	٣٨٫٢	١٢٫٥
٩ – غير مبين	—	—	—	—	—	—	—	—	٧٫٠	٠٫٤	٠٫١	٠٫٣	٢٫٥	—	—	—	—	٠٫٦	٠٫٠	٦٫٥	٣٠٫٠	٩٫٩	٤٣٫٥
جميع المهن	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	٢٠٫٦	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	٧٫٩	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	٨٫١	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	٨٫١	١٠٠٫٠	١٣٫٧	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٤٫٤

* نسبة النساء في المهن ما عدا لبنان .

رسم بياني رقم ٧

توزيع الفلسطينيين المشتغلين بحسب المهنة ومناطق الإقامة ١٩٧٠

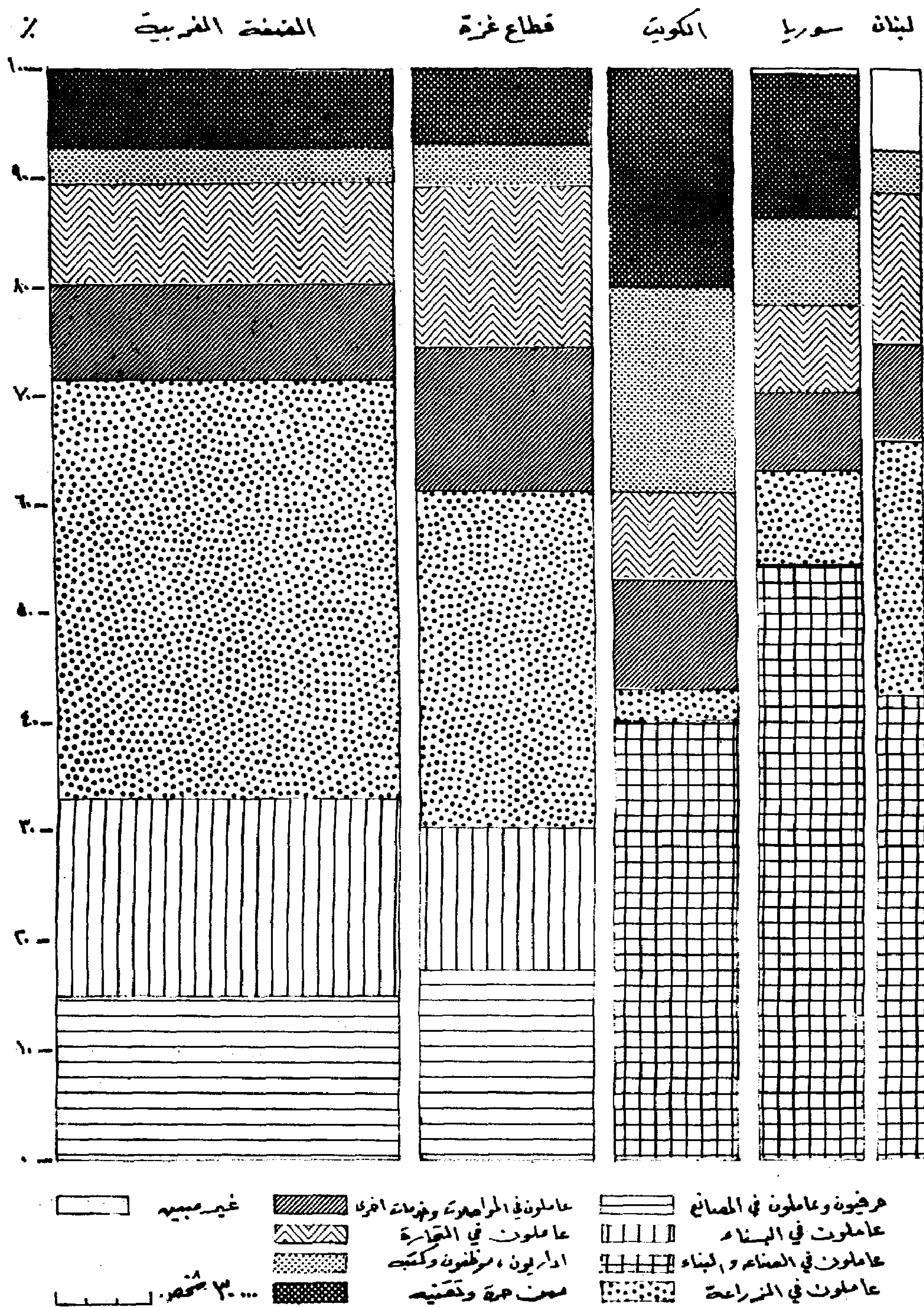

جـ ـ يشير توزيع المهن في سوريا الى نسبة كبيرة للحرفيين والعاملين في المصانع وعمال البناء ، اذ تبلغ ٥٤،٥٪ ، واذا عدنا الى التقسيم بحسب قطاع النشاط لنفصل هذا الرقم الكبير ، نكتشف ان ٢٢،٨٪ منهم يعملون في القطاع الصناعي ـ حرف وصناعة ، و ١٩،٢٪ يعملون في الاشغال العامة والبناء ٠

د ـ اذا كانت النسبة العامة للمهن الزراعية ، تبدو منخفضة ، فهذا يعود الى انعدام الزراعة في الكويت ٢،٣٪ وضآلة عدد العاملين منها في سوريا٨،٦٪٠ولكن النسبة ترتفع في الضفة الغربية ٣٩٪ وقطاع غزة ٣١،٤٪ ٠

هـ ـ في المقابل تشير ارقام فلسطين المحتلة ١٩٦١ الى مؤشرات هامة ٠ فهناك فقط ٦٪ يعملون في المهن الحرة ٠ وهذا اقل من المعدل العام في البلاد الخمسة : ٩،٢٪ ٠ وهذا يعود الى سياسة التهجير والتجهيل وتدني مستوى التعليم في صفوف العرب في فلسطين المحتلة ٠ هناك ١٤،٢٪ فقط يعملون في الخدمات ٠ و ٢٩٪ في الصناعة والحرف والبناء و ٣٨،٢٪ في الزراعة ٠ وهي المهنة التي تستوعب اكبر نسبة من المشتغلين ٠

٥ ـ عمل المراة

نفرد لعمل المراة ، بابا خاصا ٠ لانه يؤشر الى الوضعية الاجتماعية ٠ فمشاركة المرأة في العمل او عدم مشاركتها ، هو احد مقاييس قدرة المجتمع على استغلال طاقاته البشرية في سبيل التنمية ٠

أ ـ يشير الجدول رقم ١٤ ، الى انخفاض نسبة النساء العاملات ٠ والمعدل في خمس بلاد ومناطق : الضفة الغربية ، غزة ، لبنان، سوريا والكويت ١٣،٣٪ هو معدل منخفض جدا ، يمكن مقارنته بلبنان ١٧،٥٪ ، لنكتشف نسبية انخفاضه ٠

تعود اسباب هذا الانخفاض الى جملة اسباب : واقع التشتت : ليس هناك أرض يعملن فيها فغالبا ، في البلاد التابعة ، ما تعمل المرأة في الارض٠ والاسباب الاجتماعية التاريخية ، الايديولوجية ، حيث هناك تقليد

جدول رقم ١٤
توزيع الفلسطينيين الذين يمارسون عملا بحسب الجنس ـ ١٩٧٠ (بالآلاف)

بلد ومنطقة الاقامة	الضفة الغربية	غزة	لبنان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والمناطق الخمسة	فلسطين المحتلة ١٩٦١
ذكور	٩١ر٠	٥٤ر٦	١٧ر٤	٢٨ر٠	٣٧ر٩	٢٢٨ر٩	٤٥ر٨
اناث	٢٣ر٦	٤ر١	١ر٦	٢ر٥	٣ر٣	٣٥ر١	٧ر٧
مجموع المشتغلين	١١٤ر٦	٥٨ر٧	١٩ر٠	٣٠ر٥	٤١ر٢	٢٦٤ر٠	٥٣ر٥
نسبة الاناث المئوية٪	٢٠ر٦	٧ر٠	٧ر٣	٨ر١	٨ر١	١٣ر٣	١٤ر٤

ايديولوجي لهاسبابه الاقتصاديةوالتاريخية، لعدم عمل المرأة · وكثرة الاولاد :فعمل المرأة داخل البيت ، اي كأم ، لا يحسب داخل قوة العمل ·

ب – هناك رقمان يستلفتان الانتباه · الضفة الغربية: ٢٠،٦٪ من مجموع العاملين هم نساء · وفلسطين المحتلة ١٩٦١ ١٤،٤٪· ترجع الاسباب في الضفة الى الانخفاض المخيف في نسبة الذكور للاعمار التي تراوح بين ٢٠ ـ ٥٠ سنة ·

جـ – يشير الجدول رقم ١٥ الى وضعية المرأة في العمل · فاذا قارنا وضعية عمل المرأة في الضفة الغربية ١٩٦١ ، مع عملها في سوريا والكويت ١٩٧٠ · نكتشف ان هناك في الضفة الغربية توزيعا للعمل على مختلف الاوضاع داخل المهنة ، لان المجتمع هنا هو مجتمع عادي اما في مجتمعات اللاجئين ، سوريا والكويت فهناك تضخم كبير للعاملات بأجر نقدي ·

د – يشير الجدول رقم ١٣ مكرر ، الى النسبة العامة للنساء بحسب المهن في الضفة الغربية وغزة وسوريا والكويت ١٩٧٠ كما يلي : ٣١،١٪ مهن تقنية وحرة ، وهذا يعود الى كبر نسبة المدرسات و ١٠،٤٪ خدمات ١٠٪ حرف وصناعة ، ٢٤،٦٪ زراعة ·

الضفة الغربية ٦١ والضفة الغربية ٧٠

الاحتلال الاسرائيلي والتحولات في هيكلية النشاط الاقتصادي

قد يبدو امرا مستغربا ، ان نقوم في سياق هذه الملاحظات الاحصائية بدراسة التحولات الهيكلية للنشاط الاقتصادي في الضفة الغربية بعد الاحتلال الاسرائيلي · وهذا يعود الى جملة اسباب :

أ – ليست الضفة الغربية ، تشكيلة اقتصادية – اجتماعية · ولا نتناول جميع محتلة · اي تجري عملية فرض تبعيتها الاقتصادية للمحتل ·

ب – سبب علمي – فنحن لا نقوم بدراسة اقتصادية – اجتماعية · ولا نتناول جميع المعطيات حول الدخل القومي وتوزيع الداخيل ··· حتى نقدم صورة وافية للهيكلية الاقتصادية · لذلك نتوقف فقط على مستوى النشاط : توزيع القوى العاملة ·

ج – اسباب منهجية وعملية :

١ – لا تشمل احصاءات الضفة الغربية ١٩٧٠ مدينة القدس المحتلة · بينما تشملها ارقام ١٩٦١ · واهمية الموضوع ان مدينة القدس ليست فقط رمزا حضاريا وسياسيا ، بل هي مركز هام للنشاط الاقتصادي في الضفة الغربية ·

٢ – ان احصاءات ١٩٦١ ، لم تؤخذ عشية الاحتلال · وربما حدثت تغييرات كبيرة بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٨ · لكننا نأخذها هنا ، لانها تشير الى اتجاه عام ·

٣ – حتى اذا اخذنا احصاءات ١٩٦١ كاتجاه فقط ، فهي تبقى ناقصة : (الوضع في العمل ، معلومات مفصلة حول البطالة الخ ··) ·

٤ – المعلومات حول الضفة الغربية سنة ١٩٦١ ، مأخوذة من جداول احصائية · وليست ضمن سياق دراسة تحليلية حول التركيبة الديمغرافية والاجتماعية العامة للضفة في هذه السنة ·

سوف نحاول اظهار ، من خلال بعض الجداول والنسب الاحصائية ، الاتجاه العام للسياسة الاقتصادية الاسرائيلية ، اي كيفية تعاملها مع اقتصاد الضفة الغربية لوضعه في خدمة اقتصادها · على صعيد واحد فقط: التحولات الطارئة على تركيب القوى العاملة في الضفة الغربية ·

١ – قبل ان نبادر الى دراسة التحولات الطارئة على هيكلية النشاط الاقتصادي ، لا بد لنا من التذكير ببعض المعلومات الاحصائية الديمغرافية ·

هناك ٨٠٥،٤ الاف مقيم في الضفة الغربية ١٩٦١ يضاف اليها ٥٠ الف يعملون في الخارج · تصبح ٦١٠،٣ الاف مقيم عام ١٩٧٠ (٦٧٠،٣ الاف اذا اضفنا سكان القدس العربية) ·

جدول رقم ١٥
توزيع الفلسطينيات المشتغلات بحسب الوضع في العمل بالنسبة المئوية ٪ ـ ١٩٧٠

الوضع في العمل	سورية	الكويت	الضفة الغربية ١٩٦١
يعملون لحسابهم	٨ر٧	٦ر٠	٠ر١٨
صاحبات اعمال	٢ر٠	٢ر٠	٣ر١
يعملون بأجر نقدي	٢ر٨٨	٧ر٨٨	٧ر٥٢
غير هذا	٧ر٣	١ر٠	٠ر٢٨
غير مبين	ـ	٤ر١٠	
المجموع	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠	٠ر١٠٠
المجموع بالالاف	٥ر٢	٣ر٣	٦ر١٣

من الذي هجر ؟

يشير الرسمين البيانيين ٤ (ب) و ٥(ب) الى مؤشرات واضحة : فهرم الاعمار يتخذ شكلا عاموديا بدل شكله الهرمي المفترض ، للاجيال ما بين ٢٥ و ٦٠ سنة • والمنحنى الذي يمثل الذكورة يتجوف بين ٢٠ و ٥٥ سنة ليصل الى نسبة ٦٧ ذكر لكل ١٠٠ انثى للذين تتراوح اعمارهم بين ٢٥ و ٣٠ سنة •

٢ ـ التحولات في معدل النشاط

تقود النسب المبينة في الجدول رقم ١٧ والمستخرجة من الجدول رقم ١٦ ، الى رؤية مخالفة تماما للواقع اذا لم نأخذ بعين الاعتبار الملاحظات السابقة •

أ ـ فنسبة العمل انخفضت بعد الاحتلال من ١٩،٩٪ الى ١٨،٨٪ ويفسر هذا الانخفاض بحذف مدينة القدس حيث نسبة العمل مرتفعة وشكل هرم الاعمار ونسبة الذكورة حيث تكتشف هجرة كبيرة في الذكور الذين هم في سن العمل •

ب ـ ولا تتوضح هذه الصورة الا اذا قمنا بحساب نسبة مجموع القوة البشرية (اكثر من ١٤ سنة) الى مجموع المقيمين فنجد انها تمثل ٥٥٪ سنة ١٩٦١ بينما تمثل ٥١٪ فقط سنة ١٩٧٠ • وهذا ما يفسر ان نسبة العمل الى مجموع القوى البشرية اصبحت سنة ١٩٧٠ ٣٦،٥٪ بينما كانت سنة ١٩٦١ ٣٦،٤٪ • وهذا ارتفاع لا توضحه الارقام ٠،١٪ فقط لكن يظهر جليا مع المعطيات السابقة• حذف القدس مع هجرة اعداد هائلة من القوى العاملة •

جـ ـ انخفاض نسبة البطالة من ٦،٨٪ سنة ١٩٦١ الى ٣،٢٪ سنة ٧٠ ، تؤكد ما سبق ان اشرنا اليه •

٣ ـ التحولات في قطاع النشاط

يشير الجدول رقم ١٨ والرسم البياني رقم ٨ الى معلومات واضحة في هذا المجال •

أ ـ نلاحظ انخفاضا طفيفا في الزراعة،من ٤٠،٤٪ سنة ١٩٦١ الى ٣٩،٣٪ سنة ١٩٧٠ وانخفاضا اخر في الخدمات الاخرى من ١٥،٤٪ سنة ١٩٦١ الى ١٢،٧٪ سنة ١٩٧٠• جرى هذا الانخفاض لمصلحة القطاع الصناعي ، الذي ارتفع من ١٢،٣٪ سنة ١٩٦١ الى ١٤،٢٪ سنة ١٩٧٠ وقطاع البناء والاشغال العامة الذي ارتفع ايضا من ١١،٢٠٪ سنة ١٩٦١ الى ١٤،٧٪ سنة ١٩٧٠• كما ارتفع القطاع الذي يضم الكهرباء والمياه والاشغال العامة من ٠،٤٪ سنة ١٩٦١ الى ٣،٨٪ سنة ١٩٧٠ ـ علما ان حجم هذا القطاع الحقيقي بالالاف ضئيلا ـ •

ب ـ يبين الجدول رقم ١٩ ، ان هذه التحولات القطاعية في نشاط الفلسطينيين في الضفة قد تمت لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي؛ يعلن الجدول رقم ١٩ عن ٢٠،٦٠٠ فلسطيني يعملون في فلسطين المحتلة منهم ٧١،٤٪

جدول رقم ١٦
الفلسطينيون بحسب دورهم داخل القوى العاملة (بالآلاف)
الضفة ١٩٧٠ ــ الضفة ١٩٦١

المعطيات	الضفة ١٩٧٠	الضفة ١٩٦١
المشتغلون	٦ر١١٤	٥ر١٦٠
العاطلون عن العمل	٨ر٣	٨ر١١
مجموع القوى العاملة	٤ر١١٨	١ر١٧٢
مجموع القوى البشرية (اكثر من ١٤ سنة)	٩ر٣١٣	٤ر٤٤١
مجموع المقيمين	٣ر٦١٠	٤ر٨٠٥

جدول رقم ١٧
خصائص بنية القوى الفلسطينية العاملة بالنسبة المئوية ٪
الضفة ١٩٧٠ ــ الضفة ١٩٦١

معدل النشاط	الضفة ١٩٧٠	الضفة ١٩٦١
١ ــ نسبة العمل	٨ر١٨	٩ر١٩
٢ ــ نسبة القوى العاملة	٤ر١٩	٤ر٢١
٣ ــ نسبة القوى العاملة الى مجموع القوى البشرية	٧ر٣٧	٠ر٣٩
٤ ــ نسبة العمل الى مجموع القوى البتشرية	٥ر٣٦	٤ر٣٦
٥ ــ نسبة البطالة	٢ر٣	٨ر٦

قادمون من الضفة الغربيــة وموزعون حسب القطاعات التالية : ٥٤،٤٪ بناء واشغـال عامة ، ٢٤،٣٪ زراعة ، ١١،١٪ صناعـة ومناجم ٠

جـ ــ كيف يمكننا تفسير هذا الارتفـاع لنسبة الذين يعملون في الزراعة داخـل فلسطين المحتلة ، بينما تنخفض النسبة العامة للعاملين في الزراعة ؟ هنا ، يمكننا تفسير ذلك بكونهم يعمـلون في فلسطين المحتـلة كعمال زراعيين ، نظـرا للارتفاع النسبي للاجور ، وهذا قد يكون احد مؤشرات تراجع نسبة العاملين في الزراعة في الضفـة الغربية ٠

٤ ــ التحولات في توزيع المهن

يشير الجدول رقم ٢٠ والرسم البياني رقم ٩ ، الى عدم حدوث تحولات جذريـة في مهن الزراعة والخدمات والاداريين والموظفين ٠ مع ازدياد طفيف للعاملين في التجارة من ٧٪ سنة ١٩٦١ الى ٩،٤٪ سنة ١٩٦١ ٠ لكن يجب ان نلاحظ مسألتين هامتين ٠

أ ــ ازدياد نسبة المهن التقنية والحرة مـن ٤،٨٪ سنة ١٩٦١ الى ٧،٢٪ سنة ١٩٧٠ ٠

ب ــ جرى تحويل جزء كبير من الحرفيين والعاملين في الصناعة الى عمال بنـاء ٠ فالحرفيون وعمال الصناعة كانوا سنة ١٩٦١ ٢٨،٩٪ ليصبحوا سنـة ١٩٧٠ ١٥،٠٪ ٠ وارتفعت نسبة عمال البناء والمياومين مـن ٢،٤٪ سنة ١٩٦١ الى ١٧،٥٪ سنة ١٩٧٠ ٠ يعمل جزء كبير منهم في فلسطين المحتلة كما بين الجدول رقم ١٩ ٠

جدول رقم ١٨
توزيع الفلسطينيين المشتغلين بحسب قطاع النشاط
الضفة ١٩٧٠ ـ الضفة ١٩٦١

قطاع النشاط	الضفة الغربية ١٩٧١ ٪	الضفة الغربية ١٩٧١ نسبة النساء	الضفة الغربية ١٩٦١ ٪	الضفة الغربية ١٩٦١ نسبة النساء
١ ـ الزراعة ، الغابات ، الصيد	٣٩ر٣	٣٧ر٤	٤٠ر٤	١٠ر٣
٢ ـ الصناعة ، الحرف ، المناجم	١٤ر٢	١٩ر٠	١٢ر٣	١١ر٩
٣ ـ البناء ، الاشغال العامة	١٤ر٧	٠ر٦	١١ر٢	٠ر١
٤ ـ التجارة والفنادق	١١ر٢	٣ر١	٨ر٧	١ر٢
٥ ـ المواصلات والنقل والتخزين	٤ر١	ـ	٢ر٧	١ر٣
٦ ـ خدمات غيرها	١٢ر٧	٢٤ر١	١٥ر٤	١٦ر٩
٧ ـ كهرباء ، مياه وخدمات صحية	٣ر٨	٢٠ر٤	٠ر٤	٠ر٨
٨ ـ غير مبين	ـ		٨ر٩	٣ر٧
المجموع	١٠٠ر٠		١٠٠ر٠	
المجموع بالآلاف	١١٤ر٦	٢٠ر٦	١٦٠ر٥	٨ر٥

٥ ـ التحولات على صعيد عمل المرأة

المؤشرات التي يقدمها الجدول رقم ٢١ مثيرة فعلا ٠ فهو يشير الى ارتفاع نسبة النساء العاملات من ٨،٥٪ سنة ١٩٦١ الى ٢٠،٦٪ سنة ١٩٧٠ ٠ فكيف نعلل هذا ٠

أ ـ يجب تخفيف هذا الفارق الهائل ، وارجاع احد اسباب هذا التضخم الى كون الحالة الظاهرة لعمل النساء في احصاء ١٩٦١ ناتجة عن عدم اعلان النساء لعملهن٠ فرقم العاملات في الزراعة سنة ١٩٦١ ٣،١٠٪ لا يمكن ان يكون صحيحا اذا ما قارناه برقم ١٩٧٠ ٣٧،٤٪ ٠ وهـذا يشير الى الخطأ الاحصائي الذي تكلمنا عنه ٠

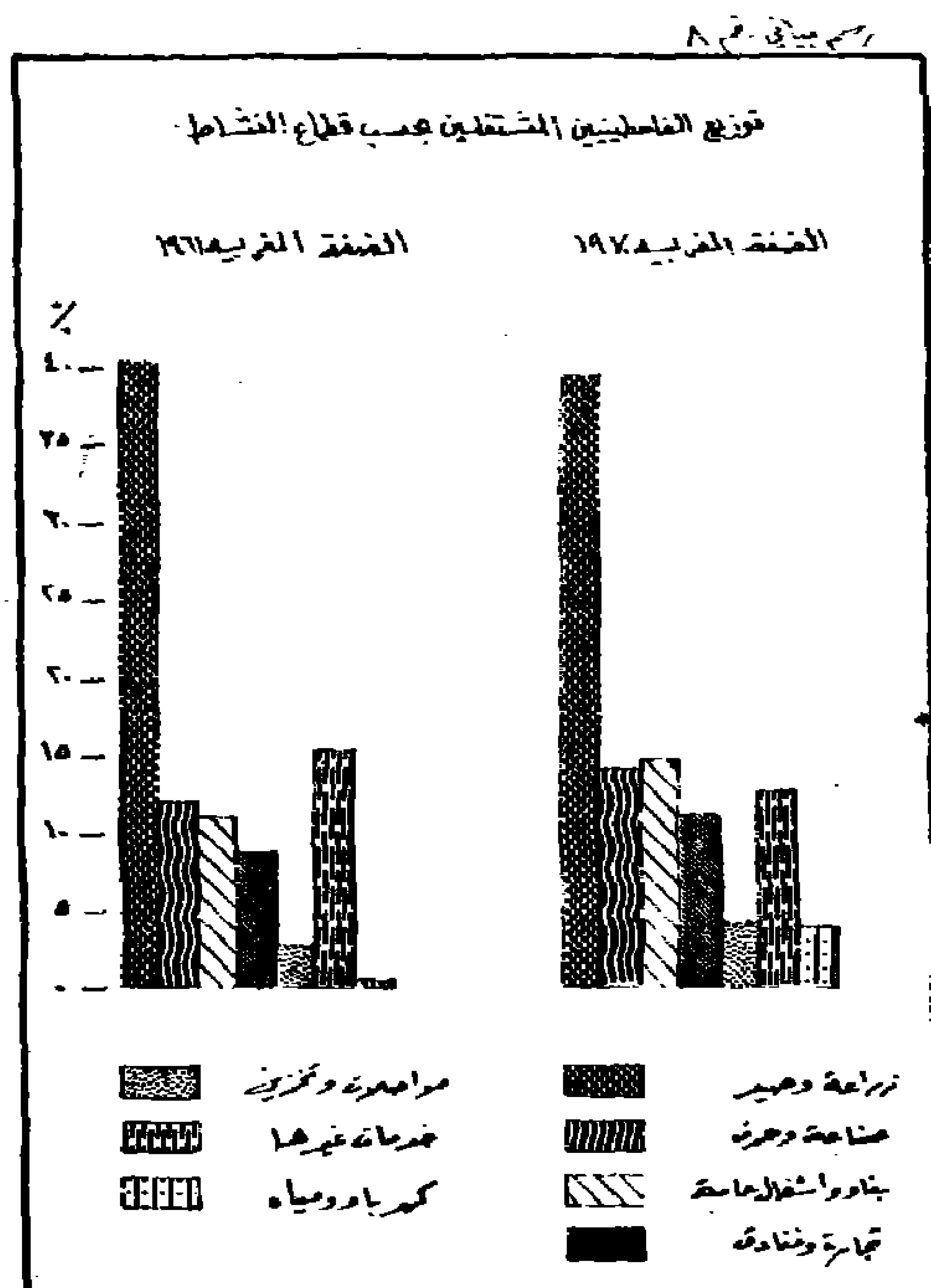

ب ـ لكن هذا لا يعني ان النسبة لم ترتفع ٠ بل ارتفعت في الصناعة ، حيث اصبحت نسبة النساء لمجموع العاملين فيها ١٩٪ سنة ١٩٧٠ بينما كانت ١١،٩٪ سنة ١٩٦١ ٠ كما ارتفعت في الخدمات بشكل ملحوظ ٠

جـ ـ تؤكد نسبة النساء حسب التوزيع المهني ما سبق :

جدول رقم ١٩
فلسطينيو المناطق المحتلة العاملين في فلسطين المحتلة
موزعين حسب النشـــاط الاقتصـــادي سنة ١٩٧٠

قادمون من	العدد بالالاف	النسبة ٪
الضفة الغربية	١٤٫٧	٧١٫٤
قطاع غزة	٥٫٩	٢٨٫٦
المجموع	٢٠٫٦	١٠٠٫٠
النشاط الاقتصادي		
الزراعة ، الغابات ، الصيد	٥٫٠	٢٤٫٣
الصناعة والمناجم	٢٫٣	١١٫١
بناء واشغال عامة	١١٫٢	٥٤٫٤
فروع اخرى	٢٫١	١٠٫٢

جدول رقم ٢٠
توزيع الفلسطينيين المشتغلين حسب المهنة ـ نسبة النساء
الضفة ١٩٧٠ ـ الضفة ١٩٦١

المهنة	الضفة ١٩٧٠ ٪	الضفة ١٩٧٠ نسبة النساء	الضفة ١٩٦١ ٪	الضفة ١٩٦١ نسبة النساء
١ ـ المهن التقنية والحرة	٧٫٢	٣٦٫٦	٤٫٨	٣٢٫٧
٢ ـ الاداريون ، الموظفون والكتبة	٣٫٢	٥٫٤	٣٫٦	٦٫٦
٣ ـ عمال التجارة	٩٫٤	٣٫٧	٧٫٠	١٫٠
٤ ـ العاملون في النقل والمواصلات	٣٫١	ـ	٤٫١	٢٫١
٥ ـ اختصاصيون للخدمات	٥٫٦	١٢٫٥	٥٫٦	١١٫٨
٦ ـ العاملون في البناء والمحاجر	١٧٫٥	٠٫٥	٢٫٤	ـ
٧ ـ الحرفيون والعاملون في المصانع	١٥٫٠	٢٠٫٩	٢٨٫٩	٥٫٠
٨ ـ المزارعون وصيادو السمك	٣٩٫٠	٣٤٫٧	٣٧٫٧	١٠٫٣
٩ ـ غير مبين	ـ	ـ	٥٫٩	٣٫٤
جميع المهن	١٠٠٫٠		١٠٠٫٠	
العدد بالالاف	١١٤٫٦	٢٠٫٦	١٧٢٫١*	٨٫٢

* لا تعطي احصاءات الضفـــةالغربية ١٩٦١ التوزيع حسب المهنةالا نسبة الى مجموع القوى العاملة أي بما فيهم الباحثين عن عمل ٠

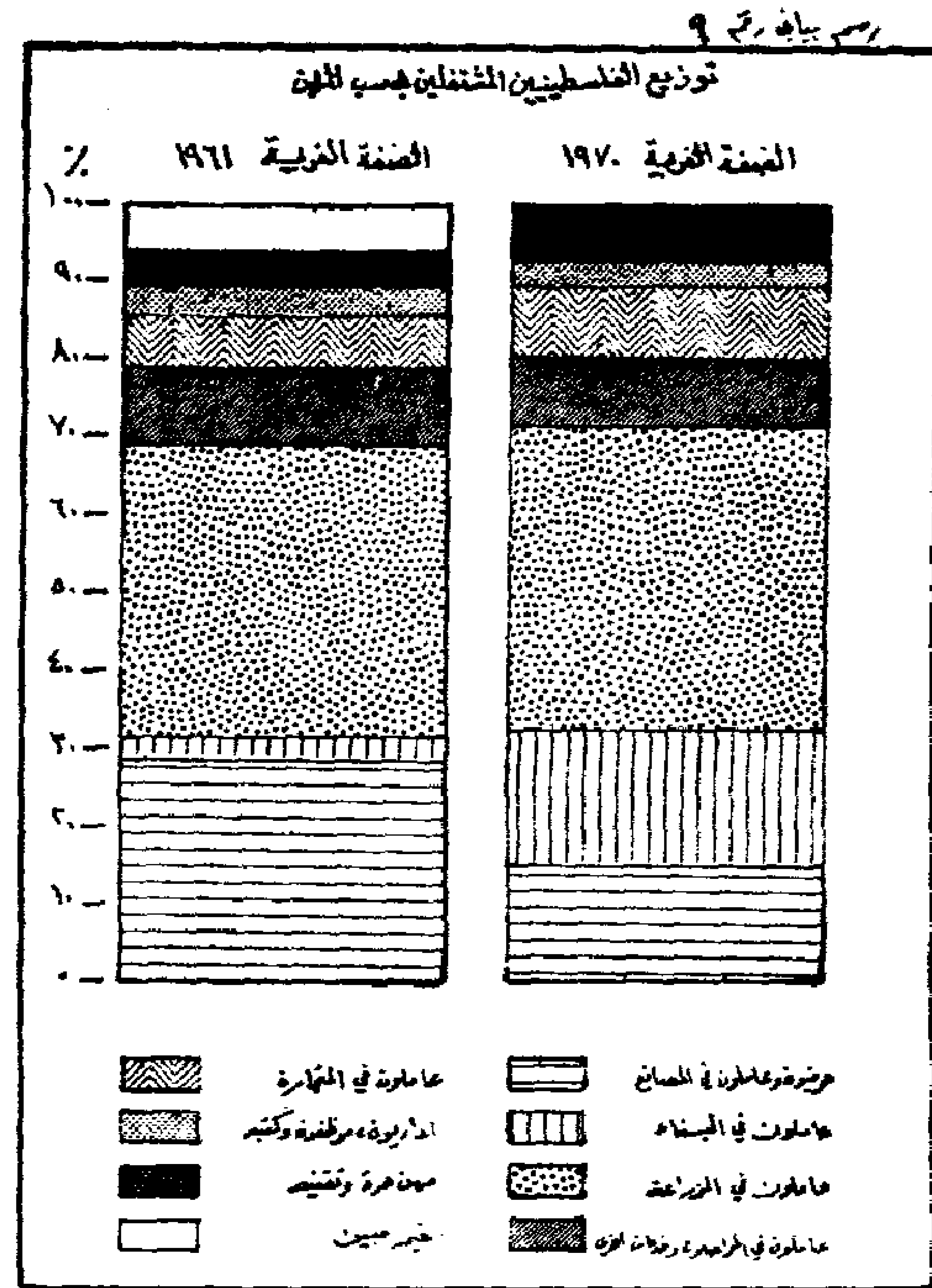

فقد ارتفعت من ٥٪ سنة ١٩٦١ للعاملات في المصانع والحرف الى ٢٠،٩٪ سنة ١٩٧١ بالاضافة الى الارتفاع الضخم للنساء العاملات في الزراعة من ١٠،٣٪ سنة ١٩٦١ الى ٣٤،٧٪ سنة ١٩٧٠ · ولكننا اشرنا الى الخطأ الممكن في الرقم الاول ·

د ـ كيف نعلل نسبة عدد النساء العاملات ٢٠،٦٪ في الضفة الغربية اذا قارناها بنسبة العاملات في فلسطين المحتلة ١٤،٤٪ ·

قد يكون هناك سببان : الهجرة الواسعة للرجال · ضرورة عمل المرأة ، فتح مجالات جديدة للعمل يؤمنها الارتباط القسري بالاقتصاد الاسرائيلي ·

لقد حاولنا في هذا البحث الاحصائي ، ان نستخرج ملاحظات تأشيرية أولية ، تتعلق ، بوضع الفلسطينيين في البلاد والمناطق التي يقيمون فيها · الحالة الديمغرافية ، القوى العاملة ، الضفة الغربية بعد الاحتلال · لكن النقص الاساسي يبقى في مجال التعليم · حيث يلعب هذا القطاع دورا اقتصاديا واجتماعيا بالغ الاهمية·لكننا لم نتطرق اليه هنا ، نظرا لوجود دراسات وافية حوله ، اخذا بعين الاعتبار الاطار العام الذي وضعناه لدراستنا ·

ان الملاحظات الاساسية التي نخرج بها تنقسم الى قسمين :

١ ـ **على المستوى التقني** لا يزال الاحصاء الفلسطيني متخلفا جدا · فهو احصاء تابع لمشاريع لاتنبع منحاجات الشعب الفلسطيني· من هنا ضرورة قيام احصاء فلسطيني مستقل على مقاييس مستخرجة من واقع الشعب الفلسطيني ·

٢ ـ **على المستوى العلمي** فان المؤشرات الاحصائية ، الاجتماعية والاقتصادية ، التي استخرجناها لا تسمح ببلورة برامج عمل شاملة · انها تؤشر فقط الى اوضاع مختلفة

جدول رقم ٢١
توزيع المشتغلين حسب الجنس ـ نسبة النساء
الضفة ١٩٧٠ ـ الضفة ١٩٦١

الجنس	الضفة ١٩٧٠	الضفة ١٩٦١
ذكور	٩١٠٠٠	١٤٦٤٤٠
اناث	٢٣٦٠٠	١٤٠٦٠
مجموع	١١٤٦٠٠	١٦٠٥٠٠
الاناث بالنسبة المئوية ٪	٢٠ر٦	٨ر٥

في بلاد ومناطق مختلفة · وتسمح على هذا الاساس فقط باستخـــراج برامج نضالات اقتصادية وسياسية محدودة جدا · اما على المستوى العام ، فانها لا تقدم شيئا اساسيا بهذا الخصوص ·

فوضع التشتت الفلسطيني،يجعل **للمستوى السياسي الاهمية الكبرى** في التعبئة · وهذا ما اثبتته تجربة عشر سنوات من الكفـــاح الثوري المسلح ·

اشكر الياس خوري الذي قرأ المقـال ، وابدى بعض الملاحظات التي اخذنا بها · علما انني اتحمل وحدي مسؤولية نتائـــج هــذا البحث ·

المخيم الفلسطيني في ظل الثورة

باسم سرحان

سنعالج في هذا المقال وضع المخيـــم الفلسطيني في ظل الثورة الفلسطينية ، او بكلام آخر تأثير الثورة والنضال المسلح على المخيم الفلسطيني ٠ ونقصد « بالتأثير » هنا التأثير على المخيم كتجمع بشري متجـانس العناصر خبرَ نفس التجربة وعاني نفس المعاناة ٠ ويتناول التأثير اساسا التأثير النفسي والتأثير الاجتماعي ، وخاصة مسألة العلاقات الاجتماعية داخل المخيم ، ومع البيئة المحيطة به ٠

والطريقة المثلى لدراسة تأثير الثورة على المخيـــم هي : دراسة الحالة النفسية ووضع العلاقات الاجتماعية قبل دخول الثورة الى المخيم ، ثم دراسة الحالة النفسية والعلاقات الاجتماعية في المخيم حاليا ، ومقارنة الوضعين لمعرفة الاثر الذي احدثته الثورة في المخيم ٠ ولكن نظرا لعدم توفر اي دراسة علميــة لوضع المخيم قبل الثورة لا يمكن اتباع هذه الطريقة ٠

والطريقة الدقيقة الاخرى لدراسة تأثير الثورة على المخيم هي أن نسأل الاهالي عن الحالة النفسية والاجتماعية قبل الثورة، وعن التبدل الذي طرأ على هذه الحالة بفضل دخول الثورة الى المخيم الفلسطيني ٠ وهذا أمر ممكن لأن حالة المخيم ما زالتتعيش في اذهان الناس بشكـــل واضح ، لان الثورة لم تدخل المخيـــم الفلسطيني كحالة جماهيرية الا بعد معركة الكرامة في آذار١٩٦٨ في الاردن ، ثم دخلت مخيمات سوريا ولبنان في اوائل العام١٩٦٩ ٠ فالتجربة ما تزال حية ويمكن قياسها بسهولة بالرجوع الى الاشخاص الذين عاشوها وعاشوا معها تجربة المخيم في ظل الثورة ٠

ونحن نذكر هاتين الطريقتين للامانة العلمية ٠ أما مقالنـــا الحالي فلا يعتمد على دراسة علمية دقيقة بالطريقة المقترحة نظرا لضيق الوقت المتاح لاجراء الدراسةوعدم توفر الطاقة البشرية اللازمة لاجراء مثل هذه الدراسة ٠

ولكن عدم اجراء دراسة علمية شاملة للموضوع لا يقلل من قيمة هذا المقالالعلمية للاسباب التالية :

١ ــ لانه يعتمد على استطلاع آراء عدد من الاشخاص الواعين (معلمون ، طلاب، عمال) الذين عاشوا تجربة المخيم الفلسطيني قبـل الثورة وبعدها ، ومارسوا العمل الاجتماعي والجماهيري في مرحلة الثورة او في المرحلتين معا ٠

٢ ــ لانه يعتمد على التجربة والملاحظة الذاتية للكاتب من خـــلال ممارسة عمل اجتماعي في المخيم الفلسطيني ٠

٣ ــ لان السمات الاساسية لوضع المخيـم النفسي والاجتماعي قبل الثورة وبعدها بارزة وعريضة لدرجة يمكن معهـــا الاعتماد على تقييمات وآراء الفئـــات الواعية اجتماعيا وثقافيا والتي ساهمت في اعطاء الصورة ٠

ولذلك فان المقال سيكتفي بمعالجة السمات البارزة ، ولن يتطرق الى تفاصيل وظواهر جانبية أو تفصيلية في وضع المخيم قبل الثورة وبعدها ٠

وبما ان موضوع المقال هو تأثير الثورة على المخيم الفلسطيني فاننا سنورد السمات الاساسية لوضع المخيم قبل الثورة باقتضاب ، لكي ننتقل منها الى معالجة الاثر الذي احدثته الثورة في المخيم ٠

حالة المخيم النفسية والاجتماعية قبل الثورة، وعن التبدل الذي طرأ على هذه الحالة

يمكن استخلاص صورة عن حالة المخيم الفلسطيني قبل الثورة ــ الذي كان مخيم لاجئين بكل ما تحمله كلمة لاجيء من معان معيشية ونفسية واجتماعية ــ من خلال السمات الاساسية التي كانت تشكل طابعه العام ، وهي :

١ ــ **سمة الاتكالية واليأس** : كانت الروح الاتكالية وكان الشعور العام باليأس سائدين عند الجماهير الفلسطينية في المخيمات ٠ وقد كانت خدمات وكالة غوث اللاجئين التابعة للامم المتحدة الاونروا عاملا هاما من عوامل خلق النفسية الاتكالية أو الروح الاتكالية عند جماهير المخيمات ٠ وقد تطورت الروح الاتكالية من الاتكال على خدمات الاونروا المعيشية الى اتكالية نفسية عامة شملت التصرفات اليومية والعامة للاهالي وتبلورت في الاتكالية السياسية، أي اتكال الجماهير الفلسطينية على الدول والجيوش العربية بدرجة اساسية، وعلى الامم المتحدة بدرجة أقل ، في تحرير بلادهم واعادتهم الى بيوتهم وممتلكاتهم ٠ وقد نتج عن هذه النفسية الاتكالية شعور عام بالعجز عن تحقيق او انجاز أي أمر ٠ ونتج عن الشعور التام بالعجز شعور قوي بالمهانة كان يغذيه احتكاك سكان المخيم بالطبقة الوسطى في المدن العربية ، وهي الطبقة الكفؤة والمؤهلة والتي تستلم زمام الوظائف ٠ ونتج عن كل تلك الظواهر شعور باليأس تمثل في اعتقاد اهالي المخيم بعدم جدوى الجهود الجماعية أو الفردية في محاولة تغيير واقعهم وخاصة لانهم كانوا يدركون ان مصيرهم الشخصي والسياسي بيد غيرهم : بيد الانظمة ، بيد السلطات ، وبيد الظروف التي يتلاعب بها آخرون ٠ كان مصير من في المخيم يقرر خارج المخيم ، وبالتالي كان هناك شعور عام بعدم جدوى أي تحرك أو عمل ٠

وقد وصف احد سكان المخيم هذه الحالة بقوله : « كنت عندما تلفظ كلمة « مخيم » او « لاجيء » يتبادر الى الذهن كلمة « اعاشة » وكلمة « أناس عاجزين مساكين » ٠

٢ ــ **سمة القمع والارهاب** : كانت مخيمات الفلسطينيين قبل مجيء الثورة معرضة باستمرار للقمع والارهاب المنظمين من قبل السلطات العربية المعنية،وخاصة في الاردن ولبنان ٠ فقد اخضعت المخيمات لارهاب من قبل اجهزة المخابرات في تلك الدول كان هدفه قهر ارادة الجماهير الفلسطينية وقتل روح المقاومة والتحدي والتمرد عندها ومنعها من التحرك والانطلاق ٠ وقد أدى القمع والارهاب المتواصلين الى حرمان الجماهير الفلسطينية في المخيمات من الحرية المطلقة، ومن حريات محدودة وملموسة مثل حرية الانتقال والسفر ، حرية التعبير ، حرية التجمع والتنظيم ، حرية بناء المساكن ، ومن حرية العمل احيانا ٠ وباختصار يمكن القول ان القمع والارهاب دخلا الحياة اليومية للجماهير في المخيمات طوال تلك السنين ٠

٣ ــ **سمة المجتمع التسلطي** : كان مجتمع المخيم مبنيا على اساس عشائري ، وكان الحكم فيه للكبار ٠ كان الكبار يتسلطون على الصغار (كبير العائلة على من

دونه ، والآباء على الابناء) ٠ وكانت الكلمة النهائية في كل الامور للكبار ٠ وكان الكبار يحتقرون الصغار ، ولم يكن للشبان والاولاد مكان في حياة المخيم ٠ اضافة الى هذا ، كان مجتمع المخيم محافظا وتقليديا ، مما جعل امكانية التحرر الاجتماعي فيه ـ وخاصة للمرأة وللشبان ـ ضعيفة جدا ٠ وهو في هذا مثله مثل المجتمع العربي لانه جزء من هذا المجتمع ٠

وكان رؤوس المجتمع العشائري في المخيم يتعاملون مع الارهاب والقمع الخارجيين ومع سلطات الاونروا بشكل مساوم يقدمون فيه الكثير من التنازلات ٠ كانوا يخافون، وبالتالي فلم يتحدوا ولم يجابهوا ٠ وكانوا في الوقت نفسه يحاولون ابقاء سيطرتهم على الشباب ويقاومون كل اتجاه تمردي عندهم خوفا من استدراج بطش خارجي اكبر ٠ وباختصار ، كان الكبار ، بشكل عام ، عنوانا للتسلط وصمام أمان للمحافظة والخنوع والاستسلام للقوى الخارجية الارهابية ٠

ولكن هذا الوضع نفسه ، وضع الاتكالية واليأس والخوف من الارهاب والقمع والتسلط الاجتماعي ، كان يحمل نقيضه في طياته ٠ فقد كانت تختمر ـ واختمرت ـ في داخله قوى التمرد والثورة ، وكانت تتعاظم فيه قوى رفض الواقع المهين ٠ وقد كانت قوى الرفض والثورة ممثلة بالشباب الطليعي في المخيمات والذي كان ينتمي الى احزاب وحركات سياسية عربية تقدمية ٠ وقد خاض هذا الشباب الطليعي نضالا سياسيا صلبا ٠ وكانت هناك فترات يتحول فيها النضال السياسي الطلائعي الى حركة جماهيرية داخل المخيمات ، كانت تنجح احيانا في فرض او تحقيق بعض المطالب الجزئية ـ خاصة في نضالها ضد مشاريع التوطين الاستعمارية (الاميركية أساسا) التي كانت تشرف عليها الاونروا ٠ لقد احبطت الجماهير الفلسطينية بقيادة وبتحريك من طلائعها السياسية مشاريع التوطين وبالتالي حالت دون تصفية القضية ، ودون اذابة الشخصية الفلسطينية ٠ أما النمط العام للنضال السياسي في المخيمات فكان يبدأ بحركة سرية وتنظيم خلايا ، وينتقل الى تحريك الجماهير والى نضال جماهيري محدود احيانا وواسع احيانا أخرى ، ثم ما يلبث ان يسحق من قبل اجهزة القمع العربية ٠ وقد نتج عن النضال السياسي الجماهيري اتجاه طلائعي للنضال المسلح في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات ٠ ولكن النضال المسلح لم يتحول الى حالة جماهيرية الا بعد ظهور الثورة في المخيمات٠ فالثورة انطلقت من المخيمات ، ولكن المخيمات لم تتأثر بالثورة بشكل جذري الا بعد عودة الفدائيين اليها ٠

حالة المخيم الفلسطيني في ظل الثورة (١٩٦٨ ـ ١٩٧٤)

كان لظهور فصائل الثورة الفلسطينية في المخيمات آثار عميقة على هذه المخيمات من مختلف النواحي ٠ وقد كانت التأثيرات الجذرية بكاملها تأثيرات ايجابية ٠ كما كانت هناك بعض التأثيرات السلبية الجانبية التي جاءت كنتاج طبيعي لعدم وجود مرحلة انتقالية تهيء لقدوم المقاومة الى المخيمات وتزيل تدريجيا آثار المرحلة السابقة للثورة ٠ كان الانتقال مفاجئا وضخما وحدث « بين يوم وليلة » فعلا ٠ وسنركز في هذا المقال على التأثيرات الجذرية ، اي الايجابية ، لانها هي الاساس ٠ اما التأثيرات الجانبية ، أي السلبية ، فلا تذكر قياسا بالايجابيات ٠

انطلقت الثورة من المخيم وعادت بالبنادق لتحرر المخيم وجماهيره٠ ونحن نستعمل

كلمة « تحرر » هنا عن عمد ونقصدها حرفيـــا · فما حدث للجماهير الفلسطينية في المخيم كان عملية تحرير · كما أن تحرير المخيمات كان الخطوة الرئيسية الاولى على طريق تحرير فلسطين ·

وحالما دخل الثوار الفلسطينيون المخيمات بسلاحهم خرجت السلطات واجهزة القمع والارهاب والمخابرات ، كما تعطلت عمليا سلطة الجهـــاز الاداري الذي كان يتحكم بالمخيمات ، جهاز الاونروا · ومع الحريـــة التي حملتها الثورة للمخيم برزت الهوية الفلسطينية بقوة بعد غياب طويل وحلت محل هوية اللاجيء التي التصقت بالفلسطيني كالوباء · واعادت الثورة للفلسطيني ثقتـــه بنفسه ، وجعلته ينبذ الاتكالية ويحمل البندقية ويبادر بنفسه ويعتمد على نفسه· ومن الممكن القول ان الثورة قد ردت الروح الى الشعب الفلسطيني المناضل · والتفت الجماهير حول الثـــورة تغذيها بالرجال وتدعمها وتحميها · ولم يبق أحد في أي مخيم خـارج فصائل المقاومة الفلسطينية · انضم الجميع الى التنظيمات السياسية والميليشيا والقطـــاعات العسكرية لفصائل الثورة · وتوالت دورات التدريب في المخيمات · وتلقى التدريب كـل قادر على حمل السلاح من رجال وشبان واشبال ، واعداد كبيرة من الفتيات والزهرات · ونشأت في المخيم حالة جماهيرية ثوريـــة لا مثيل لها ، في جو من الحرية المطلقـــة ومن سلطة الجماهير · وشعرت الجماهير الفلسطينية ان مصيرها قد أصبح بيدها ، ولاول مرة منذ النكبة ، لان البنادق اصبحت في يدها · واصبحت البندقيـة رمز الحرية للشعب المقهور والمسحوق ·

وحدث تحول جذري في النفسية الفلسطينيـــة · ومع تصاعد العمليات وتصاعد النضال ومع قوافل الشهداء واعراس الشهداء في المخيـــم ، بدأت الروح الاتكالية تزول ، وزال الشعور بالعجز التام ليحل محله شعور بالقوة الذاتية وبقوة الارادة · ودخلت مع البنادق مفاهيم العمـــل الجماهيري وقوة الجمـــاهير وارادة الجماهير ودورها في تحقيق النصر وفي تحرير فلسطين · كان ذلك ، كافيا لانتزاع اليأس من المخيم ولزرع الامل والثقة بالنفس مكانه · واصبح للفلسطيني دور ، الدور الطليعي، واصبح المخيم الفلسطيني يعتبر نفسه طليعة الثورة العربية ·

اذن حققت الثورة للفلسطيني الحرية الجمـــاعية والفردية المطلقة ، كما حققت له حريات محدودة وملموسة على رأسها حرية التعبير والتجمع والتنظيم، وحرية العمل العسكري والسياسي لاسترداد ارضه · كمـــا حصلت الثورة للجماهير الفلسطينية على حريات محددة وملموسة من الانظمة العربية أهمها حرية السفر الجزئية (اذ ان ليبيا هي البلد العربي الوحيد الذي منـح الفلسطينيين حرية السفر منه واليه · ويليه لبنان الذي منح حرية السفر التامة منه واليه لفلسطينيي لبنان ، وحرية السفر المقيدة اليه لفلسطينيي سوريا وغزة والعراق · ولكـــن سفر الفلسطينيين من والى الدول العربية ما يزال مسألة خاضعة للقيود والمصاعب) وحريـــة بناء المساكن وتحسين وضعها وترميمها (لبنان) ، وحرية العمل (لبنان) · أما حرية عمل الفلسطينيين ـ من الناحية النظرية ـ فهي متوفرة في كافة البلدان العربية ، ولكن عمليا تواجه حرية عملهم رقابة سياسية وعراقيـــل سياسية في بعض البلدان العربيـــة مثل السعودية ومسقط وعمان وبعض امارات الخليج حيث تلعب المخابرات الاميركية والاردنية دورا فعالا ضد الفلسطينيين · أما في لبنان ، فقد أصبح للعامل الفلسطيني ـ لاول مرة ـ جهة تحميه وتدافع عن حقوقه وتدفع عنه الاستغلال · وقد استفاد العمال المهرة وغير

المهرة ، اكثر من أي فئة أخرى ، من حماية الثورة ودعمها لانهم كانوا احوج الناس اليهـــا ٠

يمكن القول اذن ان الحالة النفسية العامة للمخيـم الفلسطيني قد تحررت من عقد الاتكالية والعجز والخوف والاستسلام لتشمل بميزات الاعتمـاد على النفس والمقدرة والجرأة والمقاومة والصمود ٠ وهذا انجاز ما كان ليتحقق الا بالثورة المسلحة ، ومن الصعب جدا تحقيقه بالتطور السلمي البطيء ٠ ولكن الثورة قادرة على ان تفعل اكثر مما فعلت ، وان تبذل جهودا سياسية خاصة ، لتأمين حمـــاية للفلسطيني ولعمله في كافة الاقطار العربية ٠

كما ان الثورة قد ابرزت الهوية الفلسطينية ورفعتها لدرجة اصبح معهاالفلسطيني يفخر بانتمائه ٠ واصبحت الهويـــة الفلسطينية هوية نضاليـــة ، واصبح الانتماء الفلسطيني انتماء نضاليا في الوطن العربي كله ٠

أما تأثيرات الثورة على المخيم على الصعيد الاجتماعي فكانت عميقة وجذرية في بعض النواحي وسطحية في نواح أخرى ، كمـــا سنرى في التحليـــل التالي ٠ ومن الضروري ان نذكر ان عملية حدوث هذه التأثيرات كـــانت تتفاوت في المدى الزمني بحسب موضوع التأثير ٠ فقد تعمقـــت بعض التأثيرات بسرعة نسبية ـ شهور بعد ظهور الثورة في المخيم ـ بينما استغرق بعضها الآخر وقتـا اطول (سنوات) ٠ وما تزال بعض التأثيرات بحاجة الى تعميق وترسيخ ، وربما تتطلب سنوات اضافية لكي تصبح حقائق اجتماعية جديدة ٠

١ ـ **التأثير في حياة المخيم اليومية** : حدث هذا التأثير خـــلال بضعة شهور من ظهور الثورة في المخيم ٠ وقد كان بارزا وكبيرا ٠ فقد حولت الثورة المخيم الى خلية او الى ورشة عمل متواصل في الليل والنهار ٠ فبعدما كان الركود يسود المخيم والملل يملأ حياته اليومية ، ظهرت مكـــاتب الفدائيين ومعسكرات تدريبهم ، واخذت تستغل طاقات الناس وتحركهم ٠ وأصبح الجميع مشغولين ٠ وكانت الصورة اليومية لحياة المخيم تعطي طابع عمل مكثف ٠ ففي كل يوم ـ اثنـــاء الليل والنهار ـ كانت تجري لقاءات واجتماعات وحلقات تنظيمية وندوات جمـــاهيرية ، وتدريبات ، ومناقشات وتوزيع مهمات ، وتحميل مسؤوليات ٠ وتحققت الرغبـة الجماهيرية الفلسطينية منذ النكبة بالعمل من اجل تحرير فلسطين٠ واصبح النضال والمهام النضالية محورالحياة اليومية الفلسطينية في المخيمات ٠

٢ ـ **التأثير على العلاقات داخل المخيم** : كانت الثورة ثورة شباب ٠ وقـــد أدى ذلك الى ظهور قيادات جديدة في المخيم الفلسطيني ، قيادات شابـة ونشيطـة وعنيفـــة ، وقادرة على العمل والانجاز ٠ وقد تجاوزت هذه القيادات الشابة القيادات التقليدية المتقدمة في السن ٠ واصبحنا نرى كهولا وكبارا ، اجدادا وآباء ، يجلسون في حلقات او في ندوات جماهيرية يستمعون بشغف واهتمـــام وتركيز الى ما يقوله الشبان ، الاحفاد والابناء ٠ واصبح التواجد في هذه النـدوات اوسع من ذي قبل وفيه مشاركة اكبر من قبل الجماهير ٠

واهتز البنيان الاجتماعي التقليدي ، وتمكن الشبان من التحرر ، وامتلكوا الى حد كبير حرية التصرف والحركة وتصريف الامور ٠ واصبح لهم دور مستقل فعال ٠

كما ان الثورة قد اضعفت العلاقات العشائرية داخل المخيم٠ وقد ضعفت العلاقات العشائرية من خلال أمور ثلاثة : **أولا** ، تطور الوضع داخل المخيمات من وضع مستقر الى وضع متحرك ، وتوجه الجميع من خلال هذا التحـــرك باتجاه تحرير فلسطين ٠ وحل التنظيم او الفصيل الفدائي مكـــان العشيرة او الحمولـــة ٠ واصبح الانتماء

لفلسطين ، من خلال التنظيم الفدائي ، يأتي أولا ٠ **ثانيا** ، استيعاب اعـداد لا بأس بها من الفلسطينيين الذين فروا من مذابـــح ايلول الاسود في الاردن ، مما اضاف الى الطابع القومي لمجتمع المخيم ٠ **ثالثا** ، القبول بالقيادات الفدائية التي جاءت من خارج المخيم ، من غزة والضفة الغربية اساسا ٠ وهذا أمر يحدث لاول مرة ٠ وقد كان قبول المخيم لهذه القيادات دليلا قوميا صحيا ، وذهب الى حد القبول بالفدائيين واستيعابهم في مجتمع المخيم من خلال تزويجهم بناتهم ٠ وهذا تغيير اساسي اذا علمنا أن الزواج كان يأخذ طابعا عشائريا بل عائليا محدودا قبل قدوم الثورة ٠ كان الزواج يتم داخل الحمولة نفسها أو داخل القرية نفسها ، وكان اعطاء بنت لـ « غريب » يعتبر مشكلة ٠ كل هذه كانت مؤشرات على ضعف الحس العشائري داخل مجتمع المخيم ٠

٣ ــ **خلق المؤسسات والاطر الجماعيـــة** : قبـــل الثورة لم تكن ، ولم يكن مسموحا بوجود أية مؤسسات وأطر جماعيــة تساعـد على صهر افراد المجتمع الواحد وخلق علاقات جديدة ومتينة فيما بينهم ٠ وقد رأت الثورة ان التنظيـم والعمل الجماعي هو السبيل الى صهر طاقات الشعب الفلسطيني في حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد، فبادرت الى خلق الاطر الجماعية وشجعت قيامها فنشأت الاتحادات الشعبية والنقابية المهنية والفئوية ٠ وأبرز هذه الاتحادات : العمـــال والطلاب والمعلمين والمرأة ٠ وقد لعبت هذه الاتحادات دورا في مجال عملهـا وان يكن هذا الدور قد اتخذ طابع العمل السياسي اساسا ، وأهمل تعميق طابع العمل النقابي لاسباب عديـدة ووجيهة ٠ ان تعميق عمل الاتحادات وتطويرها يحتاج الى جهود اكبر ووقت اطول ٠

أما الاطر الجماعية الاخرى ، والادنى مرتبـــة من الاتحادات الشعبية ، فكانت النوادي الرياضية والثقافية للشباب ٠ وبعض النوادي ما تزال في بداياتها ، ولكنها تتطور بشكل مرضٍ ــ النوادي الرياضية ــ وبعضها الآخر بحاجة الى اهتمام وجهود كبيرة ــ النوادي الثقافية ٠

٤ ــ **التأثير على البيئـة المحيطة بالمخيم** : قبـل الثورة ، كانت البيئة المحيطة بالمخيم اما معادية أو متسلطة ومسيطرة ، أو في احسن الحالات محايدة ٠ وكانت العلاقات بين المخيم والبيئة المحيطة علاقات تشوبها عقدة النقص من جانب المخيمات ، ويشوبها التعقيد والحذر ، واحيانا الخوف والعداء ٠ وقد ساعد على تعقيد هذه العلاقات كون اجهزة القمع والارهاب تنتمي الى البيئة المحيطة ٠ وبعد دخول الثورة للمخيم انقلبت هذه العلاقة رأسا على عقب ٠ زال الخـــوف وزال التسلط وزال الحذر وزالت عقدة النقص ٠ ومر المخيم بفترة عدائية قصيرة مع البيئـــة المحيطة ، ثم انفتح على البيئة المحيطة وأقام علاقات متينة معها في معظم الاماكن ٠ اصبـح المخيم بؤرة النضـــال العربي ضد الصهيونية وضد الاستعمار ٠ وأخذت البيئـة المحيطة تنظر بمنظار جديد كل الجدة الى المخيم والى جماهيره ٠ وتدفقت القـــوى التقدمية والثورية من البيئة العربية المحيطة الى المخيم لتكتسب خبـــرة نضالية وتشارك في المسؤولية القومية ــ التحرير ٠ ونشأت لاول مرة علاقات وأواصر نضالية متينـــة بين المخيم الفلسطيني والجماهير العربية المحيطـــة به ٠ وبالطبع انعكست هذه العلاقـــات النضالية على العلاقات الشخصية ٠ وقد تبين مدى متانة هذه العلاقات الجديدة حين قاتلت الجماهير العربية الى جانب الجماهير الفلسطينية حين تعرضت الثورة الفلسطينية للتصفية في اكثر من بلد عربي ٠ وقد آوت البيئة العربيـــة المحيطة جماهير المخيمات وأطعمتها وساندتها حين كانت تخلي المخيمات اتقـــاء للقصف الارضي والجوي ٠ ولكن علاقة المخيم بالبيئة العربية المحيطة ما تزال بحاجـــة الى تعميق وترسيخ والى توسيع في اطارها ومستوياتها ٠

٥ ـ **التأثير على وضع المرأة** : قبل الثورة كانت المرأة في المخيم حبيسة البيت ، وحبيسة التقاليد الشديدة · وعند دخول الثورة الى المخيم حدث قدر بسيط من تحرر المرأة استدعته مهمات النضال ، كدخول المرأة في التنظيم وفي الميليشيا · وقد كان لدى المرأة الفلسطينية الاستعداد التام للتحرر وللمشاركة في الثورة بشكل تام كما ظهر من دراسة حول وضع المرأة الفلسطينية اجراها المؤلف في العام ١٩٧١ وظهرت في « شؤون فلسطينية » عدد ٦ · فقد قالت ٩٧،٦٪ من نساء العينة التي شملتها الدراسة ان للمرأة دورا في الثورة ، وقالت ٨١،٦٪ منهن ان على المرأة ان تقاتل في صفوف الثورة ، وقالت ٦٠،١٪ منهن ان على المرأة ان تقوم بكل المهام التي يقوم بها الرجال في الثورة · ولكن حين نظرنا الى نسبة اللواتي شاركن في الثورة منهن فعلا وجدناها ٣٤،٤٪ فقط ، بينما وجدنا ان ٦٥،٦٪ منهن لم يكن لهن أي دور في الثورة · كما ان المشاركة لمعظم اللواتي شاركن كانت موسمية أو متقطعة (جمع تبرعات ، توزيع بيانات ، بيع بطاقات الخ) · وعند سؤالين عن سبب التناقض بين الرغبة والممارسة ، وجدنا ان ٥٠،٩٪ منهن لم يشاركن نظرا لانشغالهن بالامور المنزلية وتربية الاولاد · وان ١٤،٦٪ منهن لم يشاركن نظرا لممانعة الاهل · كما ان هؤلاء النساء قلن انهن يرغبن رغبة شديدة في التحرر الاجتماعي ، لكن الخوف من المجتمع ـ من اهلهن ومن كلام الناس ـ يمنعهن عن ذلك · يمكن الاستنتاج اذن بأن المرأة كانت ـ وما زالت ـ مستعدة للتحرر والمشاركة ولكنها بحاجة الى من يدعم عملية تحررها ويقف وراءها · والثورة كانت الجهة المؤهلة لذلك · ولكن الثورة لم تلتفت جديا الى مسألة تحرير المرأة وتثويرها · وبالتالي ما لبث ان تغلب الوضع التقليدي للمرأة ، فانكفأت الى داخل المنزل وخفّت مشاركتها كثيرا في التنظيم وفي الميليشيا بشكل عام · والمهمة الاساسية الملقاة الآن على عاتق اتحاد المرأة الفلسطينية هي تثوير المرأة وتوعيتها وانشاء قاعدة جماهيرية نسائية واعية وقادرة على المشاركة في اعباء النضال · وقد بدأ الاتحاد باقامة حلقات تثقيفية وبرامج محو أمية ومشاريع أخرى مماثلة ولكن الطريق ما تزال طويلة وشاقة · كما ان أي عمل لاتحاد المرأة بدون تجاوب الرجل ومساهمته لن يؤدي الى أي تغيير في وضع المرأة الفلسطينية ·

٦ ـ **التأثير على التربية والتعليم** : قبل الثورة لم يكن هناك اي تعليم وطني فلسطيني ولم يكن هناك أي توجيه تربوي ثوري للطالب الفلسطيني · فالتعليم كان ـ وما يزال ـ مسؤولية الاونرا · وبعد ظهور الثورة في المخيمات قامت الجماهير الفلسطينية باضرابات ومسيرات ضد الاونروا وسياستها التعليمية ، وطالبت باتباع سياسة تعليم وطنية ، وخاصة تدريس تاريخ وجغرافية فلسطين في مدارس الاونروا · وقد أدى النضال الجماهيري الى تخصيص ساعتين في الاسبوع لدراسة تاريخ وجغرافية فلسطين · ولكن هذا لا يكفي ·

ولم تلتفت الثورة الى مسألة خلق تربية وطنية فلسطينية متكاملة وثورية ، الا مؤخرا من خلال تجربة مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي انشأ في العام ١٩٧١ قسما للتخطيط التربوي ، ومن خلال تجارب تربوية غير ناجحة للتنظيمات الفدائية · وكان مفروضا ان تكون معسكرات الاشبال مراكز للتربية الثورية المتكاملة ، ولكنها ليست كذلك اذ اقتصرت على البعد العسكري · ويمكن القول اننا ما زلنا بعيدين مسافة طويلة جدا عن تحقيق هدف التربية الوطنية والثورية الفلسطينية · ولا بد من التنويه بالمبادرات الفردية لبعض معلمي الاونروا الملتزمين بالتثقيف الوطني والثوري للطلاب ، ولكنها تبقى محدودة لانها ذات طابع فردي ·

يمكن القول اذن ان الثورة كانت مقصرة تقصيرا كبيرا في ايجاد تربية وطنية

وثورية في المخيمات وانها لم توجه العناية الكافية ولـم تحرك الجهد البشري اللازم لهذا العمل · كما ان مقدارا كبيرا من اللوم يقع على عـاتق المعلم الفلسطيني في هذا المضمار · واكبر مثال على تقصير الثورة تجـاه التربية هي مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب(وهي مدرسة لابناء الشهداء)التي يفترض ان تكون مدرسة نموذجية تربويا وثوريا ــ خاصةوان تلامذتها ابناء شهداء وبعضهم عاش مذابح ايلولوبعضهم شاهد آباءهم أو عائلاتهم تقتل ، وبينهم عدد مـن الاشبال ــ ولكنها للاسف الشديد غير نموذجية وغير تربوية وغير ثورية · وبما ان العملية التربوية تحتـاج الى وقت طويل والى جهود جماعية منتظمة ودائمة ، فالمجال ما زال امامنـا لتحقيق مثل هذه التربية في ظل الثورة وفي ظل الصراع الطويل والمرير مع العدو ·

ولكي نكون منصفين نقول انه كانت هناك بعض الجوانب السلبية في مجال التربية والتعليم نتجت عن ظهور الثورة في المخيم · ومن هـذه الجوانب زيادة نسبة تسرّب الطلاب من المدارس في سنمبكرة ، وزيادة نسبة غيابات المعلمين واهمالهم فيتحضير الدروس بحجة اعطاء وقتهم للعمل التنظيمي · ولكن من الممكن تلافي هذه السلبيات بسهولة اذا تدخلت الثورة بشكل مباشر وقوي في التوجيه والاشراف عـلى عمليـة التربية والتعليم الفلسطينية ·

٧ ــ **التأثير عـلى الاولاد** : أهم تأثير للثورة على الاولاد (سن ٥ ــ ١٤) هـي انهـا رسمت لهم طريقا ــ طريق النضال لتحرير فلسطين ــ وجعلت لهـم رمزا ــ الفدائي ــ واسلوبا لتحقيق اهداف شعبهمـ العمل الفدائي · لقد غرست الثورة، بمجرد تواجدها في المخيمات ، العمل الفدائي وبداية قيم جديدة ونظـرات جديدة الى الحياة في نفس كل طفل في المخيم الفلسطيني · واعطت الثورة للطفل أو الولـد الفلسطيني ثقة عالية في النفس يلمسها كل من يحتك بالاولاد الفلسطينيين ، ونظرة مشرقة الى المستقبل ، لم تكونا موجودتين في مرحـلة ما قبـل الثورة · واعطت الثـورة للولد الفلسطيني الاغنية الشعبية والثورية الفلسطينية التي كانت مختفية من حياته في مرحلة ما قبل الثورة · واصبحت تتردد على شفاه كـل طفل في كل مخيماتنـا « يا فدائي خذني لاحارب » و « احنا جنـود العاصفة » و « نعيدك يا فلسطين من الميـة الى المية » و « فلسطين لا تحزني عند شباب العاصفة » و « انا صامد » الخ · ولكن كما قلنا اثناء بحث مسألة التربية ، على الثورة ان تفعـل الكثير ، وبشكل برامج وظواهر أخرى ملموسة ، للطفل الفلسطيني لكي تنمي هذه التربية الخصبة التي احدثها تواجدها في المخيم ·

٨ ــ **التأثير على القيم والمفاهيم الاجتماعيـة** : كان تأثير الثورة عـلى القيم والمفاهيم الاجتماعية ضئيلا او حتى غير ملموس · فلم تجر أية محـاولة منظمة وموجهة نحو غرس مفاهيم وقيم اجتماعية جديدة · لكن طبيعة الانتقالة وطبيعة التحرك الجماهيري أوجدت بعض القيم الجديدة التي ما زالت بحاجـة الى المزيد من الترسيخ والتعميق · وأهم هذه القيم قيمة العمل الجماعي وأهميته ، وقيمة العمل للوطن قبل العمل للذات، والتضحية من اجل الآخرين · وقـد أثرت الثورة أيضا على التصرفـات المنحرفة للشباب ، وأوجدت بدلا منها انماط تصرف بناءة · من الامثلة على ذلـك منع القمار واللعب بمكنات التسلية ، وطرح نمط قضاء الوقـت في المجال الرياضي أو في العمل الجماهيري ·

لكن يمكن التأكيد مرة أخرى ان الثورة ظلت بعيدة عـن مسرح التغيير الاجتماعي المقصود ، كمـا حدث في ظـل الثـورة الكوبيـة او الجزائريـة · وهناك سببان رئيسيان لابتعاد الثورة عن مسرح التغيير الاجتماعي المقصود · وهذان السببان هما

فقدان الارض (وجود الثورة في ارض ليست ارضهـا ولا سلطة لها عليها) ، ونظرة الثورة الى مهمتها الرئيسية على انها مهمـــة سياسية ـ التحرير ـ وبالتالي توجيه كافة الطاقات نحو النضال المسلح وبناء التنظيـم السياسي · وبالاضافة ، كان هناك شعور عند كوادر الثورة الفلسطينية بان طرق باب التغيير الاجتماعي سيفتح ابوابا ويثير مسائل لا قبل للثورة بكوادرها الحالية على مواجهتها وتحمل اعبائها · ويظهر هذا التردد حتى عند ضباط الكفاح المسلح المضطلع بمسؤولية المخيمات ·

يمكن الاستنتاج أخيرا بأن تأثير الثورة على المخيـــم الفلسطيني كان عميقا في المجالين النفسي والسياسي ، وكان ضعيفا في المجـــال الاجتماعي · ولكن التغيير الاجتماعي بطبيعته يحتاج الى الكثير من التفاعل مع الظواهر الجديدة ، والى الكثير من الجهود الجديدة المتعمدة والهادفة نحو التغيير ·

لقد ردت الحياة الى المخيم الفلسطيني فيظل الثورة ولكن المحافظةعلى دورةالحياة هذه وتطويرها ما يزال بحاجة الى جهود ضخمة ، والى المزيد من العمل الجماهيري الثوري · كما أن هذه التجربة الضخمة بحاجـــة الى صهر وترسيخ من اجل اهداف الثورة التي هي أهداف الجماهير · وعلى الثورة ان تفرز المزيد من الكوادر السياسية وان تساعد على بروز العديد من الكوادر الجمـــاهيرية في المخيمات لتعميق الخط الثوري ولايجاد تغير نوعي في المفاهيم والتقاليد والقيم السائدة ·

الاشبال ... وعبور الحلم الفلسطيني

علي زين العابدين الحسيني

في عام ١٩٦٤ ، وخلال انعقاد مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في غزة ، وقف صحفي أمريكي يشاهد طلاب المدرسة الاعدادية في معسكر الشاطىء ، وهم ينشدون امام علم فلسطين نشيد « عائدون » . وعندما ترجمت له كلمات النشيد أبدى دهشته لان هؤلاء الاطفال الذين ينشدون قد ولدوا في مخيم الشاطىء ، « فلأين ولماذا يعودون اذن ؟ » ويومها اصر ذلك الصحفي على توجيه سؤال للتلاميذ الصغار في احد الفصول: « عائدون لماذا ولأين ؟ ».

ووقف احد هؤلاء الصغار يحاول الاجابة على هذا النحو : « قل له اننا نريد ان نعود لكي .... » وتوقفت الكلمات — بدون تلعثم — في حلق الصغير :

ومرة اخرى يبدأ الصغير : « قل له اننا نريد ان نعود لكي .... »

ويرتعش الصوت ، فيتوقف الصغير ، ويبدو اصراره على الاجابة فيعود بصوت يغص بالبكاء : « قل للامريكي اننا نريد ان نعود لكي ... » و.. ينفجر الصبي الصغير في بكاء حار يهتز معه جسده النحيل فيتحول الصمت — الذي ران لحظة على الفصل — الى مظاهرة تضج ببكاء الصغار .

— « انها اجابة دقيقة عن الوطن » .

لم يقدّر لهؤلاء الصغار رؤية الوطن ، ومع ذلك كانوا يحسونه ويعرفونه ، يحفظونه عن ظهر قلب . الاطفال الذين نزحوا مع ذويهم عام ١٩٤٨ احتفظوا بحشد عظيم من الحقائق والتفاصيل عن الوطن شكلت في خيالهم خريطة الوطن .

اما هؤلاء الذين ولدوا في الشتات فقد عرفوا الوطن من خلال عملية السرد الليلي واليومي التي كان الاباء والامهات والمسنون يحرصون على القيام بها ، كما لو كانوا يقدمون لصغارهم « كشف اعتذار » عن الحياة المريرة التي يعيشونها ، وعن الوضع المذل لواقعهم . وليحفروا في ذاكرة الصغار صورة ذلك الوطن الذي لا يشبه المخيمات. ويمتلىء بالرموز والتفاصيل الريفية والجبلية والمدنية والبطولات والاعراس ، حتى صار لدى كل طفل فلسطيني « فلسطينه الخاصة » التي يحلم بها : « كان لنا بيارة كبيرة » ، « كان بيتنا واسعا اكبر من هذه الغرفة بعشرين مرة » ، « كـانت كلمتي مسموعة في البلد » ، « لم يقصدني احد في حاجة الا وقضيتها له » .

كان الطفل يصغي ، ويحلم بفلسطين « جميلة ، مليئة بالاشجار ، بدون اكواخ بيوتها واسعة ، واسعة . الكل يأخذ من الكل ، بلا طوابير تموين وبلا شوارع ضيقة ، ورائحتها مثل رائحة الياسمين وازهار اللوز والبرتقال » . وهكذا اصبح حضور فلسطين في وجدان الصغير حضورا عاطفيا ، ورومانسيا ، ومأساويا في الوقت ذاته.

لقد كانت تلك الحكايات عن الوطن تنعش نفسية الطفل الفلسطيني وترطب واقعه

الجاف المرير ، وكان في مقدوره عندما يستغرقه الحلم الفلسطيني ان يستبدل المخيم بالقرية التي يعرفها جيداً .

ـــ متى نعود ؟ كان هذا هو الحلم الليلي اليومي الذي حمله هؤلاء الصغار ـــ صغار النزوح الاول . ونما معهم عبر السنوات المرة في مناقع الالم ، وكلما ارتحلوا من بلد الى آخر بحثا عن لقمة العيش . هؤلاء الصغار هم الذين تدرّ لهم ان يصيروا ثوار عــام ١٩٦٥ .

الفدائي .. والطفل الفلسطيني

ان الحرب (الانتصار او الهزيمة) تخلق وضعا نفسيا خاصا للجماهير الواقعة في دائرتها . لقد تجلى هذا الوضع بوضوح اثر هزيمة جزيران ١٩٦٧ ، لقد أحــدث الانكسار العسكري انكسارا نفسيا انعكس بحدة على الصغار . وكانت هــذه المحنة تمس الطفل الفلسطيني بشكل مباشر ، فقد ارغم الاف الاطفال ـــ مع ذويهم ـــ على النزوح من ارض الوطن خلال وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، ولقد عاش هؤلاء تجربــة مريرة ومذهلة وغير قابلة للتصديق بالنسبة اليهم : فجأة يجدون انفسهم هاربين في اتجاه الشرق ، تلاحقهم طائرات مفزعة من فوق وجنود متوحشون في دبابات مخيفة ، فيتدافعون في ذعر يعبرون نهر الاردن على حطام جسر داميا وسط صيحات الهلــع والحــزن والبكاء . وعلى امتداد الضفة الاخرى من النهر يبحث الكبار عــن مكــان « يستقرون » فيه ، الكثير منهم يتجه صوب « مخيم الكرامة » . وهنــاك يكتشف الصغار ان بينهم فدائيين .

لقد عثروا على المعادل الذي ينتشلهم من وضعهم النفسي الاليم وحــالة عــدم التصديق . « فالفدائي هو البديل عن الجانب المهزوم من الحرب المشتعلة يوميا ، وهو ليس غريبا عنهم ، فهو ابن المخيم ... وهم يعرفونه ، اذ هو يأتي بين الحين والاخر الى المخيم وعلى كتفه سلاحه السحري سريع الطلقات ، ولا بد ان تتاح لهم الفرصة كي يسمعوا منه عن حياة الفدائيين وقتالهم .. »(١).

لقد استجدت مظاهر حياتية جديدة في بيوتهم ، وصارت لديــهم حكايــات مثيرة وبلاغات عسكرية ، واناشيد ثورة ، وفدائيون يعتمرون الكوفيات ويتوغلون في ارض الوطن . والهبت شخصية الفدائي خيال ووجدان الاطفال الفلسطينيين في مخيمــات النزوح الثاني . لقد ظهر الفدائي علنا . وكانوا يتأملون هذا البطل بمزيج من الحب والتهيب والغموض والتقدير . ثم صاروا يتحلقون من حوله ، يطلبون منه أن يروي لهم ويعلمهم كيف يقاتل الاعداء . لقد صار الفدائي هو « المثل الاعلى » لــدى هؤلاء الصغار . لم يعودوا يطمحون في أن يصيروا اطباء او مهندسين . انهم يريدون أن يصيروا فدائيين .

في تسجيل اذاعي (اجراه مراسل اذاعة العاصفة) مع اسرة الشهيد رشاد دياب (أبو الثلاث) علقت شقيقته الصغيرة (١٢ سنة) على استشــهاده بقولها : « انني احسد امي لان لها ابنا استشهد »(٢).

لقد اصبح للموت مفهوم جديد لديهم . ففي دراسة عن جيل النصر(٣) وجه الباحث التربوي باسم سرحان هذا السؤال الى عينة من الاطفال : « كيف تشعر عندما تسمع بموت فدائي ؟ » اجاب ٢٦ ٪ منهم بانهم يشعرون بالفرح « لانــه مات من اجــل فلسطين » .

مؤسسة الاشبال والفتوة(٤)

بقدر ما كانت الثورة الفلسطينية تطمح بأن تعد الجيل الفلسطيني للقيـام بدوره المستقبلي المسؤول في حرب الشعب طويلة الامد ، بقدر ما كان الاطفال الفلسطينيون مندفعين من تلقاء أنفسهم ـــ بتأثيرات الواقع ـــ للمشاركة في الثورة ولفرض ضرورة هذه المشاركة فرضا على الثورة .

يقول الاخ صخر ، احد الذين عايشوا بدايات تجربة معسكرات الاشبال وكان فيما بعد المسؤول التنفيذي في مؤسسة الاشبال ، وامين سر مجلسها الاعلى(٥): « بعد انطلاقة الثورة عام ١٩٦٥ ، كانت لدينا افكار حول ضرورة اقامة معسكرات تجمـع فيها اكبر عدد ممكن من أبناء الثورة الملتزمين وكان رائد الفكرة الشهيد منير شديد ، وكانت الفكرة تميل الى انتزاع الطفل الفلسطيني (١٤ سنة) من واقعه ، وتربيته تربية عسكرية محضة وفي اطار مبادىء الحركة (فتح) . غير أن هذه الفكرة لم تنفذ . وبعد عام ١٩٦٧ ، نزحت اعداد كبيرة من الفلسطينيين من الارض المحتلة ، فارتفع عدد سكان مخيم الكرامة الذي كان مركز التجمع الفدائي لنا حينذاك من ٤٠ الفا الى حوالي ١٤٠ الفـا . وبسبب التواجد تولدت علاقات مباشرة بين الفدائيين والجماهـير . ولاحظنا ان الاطفال الذين يتجمعون حول الفدائي يطلبون منه بالحاح ان يدربهم . لقد استرعت هذه الظاهرة اهتمام الاخ صلاح التعمري المفوض السياسي لقوات العاصفة في الكرامة ، فابتدأ في تشكيل النواة الاولى للاشبال بتدريبـهم في العراء دون اقامة معسكرات خاصة بهم (لاعتبارات السرية في تلك الفترة) ».

بعد معركة الكرامة ، أصبح التواجد الفدائي العلني حقيقة واقعة ، فاقامت الحركة اول معسكر (علني) للاشبال في البقعة في شهر حزيران ١٩٦٨ . ورافقت اقامة هذا المعسكر حملة اعلامية ضخمة عن عمليات الثورة فاحتل معسكر اشبال البقعة اهتماما خاصا في الاعلام العربي والعالمي . وفي غضون الاشهر القليلة التالية اقيمت عـدة معسكرات للاشبال في مختلف انحاء الاردن .

ـــ هل أعددتم برنامجا تدريبيا خاصا بمعسكرات الاشبال ؟

يجيب الاخ صخر : لقد شعرنا بضرورة اعداد برنامج متكامل لمعسكرات الاشبال ، كان علينا ان نجيب عمليا على هذا السؤال : « كيف نعد جيلا قادرا ومسؤولا يكون هو جيل النصر في حربنا الطويلة الامد » . وكان علينا ان نشكل لجنة من الخبراء الثوريين لمثل هذه المهمة ، وفي اوائل العام ١٩٦٩ اعلن بالفعل عن تشكيل المجلـس الاعلى لمؤسسة الاشبال والفتوة .

ـــ كيف كان التصور العام للبرامج في هذه المعسكرات ؟

وضعنا نظاما أساسيا لمفهوم فلسفة تربية الشبل الفلسطيني(٦)، أكد على ان معسكر الاشبال هو المكمل الثوري الذي يبلور شخصية الطفل الفلسطيني . ولم يكن المعسكر بديلا عن المدرسة ، ولا عن حنان البيت . ولهذا كانت معسكرات الاشبال تتوافر فيها جميع انواع الرعايات غير المتوافرة في المدرسة وفي بيئة المخيم . ولهذا وجدنا من الضروري اقامة علاقات مباشرة مع المدارس ، ومع اسر الاشبال لحـل المشاكل التعليمية والتربوية والاجتماعية للاشبال . فنشكل « مجلس المعلمين » و« مجلس الآباء » واستعنا بخبراء في علم التربية والاجتماع لاعداد كوادر المعسكرات التي تم فرزها من تنظيم الحركة .

ـــ مراحل اعداد المعسكر :

« نبدأ اولا باعداد الكادر المسؤول ، يتولى الكادر مهمة اختيار المكان ويشرع على الفور باقامة المعسكر ، وكنا نحرص على ان يشارك « الاشبال » في بنـــاء واعداد المعسكر لتعميق الاحساس لديهم بالانتماء الى « معسكرهم » . ولا شك اننا واجهنا ظروفا صعبة لكننا استطعنا ان نقيم اربعة عشر معسكرا للاشبال في مختلف انحـــاء الاردن (بخلاف معسكرات الاشبال التي اقامتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) ».

يبقى السؤال : **الى أي مدى حققت تجربة الاشبال في الاردن أهدافها ؟ :**

يجيب صخر : « التجربة لم تقتصر على الاردن ، فقد اقيمت ـــ فيمـــا بعد ـــ معسكرات اشبال في سوريا ، ثم في لبنان . وكانت المؤسسة هي الجهاز المركزي المسؤول عن جميع معسكرات الاشبال مع الاخذ في الاعتبار الاوضاع الخاصة بكل اقليم . أما عن تقييم التجربة ، فهي لم تأخذ مداها الزمني اللازم حتى يمكن تقييمهـــا التقييم الدقيق والموضوعي . لقد بدانا عمليا في النصف الثاني من العام ١٩٦٩ ، وكانت الشهور الستة الاولى عبارة عن استعدادات . ثم نشطنا في النصف الاول من العام ١٩٧٠ لتنفيذ البرامج المعدة ، لتجيء أحداث ايلول ١٩٧٠ ولتقصف مدفعية الملـــك معسكرات الاشبال مما أدى الى استشهاد الكثيرين . اما الباقون فقد التحق معظمهم بالقواعد حيث اثبتوا كفاءة قتالية عالية . **ان أبطال عملية يفتـــاح الانتحاريـــة والتي نفذت في ١٩٧٤/١١/٣ هم من أشبال معسكرات ٦٩/١٩٧٠ ».**

ولقد احدثت رعاية الاشبال تغييرات نفسية وعضوية وروحية في الطفل الفلسطيني، وانعكست ـــ هذه ـــ على سلوكه الحياتي والاجتماعي ضمن اطار البيئة التي يعيش فيها ويتعامل معها . ففي المدرسة بدا التغيير واضحا على « الاشبال » . كـــانوا يحاولون ان يحصلوا على أعلى الدرجات ، وكانوا المثل العليا في الانضباط ، واحترام المدرسين . وكانت علاقة « مجلس المعلمين » بكادر المعسكر توفر جوا ملائما لتطور هذا السلوك باطراد : الاشبال المتفوقون يحصلون على « تكريم » خاص في معسكر الاشبال ، اما الاشبال المقصرون في الدراسة فقد كان كادر المعسكر يوفر لهم بالاتفاق والتعاون مع « مجلس المعلمين » مدرسين لاعطائهم دروسا خصوصية لتقويتهم وهكذا غابت عن الفصل المشاكسات والمشاغبات التقليدية ، لقد كان هؤلاء الاشبال يمثلون الثورة امام بقية التلاميذ وامام المدرسين أنفسهم ، ومن هنا حرصوا على ان يحافظوا ـــ ما أمكن ـــ على سلوكهم ومظهرهم كي يكونوا قدوة ثورية للجميع .

والشيء نفسه حدث على سلوكهم الاجتماعي في المخيم ، ومع افراد الاسرة ، لقـــد خلق فيهم المعسكر روح التعاون ، والمبادىء الاخلاقية الصحيحة ، وغرس فيهم روح التضحية والقيام بالواجب تجاه الاخرين . لقد كان قائد المعسكر بمثابة القدوة الثورية التي شغف بها هؤلاء الاشبال ، ولقد ادركوا ان اي اخلال بالمبادىء الاخلاقية يعني انحرافهم عن السلوك الثوري. وهكذا اصبحوا يحملون مشاكلهم الاسرية والاجتماعية الى قائد المعسكر ليساعد في حلها ، وبتعاون كادر المعسكر مع « مجلس الآباء » تم حل مشاكل وهموم هؤلاء الاشبال بل واكثر من ذلك لقد اقنع كادر المعسكر اباء هؤلاء الاشـــــبال ان عليهم بدورهم ان يغـــيروا من سلوكهم التقليدي لهـــؤلاء الـــثوار الصغار . ولقد ادى هذا كله الى نشوء علاقة حميمة وواعية بين معسكر الاشبال والبيئة الجماهيرية المحيطة به .

معسكر الاشبال المغلق : هذه تجربة اخرى لمعسكرات الاشبال . فالمعسكر المغلق يقتصر على أشبال يتجاوز عمرهم الثانية عشرة (١٢ ـــ ١٦) . ومن المتفرغين لدورة

المعسكر التي تستمر عادة ستة شهور . ويعد أشبال هذا المعسكر اعدادا خاصا يؤهلهم للالتحاق فورا بالقواعد او للقيام بمهام نضالية خاصة .

يقول الاخ عبد السلام مسؤول المعسكر(٧): « كانت لدينا لائحة داخلية وبرنامج عمل للتربية العسكرية ، والكشفية ، والصحية ، والرياضية ، وللتعبئة السياسية ، وكانت هذه البرامج تقدم للاشبال بأسلوب يحقق هدفنا (أعداد مقاتلين ثوار لحرب الشعب) .

— برنامج يوم كامل في المعسكر المغلق :

* ٤ صباحا استيقاظ
* ٤،٣٠ — ٧ صباحا مسيرة وسباحة واعداد بدني.
* ٧ — ٨ صباحا افطار وراحة .
* ٨ — ٦ صباحا تدريب عسكري (طوابير) .
* ٩ — ١٠ صباحا حواجز ، أختبار جرأة ، توازن .
* ١٠ — ١١ صباحا تدريب عسكري .
* ١١ — ١٢ ظهرا مهارات عامة .
* ١٢ — ٢ بعد الظهر غداء وراحة .
* ٢ — ٤ بعد الظهر نشاط حر (حفر خنادق ، استكمال تدريبات ، كرة طائرة ، كرة القدم ...).
* ٤ — ٥ مساء مهارات كشفية ، تربية صحية ...
* ٥ — ٧ مساء عشاء .
* ٧ — ١٠ مساء توعية سياسية ، مطالعات ، حفلات سمر ، اناشيد ثورية ،

— يتم تنظيم رحلات جماعية منظمة الى القواعد .

— لا خروج من المعسكر لزيارة الاهل خلال الدورة وممنوع زيارة الاشبال .

تقييم خاص لقائد المعسكر المغلق(٨): « لقد التحق معظم هؤلاء الاشبال بالقواعد . كلف البعض خلال احداث ايلول وجرش وعجلون (٧٠ — ١٩٧١) بمهام نضالية اثبتوا فيها قدرة قتالية متفوقة . أما الذين اعتقلتهم السلطات الاردنية فقد تحملوا عمليات التعذيب بجلد شجاع غير عادي ورفضوا — حتى الموت — البوح باسرار المعسكر وكان الحفاظ على السلاح من الامور المقدسة لديهم » .

معسكرات الاشبال بعد ايلول ١٩٧٠

لقد كانت معسكرات الاشبال « التي تعد جيل النصر » هدفا للقصف المدفعي الملكي ابان احداث ومجازر أيلول عام ١٩٧٠ . واستشهد عدد كبير من الاشبال ، ودافع الاشبال ببسالة عن معسكراتهم وعن ثورتهم . لقد تصدوا لمهام نضالية صعبة ومع ذلك كانوا أبطالا كبار . وبعد ايلول انضم عدد من اشبال جبال عمان الى قواعد الفدائيين في جرش وعجلون وقاتلوا جنبا الى جنب مع اخوتهم المقاتلين .

ماذا عن معسكرات الاشبال بعد الخروج من الاردن ؟ يجيب الاخ صخر : لدينا ثلاثة معسكرات في سوريا وخمسة في لبنان. اننا نعد الآن دراسة تحليلية شاملة عن تجربتنا في الاردن . هناك تجربة جديدة قمنا بها في صيف العام ١٩٧٤ في سوريا. لقد اسميناها « دورة الشهيد عز الدين القسام » وهي الدورة الاولى لمعسكرات الاشبال الصيفية .

يقول د. محجوب عمر(٩) عن هذه الدورة : « انها دورة تجريبية لا بد من الاستفادة من كل ما لازمها من صعوبات أو مشاكل أو انجازات حتى يمكن تطوير هذه المعسكرات في المستقبل . لقد اشترك في المعسكر ٣٦٠ شبلا و١٤ زهرة ، وتراوحت أعمارهم من

ثمان سنوات حتى ستة عشر عاما وذلك على الرغم مما نصت عليه بيانات الدعوة للاشتراك في المعسكر من التحديد الادنى للعمر باثني عشر عاما والاعلى بخمسة عشر عاما . لقد ضم هذا المعسكر اشبالا قدموا من السعودية ولبنان وسوريا والكويت وقطر . من بينهم ٣٩ ولدوا في غزة و٢٤ في الضفة الغربية و١٩ في الضفة الشرقية ، و٢١ في السعودية ، و٧٦ في لبنان و١٧٩ في سوريا و٩٢ في بلاد أخرى .

لقد وضعنا لهذه الدورة الصيفية ــ ٤ اسابيع ــ برنامجا خاصا لتثقيف وتربية الجيل الجديد وتعميق انتمائه الوطني الفلسطيني والقومي العربي ولتعويده على السلاح والخشونة وحياة المعسكرات والقواعد ، ولتنمية روح الابداع والمبادرة لديه وتقوية روح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي .

وقد تم تقسيم الاشبال الى ٤ مجموعات : مجموعات شبيبة (١٣ ــ ١٦ سنة) ، مجموعات أشبال (١٠ ــ ١٣ سنة) ، مجموعات اشبال من ٨ ــ ١٠ سنوات ، ومجموعات زهرات من ٨ ــ ١٠ سنوات .

ولقد حددت اللجنة العليا للمعسكر البرنامج اليومي للدورة كالتالي :

* من ٧ ــ ٩ صباحا قيام ، وتحية علم ، وافطار .
* من ٩ ــ ١٢ صباحا تدريب على الاسلحة الخفيفة .
* من ١٢ ــ ١ بعد الظهر عمل جماعي داخل المعسكر .
* من ١ ــ ٤ بعد الظهر غداء ، وراحة ، ونشاطات حرة .
* من ٤ ــ ٦ مساء نشاطات حرة ، وتدريبات خاصة .
* من ٦ ــ ٧،٣٠ مساء توجيه وثقافة .
* من ٧،٣٠ ــ ٨،٣٠ مساء عشاء .
* من ٨،٣٠ ــ ٩،٣٠ سينما .

شهادات الاشبال

الشبل صلاح(١٠) (العمر ١٤ عاما) : « ولدت في مخيم عقبة جبر ، أخي الاكبر ولد في دير ابان ، لا أعرف دير ابان لكنني أعرف أن فيها سهولا وجبالا واشجارا وبيوتا . أكملت الثاني الاعدادي . التحقت بمعسكر الاشبال منذ اليوم الاول الذي افتتح فيه . كنا في البداية ندرس في المدرسة وبعد ذلك نلعب في الشارع ، والان نتعلم في المعسكر الذي يعد جيل النصر . قبل الثورة كانت كرامة الشعب الفلسطيني (ضايعة) والان (في السماء) » .

الزهرة عبيده(١١) (العمر ١٣ عاما) : « تعرفت على فتح عن طريق شقيقي المقاتل في العاصفة وعن طريق والدتي . والدي لبناني وأمي جزائرية . أول مرة رأيت فيها الكلاشنكوف قبل أكثر من عامين ، كنت أسير في السوق ورأيت فدائيا يحمل سلاحا ، كانت أول مرة أرى فيها هذا السلاح . كنت أريد أن أسأل الفدائي عن سلاحه لكنه كان يسير بسرعة . ورأيت ولدا في الشارع فقال لي انه كلاشنكوف . الآن أستطيع أن أستعمل الكلاشنكوف . طريق تحرير فلسطين طويل وحربنا شعبية طويلة الأمد » .

الشبل ابو الرائد(١٢) : (العمر ١٣ عاما) : « دخلت معسكر الاشبال يوم افتتاحه . ولدت في « دير دبوان » قضاء رام الله . كان اسمي ثائر وسمعت قصة عن بطولة ابو الرائد فغيرت اسمي . كل الاشبال ثوار . الثورة الجزائرية استمرت خمسة عشر عاما حتى تحررت الجزائر . . . ثورتنا طويلة الأمد » .

الشبل أبو الفتوح(١٣) (العمر ١٤ عاما) : « أنا من مواليد بيت سوريك قضاء القدس وفي

الصف الاول ثانوي . دخلت معسكر الاشبال منذ تأسيسه قبل عام ونصف . هناك تدريبات عسكرية وتثقيف سياسي وحراسة معسكر ولنا علاقات مع الناس . الذي يستشهد يكون قد قام بواجبه والذي يبقى يستمر في حمل الرسالة ولا يمكن لاية قوة أن تقضي على شعبنا . مهما طال الزمن شعبنا سيستمر في الثورة حتى النصر » .

الشبل ابو كفاح(١٤) (العمر ١٣ عاما) : « نزحت اسرتي من الرملة الى القدس حيث ولدت فيها . أخي فدائي اعتقلته السلطات الاسرائيلية وحكمت عليه عشرين عاما . التحق خالي بالفدائيين بالقواعد . التحقت بمعسكر البقعة في الاردن في منتصف عام ١٩٦٨ بعد معركة الكرامة بأربعة أشهر . غادرت القدس كي التحق بالعمل الفدائي . قبل ذلك كنت أحب أن أصير مدرسا . بعد معركة الكرامة تمنيت أن أصير فدائيا . وبعد أن ازدادت العمليات الفدائية في القدس صممت على الالتحاق بالعمل الفدائي . أحببت مسؤول المعسكر بسبب معاملته الاخوية لنا (كان كثيرا ما يعد لنا الشاي بنفسه) . أحب الثائر الشهيد « ابو علي اياد » . . . كان قائدا عادلا » .

وبعد ، فان ما سبق قد يعطي ملامح عن هذه التجربة الطليعية للثورة الفلسطينية ، لكنه لا يقدم تقييما شاملا دقيقا عن ما تحقق وما يتحقق منها . ان تقييم كل التجربة يحتاج الى دراسة ميدانية واسعة بين الاشبال . الى جانب دراسة سيكلوجية لاكتشاف تأثيرات الواقع الثوري على الطفل الفلسطيني ، وكل ذلك في اطار التفهم الصحيح لطبيعة العدو ، وطبيعة التحدي الذي نواجهه وطبيعة الحرب التي نخوضها .

واذا كانت مخيمات النزوح الاول قد تحولت الى « معامل تفريخ » للفدائيين ورفدت الثورة بجيل من المقاتلين الثوار ، فان الاطفال الفلسطينيين في زمن الانبعاث الثوري الفلسطيني يجب ان يحققوا مقولة : انهم جيل النصر لقد استطاع اطفال النزوح الاول أن يغيروا ذلك الايقاع النغمي لكلمة « الفلسطيني اللاجيء المستكين » الى ايقاع ملحمي « للفلسطيني الفدائي الثائر » . لقد عبروا بسلاحهم الى « حلمهم الفلسطيني » . ولا بد لاطفال الثورة ان يجسدوا « الحلم الفلسطيني » الى نصر حقيقي .

أيلول ١٩٧٠ وشهادات واقعية للاطفال(١٥)

سألت احد الاطفال ، بعد أحداث أيلول « عما يحب أن يكون عندما يكبر » . فأجاب : « عندما اكبر أريد ان أظل فلسطينيا » . لقد كانت اجابة الطفل رد فعل نفسي لما يتعرض له الفلسطيني من مؤامرات التصفية وحروب الابادة . وليس بمقدور شيء أن يمحو من ذاكرة الطفل تلك التفاصيل التي يحرص على الابقاء عليها في ذاكرته .

ان الاطفال الذين شاهدوا مجازر أيلول وانتشرت فيما بينهم قصص « جنود الملك الاشرار الذين يقطعون اصابع الاطفال حتى لا يحملوا البنادق ويصيروا فدائيين » لن ينسوا ذلك ، بل ان هذه الاحداث تعمق انتماءهم الفلسطيني بشكل أكثر حدة .

شهادة **الطفل محمد أحمد** (من مواليد عين السلطان) (العمر ١٣ عاما) في مدرسة « بيت اسعاد الطفولة »(١٦) ـــ لبنان : « صباح يوم الخميس استيقظنا مبكرين على صوت القنابل والمدافع الاردنية والرصاص مثل زخات المطر يتساقط علينا . جاءت أمي وقالت : انبطحوا على الارض . وقال لي ابي : خذ اخوتك واذهب الى الملجأ . فذهبنا الى الملجأ وعند المساء رجعنا الى البيت ونمنا ، أما أمي وابي فلم يناما خوفا من أن يحدث لنا شيء . ورجعنا الى البيت وحملت أمي أخي وعمره عشرة شهور وذهبت الى المطبخ ، فاذ بالزوابع تدخل الى البيت وطمس التراب وجوهنا ، وسمعنا صوت « الضربة » تهز البيت ، فخرجنا من الغرفة فرأيت المطبخ قد تدمر وابي وأخي واختي

تحته . ذهب اخي الى عمتي واخبرها عما حدث . وجاء عمي (الذي رباه والـــدي) ليسعف أبي وامي لكن (الجيش) رآوه (وضربوه) . بقيت أنا واخي في البيت ، أخذت أشد في أخي الصغير حتى تناولته من تحت الردم واخـــذت أركض في الشارع ورأيت عشرات القتلى ، والقطط (يأكلوا في) لحمهم . ووقعت عدة مرات على الارض، وأخيرا رأيت عمتي ماشية في الشارع لا تعرف الى أين ذاهبة . وعندما وصلت الى بيتنا المتردم وجدت اختي في الشارع (قد تقفزت من حم الضربة) ولكن عمتي لـــم تعرفها لانها مشوهة ، واخيرا نطقط (نطقت) اختي ، أنا سعدية يا عمتي ، فلم يبق في عمتي شعور . وبعد أن أخذوا ابي وامي للدفن بقينا نبحث عن اختي وعمتي فلم نجدهم الا بعد أشهر . »

شهادة **الطفلة سحر حسين** (العمر ٩ سنوات) في بيت اسعاد الطفولة : « كانت حرب أيلول الاسود سنة ١٩٧٠ أهم حادثة في حياتي ، كانت الدبابات (قد قتل) الوف الاطفال والنساء والرجال والشيوخ ، وكانت النساء والاطفال والرجـــال والشيوخ (مرميه) في الشوارع . (كانوا الجيوش) يدخلون على البيوت ويقتلون الرجـــال والنساء والأطفال (وكانوا) الفدائيون يحاربون ليدافعوا عن وطننا ، وكانوا يحرقون (عجال) السيارات ويفجرون القنابل لكي لا تجيء الدبابات (والجيوش) (يقتلون) الناس كنا ندافع عن وطننا الجميل وطننا الحبيب . »

شهادة **الطفل برهان نعماني** ، الصف : اول تكميلي في بيت اسعـــاد الطفولة : « ... كان رجال البادية يدخلون الى المستشفيات فيقتلون من فيها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال وأطباء أيضا ، وكانوا بالاخص يقطعون أصابع الاطفال كي لا يصبحوا فدائيين. ليس هذا فقط بل لقد ذهبوا الى المدارس وخاصة مدارس اللاجئين ونسفوها وقتلوا من فيها من طلاب وتلاميذ . ومن ابشع الجرائم ان الجيش الاردني حينما يرى سيارة ويجد فيها فلسطينيين بدون بطاقة الهوية يأمروا سائق الدبابة أن يمر مـــن فوقهم » .

شهادة **الطفلة صباح عيسى** (العمر ٩ سنوات) في مدرسة بيت اسعاد الطفولة : « ... اما الاطفال الصغار فأخذوا يبكون (ويندهون) في صوت (عالي) ولكن لا احد يرد على هؤلاء الاطفال . وبقينا في هذا الحال الصعب وبعد ايام (انقطعت) المـــاء والكهرباء والاكل ولكن الاطفال لا يقدرون ان يعيشوا في هذا (المأزق) . »

شهادة **الطفل احمد فهمي محمود منصور** في الاول التكميلي في مدرسة بيت اسعاد الطفولة : « ... كنت ذاهبا الى البلدة لاشتري بعض حاجاتي . كنت مارا في الطريق واخذت انظر الى اليمين والشمال وفجأة فاذا باحدى الدوريات الاردنية تقف في وسط الطريق للبحث عن الفدائيين وأسرهم نزلوا من السيارة واخذوا يلتفتون . وفجأة كان احد المدنيين يشتري بعض ادوات البيت وفيما هو والبائع (يتفاصلون) في حساب المشترى والمبيع التفت (احدا) من (الجيش الهمجي) الى هذا المدني فوجد انه يضع في جانبه قطعة من السلاح اي (مسدس) فوجهوا فوهات البنادق اليه قائلين له : « القي بسلاحك » . ولكن الفدائي البطل ابى ذلك فأطلقوا عليه النار فأردوه شهيدا. »

شهادة **الطفلة هالة ربيع** في مدرسة اسعاد الطفولـــة (٩ سنوات) : « ... في احداث ايلول ١٩٧٠ توفي أبي وهو يسعف (الجرحا) . ان هذا أثر على قلبي وعلى قلوب الاسرة وهذا اثر علينا ولكن لخي الصغير عوني قال لامي قبل أن يموت « يا بابا جبلي بطيخ » فقال له ساحضر لك في الصباح وطلع الصباح وكان هذا اليوم الأسود (يوم الثلاثاء وفي الساعة العاشرة) مر من الشارع واراد ان يشرب فقـــال (جبيلي

اشرب فجبت له يشرب وفي الساعة الخامسة تصاوب) ، فقلقت امي ومات ابي يوم الثلاثاء وطلعت جنازيه يوم الجمعة الموافق ١٩٧٠/٩/٦ وكان ذلك اليوم يوم حزين ».
[والدها سائق لسيارة الهلال الاحمر الفلسطيني استشهد اثناء اداء واجبه] .

ملحق : فلسفة تربية الشبل الفلسطيني

١ ــ التربية الوطنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفلسطينية الثورية والثقة بحتمية التحرير ، ب ــ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي لفلسطين ، جـ ــ تعميق الارتباط المادي والروحي بالارض الفلسطينية والولاء المطلق بها ، د ــ التعريف بالعدو الصهيوني الاستعماري ودراسة خططه واساليبه .

٢ ــ التربية القومية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح العربية الثورية المؤمنة بحتمية الوحدة عن طريق تحرير فلسطين ، ب ــ تعميق الفهم التاريخـي والجغرافي للوطن العربي ، جـ ــ تفهم وتنمية الروابط الاجتماعية والمصيرية للامة العربية ، د ــ شرح اهداف العدو الاساسية وأطماعه ليس بفلسطين وحدها بل بالوطن العربي كله .

٣ ــ التربية الانسانية وتهدف الى : أ ــ التعرف على شعوب العالم الثالث ونضالها من أجل التحرر من الاستعمار ، ب ــ دراسة أساليب الاستعمار بأنواعه المختلفة للسيطرة على مصائر الشعوب النامية ، جـ ــ شرح حروب التحرير الشعبية وتوضيح اثرها الفعال للقضاء على الاستعمار .

٤ ــ التربية الصحية وتهدف الى : أ ــ بث العادات الصحية السليمة والقضاء على العادات الضارة، ب ــ معرفة مواطن الامراض المعدية واسبابها وطرق انتشارها وطرق الوقاية منها ، جـ ــ التدريب على الاسعاف الاولي .

٥ ــ التربية الاجتماعيـــة تهدف الى : أ ــ خلق الروح التعاونيـــة وتنمية الخلق الاجتماعي ، ب ــ تربية النشء على مبادىء الاخلاق الصحيحة من انتظام وتضحية وقيام بالواجب ، جـ ــ الخدمة الاجتماعية العامة في الميادين الصحية والثقافيــة والتعميرية والترويحية .

٦ ــ التربية الرياضية وتهدف الى : أ ــ تنمية اللياقة البدنية وصيانتها، ب ــ صقل الروح والعقل باكتساب الاخلاق الرياضية لتحقيق العقل السليم والخلق السليم في الجسم السليم ، جـ ــ تنمية المهارات البدنية النافعة ، د ــ التعود على النظام من خلال الالعاب الفردية ذات الحركات المنتظمة والتعود على التعاون من خلال الالعاب الجماعية .

٧ ــ التربية العسكرية وتهدف الى : أ ــ اعداد الجيل القادر على القتال لتحرير وطنه وحماية حقه ، ب ــ التمرس في الشؤون العسكرية والتفوق باستعمال الأسلحة الحديثة وابتكار الاسلحة الملائمة لطبيعة حـرب الشعب ، جـ ــ غرس التضحيــة والشجاعة والتعاون في النفوس عن طريق القيام بالمناورات وتنفيذ المهمات، د ــ تنمية صفات القيادة والانضباط لدى الشباب .

٨ ــ التربية العلمية وتهدف الى : أ ــ غرس روح البحث العلمي واسسه من دقة ومثابرة وتحليل ومنطق ، ب ــ تنمية المواهب بالتطبيق العملي ، جـ ــ تطبيق العلم بالممارسة الحقيقية .

٩ ــ التربية الفنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفنية والتذوق الفني، ب ــ صقل المواهب العقلية وافساح المجال أمامها ، جـ ــ احياء الفن الشعبي الفلسطيني والعمل

على نشره ، د ــ تنمية الموسيقى والغناء الجماعي .

١٠ ــ التربية المهنية وتهدف الى : أ ــ مساعدة الاشبال والفتوة على تقرير مصيرهم المهني الذي يختارونه ، ب ــ تنمية روح المهارات اليدوية ، جـ ــ تنمية روح البناء العملي من خلال الممارسة الحقيقية للمهنة .

١١ ــ التربية الكشفية وتهدف الى : أ ــ التعود على حياة الخلاء والقيام بالرحلات الاستطلاعية ، ب ــ تنمية قوة الملاحظة ، جـ ــ التعرف على الفنون الكشفية المختلفة.

---

١ ــ **شؤون فلسطينية** ، العدد ٦ ، ص ١٥٦ ، هاني حوراني .

٢ ــ من تسجيلات اذاعة العاصفة ، القاهرة.

٣ ــ **شؤون فلسطينية** ، جيل النصر ، العدد الاول ، ص ٩٥ .

٤ ــ مؤسسة الاشبال والفتوة ، اشبال حركة فتح أسست في أوائل ١٩٦٩ وكان لها مجلس أعلى ولجنة .

٥ ــ حديث مسجل مع الاخ صخر ، معتمد حركة فتح لاقليم لبنان .

٦ ــ نشرت في مجلة **الثورة الفلسطينية** ، العدد ٢٢ ، ص ٢٢ .

٧ ــ حديث مسجل مع الاخ عبد السلام وكان مسؤولا عن معسكر الاشبال المغلق وهو خريج معهد التربية البدنية وخبير في الشؤون الكشفية وحائز على بطولات رياضية الى جانب المام كامل بالتربية العسكرية الثورية .

٨ ــ كانت للمعسكر ايعازات مبتكرة خاصة على النحو التالي : عندما يقول المدرب ثورة استرح تؤدي مجموعة الاشبال الحركة وهي تصيح : ثورة . وعندما يقول المدرب استعد تؤدي المجموعة الحركة وهي تصيح : نصر . واذا ما سأل المدرب الاشبال : تعبانين ؟ يجيبون : وحوش . وعندما يحث القائد الطابور على الاستمرار في السير يردد « واحد اثنين » فيرد الاشبال عليه : نصر / ثائر . هذا الى جانب الاناشيد الخاصة التي كان يرددها الاشبال اثناء « الهرولة » : « يحكى ان / ان ايه ؟ / ان فدائي / فدائي ايه ؟ / فدائي ثورة / ثورة ايه ؟ / ثورة تحرير / تحرير ايه؟ / تحرير يافا / يافا ايه ؟ / يافا بلدي ... » .

٩ ــ دراسة عن الدورة في نشرة حركية (فتح).

١٠ ــ ١١ ــ ١٢ ــ ١٣ : جريدة فتح التي كانت تصدر في عمان ، العدد ٢٣ بتاريخ ٧٠/٧/١٠ لقد جمعت هيئة التحرير مجموعة من الاشبال والزهرات خلال احداث ٧٠/٧/٦ واشترك اربعة من المحررين في القاء الاسئلة . « كنا نعتقد اننا نحرج الصغار بأسئلتنا لنكتشف على الفور انهم يعرفون نفس الاشياء التي نعرفها ولكن ببساطة اكثر وبصدق أعظم وثقة بلا حدود . وبعد اقل من ساعة فقدنا جميعا القدرة على توجيه اي سؤال وانبرى الاشبال يسألون » .

١٤ ــ تسجيل خاص مع ابو كفاح .

١٥ ــ تم استكتاب سبعين طفلا من اطفال مدرسة بيت اسعاد الطفولة في سوق الغرب في لبنان تتراوح اعمارهم بين التاسعة والثالثة عشرة وحدد الموضوع « اكتب أهم حادث في حياتك » وعند الفرز تبين ان ٣٥ طفلا (٥٠ ٪) اعتبروا ان احداث أيلول هي أهم ما واجههم في حياتهم . اما الباقون (ممن يقيمون اصلا في لبنان) فقد كتبوا عن احداث تتصل بالثورة « عمليات ، غارات جوية ، استشهاد ابو علي اياد ، استشهاد الاب والاخ » . تركت الشهادات دون تصحيح الاخطاء اللغوية والاملائية .

١٦ ــ مدرسة بيت اسعاد الطفولة أسسها الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني عام ٥٧ . وتضم هذه المدرسة عددا من ابناء وبنات شهداء احداث أيلول ١٩٧٠ وعددا من أبناء المعتقلين والاسرى والايتام . وقد تم توسيع مبانيها عام ١٩٦٥ ونقلت من بيروت الى سوق الغرب . وتغطي حركة « فتح » معظم ميزانية هذه المدرسة .

واقع وآفاق عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

نبيل ايوب بدران وعدنان عبد الرحيم

شهد صيف ١٩٧٤ انعقاد المؤتمرات العامة لثلاث منظمات جماهيرية فلسطينية ، المؤتمر العام السابع للاتحاد العام لطلاب فلسطين في الجزائر (١٦-٢١/٨/٧٤) والمؤتمر العام الثاني للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في بيروت (٥-١٠/٨/٧٤) ، والمؤتمر العام لاتحاد عمال فلسطين في دمشق (٢٠-٢٥/٨/٧٤) اضافة الى المؤتمر العام الاول لرعاية الشباب في بيروت في منتصف شهر تموز ١٩٧٤ ، وحضره مندوبون عن جمعية الكشاف الفلسطيني ، والاندية ، ومندوبون من دائرة رعاية الشباب في عدة دول عربية· استحوذت هذه المؤتمرات الاهتمام الشعبي والرسمي الفلسطيني، وأعطت للحركة الشعبية الفلسطينية دفعا جديدا · والان ·· وبعد مضي عشر سنوات على انطلاقة الثورة عام ١٩٦٥ ، يتوجب علينا القاء نظرة فاحصة لمسيرة المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، واستقصاء دورها ، ساعين الى معرفة حجم هذا الدور نظريا وفعليا في العمل الثوري الفلسطيني · ولن نقوم في هذا البحث بتحليل دقيق للمجتمع الفلسطيني المشرد ، وتاريخ المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، ونشوئها وتطورها ذلك لان كتاب الاخ شحاده يوسف(١) قد تناول هذا الواقع بايجاز ووضوح، وقد شارك أحد كاتبي المقال في النقاش الطويل الذي سبق كتابة الدراسة خلال العمل مع الاخ شحاده يوسف ، قسم الدراسات الفلسطينية في مركز الابحاث ، كما أنه لا مجال في هذه الدراسة للتعمق في الاستقصاءات ، والدراسات لتوضيح الموضوع بكامله ، بل سنركز عملنا على مسألة تحليل الجوانب الايجابية والسلبية من العمل الجماهيري الاجتماعي – السياسي ، والسعي الى توضيح شروط العمل المستقبلي لتأخذ المنظمات الجماهيرية الفلسطينية حجمها الحقيقي في مسيرة الثورة الفلسطينية، وسيعتمد الباحثان على مواكبتهما لعمل هذه الاتحادات من خلال مواقعهما التنظيمية، والتربوية ، واهتمامهما الخاص بالعمل الجماهيري ، ومن خلال ندوة مصغرة لممثلي بعض المنظمات الجماهيرية والتي عقدت بناء على دعوة مركز الابحاث لامداد هذه الدراسة والاستفادة من الوثائق المتعلقة بمؤتمرات تلك المنظمات، ونشاطاتها وأجوبة بعض كوادر تلك المنظمات الخطية على اسئلة طرحت عليها لاعداد هذه الدراسة ·

١ – قبل البدء بالحديث عن المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ينبغي تحديد بعض المفاهيم الاولية لتوضيح أهداف التحليل · ان تعبير اتحاد شعبي هو مرادف لتعبير تنظيم جماهيري أو شعبي ، فالاول يعبر عن الاسم ، بينما يعبر الثاني عن الهيكل ، ولما كان تعبير (اتحاد شعبي) لا يعبر عن مضمون عمل تلك المنظمات ، فسنطلق عليها اسم المنظمات الجماهيرية ·

المنظمة الجماهيرية هي تنظيم اجتماعي أو سياسي محض يضم فئة أو مجموعة جماهيرية ذات مصالح وأهداف واحدة ، ويمكن أن تكون هذه الفئات أو المجموعات مهنية أو سكانية ، وتستحق صفة (شعبية) عندما تستوعب القسم الاكبر

---

١ – يوسف شحادة ، **الواقع الفلسطيني والحركة النقابية** ، مركز الابحاث ، دراسات فلسطينية ٩٤ ، بيروت ، ١٩٧٣ ·

من الفئات الجماهيرية الخاضعة لنفس الظـــروف الاجتماعية والسياسية وتسعى جماهيريا الى تحقيق مصالحها وأهدافها ، وليس هناك منظمات شعبية غير سيـــاسية لان الهدف النهائي لهذا النوع من المنظمـــــات هو تحقيق مناخ سياسي يحقق كامل مصالحها • ومن هنا نستطيع القول بأن هناك منظمات محافظة ، وأخرى اصلاحية ، وثالثة تقدمية ، على أساس نظرتها الى النظام القائم ، ودعمها لتنظيم أي اتجاه سياسي معين ترى من خلال عمله أنه يحقق لها أهدافها بشكل مباشر أو غير مباشر •

٢ ـ يجري تصنيف الاتحادات حسب مصالح أفرادها • ويمكن تقسيم هذه المصالح الى مجموعات رئيسية أهمهـــا ـ مصالح اجتمـــــاعية ـ مهنية ، مصالح اقتصادية محضة ، مصالح سياسية بحتة •

أ ـ المنظمات الجماهيرية ذات المصالح الاجتماعية ـ المهنية : أهمها النقابات العمالية (او الشغيلة) التي تتميز بشكلين • اتحادات عامة تضم العاملين بأجر في قطاعـات معينة مثل قطاع الصناعة المعدنية او جزء من هذا القطـــاع كقطاع السيارات مثلا وكذلك الامر مع قطاع الخدمات الذي يمكن ان يشمل كل الفئات التي تعمل فـي هذا القطاع او جزء من العاملين في هذا القطاع كعمال المطاعم مثلا •

والشكل الثاني يتضمن النقابات العمالية المهنية التي تدافع عن مصالح العاملين في مهن معينة كعمال النجارة او المعلمين وغيرهم ••• ولا شك أن التنظيم النقابي الشامل هو الافضل ولكن عليه في نفس الوقت احتواء حلقات تشمـــل عمال مهن معينة ذوي مصالح خاصة جدا • ويضم جميع هذه النقابات عادة اتحاد واحد يسمى احيانـــا المجلس العام للنقابات العمالية او الاتحاد المركزي للنقابات •

وبالاضافة الى الاتحادات المهنية يوجد اتحادات اجتماعية ـ مهنية تضـم فئات من المهنيين المستقلين مثل الحرفيين ، والمزارعين والمحامين والاطباء • ويجب التفريق هنا بين اتحاد مهني بحت يهتم بأمور مهنية بحتـــــة ـ الاعداد المهني والشهادات • والتأهيل بعد التخرج والمناقشات العلمية ••• وبين اتحاد اجتماعي ـ مهني له اهداف اجتماعية بجانب الاهداف المهنية •

ب ـ المنظمات الجماهيرية ذات المصالح الاقتصادية : وهي التعاونيات كالتعاونيات الانتاجية (صناعية ـ زراعية) ، والتعاونيات الاستهلاكية • وقد تتبع بعض التعاونيات الاتحادات الشعبية ذات المصالح الاجتماعية ـ المهنية ، وقد يتخذ بعضها شكلا تنظيميا مستقلا يرتبط بالتنظيم الجماهيري الاصلي •

ج ـ المنظمات الجماهيرية ذات المصالح الاجتماعية : وتسعى هـــذه الاتحادات الى تطوير عناصرها اجتماعيا مثل اتحاد المرأة والشبيبة وغيرها •• وقد تعمل في نفس الوقت الى تطوير كفاءات اعضائها المهنية، ولكن اهتمامها الرئيسي ينصب على العمل الاجتماعي لخدمة قواعدهـــــا ، ويمكن ان يضم هذا النـــوع من الاتحادات حركات اجتماعية ، رياضية جماهيرية ذات صفة خاصة •

د ـ المنظمات الجماهيرية ذات المصالح السياسية : تدعو ضرورات العمل السياسي أحيانا ، الى أن يعمد التنظيم السياسي لتكوين منظمـــات جماهيرية تزيد من التفـاف الجماهير حوله • ولخدمة أهدافه ، وأستراتيجيته كلجان الدفاع عن الوطن ، او لجان الدفاع عن الحريات العامة وغيرها ••• ولهذه اللجان أهداف سيـــــاسية آنية تؤدي مهمات مرحلية لا يستطيع تأديتها التنظيم السياسي بسبب ظروف عمـــله او بسبب شمولية المهمات التي تضطلع بها تلك اللجان •

٣ ـ يتضح مما سبق ان هناك منظمات شعبية تغطي نشاطاتها قطاعات كبيـرة من

الجماهير كأتحاد العمال ، والمرأة والشبيبة ، بينما تقتصر نشاطات منظمات شعبية اخرى على قطاع صغير نسبيا من الجماهير كاتحاد الطلاب الذي يتعامل مع نفس القطاعات الجماهيرية التي ينشط بينها كل من اتحادي المرأة والشبيبة ٠ وقد يكون لبعض المنظمات الشعبية طابع المرحلية ، مثل اتحاد رعاية الطفولة الذي قد يتحول الى اتحاد للمرأة ، واتحاد المزارعين الذي قد يتحول الى اتحاد التعاونيات الزراعية في حال تعميم هذه التعاونيات ٠

٤ ـ ان فعالية وكفاءة كل منظمة جماهيرية مرتبطة بمستواها التنظيمي اي هيكلية التنظيم ، وتجنيده لعدد كبير من الكوادر الكفؤة ، وقدرته على الاستفادة من امكانيات أعضائه وقدراتهم من خلال استراتيجية واضحة وتكتيك نضالي واضح يضمن لهم المشاركة في اتخاذ القرارات ، وتنفيذها ، كما ان الاقتراب من الهدف الاستراتيجي للمنظمة الجماهيرية مرتبط بربط القاعدةالواسعة الجماهيرية لتلك المنظمة بهذا الهدف الذي يجب ان يتطابق مع مصالحها الحقيقية ، ورفع مستواها الاجتماعي والثقافي والمهني وتسييسها لخوض المعركة الحاسمة في سبيل الوصول الى الهدف النهائي ٠ وارتباطها بحركة سياسية صلبة تناضل لتغيير النظام الاجتماعي المعادي لمصالحها الحقيقية ، وتجعل من مكاسبها المرحلية دافعا لكي تزيد من تمتين تنظيمها ونضالها الجماهيري (٢) ٠

المعنى الجماهيري لحرب التحرير طويلة الامد

١ ـ تحدثنا سابقا عن مفهوم المنظمات الجماهيرية وأهدافها العامة ، واكدنا على اهمية وضوح رؤيتها السياسية ، ووعي قواعدها بالواقع السياسي المرتبط بقضيتها المشتركة ٠ ويزداد الالتحام بين نشاطات المنظمات الشعبية ونضال التنظيمات السياسية خلال فترة النضال الوطني ، وقيام حرب التحرير الشعبية ، وبذلك يضمن خضوع الاتحادات الى استراتيجية النضال السياسي اليومي المسلح ٠

ولن نتحدث هنا باسهاب عن مفهوم حرب التحرير الشعبية ، ونستطيع ان نراجع ذلك في عدد من الكراسات والكتب والتعميمات التنظيمية ، ولكننا سنؤكد على بعض القوانين الاساسية لها لتكون دليلنا في هذه الدراسة ٠

أ ـ ان حرب التحرير الشعبية هي الحرب الثورية الطويلة الامد التي تحقق النصر من خلال تدميرها لقوة العدو ونظامه السياسي ٠

ب ـ تعتمد حرب التحرير الشعبية طويلة الامد على تجنيد كامل طاقات الجماهير المعادية للنظام القائم والاستفادة منها في حرب التحرير ، وفي الوقت نفسه تقويض جبهة العدو ٠

ج ـ يتم تجنيد الجماهير منخلال اتباع اسلوب حرب الشعب طويلة الامد ومراحلها التي تساعد على تنظيم الجماهير ، وتعبئة امكانياتها من خلال نضال تصاعدي ، وتثقيف مستمر ٠

د ـ تتم مراحل هذه التعبئة وتصاعد النضال من خلال وجود تنظيم سياسي قوي يوجه كامل العمل السياسي والاجتماعي والعسكري ، وقادر على بناء القوات العسكرية ، وشبه العسكرية ٠

ويلخص لي زوان هذه القوانين ، وعلى ضوء التجربة الفيتنامية بقوله « حيث انه فقط بتنظيم الجماهير بطريقة او باخرى يمكن خلق الظروف لتثقيفها ، وبناء القوة

٢ ـ تجنبنا هنا الدخول في تحليل الاتحادات المحافظة او الاصلاحية التي قد تتمتع بتنظيم صلب ، ولكنها تخدم في نشاطاتها النظام القائم معتمدة على عدم وعي اعضائها لحقيقة مصالحهم ، او تشويهها لهذا الوعي ٠

الهائلة للثورة أذ انه ما أن يتم تنظيم الجماهير حتى تتزأيد قوتها بمقدار مائة ضعف. انه من أجل النضال يجري تنظيم الجماهير ، وبالعكس فانه من خلال النضال يجري تنظيم الجماهير وتثقيفها ، وتوسيع قوى الثورة .. ولذلك فان الدعاية ، والتنظيم والنضال يجب ان تسير كلها جنبا الى جنب بهدف مشترك هو تشكيل وزيادة حجم الجيش السياسي الجماهيري ، استعدادا للقفزة الحاسمة ـ التنظيم والنضال ، ثم النضال والتنظيم ، ثم ثانية النضال ... »(٣) . والاستراتيجية السليمة لاي نضال تحرري هي تلك التي تدرك أطراف التناقض ، وتجند الجماهير في عمل سياسي وعسكري يوصل حتما الى النصر ، بحيث يكون هذا النصر متجاوبا مع أماني الاكثرية الساحقة من الشعب ، والمتمثلة بالطبقة العاملة ، والفلاحين المعدمين ولان هذه الطبقات هي التي ستقدم التضحيات الكبرى فهي تأمل في تغيير جذري في وضعها الاجتماعي وهي في التحليل الاخير عماد أي تقدم اجتماعي بعد التحرير .

٢ ـ وقبل الانتقال الى دور المنظمات الجماهيرية في حرب التحرير ، يجب توضيح كل من المفاهيم التالية ، تنظيم الجماهير ، والنضال ، وتعبئة الطاقات . وتشمل عملية **تنظيم الجماهير** في حرب التحرير ربط الجماهير بتنظيمات ملتزمة ، ومؤيدة ، ومتعاطفة مع الثورة ، وعلى هذه التنظيمات ان تعكس مصالح تلك الجماهير وأهدافها الحالية والمرحلية غير المتناقضة مع مسيرة الثورة ، وان تشمل الاكثرية الساحقة من تلك الجماهير وتوظفها لخدمة استراتيجية الثورة والنضال المرحلي . ويزداد التزام الفرد بالثورة عبر عضويته في التنظيمات السياسية والعسكرية المشتركة مباشرة في النضال السياسي، والعسكري ضد العدو. ومن خلال تكليفه بمهام محددة تزيد من ارتباطه بتنظيمه الجماهيري او السياسي وتعبئته لمزيد من الالتزام بالثورة . ولا تستطيع المنظمات الجماهيرية ان تحقق اهدافها الا اذا اتبعت اسلوب العمل الديموقراطي ، والجماعي ، اي ديموقراطية القرار ، ومركزية التنفيذ اعتمادا على الاطر التنظيمية المراعية لقواعد العمل الجماعي .

بما ان **النضال** في حرب التحرير الشعبية يعني العمل الدؤوب لزيادة فعالية الجماهير ، واضعاف جبهة العدو ، فلا يمكن أن ينحصر هذا النضال في الامور العسكرية البحتة ، بل يشمل النضال السياسي ، والاجتماعي ، وتداخل جميع هذه النضالات في التكتيك المرحلي ، اي ان نضالا ضد العشائرية يساعد على تقوية التنظيمات السياسية ، والعسكرية والجماهيرية . كما ان النضال السياسي على شكل مظاهرات واعتصامات ، واضراب يقوي من تحدي الجماهير للعدو ، والقوى المضادة للثورة . ومن الممكن ان تساعد عملية محو الامية مثلا على تثقيف الجماهير وتعبئتها كما ان النضالات النقابية المطلبية تساعد على تحسين الوضع المعيشي للعمال، وتقوي ترابطهم باتحادهم ، مما يساعد على تصعيد الدعاية والتحريض بين قطاعاتهم الواسعة ، وخلق كوادر خليقة بالعمل والتحريض الجماهيريين .

وتعني عملية **تعبئة الطاقات** ، توجيه كل الامكانيات البشرية والمادية لخدمة الثورة، ولا يعني ذلك الاكتفاء بالامكانيات المتوفرة بل العمل على زيادة هذه الامكانيات من خلال تصعيد الدعم المادي للثورة وما يعكسه ذلك من تطوير في استهلاك وانتاج الفرد والجماعة ، وتطوير قيم ومسلك الفرد بالاضافة الى تطوير قدرات الجماعة الثقافية والمهنية لتزيد من عطائها وخدمتها لمتطلبات الثورة ، ان نجاح هذه العملية يعتمد في التحليل الاخير على مقدرة الثورة على توظيف تلك الطاقات والامكانيات لخدمة الاستراتيجية والتكتيك المرحلي الثوري ، ان حسن توظيف تلك الطاقات مرافقة

---

٣ ـ لي زوان ، الثورة الفيتنامية ، المشاكل الرئيسية والمهمات الرئيسية ـ دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٦ .

بالانتصارات العسكرية والثورية يعطي الجماهير الثقة بالنفس والتفاؤل في تحقيق النصر النهائي ، والمقدرة على تحقيق تقدم اجتماعي فعلي بعد التحرير ·

٣ ــ ويطرح هنا تساؤل مشروع وهو : لماذا يعتمد التنظيم السياسي القائد على المنظمات الجماهيرية ــ والاجتماعية والمهنية ، بالاضافة الى اعتماده على التنظيمات الجماهيرية السياسية ذات الاهداف المرحلية ؟·· ان الاجابة على هذا التساؤل مرتبطة بالتحليل السابق من انه لا يكفي وجود اهداف واحدة لتنظيم الجماهير ، بل يجب التأكد من وجود مصالح مشتركة لكي تستطيع هذه المنظمات الجماهيرية استقطاب قواعدها الجماهيرية وشدها الى نضالات اجتماعية ــ مهنية تزيد من قوة التنظيم والتصاق الاعضاء به لخلق مناخ ملائم للدعاية والتحريض السياسيين ، كما ان تطلع الجماهير الى الثورة والتفافها حولها ينبع من طموحها لان تعبر الثورة عن مصالحها البعيدة وتحققها وهي التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، ويمثل العدو بالنسبة للجماهير عامة والكادحة بشكل خاص استغلالا بشعا لعملها ، ونهبا لخيرات بلادها · وتحتاج الثورة للمنظمات الشعبية لفهم مشاكل الجماهير ، والسعي لحلها لصالح العمل الثوري الجماهيري · وتطوير قدرة التنظيم السياسي على فهم حقيقة العلاقات الاجتماعية ، والتعمق في تحليل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لوضع تصور واضح لعملية البناء بعد التحرير· ويحتاج التنظيم السياسي الى المنظمات الجماهيرية لتجنيد طاقات الجماهير وتطويرها ، ويعتمد على جهود النقابات والمنظمات الجماهيرية عامة لتحقيق هذه المهمات الوطنية كاتحاد العمال والفلاحين ، والمرأة ، وتلعب منظمات جماهيرية اخرى كاتحاد الكتاب والاطباء والمهندسين والفنانين دورا مساندا لعمل التنظيمات الجماهيرية الاخرى في هذا المجال ·

اعباء المنظمات الجماهيرية في حرب التحرير

في سياق تحليل دور المنظمات الجماهيرية تحدثنا عن أهميتها السياسية والاجتماعية والمهنية والاقتصادية · كما ذكرنا بعض المهام ، الا اننا سنعنى في هذه الفقرة بالتوسع في تحديد المهام لحاجتنا اليها خلال تقييم وتوضيح دور المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، وخصوصا كما سنرى وبل كما نتلمسه يوميا غياب النشاط الجماهيري الواسع للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية والعربية المشرقية عامة · مما اعاق فهم دور المنظمات على الساحة الفلسطينية · وسنصنف المهمات نظريا الى سياسية واجتماعية (تضم التربوية والثقافية) والاقتصادية ــ المهنية · ولا نبتغي بذلك الزام منظماتنا الجماهيرية الالتزام الحرفي بتحقيق جميع هذه المهمات · نريد من تصنيفها اعطاء صورة واضحة لشمولية العمل الجماهيري وتكامله فيما بين المنظمات الجماهيرية المختلفة · تتحمل كل منظمة الاعباء المرتبطة بوظيفتها ومتطلبات حرب التحرير · وتنطبق هذه المهمات نظريا على الاراضي التي تشرف عليها الثورة ·

١ ــ **المهمات السياسية** : ويشمل هذا النشاط جميع المنظمات الجماهيرية وتجسد التزامها بالثورة ·

أ ــ تنظيم الاكثرية العظمى من قطاعاتها ذات المصلحة بالتحرير ، تحقيقا لتنظيم جماهيري واسع مرتبط عضويا بالتنظيم السياسي · يعبىء هذه الجماهير ويستقطب مزيدا من عناصرها للعمل السياسي ــ العسكري ·

ب ــ تحديد عدد كبير من المهمات المرتبطة بالثورة توظف مجهود كل فرد من من قواعدها ·

ج ـ مساعدة التنظيم السياسي على معرفة مشاكل الجماهير ليأخذ الخطوات اللازمة الملائمة مع خدمة الجماهير ودفعها الى مزيد من التنظيم والعمل ٠ وبلورة برنامج هذا التنظيم لما بعد التحرير ٠

د ـ تدريب الكوادر السياسية الملتحقة بالعمل الجماهيري للتصدي لمشاكل الجماهير ، خصوصا في الظروف الطارئة الناجمة عن الاعمال العسكرية وشراسة العدو ٠ وتحمل أعباء البناء الوطني بعد التحرير ٠

هـ ـ تدريب عناصر جديدة من المنظمات الجماهيرية على العمل القيادي وذلك من خلال النضال والعمل الجماهيري ٠ ويستقطب قسم من هذه العناصر للعمل السياسي ـ العسكري ٠

و ـ توفير جو ملائم للعمل الدعائي والتحريضي بين الجماهير ٠

ز ـ تعويد الجماهير على نشاط عام جديد ، يزيد من طاقات الجماهير خصوصا في الاراضي المحررة ويمهد لمجتمع ما بعد التحرير ٠ ويدخل ضمن هذا العمل محاربة قيم بالية وتوطيد قيم ومسلك جديدين ٠

ح ـ كسب عناصر مهنية متخصصة تدعم العمل العسكري وتنتسب اليه او تتطوع مرحليا لتعمير المرافق المرتبطة بقواعد الارتكاز (تحصينات ـ مواصلات ـ صيانة٠٠)

ط ـ اضافة الى دور المنظمات الجماهيرية في تنفيذ المهمات السياسية المطلوبة منها من قبل التنظيم السياسي ـ العسكري ، عليها ايضا تمثيل الجماهير الواسعة في المجالس الوطنية والمحلية الثورية ، والنضال للحصول على نسبة من التمثيل العددي يتناسب وحجمها الفعلي ٠ مما يجعلها تشارك فعليا في توجيه العمل الوطني٠

٢ ـ **المهمات الاجتماعية :** وتشمل جميع المنظمات الجماهيرية الاساسية مع مراعاة التخصص والتنسيق ٠

أ ـ خلق اطر تنظيمية جماهيرية مغايرة للاطر التقليدية (العشائرية وعلاقات الاقطاع) تساعد على تحرير الفرد من التقاليد البالية والمتعارضة مع متطلبات الثورة والتقدم ، وتساعد هذه الاطر على خلق المناخ الملائم لتطوير الفرد ذاتيا واجتماعيا ٠

ب ـ تعويد الجماهير على الديموقراطية لزيادة مبادراتها الجماعية ٠

ج ـ تطوير امكانيات الفرد الذهنية والثقافية ليستطيع الاشتراك بشكل فعال في عمل الجماعة وتطويره ٠ ويكون هذا العمل متمما لاعمال مؤسسات تربوية مثل المدرسة والجامعة ٠ ويدخل ضمن هذا النشاط التثقيفي المبرمج (مثل محو الامية ، وتعليم الكبار وتربية الشبيبة ٠٠٠) والتثقيف غير المبرمج (مثل القراءات والنقاش المنظم والندوات ٠٠٠)٠

د ـ تعويد عدد كبير من الاشخاص على تحمل المسؤولية والتمرس على التخطيط وعقلنة التنفيذ ٠

هـ ـ تعويد الجماهير على التعاون لحل المشاكل الاجتماعية العادية والنابعة من ظروف النضال ٠ والعمل على تخفيف الاعباء على الافراد ليستطيعوا المشاركة بشكل احسن في الحياة العامة (مثل تخفيف العبء عن المرأة) ٠

و ـ توعية الجماهير على محاربة العادات السيئة والاهتمام بالنظافة والصحة العامة ٠

ز ـ تنظيم برامج وحلقات تدريس الكوادر على جميع المستويات لرفــع مستوى الوعي السياسي ـ الاجتماعي والكفاءة النقابية والارتقاء بالعمل الجماعي ٠

٣ ـ المهمات الاقتصاديــة ـ المهنية : والمرتبطــة اساسا بالمنظمات الجماهيرية الاجتماعية ـ المهنية والاقتصادية ٠

أ ـ معرفة مشاكل الجماهير المعيشية المادية والسعي الى حل هذه المشاكل بشكل يخدم الثورة ، مثل النضال النقابي المطلبي ٠

ب ـ دعم الثورة ماديا من خلال اشتراكات الاعضاء وتبرعاتهم ٠ ورفــع الانتاج وعقلنة الاستهلاك في الاراضي المحــــررة ، او لدى التجمعات السكانية الخاضعة لسلطة الثورة ٠

ج ـ توجيه التدريب والتأهيل المهني لخدمة اعضاء الاتحاد ورفع كفاءتهم الانتاجية خدمة لحرب الشعب وعملية البناء بعد التحرير ٠

د ـ المساهمة ماديا وبشريا في بناء وتحسين واعادة تعمير التجهيزات الاساسية في المناطق التي تشرف عليها الثورة مباشرة او غير مباشرة ، مثل المدارس والطرقات والمجارير والابنية السكنية او الخاصة بالنشاطات العامة ٠

هـ ـ انشاء التعاونيات الاستهلاكية والانتاجية لزيادة المقدرة الاقتصادية للجماهير دعما للثورة وتخفيفا عن كاهل الجمــاهير المعيشية ، وتحقيق مقدرة علــى الصمود وتأمين المواد الغذائية والصيانة في ظروف الحصار ٠

و ـ تنظيم مكاتب عمل تتوسط في تشغيل القوى العاملة العاطلة وتوجــه القوى العاملة الفنية الى وظائف تتلاءم مع تخصصها بدلا من تبديد كفاءتهــا في عمل غريب عن هذا التخصص وقليل المردود ٠

ز ـ تنظيم حلقات البحث المهنية والمتخصصة لدراسة المشاكل الاقتصادية والتقنية التي تجابه الجماهير والثورة لوضع حلول آنية وبعيدة المــدى ، مثل بناء الملاجىء والتحصينات حسب ظروف الحرب المستجدة ، توزيع وحــــدات الخدمات والانتاج تخفيفا لمعدلات التدمير الناتجة عن القصف ، تنظيم الخدمات خلال تغير تكتيك النضال العسكري والسياسي ٠٠٠ ودراسة تطوير التعليم والتربيــــة عامة وتطوير التعليم والتأهيل والتدريب المهني ٠٠٠

ونستخلص من مجمل المهمات المذكورة ان نشاط مجمــوع المنظمات الجماهيرية يشمل تنظيم وتوجيه العمل الاجتماعي ـ الاقتصادي للثورة مما يؤكد ان هذه المنظمات تمثل الذراع المدني للتنظيم السياسي ـ العسكري للثورة(٤) ٠ ونكرر هنا مــا ذكرناه سابقا ان مقدرة اي اتحاد شعبي على العمل هو وضوح اهدافه الاستراتيجية والمطلبية المرحلية وتوفر تنظيم جماهيري واسع يتميز بوجود عدد كبير من الكوادر النشطــة والكفؤة ، قادر على فهم الوضع الاجتماعي الاقتصادي لقواعده وقطاعاته ٠ فيرســخ لديه اسلوب تنظيم وجمع الاحصاءات والقيــــام بالاستقصاءات المختلفة وتصنيف المعلومات ، والاستفادة منها في تحديد سياسته المطلبية وتحديد برامج اعماله ٠ ولا تستطيع المنظمات القيام بهذه المهمات دون وضع برنامج شامل لتدريب الكوادر على الاعمال التنظيمية والنقابية والجماهيرية وحسب نوع المنظمة ٠ ان منظمة جماهيرية

---

٤ ـ يوسف شحادة ، المصدر السابق ، ص ٦٦ ٠

لا تهتم بتدريب كوادرها على جميع المستويات هي منظمـــة عاجزة فكريا وجماهيريا وتكون عبئا على التنظيم السياسي بدلا من أن تكون دعما له ٠ ويجسد عجزهـــا عجز التنظيم السياسي نفسه ٠ ويشدد هوشي منه على اهمية التدريب التسلسلي فيقول : « يجب على الهيئات المدربة الا تحاول القيام بكـــل شيء بنفسها ، عليها ان تدرب الكوادر ذات المستوى المتدني ، وهـــذه بدورها تدرب المستوى الادنى ، وهكذا تقوم اللجنة المركزية بتدريب الكوادر في المقاطعات والقرى ٠ واننا لنستطيع بهذه الطريقة أن نوفر الجهد والوقت٠ كما انالكوادر التي تدرب الذينيأتون مباشرة بعدها سوفتعرفهم معرفة افضل ٠ ولكن التدريب بهذا الاسلوب يجب ان يتم بعناية ٠ لا تطبقوه باهمال فسوف تكبر الاخطاء اكثر فأكثر بعد كل مستوى » (٥) ٠ يؤكد هوشي منه ليس فقط على أهمية التدريب التسلسل بل أيضا على سلامة التدريب واتفاقه مـــع استراتيجية الثورة ونضالها المرحلي المتعدد الاوجه ٠ ونلاحظ من مجمل المهمـــات ان التدريب في نطاق عمل المنظمات الجماهيرية يشملنشاطات عديدة منها سيـــاسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو مهني أو تربوي أو ثقافي ، كما تتداخل هذه النشاطات ، مما يتطلب اعطاء جهد خاص في وضع برامج زمنية للدورات المختلفة والاعداد لها ٠

جرى الحديث سابقا حول مهمات المنظمـــات الجماهيرية في الاراضي المحررة والتي تشرف عليها الثورة ، ويطرح السؤال هل تتحمل المنظمات نفس الاعباء في الاراضي المحتلة ؟ قد لا يسمح لهذه المنظمات العمل بشكل صريح في الاراضي المحتلة ، ممـــا يدفعها ويدفع العمل السياسي الى ايجاد اشكال مختلفة من العمل ، تبدو شكليا غير ملتزمة سياسيا ولكن تحقق الكثيـــر من المهمات والمختلفـــة احيانا عن المهمات في الاراضي المحررة ٠ ويجب اخذ بعين الاعتبار نوع الاحتلال ونوع النظام المعادي ٠

ففي المجال السياسي : على المنظمات الجماهيرية التعاون مـــع التنظيم السياسي لتوفير اطر تنظيمية تشمل اكبر قدر ممكن من الجماهير ، معرفة اوضـــاع ومشاكل الجماهير الناتجة عن الاحتلال ، تدريب كوادر تتصدى لهذه المشاكل ، اعطاء غطـــاء رسمي للعمل السياسي ــ النضالي ، دعم العمل التحريضي ، كسب كوادر ومناضلين للعمل السياسي ــ العسكري ، تعويد الجماهير على نمط جديد من النشاط العام ٠

في المجال الاجتماعي : تستطيع المنظمات الجماهيرية وبأشكالهـــا المتعددة والمتغيرة تحقيق معظم الاعباء المذكورة في نطاق المهمات الاجتماعية الخاصة بالاراضي التي تشرف عليها الثورة ٠

في المجال الاقتصادي ــ المهني : تسعى المنظمات الجمـــاهيرية ، وحسب الظروف ، الى تحقيق قسم من المهمات المذكورة في نطاق المهمات الخاصة بالاراضي التي تشرف عليها الثورة ٠ ساعية طورا الى دعم الاقتصاد الوطني امام الاستغلال الاستعماري، وطورا آخر تخريب المؤسســـات الاستعمارية مـــع رعاية للعمـــال الوطنيين ٠ وحدها الظروف الموضوعية تستطيع تحديد المهمات والنشاطـات في الاراضي المحتلة ، الا انها تدخل ضمن ممارسات الحركة الوطنية ، والثورية المقاتلة لتثبيت وجودهـــا السياسي وكسب الجماهير وتجنيدهم في المقاومة والانضمام المباشر للثورة ٠ ويتوجب على التنظيـــم السياسي الاساسي والمنظمـــات الجماهيرية المركزيـــة ، دعم وجود المنظمات الجماهيرية والاشكال التنظيمية المختلفة في الاراضي المحتلة ماديا وسياسيا ، وتنظيم عملية تحريض عالمية ضد سلطات العدو في حال تعرضها لهذه المنظمات ٠

كان لا بد من هـــذه المقدمة الطويلة لتحديـــد معنى المنظمات الجمـــاهيرية (او

---

٥ ــ هوشي منه ، حرب التحرير الفيتنامية ، مختارات ــ دار الطليعـــة ، بيروت ، طبعة ثانية ، ص ٣٠٣ ٠

الاتحادات الشعبية كما تسمى فلسطينيا) وتصنيفها وتحديد مهماتها وقت السلم وخلال النضال الوطني التحريري • مع العلم ان نوع ومهمات المنظمات يختلف مع تغير وسائل وعلاقات الانتاج في المجتمع • وهدفت هذه المقدمة الى توفير معايير واضحة لتقييم عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية • ولكن نعلم في الوقت نفسه ان ظروف العمل الوطني الفلسطيني لا تتوزع تماما على عمل في الاراضي المحتلة وعمل في الاراضي المحررة ، فظروف الاقتلاع والتشتت ووجود فلسطينيي الخارج ضمن انظمة عربية مختلفة ، تتفاوت نظرتها الى العمل الثوري الفلسطيني ، لا تسمح هذه الظروف بتحديد مهمات واحدة • يضاف الى ذلك ارتباط النضال التحرري الفلسطيني بالنضال التحرري العربي وما يفرضه من توثيق العلاقة مع المنظمات الجماهيرية العربية القطرية والقومية ، تمليه ايضا مستلزمات النضال النقابي المحلي المشترك • تؤثر جميعها على توجهات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية مركزيا ومحليا • ومع الاعتراف بأهميه هذه الظروف الموضوعية الا اننا نؤكد مجددا استراتيجية الثورة الفلسطينية بتنظيم الجماهير وتعبئة طاقاتها لخدمة مراحل حرب الشعب وتحرير كامل التراب الفلسطيني •

واقع المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

١ ــ **نشوء المنظمات الجماهيرية الفلسطينية وتصنيفها** : لن نتحدث طويلا عن مراحل نشوء المنظمات الجماهيرية الفلسطينية فقد عالجها شحاده يوسف في كتابه وبشكل واف ، لكننا سنتطرق سريعا الى الاسباب التي أدت الى نشوئها • فأهم عامل في نشوء هذه المنظمات الارادة الفلسطينية في ابراز الشخصية المميزة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في النضال لتحرير ارضه وتحقيق عودته • وبعد انطلاق الثورة تسارع انشاء المنظمات لدعم الثورة المسلحة والدعوة لها في المحافل الدولية الجماهيرية • جاء انشاء الاتحاد العام لطلبة فلسطين عام ١٩٥٩ مع تزايد عدد الطلاب الجامعيين الفلسطينيين ونشاط اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة الذي حافظ على وجوده منذ عام ١٩٤٤ • كان هدف هذه الطليعة الجامعية ابراز الشخصية الفلسطينية والدعوة المباشرة لتحرير فلسطين • وتسارع انشاء فروع للاتحاد بعد عام ١٩٦٣ • اما اتحاد العمال فتأسس عام ١٩٦٣ ، حين تداعت بعض الكوادر النقابية القديمة التي عايشت الحركة النقابية الفلسطينية قبل ١٩٤٨،ورعت اجتماعها جامعة الدول العربية • وكان الهدف من انشاء الاتحاد ابراز الشخصية الفلسطينية في الوسط النقابي العربي ودعم العمل الدعائي الخارجي • وانشئت المنظمات الاخرى بعد بروز منظمة التحرير الفلسطينية وانطلاق الثورة عام ١٩٦٥ • ومن هذه الاتحادات ، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ، والاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين ، والاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، واتحاد شبيبة الثورة المنحصر عمله في سورية ، والاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين ، وأخيرا الاتحاد العام للاطباء الفلسطينيين • ويوجد أيضا نقابات عمالية ومهنية عربية داخل الاراضي المحتلة خصوصا في الضفة الغربية •

وكما يتبين لنا اختلاف المنظمات واختلاف وظائفها • فقسم منها يخدم اهداف اجتماعية ــ مهنية واخرى اجتماعية او مهنية ، قاسمها المشترك دعم الثورة سياسيا ومساعدة أعضائها اجتماعيا ، ولا نستطيع اعطاء صفة « الجماهيرية » الى جميع هذه المنظمات أو الاتحادات • فالمهنية منها تضم عددا ضئيلا من الاعضاء ، ومن الغبن وضعها بمصاف المنظمات الاساسية مثل اتحاد العمال او المعلمين او المراة او الطلاب• كما ان وجود قسم من هذه المنظمات المستقلة يتناقض مع وجود تنظيمات أخرى مثل

اتحاد المعلمين الذي يجب ان يكون قسما من اتحاد العمـــال ، والخطأ مشترك لعدم تطور اتحاد العمال الى اتحاد النقابات العمالية الفلسطينية بسبب الظروف الاقتصادية المحلية التي لا تساعد على بروز نقابات عامة متخصصة· وسنتحدث عن هذه الظروف بشكل مفصل في الفقرة اللاحقة ·

٢ ـ ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

نتلمس من ممارسات المنظمات الجماهيريـــة الفلسطينية جوانب ايجابية واخرى سلبية ، سنلقي الضوء عليها محللين اسباب التقصير وعمق المشاكل ·

أ ـ الجوانب الايجابية من ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

١ ـ ان اهم عامل ايجابي في ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ارادتها في ابراز الشخصية الفلسطينية دعما لابـــراز الشخصية الوطنيـــة للشعب العربي الفلسطيني وحقه بالنضال لتحرير ارضه والعودة · ونتـــج عن هـــذه الارادة نشاط فلسطيني شعبي على المستوى العربي والخارجي · فانتسبت هـــــذه المنظمات الـى الاتحادات العربية القومية والى الاتحادات العالمية · وجاء اشتراكها في الاتحـادات العربية مكثفا نتج عنه مزيد من التحام هذه الاتحادات مع اهداف الثـورة الفلسطينية ، والدفاع عن وجودها امام هجمات الرجعية العربية · مع العلم ان دفاعها كان عموما لفظيا لخضوع الاتحادات القومية والقطرية لسياسة السلطات العربية القطرية ·

٢ ـ ونتج عن اشتراك المنظمات الجماهيرية الفلسطينية في الاتحادات العالمية مزيد من الدعاية للثورة الفلسطينية وللشخصية الوطنيـة للشعب العربي الفلسطيني ، مما ساعد على استصدار قرارات مؤيدة لحـــق الشعب العربي الفلسطيني ولنضاله · وجاء الكثير من اللقاءات الرسمية الاولى بين الثـــورة وبعض الاتحادات الجماهيرية الاجنبية وبل الدول الاجنبية عن طريق المنظمـات الجماهيرية الفلسطينية · وجسدت هذه المنظمات امام المنظمات الجماهيرية العالمية النضال الفلسطيني ، فألحـــت عليهـا حضور مؤتمراتها المحلية والاقليمية متحملين احيانا تكـــاليف انتقال واقامة الوفد الفلسطيني · وكان حصاد هذا النشاط الاعـلامي الخارجي حصول الثورة على دعم مادي مقدم من قبل المنظمات الجماهيرية الصديقـــة · وحظيت المنظمات الجماهيرية الفلسطينية بمساعدات مباشرة ومنها منح دراسية تشمل التدريـب النقابي والشبيبي والتخصص المهني والجامعي ·

٣ ـ وساعد نشوء المنظمـات الجماهيرية ومزاولة عملها على ترسيخ فكرة العمـل الجماهيري والعمل النقابي ، فأصبحا قسما اساسيا من النشاط السياسي الاجتماعي الفلسطيني · وكان للتنافس القوي بين التنظيمـات السياسية الفلسطينية على الفوز بقيادة المنظمات أثره في ترسيخ اهميتها ، بالرغم من السلبيـات التـي رافقـت هـــذه التعبئة الفئوية · وأخذت المؤتمرات العامة لهذه المنظمات تستقطب اهتمـــام الجماهير والقادة على السواء لاهمية المناقشات التي تجري وما يليها من قرارات تخص واقـع النضال الفلسطيني ومستقبله · وبدأ ظهور تيــــار من المندوبين يعكس رأي القاعدة ويتجاوز الانضباط الحزبي الضيق المعطل لوظيفتهـا النقابية السياسية · فهذا الدور الطليعي وحده يساعد على استقطاب الجماهير ويضمن الالتفاف الجماهيري العملي حول الثورة · وشجعت هذه المؤتمرات ايضا قيام نقد ذاتي لنشاط المنظمات وتوضيح اتجاه عملها في المستقبـــل القريب · وترجمت عملية تقييم الذات الى تطور نوعـي في هيكل التنظيم ، حيث أعطي مجال اكبر للمندوبين في توجيـه السياسة المحلية للتنظيم الجماهيري ·

٤ ـ من المكتسبات الاساسية للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية قبولها الرسمي في المجلس الوطني ، وهو تطور مهم في العمل الوطني الفلسطيني ، أي اعتبار المنظمات الجماهيرية قطبا في توجيه النضال · وكان لهذا الاعتبار أثره في زيادة عدد مندوبي المنظمات في هذا المجلس · وحتما سترتفع النسبة مع فعالية المنظمات واحتوائها القسم الاكبر من قطاعاتها · واستطاعت المنظمات الحصول على نفوذ اقوى في اللجان الشعبية المشرفة على المخيمات في لبنان ويعوّل عليها كثيرا · وتسير المنظمات الجماهيرية حاليا نحو تحقيق الوحدة الوطنية على مستوى الامانة العامة ومجالس الفروع مما يساعد على تحقيق التآلف وخلق اجواء سليمة لعمل جماهيري واسع ·

٥ ـ ونتج أيضا عن ممارسات المنظمات الجماهيرية تعرف واضطلاع بعض كوادرها على العمل النقابي · وساعدت الزيارات واللقاءات مع النقابات الصديقة وذات التراث النقابي العريق على تطوير التفكير النقابي لدى بعض قادة وكوادر منظماتنا الشعبية ، كما افادتهم المناقشات في المؤتمرات والندوات الدولية ـ كما حصل عدد آخر من الكوادر والعناصر على تثقيف نقابي من خلال حضور الدراسات النقابية العربية او حضور دورات في الدول الصديقة · وكونت جميعها نواة من الكوادر الواعية القادرة على تحمل عبء انطلاقة جديدة للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية · وسنتحدث عن عدم فعاليتها في الوقت الحاضر في الفقرة اللاحقة ·

ب ـ الجوانب السلبية لممارسات المنظمات الفلسطينية ومشكلاتها

لا تنفصل المشكلات التي واجهتها ، وتواجهها المنظمات الجماهيرية الفلسطينية عن طبيعة تلك المنظمات ومهماتها السياسية والنقابية ، وعن الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة بالواقع والنضال الفلسطيني · ولا نعني بالمشكلات العوائق « الفعلية » التي تعجز المنظمات عن تخطيها والخارجة عن ارادتها ، (لان ليس هناك في قاموس العمل الجماهيري شيء اسمه المستحيل) ، بل نعني المشكلات التي تمثل ظواهر سلبية في ممارسات هذه المنظمات · ويمكن ادراج هذه المشكلات في اطار تقسيم يميز بين ما هو موضوعي منها وما هو ذاتي · تمثل المشكلات الموضوعية مجمل التأثيرات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية النابعة من واقع الشعب العربي الفلسطيني ونضاله ، التي عرقلت وتعرقل عمل المنظمات · اما المشكلات الذاتية فتنبع من ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية نفسها ·

أولا ـ المشكلات الموضوعية :

١ ـ تميز الواقع الفلسطيني بتشرد الشعب وتشرذمه الى تجمعات في الاراضي المحتلة وعلى امتداد الوطن العربي ، خصوصا في المخيمات · ولذا من الصعب اعطاء صفة المجتمع لبنيان الشعب العربي الفلسطيني · لقد أدى تشرد معظم الجماهير الفلسطينية ، وفقدانها لارضها الى تحطيم البنية الاجتماعية لهذا الشعب وفقدانه للمقومات الاساسية لكل مجتمع بشري المتمثلة بضرورة وجود ارض واحدة يعيش عليها افراد هذا المجتمع ، وعلاقات اجتماعية واقتصادية مميزة ، وانماط معيشية مشتركة بين افراده ، واطر ثقافية خاصة به · ولذلك فقد واجهت المنظمات الجماهيرية الفلسطينية التي تكونت وبالتحديد شكل معظمها تمثيل فئات وطبقات ، فقدت وحدتها وتماسكها · وخسرت تلاحمها ونضالاتها المشتركة · وعاشت في ظروف سياسية واجتماعية متنوعة في الاقطار العربية · وأدى ذلك الى تعقيد عملية القيام بفرز طبقي في « المجتمع الفلسطيني » او بالاحرى التجمعات الفلسطينية · تميز من خلالها الطبقات التي تكون الشعب الفلسطيني ، والتي من المفترض ان تقوم المنظمات

الجماهيرية الاجتماعية ـ المهنية بتنظيمها والدفاع عنها · وتفسر هذه الحقائق الطابع السياسي الطاغي لنشاطات معظم المنظمات الجماهيرية القائمة ، وبالتالي صعوبة تحديد مجالات نشاطها الاجتماعي ـ الاقتصادي ، وتحديد هوية اعضائها · ان هذا التحليل لا ينفي وجود درجة معينة من التماسك الاجتماعي في الضفة الغربية وغزة وفي المخيمات الفلسطينية خصوصا في لبنان وسورية · ووجود حدود معينة للتمايز الطبقي بين فئات الشعب الفلسطيني ، وشبه يتلاشى في المخيمات · وبالتالي ينبغي ان نكون حذرين في استنتاجاتنا للقوانين التي تحكم النضال الوطني للشعب العربي الفلسطيني من الناحية السياسية ، والاجتماعية ، وبالتالي تجنب التبشير بأن الواقع الفلسطيني لا يخضع للقوانين التي تحكم حركة الصراعات الاجتماعية على امتداد العالم ، أن خصوصية الواقع الفلسطيني لا تنفي خضوعه لقوانين التطور التاريخي والاجتماعي العامة التي تحدد ارضية صراعاته السياسية وافاقها المستقبلية ·

٢ ـ ولقد واجه العمل الجماهيري الفلسطيني قمعا في عدد من الدول العربية التي لا تسمح انظمة الحكم فيها بقيام ولو باشكال جنينية من التنظيمات النقابية في مجتمعاتها ، بينما يجعل بعضها من المنظمات الجماهيرية أداة لاحكام سيطرتها السياسية على جماهير شعوبها ، واشكالا تنظيمية حاوية تكتفي بالتهليل لانجازات السلطة · وبالتالي تعرقل أي تحرك نقابي جدي يسعى لتنظيم الجماهير والدفاع عن مصالحها ومساهمتها الفعلية في العمل الوطني · كما واجهت المنظمات الجماهيرية الفلسطينية في بعض الاقطار العربية اوضاعا سياسية واجتماعية متخلفة · وانعكس هذا الوضع على ممارسات فروع المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، بحيث انها ورثت معظم الامراض الاجتماعية التي تعاني منها تلك المجتمعات · وهي بالتحديد ، ضعف الوعي السياسي المرتبط بتكوين بل بايديولوجية المنظمات والاحزاب العربية ، وغموض برامجها الاجتماعية والاقتصادية، وفهمها القاصر لدور المنظمات الجماهيرية في العمل السياسي ، وفشلها في تحريك الجماهير وتعبئتها للنضال من اجل قضاياها الوطنية والاجتماعية ، وكذلك غياب التقاليد والممارسات النقابية التي تعكس ميوعة العمل السياسي ولا عقلانيته وجموده وتستره خلف ستارات فارغة · وتتميز ايضا هذه المنظمات والاحزاب العربية باضطراب الاطر المرجعية الاجتماعية وتقليديتها ، وقوة المؤسسات التقليدية التي لم تسمح للتشكيلات السياسية والنقابية بالحصول على الحريات الديموقراطية الاساسية والضرورية لممارسة المنظمات الجماهيرية · ان ارتباط النضال النقابي الفلسطيني بالنضال العربي لاسباب وطنية وقومية وجغرافية وتاريخية كان له تأثير سلبي احيانا على عمل التنيظمات الجماهيرية الفلسطينية حتى انه حدد احيانا أفاق عملها وفعاليته · ولا شك ان تداخل المهمات بين المنظمات الجماهيرية العربية القطرية وبين مثيلاتها الفلسطينية قد أدى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية الى اضعاف أثر وقدرة تلك الاخيرة على تحقيق انجازات نقابية واجتماعية بارزة لصالح قواعدها الشعبية الفلسطينية ، بسبب كون تلك القواعد مرتبطة تنظيميا ومعاشيا بالنقابات العربية التي من المفترض ان تدافع عن حقوقها ومصالحها · ولذلك قنعت المنظمات الشعبية الفلسطينية في معظم الاحيان بممارسة دور سياسي محدود ، يرمي الى دعم الثورة الفلسطينية ، ومساعدتها في حشد ، وليس في تنظيم الجماهير الفلسطينية ·

ولعل مشكلة فقدان السلطة السياسية الفلسطينية الفعلية بمعنى عدم قدرة الثورة الفلسطينية على الاستجابة الاجتماعية والاقتصادية لحاجات الجماهير الفلسطينية

بفئاتها وطبقاتها المختلفة ، قد اضعف امكانيـــة المنظمات الجماهيرية الفلسطينية من الاستجابة لحاجات ومتطلبات نضالاتهـــا المهنية والاجتماعية ، والاكتفاء بالنضال السياسي المرتبط بفعاليتها الذاتية ، وتطور الثورة ، ونموها على المستويين السياسي والعسكري • فبدلا من ان ترفد المنظمات الجماهيرية الثورة بكوادر مجربة وواعيـــة تدفع العمل السياسي العام والتنظيمي الى الامام، فانها امتصت خيرةكوادر المنظمات في نطاق عمل اللجان المحلية وفشلت في استيعابها ، فشلتها سياسيا ونقابيا • ولا شك ان ذلك لا ينطبق بصورة مطلقة على جميع المنظمات فبعضها كاتحاد الطلاب الذيكان وما يزال يرفد الثـــورة الفلسطينية بخيرة كوادرهـــا وأنضجها ، وذلك يعـــود الى ظروف معينة ارتبطت بالاطار التاريخي لتكون الاتحاد وارتباطه الوثيق ببدايات العمل الثوري الفلسطيني ونموه •

٣ ــ ان غموض الفكر السياسي للعمل الفلسطيني ، وعموميته ، وعدم قدرته على رصد الواقع الفلسطيني بعوامله السياسية والاجتمـاعية ، وضعف بناه التنظيمية قد انعكس سلبيا على عمل المنظمات الشعبية الفلسطينية ، وحـــدد تأثيرها بين اوساط الجماهير الفلسطينية في المخيمات وخارجها ، فلم يحدد هذا الفكر مثلا دورا واضحا لتلك المنظمات ، وكيفية عملها ، ولا الاطار النظري الفكري لهـذا العمل ، ولا القنوات التنظيمية التي تستطيع من خلالها تلك المنظمات التأثير على حركة النضال الفلسطيني السياسية والاجتماعية • لم تـــدرك هذه القيادات أهمية المنظمـــات الجماهيرية في تسييس الجماهير الفلسطينية ، وتنظيمها من خلال انتماءاتهـــا الاجتماعية والمهنية والسكانية • ولذلك كانت العلاقة بين قيادات الثورة والمنظمات الجماهيرية هي علاقة سلبية فوقية • تبرز حين تكون تلك القيادات بحاجة الى دعم بعض مواقعها او كسب الانصار لاتجاهاتها السياسية بما في ذلك اصواتها في المجلس الوطني الفلسطيني•• وهي في سبيل الوصول الى هذه الاهداف لجأت الى تشويه ديموقراطية العمل النقابي وتعيين عناصر في مناصب قيادية في المنظمات دون الاخـذ بعين الاعتبار مدى كفاءة تلك العناصر وتمثيلها للقواعد ، المفترض الدفـــاع عن مصالحها وعن رؤيتها لواقع النضال الفلسطيني ومستقبله •

ــ وشاركت بعض الانظمة العربية المحليـــة في تشويه ممارسات وقرارات معظم المنظمات الجماهيرية الفلسطينية المحلية • وذلك نتيجة تدخلها المباشر او غير المباشر وافقدتها جزءا من الاستقلالية التي لا يمكن بدونهـا ان تنجح تلك المنظمات في عملها السياسي والاجتماعي • لقد أدى ذلك الى اختلاف سياسات فروع المنظمات الشعبيـــة ومواقفها ، تبعا للبلد الذي تعمـــل فيه • وساهم ذلك في تمييـــع العمل السياسي الفلسطيني ككل ، وحد من قدرته على توضيح خطوطه العامة ، واتجاهاته •

ثانيا : المشكلات الذاتية :

١ ــ واما بالنسبة للعوامل الذاتية التي تؤثر في نشاطات المنظمـات ، يمكن القول عامة بأنها نتيجة للظروف السياسية التي احاطت بتكوين معظم تلك المنظمـات • اذ ان معظمها لم يتشكل او لم يشكل نتيجة لحاجات موضوعية اجتماعية بقدر ما كانتنتيجة لقرارات سياسية فوقية ارادت منها اكمال الاطار السياسي العملي لمؤسسات الثورة ، وتنظيماتها • ان توالدها السريع ، وشرذمتها يطـــرح تساؤلات جدية تتعلق بحقيقة المهمات التي تقوم بها ، وقدرتها على ادائها • واذا كانت اتحادات العمال والمعلمين والطلاب والمرأة والشبيبة والكتاب •• تعبر عن حاجة موضوعية،(٦) لتنظيم مساهمة

---

٦ ــ كما ذكرنا في بدء البحث ان الشكل الامثلهو ايجاد اتحاد النقاباتوضم اتحاد المعلمين اليه وكذلك تطوير اتحاد الشبيبة والتنسيق بينهوبين اتحاد الطلاب ، ولكن ظروفا عديدة تمنـــع ذلك حاليا •

تلك الفئات في النضال الفلسطيني • فما هو مبرر قيـــام اتحادات مستقلة للاطباء والمهندسين والفنانين ••• ولماذا لا تتجمع الاتحادات المهنية في اتحاد مركزي واحد مع ابراز خصوصية كل مهنة •

٢ ـ تفتقر معظم المنظمات الجماهيريةالفلسطينية الى كوادر نقابيةمؤهلة ومتمرسة، تعي اهمية العمل الجماهيري وأسسه واهدافه • وهذا مرتبط بغياب التقاليد النقابية في العمل السياسي الفلسطيني نتيجة لحداثته ، وغيابه سابقـــا في ثنايا المنظمات الجماهيرية العربية او انعدامه الكامل • فقط اتحاد الطـــلاب وحده حافظ على تراث طويل ولكن نمطه الخاص لا يخول استمرار وجود الكوادر الكفؤه لانتقالها الىالحياة الانتاجية • ولم تستقطب في المنظمات الجماهيرية الاخرى • أمـا اتحاد العمـال فلقـد تلاشى عمله بعد ١٩٤٨ ، وبدأ عمله عام ١٩٦٣ مع تخلـف في مستوى الكوادر نسبة لما هو مطلوب من العمل النقابي الفلسطيني • واذا كان الافتقـار الى الكوادر المؤهلة والمتمرسة هو ظاهرة عامة في العمل النقابي الفلسطيني فانه من الملاحظ ان القيادات النقابية الفلسطينية بدلا من أن تسعى الى تدريب كوادر جديدة على جميع المستويات لتأهيلها استلام مسؤولياتها في قيادة العمل النقابي ، تهمل الكوادر التي تلقت تدريبا في الدول العربية او في الخارج ، ولا تستفيـد من امكانياتها • لا تسعى معظم هذه القيادات الى زيادة كفاءتها النقابية ووعيها المهني والسياسي بحضور دوراتتدريبية تؤهلها لممارسة مهماتها • بل توجه كل اهتمامهـــا الى حضور المؤتمرات والندوات العالمية التي تقتنع فيها بدور المراقبة والتفرج، دون المساهمة الجدية في تلك المؤتمرات من خلال اعداد الدراسات السياسية والنقابية المرتبطة بالواقع الفلسطيني وآفاقه •

٣ ـ وتشكو المنظمات الجماهيرية الفلسطينيـــة ايضا من قلة الكوادر المتفرقة في هيئاتها القيادية ومجالسها المحلية • وتفتقر ايضا الى وجود لجان متخصصة لتنظيم اعمالها وتوجيهها ، واعداد الدراسات والملفات الخاصة بالمؤتمرات العربية والعالمية، التي تدعو اليها • كما انها في نفس الوقت تفتقـر الى الاحصاءات والمعلومات التي تمكنها من معرفة مشاكل قاعدتها العامة والقطرية لوضع سياسة مطلبية تلبي مصالح قاعدتها وتتفق والنضال الفلسطيني ، وتمكنهـــا من اعداد المشاريـــع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية التي تخدم قاعدتها والثورة • ولـــم تنل هذه المنظمات الدعم اللازم من مركزي الابحاث والتخطيط لتنظيم جمعالاحصاءات والمعلومات وتحليلها ومساعدتها على وضع الخطط اللازمة لتطوير عملهـــا وتنشيطه • ومن الطبيعي ان يكون هناك تعاون دائم وتنسيق مشترك بين تلك المؤسسات والاتحادات بحيث تستطيع المراكز العلمية الفلسطينية الاطـــلاع على واقع تلك المنظمـــات وحاجاتها العلمية، والعملية • لكي تتمكن هذه المراكز على تقدير احتياجات المنظمات ومساعدتها •

٤ ـ ويمكـن ان نضيف هنـا عددا آخـر من العوامل الذاتية التي تمنـــع المنظمات الجماهيرية من اداء مهماتها وهي من حيث الاهمية ، وأهمهـــا ارتباط معظم قيادات المنظمات بالقيادات السياسية في الثورة مبـــاشرة وليس بالتنظيم السياسي ككل • وسبب ذلك ضعف موقع هذه القيادات النقابية جماهيريـــا وقد عينت من قبل القيادات السياسية بطريقة مباشرة او غير مباشرة • فتعمل جاهدة على ارضاء هذه القيادات بدلا من الدفاع عن مصالح القاعدة وتقوية التنظيم الجمـــاهيري دعما للثورة • ان خمولها السياسي هذا يعكس في ابتعادها عن مواجهة للمشكلات الداخلية التـــي تكاد تصرفها عن عملها الاساسي وهو تنظيم الفئات التي تدعي تمثيلها• ولذلك فان النشاط التنظيمي الداخلي يكاد يكون معدوما او عديم الفاعليـــة بالنسبة للكوادر القياديـــة النقابية • وهذا ما يدفع تلك القواعد احيانا الى الابتعـــاد عن تلك الاتحادات بسبب

شعورها بعدم جدوى العمل فيها ، ولانها تشعر بأن تلك القيادات لا تمثلها ٠

٥ ـ ان هـــذه المشكلات ، وتوالي التقصيـــر الذي اشرنا اليه ، قلصت القواعــد الجماهيرية لتلك المنظمات وأثرت على نشاطهـــا ٠ « فباستعراض تقارير الاتحادات نلاحظ انها حين تتحدث عن النشاطات تتحدث اساسا عن الوفود والزيارات او حضور المؤتمرات وارسال البرقيات ٠ كما تتحدث عن مساعي القيادات لتحقيق بعض المكاسب او الخدمات لاعضائها او قطاعاتها الشعبية » ٠ (٧) ويجب ان لا يخدعنا عدد المنتسبين الى المنظمات الشعبية ، اذ يسعى وبجميع الطرق تنسيب اكبر عدد من الاعضاء في فترة الانتخابات لتحقيق فوز عناصر التنظيمات السياسية المتنافسة ٠ ويتبخــر هذا العدد بعد الانتخابات مباشرة فتستعيد المنظمات حجمها الطبيعي ، الضئيل جدا نسبة لحجم الفئات التي تمثلها ٠

أسس تطوير عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية للوصول الى دورها الحقيقي

يرتبط التطور المطلوب لعمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية بالواقع السياسي ، والاجتماعي للثورة الفلسطينية واحتمالات تطوره ، اذ انه لا يمكن عزل حركة العمل الجماهيري ومنظماته عن المجرى العــــام للنضال الفلسطيني وانجازاته السياسية ومشكلاته والتحديات التي يواجهها ٠ ان هذه العلاقة لا تنفي أهمية الدور الذي ينبغي ان تقوم به المنظمات الجماهيرية لتطوير هـــذا النضال ، وتصعيده ، وتعميق آفاقه السياسية والاجتماعية بقدر ما تؤكده ٠٠ واذا كانت تلك المنظمات قد فقدت امكانيـــات المبادرة السياسية والاجتماعية في النضال الفلسطيني ، فان استعادتها لهذه المبادرة تتطلب تحقيق عدد من المهمات التي تساعدها في تطويــر عملها ، وتغيره كما ونوعا ، ولعل أهم تلك المهمات هي :

١ ـ زيادة تأثيرها على صنع القرارات السياسية ، المتعلقـــة بالمواقف السياسيــة الحاسمة في العمل الثوري الفلسطيني ، وألا تقنع بدورهـــا الماضي القائم على الدعم والتأييد لانجازات القيادات السياسية وان نجاحها في ذلك يعتمد على ما يلي ٠

أ ـ استقلالية العمل الجماهيري الفلسطيني عن الصراعات التنظيمية في الساحة الفلسطينية ، والتنافس على الدفاع عن مصالح الجماهير ، والفئات التـــي تمثلها ، لا التسابق التنظيمي على السيطرة على المراكز القيادية في المنظمات الجماهيرية ٠

ب ـ ينبغي ان تعمل الكوادر المسؤولة في قيادات المنظمات الجماهيرية على تعزيز الوحدة الوطنية بين كوادرها ، وقواعدها ٠ وذلك من خلال تجنب اثارة الحساسيات التنظيمية داخل مؤسسات تلك المنظمات ، أو التعصب التنظيمي القائم على الرغبة في السيطرة ، والاستفراد التنظيمي بمـــقدرات تلك المنظمات وفروعهـــا ، وأجهزتها ٠ والمساعدات التي تتلقاها ٠

ج ـ نشر روح الديمقراطية الثورية بين قواعد المنظمات وتشجيع مبادرات القواعد، واعتماد الكفاءة والخبرة النقابية أساسا لاختيـــار الكوادر القيادية ، وترقيتها وأن تنتخب التنظيمات السياسية خيرة كوادرها لتمثيلها في التنظيمات الشعبية ٠

د ـ التدريب المستمر للكوادر القيادية، والقاعدية لزيادة وعيها السياسي والنقابي، وذلك من خلال اقامة دورات التدريب النقابية والسياسية التي تعمـــق وعي القواعد بواجباتها ومسؤولياتها النضالية ٠

---

٧ ـ يوسف شحادة ، المصدر السابق ، ص ٩٢ ٠

هـ ـ توسيع قواعدها الجماهيريـــة ، والسعي لاستقطاب كـــل الكفاءات المهنية والتنظيمية للاستفادة من امكانياتها لخدمة العمل الوطني · وتكليفها بمهماتتستوعب تلك الامكانيات وتشعرها بأهمية ما تقوم به من أعمال ·

٢ ـ الالتفات الى العمل التنظيمي بيـن الجماهير الفلسطينية وذلك لا يتم بفـــرض العضوية الاجبارية ، من خلال التعميمات القيادية من قبل الهيئات السياسية الفلسطينية أو المنظمات العربية التي تنتمي اليها تلك الجماهير كما هو الحال في اتحاد العمال ، والمعلمين ، وغيره ··· وانما من خلال معايشة تلك الجماهير، والاستجابة لحاجاتها، والدفاع عن مصالحها ·

ـ ومن الملاحظ ان مقرات قيادات معظم المنظمـات الجماهيرية الفلسطينية تقع في المدن لا في المخيمات حيث تعيش جماهيرهـــا ، وان يكون العمل التنظيمي مرتبطا بمهمات محددة ، ومسؤوليات واضحة ، وألا تكون الاحتياجات الوحيدة لتلك المنظمات هي تلك التي تتم قبل الانتخابات او لجمع تواقيـع الاعضاء على بيانات تأييد انجازات معينة للقيادات السياسية الفلسطينية ·

٣ ـ يجب ألا يكون دعم المنظمات الجماهيرية لنضال شعبهـا مقتصرا على اصدار بيانات التأييد او الاستنكار ، كما كان الحال في الماضي ، ذلك انها مطالبة بأن تسلح قواعدها ، وتقوم بعمليات تعبئة سياسية مستمرة للمشاركـــة المباشرة والفعالة في التصدي للتحديات العسكرية والسياسية التي تواجههـــا الثورة ، وأن تقوم بدعمها ماديا من خلال اشتراكات اعضائها ومشاريعها التعاونية لا ان تطلب منها مساعدات مادية ، لتأمين نفقات عقد مؤتمراتها · وحملاتها الانتخابية ·· وان استقلالها المادي، هو شرط أولي لحرية حركتها السياسية ·

٤ ـ تكتسب عملية برمجة النشاطات الخارجية للمنظمـات الجماهيرية الفلسطينية أهمية خاصة ، بسبب حاجة الثـــورة الى نشاطها الاعلامـــي ويشمل ذلك الاعداد للمؤتمرات ، والندوات النقابية العربية والعالمية· وضرورة توفر احصاءاتومعلومات عن شتى نواحي او ابعاد النضال الفلسطيني ، والحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية وتطوراتها كما ان ذلك يشمل ايضا معلومات ضروريـــة عن طبيعة المنظمات النقابية العالمية والعربية واتجاهاتها السياسيـــة ، ونشاطاتها ، ومـدى ثقلها السياســـي ، والنقابي ، وأن تدرس مع مؤسسات الثورة أو اجهزتهـــا حاجات الثورة ، وطبيعة المساعدات التي تحتاج اليها ، لكي تطلبها كمساعدات مـن المنظمات النقابية العربية والعالمية ·· ويتطلب ذلك تشكيـــل لجان متفرغة في قيـــادات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية تقوم باعداد الدراسات اللازمة للمؤتمرات العالمية والعربية بالتعـــاون مع كل من مركزي الابحاث والتخطيط ·

٥ ـ تطوير العمل النقابي الفلسطيني ، وتنشيط اهتمـام الكوادر القيادية بالدفاع عن مصالح الفئات التي تمثلها ، بما في ذلـــك خوض صراعات مع المنظمات النقابية العربية للدفاع عن حقوق العمال الفلسطينيين ، ومصالحهم المهنية والمعيشيةلتحسين شروط استخدامهم في المؤسسات الانتاجية العربيـة ولتعميق التضامن بين المنظمات الجماهيرية الفلسطينية والمنظمات النقابية التقدمية العربية ، والاتفاق على برامج عمل مشتركة معها ·

ان العمل الجماهيري الذي نطمح لتحقيقه من خلال نشاطات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية هو نضال سياسي ونقابي فعـــال يمكن الجماهير الفلسطينية من صنع القرارات السياسية التي تحدد مسار نضال شعبنا ، وأهدافـــه ، وهذا يتم بتطوير

المنظمات الجماهيرية الحالية بحيث تصبح أكثر تمثيلا لقواعدها، وتضم خيرة الكوادر النقابية ، المتمتعة بالوعي السياسي الوطني والطبقي ٠ وان تبرمج اعمالها ، وتحدد اهدافها ، وتطرح برامج عملها في شتى مجالات نشاطها ، وان تنسق مع المؤسسات التربوية ، والعلمية الفلسطينية ، وأن تمد نشاطاتها السياسية والنقابيـة الى الارض المحتلة ، وأن تتعاون مع المنظمات المهنية الفلسطينية مهنيا ، وتدعمها ٠

٦ ـ ويجب ان يشمل اهتمام المنظمات الجماهيرية الفلسطينية الاساسية النشاطات الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية المذكورة في القسم الاولمن هذا البحث٠ وستدعم مثل هذه النشاطات البنيان التنظيمي لهذه المنظمـات ٠ وتوفر ممارسة جيدة لبروز الكوادر الواعية والنشيطة ٠ كما سنجد ان مثل هذه النشاطات وابرزها ، تعليم الكبار بما فيها محو الامية ، والتعليم والتأهيل والتدريب المهني ، وانشاء التعاونيـات الاستهلاكية ، وتحقيق نمط او انماط من الضمان الاجتماعي حسب الظروف المحلية ، ستنشط المنظمات الاجتماعية ـ المهنية ، والمهنية وتعطي لها مجالا للعمل في حال غياب السياسة المطلبية النقابية لارتباطها بالنقـابات العربية القطرية ٠ ولتستطيع هـذه المنظمات القيام بهذه النشاطات يتوجبعليها الاقتناع بكامل دورها الجماهيريوتحديد مهمات مرحلية حسب الظروف المحليـة ، والاعتماد على احصاءات واستقصاءات ودراسات بالتعاون مع مركزي الابحـاث والتخطيط ٠ ويتطلب ايضا من المنظمات الجماهيرية الفلسطينية الاهتمام بالمشاكـل العامة للتجمعات الفلسطينية خصوصا للمخيمات ، واعطاء اهتمام خاص بتربية الاجيال الصاعدة ، عماد أستمرار النضال، وبناء فلسطين بعد العودة ٠ وتبتغي في عملهـا التنسيق فيما بينها تضافرا للجهود ودعما للمنظمات الجماهيرية المختلفة المتممـة لبعضها البعض ٠ ويفرض مثل هذا التنسيق تقوية دائرة التنظيم الشعبي وتدعيمهـا بالكفاءات اللازمة لتساعد فعليا المنظمات الجماهيرية ٠

تأريخ حركة النضال الفلسطيني خلال فترة الانتداب

الدكتورة خيرية قاسمية

منذ ان نفذت الصهيونية الى فلسطين فيالنصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان هناك تخوف من ان يحل القادمون الجدد محل السكان الاصليين ، ومع ان ردود الفعل العربية كانت اولية ومتقطعة وفورية الا انها مع السنين اتخذت شكل معارضة واعية للمشروع الصهيوني،ولم يعد ينظر الى الصهيونية على انها تهدد حياة السكان الاقتصادية بالخطر ، بل بدت وهي تخطط لاغتصاب ارض عربية تهديدا خطرا للفكرة القومية العربية الناشئة • ومن هنا شاركت مختلف الطبقات والطوائف من ملاكين ومثقفين وتجار وفلاحين (مسلمين ومسيحيين) وبوسائل مختلفة متباينة الاندفاع والقوة ، بالتعبير عن معارضتها للصهيونية والهجرة •

ولم يكن في الامكان ان تخفف مشاعر العداء تلك المنافع التي يدعي الصهيونيون انهم حملوها معهم • وفشلت جميع المحاولات الرامية الى خداع الفلاحين واستمالة صغار الملاك او المثقفين على أمل التوفيق بين المصالح العربية وبين الصهيونية •

بل كان الخوف من هذه القوة المتقدمة ببطء التي تساندها قوة عالمية هو الذي دفع الشعب الى ان يواجه المستقبل بقلق خوفا من عجزه عن المحافظة على مركزه •

ولم تكن فلسطين معزولة عن التيارات والاتجاهات السياسية في المنطقة وشارك ابناؤها في تشكيل الجمعيات والاحزاب القومية بعد ١٩٠٨ فامتد التحسس بالخطر الصهيوني الى مناطق اخرى من المشرق العربي بحيث يمكن القول ان موجة من الحذر من الصهيونية والمعارضة لها قد عمت المنطقة قبل الحرب العالمية الاولى •

نشوب الحرب كان فرصة تاريخية لتحقيق الاستقلال العربي والوحدة القومية ، بيد ان الحرب تمخضت عن قيام تحالف رسمي قوي بين الصهيونية والامبريالية البريطانية تجسد في تصريح بلفور الذي تضمن وعدا رسميا باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين على حساب شعب فلسطين ومستقبله • وكان على الحركة الوطنية في فلسطين ان تسعى الى تحقيق هدفين سياسيين عاجلين ، كسائر البلاد التي وقعت تحت السيطرة البريطانية او الفرنسية : ازالة السيطرة الاجنبية ونيل الاستقلال التام • لكن مهمة الحركة تعقدت في فلسطين بسبب الاماني الصهيونية لانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين وبسبب دعم بريطانيا وتأكيد تحقيق هذه الاماني •

وكانت تجربة العرب من الانتداب مريرة ، ولم ييأسوا من الكفاح في سبيل حقوقهم ، وكان يرجح ان تأتي مقاومتهم بثمرات حقيقية لولا عوامل عديدة : فالى جانب الحركة الصهيونية العالمية كانت سياسة الانتداب في دعم الصهيونية في عدة ممارسات منها التهويد ، الاراضي ، الهجرة ، الادارة وغيرها،واتباع سياسة التخدير بلجان التحقيق • ومع ان النضال الفلسطيني كان يجري باستمرار ضمن اطار عربي ،

فعروبة فلسطين ازلية تأريخاً وثقافة ومصيرا ، الا أن كون الدول العربية آنذاك جزءا مشلولا من اجزاء العالم التابـع للمعسكر الامبريالي تـرك الوطنيين الفلسطينيين يجابهون الضغط الصهيوني وحدهم · وقد ظل عرب فلسطين خلال عهد الانتداب كله يعلنون موقفهم من البلاد العربية وهو ان نضالهم ضد انشاء وطن قومي يهودي ليس مجرد نضال محلي ، وانما هو موقف عام ضد الصهيونية التي تهدد العالم العـربي ككل، «وادرك العرب ببطء معنى هذا التهديد، خصوصا في نهاية الحرب الثانية»(١)·

يضاف الى ذلك ظروف البلاد الاجتماعية آنذاك ، التي لا تختلف كثيـرا عن ظروف المجتمعات العربية الاخرى الخاضعة للحكم العثماني ، تتغلب منها المشاعـر الموروثة القديمة من دينية ومحلية وقبليـة ومصالح خاصة · وانحصـرت الافكـار السياسية والسيطرة الادارية لدى الاوساط الثرية المثقفة من وجهاء وتجار وضباط واقطاعيين ، لان مجالات التعليم في العهد العثماني كانـت محدودة ومن نصيب تلك الطبقة · وظلت حركتها الى حد بعيد ، بحكم المصلحة والظروف ، حركـة سياسة دون ان يكون لها محتوى اجتماعي واقتصـادي · وخلال الانتـداب ظلت هـذه الطبقـة الاجتماعية هي المسيطرة سياسيا ولكنها لم تكن منعزلة عن المجتمـع بل شاركت في الحياة السياسية وسيطرت على المؤتمرات واللجان · واتفقت هذه القيادة عـلى ضرورة احلال الاستقلال محل السيطرة الاجنبية والقضاء على الوطن القومياليهودي الا انها حتى عام ١٩٢٩ لم تقم بأي محاولة لمعارضة الانتداب بالقوة ، ما ارادتـه هو التوصل الى تفاهم مع الانتداب بشرط ان يغير موقفه من الوطن القومي ·

والفشل المتواصل رفع من مكانة الفئة التي تضع في حسابها الثورة وسيـلة لتحقيق الاهداف ، فحولت الحركة من حركة بطيئة سلمية الى حركة ثورية · صحيح ان الاسلوب الثوري لم يكن جديدا كل الجدة ، ولكن سياسة بريطانية اسرعت في تقدم الحركة وتحويلها الى عنف · لقد كان لعرب فلسطين فرصة لتحقيق اهدافهم بواسطة العنف في العشرينات عندما كانت الصهيونية في البلاد ضعيفة ، وهي فرصة افضل بكثير مما كانت لهم عندما حاولوا ذلك في الثلاثينات ·

رغم كل هذه المعوقات فلقد اظهر الشعب منذ البداية صلابة وجرأة واستعـدادا للتضحية وتمسكا بالارض لا مثيل له ، وتؤكد الوقائع التاريخيـة ان هذا الشعب قد ناضل نضالا متواصلا مريرا لمقاومة اخطار الصهيونية والاستعمار ، واتخـذ هذا النضال اشكالا عديدة وتبنى مختلف الاساليب الكفاحية من الاحتجاج الى المقاطعـة فالاضراب فالعصيان المدني فالثورة المسلحة ·· « وكي تعيش هـذه القضية لا بد من الاطلاع على تاريخها ومتابعة مراحلها ومواكبة خط تطورها ··· فاستلهام الماضي اذا ما تم على صورته الصحيحة ، يشكل حافزا من حوافز النضال··· من الضروري ان نبني اندفاعنا النضالي المعاصر على اساس الوعي الصحيح والحقائق الثابتة اذا ما اردنا لمسيرتنا الحالية أن تكون انطلاقة تاريخية لا مجرد هبة عابر ة » (٢) ·

وتتحدد قيمة ما يكتب من تاريخ القضية بناء على الاعتماد على المصادر الاولية ولا شك ان مذكرات واوراق كبار السياسيين الفلسطينيين الذين لعبوا دورا كبيرا في القضية تشكل مادة اساسية للاستفادة منها · وظاهـرة المذكرات في تاريخ فلسطين ضعيفة ، والسبب يرجع الى ان الحياة السياسية لم تكن مستقرة ، فتردد الزعمـاء السياسيين في كتابة مذكراتهم لوجود عامل الخوف والاضطهاد · وهناك عامـل آخر

---

١ ـ مجيد خدوري ، **الاتجاهات السياسية في العالم العربي** ، (مترجم) بيروت ١٩٧٣، ص٢١٦

٢ ـ عبد الوهاب كيالي ، **تاريخ فلسطين الحديث** ، بيروت ١٩٧٠ ، طبعة اولى ، المقدمة ص٧

فعادة المذكرات لم تتأصل بعد كتابتها بين رجالنا ، وما كتب منها هو اقرب للتقارير منها للمذكرات حسب فهم الغربيين لها ، او هي تجميع لذكريات حوادث قديمة كتبت بعد ان مضى بعض الوقت على هذه الاحداث واختلطت في كثير من الاحيان بالنسيان وبالعواطف الشخصية · هذه الحقيقة تفقد المذكرات الكثير من الاهمية السياسية لانه من الجائز ان يعدل السياسي رأيه وموقفه ازاء موقف معين بعد مضي فترة من الزمن، والمؤرخ يحتاج من السياسي موقفه ازاء هذه المسألة وقت حدوثها وفي حياته، ثم ان المذكرات لا يمكن تقويمها الا في اطار صاحبها من ناحية الدور الذي لعبه في الاحداث ، قربه وبعده عنها ، ثم اهميته من ناحية اتجاهاته الحزبية والسياسية،وعلى سبيل المثال : ما يقلل من اهمية مذكرات الاستاذ اميل الغوري (فلسطين عبر ستين عاما (جزءان بيروت ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣) انه كان حزبيا فهو يستطيع ان يحدث ويشرح في دقة موقف حزب (المفتي) او ما اطلق عليهم اسم المجلسيين ، ولكنه لا يمكن ان يؤخذ كلامه حقيقة مسلم بها تماما حين يبدي رأيه في موقف (المعارضين) ·

ويبدو على مذكرات الاستاذ احمد الشقيري (بيروت ١٩٦٩) الطابع المستقل اذ كما يقول في ص ١٠٧ انه بسبب فتور الحركة الوطنية ١٩٢٨ واشتداد الخلاف بين رجالات البلاد وارستقراطية رأي الشباب « ان ننفخ روحا جديدة في الحركة الوطنية وان نشق خطا وطنيا مستقلا ، لا مجلسيا ولا معارضا » ، وفي معرض حديثه عن الحركة الوطنية وتعايشها مع الادارة الانجليزية وجه اتهامات كثيرة الى من اسماهم بالمجلسيين والمعارضين « ·· فالسيد أمين الحسيني بدأ حياته الوطنية شابا ثائرا ثماصبح رئيسا للمجلسالاسلامي الاعلى بموافقة السلطة البريطانية··وقد حدث ذلك في عهد هربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي البريطاني ·· والسيد راغب النشاشيبي رئيس بلديةالقدس وسائر اعوانه ورؤساءالبلديات كانوا يعينون لمناصبهم بموافقة السلطات البريطانية ، وبهذا اصبح هذان الحزبان الوطنيان الكبيران يعيشان في كنف السياسة البريطانية » · ولكن الاتهامات الخفية التي وجهها الشقيري في ثنايا كتابه (للمجلسيين) وللمفتي دفعت الغوري الى الرد عليه في كتاب آخر « الشقيري في الميزان » ، وخرجت بذلك هذه الكتب عن مجال بحثنا لانها غرقت في بعض الامور الشخصية ·

احيانا يحدث نوع من الخلط بين المذكرات والانطباعات واليوميات ، ما كتبه عارف العارف (رغم ان كتابه النكبة قد مضى عليه اكثر من عشر سنوات) هو اقرب الى اليوميات ، وكان عارف العارف منذ عهد الدراسة في الاستانة قد درج على تدوين مذكراته في يوميات متتابعة وازداد شغفه باليوميات لما صدر قرار التقسيم · ويقول في مقدمة الجزء الاول : انه رواية « يروي للناس ما حدث بل وما رأى وما رواه له العدل الثقات مستهدفا ان يدونالوقائع قبل اندثارها ·· ويحفظها لابناء الاجيال القادمة لان من حق الاجيال ان تعلم ما الذي جرى وكيف ولماذا الت النكبة وكيف انقلبت الاوضاع»·ومع حرص العارف على تدوين الامور ساعة حدوثها محجما عن ابداء الرأي فله تحفظ قد يبدو غير معقول علميا «بأن احسن التواريخ واصدقها ما يكتبه المؤرخون بعد مضي ما لا يقل عن ربع قرن من الزمن ، وليس الذي يكتب فور وقوع الحادث ، اذ ان الكاتب مهما اوتي من عدل وحكمة وصدق ونزاهة لا بد ان يكون عند حدوث الحادث متأثرا بمصالحه الذاتية او الحزبية او القومية او الدينية ولا يكون حكمه في هذه الحال بعيدا عن مواطن الريبة والزلل ، واما الحكم الذي يلفظه المؤرخ بعد حين من الزمن فيكون انقى · وكلما طال الحين كان الحكم ابعد عن الغمز والطعن ، اضف الى ذلك ان الكثير من الحقائق التي يميل الناس بحكم غريزتهم الى انكارها حين وقوعها ، تكون قد تكشفت ووضح امرها ، ويكون الاشخاص الذين جرت الحوادث على ايديهم

والسنتهم أو قامت بسببهم وفعالهم ، قد لاقوا ربهم وأمسوا في ذمة التاريخ » ٠

ويرتبط بالمذكرات ما يمكن ان نسميه بالاوراق الخاصة ، وهذه لها اهميتها الخاصة اكثر من المذكرات ، ويرجع ذلك الى انها لا تحمل الرأي المسترجع فهي اهم من ناحية الدقة التاريخية ٠ هذه الاوراق قليل منها ما نشر ، فهي اما فقدت او اصابها التلف او اخفيت بسبب ما تعرضت له فلسطين من احداث ٠ محاولة متواضعة بدأت بنشر اوراق عوني عبد الهادي الذي شارك في السياسة العربية مدة تزيد على نصف قرن ٠ وقد وقع في خطأ معظم ساستنا فهو لم يتصد لكتابة تاريخ الفترة التي عايشها الا بعد ١٩٦٦ ولكن بشكل متقطع فلم يتمكن من مواصلة هذا الجهد قبل وفاته ١٩٧٠، واخرج مركز الابحاث اوراقه مؤخرا في كتاب تحت عنوان « عوني عبد الهادي ، اوراق خاصة » ، وهي ليست مذكرات متكاملة بل مجموعة من الاوراق الخاصة بعضها الجزء الذي بدأ بتدوينه كمذكرات ، والبعض الاخر مراسلات بينه وبين رفاقه في العمل السياسي او مع كبار المسؤولين العرب والاجانب ، مع ان معظم المراسلات تحوي ردود الاخرين الا اذا احتفظ هو بمسودة او نسخة عنها ، وحوت اوراقه بعض الوثائق العامة وانطباعات وخواطر كان يسجلها في حينها وهي قليلة نادرة ٠والاوراق لم تغط تاريخ اسهامه بالحركة السياسية كما لم تعالج جوانب القضية ،ويمكن ملؤها بما يكشف عنه المستقبل من اوراق اخرى لدى غيره من المعاصرين في الحقل السياسي ولدى المهتمين بجمع الوثائق والاوراق ٠

والفرق بين المذكرات والاوراق الخاصة من جهة وبين الوثائق الرسمية ان الاولى تحمل في طياتها الجانب الانساني من الموقف ,الشيء الذي لا نجده في الاوراق الرسمية ٠ ولا بد ان نسلم ان الوثائق البريطانية خلال عهد الانتداب هي الوثائق الاساسية لتاريخ القضية ، وقد جرت العادة الا يطلع الباحثون عليها قبل مرور نصف قرن من الزمن لذا فالحكومة لها وثائقها العلنية المنشورة في حينها عندما تكون هناك ازمة تعبر عن وجهة النظر البريطانية ، يضاف الى الوثائق البريطانية المناقشات التي تثار في البرلمان حول بعض القضايا وهذه تنشر سنويا تحت عنوان«المناقشات البرلمانية»٠ ومن المصادر الرسمية البريطانية كذلك ما كتبه الساسة البريطانيون من تقارير ونشرته الحكومة في حينها ، ولكنها لا تتناول المشاكل التي لها طابع سري بعض الشيء ، وهناك ما كتبه السياسيون البريطانيون بصفة شخصية ، وهي تجمع بين التاريخ والمذكرات ٠

وتستطيع الصحف ان تضيف معلومات متنوعة ، وتكسب المادة الرسمية ان لم يكن الحياة ، فعلى الاقل التعليل والشرح ، ولكن هذا المصدر يجب ان يأخذ بنوع من الحذر والتدقيق وان يقاس بدوره بالاحداث والظروف العامة التي كانت تتعرض لها فلسطين في الفترة التي نحن بصددها ، واحيانا الخلافات الحزبية التي تؤدي الى ان كثيرا من الصحف لا تصل الى مستوى الدقة المطلوبة ، ويندر ان تكون صحيفة مستقلة غير خاضعة لتأثير حزب او اتجاه ، مع ذلك فالصحافة هي المرآة التي ينعكس عليها الرأي العام والاتجاهات السياسية بصفة عامة وما يؤسف له ان مجموعاتنا الصحفية مبعثرة بين مكتبات العالم المختلفة وخزائن بعض المهتمين ٠

وتتحدد قيمة ما يكتب في تاريخ القضية بناء على معايير عامة ، لا بد من مراعاتها في كل عمل تاريخي (٣) منها قدرة المؤرخ على نقد ما تحت يده من المصادر واذا اعوزته ملكة النقد اصبح مجرد شخص يحكي كل ما يبلغه على انه حقيقة واقعة،

---

٣ ــ حسن عثمان ، **منهج البحث التاريخي** ، القاهرة ١٩٧٠ (طبعة ثالثة) ص٢٢ ٠

ويختلف الباحثون في النقد بسبب اختلافهم في الفهم والتفسير وتقدير معنى الحوادث فتأتي كتاباتهم متفاوتة ، ولا يمكن ان يحتكر احدها صفة الحقيقة وهي كلها تعطي للتاريخ الحركة والحياة . والمعيار الاخر ان يكون المؤرخ ذا عقل مرتب منظم كي يستطيع ان ينسق انواع الحقائق ويربط بينها ، والسير بمقتضى هيكل محدد يرسم الاسلوب والمنهج ، ويجعل واضحا في ذهن القارىء الاتجاه العام الذي يتبعه وبغير ذلك تختلط الحوادث امام المؤرخ ويعجز عن الربط بينها . واخيرا تتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعد الباحث عن التحيز ومطابقته للواقع والحقيقة التاريخية بقدر المستطاع ، احيانا يتأثر الباحث باتجاه معين ، فيكتب وهو يحاول اخضاع الموضوع لرأيه ، فالكتابة التي يتعمد فيها المؤرخ ان يتخذ اتجاها معينا ، لا يمكن ان يعد ما جاء بها معبرا عن الحقيقة التاريخية ، وعلى المؤرخ ان يكون امينا فلا يخفي الوقائع التي قد لا يعرفها غيره ، او التي قد لا ترضيه ، ولا ريب ان الكشف عن عيوب الماضي واخطائه تفيد الى حد كبير في السعي الى تجنب عوامل الخطأ في الحاضر ، وعدم الكشف عنها يعد تضليلا عن المصلحة الوطنية ولا يمكن ان يكتب التاريخ بغير التوصل الى الوقائع الصحيحة .

ترى ما هي المحاولات العربية الجادة في السنوات العشر الماضية لتسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني في فترة الانتداب استنادا الى المصادر التاريخية الاولية ؟ والى اي حد التزمت بالمعايير السابقة او خرجت عنها ؟ عديدة هي الكتب التي عالجت القضية الفلسطينية في عهد الانتداب كله ، او في فترة محددة منه ، وقليل منها قد انفرد بتسجيل حركة النضال ، اذ غالبا ما ابرز هذا النضال عبر بحث عام يعالج السياسة البريطانية والمخططات الصهيونية . وعند مناقشة الكتب التي الفت وظهرت مؤخرا يمكن ان نستشف منها اتجاهات ثلاثة : فاتجاه يتميز بالدقة والموضوعية والحياد يعرض الحقائق المستقاة من مصادر اولية في تسلسل دون ان يحاول ان يتخذ منها موقفا ، ويترك التحليلات وابداء الاراء والتقييمات والاحكام. وهناك اتجاه يتميز برنة الانبهار والتمجيد ويتعمد الانفعالات والعبارات الانشائية وغالبا ما يفتقر الى العمق اذ يتميز بالضحالة . واخيرا هناك موقف من لا يستطيع ان يتجرد من ارتباطاته وقناعاته الفكرية ، فيخضع الحقائق لرأي واتجاه مسبقين ، ويحاول ان يربط التطور السياسي بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، وبتعبير اخر يمكن ان نسمي الاتجاه الاول الحيادي والاتجاه الثاني الاعتذاري والثالث الانتقادي التحليلي.

ويمكن ان نضرب مثلا على الاتجاه الاول كتاب الدكتور عبد الوهاب الكيالي (تاريخ فلسطين الحديث) ويرتكز المؤلف فيه ارتكازا اساسيا على وثائق الحكومة البريطانية السرية بثقة زائدة رغم استعانته بمواد ارشيفية اخرى كالوثائق الصهيونية السرية والمصادر العربية الاولية المتوفرة . وفصول الكتاب معروضة بطريقة تتفق مع احداث سياسية بارزة متبعا داخلها نظام الفقرات التي قد تفقد البحث احيانا صفة التكامل . ويتناول المؤلف تاريخ النضال ببعده السياسي فقط ويفتقر الى تخصيص فصل او أكثر لدراسة البنية الاجتماعية والاقتصادية رغم أنها كانت تمر عابرة ضمن الوثائق المعروضة في بحثه للصفة العائلية والشخصية للقيادات السياسية او تأثير الهجرة الصهيونية على بنية المجتمع او في المحاولات العربية لتطوير القدرات الذاتية . والكتاب في سرده لحشد هائل من الحقائق المتسلسلة يتجنب عملية الانتقاء .

حتى لو تناقضت الوثائق او تكررت ، ويترك ابداء الاراء والتقييمات والاحكام الى صفحات الكتاب الاخيرة التي تحدد بنظرة عميقة مكثفة المفاهيم والخطوط العامة التي الف الكتاب بقصد ابرازها .

الكتاب بمجموعه تصوير للصراع السياسي الذي خـــاضه الفلسطينيون منذ اواخر هذا القرن وحتى ١٩٣٩ باسـلوب علمي رصين وبشجاعة وتجرد وموضوعية في معالجة مراحل الصراع ٠

ففي المرحلة الاولى التي سبقت الانتـــداب استعرض ردود الفعل العربية ازاء الطبيعة الاستيطانية للحركة الصهيونية التي أخذت اشكالا عدة من احتجـــاج او مقال او برقية او اعمال عنف وشملت قطاعات الشعب كله (٤) وانتشرت لدى اهل الثقافة السياسية خارج فلسطين نظرا للقناعة العامة لدى هؤلاء ان ما يصيب فلسطين يصيب العرب كلها ، ولم تكن ردود الفعل وليدة الصدفـــة والارتجال كما صورتهـا الدعايـة الصهيونية ، بل نتيجة وعي تام لطبيعـــة الفكرة الصهيونية واهدافهـــا وتهديدهـــا للوجود القومي ٠ ويلاحظ المؤلف انه في حملة المعارضـــــة تتجلى ظاهرة الاعجاب الضمني بالتقدم والاساليب التنظيمية في الحركة الصهيونية والادراك بان المعارضة لا تصبح فعالة الا من خلال اكتساب المعرفة والمهارة والتنظيم (ص ٦٨) ٠

وفي المرحلة الثانية كشفت محاولات فرض الصهيونيـــة علــى عرب فلسطين وجه بريطانية الحقيقي ، كما كشفت طبيعة وسائل الحركة الصهيونية في فرض اهدافهـا الامر الذي ادى الى توالي الانتفاضات وتشكيل الجمعيات الاسلامية والمسيحية واثارة المزيد من الاهتمام والتأييد العربيين ٠ المعارضة رغم انها لم تكن فعالة الا انهـــا لم تفشل كليا ، فقد وجدت السلطات البريطانية صعوبة متصاعدة في تطبيق سياســـة موالية ولم تكن المعارضة ، كما صورها وايزمان ، هياج مصطنع او نتيجـــة دعاية (الافندية) التي تخشى ان تفقد مراكزها بسبب المنافسة (ص ١٥٠) بل تثبت التقاريـر البريطانية انها حركة واعية منظمة تعبر عن استياء شعبي عميق الجذور (ص ١٧٧) ٠ وفشلت جهود الادارة البريطانيـــة لكسب الرأي العـــام ، فلم تستطع التغلب على الاساسين اللذين تنبعث منهما المعارضة ، الاساس السياسي والاساس الدستوري ، فالادارة لم تكن في موقف يسمح لها بالغاء التصريح ، كما لم يكن في وسعها ان تغير تكوينها الاستبدادي لتصبـــح دولة تمثل الشعب بالنظـــر الى ان منح حكومة ذاتية للاكثرية العربية لا ينسجم مع سياسة الوطن القومي (ص ١٧٣) ٠

الصراع مع الصهيونية وحد بين مصلحة جميع الطبقات نظرا للطابع الوطني والقومي لهذا الصراع ، الا ان المؤلف يلاحظ ان قيـــــادة الوجهاء والملاكين تمسكت بالدور التقليدي الذي كانت تلعبه بين الحاكم والمحكوم كوسيلة للحفاظ على مصالحها ومواقعها الطبقية ، رغم وضـــوح التحالف البريطاني الصهيوني ، فعجزت عن قيادة الشعب في حالات النزاع ٠ ولكنه في مواقع عديدة يفسر ذلك بالصـراع بين جيلين او ما اسماه « اقدام الشباب واحجام الشيوخ » ، الجيـل الاكبر كان اكثر اعتدالا وبعدا عن المقاومة ويؤثر احداث تغير في السياسة البريطـــانية من خلال التصميم السلمي والاقنـاع الـودي والعمـــل الدعائـــي (ص ١٥٧) ٠ (الميثـاق الوطنـــي رغـــم مناوئتـــه للصهيونيـــة لم يتحـــد سلطـة الانتداب بشكل سافـر) ٠ وجيـل صاعد من الشباب المثقـــــف يمت في غالبيته الى الطبقة الاولـــي وينتســـب الى الطبقـــة الوسطى ، وكان اكثر قدرة علـــى الحركة واكثـــر خطرا علـــى بريطانيـــا واكثر اتصالا بالقرى ، حيث كان الفلاحون اشد استعدادا للثورة لان لديهم مخاوف حقيقية (ص ١٦٨) ٠

---

٤ ـ يقلل الكاتب من قيمة معارضة الوجهاء فهم حينما يطرحون المشكلة امام البرلمـــان ، انمـا يلعبون دور الوساطة الذي يقودوه بين الحاكم والمحكوم ٠

والخلاف بين الفئتين لم يصل حـد الصراع (فبريطانية تطعن بتمثيـل المؤتمر الثالث للشعب رغم اعتدالمقرراته ص ١٦٥ ، والدعايتان المناوئة للصهيونية والمناوئة لبريطانية كانتا تسيران في خطين متوازيين (ص ١٤٩) ، والوفـد الفلسطيني الاول الى لندن يشرح لوزير المستعمرات الرقابة الشعبية الملتزم بها (ص ١٨٤) ، وينتقـد موقف رئيس البلدية في حضوره حفل تدشين الجامعة العبرية(ص ٢٢٤) ويقابل وزير المستعمرات وفد مشترك من كل الجماعات (ص٢٢٥) · بل ويورد المؤلف في ص١٨٧ انه حين فقد الفلسطينيون اي امـل بالظفر باي كسب حاسـم عن طريق الجهود الدبلوماسية اصبح تنسيق وتعاون بين القيادة الوطنيـة والنشاطات السياسية في المناطق الريفية (ص ١٨٧)، ولكنه يخرج بهذه النتيجة (ص ٢١٥) · ان القيادة رفضت ان تلزم نفسها باي اطار قد يفسر ضمنا انه موافقة على تصريح بلفور ولكنهم رفضوا ان يشجعوا قيام اي حركة ثورية ضد التحالف الانجلو صهيوني ولعل ذلك يعزى الى الرهبة من القوة العسكرية البريطانية او الى انها شعرت ان انشاء الوطن القومي أمر مفروغ منه · لم يفض الفشل في التمسك باطار ثوري الى ظهـور قيادة ثورية منبثقـة من صفوف الوطنيين من مثقفي الطبقة الوسطى ، فتركت الطبقات الادنى وهي الـتي تكمن لديها الرغبة والمصلحة في الثورة دون قيادة ·

في اواخر هذه المرحلة (١٩٢٨) ازدادت القناعة باستبعاد حدوث اي تغييـر جذري في السياسة البريطانية في فلسطين خلال المستقبل المنظور ، وادرك الجميع ان الطريقة الوحيدة لمقاومة هذه السياسة انما هو معارضة الانتداب البريطاني كمجموع، ونتيجة هذا التحول السياسي الذي اضطرت اليه زعـامة الحركة كارهة ـ كما يقول المؤلف ص ١٩٩ ـ وجدت مدرستان فكريتان احداهمـا تدعو الى المقـاومة السلبية غير العنيفة ، والاخرى قوى متحركة فاعلة تدعوالى انتهاج اساليب ثورية ، عوضـا عن التطور السلمي التدريجي وحاول الانتـداب تعزيز قوة العناصر الاكثـر ميلا للتعاون (حزب ال النشاشيبي) ، ولم يكن ظهورهـا بدافع من الاعتبارات السياسية وحسب بل ينبثق من العداوات العائلية البالغة الحدة والتي تعود الى اجيال بعيـدة زادتها حدة السياسات الاستعمارية التقليدية الحريصة علىايجاد توازن بين العائلات المتنافسة · وبدت اللجنة التنفيذية ، قياسا ، اكثر تطرفا وثورية وعجزت عن الحيلولة دون العنف في احداث ١٩٢٩ · بل وادرك المندوب السامي التغير الجذري الوشيـك الوقوع في نظرة الفلسطينيين السياسية ، فلم تعد الاستراتيجية السياسية الفلسطينية مقتصرة على مقاومة الاستعمـار اليهودي بل غدت تهـدف الى الاستقلال الوطني والتخلص من الحكم البريطاني ص ٢٥١ ، ويقف المؤلف طويلا عند النتائج التـي تمخضت عنها احداث ١٩٢٩ و ١٩٣٠ وقبل الانتقال الى المرحلة الثالثة « ان المعارضة بدأت همسا وانتهت بمعارضة عنيفة للشراكة الانغلو صهيونية ارتكزت الى شعبيـة عميقة ميالة الى شن صراع مسلح كوسيلة لاحداث تغيير في السياسات البريطانية الموالية للصهيونية فيفلسطين،فبعد هذه الحقبة تطور الصراع العربي ضد الصهيونية الى مجابهة بين الفلسطينيين العرب وحكومة الانتداب والصهيونية في ان واحد ··· لقد اصبح حديث الطبقات ان قيام اضطرابات عامـة هي الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد ··· »

وترسم رسالة مكدونالد (الكتاب الاسود) ١٩٣٠ بدايـة المرحلة الثالثة حيث فتـح الطريق امام قوتين سياسيتين كانتا قد بدأتا باكتساب قدر اكبر من الاهميـة وعنصر المبادرة قوة المجلس الاسلامي الاعلى بزعامة الحـاج امين الحسيني ، والتي كانت تعوض احلام الحكم الذاتي (ص ٢٢٦) والتي تجـاوزت حدود الدوائر الدينية ، وقوة التيار المتطرف من القوميين العرب (حزب الاستقلال) (ص ٢٦٤) ، واكرهت العناصر

المعتدلة في اللجنة التنفيذية على تقديم تنازلات للمتطرفين حتى تستطيع الحفاظ على قيادة ربما اصبحت مزعزعة ٠ في بحثه زعامة الحـــاج امين الحسيني ـ على ضوء الوثائق ـ (ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥) يجد المؤلف ان المفتي هو القوة الوحيدة القادرة عـلى تغيير الموقف ، سلطته الواسعة على الفلاحين ، نجاحـــه في الوصول الى مستوى الصدارة ضمن صفوف الحركة الوطنية ، مع الاحتفاظ بعــلاقات ودية مع المندوب السامي وموقف متساهل تجاه البريطانيين رغم ان التناقض يزداد حدة ، ينـم عن مهارة سياسية كبرى لا يمكن تفسيرها الا على ضوء الحالة القائمة داخـل المعسكر السياسي الفلسطيني ، خصوم الحاج كانوا اشد موالاة فاتهاماتهم له غير ذات اثر ، الكتل الاخرى الاكثر تطرفا لا تشكل تحديا له او خطرا حقيقيا ، حزب الاستقلال لم يعـد قوة فعالة بعد ١٩٣٣ ، واقام المفتي تعاونا وتحالفا مــع العديدين من الاستقلاليـين ٠ والمندوب السامي (واكهوب) يدرك ان نفوذ المفتي،الذي يضع ثقله الى جانب الاعتدال، هو ذو قيمة مؤكدة ، ولو وضع هذا الثقل الى الجانب الاخر فهو ، اي (واكهوب) ، واثق ان نشوب اضطرابات واسعة يصبح امرا لا مفر منه ٠

يفسر المؤلف اسباب احترام المفتي للسلطة ومعارضته اي شكل من اشكـال المواجهة بانه انعكاس لخوفه من القوة العسكرية البريطانية وادراكه ان العـرب لا يستطيعون الانتصار في اي صدام مباشر ببريطانية ، غير انه من الناحية الاخرى لا يستطيع بوصفه زعيما للحركـة الوطنية ان يلتزم الصمت والهدوء وهو يرى الهجرة يزداد نطاقها ٠

ولما لم يكن هناك من امل ان تستجيب الحكومـــة لمطالب العرب بشأن الهجرة وبيع الاراضي والحكومة الذاتية اصبح من الواضح ان البديلالوحيد الباقي للحيلولة دون اقامة وطن قومي هو اللجوء الى الثورة المسلحة فكانت ثورة القسام التي القت ظلا كبيرا على المسرح السياسي واصبحت كل محاولة لاقامـة تقارب مع السلطات مكتوبا عليها بالفشل (٥) ٠

ويدلل المؤلف على ان احداث ١٩٣٦ قد اخـذت الزعماء على حين غرة ولكن هؤلاء كانوا حريصين على ركوب موجة المشاعر الثائرة (ص ٣٠٤) ، في حين يشير الى ان ردة الفعل العربية كانت عنيفة وتشكلت اللجان القومية في جميع المناطق ، وكانت الدعوة الى الاضراب عامة ومنظمة ومارست الجماعات المسلحـة نشاطا في انحاء متفرقة من البلاد ، ولكنها امور لا يمكن ان تكون عفوية ٠ وفكرت وزارة المستعمرات بازاحة المفتي عن المسرح السياسي ، ولكن (واكهوب) حذر في تقرير له بانه لا داعي للمبالغة في دور المفتي « ان مخاوف العرب الحقيقيـة من الصهيونيـة هي مصدر الاضطراب والخوف من سيطرة يهودية وشيكة يحس بها الجميع ، وان الهيئات التي نظمت الاضراب والثورة انبثقت الى الوجود محليا وتلقائيا (ص٣١٦) ٠ وادى اتساع الثورة بعد اقتراح مشروع التقسيم الى اجراءات شديدة لانتزاع زمام المبادرة مـن الثوار ، وكان على بريطانيا ان تواجـه شعبا ثائرا ٠ واتجهت بريطانيا نحـو اقناع العرب بالتفاهم لاحتواء الثورةوان تدخـل الى المسرح الحـكام العرب الاكثر ميلا للتعاون ٠ ووضعت في لندن خطوط سياسية ترمي الى حمـل العرب على التزام الهدوء اثناء حرب في المستقبل مع المانيا وصدر بيان حكومي بالغاء مشروع التقسيم باعتباره غير عملي ٠ ومع ان لندن اصبحت مركز ثقل فقد سارت الاضطرابات مع المفاوضات ، وتلخصت المطالب العربية التي طرحها وفد فلسطين بالاستقـلال والتخلي عن الوطن

٥ ـ ينقل المؤلف عن مصدر قسامي (صبحي ياسين ، الثورة العربية الكبرى) ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ دمشق ٠ لا٠ت ، ان المفتي لا يحبذ اساليب القسام باعـلان الثـورة (ص ٢٩٣) ، وفي موضوع اخر يشير الى ان المفتي كان يشكل منظمات مشابهة ص ٢٩١ ٠

القومي وابطال الانتداب (ص ٣٥٤) ، وتعثرت محاولات الوصول الى اتفـاق على حساب تنازلات عربية ، واخيرا فرض الحل البريطاني في كتاب مكدونالد الابيـض ، ورفضت اللجنة العربية العليا الكتاب الابيض بوصفـــه لا يحقق مطالب العرب التي تتلخص في ان تظفر فلسطين باستقلالهـا ضمن اتحاد فدرالـي عربي (ص ٣٥٧) ٠ واسهم التعب فيالقتال والضغط العسكري المتواصلوالامل في ان تتحقق بعضجوانب الكتاب الابيض بالاضافة الى معاناة العجز فيالاسلحة والذخائر ، في عرقلة استمرار الثورة فلاقت نهايتها « بهدوء يكاد يكون مفجعا » (ص ٣٥٩) ٠

ينهي المؤلف كتابه بتقييم مكثف وبتحليل علمي (كان يجدر التوسع به) لاسباب الفشل في الثورة : فيرجعها الى فقدان التوازن بين العرب واعدائهم ، والى التجزئة، والى ضيق افق القيادة ومحدوديـــة طموحها ومهادنتها لبريطانيـــا الى ان تمكنت الصهيونية من حشد اعداد كبيرة واصبح الوطـن القومي حقيقة قائمة ، وعلى الرغم من تخطي الشعب الفلسطيني لقيادته السياسية فقد استطاعت طبقة الوجهاء الحفاظ على مواقعها بسبب ضعف البنيان الطبقي العام للطبقة الوسطى ، وبسبب المزاحمـة الصهيونية الخانقـــة التي حالت دون نمو هذه الطبقة وتطورها ٠ كمـا ان تخلف الجماهير الفلاحية وسيادة العلاقات العائلية العشائرية وسطوة المفاهيم الدينية حالت دون نشوء تنظيمات وقيادات فلاحية تحل محل زعامات العائلات الفلسطينية ، يضاف الى ذلك ان الصهيونية كانت عـــدواً قوميا وطبقيا للعـــرب اذ سيطر اليهود على القطاعات التجارية والصناعية والمـــالية الامر الذي جمـــد ظهور بعض التناقضات الاجتماعية والاقتصادية بين العرب ٠

مع كل هذه المعوقات فالنتيجة التي خـــرج بها المؤلف من خلال بحثه « ٠٠ ان الشعب العربي في فلسطين لم يسجل على نفسه رغم كل الضغوط ورغم تخاذل معظم الزعامات السياسية ، سابقة استسلام او رضوخ للامـــر الواقع لا امام الصهيونية ولا امام الاستعمار البريطاني ، ومن هنا كانت هزيمة العرب في فلسطين وليدة القهر لا وليدة التخاذل » ٠

الاتجاه الثاني في تأريخ حركة النضـــال الفلسطيني هو ما يمكـن تسميته بالاتجاه الاعتذاري ، الذي يفتح المجال رحبا للحديث الانشائي ويطغي عليـه طابع التمنيـــات وكمثل عليه كتاب صالح مسعود ابو يصير «جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن» (بيروت طبعة رابعة ١٩٧١) ويستقي مادته بصورة رئيسية من كتب التاريخ التقليدية التي بحثت القضية الفلسطينية اثر نكبة ١٩٤٨ ومـــن مجموعات صحفية فلسطينية وعربية ، والمؤلف يشرح في مقدمة كتابه اسبـــاب تصديه لشرح حقائق جهـاد شعـب فلسطين « وثائقيا ومستنديا » فلكم « تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية ٠٠ ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين العربي وكم كابد ٠٠٠٠ وكان محور الجدل دائما دور عـرب فلسطين في قضية بلادهم ٠٠٠ وعمق تلك الفرية التي اطلقها الصهيونيـون والانكليـز فلاقت آذانا صاغية لدى مجموعة كبيرة من العرب واصبحت حديثا ومرجعـــا لدى شبانهم ٠٠٠ ولدى سطحييهم٠٠٠ اولئك السطحيون يقولون: كان على شعب فلسطين ان يثورامام الانتداب ثورة مدوية ٠٠ وان يتمسك بارضه ٠٠ وان يعزف عن الهجرة٠ وان يعزف عن السلبية كلما سنحت فرص التفاهم مع الانجليـز ٠٠٠ » البحث يهـــدف اذن « تصوير الواقع الصحيح الذي مرت به منذ اول يوم تلك المؤامرة الخطيرة ٠٠٠ بتعاون دولي ضد شعب صغير اعزل، استطاع ان يصمد ثلاثين عاما، ثم اخذ يواصل نضاله ويقدم ضحاياه على مر السنين حتى الآن ٠٠

ثم يضع اسئلة يتصدى لاجابتها في كتابــه « ترى هل مضت السنون الثلاثــون هادئة منذ احتل الانجليز فلسطين حتى ١٩٤٨ حين هيأوا كل سبب لانتصار اليهود ؟٠
ترى هل كان سهلاعلى عرب فلسطين ان يغادروا بلادهم؟ ترى هل يتصور شعبنا العربي اليوم مقدار الثقل والالم والكفــاح الذي تحمله شعب فلسطين وحده خلال مجابهته للصهيونية العالميةوالصليبية الاستعمارية ، وخلال جلاده مع الانجليز الذين اعلنوا انهم سوف يهيئون البلاد المقدسة لتكون وطنــا قوميا لليهود ؟ ٠٠ وهل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عــرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما لا في سبيل فلسطين وحدهــا ، وانما كانوا يمثلون الخط الامامي لكــل الامة العربية ومقدساتها ، وان الخطر اليوم يهدد كل العرب ويهدد ايضا اكثر دولهم أهمية مكانة ؟ » ٠

تبدأ فصول الكتاب بداية تقليدية هي ان العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود ، وهي نظرة ترجع الصراع الى عهود سحيقة بين المشرق العربي الاسلامي والغرب الاوروبي الصليبي ، ورغم غلبة الطابع الديني على هذا الفصل الا انــه لا يتسم بالتعصب الطائفي بل يحرص المؤلف على اظهار وحدة المسلمين والمسيحيين في مواجهة الخطر الصهيوني «رغم وحدة الهدف بين الصهيونية والصليبية الاستعمارية» (ص ١٠٧) ٠

وفي الفصل الذي يعالج فيه احداث الثورة العربية الكبرى ثم صدور تصريــح بلفور ، يكرر المؤلف ذلك الرأي المحبذ بقاء العرب في ظل الحكــم التركي وذلــك لان التصريح لم يكن «الا وسيلة تترسم فيها غايات الصهيونية والصليبية الاستعماريــة لخلق جسم غريب (٦) في قلب ديار العــــرب والاسلام ، وهو غاية باعتباره صورة لتحطيم الدولة العثمانية التي كانت تجمع العرب والاتراك في وطن واحد » (ص ٦٦) فماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الاتراك ؟ النتيجة التــي يصل لهــا المؤلف ، والتي استتصاها من النتائج التي تمخضت عنها الحرب « ٠٠ انه لو لم يثــر العرب لاسهمــوا بقوة في هزيمة الحلفاء٠٠ والامر المؤكد ٠٠ ان ارجل اليهود عن فلسطين ستظل بعيدة» (ص ٧٩) ولــو فرض ان الحلفاء كانوا سينتصرون « ٠٠ فهل كان العــرب يأسفون على عدم تحركهم الثوري ؟ فهل يمكن ان تكون النتائج حينئذ اسوأ مما حدث فعلا» ٠ (ص ٨٠) وتتالى فصول الكتاب وهي تشرح مواجهة شعب فلسطين للمحنة،والاساليب البريطانية التي سهلت لليهود « كل اسباب العمل والحركة والتصرف وحرمت عــلى العرب كل عمل يتصل بمستقبلهم » ٠ ويبدأ المؤلف في سلسلة اتهاماته ولومه للذيــن يحيطون بفلسطين « لا نجد الا القليل جدا من مظاهر الاهتمام العربي بهذا الاخطبوط الذي بدأ يرسم خطوطه في فلسطين » (ص ١٠٤) ، ورغم ، الثقل الرهيب الـــذي وضع على كتف الشعب العربي « ثقل مقاومة اخطر قوتين في العالــم ، الصليبيــة الاستعمارية والصهيونية العالمية » ٠

وفي صراع عرب فلسطين امام الخطــر المزدوج « ٠٠ استمر الشعب يعقد مؤتمراته ، ويواصل اتصالاته السلمية مع جهات الاختصاص ، وعبثا حاول ان يصل الى نقاط يمكن ان يطمئن بها العرب ، ويعملوا بها ولها ٠ برغم وفوده المتلاحقة الى لندن ومحاولة خلق جو للفهم والتفاهم » ٠٠ (ص١٣٢) ٠ ويبرر المؤلف عودة الشعب الفلسطيني الى سياسة المسالمة بين حين وآخر « املا ان تدرك بريطانيا تصميمه على النضال وتعود قليلا الى العدل الذي طالما تغنت به اثناء الحرب٠٠ » (ص١٣٣) لذلك

٦ ــ يؤكد المؤلف من جديد صحة وثيقة كامبل بانرمان في المؤتمر الاستعماري عام ١٩٠٧ ٠

كان لا بد من اللجوء الى الثورة « كرد فعل للتحـــدي الصهيوني السافر وللخداع البريطاني المستمر ، وقد ظهر فيها الانجليز على حقيقتهم فما من معركة نشبت بيـن العرب واليهود الا كان الجنود الانجليز في الصف المحارب للعرب » (ص ١٣٧) لقد كانت بريطانيا رغم اللجان العديدة « تنظر الى فلسطين كأنها قطعة مجهولة اكتشفتها بريطانية خالية من السكان وهي تفتح ابوابها لليهود ليسكنوها ويعمروها » (ص١٥٨) ولكن الشعب العربي في فلسطين يقف وحيدا في معركة غير متكافئة « وجيرانـه بل اخوته العرب في شغل عنه لكل منهم مشكلة يعانيها ، والرأي العام العالمي لا يعنـــي بالعرب الفلسطينيين وجهود هؤلاء ليست في المستوى الذي ترقى له جهود اليهود » (ص١٥٨) • المؤتمر الاسلامي نفسه لم يستطع ان يخلق الاثر العملي، «فقد كان المسلمون محكومين بالانجليز وكان هؤلاء هم المتصرفين في فلسطين وغير فلسطين » (ص ١٦٠) وشعوب العرب تقابل الاستغاثات بالمشاركة المعنوية ••• وعلـــى الرغـــم من تلـــك النداءات المؤثرة التي كانت تذيعها اللجنة فان آذان حكامهم واغنياتهم كانت مقفلة •

ويشرح المؤلف بعد ذلك لجوء شعب فلسطين الى مواجهة بريطانية بعــــد ان باءت بالفشل المحاولات السلمية،وتميزت الفترة الاولى من هذه المواجهة بالمظاهرات واعلان المقاطعة ، ومع اعترافه بان هذا لم يكن هو كل العمـــل المجدي المكن القيام به ضد سياسة الانجليز لكن القوانين التي اصدرها الحكام ارغمت الشعب على ان تطـــول فترة استعداده للثورة قضاها باحثا عن السلاح ، مهما كان شأنه ضئيلا ، ومهما كان تاريخ صناعته الخ » (ص ١٧٢) •

وتزداد لهجة المؤلف الخطابية حدة وهو يشيـد بعظم اضـــراب ١٩٣٦ ويرجـع الدعوة اليه الى الحزب العربي) ويعزو للجنة العربية العليا التنظيم والاعداد لاحداث ١٩٣٦ • وتجنب ذكر الانشقاقات والخلافات بين الاحـــزاب واكتفى بقوله « تفاوت التفكير والاسلوب » ، ووصف الموالين للسياسية البريطانية « بالمعتدليـــن » • ويرسم في افاضة صورا من الفدائية والبطولة استمدها من صفحات الجرائد اليومية (ص ١٨٤ وما بعدها) حتى ارغـــم تحرك الشعب الفلسطيني ، برغـــم قلة عدده •• الامبراطورية العجوز ان تستعين بقوات جديدة ، غير مكتفية بما في فلسطين من فرق اعدتها لتحارب العرب ولتهوّد فلسطين ص ١٨٥ • ويكيـــل الاتهامات لبيـــان الملوك والامراء العرب بوقف اعمال الثورة « •• التاريخ ليردد بألم ومرارة تلك العبارة التي تضمنها بيان هؤلاء الكبار المذاع على عرب فلسطين من انهم (يعتمدون) على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتهـــا المعلنة لتحقيق العدل • » ص ٢٠٩ ، ويتطرق المؤلف مستطردا الى موقف فيصل من الصهيونية واتفاقية فيصل وايزمان•• « التي تمثل جانبا يعطي كل عربي حرية البحث الطليق في ان قضية فلسطين التي اكتوى بها اهلها اولا وقاتلوا عنها ثلاثين عاما كان بعض العـــرب موافقا على تعقيدها وهو غير مصمم على انقاذها •• » ص ٢٢٨ •

ويثبت المؤلف بالوقائع الصحفية ان بيان الرؤساء لم يخمد لهيب الثورة مما ارغم بريطانيا اخيرا على الدعوة الى مؤتمر لندن • ولـــم تأت هذه الدعوة الا « بفعل ثورة الاحرار الفلسطينيين وزعمائهم» لكن بريطانيا رفضت باديء الامر ان يمثل الفلسطينيين احد من الزعماء ذوي العلاقة بالثورة من المبعدين الذين « هم الثوار وهم القادة » ص ٢٥٢ حتى فرض شعب فلسطين وثورته ممثليه في ذلك الاجتمـــاع • « وتقابل وجها لوجه من يمثل الثورة المخلصة المستمرة ، ومن يمثـل الانتداب البريطاني الذي فرض نفسه ليمكن للصهيونية وسط بلاد العرب » ، واستمرت الثـــورة داخل فلسطين حتى اثناء انعقاد المؤتمر (اهمل المؤلف تفاصيل المباحثـــات التي دارت) ، وكان لا بد من توقف الثورة اما لماذا « القى العرب سلاحهم ، بل القوا عصيهـــــم ، فلم يعد للسلاح

ذخيرة تستعمل ٠٠ » فقد جاء المؤلف بالمبررات التي ترفع عن كاهل شعب فلسطين اللوم : المظالم البريطانية ، تشرد القيادة ، ضعف القدرة المالية ، ازدياد الرقابة على الحدود ، نفاذ السلاح الخ ، وما بدا للشعب الفلسطيني من أمل ضمنه الكتاب الابيض (ص ٢٧٤ وما بعدها) ٠

وتنتقل فصول الكتاب بعد ذلك الى استعراض تطورات القضية بعد الحرب العالمية بعد ان جمدت مؤقتا خلال الحرب ، فيجد في اجتماعات الجامعة العربية في بلودان ومؤتمر لندن تمييعا للقضية ، حتى كان قرار التقسيم « ولم يكن احد في العالم العربي يشعر بالمرارة القاتلة من قرار التقسيم كما كان يشعر به الشعب العربي في فلسطين ، المكبل بسلاسل بريطانية الحديدية والمسلطة عليه اثقال الصهيونية وبرامجها ٠ » ص ٣٠٨ ٠ وبينما كان الشعب العربي في فلسطين ينتظر من العالم العربي ان يقف الى جواره والجامعة العربية قد أسست حديثا ، وضعت العقبات امام الكفاح الفلسطيني قبل وبعد دخول الجيوش العربية « لقد كانت دول الجامعة تمثل سبع دول تحمل كل منها اسما بلا جسم ، وجيشا بلا سلاح ، وفاقد الشيء لا يعطيه »ص٣١٥ ٠ مع ذلك فقد كان للشعب الفلسطيني دور ايجابي في المعركة ، استمد المؤلف وقائعه من كتابي عارف العارف (النكبة) ومذكرات عبد الله التل « ٠٠ كان الشعب الفلسطيني مهملا في اغلب الاحيان في وطنه ، بل لقد تعمد البعض اقصاءه عن المعركة، وهذا الشعب الذي احتفظ بأكبر الاجزاء في بلاده ، ودافع عنها وقاتل الى ان دخلت الجيوش ٠٠٠ بل ان شعب فلسطين تعرض لحملة قاسية جدا من بعض اجهزة الاعلام العربية ، بعضها تأثر ببعض الدعايات المغرضة ٠٠ او بعض حوادث الانحراف ٠٠ التي لا تمثل الا جزءا ضئيلا تافها في تاريخ كل شعب مناضل ٠٠ » ص ٤١٦ ٠

في تقييم المؤلف لحرب ١٩٤٨ وجد ان الشعوب العربية لم ترتفع الى مستوى المعركة وجد ان قسما واحدا من الشعب العربي كان يصلي المعركة وحده ٠٠ الشعب الفلسطيني ، اما باقي الشعوب فكانت تنظر الى المعركة باعتبارها صراعا جانبيا ٠٠ تعطيه من حماسها ٠٠٠ القدر الذي لا يعرقل مظاهر سيرها اليومي ٠٠، ولا ريب ان ذلك كان ينبعث من مواقف الحكومات العربية التي لم تنظر الى معركة فلسطين باعتبارها معركة حيوية وتاريخية ٠٠ » ص ٤١٩ ٠

لقد كان يدفع المؤلف ايمان عميق بنبل القضية ، ودور الشعب الفلسطيني في الكفاح الصامد خلال فترة الانتداب ، ولكن الصياغة تغلب عليها صفة المبالغة وعبارات التمجيد وينقصها العمق والترتيب والتنسيق ، وقد توحي بأن الطابع العام لردود الفعل العربية انما تقوم على أسس عاطفية وليس على قناعات عقلية ، واهمل المؤلف بشكل ملحوظ خلفية المعارضة الاجتماعية والاقتصادية ٠ويبدو اخيرا ان القاء اللوم الكلي على الشعوب العربية وتبرئة الشعب الفلسطيني لا يخدم القضية ، هل كانت الاجزاء العربية الاخرى تملك زمام أمورها بنفسها ؟؟

الاتجاه الثالث ، الذي يمكن تسميته بالاتجاه التحليلي الانتقادي ، فهو يسعى الى دراسة هذه المرحلة دراسة ناقدة محللة ، مبنية على فكر يساري واضح، يهتم بدراسة الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية وتحديد التناقضات القائمة في المجتمع ليرى أثرها في حركة المقاومة والنضال والسياسة ٠ هذا الاتجاه لا يهتم بالاحداث اهتمام المؤرخ العادي الذي يسردها وينسقها ويعرضها مبوبة مرتبة واضحة ، لكنه بعد استقرائه للاحداث يكون قناعة ، وينطلق من هذه القناعة التي نضجت في ذهنه الى اثباتها وابرازها وتأكيدها من خلال ما يختار من احداث هذه الحقيقة ٠

من ابرز امثلة هذا اللون من الكتب كتـاب الاستاذ ناجي علوش (المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨) (١) ٠وكاتبه يقر منذ الصفحات الاولى في المقدمة بأنه يحاول « لا أن يؤرخ لهذه المرحلة فحسب ، بل ان يحللها ، ولذلك فهو ليس كتاب تاريخ تقليدي وان كان يحوي الكثير من المعلومات التاريخية » ٠ من هنـــا يتضح الطبيعة الخاصة التي يتميز بها ، وقد بنى كتابه على حقيقة ثابتة وهي « أن مسؤولية الفشل تقع على الطبقة الاقطاعية القائدة آنذاك وقد آمن بهـــذه الحقيقة بل يقول انها « هي التي قادتني الى تحديد انتمائي السياسي » ويعترف الكاتب بصعوبـة عملـــه ، لان ما حدث في فلسطين « لم يقيم التقييـــم العلمي الموضوعي الشامل حتى الان » أما غاية الكاتب من هذا التحليل « فقضية التقييم والتحليـــــل قضية أساسية وهامة بالنسبة للحركة الوطنية ، لانها وحدها التي تضمن اتخـاذ قرارات صحيحة ، وتضمن تطبيق هذه القرارات تطبيقا جيدا ٠ ونحن بحاجة الى التحليـــل دائما لمعرفة حقيقة وضعنا وتحديد مهماتنا ، ولتحديد دور القوى المختلفة في العمـــــل السياسي ، وبحاجة الى التقييم لمعرفة ما حققناه وأثره في الحركة الوطنية عامة ، ولتلافي اسباب قصورنـــــا وعوامل ضعفنا » ٠ وتحليل الماضي لا يتحول الى عمل سياسي الا اذا استهدف تحليل الحاضر واستشراق المستقبل » ، وهذا ما هدف له المؤلف حين وضع الكتاب ٠

الفصل الاول من كتابه « خلفية اقتصادية واجتمـــاعية » لا بد منها في نظره ونظر غيره من اصحاب الاتجاه اليساري ، وتوصل في هذه الخلفية الى ان تركيـب المجتمـع كان تركيبا شبه عشائري تسوده الثقافة الاسلامية ، وأن التناقض كان قائما بين طبقـة الملاك الثرية وطبقة العمال والفلاحين والبرجوازيـــة الصغيرة ، كذلك كانت المنافسة الصهيونية الشديدة في ميادين التجارة والصناعة ٠ وقد أثر تركيب المجتمعالعشائري في موقف الشعب من القادة والثورات ، وقد غلبت عليه العلاقات الشخصية،والولاءات المحلية والتجمعات المحدودة ٠ كذلك أثر الاسلام ، في زيـــادة أهمية رجـــال الدين ، فمارس هؤلاء نفوذا فعالا على الصراع في فلسطين ، حتى اندمجت القيادة السياسية بالقيادة الدينية منذ الايام الاولى للاحتلال البريطـــاني حتى النكبة ، واتخذ الكفاح شكل جهاد دون ان يستطيع بلوغ المعنى المعـــاصر للمقاومة ٠ أما التناقض بين طبقة الملاك وبقية الشعب، فقد كان على الرغم من اهميته ثانويا فيحركة النضال والمقاومة، اذ ان طبيعة الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني ، أبرزا الـى المقدمة « تناقضـــا قوميا طبقيا عنصريا ابادياً » ص ٣٤ بين العرب واليهود ٠ لذلك قبل بالقيادة السياسية للطبقة المالكة التي تنهبهم ٠ وقد استطاعت الطبقة المالكـــة ان تستفيد من الوضع ، فتطرح الشعار نفسه ٠ فكانت نظريا ضد الانكليـــز والصهاينة ، ولكنها عمليا تدعو للتفاهم مع الانكليز وتعمل له وتبشر بالاعتدال في معالجة المسألة الصهيونية ، فهـــذه الطبقة التي كانت ، في رأي الكاتب ، تعمل جلادة لحساب العثمـانيين ، هيأت نفسها لخدمة الانكليز ، واستطاعت ان تحقق انتصارات اقتصادية في التجارة والاملاك في ظل حكمهم « وان وضعها الطبقي هذا هو الذي يفسر استعدادها للمساومة وترددهـــا وتخاذلها وهروبها ، وأشكال خيانتها التي سنراها واضحة علىصفحات هذا الكتاب» ص ٣٢ ٠

يقسم المؤلف المقاومة في فلسطين الى مراحل ثلاث : مرحلة المؤتمرات والانتفاضـات (١٩١٩ ـ ١٩٢٩) ، ومرحلة الاضراب الكبير والثـورة الكبرى (١٩٣٠ ـ ١٩٣٩) وأخيرا مرحلة الركود والهزيمة (١٩٤٠ ـ ١٩٤٨) ٠ وهـو في عرضه لهذه المراحل لا يستقصي الاحداث ويتتبعهــا ، وانما يختار منها شواهـــد وأمثلة تؤيد مقدماته وقناعاته : فقد أثر التركيب الاجتماعي على الحركـــة الوطنية ٠ اذ قاد الى تنافس عشائري عائلي ، استغله الانكليز احسن استغلال لصالحهم، وهو الذي اوجد زعامات

فلسطينية وطنية ، تتمثل في آل الحسيني وجماعة المجلس الاسلامي (موافقة الانكليز على تعيين الحاج أمين الحسيني في منصب الافتاء ، على الرغم من انه قام بدور فعال في ثورة القدس ١٩٢٠) ، واوجد بالمقابل معارضة قوية ، تعارض الفريق الاول في كل موقف يتخذه ، وتقف على طرف النقيض معه ، وتقبل مقترحات الانكليز وتتفق معهم في كثير من مواقفهم (بدء عملية معارضة سياسية قادها آل النشاشيبي) ص ٥٢ ٠

وقد استمر هذا الصراع الى آخر ايام المقاومة ١٩٤٨ حادا قويا يقسم البلاد ويهدد بنشوب حرب اهلية ص ١٤٨ (الدعوة الى المؤتمر الاسلامي ١٩٣١ ، الانتخابات البلدية ١٩٣٤ الخلاف على المجلس التشريعي بين الحزب العربي وحزب الدفاع بداية ١٩٣٦ ، ازدياد حدة الخلاف بعد صدور الكتاب الابيض ١٩٣٩ بين حزب الدفاع والحزب العربي ، وتشكيل فرق السلام من المعارضين لتتبع الثوار باسم الانتقام لضحايا الثورة ص ١٤٧) ٠وكان هذا الاختلاف في كثير من الاحيان متأثرا بالصراع العربي المحيط بفلسطين ، حيث كانت الحكومات العربية تتبنى بعض الزعماء وتغذيهم (كارتباط حزب الدفاع بالامير عبدالله ، واختلاف الزعماء حول مكاتب الدعاية ١٩٤٥ والمشروع الانشائي العربي) ٠

اما عن حقيقة القيادة السياسية التي تولت أمر الحركة الوطنية ، بمختلف الاشكال والاحزاب ، فكانت في الطبقة شبه الاقطاعية شبه البرجوازية ، التي حققت المكاسب في ظل الاستعمار الانكليزي ، وهذا الامر يفسر لنا معظم مواقفها التي اتخذتها خلال هذه المراحل يقول الكاتب « ولما كانت بشكل عام طبقة ضيقة الافق محدودة الطموح ، تفكر بمصالحها المباشرة واليومية ، فانها لم تتخذ مواقف جذرية بل ظلت مهاودة مساومة تؤثر المركب السهل على الوعر ، وتركب الموجة العارمة تتقدم بالمطالب الجزئية والضئيلة » ص ١٣٦ ٠ وكان يهم هذه الطبقة المتزعمة ان تفهم الانكليز انهم ليسوا هدفا ، وان اليهود هم هدفها ، وكان هذا نقطة ضعف قاتلة من نقاط ضعف القيادة الوطنية ، لذلك فوجئت هذه القيادات بشعار حزب الاستقلال(الانكليز إساس الداء)٠ ولقد كان هذا الامر مدركا من قبل عدد من الوطنيين، لا بل ان حزب الدفاع ، استخدم شعار محاربة الانكليز ستارا لتغطية ارتباطه ٠

ولقد كانت طبقة الزعامات والقيادات تتجه بحكم تكوينها ومصالحها الى سياسة التعاون مع السلطة الاستعمارية ومهادنتها ومساومتها ، وتكثر الامثلة الدالة على مواقف هذه الزعامات (المقترحات التي قدمتها اللجنة الى المستر ملز السكرتير العام لحكومة الانتداب في فلسطين ١٩٢٦ ، ورد اللجنة التنفيذية على كتاب الحكومة البريطانية الابيض) ، وتظهر اساليب الزعامة السلمية ، وعدم ايمانها بالمقاومة المسلحة في معظم المواقف التي اتخذتها (الاستجابة لطلب الانكليز ١٩٣٠ بالغاء الاحتفالات بذكرى شهداء ١٩٢٩ ، ثم تخوف الزعامة من حركة القسام ، وعدم الاستفادة من الجو المتوتر الذي تولد عن بدء المقاومة وكذلك المساومة وانهاء الاضراب والثورة ١٩٣٦) ٠

حكم الكاتب لم يكن على فئة معينة من القيادات ، بل كان حكمه عاما شمل كافة القيادات ، حتى حزب الاستقلال لم يتجه الى الشعب فلم يحظ بانتشار سريع فمنبته الطبقي جعل عناصره غير قادرة على التوجه الى الفلاحين والعمال فتبحث عن المناضلين في صفوفهم ، وتنشىء تنظيمات منهم ، لانها بذلك تكون قد خانت طبقتها ص ٩٦ ٠

كذلك كانت نظرة الكاتب الى طبقة المثقفين ، الذين بدأوا مع نهاية الحرب الثانية

يفكرون جديا ببدء العمل من اجل انقاذ فلسطين فهـؤلاء « لم يكونوا طبقيا او وعيا مختلفين كيفيا عن قيادة الحركة الوطنية » • فهم من طبقة « الزعامـات والوجاهات » ومن قادة الحركة الوطنية ، وكل ما يميزهم عن غيرهـم شهاداتهم ، فلم يستطيعوا ان يغيروا شيئا من ظروف الحركة الوطنية ص ١٥١ •

ويبين الكاتب في ثنايا هذه المساومات ان الانكليز ما كانوا ينظرون الى افراد هذه الطبقة بتقدير واحترام، بل يظهرون الاستهانة بهم ، لمعرفتهم العميقة الدقيقة بطبيعتهم وجبنهم • بالاضافة الى ذلك كانت هذه الطبقة قليلة الوعي ضيقة الافق، متخلفة الفكر جامدة ، يظهر ذلك من موقفها من الحزب الشيوعـي في فلسطين ، والشيوعية بوجه عام ، وعدم استغلالها التناقضات العربية فيمواجهة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين ، كذلك لم تحسن استغلال اندفاعـات الشعب وانتفاضاته المتتالية فتعمل على تعبئته تعبئة مناسبة وكافية لمجابهـة الخطر (ولما داهم الخطر ١٩٤٨ لم تفعل القيادة شيئا بل اكتفت باعمال جزئية) ص ١٦٢ •

واذا تساءل القارىء بعد هذا عن دور الشعب ، وهل كان غائبا عن كل ذلك ، فان الكاتب يبين ، ان الشعب لم يكن غافلا ، وكان يبدو في كثير من الاحيان ان الشعب في جهة والقيادة في جهة اخرى • لقد اتخذ الشعب في رأي الكاتب موقفـا فيه كثير من الصحة والوعي وتمثل ذلك في الغضبات العديدة والغليان، او التوتر او تأييد الثورة المسلحة ، والاشتراك بها • (انفجر عام ١٩٢٩ دون ان ينتظر أمـر قيادته ، ودل هذا الانفجار كذلك على رفضه لسياسة المؤتمرات والاجتمـاعات ص ٧١) • كذلك كان نشوء بعض حلقات الكفاح المسلح السرية تعبيرا عـن نقمة جماهيـر الفلاحين والعمال على تهافت القيادات واستهتارها (وكانت حركة القسام ابلـغ رد على سياسة زعماء فلسطين التقليديين ص ١١٨) • وكان الشعب في كثير من المواقف او القضايا يسبـق قادته فلا تكاد تلحق به فقد اندفعت الجماهير الى الثورة ١٩٣٦ « واصبحت الجماهير في المقدمة والقيادة في المؤخرة ، ولم تستطع القيادة على الرغم من حيوية الحاج امين وفعاليته ، أن تلحق بالجماهير » ص ١٢٧ •

هذه الامور التي يقرها الكاتب يعترف بانها لم تعط ثمارها لان هذا الشعب لم يكن واعيا ، « اما شعب فلسطين ، فانه نتيجة ظروف معينـة ، أهمها غياب تنظيـم ثوري واع وفعال ، واستئثار طبقة الزعامات والوجاهات بقيادته ، لم يع خطر المعركة التي يخوضها تماما » ص ١٧٣ ، لهذا فقد كان يندفع اندفاعات عفوية مرتجلة ، تنتهي في معظم الاحيان بالاجهاض او الاحتواء •

الا ان السبب الرئيسي الذي جعل الشعب يسكت في معظـم الاحيان عن قادته او يسمح بالتلاعب بمصيره ، او ينقاد لهم يرجع الى طبيعـة التناقضات والصراع الذي عاشته فلسطين في هذه الفترة ، (كما مر سابقا) • كانت القيادة قادرة على احتـواء حركات الشعب واجهاضها كمـا حدث في اضراب ١٩٣٦ وثورته ومكنت القيادة من توجيه الشعب الى الاتجاه الذي تريده • لقد كان هم الجماهير غير المنظمة او الواعية متجها الىالصهيونية او الانتداب فظنت انالوعظ والضغط قديفيدان فياصلاح القيادات ولم تنظر الى المسألة على انها خيانة واضحة فطالبت في اكثر من مرة او مؤتمر بوحـدة الكلمة ، وأملت في ان (يثوب) الزعماء الى رشدهم ، وهذا هو الذي مكن هـؤلاء من ان يمنعوا انهيارهم وانكشافهم وسهلت لهم التظاهر بالوطنية والسيطرة علـى جماهير الفلاحين والعمال •

الفصل الاخير في الكتاب او ما اسماه(دروس التجربة) لخص آراءه المثبوثة هنا وهناك وعرض في مقدمة ذلك مواقف الدارسين لهـذه المرحلة في محاولتهم تقييمها

وتحليلها ، وكيف ان هذه المحاولات كلها كانت قاصرة ترد" ما حدث الى عامل آخـــر دون ان تكشف مساهمة العوامل كلها ومدى ترابطهـــا ، فمنها ما يرد الامر الى تآمر الاستعمار ومنها ما يحصرها بخيانة الحكام ، ومنها مـا يذهب الى الاشادة بالحركة الوطنية في فلسطين دون ان يحللها ويدرس تجربتها ، ومنها مـا يلقي المسؤولية على شعب فلسطين دون الاهتمام بالظروف التي احاطت بقضيةفلسطين وهو بعد ذلك يعرض رأيه ويرد" ما حدث الى اربع مجموعات من العوامل مترابطة متفاعلـــة : الاولـــى تتعلق بالظروف الدولية بعد الحرب الثانية ، والثانيـــة تتعلق بظروف الوطن العربي المستعمر او شبه المستعمر وقياداته العميلة ، ومنها ما يتعلق بعرب فلسطين الذين لم يكونوا منفصلين عن هذا الوضع ونضالهم بعض من النضال العربي ، وفئاتهم القائدة اجتماعيا وسياسيا مثل كل الفئات القائدة في البلاد العربية من حيث تخلفها وجهلها وقصر نظرها ، وتهافتها على مصالحها المباشرة • اما المجموعـــة الرابعة فتتعلق بالقيادة السياسية في فلسطين وما كانت عليه مـــن تخلف فكري وثقافي ، وميل الى المساومة النظرية والعملية ، وضيق أفق وقصر نظر ، ممـا جعلها تفشل دوليا وعربيا ومحليا ، بينما نجح خصومها الصهاينة على كل الجهات •

هذا الفصل خلاصة فكر الكاتب وقناعاته التي سعى الى توكيدها بالادلة ،لكن بعضا مما جاء فيه ، من انتقاد المحاولات الاخرى التي سعت الى التقييم والتحليل وقـــع في خطأه وتعميمه مثلها • فافتقر كتابه في بعض جوانبه الى شيء مـن الموضوعيـــة او على الاقل الانسجام مع العنوان الذي وضعه لكتابـــه • اذ يوحي العنوان ان الكتاب سيعطينا صورة متعددة الالوان والجوانب لهذه المقاومة ، بما فيها من صفحات سوداء قاتمة ، وما فيها من صفحات مشرقة ، ولكن القـارىء يخرج وقد غشت عينه سحابة قاتمة من الاسى يدفعه اليها تركيز الكاتب تركيزا مكثفا على القيادات وفضح بنيتهـــا وتعاملها • صحيح انه ، يسعى الى تقييم الماضي من اجـــل الحاضر ، واستخلاص دروس التجربة لنعرف مواطيء اقدامنا في نضال اليـــوم وثورته وكفاحه ، لكن هذا التقييم يجب ألا يدفع الى اليأس او التشاؤم • فجيل فلسطين المكـــافح اليوم يجب ان يميز الطيب من الخبيث ، ويتعلم من اخطاء الماضي ، وليس النظـر الى الماضي بعين التعميم وفتح الصفحات السوداء منه فقط ، واغفال ما فيه من اشراق حتى على قلته•

صحافة المقاومة في عشر سنوات

١٩٦٥ ـ ١٩٧٥

غازي الخليلي

ان الحديث عن صحافة المقاومة خلال السنوات العشر الماضية حديث طويل ومتشعب ، ويشمل موضوعات عدة ، لا يمكن الاحاطة بها جميعا ، ولو من باب التعريف الاولي في مقال واحد ، ذلك ان صحافة المقاومة هي انعكاس لواقع المقاومة الفلسطينية بكل الاتجاهات السائدة فيها ، وبكل ما يعكسه هذا الواقع من قضايا وموضوعات مختلفة ، اضافة الى انها انعكاس بشكل او بآخر ، لواقع الشعب الفلسطيني وظروف وجوده في بيئات سياسية مختلفة ، وفي مواجهة ضغوطات وحالات قهر متفاوتة من مكان لآخر . وهذا المقال ، عبارة عن تعريف اولي ببعض صحف المقاومة التي ظهرت في هذه الفترة ، ومحاولة القاء ضوء على واقع الصحافة الفلسطينية والصعوبات التي واجهتها ، وأهم القضايا التي عالجتها خلال هذه الفترة موضوع البحث . وهو بهذا يشكل مدخلا لابحاث وكتابات تعالج هذا الموضوع الهام من زوايا عديدة .

في البداية لا بد من التمييز بين نوعين من صحف المقاومة ظهرت في هذه الفترة : ١) صحف سرية ، وتشمل صحف المقاومة السرية التي صدرت في الاراضي العربية المحتلة وفي بعض البلدان العربية في فترات متفاوتة ، وهي خارج نطاق البحث في هذا المقال . ٢) صحف ونشرات علنية ، أصدرتها منظمات فلسطينية في فترات مختلفة ، وهي موضوع البحث هنا ، وتشمل فقط تلك الصحف او النشرات التي صدرت خارج الاراضي العربية المحتلة*.

صحافة المقاومة قبل هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧

تعود البدايات الاولى لظهور صحافة فلسطينية تعنى بأوضاع الشعب الفلسطيني وبمعركة تحرير فلسطين بشكل خاص بعد نكبة العام ١٩٤٨ ، الى بداية الستينات من هذا القرن ، عندما بدأت تبرز الى الوجود فكرة ضرورة ابراز الشخصية الفلسطينية، وتحديد دور خاص للشعب الفلسطيني في معركة تحرير فلسطين . ففي بداية الستينات ، وبشكل أكثر تحديدا في العام ١٩٥٩ ، بدأت تظهر الى الوجود الانوية الاولى لمنظمات فلسطينية ، ذات طابع فلسطيني محض ، أخذت تبشر بالدعوة لابراز الكيان الفلسطيني والشخصية الفلسطينية مدفوعة بعوامل عدة ، أهمها التأثير المباشر الذي أحدثته الثورة الجزائرية في صفوف الجماهير الفلسطينية ، ثم نمو الخطر المباشر لاسرائيل والناتج عن شروعها بتحويل نهر الاردن ، وما عناه ذلك من امكانات نمو قدرتها البشرية والعسكرية والاقتصادية ، وقد بدأت هذه الدعوة تزداد تبلورا خلال السنوات الاولى من الستينات ، وازدادت قوة مع ولادة منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي ظهرت الى الوجود عمليا بعد عقد المجلس الوطني الفلسطيني الاول في القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ .

لقد حكمت الاوضاع الصعبة التي كان يعيشها الشعب الفلسطيني في البلدان العربية ، صحافة المقاومة في بداياتها الاولى ، فلم يكن بامكان أي تنظيم فلسطيني ، ان يصدر صحيفة علنية تعبر عن وجهة نظره ، ولذا فقد اعتمدت هذه التنظيمات، المنشور السري والنشرة الداخلية للتعبير عن نفسها ، ونقل وجهات نظرها الى أوسع اطار ممكن من الجماهير الفلسطينية . واستطاعت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ان تصدر في وقت مبكر نشرة شبه علنية هي نشرة « فلسطيننا ـ نداء الحياة » كما صدرت في وقت لاحق صحف

فلسطينية اخرى ، وفيما يلي تعريف بأهم هذه الصحف .

١) «فلسطيننا — نداء الحياة» صحيفة شهرية، شبه علنية ، صدرت في بيروت بـ ١٨ صفحة قطع صغير ، في تشرين الاول « اكتوبر » ١٩٥٩ ، وكان يصدرها توفيق حوري ، الا ان « فتح » كانت تشرف على تحريرها وتوجيهها سياسيا(١)، واستمرت بالصدور بشكل منتظم نحو خمس سنوات ، حيث لعبت دورا مهما في نشر وتعميم أفكار « فتح » قبل بدء الكفاح المسلح . « في مجلة فلسطيننا ، خضنا جولة البحث والدراسة والمناقشة الفكرية أكثر من خمس سنوات ، رفعنا خلالها شعارات شعبنا في الثورة والكفاح المسلح سبيلا وحيدا ، وبداية حقيقية لتحرير وطننا السليب»(٢). اعتمدت « فلسطيننا » اللغة المبسطة والعاطفية للتأثير في الجماهير الفلسطينية ، ونقل أفكارها اليها واستنهاضها من خلال التذكير بنضالات شعب فلسطين في الفترات الماضية « أين أبطالنا ، أين ثوار الامس ، اين رفاق المجاهدين ، أين ابناء القسام ، واخوة عبد القادر ، اين رفاق سلامه وأبو دية وعبد الرحيم ، أين من شهدوا بطولاتهم وتضحياتهم ... ان بطاح فلسطين تنادي ، ان روابيها لمشتاقة لبنيها الاباة ، فهل يطول غيابكم أيها الابطال »(٣). وكانت مثل هذه النداءات تتكرر في معظم الاعداد ، وكانت تتخذ احيانا طابع التحريض ضد الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون في البلدان العربية « لا كرامة لك أيها الفلسطيني، الا اذا حملت سلاحك واسترجعت بلدك ... ضيافتنا أصبحت خيانة ، فاطردونا الى حدود بلادنا وافسحوا لنا المجال لتنظيم صفوفنا داخل الوطن العربي الكبير ... الثورة الفلسطينية ثورة على أنصاف الحلول ، فاما العودة الكاملة واما الفداء والاستشهاد »(٤).

كان موضوع الكيان الفلسطيني ، هو الموضوع الرئيسي في كل اطروحات ومقالات فلسطيننا ، وكانت من المبادرين في الدعوة الى الكيان الفلسطيني . فركزت في افتتاحياتها ومقالاتها على أهمية ابراز الكيان الفلسطيني ، واكدت على « ضرورة الاعتراف بكيان فلسطيني ، حر يحمل الارادة الحقيقية للشعب الفلسطيني ، غير تابع أو خاضع او موجه ، وذلك للعمل على ابراز الشخصية الفلسطينية للوجود الدولي ... ولتنظيم وتعبئة وحشد قوى شعب فلسطين المشتتة في مختلف الاماكن والبلاد »(٥). ووضحت طبيعة هذا الكيان وعلاقته بالنضال القومي فـ « النضال العربي الفلسطيني لا يتجزأ عن النضال القومي مطلقا» ولكن « ان مجرد انخراط العربي الفلسطيني في معارك جانبية وانشغاله في قضايا قومية اجتهادية ، يعتبر في منطقنا الثوري ، تشويه لمعنى النضال القومي وحقيقته من جهة ، وابطال للدور النضالي الفعال للانسان العربي الفلسطيني من جهة اخرى »(٦).وحرضت الجماهير الفلسطينية ضد الانخراط في الاحزاب السياسية ، او الانشغال بالقضايا القومية فـ « لا بد ان يكون ولاء الانسان العربي الفلسطيني للشعب العربي الفلسطيني ولقضيته العادلة كأساس » و « ان المكان الطبيعي لعرب فلسطين على ارض المعركة القومية هو فلسطين ، وكل وضع آخر للشعب العربي الفلسطيني هو وضع خاطىء مزيف ومغلوط »(٧).

ترافقت دعوة « فلسطيننا » للكيان الفلسطيني وضرورته ، بالدعوة الى تحديد اسلوب التحرير ، برفض الحرب الكلاسيكية « ان فهم طبيعة المعركة وابعادها الداخلية والخارجية ، يحتم على عرب فلسطين عدم قبول العسكرية الكلاسيكية منطلقا في معركة التحرير »(٨)، والتأكيد على العمل الفدائي وضرورة بروز حركة فدائية ، « فالمطلوب هو ان تقوم في كل بلد عربي جماعات ، ليس من الضروري ان تترابط في قيادة موحدة في بادىء الامر ، بل المهم ان تكون سائرة في نفس الطريق ، ويكون هدف هذه الجماعات الفلسطينية ، الاغارة على اسرائيل واحداث التخريب فيها »(٩). وهذه الحركة الفدائية يجب ان «تكون فلسطينية خالصة، تساندها الحكومات العربية »(١٠)، « ولا تكون مرتبطة بدولة عربية معينة ، وتكون صديقة لجميع الدول والشعوب العربية وتبتعد بنفسها عن التيارات العربية المتنازعة »(١١). وأمام تعاظم الشعور بضرورة الكيان الفلسطيني في الاوساط الفلسطينية ، وامام بروز العديد من التنظيمات الفلسطينية ، أخذت « فلسطيننا » تزيد وتكثف من ابحاثها ومقالاتها حول الثورة ومنطلقها ومراحل العمل الثوري ووحدة العمل الفلسطيني(١٢). فرفضت اللقاء الجبهوي ، وطالبت بقيام تنظيم

فلسطيني موحد ، واكدت « ان وحدة الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة ، لا يمكن ان تتحقق عن طريق التقاء الجبهات الفلسطينية في تنظيم فلسطيني واحد ... [بل] تتحقق فقط بالتقاء الطلائع الثورية المخلصة وتنظيمها حول نواة حركة فلسطينية مسلحة بعيدة عن التأثيرات الآنية وبمعزل عن الخلافات ومؤثراتها »(١٣).

بالاضافة الى موضوع الكيان الفلسطيني ، الذي شكل القضية المركزية في كل كتابات ومقالات « فلسطيننا » فقد درجت على التذكير بالمعارك البطولية لشعب فلسطين وبطولات الفدائيين في العام ١٩٥٦ ، كما درجت على تحريض الجماهير الفلسطينية ضد وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين باعتبارها منفذة للسياسة الصهيونية والاستعمارية(١٤). وكذلك تحريضها ضد مشاريع تصفية القضية الفلسطينية كمشروع همرشولد ، او القبول بقرارات تقسيم فلسطين الصادرة عن الامم المتحدة في العام ١٩٤٧(١٥) ، فاعتبرت « القضاء على الناعقين بقبول التقسيم في نفس المستوى والاهمية للقضاء على دولة اليهود المجرمين » ، كما اعتبرت الدعوة لقرار التقسيم « أخطر من وجود اسرائيل [لأن] التقسيم يعني القضاء على ما تبقى من فلسطين ، وبالتالي على الوطن العربي كله »(١٦). كذلك فقد دابت « فلسطيننا » في الاعداد المتقدمة منها على تعريف الجمهور الفلسطيني بتجارب الشعوب الاخرى وثوراتها التحررية ، فقدمت له التجربة الكوبية ، وحرب الانصار السوفياتية(١٧).

٢) **العاصفة** : نشرة اخبارية شهرية ، اصدرتها « فتح » بثماني صفحات قطع متوسط ، اعتبارا من ١٩٦٥/٥/١٥. كانت متقطعة ولم تصدر بانتظام. لم يصدر منها الا ثمانية اعداد حتى شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ . كانت اخبارية تحريضية، دابت على نشر عمليات العاصفة وتعليقات الصحف العربية والاسرائيلية على هذه العمليات بشكل مضخم ومبالغ فيه ، صدرت بالاساس لتحل محل « فلسطيننا — نداء الحياة » التي توقفت عن الصدور « واليوم ، بعد ان تجسدت افكار فلسطيننا في الواقع عمليا ، بما بدأته قوات العاصفة في ارضنا المحتلة ، تتقدم اليك العاصفة صوتا لحركة التحرير الوطني الفلسطيني ، تحمل اليك الكلمة الثورية ، وتترجم اليك الواقع الثوري »(١٨). اعتمدت « العاصفة » أسلوب النداءات العاطفية لاستنهاض الجماهير وشحذ عزائمها ، وردت على الذين كانوا يتهمون العاصفة بالتوريط « أما شعارات الخيانة والضلال التي يرفعها ادعياء التوريط فقد اسقطت مع رافعيها الى مستنقع التاريخ الآسن »(١٩) ، وحددت موقفا سلبيا من منظمة التحرير الفلسطينية ووصفتها « بالمنظمة المترهلة » واعتبرت « المرحلة الحالية من الكفاح الفلسطيني الباسل قد تجاوزت المنظمة كتنظيم وكأسلوب في العمل بعد ان قامت بتجميد القضية وتمييعها في المرحلة السابقة »(٢٠). كما دعت لان تكون الوحدة الوطنية الفلسطينية «صورة صادقة للقوى الوطنية العاملة في الداخل ، وليست صورة لمرحلة زمنية مضت ، حيث برزت خلالها فئات معينة على مسرح العمل الوطني لسبب او لآخر »(٢١).

٣) **فلسطين — ملحق المحرر** : مجلة سياسية ، تحليلية ، تثقيفية ، صدرت نصف شهرية ، بـ ١٨ صفحة من القطع الكبير ، كملحق لجريدة «المحرر» اللبنانية ، في ١٩٦٤/١١/٥ ، واستمرت بالصدور حتى ١٩٦٧/٧/٦ حيث توقفت عن الصدور بعد ان أصدرت ٧٢ عددا . صدر العددان ٦٨ و٦٩ ، بشكل يومي والاعداد ٧٠و٧١و٧٢ بشكل اسبوعي. أشرف على تحريرها الشهيد غسان كنفاني ، وكانت تعبر الى حد كبير عن وجهة نظر حركة القوميين العرب من مجمل القضايا الفلسطينية التي كانت مطروحة آنذاك . ولقد اختلفت « فلسطين — ملحق المحرر » عن « فلسطيننا — نداء الحياة » لكونها كانت تصدر كملحق لصحيفة لبنانية ، فكانت علنية توزع في العديد من الاقطار العربية بدون صعوبة ، وكانت الاولى من نوعها ، كصحيفة فلسطينية علنية ، مما أوجد حولها عددا كبيرا من القراء ، وبحكم علنيتها واتساع نطاق توزيعها ، فقد لعبت دورا اساسيا في طرح ومعالجة أهم القضايا التي كانت تواجهها معركة تحرير فلسطين، وكان لها تأثير واسع فيأوساط المثقفين الفلسطينيين في البلدان العربية .

لم تعتمد « فلسطين — ملحق المحرر » الطابع الاخباري ، بل اعتمدت الاسلوب الدراسي — التثقيفي ، والتحليلي ، فهي كانت أقرب الى

مخاطبة عقول المثقفين ، من مخاطبة الجمهور ، فقد كانت أعدادها ، حافلة باستمرار ، بالدراسات المطولة وبالابحاث والتعليقات التي تناولت معظم جوانب الصراع العربي — الاسرائيلي، واستكتبت لذلك عددا من الكتاب الفلسطينيين البارزين ، منهم : برهان الدجان ، وخيري حماد ، ووليد الخالدي ، والدكتور منذر عنبتاوي ، والدكتور فايز صايغ . بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت اول صحيفة تبادر بتعريف القارىء العربي والفلسطيني، بالادب الفلسطيني داخل الارض المحتلة ، وببعض جوانب الادب الصهيوني ، فقدمت على صفحاتها عددا من شعراء الارض المحتلة ، كما اهتمت ايضا بالادب الفلسطيني بشكل عام . فخصصت صفحتين كاملتين من كل عدد للتعريف بالادب الفلسطيني ، لقد صدرت « فلسطين — ملحق المحرر » بعد الاعلان عن ولادة منظمة التحرير الفلسطينية فجاءت لتسد فراغا لدى القارىء العربي ، في وقت برزت فيه القضية الفلسطينية ، وتصدرت الاحداث في المنطقة بازدياد حدة المواجهة بين اسرائيل والدول العربية ، بعد نجاح اسرائيل في تحويل نهر الاردن ، وفي وقت بدأت تتبلور فيه البدايات الاولى لبروز شخصية وطنية فلسطينية ، وازداد فيه الحديث عن دور شعب فلسطين في معركة التحرير . ولذا فقد ركزت على مناقشة ومعالجة معظم القضايا المتعلقة بالصراع العربي — الاسرائيلي ، والتي برزت انذاك ، من وجهة نظر محددة ، تتعارض مع وجهة النظر التي دعت اليها « فلسطيننا — نداء الحياة » و « العاصفة » فمن ناحية ، اهتمت بتعريف القارىء العربي بواقع العدو الاسرائيلي ، ويلاحظ في هذا المجال، تركيزها على قوة العدو العسكرية ، واعطت اهتماما لاحتمال امتلاكه للقنبلة الذرية(٢٢)، ولم يكن هذا التركيز الا خدمة لموقفها السياسي الذي كان يرى في العمل الفدائي الفلسطيني مجرد عمل « ملحق بالجيوش النظامية منه للثورات الشعبية المسلحة »(٢٣) كما اعطت اهتماما لموضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، وقدمت للقارىء العربي صورة اولية عن الاحزاب الاسرائيلية واتجاهاتها ، واهتمت بأوضاع العرب داخل الارض المحتلة وابرزت نضالاتهم ضد الحكم العسكري الاسرائيلي ، وعرفت القارىء العربي بمنظمة الارض ، وقدمتها له بصورة مضخمة ومبالغ فيها(٢٤). كما اهتمت بابراز النشاط الاسرائيلي في افريقية ، ونبهت من مخاطر ذلك(٢٥). وأبرزت دور الولايات المتحدة في تسليح اسرائيل بعد العام ١٩٦٥(٢٦). بالاضافة الى ذلك، فقد تصدت ، بالدرس والتحليل ، لقضايا العمل الوطني الفلسطيني التي كانت مطروحة آنذاك ، والتي كان يقف على رأسها موضوع منظمة التحرير الفلسطينية ، دورها والموقف منها ، ثم وحدة العمل الفلسطيني ، ودور العمل الفدائي الفلسطيني في معركة التحرير . ويمكن القول ، انه لم يخل عدد من اعداد « فلسطين — ملحق المحرر » من التعرض لموضوع او اكثر من هذه المواضيع . وكانت في تعاطيها مع هذه المواضيع، تنطلق من وجهة نظر سياسية محددة ، هي وجهة النظر التي كانت تعبر عنها حركة القوميين العرب في تلك الفترة ، مما دفع بها الى ان تخوض نقاشا علنيا مع منظمة « فتح » حول موضوع العمل الفدائي الفلسطيني ودوره في معركة التحرير(٢٧).

لقد اتخذت « فلسطين — ملحق المحرر » موقف المؤيد مع تحفظ من منظمة التحرير الفلسطينية ، فكانت تؤكد ايجابيات ظهور المنظمة في ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية والكيان الفلسطيني ، بنفس الوقت التي كانت تتوجه بالنقد ضد الممارسات والتصرفات الفردية لاحمد الشقيري ، رئيس المنظمة آنذاك ، كما كانت توجه النقد للمنظمة لعدم قدرتها على تجاوز تناقضات الانظمة العربية وتعبئة قوى الشعب الفلسطيني ، وانتقدت بشدة موقف قيادة المنظمة من الحزبيين من الفلسطينيين ومحاولة ابعادهم عن المنظمة فنبهت الى خطورة مثل هذا الاتجاه ، فانتقد الشهيد غسان كنفاني ، في مقال له ظاهرة محاربة الحزبيين ووصفها « بظاهرة خطرة كل الخطورة » تعمل على تشتيت القوى الثورية والتقدمية(٢٨). بالاضافة الى ذلك ، فقد دعت لان تكون منظمة التحرير الفلسطينية الارضية التي يتم عليها ، ومن خلالها ، وحدة كل التنظيمات الفلسطينية ، ودعت جميع هذه التنظيمات للدخول في المنظمة والمشاركة في جميع نشاطاتها(٢٩). وبالنسبة لوحدة العمل الفلسطيني ، فقد تبنت الدعوة لوحدة العمل الفلسطيني ، ولكن ربطت

اي توجه لهذه الوحدة بالاتفاق مسبقا على استراتيجية العمل الفلسطيني ، وبشكل خاص حول دور العمل الفدائي الفلسطيني « أن وجود تصور واضح لمعاني الدور الفدائي لشعب فلسطين ، امر لا يجوز تجاهله او اغفاله ، ولا قيمة مطلقا لاي لقاء مفتعل بين القوى الفلسطينية اذا هي لم تتمكن بصبر وجلد ، ان تتوصل الى قناعة مشتركة حول استراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني »(٣٠). وكانت تختلف مع منظمة « فتح » حول العمل الفدائي الفلسطيني ودوره في معركة التحرير ، فقد نظرت الى مبادرة « فتح » بالاعلان عن قيامها بعمليات فدائية داخل الارض المحتلة ، بعدم ارتياح وعاملته بحذر لا يخلو من نقد قاس ، وكانت ترى فيه نوعا من التوريط للجمهورية العربية المتحدة « ان هناك خطأ فاحشا في تنفذ هذا العمل [الفدائي] الى الساحة بغير توقيت صحيح ، وبغير غاية عسكرية واضحة متصلة بحقيقة دوره في معركة التحرير وبدون تنسيق واضح مع القوى العربية القادرة على خوض معركة التحرير »(٣١). وحددت نظرتها للعمل الفدائي الفلسطيني باعتباره عملا متمما او مكملا لدور الجيوش العربية ، وان اداة الحسم الرئيسية في معركة تحرير فلسطين هي جيوش الدول العربية المحيطة بفلسطين وبشكل خاص الجمهورية العربية المتحدة(٣٢). ونادت بالتنسيق بين العمل الفدائي الفلسطيني والدول العربية ذات الاهتمام المباشر بالصراع العربي — الاسرائيلي(٣٣). وعليه ، فلم تعط اهتماما اخباريا للعمليات الفدائية التي كانت تقوم بها العاصفة ، الا في اعدادها الاخيرة عندما ظهر في اواخر العام ١٩٦٦ ومنتصف العام ١٩٦٧ تنظيمان فدائيان كانا مرتبطين بحركة القوميين العرب ، هما ، منظمة ابطال العودة التي اعلنت عن بدء عملياتها الفدائية في اواخر العام ١٩٦٦(٣٤)، ومنظمة شباب الثأر التي اعلنت عن بدء عملياتها الفدائية في اواسط العام ١٩٦٧(٣٥). ولذا فقد اخذت تبرز العمليات الفدائية في صدر صفحاتها وبعناوين بارزة ، مع التركيز على دور العمل الفدائي الفلسطيني واهميته ، الا ان هذا الابراز لم يدفع بها الى التخلي عن نظرتها للعمل الفدائي باعتباره جزءا من استراتيجية عربية موحدة(٣٦)، ولذا فقد دعت منظمة التحرير الفلسطينية الى تبني العمل الفدائي واحتوائه « ان واجب المنظمة هو احتواء العمل الفدائي الفلسطيني في هذه المرحلة ،وكذلك من واجب المنظمات ان تنفتح على منظمة التحرير وتتفاعل معها بهدف الوصول الى وحدة العمل الفدائي في الساحة الفلسطينية »(٣٧) واعتبرت تبني العمل الفدائي الاساس في أي استراتيجية موحدة للعمل الفلسطيني « ان الوحدة الوطنية هي وصول كافة القوى الفلسطينية العاملة في الساحة بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الى استراتيجية موحدة للعمل الفلسطيني الثوري في هذه المرحلة ، تستطيع القوى مجتمعة ان تقاتل من خلالها ، وكل توجه لخلق وحدة وطنية في هذه المرحلة لا يقوم على هذا الاساس يبقى توجها ناقصا ... هذه الاستراتيجية تتلخص في تبني العمل الفدائي ووضعه في المرتبة الاولى و ... »(٣٨).

بالاضافة الى هذه القضايا ، فقد تفردت « فلسطين — ملحق المحرر » بالمبادرة الى تبني وطرح شعار الحرب الاستباقية او الوقائية ضد اسرائيل . فركزت على تنامي قوتها العسكرية واحتمال امتلاكها للسلاح الذري ، لتدعم دعوتها للحرب الوقائية « ان حربا وقائية عربية هي المطلوب الان ، وبلا تردد ، هدفها المرحلي بايجاز ، منع اسرائيل من انجاز سلاح نووي وتصغير حجمها الدولي ، وان القوة العربية المرشحة لهذه المهمة والقادرة عليها بشروط هي المتحدة [الجمهورية العربية المتحدة] والشروط هي صمود الجبهات العربية الاخرى »(٣٩)، وبلغ من حماسها لهذا الشعار ان اعتبرته احد شروط وحدة العمل الفلسطيني وجانبا اساسيا من استراتيجيته « ان الوصول الى استراتيجية موحدة للعمل الثوري الفلسطيني في هذه المرحلة ، تقوم من جملة ما تقوم عليه ، على الدعوة الى حرب وقائية تخوضها الانظمة العربية الثورية لتحطيم منشآت اسرائيل الذرية »(٤٠).

لقد كانت هذه ، أهم القضايا والمواضيع التي عرضتها وناقشتها « فلسطين — ملحق المحرر » في هذه الفترة ، التي امتدت نحو سنتين ونصف ، وعلى الرغم من تركيزها على هذه القضايا ، فقد كانت تولي اهتماما لتعريف القارىء ببعض

جوانب التاريخ الفلسطيني الحديث ، وبالمعارك التي خاضها الشعب الفلسطيني ، والتعريف بأهم مناضليه وشهدائه وكذلك التعريف بالمدن والبلدان الفلسطينية المحتلة . الا ان الملاحظ انها ، وصحف المقاومة الاخرى التي ظهرت في هذه الفترة ، لم تول اهتماما لاوضاع الفلسطينيين في البلدان العربية ، والقيود التي كانت تفرضها الانظمة العربية على تنقلاتهم وعملهم(٤١). وكان الاهتمام فقط ينصب على دور وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، كأداة لتذويب وتصفية القضية الفلسطينية، ولم تتعرض« فلسطين — ملحق المحرر » للوكالة الا في اعدادها الاخيرة(٤٢).

٤ — **أخبار فلسطين :** صحيفة اسبوعية سياسية صدرت في غزة ، كناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٦٥/١٠/٤ ، واستمرت في الصدور حتى حرب حزيران « يونيو » ١٩٦٧ ، كانت بالاساس تصدر باسم زهير الريس ، ثم تنازل عن الامتياز للمنظمة ، واستلم رئاسة تحريرها(٤١) صدرت بـ ٨ صفحات قطع كبير ، كان طابعها اخباريا ، ركزت على ابراز اخبار منظمة التحرير الفلسطينية ونشاطاتها ، مع بعض التعليقات القصيرة والسطحية حول علاقات منظمة التحرير الفلسطينية الخارجية ، وتأثيرات بعض القضايا الدولية على القضية الفلسطينية . كانت في مواقفها من قضايا العمل الفلسطيني ، منسجمة مع مواقف الجمهورية العربية المتحدة ، ففي البداية تجاهلت العمليات الفدائية الفلسطينية التي بدأتها العاصفة ، واعتبرت العمل الفدائي مرتبطا بالاستراتيجية العربية «من الطبيعي بل ومن الضروري ان يكون واضحا ومؤكدا ان حرب الفدائيين ترتبط ارتباطا كليا ووثيقا باستراتيجية التحرير وبالمخطط المرحلي له ، اي انه لا بد لها ان تأتي في مكانها من الخطة ، وفي دورها المعد له من ادوار العمل »(٤٤)، الا انها في اواخر العام ١٩٦٦ ، اخذت تبرز العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة في صدر صفحاتها وبعناوين بارزة(٤٥). كذلك فقد تبنت شعار الحرب الوقائية، ولكن دون اهتمام او ابراز(٤٦).

صحافة المقاومة بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى الان

شكلت هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بداية مرحلة ، احدثت انعطافا هاما في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني ، فقد حسمت الهزيمة الجدل الذي كان سائدا بين القوى الوطنية الفلسطينية في المرحلة السابقة ، حول دور الشعب الفلسطيني في معركة التحرير ، فأكدت ضرورة ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، والدور الخاص للشعب الفلسطيني في معركة التحرير ، كما اكدت سيادة العمل الفدائي الفلسطيني ، واعتباره البداية في انهاض حرب تحرير شعبية لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية . كذلك فقد شكلت الهزيمة ظرفا موضوعيا مؤاتيا ، دفع بانهاض حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ، وشمول ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني اوسع الجماهير الفلسطينية، بتجاوزها اطار العمل السري المحدود والطلائعي الى اطار العمل العلني الواسع والجماهيري . مما وضع صحافة المقاومة امام مرحلة جديدة وفي مواجهة قضايا ومهمات تختلف عما واجهته في المرحلة الماضية .

لقد كانت أبرز ظاهرة في صحافة المقاومة في هذه الفترة ، هي نموها السريع ، وتعددها الذي قام في **معظمه** على اساس التعدد التنظيمي في الساحة الفلسطينية ، وعلى اساس تعدد الصحف والنشرات التي كان يصدرها كل تنظيم . وفيما يلي تعريف اولي بمعظم هذه الصحف والنشرات ،

« اولا » — **صحف ونشرات مركزية** ، وهي الصحف والنشرات الرسمية التي كانت تصدرها وتشرف عليها جهات مركزية في هذا التنظيم او ذاك ، وتعتبر الناطقة باسمه ، وهي على نوعين :

أ — **صحف لبنانية** جرى استئجار او شراء امتيازها من قبل منظمات فلسطينية ، ولكن باسماء اشخاص لبنانيين كما ينص على ذلك قانون الصحافة اللبنانية ، وهذه الصحف هي :

١ — **الهدف :** صحيفة سياسية يومية لبنانية بالاساس ، اشترت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين امتيازها باسم الشهيد غسان كنفاني ،

واصدرتها اسبوعية اعتبارا من ١٩٦٩/٧/٢٦ وتعتبر الصحيفة المركزية الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . استلم الشهيد غسان كنفاني رئاسة تحريرها حتى استشهاده في تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، فحل محله في رئاسة تحريرها بسام ابو شريف . صدرت بـ ٢٠ صفحة قطع كبير حتى العدد ٢٦٢ ، واعتبارا من العدد ٢٦٣ الصادر بتاريخ ٧٤/٨/٣ صدرت بـ ٤٤ صفحة قطع صغير مع ادخال تعديلات فنية على تبويبها واخراجها . بأمكان « الهدف » ان تصدر يومية ، الا أن الصعوبات المالية تحول دون ذلك(٤٧)، غير انها في بعض المناسبات ، كانت تصدر يومية لمتابعة الاحداث(٤٨). جمعت « الهدف » بين الطابع الاخباري كصحيفة اسبوعية ، والطابع التحليلي — التثقيفي ، اي المقال السياسي مع الدراسات النظرية المكثفة ، وهي بهذا كانت اقرب الى مخاطبة المثقفين من مخاطبة الجمهور العادي . الا أن هذا لم يحل دون اعتمادها الاسلوب التحريضي في مواجهة الاحداث الساخنة والتي تتطلب تعبئة جماهيرية . وصفت « الهدف » نفسها بانها مجلة « يقف وراءها شباب يقتنعون فكريا ثوريا » وبررت صدورها بـ « رفضها لكل الصيغ العاجزة المتخذة حينا طابع المساومة ، وحينا طابع المهاودة ، وحينا ثالثا طابع الوسيطة، وهي تعتنق هذا الرفض الثوري اساسا للمعركة المصيرية » وقالت « انما تأتي ردا على الصناعة الاعلامية العربية التي اسقطتها القيم التجارية وقيم المجتمع المنهار... وفي دوامة العجز والفشل» واضافت « انها لن تسمح لمواقف الارتجال والانفعال والمزايدة ان تحل مكان مواقف الموضوعية والعلمية »(٤٩). وقد اهتمت « الهدف » كغيرها من صحف المقاومة الاخرى بالقضية الفلسطينية وعالجتها من وجهة نظرها الخاصة ، ففي الوقت الذي ركزت فيه على معظم القضايا العامة التي اهتمت بها صحف المقاومة الاخرى ، فقد اهتمت بابراز العمليات الخارجية التي ميزت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما ركزت على المقاومة داخل الارض المحتلة وبشكل خاص في غزة(٥٠).

٢ — **الحرية** ، صحيفة سياسية اسبوعية ، تصدر في لبنان ، اشترت حركة القوميين العرب امتيازها في العام ١٩٥٩ ، وكانت تعبر عن وجهة نظرها . ومع الاعلان عن قيام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد حرب العام ١٩٦٧ ، اخذت تعبر عن وجهة نظرها ، الا انه على ضوء الخلافات التي نشبت داخل الجبهة الشعبية ، عبرت عن تعاطفها مع الجناح اليساري في الجبهة، وعقب الانشقاق الذي حصل في حركة القوميين العرب ، وفرعها الفلسطيني الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، في اوائل العام ١٩٦٩ ، باتت تعبر عن وجهة نظر الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، فلسطينيا ، وعن وجهة نظر منظمة العمل الشيوعي اللبناني ، عربيا ودوليا(٥١). صدرت « الحرية » بـ ١٦ صفحة قطع كبير ولا زالت، ذات طابع تحليلي — دراسي، مع جانب اخباري ، ركزت على الدراسات النظرية والقضايا الفكرية ، وهي بذلك كانت اقرب الى مخاطبة المثقفين من مخاطبة الجمهور العادي . امتازت عن غيرها من صحف المقاومة الاخرى ، بالتركيز بشكل مستمر ومكثف على القضايا اللبنانية ، وبالدخول في صراعات فكرية وسياسية مع الاحزاب الشيوعية العربية ، واتخذت موقفا نقديا من مواقف الاتحاد السوفياتي تجاه القضية الفلسطينية في البداية ، الا ان هذا الموقف تغير بعد حرب تشرين « اوكتوبر » ١٩٧٣ ، حيث أخذت تبدو متعاطفة مع المواقف السوفياتية تجاه القضية الفلسطينية(٥٢). كما امتازت بالمبادرة في تعريف القارىء بأوضاع اليسار غير الصهيوني في اسرائيل(٥٣)، وبتعميق وتكثيف الحوار حول شعار دولة فلسطين الديمقراطية . اتخذت الحرية في البداية ، موقفا معارضا للوحدة الوطنية الفلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية، « فمنظمة التحرير لم تعد خاصة بعد الخامس من حزيران ، قادرة على ان تشكل الاطار الذي يجمع حركة المقاومة الفلسطينية ، ولا الاطار القادر على توحيدها ، بل ان هناك دوائر فلسطينية ترى خطرا كبيرا يتهدد العمل الفدائي من جراء ارتباطه بمنظمة التحرير ، بسبب علاقات المنظمة الوثيقة بالحكومات العربية ... وترى في موافقة المنظمات الفدائية على العمل من داخلها نوعا من احياء الاموات » وطالبت ببحث قضية الوحدة الوطنية « خارج اطار منظمة التحرير وبين فرقاء ثوريين وعلى اساس من الفهم المشترك لقضايا النضال الفلسطيني »(٥٤)، الا ان هذا

الموقف السلبي تغير باتجاه ايجابي في فترة لاحقة ، فأخذت تدعو الى الدخول في المنظمة والمؤسسات المنبثقة عنها والعمل على تثويرها من الداخل « ومن هنا بات على يسار حركة المقاومة ان يتعامل مع الواقع القائم والنضال في نفس الوقت من اجل تغييره »(٥٥). اتسمت « الحرية » بكونها صحيفة يسارية ، فاتخذت موقفا ناقدا وتحريضيا ضد الانظمة العربية . بمجموعها ، واهتمت بالتركيز على اوضاع حركات التحرر الوطني العربية ذات الصفة اليسارية ، بشكل اكثف من « الهدف » او « الى الامام » فابرزت الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ، وقدمت العديد من الدراسات السياسية والنظرية عنها(٥٦)، كذلك فقد اهتمت بتقديم دراسات نظرية مكثفة عن الماركسية ، من وجهة نظرها الخاصة، بحكم انتماءاتها الايديولوجية .

٣ – **الى الامام** ، مجلة سياسية اسبوعية ، تصدر في لبنان ، صدرت كناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة ، اعتبارا من العدد (٢٩٥) بتاريخ ١٩٧٠/٤/١٧، بعد ان تم استئجار امتيازها من قبل الجبهة الشعبية – القيادة العامة ، من صاحبها نسيب نمر ، ثم اشترت القيادة العامة امتيازها في فترة لاحقة ، رأس تحريرها ولا يزال ، فضل شرورو ، صدرت بـ ١٦ صفحة قطع كبير ، ثم صدرت بـ ٢٨ صفحة قطع متوسط اعتبارا من العدد ٣٨٩ في اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ . قدمت نفسها في العدد الاول كناطقة باسم الجبهة الشعبية – القيادة العامة ، وبأنها « تلتزم اساسا بالثورة الفلسطينية غير منطلقة من تعصبية تنظيمية [وتلتزم] بخط الانظمة الثورية العربية، بانجازاتها الداخلية لمصلحة جماهيرها ، وبموقفها الجاد الواضح من القضية الفلسطينية » . طابعها اخباري – تحليلي ، قللت من الاعتماد على الدراسات النظرية الفكرية ، وركزت على المقالات والتحليلات السياسية القصيرة ، اهتمت بالتركيز على الشؤون الفلسطينية . وقللت من التركيز على قضايا حركة التحرر الوطني العربية ، اعطت اهتماما لموضوع الوحدة الوطنية ، فابرزت في اعدادها الاولى بابا باسم «ايها المقاتلون اتحدوا» لتخاطب به قواعد المقاومة ومقاتليها تدعوهم الى فرض الوحدة الوطنية .

لم تكن هذه الصحف الثلاث ، تتمتع بالحرية نفسها التي تمتعت بها صحف المقاومة الاخرى ، لانها خاضعة لقانون المطبوعات اللبناني ، الذي يفرض رقابة على الصحف اللبنانية ، الا انها امتازت عن صحف المقاومة الاخرى ، بوضعها المستقر نسبيا ، وانتظام صدورها ، وكذلك بكونها اكثر انتشارا ، لانها كانت توزع كأي صحيفة لبنانية ، وبحصولها على مردود مالي من مبيعاتها ، او من بعض الاعلانات القليلة ، كانت تغطي به جزءا من مصاريفها ونفقاتها .

ب – صحف ونشرات مركزية دورية اصدرتها منظمات المقاومة المختلفة ، لتعبر عن وجهة نظرها ، وقد صدرت هذه الصحف والنشرات في فترات متفاوتة ، ولم تكن كلها على درجة متقاربة من الجودة والاخراج الصحفي ، كما خضع معظمها لكثير من التغييرات ، سواء من حيث الاخراج او انتظام الصدور ، فبعضها توقف عن الصدور بعد فترة ، وبعضها كان يعاود الصدور بعد فترة من التوقف ، ويمكن اجمال اهم هذه الصحف والنشرات بما يلي :

● عن **منظمة التحرير الفلسطينية** .

١ – جريدة « **فتح** » وهي جريدة سياسية يومية ، صدرت بالاساس كناطقة بلسان حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في ١٩٧٠/٦/١٥ ، ثم أخذت تصدر كناطقة بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية اعتبارا من العدد ١٧ بتاريخ ١٩٧٠/٧/٣ ، كانت تصدر في عمان ، بـ ٤ صفحات قطع كبير ، توقفت عن الصدور نحو شهرين من ١٩٧١/١/٢٦ – ١٩٧١/٣/٣٠ ، ثم عاودت الصدور من دمشق . وظلت تصدر يومية حتى تاريخ ١٩٧١/٨/٦ ، حيث صدرت اسبوعية اعتبارا من تاريخ ١٩٧١/٨/١٨ باعتبارها الجريدة المركزية الناطقة بلسان منظمة التحرير الفلسطينية . صدرت بـ ١٦ صفحة قطع متوسط، واستمرت في الصدور اسبوعية حتى العدد ٣٤٠ بتاريخ ١٩٧٢/٥/٣١ ، حيث توقفت من الصدور بقرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وصدرت بدلا عنها مجلة « فلسطين الثورة » . كانت « فتح » جريدة اخبارية –

تحريضية ، وجاءت لتسد فراغا في الساحة الاردنية ، في وقت كانت تفتقر فيه المقاومة في الاردن الى جريدة يومية تلاحق الاحداث يوما بيوم، وفي وقت كانت تفتقر فيه حركة المقاومة الى جريدة تنطق باسمها ، وتعبر عن وجهة النظر الرسمية لها . لعبت جريدة « فتح » دورا تحريضيا خلال الاحداث التي شهدها الاردن في اواخر العام ١٩٧٠ واوائل العام ١٩٧١ ، وكانت توزع بأعداد كبيرة ، فقد وصل مجموع ما كانت تطبعه اثناء صدورها في الاردن ، ١٠٠ الف نسخة ، كان يوزع منها في الاردن ٤٠ الف نسخة(٥٧).

٢ ـ **فلسطين الثورة** ، مجلة سياسية اسبوعية ، صدرت في ١٩٧٢/٦/٢٨ باعتبارها الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، صدرت في البداية بـ ٢٠ صفحة قطع متوسط ، ثم بـ ٢٨ صفحة قطع صغير ، وزادت صفحاتها الى ٤٤ و ٥٢ في الاشهر الاخيرة من العام ١٩٧٤. وهي مجلة اخبارية تحليلية ، اعتمدت المقالات والتحليلات السياسية القصيرة ، مع تقديم بعض الدراسات النظرية بين حين واخر ، وقدمت نفسها في العدد الاول بانها « تجسيد اولي للمساعي الدؤوبة والنضال الطويل نحو تحقيق الوحدة العضوية بين فصائل المقاومة » واضافت انها « التعبير عن فكر الثورة ووحدة مواقفها ومرتكزاتها التوجيهية في مرحلة التحرير الوطني ، والتي من شأنها ان تنفي حالة الضياع والبعثرة والتشرذم التي مرت بها المسيرة » . كانت تطبع في بداية صدورها عشرة الاف عدد ثم زيدت الى ٢٥ الف يوزع منها في لبنان ثمانية الاف عدد(٥٨)، وتوزع في معظم الاقطار العربية عبر مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية . وقد حققت قفزة نوعية في محتوياتها في السنة الماضية .

٣ ـ **القاعدة** ، نشرة شهرية اصدرتها دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية ، ابتداء من ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ بـ ١٨ صفحة قطع متوسط ، ليست منتظمة ، تعني بشؤون الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية .

● **عن جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية .**

١ ـ **صوت فلسطين** ، مجلة سياسية ـ عسكرية ، صدرت في البداية نصف شهرية ، عن ادارة التوجيه المعنوي في جيش التحرير الفلسطيني بـ ١٨ صفحة قطع صغير في ١٩٦٨/٦/١ ،واعتبارا من العدد التاسع ، صدرت شهرية بـ ٥٠ صفحة حتى العدد ٥٣ ، حيث زادت صفحاتها الى ٩٨ صفحة . ومن تموز (يوليو) ١٩٧٢ حتى اذار (مارس) ١٩٧٢ ، غيرت اسمها الى المجلة العسكرية الفلسطينية ، ثم عادت وصدرت بالاسم القديم . اهتمت بقضايا الثورة الفلسطينية ، وابرزت اخبار جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ، وركزت على الدراسات العسكرية ، وغلب عليها الطابع الدراسي والمقالات المطولة .

٢ ـ **الجندي** ، نشرة اخبارية نصف شهرية ، صدرت بـ ٤ صفحات اعتبارا من شباط (فبراير) ١٩٧٢ ولا زالت مستمرة في الصدور .

٣ ـ **الثوري** ، نشرة نصف شهرية ، اصدرتها قوات التحرير الشعبية ، في تموز « يوليو » ١٩٦٩ ، لم يصدر منها الا ٢٢ عددا حتى اب (اغسطس) ١٩٧٢ ، حيث توقفت عن الصدور . وهي نشرة اخبارية ـ اعلامية . كانت تصدر بأربع صفحات واحيانا ثماني صفحات .

● **عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)**

١ ـ **فتح** ، نشرة اسبوعية ، أصدرها الاعلام المركزي لفتح في ايار (مايو) ١٩٦٩ بـ ٨ صفحات قطع صغير ، تصدر متقطعة وبغير انتظام . طابعها اخباري ـ تثقيفي ، مع بعض التحليلات السياسية في بعض الاحيان .

٢ ـ **المسيرة** ، مجلة اسبوعية ، صدرت عن دائرة التعبئة والتوجيه السياسي في القيادة العامة لقوات العاصفة ، ابتداء من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ بـ ٤٤ صفحة قطع صغير، توقفت عن الصدور بعد العدد ٣٦ ، طابعها أخباري مع التركيز على بعض النواحي العسكرية .

٣ ـ **الثورة الفلسطينية** ، مجلة سياسية ، صدرت نصف شهرية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ بـ ٢٨ صفحة قطع صغير ، وتوقفت عن الصدور بعد العدد ١٥، ثم عادت للصدور شهرية، وبـ ٨٠ صفحة قطع صغير في حزيران (يونيو) ١٩٦٩، لم تكن منتظمة في صدورها في العام ١٩٧١، وتوقفت عن الصدور في اواسط العام ١٩٧٢ .

اتخذت في الاعداد الاولى من صدورها ، طابعا اخباريا — تعبويا ، ثم أخذت في الاعداد اللاحقة تركز على النواحي التثقيفية ، وتقديم فكر «فتح» بطريقة مبسطة. اهتمت بشؤون الثورة الفلسطينية، ولم تهتم بقضايا حركة التحرر الوطني العربية ، وقد عبرت عن نفسها بأنها ضد الايديولوجية ، فالثورة « تصنع بالعنف الثوري المسلح ، بلا تمهيداتايديولوجية مماحكة تبدد الزمن، فالتمهيدات الايديولوجية قد تمت في التاريخ »[٥٩].

٤ — **أصداء الثورة الفلسطينية** ، نشرة اعلامية شهرية ، أصدرتها قوات العاصفة في العام ١٩٦٩، توقفت عن الصدور حتى نيسان (ابريل) ١٩٧٠ لم يصدر منها الا ١٤ عددا .

● **عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :**

١ — **الجماهير** ، نشرة يومية صدرت في عمان في ١٩٧٠/٧/٢٩ بصفحتين قطع صغير ، واستمرت في الصدور حتى ١٩٧٠/٩/١٧ . كانت نشرة تحضيرية ، أصدرتها الجبهة الشعبية ابان احتدام الصراع في الاردن بين حركة المقاومة والنظام الاردني بعد طرح مشروع روجرز .

● **عن الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين :**

١ — **الشرارة** ، صدرت في حزيران (يونيو) ١٩٦٩ في عمان ، كجريدة شهرية ناطقة بلسان اللجنة المركزية للجبهة الشعبية الديموقراطية ، وعرفت نفسها في العدد الاول بأنها ، حاملة راية المشردين والعمال والفلاحين ... ومنبر يدافع عن الثورة العالمية وعن ارتباط ثورتنا الفلسطينية بها ، [وانها تسعى من أجل] رفع مستوى يقظة الجماهير وشحذ عزيمتها [ومن أجل بناء] جبهة وطنية تصهر كل القوى ذات المصلحة في الثورة والتحرير بقيادة الثوريين الحقيقيين ... ولالقاء المزيد من الضوء على كافة الحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية ولهاثها وراء الحلول السلمية التصفوية » . صدرت في البداية بـ ٤ صفحات قطع كبير ، ولم ينتظم اصدارها او عدد صفحاتها، لم يصدر منها قبل شهر آب (أغسطس) ١٩٧٠ الا سبعة اعداد ، انتظم اصدارها كجريدة نصف اسبوعية من العدد ٨ — ١٧ ، ابان احتدام الصراع في الاردن بعد طرح مشروع روجرز ، ولم يصدر منها بعد ذلك الا عددان ، كان الاخير في تموز (يوليو) ١٩٧١ . لم تقم « الشرارة » بالمهام التي حددتها لنفسها ، حيث كانت تتوقف عن الصدور بين فترة واخرى ، وان اهميتها تعود الى الدور التحريضي الذي لعبته ابان احتدام الصراع في الاردن خلال شهري آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

٢ — **المقاومة** ، نشرة اخبارية يومية ، صدرت بانتظام من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ حتى آب (اغسطس) ١٩٧٢ .

● **عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة :**

١ — **الجبهة** ، مجلة سياسية شهرية ، صدرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ، لم تكن منتظمة، فلم يصدر الا عشرة اعداد خلال عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، صدرت في البداية بـ ٢٦ صفحة قطع صغير ، ثم زيدت الى ٤٨ صفحة ، كان طابعها اخباريا — تثقيفيا ، اهتمت بتعريف القارىء بالحركة الصهيونية وببعض تجارب الشعوب في نضالاتها التحررية .

٢ — **١٧ ايلول** ، نشرة شهرية صدرت في العام ١٩٧١ ، لم تكن منتظمة ، أصدرت بضعة أعداد ، ثم توقفت عن الصدور . كانت اخبارية ، اعلامية .

٣ — **القاعدة** ، نشرة تحريضية ، دورية ، غير منتظمة بمواعيد اصدار محددة ، صدرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ بـ ٤ صفحات قطع كبير .

● **عن طلائع حرب التحرير الشعبية — قوات الصاعقة :**

١ — **الطلائع** ، مجلة سياسية اسبوعية ، أصدرها الاعلام المركزي لقوات الصاعقة في ١٩٦٩/١٠/٣ باعتبارها المجلة المركزية الناطقة بلسان طلائع حرب التحرير الشعبية ، ولا زالت مستمرة بالصدور بانتظام ، صدرت بـ ١٦ صفحة من القطع الكبير، واعتبارا من العدد ٨٣ بتاريخ ١٩٧١/٦/٧، أخذت تصدر باعتبارها ناطقة باسم اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية ، ثم باعتبارها ناطقة بلسان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من العدد ٩١ ، ثم توقفت عن الصدور بهذه الصفة اعتبارا من العدد ١٣٥ ، بعد ان تم الاتفاق بين منظمات المقاومة على تشكيل مكتب

الاعلام الموحد واعتبار « فلسطين الثورة » المجلة الرسمية الوحيدة الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، وتابعت الصدور كنشرة داخلية خاصة بقوات الصاعقة بـ ٨ صفحات حتى العدد ١٥٠ ، واعتبارا من العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٧٣/٥/٢٨ ، عاودت الصدور باعتبارها المجلة المركزية الناطقة بلسان قوات الصاعقة ، وبررت عودتها بعدم التزام منظمات المقاومة بالاعلام الموحد ، واتهمت « فتح » بالانفراد في توجيه الاذاعات الفلسطينية ومجلة « فلسطين الثورة » واشارت الى استمرار منظمات المقاومة الاخرى باصدار مجلاتها وصحفها وقالت « أما وقد طال انتظارنا ، ولم يحدث أي تغيير في اتجاه ايجابي بكرس وحدة اعلامية ، فقد كان لا بد من ان نصدر مجلة « الطلائع »(٦٠) ، واعتبارا من العدد ١٧٠ ، لم ينتظم عدد صفحاتها ، فاحيانا كانت تصدر بـ ٣٢ صفحة واحيانا بـ ٢٤ صفحة قطع أقل من متوسط ، واحيانا تصدر بـ ١٦ صفحة فقط.

اتسمت بالطابع الاخباري ـ التحليلي، اعتمدت الصورة والكاريكاتير بشكل بارز ، ابتعدت عن المقالات المطولة والدراسات النظرية المكثفة ، واعتمدت المقالات القصيرة الاخبارية والتحليلية . الا ان الامر لم يكن يخلو، من تقديم بعض الدراسات السياسية المطولة في حلقات متسلسلة(٦١). امتازت الطلائع عن صحف المقاومة الاخرى ، بالتركيز على اوضاع العرب الدروز تحت الحكم الاسرائيلي ، سواء من كان منهم في الجولان او في الاراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٤٨(٦٢)، كما امتازت باعتماد الريبورتاج والتحقيقات الصحفية ، اكثر من صحف المقاومة الاخرى .

٢ ـ **الصاعقة** ، مجلة سياسية شهرية ، لم يكتب لها النجاح . صدر عدد واحد منها فقط في تموز (يوليو) ١٩٦٩ .

٣ ـ **صوت الطلائع العمالية** ، مجلة عمالية شهرية صدرت بـ ٢٨ صفحة قطع متوسط ، في ايار (مايو) ١٩٧١ ، توقفت عن الصدور ، بعد ان أصدرت بضعة اعداد .

● **عن جبهة التحرير العربية :**

١ ـ **الثائر العربي** ، صدرت في الاردن كنشرة سياسية ، اخبارية ، تثقيفية ، في ١٩٦٩/٨/٢ عن مكتب التوجيه والتنظيم في الجبهة ، مع بداية الاعلان عن قيام جبهة التحرير العربية كاحدى منظمات المقاومة الفلسطينية ، ثم تحولت الى مجلة نصف شهرية اعتبارا من العدد ١٦ ، وتوقفت عن الصدور بعد العدد ٣٠ بتاريخ ١٩٧٠/٨/١٥ ، ثم عاودت الصدور في اوائل العام ١٩٧٢ كمجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر ، صدر منها عددان بهذه الصفة في النصف الاول من العام ١٩٧٢ ، حيث توقفت ، وعاودت الصدور كمجلة نصف شهرية بـ ٢٤ صفحة قطع متوسط اعتبارا من ١٩٧٤/٣/١، وبررت عدم انتظام صدورها هذا بقولها « واذا أردنا ان ننصف أنفسنا هنا ، فلا بد من الاشارة الى ان هذا التبديل او التغيير لم يكن يوما من الايام بفعل مزاجي ، الظروف هي التي كانت دوما تلعب الدور الكبير في استقرار وضع الاعلام ، او عدمه ، وبالتالي المجلة . وجود الاعلام الموحد... فرض علينا من تلقاء أنفسنا التوقف عن الصدور ، ولما أصبح الاعلام الموحد لا يعبر عن الحد الادنى من رأي جبهتنا كان لا بد من عودة صوتنا »(٦٣). طابع « الثائر العربي » كان اخباريا ، تثقيفيا ، اهتمت بابراز الطابع القومي للثورة الفلسطينية والتأكيد عليه .

● **عن الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين :**

١ ـ **الشرارة** ، نشرة مركزية دورية ، صدرت في البداية في اوائل العام ١٩٧١ ، كنشرة داخلية، عن الفرع اللبناني للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واستمرت تصدر بهذه الصفة حتى العدد الخامس ، ثم اعتبارا من العدد السادس ، صدرت باعتبارها الصحيفة المركزية للجبهة الشعبية الثورية ، لم ينتظم اصدارها ولا عدد صفحاتها ، فلم يصدر منها حتى نهاية العام ١٩٧٤ الا ٢١ عددا ، واحيانا كانت تصدر كنشرة ، واحيانا كمجلة ، واعتبارا من العدد ١٧ صدرت كنشرة بـ ٤ صفحات قطع متوسط ، اتخذت طابعا اخباريا تحليليا .

● **عن جبهة النضال الشعبي لتحرير فلسطين :**

١ ـ **النضال** ، نشرة ، اخبارية ـ تثقيفية ، شهرية ، صدرت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ حتى نيسان (ابريل) ١٩٦٩ ، لم يكن اصدارها منتظما، فلم يصدر منها خلال هذه الفترة الا ١٥ عددا .

٢ ـ **النضال الشعبي** ، نشرة اخبارية، تثقيفية، شهرية ، صدرت في ايار « مايو » ١٩٦٩ حتى

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، لم تكن منتظمة في مواعيد اصدارها ، صدر منها ٣٢ عددا خلال هذه الفترة.

٣ — **نضال الشعب** ، مجلة سياسية اخبارية، تحليلية ، صدرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ كمجلة اسبوعية ، بـ ٣٦ صفحة قطع صغير ، ثم اخذت تصدر شهرية . ولا زالت مستمرة في الصدور ، باعتبارها المجلة المركزية لجبهة النضال الشعبي .

● عن **المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين :**

١ — **الحقيقة** ، نشرة تحليلية — تثقيفية ، شهرية ، صدرت في اواخر العام ١٩٦٨ واستمرت متقطعة خلال العام ١٩٦٩ ، ثم توقفت .

٢ — **المناضل** ، نشرة اخبارية — تحليلية ، نصف شهرية ، صدرت في اواخر آذار (مارس) ١٩٧٠ ، أصدرت بضعة اعداد ، ثم توقفت بعد ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

٣ — **أنباء بلادنا المحتلة** ، نشرة اخبارية عن الاراضي المحتلة ، صدرت نصف شهرية خلال العام ١٩٦٩ ، ولم يصدر منها الا ١٢ عددا ، حيث توقفت عن الصدور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ .

● عن **منظمة فلسطين العربية :**

١ — **المقاتل الثوري** ، نشرة اخبارية صدرت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، ولم يصدر منها الا اربعة اعداد .

٢ — **الكلمة المسؤولة** ، نشرة اخبارية — تحليلية شهرية ، صدرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ واستمرت في الصدور حتى نهاية آب (اغسطس) ١٩٧٠ .

● عن **الهيئة العاملة لتحرير فلسطين :**

١ — **الراية القومية** ، نشرة اخبارية ، اعلامية، صدرت اسبوعية خلال شهري آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ فقط .

ثانيا — **صحف ونشرات غير مركزية** كانت تصدرها فروع المنظمات في الاقطار العربية المختلفة، او مؤسسات تنظيمية واعلامية غير مركزية . الطابع العام لمعظم هذه الصحف والنشرات ، طابع اخباري اعلامي ، وكانت في معظمها غير منتظمة ، ولا تصدر باستمرار ، تصدر لفترة من الوقت ، ثم تتوقف لتعود للصدور في مناسبة اخرى ، وامام بروز حوادث ساخنة في المنطقة . القليل جداً من هذه النشرات صدر قبل العام ١٩٦٧، في حين ان معظمها صدر خلال عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ .

● عن **منظمة التحرير الفلسطينية**

دأبت بعض مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الاقطار العربية على اصدار نشرات او صحف اعلامية للتعريف بالثورة الفلسطينية ، أهمها : ١ — **التحرير** ، نشرة اخبارية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب قطر ابتداء من شباط (فبراير) ١٩٧٠، لم تكن منتظمة في صدورها. ٢ — **التحرير**، نشرة اخبارية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب بغداد في حزيران (يونيو) ١٩٧١ ، لم تكن منتظمة في صدورها . ٣ — **قضيتنا** ، نشرة اعلامية ، دورية اصدرها مكتب الكويت في ايار (مايو) ١٩٧٢ ، غير منتظمة في مواعيد اصدارها . هذا ، بالاضافة الى نشرة « أخبار المنظمة » التي اصدرها مكتب الكويت في اوائل العام ١٩٦٧ حتى اواسط العام ١٩٦٩ ، وكانت نشرة اخبارية ، اسبوعية ، غير منتظمة . ٤ — **نداء الثأر** ، نشرة دورية ، اخبارية ، اصدرها مكتب الرباط بين آذار (مارس) ١٩٦٧ ونيسان (ابريل) ١٩٦٩ ، لم تكن منتظمة. ٥ — **نداء الارض** ، نشرة اخبارية ، دورية ، أصدرها مكتب الجزائر في اوائل العام ١٩٦٧ ، صدرت متقطعة لفترة من الوقت ثم توقفت . ٦ — **فلسطيننا** ، نشرة اعلامية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب تونس في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، واستمرت تصدر بانتظام حتى حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ . ٧ — **المقاومة** ، مجلة اسبوعية اصدرتها اللجنة السياسية للثورة الفلسطينية في العراق في ايار (مايو) ١٩٧٣ ، ولا زالت مستمرة ، سياسية اخبارية ، تحليلية .

● عن **حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح):**

١ — **حصاد العاصفة**، نشرة اخبارية،اسبوعية، اصدرها مكتب اعلام « فتح » في لبنان ابتداء من ١٩٦٨/١١/١٣ ، واستمرت في الصدور منتظمة حتى اواسط العام ١٩٧٢ . ٢ — **النسور** ، نشرة اخبارية ، اصدرتها قيادة قطاع العرقوب في

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، كانت تعنى بشؤون المقاتلين ، لم تصدر الا بضعة اعداد ثم توقفت . ٣ ــ **فتح** ، نشرة اعلامية ، نصف شهرية ، اصدرها فرع « فتح » في العراق في آذار «مارس» ١٩٧١ ، توقفت عن الصدور ، بعد ان أصدرت بضعة اعداد .

● **عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :**

١ ــ **الجبهة** ، نشرة اخبارية ــ تثقيفية ، دورية ، صدرت في اواسط العام ١٩٧٠ عن فرع الجبهة في سورية ، واستمرت في الصدور حتى اوائل العام ١٩٧٢ . صدرت في البداية كنشرة ثم تحولت الى صحيفة بـ ٤ صفحات قطع متوسط. ٢ ــ **البروليتاري** ، صحيفة تحريضية ، اصدرها تنظيم الجبهة الشعبية في اربد ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، لم يصدر منها الا عدد واحد . ٣ ــ **ما العمل** ، صحيفة شهرية تحريضية ــ تحليلية ، اصدرتها اللجنة التنظيمية للجبهة الشعبية في الاردن في اواخر العام ١٩٦٩ ، لم يصدر منها الا ستة اعداد ، ثم توقفت عن الصدور . ٤ ــ **الطالب الثوري** ، نشرة طالبية ، اخبارية ، أصدرها المكتب الطلابي للجبهة الشعبية ــ فرع لبنان ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، تصدر متقطعة . ٥ ــ **صوت الجبهة** ، مجلة سياسية ــ اعلامية ، دورية ، اصدرتها لجنة المجال الخارجي في الجبهة الشعبية في مارس (آذار) ١٩٧١ . لم تصدر الا بضعة اعداد ، ثم توقفت . ٦ ــ **صدى الثورة** ، مجلة سياسية ، اعلامية، دورية، تصدر باسم لجان انصار الجبهة الشعبية في الخارج . صدرت في العام ١٩٧١ ، ولا زالت مستمرة بشكل متقطع .

● **عن الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين :**

١ ــ **قضايا الجماهير** ، صحيفة اخبارية ــ تحريضية ، دورية ، أصدرها الفرع التنظيمي في الزرقاء في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، صدر منها بضعة اعداد ثم توقفت . ٢ ــ **صوت الفقراء،** نشرة اخبارية ــ تحريضية ، شهرية ، أصدرها تنظيم الجبهة الديموقراطية في جنوب لبنان ، اواخر العام ١٩٦٩، توقفت بعد ان أصدرت بضعة اعداد. ٣ ــ **الديموقراطية الشعبية** ، نشرة طلابية ، سياسية اخبارية ، اصدرها المكتب الطلابي للجبهة الديموقراطية ، فرع لبنان ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ، لم يصدر منها الا عدد واحد . ٤ ــ **الشرارة** ، نشرة اعلامية ، اصدرها تنظيم الجبهة الديموقراطية في مصر في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ . لم يصدر منها الا عددان . ٥ ــ **الثوري** ، نشرة سياسية فكرية ، شهرية ، أصدرتها لجنة الفروع والعلاقات الخارجية في الجبهة الديموقراطية ، وعرفت المجلة نفسها بأنها تهدف الى « اقامة العلاقة الثقافية ــ الفكرية ــ السياسية ، بين رفاقنا في الخارج ، والحركة الفكرية التقدمية في العالم العربي ، وتوثيق الروابط الفكرية السياسية بين التطور الثقافي اليساري للوطن العربي والتطور المماثل في انحاء العالم » ، وبالتالي فهي ليست نشرة خاصة بالجبهة الديموقراطية ، بل هي نشرة كانت تلتقي فيها كل التيارات الفكرية ، وما ينشر فيها يعبر عن رأي كاتب المقال(٦٤). صدر العدد الاول منها في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، واستمرت في الصدور حتى ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ . ولم يصدر منها خلال هذه الفترة الا ١١ عددا ، وكانت تستكتب كتابا عربا واجانب . ٦ ــ **الوطن** ، نشرة تحريضية ــ تحليلية ، شهرية ، اصدرها تنظيم الجبهة الديموقراطية في الاردن من لبنان في ايار (مايو) ١٩٧٢ بـ ٤ صفحات قطع صغير ، اختصت بالتركيز على وضع الحركة الوطنية في الاردن .

● **عن طلائع حرب التحرير الشعبية ــ قوات الصاعقة :**

١ ــ **الطلائع والجماهير** ، مجلة اخبارية ــ تحليلية ، شهرية ، اصدرها فرع لبنان في حزيران (يونيو) ١٩٧١ بـ ٤٢ صفحة قطع صغير ، ولا زالت مستمرة في صدورها بانتظام . ٢ ــ **صوت الجماهير** ، صحيفة اخبارية ــ تحريضية ، اسبوعية ، اصدرها فرع الاردن كجريدة يومية بأربع صفحات في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، ثم توقفت ، بعد ان اصدرت ١١ عددا ثم صدرت اسبوعية في ١٩٧١/٧/١٠ ، صدر منها بضعة اعداد ثم توقفت .

● **عن جبهة النضال الشعبي لتحرير فلسطين :**

١ ــ **القواعد الثورية** ، نشرة اخبارية ، عسكرية ، شهرية ، اصدرتها اللجنة العسكرية

بين كانون الثاني (يناير) وايار (مايو) ١٩٧٣ . ٢ — **التقدم** ، نشرة تثقيفية دورية ، أصدرها فرع سورية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ صدر منها ٢٧ عددا ثم توقفت في نيسان (ابريل) ١٩٧٣ . ٣ — **النضال الطلابي** ، نشرة طلابية ، سياسية ، دورية ، اصدرها التنظيم الطلابي — فرع لبنان ، في كانون الثاني « يناير » ١٩٧٢ ، واستمرت في الصدور حتى ايار (مايو) ١٩٧٣ ، حيث توقفت بعد ان صدر منها سبعة أعداد . كانت تصدر بأربع صفحات قطع متوسط .

ثالثا — **صحف ونشرات أصدرتها الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية** ، كان طابعها الاهتمام بالقضايا النقابية ، اضافة الى النواحي الاخبارية والسياسية . كانت تفتقر الى صفة الاستمرار او انتظام الاصدار ، أهمها :

١ — **الفلسطينية الثائرة** ، مجلة شهرية ، أصدرها الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في الاردن في شباط (فبراير) ١٩٧٠ بـ ٥٠ صفحة قطع صغير ، لم يصدر منها الا اربعة اعداد . اهتمت بابراز قضية المرأة ودورها في معركة التحرير . ٢ — **فلسطيننا** ، مجلة شهرية ، أصدرها الاتحاد العام لعمال فلسطين في دمشق ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، تصدر متقطعة ، بغير انتظام . ٣ — **جبل الزيتون** ، نشرة طلابية ، سياسية ، اخبارية ، شهرية ، أصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القاهرة ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ ، تصدر متقطعة وبغير انتظام ، ولم يصدر منها حتى آخر العام ١٩٧١ الا ١٤ عددا . ٤ — **صدى الثورة** ، مجلة طلابية ، سياسية ، اخبارية ، أصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، فرع لبنان ، في آذار (مارس) ١٩٧٤ . ٥ — مجلة **جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني** ، صدرت في لبنان ابتداء من آذار (مارس) ١٩٧٢ ، تتوقف فترة ، ثم تعاود الصدور . اهتمت بنشاطات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني الانسانية والطبية .

رابعا — **مجلات متخصصة** :

١ — **شؤون فلسطينية** ، مجلة فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة ، أصدرها مركز الابحاث الفلسطينية اعتبارا من آذار (مارس) ١٩٧١ ، صدر منها في السنة الاولى ستة اعداد ، باعتبار كل شهرين عدد ، ثم اعتبارا من السنة الثانية صدرت شهرية . امتازت بوفرة أبحاثها ودراساتها التي غطت معظم جوانب القضية الفلسطينية وشؤونها ، باسلوب بحثي علمي ، وتكتسب دراساتها أهمية علمية ووثائقية . استكتبت العديد من الكتاب الفلسطينيين والعرب والاجانب المعروفين بمناصرتهم للقضية الفلسطينية. واهتمت بتحليل أهم الاحداث التي كانت تواجهها القضية الفلسطينية على جميع الاصعدة ، فضمت أعدادها تقارير تحليلية عن أهم هذه الاحداث . ٢ — **الوطن المحتل** ، مجلة شهرية أصدرتها دائرة شؤون الوطن المحتل، فيمنظمة التحرير الفلسطينية، في العام ١٩٦٥، ولا زالت تصدر بانتظام. تخصصت بدراسة اوضاع المواطنين العرب في الاراضي العربية المحتلة وما يواجهونه من عسف واضطهاد، من قبل السلطات الاسرائيلية المحتلة . كما اهتمت بدراسة اوضاعهم الاقتصادية في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

● **صحف ونشرات بلغات أجنبية موجهة للرأي العام العالمي** ، للتعريف بالقضية الفلسطينية ، والنضالات التي يخوضها الشعب الفلسطيني :

١ — **Palestine Revolution**

نشرة شهرية بالانجليزية ، صدرت عن الاعلام الموحد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في ١٥/١١/١٩٧٣ .

٢ — **Arab Palestinian Resistance**

نشرة شهرية، تصدر عن جيش التحرير الفلسطيني، صدر العدد الاول منها في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ ولا زالت مستمرة في الصدور بانتظام .

٣ — **FATH**

نشرة شهرية ، باللغة الانكليزية ، اصدرها الاعلام المركزي في « فتح » من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ، حتى آذار (مارس) ١٩٧١ .

٤ — **FATH**

نشرة شهرية ، باللغة الفرنسية ، اصدرها الاعلام المركزي في « فتح » ، في آذار (مارس) ١٩٧٠ ، توقفت عن الصدور في آخر العام ١٩٧٠ .

٥ — **ALSAIQA**

شهرية ، بالانجليزية ، أصدرتها قوات الصاعقة في آذار (مارس) ١٩٧٣ .

٦ — Bulliten
مجلة شهرية ، بالانجليزية ، أصدرتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في آذار (مارس) ١٩٧٣.

قضايا المقاومة من خلال صحفها

تعددت قضايا المقاومة وتنوعت اهتماماتها ، على ضوء المهمات التي كانت تواجهها حركة المقاومة في مراحل تطورها المختلفة ، ولقد كانت هذه القضايا مجال اهتمام جميع صحف المقاومة ، وتعاطت معها بدرجات مختلفة من حيث المستوى والاهمية ، كما تباينت في تحديد طبيعة بعض هذه القضايا ، والتعاطي معها في مجرى النضال المستمر ، على ضوء تباين انتماءاتها السياسية والايديولوجية والتنظيمية ، ولم يكن هذا التباين على درجة واحدة من الشدة او المرونة بين كل الصحف ، كما لم يكن على درجة واحدة من الشدة والمرونة ايضا في كل الاوقات ، بل كان يشتد احيانا ، ويكاد يغيب احيانا اخرى ، على ضوء التطورات التي كان يشهدها الصراع العربي — الاسرائيلي ، وعلى ضوء التطورات التي كانت تواجهها القضية الفلسطينية بشكل عام ، وحركة المقاومة الفلسطينية بشكل خاص ، ان التباين او الاختلاف بين صحف المقاومة ، في التعاطي مع الاحداث ، والموضوعات الفكرية والسياسية ، كان احدى المظاهر الرئيسية لصحف المقاومة ، هذا المظهر الذي كان يتكرر باستمرار ، وان بدرجات متفاوتة ، من فترة لاخرى ، وهو مظهر طبيعي ، لصحافة تمثل حركة تحرر وطني تضم تنظيمات مختلفة ، وقوى طبقية متعددة ، يجمعها ائتلاف وطني عام . ومن أمثلة هذا التباين ، الاختلاف حول طبيعة الثورة الفلسطينية ، فبينما كانت مجلة « الثورة الفلسطينية » تؤكد على الطابع الفلسطيني للثورة الفلسطينية(٦٥)، وعلى تغييب الطابع الطبقي لها(٦٦)، كانت صحف اخرى تعارض وجهة النظر هذه ، ف « الثائر العربي » كانت تؤكد باستمرار على الطابع القومي للثورة الفلسطينية ، وعلى الربط بين تحرير فلسطين والوحدة العربية ، « ان الترابط العضوي بين تحرير فلسطين والوحدة العربية قد أدركته الجماهير العربية منذ زمن طويل حين رفعت شعارات مثل فلسطين طريق الوحدة ، والوحدة طريق فلسطين ، وان أشد ما يخشاه الصهاينة والاستعماريون ، هو ان يترجم هذا الترابط الى عمل يومي والى جهد دؤوب منظم ، وان أوضح ترجمة لهذا الترابط هو ان تقوم جبهة عربية التركيب ، عربية النظرة ، عربية الامتداد من أجل تحرير فلسطين »(٦٧)، في حين ان « الهدف » و« الحرية » كانتا تعطيان اهمية لتأكيد الطابع الطبقي للثورة الفلسطينية ، بالتأكيد على الطابع الوطني الديموقراطي لحركة التحرر الوطني الفلسطينية(٦٨). كذلك من أمثلة هذا التباين ، الاختلاف حول بعض الممارسات وأساليب النضال ، فبينما كانت الهدف تركز على العمليات الخارجية تجسيدا لشعارها ملاحقة العدو في كل مكان ، كانت بعض صحف المقاومة تتجاهل هذه القضية ، والبعض الاخر عارضها وانتقدها بشدة، ف « الحرية » تصدت للعمليات الخارجية بالنقد الشديد ووصفتها بالاعمال الفردية والارهابية وحذرت من نتائجها(٦٩) كما انتقدت اسلوب ممارسة شعار ضرب المصالح الامبريالية كما طرحته « الهدف » فأكدت « ان العنف الفردي الذي يعتبر هذه المصالح الامبريالية ، مجرد مصالح مادية فردية متناثرة في العالم ، وبالتالي فعلى العمل الفدائي ان يوجه ضرباته الى هذه المصالح ويلاحقها في كل مكان في العالم ، تزييف لمعنى المعركة ضد المصالح الامبريالية [وأكدت] ان النضال ضد المصالح الامبريالية ، مرتبط بمدى نضال الجماهير الثوري في كل بلد عربي ضد الطبقة الحاكمة المرتبطة بشكل مباشر او غير مباشر بالمصالح الامبريالية »(٧٠). ومثل آخر على هذا التباين ، الاختلاف حول شعار دولة فلسطين الديمقراطية ، وطبيعة هذا الشعار ، الذي طرح في العام ١٩٦٩ ، وكان مجال نقاش واسع بين صحف المقاومة خلال ذلك العام والذي تلاه بعد أن أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة المنعقدة في القاهرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . فقد جوبه هذا الشعار بمعارضة قوية من « الثائر العربي » ووصفته بأنه « ابن شرعي للقطرية الفلسطينية »(٧١) في حين كانت « الحرية » من المبادرين لتوسيع النقاش حول هذا الشعار ومضمونه ، وأكدت ان هذا الشعار لا يتحقق « الا بازالة الكيان الصهيوني ممثلا بكافة مؤسسات الدولة الاسرائيلية القائمة وخاصة المؤسسة العسكرية بالاضافة الى المؤسسات النقابية

والصهيونية ... وبأسلوب الكفاح المسلح على طريق حرب التحرير الشعبية ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية [وأكدت] ان دولة فلسطين الديموقراطية هي جزء لا يتجزأ من دولة فيدرالية اشتراكية عربية في المنطقة »(٧٢). أما « الهدف » فلم تعط اهتماما لهذا الشعار بمستوى اهتمام « الحرية » وحددت موقفها منه ، بالمناداة بحل ديموقراطي للمسألة اليهودية التي وصفتها بأنها حل لمسألة « اليهود الذين يعيشون في فلسطين وليس للدولة الاسرائيلية » وأكدت « ان الحل الديموقراطي هو مسألة مكملة للكفاح المسلح ... وجزء ملتحم كليا بمعركة التحرر الوطني التي تخوضها الجماهير الفلسطينية والعربية بالسلاح »(٧٣). اما نشرة « فتح » الاسبوعية فقد أكدت الشعار ، وقالت انه يعني تصفية الكيان الصهيوني العنصري في فلسطين ، اما التفاصيل « فان النضال والكفاح سيتكفلان بوضعها »(٧٤)، مع التأكيد على ان هذه الدولة ، هي دولة علمانية بعيدة عن كل اشكال التمييز الديني والعنصري . ويلاحظ من خلال استعراض صحف المقاومة ان القضية المركزية التي أجمعت عليها هذه الصحف في ما يتعلق بالدولة الفلسطينية الديموقراطية ، ان هذه الدولة لا يمكن ان تقام الا بعد القضاء على الكيان العنصري الصهيوني وبأسلوب الكفاح المسلح .

صحافة المقاومة خلال سنوات النهوض : لقد تنوعت اهتمامات صحف المقاومة على ضوء التطورات التي كانت تشهدها المنطقة ، فخلال السنوات الثلاث الممتدة من هزيمة حزيران حتى مجازر أيلول في الاردن ، وهي السنوات الثلاث المجيدة التي شهدت نهوض حركة المقاومة الفلسطينية ونمو واتساع ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني ، في نفس الوقت الذي بدأت تبرز فيه تعارضات وتناقضات بين مواقف الانظمة العربية وحركة المقاومة الفلسطينية من قضايا كثيرة ، أهمها موضوعة أسلوب التحرير ، حربا نظامية ام حربا شعبية ، وموضوع مستقبل ومنتهى الصراع العربي — الاسرائيلي ، بالقضاء على الكيان الصهيوني ، أم بتسوية سياسية بحدود شعار ازالة آثار العدوان على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ان هذه القضايا وما ولدته أيضا من تباين في وجهات النظر في فهم موضوعات التحالفات والعلاقات الدولية ، والعلاقات العربية الرسمية والعلاقة مع القوى والحركات الوطنية الديموقراطية العربية ، شكلت بالاضافة الى الموضوعات التي طرحها نهوض المقاومة الفلسطينية وتعدد تنظيماتها كموضوع الوحدة الوطنية ، مجال اهتمام صحف المقاومة باتجاهاتها ، خلال هذه الفترة ، وتعاطت معها بدرجات من الاهتمام متفاوتة ، ومن انتماءات أيديولوجية وسياسية مختلفة . لقد اشتركت كل صحف المقاومة في التأكيد على حرب التحرير الشعبية كأسلوب لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية ، وتباينت في نظرتها لهذه الحرب وعلاقتها بالجيوش النظامية العربية ، ثم مدى هذه الحرب الشعبية ، هل هي حرب شعبية فلسطينية بدعم عربي ، ام حرب شعبية فلسطينية يجري دفعها وتطويرها لتصبح حربا شعبية ؟ الا ان هذا التباين لم يمنع صحف المقاومة جميعها من التأكيد على الحرب الشعبية وان من زوايا مختلفة ، ونلمس هذا التأكيد سواء من التكثيف في الحديث باستمرار عن قضايا الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية . وتقديم الدراسات النظرية السياسية والعسكرية عنها ، او من خلال تكثيف عرض ومناقشة تجارب الشعوب المختلفة في حروبها التحريرية وبشكل خاص في الصين وفيتنام وكوبه ، او من خلال التأكيد على الترابط الكفاحي بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وحركات التحرر الوطني في العالم . كذلك فقد أجمعت جميع صحف المقاومة على رفضها ومناهضتها لموضوعة التسوية السياسية المعبر عنها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او اي مشروع تسووي آخر . وأكدت على قضية اساسية هي استمرار الكفاح المسلح حتى التحرير الكامل والقضاء على الكيان الصهيوني ، واهتمت بابراز النتائج السياسية المترتبة على القبول بتسوية سياسية مع العدو الاسرائيلي في هذه المرحلة ، وعملت بأساليب متعددة ، تحريضية ، وتثقيفية ، وتعبوية ، على تعبئة اوسع الجماهير وتحريكها ضد مثل هذه المشاريع .

ان الملاحظة الهامة ، في تصدي صحافة المقاومة لموضوعة التسوية السياسية للصراع العربي الاسرائيلي ، ان معظم صحف المقاومة ربطت في

مرحلة مبكرة بين موضوع التسوية ، وبين ضرورة ايجاد طرف فلسطيني يشارك بها ، عبر ايجاد دولة فلسطينية ، فكانت تركـز على التحركات الاسرائيلية بين الوجهاء والزعامات التقليدية في الضفة الغربية وقطاع غزة وتربطها بموضوعـة الدولة الفلسطينية وبالتحركات الاميركية وبعض المشاريع المشبوهة التي كانت تطرحها كبالونات اختبار(٧٥). بالاضافة الى ذلك فقد كان موضوع الوحدة الوطنية من المواضيع المركزية التي أخذت جانبا كبيرا من اهتمامات صحف المقاومة، فاشتركت جميعها بالتأكيد على أهميتها وضرورتها ، وتباينت في فهمها وشروط قيامها ، وضمت صحف المقاومة بجميع اتجاهاتها الكثير من المقالات والتحليلات ، والابحاث والدراسات عـن الوحـدة الوطنيـة الفلسطينية وشروط قيامها ، وعن تجارب الشعوب الاخرى في هذا المضمار .

الموقف من مشروع روجرز كما عرضته صحف المقاومة : ان الموقف من مشروع روجرز كمـا عرضته صحف المقاومة ، بعد قبول بعض الانظمة العربية به ، يعطي نموذجا حيا على وحدة هذه الصحف وتنوعها في آن واحد ، فعلى الرغم من اتفاق جميع صحف المقاومة(٧٦) على رفض المشروع ومناهضة قبول بعض الانظمة العربية به ، الا أنها تباينت في التعبير عن موقفها هذا ، كما تباينت في أساليبها التحريضية والتعبوية ضد المشروع ، وسنستعرض هنـا مجموعة مـن صحف المقاومة الرئيسية خلال الفترة الممتدة من أواخر شهـر تموز (يوليو) ١٩٧٠ الى أوائل النصف الثاني من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهي الفترة التي اشتدت فيها حدة المواجهة بين النظام الرجعي في الاردن وحركة المقاومـة الفلسطينية ، ونمت خلالها احتمالات الصدام العسكري بينهما ، كما انها الفترة التي شهدت نمو التعارضات بين القوى الوطنية العربية الى درجة كبيرة . لقد تولد عن قبول بعض الانظمة العربية بمشروع روجرز مجموعة من القضايا الرئيسية التي فرضت نفسها كأهم أحداث في المنطقة . ويمكن اجمال هذه القضايا بالموضوعات التالية : ١ ــ نتائج ودلالات القبول العربي بمشروع روجرز ، ٢ ــ تأثيرات هـذا القبول على وضع حـركة المقاومة في الاردن ، ٣ ــ تحديد السياسات والشعارات الصائبة في مواجهة الاحداث المستجدة ، ٤ ــ تعبئة وتحريض أوسع الجماهير الفلسطينية والعربية وراء حركة المقاومة الفلسطينية وموقفها السياسي .

ولقد اهتمت صحف المقاومة بمناقشة واستعراض هذه الموضوعات خلال هذه الفترة ، وتفاوتت في التعاطي معها ، وفي تغليب او ابراز موضوع على آخر ، على الرغم من اتفاقها في الخط السياسي العام ، ولذا فان استعراض صحف المقاومة خلال هذه الفترة ، يكتسب اهمية كبيرة ، لانه يكشف الى أي مدى كانت صحف المقاومـة قادرة على الاضطلاع بمهماتها في الاحداث الساخنة ، كمـا يكشف الى أي مدى كانت قادرة على فرز القضايا الرئيسية عن القضايا الثانوية والمشاركة في الصراع بشكل ايجابي وفاعل . والصحف المستعرضة هنا تضم صحفا يومية هي « فتح » و« الجماهير » وشبه يومية « الشرارة » بالاضافة الى الصحف الاسبوعية الرئيسية وهي « الحرية » و« الهدف » و« الى الامام » و« الطلائع » ثم « الثائر العربي » كصحيفة شهرية . ولا بد في البداية من التأكيد على ان الصحيفة اليومية تكـون اقدر علـى القيام بالتحريض في الاحداث الساخنة من الصحيفـة الاسبوعية ، التي تجمع في مثل هذه الاحداث بين الطابع التحريضي ــ التعبوي ، وطابـع تقديم العروض التحليلية للاحداث وتطوراتها المحتملة .

● **الشرارة** : عاودت « الشرارة » الصدور في ١٩٧٠/٨/١٥ ، كصحيفة نصف اسبوعية وأصدرت حتى ١٩٧٠/٩/١٥ عشرة أعداد ، ويلاحظ من خلال استعراض هذه الاعداد العشرة ، ان « الشرارة » أعطت أهمية مركزية لتأثيرات القبول العـربي بمشروع روجرز على وضع حركة المقاومة فـي الاردن ، فبادرت الى الهجوم السياسي على النظام الاردني ، وكشف محاولاته لضرب حركة المقاومة في الاردن ، وطرحت شعـار « السلطة ، كل السلطة للمقاومة »(٧٧) كشعار تعبوي لتحريض أوسع الجماهير في الاردن ضد النظام الاردني ، وبنفس الوقت أخذت توجه الانتقادات لقيادة حركة المقاومة على موقفها الذي وصفته بـ « المتردد وغير الواضح وغير المحدد »(٧٨)، ثم تخلت عن شعار « كل السلطة للمقاومة » وتبنت شعـار السلطة الوطنية ، وخاضت معركة سياسية لتأكيد مضمون وطبيعة هذا الشعار(٧٩). بالاضافة الى

هذا الموضوع ، فقد ركزت « الشرارة » على ربط القبول العربي بمشروع روجرز بمحاولة ايجاد طرف فلسطيني يشارك في التسوية السياسية عبر ايجاد دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقالت « ان تمرير الحل واخماد النقمة الفلسطينية قد يستدعي منحهم [الفلسطينيين] دويلة صغيرة في الضفة الغربية ، وهكذا يكون مشروع الدويلة الفلسطينية هذا جزءا لا يتجزأ من مخطط اعادة تركيب الاوضاع في المنطقة لصالح الحفاظ على توازن النظام الرجعي والمواقع الامبريالية ، اذ بدون هذا المشروع يبقى ثمة خطر ان تتحول نقمة الشعب الى انتفاضة تزعزع اركان النظام وتثير الحريق الثوري في المنطقة ، كما تنتشر النار في الهشيم »(٨٠). لقد استخدمت « الشرارة » الاساليب التحريضية المعروفة ، لتأكيد شعاراتها، واستقطاب اوسع الجماهير حولها ، سواء من خلال العناوين البارزة والعريضة ، والافتتاحيات التي صيغت بلهجة تحريضية او من خلال الشعارات والاخبار التحريضية التي كانت توضع في أماكن بارزة وبالخط الاسود .

● **الجماهير** : ركزت الجماهير في معظم أعدادها، على موقف مصر من مشروع روجرز ، وخلفيات هذا القبول الايديولوجية والسياسية ، كما أعطت اهتماما كبيرا لموقف كل من الهيئة العاملة لتحرير فلسطين ومنظمة فلسطين العربية ، على خلق وضع انقسامي داخل حركة المقاومة(٨١)، ولم تطرح شعارات محددة ، باستثناء الهجوم على مشروع روجرز والقبول العربي به ، وتأكيد مخاطر هذا القبول على القضية الفلسطينية .

● جريدة « **فتح** » : ان جريدة « فتح » باعتبارها الجريدة الناطقة بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، كانت تعبر عن المواقف الرسمية للجنة المركزية ، الا أنها من ناحية اخرى ، فقد كانت تعبر بدرجة أو بأخرى عن مواقف حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » والاعداد من العدد ٣٤ الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٧/٢٣ حتى العدد ٨٥ الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٦ ، دارت كلها حول مشروع روجرز والتطورات التي ولدها القبول العربي به . ويلاحظ من خلال استعراض مجموع هذه الاعداد ، ان الاعداد الاولى منها ركزت على نتائج تنفيذ مشروع روجرز على القضية الفلسطينية، وأكدت على رفض الثورة الفلسطينية لهذا المشروع، ولكن دون الهجوم السياسي المباشر على مصر ، باعتبارها المبادرة في القبول به(٨٢)، مع التركيز على هدف الولايات المتحدة من طرح هذا المشروع ، بخلق تصدع وانقسام في الصف الوطني العربي(٨٣)، وأخذت تبرز عمليات المقاومة داخل الارض المحتلة مع بداية الاعلان عن وقف اطلاق النار على الجبهتين المصرية والاردنية لتأكيد عدم التزام المقاومة بوقف اطلاق النار واصرارها على رفض المشروع . وفي هذا المجال ، فقد كانت تؤكد جدية مشروع روجرز وأدانت من يعتبر القبول به ، مجرد مناورة او تكتيك(٨٤). ثم على ضوء تطور الاوضاع في الاردن ونمو احتمالات الصدام بين قوات السلطة الاردنية وحركة المقاومة ، أخذت تعطي اهتماما لتحركات النظام الاردني السياسية والعسكرية(٨٥)، ثم أخذ حديثها عن النظام الاردني يتسم بالطابع التحريضي ، مع تزايد استفزازات السلطة الاردنية ضد الفدائيين ، ولكن دون تحديد شعارات سياسية محددة ، مجرد ادانة السلطات الاردنية واتهامها بافتعال الصدامات مع حركة المقاومة وتحميل المسؤولية « للعملاء والعناصر المشبوهة»(٨٦) داخل السلطة، ثم تطور هذا الاتهام ليشمل كل السلطة « ان ما تشهده عمان منذ اكثر من اسبوع ليس بالتأكيد حوادث عرضية سببها أخطاء فردية من الفدائيين او حتى من بعض عناصر الجيش ، وانما هو مخطط من السلطة المتآمرة لضرب الثورة وضرب حركة الجماهير الثورية » ولكن مع التأكيد على ان « الثورة تريد أن يسود الهدوء في عمان حتى تتفرغ الثورة لمعركتها الاساسية مع العدو »(٨٧). وفي الاعداد التالية زادت من تحريضها ضد السلطة الاردنية ، وأخذت تحدد مطاليب محددة ، دعت السلطة الاردنية الى تنفيذها وهي : تصفية العملاء داخل السلطة ، تطهير الاجهزة والجيش والامن العام من العناصر التي ارتكبت المجازر ، مع التأكيد على ان الثورة الفلسطينية لا تهدف « الى قلب نظام الحكم واستلام السلطة » واتهام « أوساط نافذة في النظام » بتصوير الامر « كأنه صراع بين نظام الحكم من جهة وبين الثورة الفلسطينية من جهة ثانية على الحكم في الاردن » والاشارة الى انه « لم يكن في حساب الثورة الفلسطينية في يوم من الايام ، ولا تضع في

حساباتها قلب نظام الحكم » . بالاضافة الى دعوة الحكومة الاردنية لان تمارس صلاحياتها « ان الحكومة مطالبة بأن ترتفع الى مستوى مسؤوليتها، وهي ان صمت تستطيع مدعومة بكل قوى الشعب تجنيب البلاد الحرب الاهلية والمذبحة الرهيبة »(٨٨). لقد عكست « فتح » لعدة أعداد هذه السياسة ، ثم رفعت شعار السلطة الوطنية وأخذت تحرض الجماهير ضد السلطة الاردنية ، كسلطة متآمرة وتخطط لضرب حركة المقاومة ودعت الجماهير والقوى الوطنية في الاردن للالتفاف حول هذا الشعار ، ولكن دون تحديد أساليب وكيفية وضع هذا الشعار موضع التنفيذ . ودعت كافة القوى الوطنية في الاردن « لدراسة اقوى السبل العملية الكفيلة بتحويل القرارات السياسية التي تخدم قيام السلطة الوطنية الى ممارسات عملية حقيقية »(٨٩). انتهجت « فتح » الاسلوب التحريضي خلال هذه الفترة ، سواء من حيث العناوين او استخدام الصورة ، والشعارات التحريضية او الافتتاحيات .

● **الهدف** : في ثمانية أعداد متتالية ، وهي الاعداد الصادرة بين ١٩٧٠/٨/١ — ١٩٧٠/٩/١٩ استعرضت « الهدف » الموضوعات المختلفة التي تولدت عن مشروع روجرز ، في البداية ركزت « الهدف » في مقالاتها وتعليقاتها على خطورة القبول بمشروع روجرز ، ووصفت مقترحات روجرز بأنها « شروط استسلام واضحة »(٩٠) وهاجمت الذين يبررون القبول بهذه المقترحات ، وصبت هجومها الشديد على مصر ، والصحافة اللبنانية التي أخذت تدافع عن مصر وقبولها بالمشروع ووصفتها بصحف « التاكسي المستأجرة »(٩١) كما أبرزت دور كل من الهيئة العاملة لتحرير فلسطين ومنظمة فلسطين العربية في شق المقاومة ووصفتها « بالمنظمات الملغومة »(٩٢) وأكدت ان القبول بمشروع روجرز يعني تصفية المقاومة ، بتصفيتها سياسيا عبر التضييق الاعلامي وقطع المعونات تمهيدا للتصفية المادية لها وتصفية حركة التحرر الوطني التقدمية العربية(٩٣). وربطت التصفية السياسية بمحاولة الانظمة العربية ايجاد طرف فلسطيني يشارك بالتسوية « ان الاستسلام الاستراتيجي الذي يشكل واقعيا النقطة الجوهرية في التوجهات العملية للانظمة العربية ... لا يستطيع ان يؤدي مهامه دون وجود طرف فلسطيني تحمله هذه الانظمة مسؤولية الاستسلام الفلسطيني »(٩٤). ثم أخذت تعطي — الى جانب ذلك — اهتماما لما يجري في الاردن ، وقالت ان الاردن يشن « حرب استنزاف ضد المقاومة لترويض الجماهير وتيئيسها »(٩٥). وعلى صعيد تحديد مهمات المرحلة دعت الى تحطيم وقف اطلاق النار باستمرار عمليات المقاومة ، وشن « حملة اعلامية مشتركة تفضح معنى القبول العربي بشروط الاستسلام وتعبىء الجماهير ضد ذلك القبول » مع الدعوة الى تأكيد الوحدة الوطنية ، بوحدة برنامج عملها ومخططها وقيادتها(٩٦). وأبرزت عمليات خطف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية في الايام الاولى من أيلول (سبتمبر) ووصفتها بأنها « أصابت مقاصل الحل السلمي »(٩٧). وفي احد تعليقاتها ربطت بين قبول اسرائيل بمشروع روجرز وسعيها للهيمنة الاقتصادية على المنطقة ، وأشارت الى وجود مدرسة اقتصادية اسرائيلية « ترى في السلم العربي — الاسرائيلي وسيلة لتطوير اقتصاد اسرائيل واقامة علاقات اقتصادية مع البلدان العربية على غرار العلاقة بين البلدان الصناعية والبلدان المتخلفة »(٩٨). ان ما ميز « الهدف » عن بعض صحف المقاومة ، هو تحريضها الشديد ضد الانظمة العربية التي قبلت المشروع ، حيث اعتبرت « الصمت عن اي نظام قبل بشروط روجرز وركع أمام السوط الامبريالي لا يؤدي الا الى اسداء المعونة لمثل ذلك النظام كي يعبر عنق الزجاجة ويستخدم فترة التشويش لاجتياز الغضب الشعبي بسلام »(٩٩). وشاركتها في تحريضها الشديد هذا صحيفتا « الحرية » و« الى الامام » .

● **الحرية** : في ثمانية أعداد متتالية ، وهي الاعداد الصادرة بين ١٩٧٠/٧/٢٧ — ١٩٧٠/٩/١٤ استعرضت « الحرية » مشروع روجرز والنتائج المترتبة عن القبول به . فوصفته بأنه « مشروع اجرائي تنفيذي لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢»(١٠٠) وانتقدت أي موقف يرى في قبول المشروع « موقفا تكتيكيا لاحراج الولايات المتحدة »(١٠١). ووجهت « الحرية » انتقادها الشديد الى مصر ، واتخذ هذا الانتقاد طابعا تحريضيا هجوميا ، كما انتقدت الأتحاد السوفياتي، واتهمته بالاشتراك مع الولايات

المتحدة في فرض التسوية وفي تنفيذ مشروع روجرز الذي وصفته انه « حصيلة اتفاق فعلي بين طرفي التوازن الدولي الكبيرين على خطوط حل سلمي يحفظ المصالح الجوهرية لاسرائيل ، ويفرض تنازلات نهائية وحاسمة على الانظمة العربية اللاهثة وراء التسوية »(١٠٢) كما تصدت للحملات الاعلامية التي شنتها الصحافة اللبنانية المؤيدة لمصر على حركة المقاومة الفلسطينية(١٠٣).كذلك فقد ربطت بين تنفيذ المشروع وايجاد طرف فلسطيني مفاوض عبر ايجاد دولة فلسطينية ، فقالت « ان الطرف المصري — السوفياتي ينشد حلا سياسيا لمسألة المقاومة عن طريق ادخال الفلسطينيين في مفاوضات الحل السلمي بممثلين تجري الان محاولة البحث عنهم بصورة فعلية ، والثمن الذي يلوح به لقاء الانخراط الفلسطيني المطلوب هو الدولة الفلسطينية التي يمكن ان تشمل ضفتي الاردن معا »(١٠٤). وأكدت انه بقبول المقاومة بالدولة الفلسطينية تكون قد صفت نفسها بنفسها كحركة تحرر وطني [لانه] حين تنخرط في التسوية — الصفقة ، لتقبض ثمنا لانخراطها دولة تعين حدودها اتفاقات السلام ، تكون قد ارتضت اولا ، علاقة جديدة بالكيان الصهيوني قوامها الاعتراف به وضمان سيادته وأمنه والخضوع للقهر القومي الذي يمارسه . وتكون قد ارتضت ثانيا علاقة جديدة بالقوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، ثم تكون هي قد ارتضت ثالثا بالتحول في ظل المعطيات المذكورة الى نظام عربي اخر يزامل الانظمة القائمة الان في خضوعه للتوازن الدولي وللتوازن الطبقي السياسي السائد في المنطقة ، والذي يسد امام الجماهير العربية والفلسطينية آفاق التحرير القومي والثورةالوطنية الديموقراطية(١٠٥). بالاضافة الى ذلك فقد اهتمت « الحرية » بابراز أهمية الوضع في الاردن وقالت « ان المعركة الفعلية التي بوسع حركة المقاومة الفلسطينية ان تخوضها ضد التسوية السلمية ميدانها الحقيقي في الاردن »(١٠٦) وادانت تردد قيادة حركة المقاومة في عدم اتخاذ مواقف حاسمة في الاردن(١٠٧)، واشارت الى ان النظام الاردني يشن حرب استنزاف على حركة المقاومة في الاردن، وطالبت المقاومة في الاردن «ان تحمي نفسها بسياج من الجماهير » وقالت ان هذا السياج لا يمكن ان يتشكل « الا حين تتخذ حركة المقاومة مواقف سياسية واضحة تفضح تواطؤ الانظمة العربية المعنية بالتسوية السلمية مع النظام الاردني الذي يتآمر عليها تمهيدا لتصفية القضية الفلسطينية(١٠٨) الا أن « الحرية » لم تتبن شعار اسقاط السلطة في الاردن الا في فترة متأخرة ، فأول اشارة الى قضية السلطة في الاردن وردت في العدد ٥٣٢ بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٤ ، واشارت الى ان حركة المقاومة مجبرة على تبني هذا الشعار ووضعه موضع التنفيذ لان دخول الحل السياسي مرحلة التنفيذ وضع المقاومة امام مخرج لا بديل له : الصراع من اجل الاستمرار ، والاستمرار في اخر المطاف ، يعني استمرار النظام الاردني او المقاومة(١٠٩). وقد انتقدت « الحرية » عمليات خطف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ووصفتها بانها « تشكل مهربا مصطنعا من البحث عن اسلوب فعال لمواجهة المؤامرة »(١١٠).

● **الى الامام** ، في ثمانية اعداد متتالية في الفترة بين ١٩٧٠/٧/٣١ — ١٩٧٠/٩/١٨ ، استعرضت « الى الامام » الموضوعات التي ولدها مشروع روجرز ، فأكدت رفضها للمشروع ووصفته بأنه مشروع استسلامي . وانتقدت قبول مصر للمشروع ، وحرضت الجماهير ضد هذا القبول ، كما انتقدت القوى التي بررت هذا القبول بأنه مناورة تكتيكية (١١١)، كما تصدت للصحفاللبنانية المؤيدة لمصر ، والتي هاجمت حركة المقاومة على موقفها(١١٢)، وعلى المستوى الفلسطيني فقد اتخذت موقفا انتقاديا تحريضيا ، من موقف كل من منظمتي فلسطين العربية ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين(١١٣)، وركزت على وحدة المقاتلين وتوسيع عمليات المقاومة في الارض المحتلة ، وربطت بين تنفيذ المشروع ، وايجاد دولة فلسطينية واشارت الى ان اوساطا عربية عديدة طرحت موضوع الدولة الفلسطينية وقالت « ان الذين يطرحون الدولة يريدون الانتهاء الابدي من علاقتهم بالقضية الفلسطينية »(١١٤)، وحول الوضع في الاردن ، اشارت الى ان الصدامات المتكررة التي افتعلتها السلطات الاردنية ، كانت تستهدف ابعاد قوات المقاومة عن الاغوار وجلبها الى العاصمة واجبارها على خوض معركة لم

تخترها ، وقالت « يراد من الساحة الاردنية في هذا الوقت الدقيق من مراحل تنفيذ بنود روجرز ، ان تكون ملتهبة لتصور على انها الساحة التي تجري على ارضها العديد من الصدامات الدموية ... لصرف الانتباه عما يجري في المجال العربي والعالمي ... والهاء فصائل المقاومة باستنفارات يومية ، لتكرس طاقتها للدفاع عن نفسها في ساحة واحدة وتبتعد عن مهام الفضح الجدي لخطوط المؤامرة »(١١٥) وعلى الرغم من ان « الى الامام» اكدت وجود « تناقض بين الجماهير والسلطة العميلة الرجعية في الاردن » الا انها لم ترفع شعار اسقاط النظام الاردني(١١٦). من ناحية اخرى فقد ثمنت « الى الامام » عمليات خطف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية ، وانتقدت قرار اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية بتجميد عضوية الجبهة الشعبية انذاك ، نتيجة الخلاف معها حول معالجة موضوع الرهائن(١١٧).

● **الطلائع** : في سبعة اعداد متتالية في الفترة بين ١٩٧٠/٨/٣ — ١٩٧٠/٩/١٤ ، ناقشت « الطلائع » مشروع روجرز والنتائج المترتبة على القبول به ، فأكدت خطورة هذا المشروع ووصفته بأنه « البرهان الاكثر سطوعا على ان الولايات المتحدة ، جادة هذه المرة اكثر من اي مرة مضت ، لتصفية القضية الفلسطينية مستخدمة كل ثقلها المادي والمعنوي لتحقيق هذا الهدف » ودعت لاحباط هذا المشروع بانتهاج سياسة « النفس الطويل » والبعد عن « الصراخ والتشنج »(١١٨)، ودعت حركة المقاومة « ان تتجنب الدخول في صدامات مع اطراف من حركة التحرر العربي التي تختلف معها في الرأي »(١١٩) وقالت « ان المناورة الاميركية الجديدة تأمل ان يتوقف اطلاق النار على جبهة العدو ، ليبدأ على الجبهات العربية الداخلية ، وحركة التحرر العربية مدعوة لابقاء البنادق — كل البنادق نحو العدو »(١٢٠) وركزت على ضرورة وحدة حركة التحرر الوطني العربية . ودعت الى نقل العمل الفدائي لداخل الارض المحتلة(١٢١). اتخذت « الطلائع » موقفا تحريضيا ضد مشروع روجرز وركزت على كشف نتائجه الخطيرة على حركة التحرر الوطني العربية، ولم تتخذ موقفا تحريضيا ضد الانظمة العربية التي قبلت به . وبالنسبة للوضع في الاردن ، فقد تجنبت طرح شعارات تحريضية عدائية ضد النظام الاردني ، واتهمت السلطات الاردنية بتحويل مؤامرة روجرز الى حرب اهلية في الاردن ، وطالبت حركة المقاومة بالحرص « على مواصلة مسيرتها الكفاحية ضد العدو الصهيوني وعدم الغرق في متاهات الصراعات الجانبية التي تحاول السلطة عن طريقها استنزاف طاقة المقاومة وتعطيل فاعليتها الاساسية »(١٢٢).

● **الثائر العربي** ، في العددين ٣٠ و ٣١ ، ناقشت « الثائر العربي » مشروع روجرز والنتائج المترتبة على تنفيذه ، فأكدت معارضتها لهذا المشروع ، وانتقدت موافقة مصر عليه ، وحذرت من أن التعارض بين القابلين للمشروع والرافضين له ، سيتحول الى تناقض ، واشارت الى ان « أخطر ما في الخطوة الاميركية هو تحويل القتال ضد العدو الصهيوني الى اقتتال داخلي »(١٢٣) كما أكدت ان المشروع يستهدف « الابقاء على الوجود الصهيوني اسفينا في قلب الوطن العربي ... والقضاء على الثورة الفلسطينية قضاء مبرما»(١٢٤)

صحافة المقاومة في مواجهة سنوات الحصار :

بعد مجازر ايلول في الاردن ، اشتدت حملات التطويق والحصار — العسكرية والسياسية — ضد حركة المقاومة ، فتعرضت لاكثر من حملة عسكرية شنتها القوات الاسرائيلية على قواعدها في جنوب لبنان ، كما واجهت الهجمات العسكرية المستمرة ، التي شنتها القوى الرجعية المحلية ضدها ، بالاضافة الى ذلك فقد صعدت القوى المعادية ، من حربها النفسية — التشكيكية ضد حركة المقاومة ، بهدف عزلها عن جماهيرها ، ودفعها الى المواقف الاستسلامية . وكانت أبرز القضايا التي التقطتها صحافة المقاومة بعد مجازر ايلول ، وسلطت الضوء الكثيف عليها ، التحركات الاسرائيلية داخل الاراضي المحتلة ، بهدف ابراز قيادات محلية تقليدية ، تكون بديلا عن حركة المقاومة ، هذه التحركات ، التي ترافقت مع تسريب اخبار عن مشروعات اميركية مشبوهة لايجاد دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . ولاكثر من سنة ، تعاطت صحف المقاومة جميعها مع هذه الموضوعة ، باسلوب تحريضي احيانا ، وبأسلوب تعبوي — تحليلي ، أحيانا اخرى ، وابرزت مخاطر وضع هذه المشروعات

المشبوهة على مستقبل النضال الوطني الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية ، وربطها بمجمل التطورات السياسية التي كانت تجري في المنطقة، بهدف الوصول الى تسوية ذليلة مع العدو الاسرائيلي(١٢٥). كذلك فقد شكلت موضوعة علاقة حركة المقاومة مع النظام الرجعي في الاردن ، القضية الاكثر بروزا في صحف المقاومة خلال هذه الفترة ، فسلطت الضوء الكثيف على مواقف النظام الاردني من الحركة الوطنية في الاردن ، ومن القضية الفلسطينية خلال الربع قرن الاخير ، فقدمت الكثير من الابحاث والدراسات والمقالات ، التي تناقش وتستعرض تاريخ النظام الاردني القمعي ضد حركة الجماهير في الاردن ، ومواقفه الخيانية من القضية الفلسطينية ، وكان ابرز ما في هذه المقالات ، تسليط الضوء على المؤسسة العسكرية الاردنية ، وكيف حولها النظام الاردني الى اداة قمع واضطهاد ضد القوى الوطنية في الاردن . وعلى الرغم من تباين صحف المقاومة في تحديد السياسات الصائبة لمواجهة النظام الاردني ، ومحاولاته المستمرة لضرب حركة المقاومة ، الا انها جميعها اجمعت على ادانة النظام الاردني ، وتحريض اوسع الجماهير ضده، ولقد برز هذا الاجماع بشكل واضح ، بعد المجازر الجديدة التي ارتكبتها قواته ضد حركة المقاومة في احراج جرش وعجلون في تموز (يوليو) ١٩٧١ ، حيث فقدت حركة المقاومة بعد هذه المجازر ، تواجدها العلني في الساحة الاردنية ، وخاضت صراعا سياسيا مكشوفا معه على اكثر من جبهة ، سواء على صعيد الداخل ، او على صعيد تطويق واجهاض تحركاته السياسية في الخارج ، والتي اتسمت بالخطورة بعد ان طرح ما يسمى « بمشروع المملكة العربية المتحدة » في اذار (مارس) ١٩٧٢ .

كذلك فقد اكتسب وضع حركة المقاومة في لبنان ، وطبيعة علاقة المقاومة مع السلطات اللبنانية ، اهمية مركزية في اهتمامات صحف المقاومة في هذه الفترة ، وركزت في هذا المجال ، على ضرورة تدعيم علاقة حركة المقاومة مع الحركة الوطنية في لبنان ، وبنفس الوقت تدعيم وتمتين علاقاتها مع حركات التحرر الوطنية والديمقراطية العربية .

ومن القضايا التي ابرزتها صحف المقاومة في هذه الفترة ، واخذت جانبا كبيرا من اهتماماتها ، كان موضوع تجربة حركة المقاومة في الاردن ، ونقد هذه التجربة وتقييمها ، ولقد تباينت صحف المقاومة ، واختلفت ، في نقد وتقييم هذه التجربة، وكشفت في ممارستها لعملية النقد عن نرجسية واضحة ، واندفعت — احيانا — في حرب اعلامية فيما بينها ، دفاعا عن المنظمات التي تنطق باسمها او تعبر عنها(١٢٦). كذلك فقد ابرزت صحف المقاومة في هذه الفترة ، موضوع الوحدة الوطنية، واكدت على اهميته وضرورته ، واعتبرت معظمها ، ان الصيغ السابقة للوحدة الوطنية لم تعد كافية ، ودعت الى الارتقاء بهذه الصيغ ، الى مستوى مواجهة مهمات المرحلة .

صحافة المقاومة : ظواهر وميزات

١ — صحافة ناشئة وظروف صعبة : لم تنطلق صحافة المقاومة بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، مستندة على تراث صحفي سابق ، او خبرة صحفية جرى تكثيفها وتطويرها في مرحلة سابقة ، فالبدايات الاولى لصحافة المقاومة التي استعرضناها في فترة ما قبل الهزيمة ، لم تكن الا محاولات اولية ، وهي محاولات قد تسد جانبا من متطلبات تلك المرحلة التي كان فيها العمل الوطني الفلسطيني عملا سريا ومحدودا ، الا انها، حتما ، تقف عاجزة عن تلبية مهمات المرحلة بعد نهوض المقاومة الفلسطينية المسلحة واكتسابها الطابع العلني والجماهيري ، ووقوفها كقوة صدام امامية ورئيسية في مواجهة الهجمة — الامبريالية— الصهيونية — الرجعية ، فالمرحلة التي اعقبت الهزيمة ، كانت تفرض على صحافة المقاومة مهمات جديدة ، كان يقف على رأسها تعبئة وتجنيد اوسع الجماهير والارتقاء بوعيها السياسي وقدرتها النضالية ، وربطها بالاحداث وتطوراتها المتلاحقة يوما بيوم ، ولم تكن تلبية مثل هذه المهمات بالامر السهل على صحافة ناشئة ، تنطلق من الصفر ، ومحكومة منذ نشأتها بمجموعة من الظروف والاوضاع المعرقلة ، اهمها حالة التشتت التي يعيشها الشعب الفلسطيني ، وعدم وجود ارض خاصة به يمارس عليها سيادته وقانونه . فالانظمة العربية كانت تعامل الفلسطينيين الذين يعيشون على ارضها ، كمقيمين وليس كمواطنين يتمتعون

بحق المواطنة الكاملة ، فكانت لا تسمح لهم او لاي تجمعات سياسية تعبر عن تطلعاتهم واهدافهم ، ان تصدر صحفا رسمية خاصة بهم ،والفلسطينيون في الضفة الغربية الذين كانوا يتمتعون شكـلا ، بالمواطنية الكاملة كأردنيين ، كانوا يعيشون في ظل حكم رجعي فاشي ، يضطهد كـل الوطنيـين ، ويضطهد اي صحافـة وطنية اردنيـة كانت ام فلسطينية ، ولم يكن فلسطينيو قطـاع غـزة ، بأحسن حالا مـن فلسطينيي الضفـة الغربية ، والصحفية الوحيدة التي ظهرت في قطاع غزة قبل الهزيمة ، وهي صحيفة « اخبار فلسطين » لـم تقدم شيئا للجمهور الفلسطيني .

لقد فرضت هذه الاوضاع الصعبة نفسها على صحافة المقاومة منذ نشأتها ، لذا فقد اعتمـدت منظمات المقاومة في بداية نشاطاتها على المنشور السري او اصدار نشرات شبه علنية كانت توزع بشكل محدود ، كما اعتمدت ايضا على اقامـة علاقات لها مع بعض الصحف العربية المعروفـة باتجاهاتها الوطنية ، وبشكل خاص بعض الصحف التي تصدر في لبنان ، لتعريف الجمهور بأفكارها ونشاطاتها . ومع تأكيد ظاهرة العلنية ، وبـروز سلطة الثورة في فترة لاحقة على الهزيمة ، ومع تكثف تجربة صحفية فلسطينية من خـلال هـذه البدايات الاولى لصحافة المقاومة بدأت تتبلـور ملامح اولية لصحافة فلسطينية مقاومة ، اخذت تنمو في مجرى النضال اللاحق كما اخذت تلبـي جوانب عديدة من متطلبات المرحلة الثورية الجديدة من العمل الوطني الفلسطيني . ولم تبدأ هـذه الملامح في التبلور الا في العام ١٩٦٩ ، فأخـذت النشرة التي كانت تطبـع علـى ورق الحريـر « ستانسـل » تتحول الى ما يشبه الصحيفـة او المجلة ، وتوزع وتباع في الشارع علنا ، مثلها مثل اي صحيفة رسمية ، لقد فرضت صحافة المقاومة شرعيتها من خلال الثورة وقانونها ، وليس مـن خلال قوانين المطبوعات في البلدان العربية ، هذه القوانين التي كانت تعتبرها لا شرعية ، فصحيفة « فتح » عندما صدرت كناطقـة بلسان اللجنـة المركزية لحركة المقاومة ، لم تعترف بها السلطـة الاردنية بهذه الصفة الا بعد ان جرى تكريـــس الاعتراف بها ، باتفاقية عمان الملحقـة لاتفاقيـة القاهرة التي عقدت بعد مجازر ايلول في الاردن .

وعلى الرغم من تكريس هذا الاعتراف ، فقد كانت صحيفة « فتح » مثلها مثل كل صحف المقاومـة الاخرى التي كانت تصدر في الاردن ، كانت تتعرض لملاحقات رجال السلطة الاردنيـة ومطارداتهم ، وكانت تطبع ، كما كانت تطبع صحف المقاومـة الاخرى تحت الحراسة المسلحة .

لقد كانت الاردن ، الارض الذي تبلورت فيـه البدايات الاولى لصحافة المقاومة ، بحكم التواجد الرئيسي لحركة المقاومة هناك ، وعندما استطاعت السلطة الاردنية ان تقضي على الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ وجرش ١٩٧١ ، تعرضت صحف المقاومة التـي كانت تصدر هناك ، لهزة كبيرة ، فتوقف بعضهـا عن الصدور لفترة ، وبعضها توقـف نهائيا عـن الصدور وبعضها صار يصدر من خارج الاردن . في حين ان بعضها تحول الى نشرات سرية . لقد شكلت هذه الاوضاع الصعبة التي كانت تعيشها صحف المقاومة ، احد الاسباب الرئيسية في عدم انتظام صدورها وفي عدم وجود كادر صحفـي مستقر وثابت . فالعاملون والمحررون في صحـف المقاومة ، لم يكونوا في **معظمهم** ، متفرغين لمهامهم الصحفية ، بل كان عليهم القيام بمهمات نضالية وتنظيمية متعددة ، وكانوا يعيشون اجواء الارهاب والملاحقات والمطاردات المستمرة ، شأنهم شأن اي عنصر يعمل في منظمات المقاومة .

ان هذه الظروف والاوضاع الصعبة ، دفعـت بعض منظمات المقاومة ، الى استئجار او شراء امتياز صحف لبنانية ، لتتخذ منهـا منبرا اعلاميا وسياسيا يعبر عن وجهة نظرها ورؤيتها للاحداث ، على الرغم من التكاليف الباهظة الذي يتطلبهـا استئجار او شراء صحيفة لبنانية . « الا ان هذه الصحف المستأجرة او المشتراة ، لم تكن تتمتـع بالحرية الكاملة التي كانت تتمتع بهـا صحـف المقاومة الاخرى ، فكون هذه الصحف لبنانية ، يجعلها خاضعة لقانون المطبوعات اللبناني ، الذي يفرض حدودا وقيودا على الصحف اللبنانيـة ، وكثيرا ما تعرضت صحف المقاومة اللبنانية للاحالة على المحاكم وفرضت عليها الغرامـات ، لخبـر نشرته ، لا يتفق وقانون المطبوعات اللبنانـي . اضافة الى ذلك ، فان الصحفيين الفلسطينيـين الذي يعملون في هذه الصحف ، لا يتمعون بنفس

الحقوق التي يتمتع بها اي صحفي لبناني ، وغير مشمولين برعاية نقابة الصحافة اللبنانية . وكحال اي فلسطيني مقيم في لبنان ، فانه لا يحـق لاي فلسطيني ان يعمل في صحيفة لبنانية وان كانت صحيفة مقاومة ، الا بعد الحصول على اذن عمل، وطيلة عمله ، يعيـش تحت التهديد بانـتزاع اذن العمل منه على ضوء اي تطورات يمكن ان تحدث. الا انه على الرغم من هذه الصعوبات والعراقيل ، فقد استطاعت صحافة المقاومة ان تقف على قدميها، وان تطور نفسها وتسير الى الاحسن ، وخلال السنتين الاخيرتين ١٩٧٣ و١٩٧٤ ، استقرت اوضاع عدة صحف ، بحيث انها اخذت تصـدر بانتظام وبشكل مستمر ، وان تحافظ على درجة من الجودة والاخراج الصحفي .

٢ ــ **التعدد** : ان أبرز ظاهرة في صحف المقاومة هو تعددها الذي لا يحكمه قانون محدد او ضوابط محددة ، فالتعدد ظاهرة طبيعية في صحافة تمثل حركة تحرر وطني تضم عدة تنظيمات ، وأكثر من وجهة نظر ، وهو في هذه الحالة يكون ظاهرة صحية ، يعكس تعايش الاراء المختلفة وتصارعها في جبهة وطنية واحدة ، كذلك فان هذا التعـدد يكون طبيعيا وصحيا ، عندما يقوم على أساس التخصص، كأن تكون هناك صحف يومية اخبارية ــ تحريضية ، او صحف اسبوعية تعبوية ــ تحليلية، ومجلات شهرية فكرية ، الا ان الملاحظ في صحف المقاومة ، ان تعددها ، وان كان يقوم في جانب منه على هذين الاساسين ، فانه في جانب آخر ، يقوم على عوامل اخرى ، ولدتها طبيعة العلاقات بين منظمات المقاومة في ما بينها ، هذه العلاقات التي لم يجر ضبطها على الرغم من الائتلاف في جبهة وطنية واحدة ، والاتفاق على قيام اعـلام موحد ، كما ولدتها ايضا ، العلاقات التنظيمية غير المستقرة ، والخلافات السياسية داخل التنظيم الواحد ، فقد كان يصدر عن التنظيم الواحد عدة نشرات متعارضة في خطها السياسي ، واوضح من مثل هذه الظاهرة ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ثم « فتح » . لقد ولد هذا التعدد في جانبه غير الطبيعي حالة من الارباك السياسي بـين الجماهير ، كما ولد حالة من الفوضى الاعلامية ، وأدى الى هبوط مستوى العديد من هذه الصحف وعدم استقرارها وعدم انتظام صدورها .

٣ ــ **صحافة اسبوعية او شهرية** ، باستثناء الفترة التي كانت تصدر فيها صحيفة « فتح » في الاردن كصحيفة يومية ، فان الصفة الغالبة على صحافة المقاومة، انها صحافة اسبوعية وشهرية، ولم يصدر عن منظمات المقاومة أي صحف يومية باستثناء النشرات الاخبارية التي كانت تصدرها هذه المنظمات بين فترة واخرى . ان هذا يعود بشكل اساسي ، الى ان الصحيفة اليومية ، تحتاج الى كادر متفرغ ، كما تحتاج الى امكانات مالية وفنية ، لا تقدر عليها منظمات المقاومة ، في الظروف التي تعيشها . ان عدم وجـود صحيفة مقاومة يومية او اكثر ، يشكل نقصا في صحافة المقاومة ، لا تسده اقامة علاقات مع هذه الصحيفة او تلك من الصحف اليومية اللبنانية ، لان هذه العلاقات عرضة للتبدل والتغير على ضوء تطور الاحداث ، وتطور المواقف السياسية . وان الجهة الوحيدة القادرة على اصدار صحيفة مقاومـة يومية ، هي الاعلام الموحد .

٤ ــ **صحافة ملتزمة** : ان أهم ما يميز صحافة المقاومة انها صحافة ثورة ، تقوم على اساس من الالتزام بهذه الثورة والتعبير عن قضاياهـا وتطلعاتها ، وبالتالي فانها صحافة ملتزمة سواء على المستوى العقائدي او السياسي . ولا توجد أي صحيفة من صحف المقاومة ، يمكن ان توصف انها مستقلة ، لان أي صحيفة تعبر وتنطق بلسان احدى التنظيمات ، وبالتالي فانها فيما تعرضه او تعبر عنه ، انما تعرض او تعبر عن وجهـة نظر تنظيمية ، وعن خط سياسي عام . وبغض النظر عن مدى جدية التزام هذه الصحيفة او تلك ، او مدى قدرة هذه الصحيفة او تلك ، في تجسيد التزامها والتعبير عنه بوضوح ودقة ، فان هذا الالتزام ، جعل من صحف المقاومة ان لا تتناول الا قضايا الثورة ، والشؤون المتعلقـة بها ، وان تبتعد كليا عن الاسلوب الصـحفي التجاري ، كما نتج عن التزامها ، ان لا تعطي أهمية للاعلان التجاري الا فيما ندر ، وبما يتفق مع خطها السياسي ، كما ادى الى ان يكون توزيعها محدودا ، كحال أي صحيفة عقـائدية ملتزمة ، لا تقرأ الا من قبل الفئات والقوى التي تتعاطف معها ، او ذات الاهتمام المباشر بالقضايا التي تثيرها . وقد نتج عن كل ذلك ، وقوعهـا في صعوبات مالية ، جعل من الصعب على اي

صحيفة مقاومة ايجاد كادر متفرغ لها ، اضافة الى ذلك ، فباستثناء صحف المقاومة اللبنانية ، التي توزع كأي صحيفة لبنانية وتباع في الاسواق ، فان صحف المقاومة الاخرى ، توزع بالمجان ، وقل ان تباع ، وبالتالي ، فانه بالكاد ان تسد من خلال البيع مصاريفها المتواضعة ، التي لا تتعدى مصاريف الطباعة والورق .

٥ ــ **عدم الاستقرار والانتظام** : ان احدى الظواهر الهامة التي عكستها صحافة المقاومة ، هو عــدم انتظام واستقرار معظمها ، فباستثنــاء صحف المقاومة اللبنانية ، و « الطلائع » و « صوت فلسطين » و « فلسطين الثورة » فان صــحف المقاومة الاخرى كانت تتعرض للتوقف بين فــترة واخرى ، كما انها لم تكن منتظمة في صدورها ، وان أحد الاسباب الرئيسية لذلك ، بالاضافة الى ما ذكرته سابقا ــ هو ان الكثير من صحف المقاومة، لم تكن تصدر الا في المناسبات وامام بروز أحداث ساخنة في المنطقة ، فالشرارة ، مثلا ، التي كانت تصدرها الجبهة الشعبية الديموقراطية لم تصدر بشكل منتظم الا قبل مجازر ايلول في الاردن ولفترة محددة لم تتعــد الشهر ، ولم تصدر بعد ذلك الا مرتين . كذلك فان الصحف والنشرات الكــثيرة التي صدرت في الاردن قبل مجازر ايلول ماتت بسرعة بعد انتهاء الاحداث وخلال فترة قصيرة . ان هذه الظاهرة ، تؤكد انه كانت هناك دفقات من الحماس تنتاب بعض منظمات المقاومة ، خلال الاحداث الساخنة ، فتصدر بعض الصحف ، ثم يبرد هذا الحماس بعد فترة وانقضاء الاحداث ، لتوقف الصحف عن الصدور او تموت نهائيا . الا ان هذا الوضع لم يمنع وجود صحف كرست نفسها واستقرت ، وانتظمت في اصدارها ، وبها ومن خلالها يمكن القول ، انه تم ارساء تجربة صحفية فلسطينية ، وتم بلورة صحافة مقاومة فاعلة .

صحافة المقاومة : نظرة تقييم اولية

لم تجر خلال السنوات العشر الماضية أي عملية تقييم نقدية لصحافة المقاومة وتجربتهــا كصحافة ثورة ، باستثناء حالات نادرة ، تناولت فيها بعض صحف المقاومة ، الاعلام الفلسطيني بشكل عام ، دون التطرق بشكل محدد الى صحف المقاومة ذاتها ، وتقييم دورها الاعلامي والتعبوي، وحتى هذه الحالات النادرة لم تكن تعكس شعورا عميقا بأزمة الاعلام الفلسطيني ، ولم تأت كجزء من عملية نقد وتقييم واسعة وشاملة ، تتناول الجوانب المختلفة لهذا الاعلام ، بروح موضوعية ، بل كانت في معظمها ، عبارة عن نظرة سريعة ، تكثف الضوء على جوانب جزئية ، برزت في مواجهة بعض القضايا او الاحداث ، فمثلا اثارت « الى الامام »(١٢١) في احد اعدادها ، ظاهرة الاعــلان المضخم والمبالغ فيه عن عمليات المقاومة العسكرية، واشارت الى مخاطر مثل هذا النهج الاعلامي على ثقة الجماهير بالاعلام الفلسطيني ، وكررت ما يشبه هذا الموقف ، حين عرضت على صفحاتها كلمة أحمد جبريل ، الامين العام للجبهة الشعبية ــ القيادة العامة ، في المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة ، والذي وصف الاعلام الفلسطيني بأنه « نسخة رديئة عن الاعلام العربي التهريجي ، عمل على تمييع المد الجماهيري بأن اغرقه في بحر العواطف والانفعالات الآنية » واتهم الاعــلام الفلسطيني بأنه ساهم الى جانب الاعلام العربي « في تضليل الجماهير... وبافساد الروح الثورية للمقاتلين [لان] عمليات كثيرة كتبت بأسمائهم وهــم لا يــدرون عنها »(١٢٨). وأشــارت « الهدف »(١٢٩) في دراسة لها عن الاعــلام الفلسطيني ، الى هذه الظواهر نفسها ، فوصفت الاعلام الفلسطيني بالفوضى، وبأنه اعلام غوغائي، ألبس المقاومة « ثوبا فضفاضا من الادعاء بصورة غير مباشرة [مما ادى] الى تراخي التعبئة والاندفاع الى المقاومة » كما اتهمته بالغرق « في منافسات ومبالغــات وصلت أحيانــا الى حــد الاضحاك » . وبعض هذه الظواهر وغيرها ، وردت فيمقال « الطلائع »(١٣٠) عن اعلام المقاومة، الذي وصفه المقال بأنه « اعلام غير موجه ... لا يمثل على الاطلاق ، أي صلة بين الجماهير والتنظيم السياسي الذي يعبر عنه [وبأنه] يعتمد اعتمادا كليا على ثقافة واطلاع العاملين فيه ... قربهم من القيادات والمعلومات التي لديهم » كما اتهم المقال ، « اعلام المقاومة ، بتحويل الهزائم الى انتصارات ، وافتعال المعارك الجانبية.

ان هذه الملاحظات النقدية لاعلام المقاومة ، على الرغم من جزئيتها ، واتصافها بالملاحظة العابرة ، أكثر من اتصافها بالملاحظة الدراسية النقدية ،

فانها تعكس واقعا معينا كان يعيشه الاعلام الفلسطيني ، هذا الواقع الذي لم تكن صحف المقاومة مستثناة منه بدرجة او باخرى . ذلك ان هذه الصحف كانت احدى الوسائل الرئيسية للاعلام الفلسطيني فكانت سلاح المقاومة الرئيسي في مواجهة حملات التشكيك والحرب النفسية التي كانت تتعرض لها ، كما كانت وسيلتها الرئيسية في تثقيف وتعبئة وتحريض اوسع الجماهير الفلسطينية والعربية لمصلحتها ، ولم تكن وسائل الاعلام الاخرى من اذاعة وكراسات وملصقات ، بمستوى أهمية الصحافة ، فالاذاعات الفلسطينية التي تبث من بعض البلدان العربية ، لا تستطيع القيام بأكثر من المهمة التحريضية — التعبوية ، لان أوقات بثها محدودة ، أما الكراس فلا يتجاوز المهمة الاعلامية — التثقيفية ، والملصق لا يخرج عن كونه ، وسيلة اعلامية تحريضية ، في حين ان الصحافة تقوم بهذه المهمات المتعددة والمتنوعة في آن واحد ، سواء قامت على أساس التخصص في احدى هذه المهمات ، او الجمع بينها في صحيفة واحدة .

ان أي تقييم نقدي لصحافة المقاومة يجب ان يقوم من خلال التحديد الواضح والثوري لمهمة الاعلام في مرحلة التحرر الوطني ، فاعلام المقاومة باعتباره اعلام حركة تحرر وطني تخوض كفاحا مسلحا ، يعتبر أداة من أدوات النضال في معركة التحرير ، وأحد الاركان الرئيسية في الحرب النفسية ضد العدو ، وهو سلاح في منتهى الفعالية والخطورة ، اذا أحسن استخدامه ، يشكل أداة توعية وتعبئة وتحريض لأوسع الجماهير ، ويزيد من تماسكها ، في الوقت الذي يعمل على تفتيت قوة العدو المعنوية ، واذا أسيء استخدامه ، فانه يتحول الى سلاح ضد الثورة ، يثير انفعالات الجماهير وعواطفها دون ان يعبئها تعبئة حقيقية ، وينشر فيها التراخي ، والتواكل ، يدفعها الى الانفعال الشديد ، عند تحقيق الانتصارات الجزئية ، والى اليأس القاتل عند اول هزيمة ولو جزئية ، فالاعلام الثوري ، اعلام يضبط خطواته مع خطوات الكفاح المسلح والتطورات التي تواجهها الثورة ، يبقى على صلة بالجماهير ، يضبط خطواتها ، ويوجهها ، بما تقتضيه مصلحة الثورة .

وعليه ، فقد كان على صحافة المقاومة ، باعتبارها أهم وسائل اعلام المقاومة ، وأكثرها تأثيرا ، ان تقوم بمثل هذه المهمات ، فكان من واجبها على **الصعيد الفلسطيني** ، بعد هزيمة حزيران ، ان تنتشل الجماهير الفلسطينية من اي شعور باليأس او الضياع بعد الهزيمة ، وان تقوم باعادة تعبئتها وحشد طاقاتها بما يتلاءم ومتطلبات المرحلة الجديدة من النضال الوطني الفلسطيني ، بتربيتها تربية سياسية كفاحية ، وبتعريفها بواقع عدوها ، دون اوهام ، وتخليصها من الافكار الشوفينية والرجعية التي علقت بأذهانها في السنوات الماضية ، وان تعيد صياغة أساليب تفكيرها ورؤيتها للاحداث، للارتقاء بوعيها السياسي وبقدرتها على الصمود والمواجهة ، بما يزيد من فعاليتها الكفاحية وقدراتها النضالية على مواجهة المؤامرات التي كانت تحاك ضد الثورة الفلسطينية للقضاء عليها منذ البداية أو اجهاضها .

وعلى **الصعيد العربي** ، فقد كان عليها ان تقوم بمهمة تعريف الجماهير العربية بالقضية الفلسطينية، وبالدور النضالي الذي تلعبه الثورة الفلسطينية في مواجهة الهجمة الامبريالية — الصهيونية — الرجعية ، وبالتالي تأمين اكبر دعم ممكن من هذه الجماهير للثورة ، عبر تمتين تحالفات الثورة الفلسطينية مع القوى الوطنية والديموقراطية العربية ، وعبر تأكيد الوحدة الكفاحية بينهما . وعلى **الصعيد العالمي** ، فقد كان عليها ، ان تقدم للرأي العام العالمي ، الانسان الفلسطيني المناضل ، في سبيل قضية عادلة ، ضد عدو عنصري ، استيطاني ، مدعوم من قوى الامبريالية العالمية ، وان تسعى لتمتين العلاقات الكفاحية بين الثورة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني العالمية ، وكل الشعوب المحبة للتقدم والسلام في العالم .

لقد كان على صحافة المقاومة ان تقوم بمثل هذه المهمات العظيمة ، وهي صحافة ناشئة واجهت صعوبات عديدة منذ بداياتها الاولى . فتمكنت خلال فترة قصيرة ، نسبيا ، ان تبلور اهتماما جماهيريا في الاوساط الفلسطينية بشكل خاص ، وبعض الاوساط العربية بشكل عام ، بالقضايا والمواضيع التي كانت تثيرها على صفحاتها . لان صحافة المقاومة ، بالموضوعات التي كانت تثيرها ، كانت بمثابة فتح جديد في

الصحافة العربية ، الرسمية وشبه الرسمية ، فلأول مرة بعد نكبة العام ١٩٤٨ ، تقوم صحافة علنية ، تستعرض وتناقش بحرية تامة ، قضايا الثورة الفلسطينية والعربيـة ، وقضايا حركات التحرر الوطني العالمية ، ولاول مرة يجد القارىء الفلسطيني بين يديه ، هذه الاعادة المكثفة لتاريخه الوطني ، بنهج تحليلي ، في معظم الاحيان ، ولاول مرة ، يقرأ الجمهور الفلسطيني ، عدوه ، بهذه الكثافة ومـن جوانبه المختلفـة ، السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية . يقرأ علاقاته وتحالفاته الدولية ، ويتابع تأثيرات مثل هذه العلاقات على نضاله وعلى قضيته . لقد أوجدت صحافة المقاومة، وعيا عاما بين الجمهور الفلسطيني ، بالقضية الفلسطينية ، وعيا يختلف كثيرا عن ذلك الوعي المسطح والهامشي ، الذي أوجدتـه السياسات الرسمية العربية وأجهزة اعلامها ، وعيا بدأ ينتزع من ذهن الجماهير الفلسطينية ، الافكار الشوفينية والرجعية ، والاوهام السابقة ، عـن معـركته التحريرية . لقد أوجدت صحف المقاومة الرئيسية ، خلال فترة قصيرة من الزمن ، مكانة مرموقة لها ، بين العديد من المهتمين بالقضية الفلسطينية ، سـواء على المستوى العربي او الدولي ، وساهمت هذه الصحف ، مساهمة فعـالة ، في التعريف بالقضية الفلسطينية وبنضالات الشعب الفلسطيني في الاوساط التقدمية في الرأي العام العالمي ، كما ساهمت مساهمة فعالة في اذكاء وتعميق الحوار حول واقع حركة التحرر الوطني العربية ، وكانت النافذة التي أطلت منها العديد من الحـركات الوطنية والديموقراطية على الجمهور العربي ، في وقت كانت تتعرض فيه للخنق الاعلامي من اكثر الصحف العربية .

الا انه ، علـى الرغم من هذه الظواهـر الايجابية ، فان أكثر من ظاهرة سلبية ، مثلتها هذه الصحف خلال السنوات القليلة الماضية . ومن هذه الظواهر البارزة ، عـدم قدرة صحف المقاومة على الجمع بشكل خلاق بين كونها صحفا تعبر من الناحية العامة عن حركة تحرر وطني تضم منظمات عديدة باتجاهـات سياسية وايديولوجية مختلفة ، وبين كون هذه الصحف ، منفردة ، تعبر عن احدى هذه المنظمات . ان عدم القدرة هذه ، أوقع صحف المقاومة ، في منافسات اعلامية ، وفي معارك جانبية ، محض ذاتية ، كما ولد لديها حالة من الانانية بالتركيز علـى اخبار ونشاط التنظيم الذي تعبر عنه ، وتغييب اخبار ونشاطات التنظيمات الاخرى . لقد ولدت هذه الظاهرة حالة من الارباك السياسي لدى الجماهير ، وأفقد صحف المقاومة عموميتها لحساب خصوصيتها ، ودفعها الى الوقوع في فخ العصبوية التنظيمية .

ومن هذه الظواهر الاكثر بروزا ، عدم قدرة صحافة المقاومة على تجاوز الظاهرة العامة التي اتسم بها الاعلام العربي ، وهي ظاهرة الاعلام المضخم والطرح الاخباري المبالغ فيه ، فساهمت صحف المقاومة الى جانب الاعلام العربي في تضخيم العمل الفدائي الفلسطيني ، وفي المبالغة فـي العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها فصائل المقاومة المختلفة . ف « الهدف »(١٣١) مثلا كانت لا تجد حرجا في تقديم بعض العمليات العسكرية العادية بعناوين بارزة ومضخمة ، فخطف طائرة مثلا قدمته بعنوان رئيسي « عملية خطف الطائرة الاميركية تهز العالم ، الفدائيون يوجهون ضربـة مؤلمة للامبريالية الاميركية » وكذلك «الحرية»(١٣٢) ايضا لم تجد حرجا ان تساهم في تضخيم بعـض العمليات الفدائية العادية ، وتقديمها كأنها عمليات تمثل تطورا نوعيا في العمل الفدائي الفلسطيني . وقس على ذلك العديد من صحف المقاومة الاخرى. ان هذه العقلية الاعلامية ، التي كانت تركض وراء بعض الاخبار العادية وتضخيمهـا ، تولد نتائج خطيرة ، لا يمكن الاستهانة بها ، لانها من ناحية ، تعكس نفسها على مناقشة وتحليل اية ظاهرة او قضية ، من ظواهـر وقضايا الثورة ، بدقـة وموضوعية ، كما انها من الناحية الاخرى ، تهدم جدار الثقة الذي يمكن ان يقوم بين هذه الصحف وجماهير الثورة ، بالاضافة الى انها تنمي آمالا زائفة لدى هذه الجماهير ، تدفع بها الى عدم تلمس المخاطر الحقيقية التي تواجهها ، والى النيل من قدرتها على الصمود في الظروف الصعبة .

بالاضافة الى هاتين الظاهرتين الرئيستين ، فان هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهي ان صحف المقاومة ، على الرغم من انها غطت خلال هـذه السنوات القليلة ، العديد من قضايا وجوانب القضية الفلسطينية وتفرعاتها العربية والدولية ، الا أنها تجاهلت تسليط الضوء على قضايا تعتبر

من صلب القضية الفلسطينية . ومن المواضيع الرئيسية التي كان يجب على هذه الصحف لفت الانتباه اليها ، ومعالجتها . من هذه القضايا مثلا، سياسة الجسور المفتوحة بين الضفة الغربية المحتلة والضفة الشرقية ، ومدى تأثيراتها على الكفاح المسلح الفلسطيني، وعلى مستقبل الصراع العربي — الاسرائيلي ، لقد كانت هذه القضية شبه غائبة في صحف المقاومة . ومن هذه القضايا ايضا ، وضع العمال العرب الذين يعملون في المؤسسات والورش الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٤٨ . ان هذه القضية لا تعالج من خلال النداءات التحذيرية والمناشدات العاطفية للعمال العرب أن لا يعملوا في المؤسسات الاسرائيلية ، بل تعالج من خلال دراستها دراسة علمية ، بدراسة أسباب هذه الظاهرة الاقتصادية والاجتماعية ورصد تأثيراتها على نمو الحركة الوطنية داخل الارض المحتلة . ومن هذه القضايا الهامة أيضا، قضية تحرير المرأة، ودورها في معركة التحرير الوطني ، هذه القضية التي لم تأخذ من اهتمامات صحف المقاومة الا مقالات متفرقة ، وشبه عادية ، وماتت في المهد ، اول تجربة لايجاد مجلة تتناول هذه القضية من جميع جوانبها ، السياسية والاجتماعية .

ان هذه الظواهر السلبية العديدة لصحافة المقاومة ، لا تقلل من النواحي الايجابية التي مثلتها ، خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة ، وهي ظواهر لا بد من معالجتها ، بثورية ، لتدعيم هذا البنيان الصحفي ، الذي يعد احد الانجازات الوطنية للشعب الفلسطيني خلال مسيرته النضالية الشاقة والطويلة .

---

* في فترة لاحقة للاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية في العام ١٩٦٧ ، ظهرت بعض الصحف في الضفة الغربية ، تعارض الاحتلال وتبدي تعاطفا مع حركة المقاومة الفلسطينية ، وأهم هذه الصحف ، جريدة الشعب ، ومجلة الفجر.

١ — انظر أبو ثائر ، صحافة فتح والثورة . شؤون فلسطينية ، العدد ١٧ ، ص ٦٤ .
٢ — أنظر نشرة العاصفة ، العدد ١ ، تاريخ ١٩٦٥/٥/١٥ .
٣ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة، العدد ١٥ .
٤ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٤ .
٥ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ١٣ .
٦ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٢ .
٧ — المصدر نفسه .
٨ — المصدر نفسه .
٩ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ١٢ .
١٠ — المصدر نفسه .
١١ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ١٦ .
١٢ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة ، الاعداد ٣٢ و٣٤ و٣٦ .
١٣ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٤ .
١٤ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة، العدد ١٢.
١٥ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة ، الاعداد ٢ و١٢ و١٣ و١٥ و٣٢ .
١٦ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٢ .
١٧ — انظر حول التجربة الكوبية ، فلسطيننا — نداء الحياة ، الاعداد من ٣٦ — ٣٩ ، وحول حرب الانصار السوفياتية ، العدد ٣٤ .
١٨ — العاصفة ، العدد ١ .
١٩ — العاصفة ، العدد ٢ .
٢٠ — العاصفة ، العدد ٨ .
٢١ — المصدر نفسه .
٢٢ — حول وضع اسرائيل العسكري انظر « فلسطين — ملحق المحرر » ، الاعداد ٣ و٤ و٥ و٢٢ و٢٣ و٣٥ و٤٠ و٤٢ و٤٣ و٤٧ و٤٩ و٥٠ و٥٦ و٥٧ و٦٥ . وحول السلاح الذري الاسرائيلي ، انظر الاعداد ٢٢ و٢٥ و٢٨ و٣١ و٤٠ و٤٧ .
٢٣ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٨ .
٢٤ — حول الهجرة اليهودية انظر الاعداد ٣ و١١ و١٣ و١٧ ، وعن الاحزاب الاسرائيلية ، انظر الاعداد ٢ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢٢ و٣٢ . وقد اهتمت بشكل أساسي بالحزب الشيوعي الاسرائيلي ، والانشقاق الذي حدث فيه ، واعتبرت الانشقاق كدليل على عدم امكانية ايجاد « صيغة لعمل يهودي — عربي مشترك في مجال القضية الفلسطينية » ، العدد ٣٢ ، وحول منظمة الارض ، انظر الاعداد ٤ و٥ و١٠ و٣٤ . وحول أوضاع العرب داخل الارض المحتلة ، أنظر الاعداد ١ و٤ و٥ و٧ و١٠ و٢٠ و٦٤ .

٢٥ — حول هذا الموضوع أنظر الاعداد ١٤ و١٥ و١٦ و٣٥ و٣٩ و٦٠ .

٢٦ — حول هذا الموضوع أنظر الاعداد ٤٢ و٤٣ و٤٩ .

٢٧ — انظر « فلسطين — ملحق المحرر »، الاعداد ٨ و٣٥ و٢٧ و٣٨ .

٢٨ — « فلسطين — ملحق المحرر »، العدد ٣١ .

٢٩ — حول المنظمة والموقف منها أنظر الاعداد ١٤ و١٥ و١٦ و١٩ و٢١ و٢٢ و٢٥ و٢٩ و٣١ و٥٥ وانظر بشكل خاص العدد ٢١ حول انتقاد الشقيري ، والعدد ٣١ حول الدفاع عن الحزبيين .

٣٠ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٣٥ .

٣١ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٣٨ .

٣٢ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٨ .

٣٣ — المصدر نفسه .

٣٤ — انظر فلسطين — ملحق المحرر، العدد ٥٣ .

٣٥ — انظر فلسطين — ملحق المحرر، العدد ٦٧ .

٣٦ — المصدر نفسه .

٣٧ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٥٥ .

٣٨ — المصدر نفسه .

٣٩ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٢٣ .

٤٠ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٥٥ .

٤١ — ان « فلسطين — ملحق المحرر » لم تناقش الا في مقال واحد في عددها « ٤٩ » حول حق العمل للفلسطينيين في البلدان العربية .

٤٢ — حول هذا الموضوع انظر « فلسطين — ملحق المحرر » ، الاعداد ٥٠ و٥٤ و٥٩ و٦٢ و٦٣ و٦٥ .

٤٣ — أنظر أخبار فلسطين ، العدد ١ تاريخ ١٩٦٥/١٠/٤ .

٤٤ — أخبار فلسطين ، العدد ٢ ، تاريخ ١١/ ١٩٦٥/١٠ .

٤٥ — انظر أخبار فلسطين ، الاعداد ٥٣ و٦٥ و٧٧ .

٤٦ — انظر أخبار فلسطين ، العدد ٢ .

٤٧ — حديث خاص جرى مع بسام ابو شريف بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٢٢ .

٤٨ — خلال معارك أيلول ١٩٧٠ في الاردن ، صدرت لمدة أسبوع بشكل يومي .

٤٩ — أنظر الهدف ، العدد ١ بتاريخ ٧/٢٦/ ١٩٦٩ .

٥٠ — لو أخذنا أعداد السنة الاولى من «الهدف» كنموذج وهي الاعداد (١ — ٥٢) نلاحظ أنها شملت ٢٤ خبرا ومقالا وتحقيقا عن العمليات الخارجية ، كما شملت ١١ مقالا وتحقيقا عن العمليات العسكرية للجبهة الشعبية في غزة فقط .

٥١ — عقب الانشقاق كانت تنطق باسم منظمة الاشتراكيين اللبنانيين عربيا ودوليا وهي المنظمة التي شكلها المنشقون عن فرع القوميين العرب في لبنان . ولكن عقب تشكيل منظمة العمل الشيوعي اللبناني ، باندماج منظمة الاشتراكيين اللبنانيين والاشتراكي اللبناني في تنظيم واحد أخذت تنطق باسم منظمة العمل اعتبارا من العدد ٥٧٤ .

٥٢ — حول مواقف « الحرية » النقدية من الاتحاد السوفياتي راجع الاعداد ٤٤٦ و٤٤٧ و٤٥٨ و٤٦٠ و٤٦٢ و٤٦٥ ، وحول صراعاتها الفكرية والسياسية مع الاحزاب الشيوعية العربية راجع الاعداد ٤٥٤ و٤٥٧ و٤٥٨ و٤٥٦ و٤٦٠ — ٤٦٣ و٤٨١ — ٤٨٤ و٥٠٣ — ٥٠٥ .

٥٣ — انظر عرضها للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتزبن » في العددين ٤٨٦ و٤٧٨ .

٥٤ — الحرية ، العدد ٤٤٦ بتاريخ ١٩٦٩/١/١٣، وللمزيد حول هذا الموقف انظر الاعداد ٤٤٧ و٤٤٨ و٤٥٠ و٤٥١ و٤٥٩ .

٥٥ — الحرية ، العدد ٤٧٨ ، وللمزيد ، انظر العددين ٤٨١ و٤٨٢ ، وانظر دراسة ماتزبن للوضع الطبقي للمجتمع الاسرائيلي كما عرضتها الحرية في الاعداد ٥٦٥ — ٥٦٧ .

٥٦ — معظم أعداد الحرية تحوي أخبارا أو تحليلات عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ، انظر دراساتها المبكرة عنها في الاعداد ٥٢١ — ٥٢٦ والاعداد ٥٥٠ — ٥٥٦ و٥٧١ .

٥٧ — جريدة فتح ، العدد ٣٤٠ .

٥٨ — حديث خاص مع أحمد عبدالله محمد ، رئيس تحرير « فلسطين الثورة » جرى في ١/ ١٩٧٤/١١ .

٥٩ — الثورة الفلسطينية ، العدد ٨ .

٦٠ — الطلائع ، العدد ١٥١ .

٦١ — انظر دراسة « الطلائع » عن البترول

العربي سلاح في المعركة ، الاعداد ١٤ و١٧ — ٢٣ .

٦٢ — انظر التحقيقات الاولية عن الدروز في « الطلائع » ، الاعداد ٩ و١٠ و١٢ .

٦٣ — الثائر العربي ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٦/١٥ .

٦٤ — الثوري ، العدد ١ .

٦٥ — انظر ، مجلة الثورة الفلسطينية ، الاعداد ١٢ — ١٤ و١٦ و٢٢ .

٦٦ — المصدر نفسه ، الاعداد ٧ و١١ و١٢ و١٤ و٢٠ و٢٢ .

٦٧ — الثائر العربي ، العدد ٩ ، وللمزيد أنظر ملف الفكر القومي في تاريخ النضال الفلسطيني، العدد الخاص الصادر عن الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٧٢ ، وانظر كذلك الاعداد من ١ — ٩ و١٦ . وقد اشتركت « الطلائع » في تأكيد هذا الطابع وان بدرجة أقل ، حين أكدت على « ان وحدة العمل الفدائي لا بد وأن تكون من خلال استراتيجية نضال قومية محددة الاهداف والاساليب » العدد ١٧ .

٦٨ — انظر الحرية ، العددين ٤٦٥ — ٤٦٦ ، والهدف العددين ٢ و٣ .

٦٩ — انظر الحرية ، العدد ٥٠٤ .

٧٠ — المصدر السابق ، وانظر الحرية ، العدد ٤٦٧ ، وحول وجهة نظر « الهدف » من العمليات الخارجية وشعار ضرب المصالح الامبريالية أنظر الاعداد ٤ و٧ و٨ و١٢ و١٧ و٢٠ و٢٣ و٢٨ و٣٠ و٣٢ و٣٦ و٣٧ .

٧١ — الثائر العربي ، العدد ١٦ ، وللمزيد انظر الاعداد ٢١ و٢٣ — ٢٥ .

٧٢ — الحرية ، العدد ٥٠٦ ، وانظر كذلك العدد ٥٠٧ .

٧٣ — الهدف ، العدد ٣٩ ، وانظر كذلك العدد ٤٤ .

٧٤ — نشرة « فتح » الاسبوعية ، العدد ٩ ، السنة الاولى .

٧٥ — راجع المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع قبل مجازر أيلول ١٩٧٠ ، « الهدف » الاعداد ١ و٥ و١٠ و١٢ و٣٠ و٤٧ ، وفي العدد ٤٧ سلطت « الهدف » الضوء على نشاطات ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي ، بخصوص هذا الموضوع واتصاله ببعض الوجهاء في الضفة الغربية وتباحثه معهم بشأن الكيان الفلسطيني . وراجع « الحرية » الاعداد ٤٤٩ و٤٥٠ و٤٥٩ و٥٤٧ . وقالت الحرية في العدد ٤٥٠ « يعتبر موضوع الدولة الفلسطينية هو المدخل الذي لا بد منه لايجاد حل نهائي لقضية فلسطين » وأشارت الى ان محاولات ستجري « لدفع منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة فتح نحو الموافقة على هذه الفكرة » . وراجع أيضا مجلة « الثورة الفلسطينية » الاعداد ١٧ و١٨ و٢٢ ، ونشرة « فتح » الاسبوعية العدد ٦ ، و« والثائر العربي » العدد ٤ ، و« الطلائع » العدد ٢٧ ، و« الى الامام » العدد ٢٩٧ .

٧٦ — جميع منظمات المقاومة رفضت المشروع وناهضت قبول بعض الانظمة العربية باستثناء منظمتين صغيرتين هما منظمة فلسطين العربية ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين ، اللتين اتخذتا موقفا منسجما مع الجمهورية العربية المتحدة ، لذا فقد كانتا محل نقد من بعض صحف المقاومة لموقفهما هذا .

٧٧ — الشرارة ، الاعداد ٨ و١١ .

٧٨ — الشرارة ، الاعداد ١٠ و١٢ و١٥ و١٧ .

٧٩ — الشرارة ، العدد ١٦ و١٧ .

٨٠ — الشرارة ، العدد ٩ وانظر كذلك العدد ١٠ .

٨١ — انظر الجماهير ، الاعداد ١٤ و١٥ .

٨٢ — انظر جريدة فتح ، الاعداد من ٣٤ — ٥٥ .

٨٣ — انظر جريدة فتح ، العدد ٤٥ و٤٧ .

٨٤ — انظر جريدة فتح ، العدد ٤٧ .

٨٥ — انظر جريدة فتح ، العدد ٥٥ .

٨٦ — جريدة فتح ، العدد ٥٧ و٥٨ .

٨٧ — جريدة فتح ، العدد ٧٠ .

٨٨ — جريدة فتح ، العدد ٧٣ وانظر العدد ٧١ .

٨٩ — جريدة فتح ، العدد ٨٢ . وحول شعار السلطة الوطنية انظر الاعداد ٨٠ — ٨٥ .

٩٠ — الهدف ، العدد ٥٣ .

٩١ — الهدف ، العدد ٥٦ .

٩٢ — الهدف ، العدد ٥٥ .

٩٣ — المصدر نفسه .

٩٤ — الهدف ، العدد ٥٦ ، وحول الموضوع نفسه ، انظر العدد ٥٧ .

٩٥ — الهدف ، العدد ٥٨ ، وانظر حول الوضع

في الاردن ، الاعداد ٥٥ و٥٩ و٦٠ .

٩٦ ــ الهدف ، العدد ٥٨ .

٩٧ ــ الهدف ، العدد ٦٠ ، وانظر كذلك العدد ٥٩ .

٩٨ ــ الهدف ، العدد ٥٩ .

٩٩ ــ الهدف ، العدد ٥٨ .

١٠٠ ــ الحرية ، العدد ٥٢٥ .

١٠١ ــ المصدر نفسه .

١٠٢ ــ الحرية ، العدد ٥٢٦ ، وحول الموقف من الاتحاد السوفياتي انظر أيضا الاعداد ٥٢٧ ــ ٥٣٠ .

١٠٣ ــ انظر الحرية ، العددين ٥٢٦ و٥٢٧ .

١٠٤ ــ الحرية ، العدد ٥٢٨ .

١٠٥ ــ الحرية ، العدد ٥٢٩ .

١٠٦ ــ الحرية ، العدد ٥٢٧ .

١٠٧ ــ انظر « الحرية » ، الاعداد ٥٢٧ و٥٢٨ و٥٣١ .

١٠٨ ــ الحرية ، العدد ٥٣١ .

١٠٩ ــ الحرية ، العدد ٥٣٢ .

١١٠ ــ المصدر نفسه .

١١١ ــ انظر « الى الامام » ، الاعداد ٣١١ و٣١٢ و٣١٦ .

٣١٢ ــ انظر « الى الامام » ، العدد ٣١٢ .

١١٣ ــ انظر « الى الامام » ، العدد ٣١٣ .

١١٤ ــ المصدر نفسه .

١١٥ ــ انظر « الى الامام » ، العدد ٣١٥ .

١١٦ ــ المصدر نفسه .

١١٧ ــ انظر « الى الامام » . العددين ٣١٦ و٣١٧ .

١١٨ ــ الطلائع ، العدد ٤٠ .

١١٩ ــ المصدر نفسه .

١٢٠ ــ الطلائع ، العدد ٤١ .

١٢١ ــ الطلائع ، العدد ٤٤ .

١٢٢ ــ الطلائع ، العدد ٤٦ .

١٢٣ ــ الثائر العربي ، العدد ٣٠ .

١٢٤ ــ الثائر العربي ، العدد ٣١ .

١٢٥ ــ حول هذا الموضوع انظر « الهدف » ، الاعداد ٧٥ و٧٧ و٧٨ و٨٢ و٨٤ و٨٩ و٩٠ ــ ٩٣ . واعتبرت « الهدف » في العدد ٩٠ ، ان مجزرة أيلول « قد هيأت ظرفا نفسيا سلبيا من الممكن ان يستخدم حتى اقصى مدى لترسيخ فكرة الدولة الفلسطينية » . وانظر « الحرية » العددين ٥٤٩ و٥٥٤ . واعتبرت « الحرية » في العدد ٥٤٩ ان الدولة الفلسطينية من « اخطر المؤامرات على القضية الفلسطينية » وقالت ان الذي يحدد قدرة حركة المقاومة على مواجهة مشروع الدولة ، هو خروجها الفعلي عن الخطة السياسية العربية المرسومة للتسوية السلمية » . وانظر كذلك « الى الامام » ، الاعداد ٣٢٢ ــ ٣٢٤ و٣٢٦ ، وجريدة « فتح » اليومية الاعداد ١١١ و١٢١ و١٢٢ و١٢٧ و١٢٩ و١٣٣ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٨ . وانظر الطلائع ، الاعداد ٥٦ و٩٥ و١٠٩ .

١٢٦ ــ حول نقد وتقييم تجربة المقاومة في الاردن انظر الهدف ، الاعداد ٧٢ و٧٣ و٧٥ و٨٢ و٨٤ و٩١ ــ ٩٣ و٩٧ و١٠٢ . وانظر « الطلائع » الاعداد ٥١ و٥٢ و٥٩ و٦٠ و٦٦ و٦٨ و٦٩ و٧٠ و٩٧ ، وانظر « الحرية » الاعداد ٥٤٩ و٥٥١ و٥٥٣ و٥٧٠ و٥٧٢ ــ ٥٧٤ . وانظر « فتح » الاسبوعية الاعداد ٣٠٠ و٣٠٢ و٣٠٣ ، و« فلسطين الثورة » العدد ٢٧ و« الثائر العربي » العدد الخاص الصادر « آذار » « مارس » ١٩٧٢ ، و« الى الامام » الاعداد ٣٢٦ و٣٣٧ و٣٣٨ و٣٤٢ و٣٤٧ و٣٥٩ و٣٦٩ .

١٢٧ ــ الى الامام ، العدد ٣٠٩ .

١٢٨ ــ الى الامام ، العدد ٣٥٩ .

١٢٩ ــ الهدف ، العدد ٥١ .

١٣٠ ــ الطلائع ، العدد ١١٨ .

١٣١ ــ الهدف ، العدد ٧ .

١٣٢ ــ انظر الحرية الاعداد ٤٨٠ و٤٨١ و٤٩٥ ، حول عرضها لعمليات عسكرية قامت بها الجبهة الشعبية الديموقراطية في اواخر العام ١٩٦٩، وهي العمليات التي سميت آنذاك بعملية الخط الاحمر ، وعملية هوشي منه ، وعملية تشي جيفارا ، والتي قدمها اعلام الجبهة الديموقراطية ، كعمليات تشكل تطويرا نوعيا في العمليات الفدائية الفلسطينية ، في حين انها في حقيقة الامر لم تتجاوز اطار العمليات العادية. وهي مهاجمة وقصف بعض المواقع الاسرائيلية .

منظمة التحرير الفلسطينية في عشر سنوات

راشد حميد

تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الان على الصعيد الفلسطيني والعربي والدولي الممثل الشرعي للشعب العربي الفلسطيني . ولم تصل المنظمة الى هذا الوضع الا بعد نضال شاق وطويل دفع ثمنه الشعب الفلسطيني الاف الشهداء والجرحى والمعتقلين والمشردين والمبعدين داخل الارض المحتلة وخارجها . ونظرا لذلك يبدو من الاهمية بمكان عرض مسيرة المنظمة في السنوات العشر الاخيرة منذ انشائها حتى الان . ويجري التركيز في هذا العرض على الجوانب الفلسطينية في تطور المنظمة وتقدمها . ولذلك ارتأيت ضرورة للتركيز على دورات المجلس الوطني الفلسطيني الاثني عشر وتطورها وقراراتها التي تعكس الصورة الشاملة لمسيرة المنظمة والنضال الفلسطيني في العقد الاخير . فالدورات الثلاث الاولى للمجلس الوطني الفلسطيني تعطي صورة عن المرحلة الاولى لنشوء المنظمة وتطورها . اما الدورات التالية فتعطي صورة عن تطور النضال الفلسطيني المسلح وتصدره القيادة الفلسطينية عن جدارة نضالية . وميزة التركيز على دورات المجلس الوطني الفلسطيني انه يبين بوضوح كيف اصبحت المنظمة اطارا للوحدة الوطنية الفلسطينية سياسيا وعسكريا واعلاميا وماليا . ويلي دورات المجلس الوطني عرض موجز لمهمات وأعمال مختلف هيئات ودوائر واجهزة منظمة التحرير الفلسطينية مما يصور تشعب مهام المنظمة واعمالها والاعباء التي تقع على كاهلها . ولا بد هنا من الاشارة الى ان المصادر الاولية التي جرى اعتمادها هي الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة وتقارير اللجنة التنفيذية ودوائر المنظمة المقدمة الى دورات المجلس الوطني وتوصيات لجان المجلس الوطني ومقرراته . وهذه المواد متوافرة الى حد كبير في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وذلك بالتحديد في قسمي الوثائق والملفات .

الا انه لا بد في البداية من عرض سريع للاطار التاريخي الذي برزت فيه منظمة التحرير الفلسطينية عل ذلك يساعد على توضيح نشوء المنظمة وتطورها .

اسفرت الحرب العربية ــ الاسرائيلية في العام ١٩٤٨ عن قيام دولة اسرائيل وتشريد الشعب العربي الفلسطيني خارج ارضه وفقدانه الجزء الاكبر من وطنه . الا ان هذا الشعب الذي قاوم الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية لثلاثة عقود خلت لم يكن ليستسلم للارادات الخارجية ويخضع للامر الواقع الذي جعل منه شعبا لاجئا مشردا . وكانت هذه المحنة كبيرة جدا بحيث ترتب على الشعب العربي الفلسطيني ان يعمل لتأمين قوته اليومي وسلامة بنيه تحت اقسى الظروف واشدها بؤسا .

ولم يلبث الشعب العربي الفلسطيني ان لملم جراحه وراح يناضل في سبيل استرداد وطنه السليب على اكثر من صعيد . فمنهم من قاتل العدو من خلال اجهزة رسمية مثل بعض اجهزة الاستخبارات العربية ، ومنهم من انضم الى مختلف الاحزاب العربية القومية والدينية واليسارية ، مستهدفين جميعا انزال الهزيمة بقوات الاحتلال الصهيوني والعودة الى الوطن السليب .

المرحلة الاولى

وتصاعد النضال الفلسطيني وبدأت بوادر الحركة الثورية المسلحة تلوح في الافق بدافعين رئيسيين : ١ — انتصار ثورة الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ، ٢ — تزايد التحدي الاسرائيلي بمحاولة تحويل مياه نهر الاردن . وأدركت انظمة الحكم العربية هذا التحول فراحت تحاول بشتى الوسائل احتواء او ضبط الحركة الفلسطينية الناهضة . ونتيجة لهذه الاوضاع صدر قرار مؤتمر القمة الاول للملوك ورؤساء دول الجامعة العربية الداعي الى تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره . وأوكل هذا الامر الى الاستاذ احمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية .

صدر قرار جامعة الدول العربية المذكور في الثالث عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ . وفي الحادي والعشرين من شهر اذار (مارس) من العام نفسه ، وبعد ان قام الشقيري بجولة في الدول العربية اتصل خلالها بشخصيات فلسطينية ووضع مشروعي الميثاق والنظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية(٣)، اختار لجانا تحضيرية في جميع البلاد العربية المضيفة للفلسطينيين وقامت تلك اللجان باعداد قوائم بأسماء المرشحين من تلك البلاد لعضوية المؤتمر الفلسطيني الاول وذلك عملا بالمادة السادسة من مشروع النظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وما ان انهت اللجان التحضيرية مهماتها حتى اختار الشقيري لجنة التنسيق وضمت هذه اللجنة ست لجان فرعية هي : ١ — لجنة الاعلام ، ٢ — لجنة الدراسات والمقترحات ، ٣ — لجنة جدول الاعمال ، ٤ — لجنة الاتصال ، ٥ — لجنة الافتتاح ، ٦ — اللجنة الادارية .

اعدت اللجنة الادارية المتفرعة عن لجنة التنسيق قائمة نهائية باسماء المرشحين لعضوية المؤتمر ، وضمت القائمة اسماء اشخاص يمارسون مختلف النشاطات والاعمال بينهم الاعيان والنواب والوزراء والنواب والاعيان السابقون . ورؤساء البلديات والمجالس القروية في الاردن ورجال الدين والمحامون والاطباء والصيادلة والمهندسون واساتذة الجامعات وممثلو اتحاد الطلبة واعضاء المجلس التشريعي في قطاع غزة ورؤساء الغرف التجارية والتجار والمغتربون وممثلو الهيئات النسائية والمخيمات وشيوخ عرب بئر السبع والنقباء وممثلو اتحادات ونقابات العمال والمزارعين ورؤساء مجالس الشركات ومدراء وموظفو المصارف وخلافهم(٤). ثم شكل مكتب للمؤتمر تولى توجيه الدعوات لحضور المؤتمر .

المجلس الوطني الاول : عقدت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر صباح الثامن والعشرين من ايار (مايو) ١٩٦٤ بحضور ٤٢٢ عضوا وممثلين عن سائر الحكومات العربية . وانتخب المؤتمر الاستاذ احمد الشقيري رئيسا للمؤتمر كما انتخب مكتبا للرئاسة مؤلفا من ثلاثة نواب للرئيس وامين عام صار يعرف فيما بعد بأمين السر . وبدأ المؤتمر بتأليف اللجان وقام مكتب الرئاسة بتنسيق عضويتها ثم اعد جدولا خاصا باللجان واسماء اعضائها واختارت كل لجنة منها رئيسا ومقررا وأمين سر . وبعد ان فرغت اللجان من اعداد تقاريرها قدمتها الى المؤتمر فناقشتها واتخذ قرارات ابرزها(٥) : ١ — اعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، ٢ — يصبح المؤتمر بكامل اعضائه المجلس الوطني الاول ، ٣ — المصادقة على الميثاق ، ٤ — المصادقة على النظام الاساسي ، ٥ — المصادقة على اللائحة الداخلية للمجلس الوطني ، ٦ — المصادقة على النظام الاساسي للصندوق القومي ، ٧ — تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية وكتائب فدائية قادرة وفعالة .

وقد يلاحظ في البند السابع من القرارات الصادرة عن المجلس الوطني الاول تركيز على دور القوات النظامية بذكرها دون اضافة صفات بينما اضيف للكتائب الفدائية كلمتا « قادرة وفعالة » . وقد يعتبر ايضا ذكر هذه الكتائب مجرد محاولة لاستيعاب طلائع العمل الفدائي التي اخذت تظهر انئذ ولو بحجم محدود .

ولا بد ايضا من ملاحظة ان اعضاء المجلس الوطني الاول لم يدعوا على اساس تنظيمي او حزبي بل اختارهم الشقيري من مختلف قطاعات

الشعب الفلسطيني . وليس هنا مجال الغوص في تفاصيل هذا المجلس وما جرى فيه . فقد ذكرت الصحف ان السلطات الاردنية منعت بعض الاشخاص من الحضور وان رجال الاستخبارات الاردنية تدخلوا في امور المؤتمر كثيرا . وقد دخلت في تشكيل المجلس اعتبارات عربية عديدة ومختلفة*.

الميثاق القومي (الوطني) الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة** : كان الهدف من قيام منظمة التحرير الفلسطينية هو انشاء الكيان الفلسطيني. وقد وردت كلمة كيان على لسان عبد الخالق حسونة ، الامين العام لجامعة الدول العربية انذاك ، في مؤتمر صحافي عقده في القاهرة يوم ١٩٦٤/١/١٥ . ولم تذكر الكلمة في البيان الصادر عن مؤتمر القمة العربي الاول . وقد قال الشقيري ان « الهيكل العام للكيان الفلسطيني [يوجد] في مشروعين ، الاول الميثاق القومي ، والثاني النظام الاساسي لمنظمة التحرير »(٦). وقد اوجز الشقيري نفسه صورة الكيان بالكلمات التالية(٧): ١ ــ كتائب فلسطينية مسلحة تشكلها القيادة العربية الموحدة بالتعاون مع الدول العربية . ٢ ــ صندوق فلسطين يجبي الاموال بأمانة وينفقها بأمانة وحساباته مفتوحة للشعب . ٣ ــ مكاتب سياسية في جميع انحاء العالم لكسب الاصدقاء والتماس العون والمدد اينما وجدناه . ٤ ــ تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجىء والمقيم .

أما المبادىء العامة لتحقيق اهداف منظمة التحرير الفلسطينية فتتجسد في الميثاق الفلسطيني المؤلف من تسع وعشرين مادة . ويعتبر الميثاق فلسطين وطنا عربيا حدوده تلك التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني ، وان الشخصية الفلسطينية صفة اصيلة لازمة لا تزول وتنتقل من الاباء الى الابناء . اما الفلسطينيون فهم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى العام ١٩٤٧ ، سواء من اخرج منها او بقي فيها ، وكل من ولد لاب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ . ويعتبر الميثاق اليهودية ديانة سماوية وليست قومية لها وجودها المستقل وان اليهود ليسوا شعبا واحدا له شخصيته المستقلة وانما هم مواطنون في البلدان التي ينتمون اليها . ويرى ان المذاهب العقائدية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تشغل الفلسطينيين عن واجب تحرير وطنهم وانهم جميعا يشكلون جبهة وطنية واحدة، شعاراتهم الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير . اما الحكومات والشعوب العربية فعليها تعبئة جميع طاقاتها العسكرية والمادية والروحية في سبيل تحرير فلسطين . واما منظمة التحرير الفلسطينية فمسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في سبيل التحرير في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي . ويجري تحقيق اهداف الميثاق وفقا للنظام الاساسي للمنظمة الذي يحدد كيفية تشكيل المنظمة وهيئاتها ومؤسساتها واختصاصات كل منها وجميع ما تقتضيه الواجبات الملقاة عليها بموجب هذا الميثاق . ولا يرى الميثاق ان تمارس المنظمة اية سيادة اقليمية على الضفة الغربية للاردن ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة . والميثاق لا يجري تعديله الا بأكثرية ثلثي مجموع اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني وذلك في جلسة خاصة تعقد من اجل هذا الغرض(٨).

والاساس الثاني لعمل منظمة التحرير الفلسطينية بعد الميثاق هو النظام الاساسي الذي يعتبر اساسا للعلاقات في المنظمة الالتزام بالنضال والعمل الوطني مع الترابط الوثيق بين مختلف المستويات من قاعدة المنظمة الى قيادتها الجماعية . كما يعتبر النظام الاساسي جميع الفلسطينيين اعضاء طبيعيين في منظمة التحرير الفلسطينية يؤدون واجبهم في تحرير فلسطين قدر طاقاتهم وكفاءاتهم ، وهم القاعدة الكبرى لهذه المنظمة(٩). ويضم النظام الاساسي بابا حول المجلس الوطني وبابا اخر حول اللجنة التنفيذية وبابا ايضا للاحكام العامة . وستجري الاشارة الى بعض مواد تلك الابواب في المكان المناسب من هذا المقال .

---

* أنظر على سبيل المثال صحيفة **المحرر** اللبنانية في الفترة التي سبقت وصاحبت وأعقبت انعقاد المؤتمر

** ادخلت عليهما بعض التعديلات أشير اليها في صفحات تالية .

المجلس الوطني الفلسطيني : ان المجلس الوطني الفلسطيني هو السلطة العليا للمنظمة ويضع سياستها ومخططاتها وبرامجها . ومدة المجلس ثلاث سنوات ويعقد دورة واحدة كل سنة في شهر ايار (مايو) او دورات استثنائية بدعوة من رئيس المجلس بناء على طلب من اللجنة التنفيذية او من ربع اعضاء المجلس . وينعقد المجلس في القدس او غزة او اي مكان اخر وفقا للظروف . وللمجلس مكتب رئاسة مؤلف من الرئيس ونائبين له وامين عام (سر) ينتخبهم المجلس في بدء انعقاده وتتألف عضوية المجلس في اعضاء منتخبين انتخابا مباشرا من الشعب الفلسطيني وهو امر لم يتم نظرا للظروف العربية والفلسطينية التي مر بها النضال الفلسطيني . وكان قد وضع لهذه الغاية نظام خاص من قبل اللجنة التنفيذية(١٠).

وفي دورة انعقاده العادية ينظر المجلس فيما يلي : أ ــ التقرير السنوي الذي تقدمه اللجنة التنفيذية عن انجازات المنظمة واجهزتها ، ب ــ التقرير السنوي للصندوق القومي واعتماد الميزانية ، جـ ــ الاقتراحات التي تقدم اليه من لجان المنظمة ، د ــ اي مسائل اخرى تعرض عليه .

وتتألف في المجلس ، من اجل تيسير اعماله ، اللجان الضرورية التي تنظر في امور معينة ثم تقدم توصياتها الى المجلس الذي ينظر فيها ويناقشها ثم يصدر قراراته بشأنها بأغلبية اصوات الحضور . ويكتمل النصاب القانوني للمجلس بحضور ثلثي اعضائه(١١).

وهنا لا بد من استعراض تجربة المجلس الوطني الفلسطيني في النضال الفلسطيني وظروفه الصعبة القاهرة . وسيتم التركيز على ابرز المقررات الصادرة عن سائر دورات المجلس .

المجلس الوطني الثاني : عقدت الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني(١٢) في الحادي والثلاثين من شهر ايار (مايو) ١٩٦٥ في القاهرة. وعملا بالمادة التاسعة من النظام الاساسي اقر في الجلسة الاولى جدول اعمال المجلس وتم انتخاب الهيئة الجديدة لمكتب رئاسة المجلس فأعيد الشقيري رئيسا للمجلس . وتألفت خمس لجان هي : السياسية والمالية والعسكرية والاعلامية ولجنة التنظيم الشعبي . وبعد مناقشة توصيات اللجان واتخاذ القرارات اعيد انتخاب الاستاذ احمد الشقيري رئيسا للجنة التنفيذية للمنظمة . وبعد ذلك القى الشقيري بيانا حدد فيه اسس العمل التي ستنتهجها اللجنة بقوله :

١ ــ الاستمرار في اعداد الشعب لمعركة التحرير. ٢ ــ السعي بكل جهد وطاقة لاجراء انتخابات حرة نزيهة للمجلس القادم ، ٣ ــ ستبادر اللجنة الى وضع قانون التنظيم الشعبي موضع التنفيذ . ٤ ــ سحب اموال المنظمة سيكون بتوقيعي رئيسي اللجنة التنفيذية والصندوق القومي الفلسطيني .

ومن ابرز قرارات هذه الدورة الثانية للمجلس العمل على فرض التجنيد الاجباري لجميع الفلسطينيين اينما كانوا اسوة بما طبق في قطاع غزة ، ومناشدة الدول العربية تسهيل مهمة قيادة جيش التحرير الفلسطيني في اختيار وانتقال الضباط والعناصر العسكرية الاخرى في وحداته المختلفة وفقا للحاجات العسكرية لجيش التحرير وتمكين القيادة من تدريب الفلسطينيين في اراضي تلك الدول . ثم الاهتمام الجدي في دور المرأة الفلسطينية في معركة التحرير مثل المقاومة الشعبية والخدمات الطبية والاسعاف الميداني .

وفي مجال التنظيم الشعبي فقد أمر المجلس قانون التنظيم الشعبي . وكانت لجنة التنظيم الشعبي قد قدمت التوصيات التالية :

١ ــ درست اللجنة مشروع الموازنة الخاصة بالتنظيم الشعبي واستلفت نظر اللجنة ان الاعتمادات المرصدة للتنظيم الشعبي لا تتناسب والدور الكبير الملقى على عاتق التنظيم الشعبي في المعركة .

٢ ــ زيادة الاعتمادات المخصصة للتنظيم الشعبي من عشرة الاف دينار اردني الى مئة الف دينار اردني تؤمن من بند الاحتياطي لتمكين المنظمة من انشاء فروع اكثر لمكاتب التنظيم الشعبي ولمساعدة الاتحادات والتنظيمات القائمة .

٣ ــ العمل على صهر الحركات الفلسطينية في المنظمة .

٤ ــ يحث المجلس الدول العربية على تقديم التسهيلات اللازمة لتحقيق التنظيم الشعبي في اسرع وقت .

٥ – الاستفادة من فعاليات اعضاء المجلس وشيوخ القبائل والعشائر والممثلين الشعبيين في المخيمات في المراحل الاولى من التنظيم الشعبي .

٦ – توصي اللجنة بتشجيع الاتحادات المختلفة ضمن اطار التنظيم الشعبي والعمل الفلسطيني الشامل .

المجلس الوطني الثالث : وفي ايار (مايو) ١٩٦٦ انعقدت الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني في غزة من الاعضاء القدامى بشكل رئيسي اذ لم يجر انتخاب مجلس جديد حسب ما وعد رئيس المنظمة في الدورة السابقة . وشهد هذا المجلس عرضا عسكريا ومناورة بالذخيرة الحية قام بهما جيش التحرير الفلسطيني . وكان الشقيري قد ذكر في تقريره للمجلس ان الدول العربية لم تدفع المبالغ المترتبة عليها وانه لم يطرأ اي تقدم بالنسبة الى المرحلة الثانية من انشاء جيش التحرير الفلسطيني(١٣).

وهكذا تظهر ومنذ فترة مبكرة من حياة المنظمة انها واجهت مشاكل جسيمة وعقبات ضخمة ، فلا الجيش تقدم ولا الدول العربية وفت بالتزاماتها للمنظمة اضف الى ذلك ايضا علاقات المنظمة ذاتها مع الاحزاب والقوى الفلسطينية المتعددة التي لم تتقبل في البداية المنظمة بتشكيلها وبنيتها القائمين. فقد وقفت حركة القوميين العرب في وجهها كما وقفت الهيئة العربية العليا وان يكن ذلك لاسباب مختلفة(١٤).

وما كادت الدورة الثالثة للمجلس الوطني تنهي أعمالها حتى اشتدت الازمة بين المنظمة والنظام الاردني الذي انهى نشاطات المنظمة التي كانت تجري في الاردن في تلك الاثناء من اجل اجراء انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني القادم . وبدأت حملة واسعة ضد الفلسطينيين في الاردن . وبذلك لم تمر الامور كما كانت المنظمة تخطط وتحسب ، بل تكاثرت وزادت حدتها(١٥).

ويلاحظ ان الشقيري كان يبدأ في كل دورة للمجلس بابراز مسألة من المسائل يجري التركيز عليها وكأنها الشغل الشاغل . وقد يكون ذلك محاولة منه لتجنب اثارة المسائل الاساسية امام المجلس الوطني . ففي الدورة الثانية بدأ بالاستقالة احتجاجا حول تصريحات الحبيب بورقيبة الداعية للاعتراف بدولة اسرائيل وعلى عدم اتخاذ الحكومات العربية منه موقفا حازما . وفي الدورة الثالثة أعلن عن تسليح الصين الشعبية للمنظمة وعن أن وحدات فلسطينية يجري تدريبها في الصين . كما أعلن عن امكانية حصول اسرائيل على السلاح النووي وضرورة مواجهة الامر(١٦).

المرحلة الثانية

وتتابعت الاحداث الى ان وقعت حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ . فكانت هذه الحرب عاملا مساعدا على اشتداد عود الثورة الفلسطينية المسلحة . فهزيمة الجيوش العربية واستمرار ضربات الفدائيين ضد اسرائيل في المقابل ولدت للمقاومة دعما كبيرا بين الشعوب العربية وصارت من أبرز الحركات في الساحة العربية وذات وزن سياسي لا يمكن اغفاله بل لا بد من أخذه في الحسبان . ولذلك لم يعد بوسع المنظمة ان تسير وتستمر قائدة للشعب الفلسطيني بدون الطلائع المقاتلة لهذا الشعب . ذلك انه نتيجة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ سقط قطاع غزة والضفة الغربية في يد الاحتلال الاسرائيلي وفيهما جزء كبير من الشعب الفلسطيني . ومن نتائج ذلك على المنظمة انه لم يعد بامكانها عقد مجلس وطني فلسطيني موسع . وعلى الرغم من ذلك مرت فترة انتقالية دار الحديث خلالها عن ضرورة عقد المجلس الوطني الفلسطيني واضطر الشقيري الى الاستقالة من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ليحل محله يحي حموده ، الذي أجرى اتصالات مع مختلف المنظمات الفلسطينية من اجل اعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني . وطبيعي ان تبرز القوى المقاتلة في المجلس الجديد .

المجلس الوطني الرابع : دامت الدورة الرابعة للمجلس الوطني اللفسطيني من العاشر الى السابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٦٨ في القاهرة، وكانت نقطة بارزة في تاريخ العمل الفلسطيني . فقد ضم كل واحد من المجالس الوطنية السابقة أكثر من اربعمئة عضو ، بينما ضم المجلس في دورته هذه مئة عضو بينهم ممثلين عن جميع المنظمات الفلسطينية العاملة وعن جيش التحرير الفلسطيني ومن عدد من العاملين من ابناء فلسطين . وفيما يلي أسماء المنظمات التي مثلت في المجلس وشاركت في اعماله(١٧): ٣٨ ممثلا عن

المكتب الدائم للمنظمات الفلسطينية التالية : ١ — حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، ٢ — طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، ٣ — جبهة تحرير فلسطين (ج.ت.ف.) ، ٤ — الهيئة العاملة لدعم الثورة ، ٥ — جبهة ثوار فلسطين ، ٦ — جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية ، ٧ — منظمة الشباب الثوري الفلسطيني ، ٨ — منظمة طلائع الفداء . و ١٠ ممثلين عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تضم : ١ — شباب الثأر ، ٢ — ابطال العودة ، و٣ جبهة التحرير الفلسطينية ، و٢٠ ممثلا لجيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ، و ٣ عن الاتحادات الفلسطينية : ١ — الاتحاد العام لعمال فلسطين ، ٢ — والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، ٣ — الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.

ولاول مرة في تاريخ المجلس الوطني يكون رئيسه المنتخب غير رئيس اللجنة التنفيذية .

واستبدل المجلس في هذه الدورة كلمة «القومي» « بالوطني » من اسم الميثاق بحيث اصبح « الميثاق الوطني الفلسطيني » . وخفف التعديل من استعمال كلمة « قومية » واستبدل بعض المصطلحات « القومية » بمصطلحات « ثورية » . مثلا ، المادة التاسعة في الميثاق الاصلي تقول ان المذاهب العقائدية لا تشغل اهل فلسطين عن تحرير وطنهم كواجب أول ، بينما الميثاق المعدل يقول ان المرحلة التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين ، ولذلك فان التناقضات بين القوى الوطنية الفلسطينية هي من نوع التناقضات الثانوية التي يجب ان تتوقف لصالح التناقض الاساسي . وركز الميثاق المعدل ايضا على الكفاح المسلح والحرب الفدائية وابرزهما .

وهنا تجدر الملاحظة ان تعديل الميثاق هذا بحد ذاته يخالف من الناحية الاجرائية المادة (٣٣) من الميثاق الوطني الفلسطيني الذي يقول : « لا يعدل هذا الميثاق الا بأكثرية ثلثي مجموع المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية في **جلسة خاصة يدعى اليها من اجل هذا الغرض** . » وهو امر لم تجر مراعاته .

وقد حددت الدورة الرابعة للمجلس المنطلقات والمواقف الاساسية للنضال الفلسطيني بالتفصيل مستهدفة توجيه هذا النضال وتوحيده(١٨). وقد استطاع المجلس في هذه الدورة ان يحقق تلاقي جميع المنظمات الفلسطينية العاملة في رحابه ومشاركتها في جميع اعماله وموافقتها على مقرراته . وبالتحديد اقر المجلس ان الهدف هو تحرير فلسطين بكاملها وممارسة سيادة الشعب العربي الفلسطيني عليها وان لهذا الشعب الحق في أن يقيم لنفسه وعلى ارضه المجتمع الذي يرتضيه وان يقرر موقعه الطبيعي في الوحدة العربية . وأكد على الشخصية العربية الفلسطينية والوقوف في وجه اي محاولة لاذابتها او الوصاية عليها . واختار المجلس الكفاح المسلح اسلوب نضال لاسترداد الارض والحقوق الفلسطينية .

واقر المجلس ان الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العالمية ضد الاستعمار العالمي والامبريالية الاميركية بشكل خاص . وطلب الى الدول الاشتراكية والعالم الثالث وجميع حركات التحرر في العالم ادراك الاخطار المترتبة على الحركة الصهيونية وادواتها اسرائيل . واعلن وقوف الشعب الفلسطيني طرفا مع جميع حركات التحرر الوطني في العالم . وخص المجلس بالتقدير حكومة الصين الشعبية وشعبها لتأييدها للنضال الفلسطيني وعدائها الصريح لاسرائيل ورفضها الاعتراف بها او بشرعية اغتصابها ارض فلسطين.

وتبنى المجلس اسسا للاعلام ابرزها : ١ — عدم الدخول في منافسات اعلامية ، واعطاء صورة واقعية عن الحوادث والمعارك ، ودعوة الصحف ووسائل الاعلام العربية الى الانضباط فيما تكتب عن الكفاح الفلسطيني المسلح ، والابتعاد عن اساليب الاثارة والاحتراز من انتشار المعلومات التي قد تفيد العدو . ٢ — ايجاد ادارة تخطيط مركزي للاعلام تحدد الاساليب والمحتويات الاعلامية . ٣ — التيقظ للحرب الاعلامية التي يشنها العدو . وضرورة القيام بحملة اعلامية مركزة الى الاسرائيليين انفسهم خلال الاذاعات والصحف العالمية .

وفي المجال العسكري اقر المجلس ضرورة العمل على تدعيم جيش التحرير الفلسطيني وزيادة حجمه وتطويره وعلى ان يكون حر الارادة والقيادة . وكلفت اللجنة التنفيذية باتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لتحقيق ذلك . ودعا الى العمل على وفاء

دول جامعة الدول العربية بالالتزامات المترتبة عليها في ميزانية جيش التحرير وزيادة هذه الالتزامات . واقر ضرورة رصد الاعتمادات المالية اللازمة لتصعيد الكفاح المسلح وتطويره . وقال بضرورة تمكين قوات جيش التحرير الفلسطيني من المرابطة في الاماكن التي ينبغي ان ترابط فيها لصالح الثورة الفلسطينية . ودعا المجلس الى تشكيل قيادة عسكرية لقوات المنظمات الفدائية الممثلة في المجلس الوطني والى تطبيق نظام التجنيد الاجباري على الشعب الفلسطيني في مختلف الاقطار العربية .

واقر المجلس لذلك وضع الخطط اللازمة للاستفادة من طاقات المرأة الفلسطينية في الكفاح المسلح بما يتناسب وامكاناتها . واعتبر المجلس النظام السابق للتنظيم الشعبي لا يتناسب والظروف الحالية ولا يخدم هذه المرحلة من كفاحنا الوطني واقر استبداله بنظام اخر . واقر اعتماد اسلوب التنظيم الشعبي القائم على تنظيم القطاعات الشعبية نقابيا ومهنيا وباي شكل اخر.

وأقر ايضا المجلس ايفاد وفد او اكثر من اعضائه او من خارج المجلس لحث الحكومات العربية على الوفاء بالتزاماتها في ميزانية المنظمة والجيش . واقر المجلس ايضا توحيد الجباية المالية وتكليف اللجنة التنفيذية بوضع خطة لتنفيذ ذلك خلال فترة لا تتجاوز ستة شهور .

واجرى المجلس في دورته الرابعة بعض التعديلات على النظام الاساسي اهمها[١٩].

١ ــ تعديل المادة (٣٠) بحيث تصبح : « يحل المجلس الوطني المنعقد في القاهرة بتاريخ ١٠/٧/ ١٩٦٨ محل المجلس الوطني الانتقالي السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويمارس جميع الصلاحيات المنوطة به بمقتضى هذا النظام » . وعدلت المادة (٣١) بحيث « تكون مدة المجلس الوطني آنف الذكر سنتين ابتداء من ١٠/٧/١٩٦٨، واذا لم يتيسر اجراء انتخاب لاعضاء المجلس الذي سيخلفه ، يجتمع ويقرر اما تمديد مدته لفترة اخرى او ان يشكل مجلسا جديدا بالطريقة التي يقرها . واضاف المجلس المادة التالية الى النظام الاساسي: « يحق للمجلس الوطني ، وتعود له وحدة صلاحية ضم اعضاء جدد اليه من حين لاخر ، حسبما يرى ذلك ملائما ، وبحسب ما تمليه متطلبات معركة التحرير ومقتضيات تعميق الوحدة الوطنية ، في ضوء احكام الميثاق الوطني ، وذلك وفق نظام تتقدمه اللجنة التنفيذية في الدورة المقبلة » . وعدلت في المادة (٨) عبارة « مرة كل سنة » لتصبح « مرة كل ستة اشهر » . وفي المادة (٩) ايضا عدلت عبارة « امين عام » لتصبح « امين سر » واضيفت المادتان التاليتان :

١ ــ القدس هي مقر المجلس الوطني الفلسطيني.

٢ ــ اذا شغر مقعد او اكثر في المجلس الوطني لاي سبب من الاسباب ، يعين المجلس العضو او الاعضاء لملء المقاعد الشاغرة .

المجلس الوطني الخامس :

المجلس الوطني الخامس : في شباط (فبراير) ١٩٦٩ عقدت الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة وشارك في اعمالها ٣٣ من فتح ، ١٢ من الصاعقة ، ٤٣ من المستقلين ، بينما قاطعتها كل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقوات التحرير الشعبية . وفي هذه الدورة جرى انتخاب اللجنة التنفيذية انتخابا بينما كان يعينها الرئيس تعيينا في الدورات السابقة . وقد انتخب ياسر عرفات رئيسا للجنة التنفيذية لاول مرة في هذه الدورة . وقد تبنى هذا المجلس خطة العمل السابقة التي وضعها المجلس السابق ووافقت على تفرغ رئيس المجلس الوطني بحيث يكون مساويا من الناحية المادية لرئيس اللجنة التنفيذية .

المجلس الوطني السادس

انعقدت الدورة السادسة في الفترة ٧ ــ ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ في القاهرة . وضم المجلس في هذه الدورة ١١٢ عضوا يمثلون جميع المنظمات تقريبا باستثناء الهيئة العاملة لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي جرت معها محاولات لوقف مقاطعتها للمجلس . وأقر هذا المجلس اضافة ثمانية اعضاء يمثلون الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . كما اقر رفع عدد ممثلي الاتحاد العام لعمال فلسطين من ممثل واحد الى خمسة ممثلين ورفع عدد ممثلي الاتحاد العام لطلاب فلسطين من ممثل الى ثلاثة ممثلين . واقر ايضا زيادة تمثيل المرأة من واحدة الى اثنتين ، ووافق المجلس على اقتراح

جيش التحرير بأن يمثل الجيش بقائده فقط بـدلا من ستة اعضاء في الدورة السابقة انطلاقا مـن مبدأ ان الجيش مكانه القتال والتحرير وليـس السياسة . وقرر كذلك اضافة اربعـة اعضـاء مستقلين . واكد المجلس على مقررات المجلسين السابقين واعلن للمرة الاولى ان هدف الكفـاح الفلسطيني هو « التحريـر الشامـل والكامـل لفلسطين وانهاء الكيان الصهيوني فيها واعـادة الشعب الفلسطيني اليها **واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية** بعد التحرير بعيدة عن كـل انـواع التمييز العنصري والتعصب الديني » .

وبعد هذه الدورة اشتدت التحركـات وزادت المخططات المعادية للمقاومة الفلسطينية في الاردن بشكل خاص . ونتيجة لذلك كثفت مختلف فصائـل المقاومة الاتصالات فيما بينها بهدف تحقيق الوحدة الوطنية ، واصدرت بيانا في ١٩٧٠/٥/٦ في عمان من اهم ما جاء فيه([٢٠]) :

١ ـ اشتراك جميع فصائل المقاومة في المجلس الوطني القادم والمؤسسات المنبثقة عـن منظمة التحرير الفلسطينية ولا يصبـح موضوع هجـوم المنظمات في المجلس الوطني موضع بحـث بـين المنظمات الفدائية .

٢ ـ تشكل بقرار من المجلس الوطني لجنـة مركزية تشترك فيها جميع فصائل المقاومة لتمارس دورها القيادي في حركة المقاومة ، وتحل اللجنـة المركزية المنبثقة عن المجلس الوطني محل القيادة الموحدة الراهنة ، وتشكل اللجنة المركزية وفقـا لما اقره المجلس اللاحق من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وممثلا لكل منظمة من المنظمات الفدائية ورئيس المجلس الوطني الفلسطيني وقائد جيش التحرير الفلسطيني وثلاثا من المستقلين . وقد حمل البيان توقيع كل من حركـة التحريـر الوطني الفلسطيني (فتح) ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وجبهة التحريـر العربية ، ومنظمة فلسطين العربية ، وجبهـة النضال الشعبي الفلسطيني ، واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية لتحريـر فلسطـين (القيادة العامة) ، والهيئة العاملـة لتحريـر فلسطين ، والمنظمة الشعبية لتحرير فلسطـين ، وقوات التحرير الشعبية .

المجلس الوطني السابع : عقد المجلس الوطني دورته السابعة في القاهرة (٣٠ ايار (مايـو) ـ ٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠) واتخذ قـرارات مهمة اذ تبنى بيان ١٩٧٠/٥/٦ المذكور اعـلاه والصادر عن القيادة الموحدة التي تشكلت مـن سائر فصائل المقاومة اثر احداث ١٩٧٠/٢/١٠ بين المقاومة والسلطات الاردنية . كما وافق على تشكيل اللجنة المركزية كما هو مذكور اعلاه . ومن ابرز قراراته ايضا انشاء قيادة عسكرية واحـدة للثورة تتولى قيادة القوات التي توضـع تحـت تصرفها وتطويرها وتحريك وتوجيه عملياتها وتوحيد تدريبها .

وقد حدد المجلس المهمات التالية للجنة المركزية: ١ ـ معالجة المسائل الملحة بطريقة لا تتعـارض والميثاق الوطني ، ٢ ـ العمل على تحقيق صيغ اعمق واكثر تقدما للوحدة الوطنية ، ٣ ـ متابعة تنفيذ قرارات المجلس الوطني وقراراتها هـي ، ٤ ـ مناقشة المسائل المحالة اليها من اللجنـة التنفيذية او اي من اعضائها وتتخذ القـرارات اللازمة وفق النظام الداخلي الذي تقرره اللجنـة المركزية .

هذا وتقدم اللجنة المركزية الى المجلس الوطني في دورته العادية او الاستثنائية تقريرا عن اعمالها ومدى فعاليتها . ويحق لها تجميد او تعليق عضوية اي عضو او تنظيم او اتخاذ اي عقوبة بشأنه على ان يعرض الامر على المجلس الوطني في اول دورة لانعقاده ويكون قراره نهائيا في الامـر . ويحق للجنة كذلك اتخاذ الاجراءات الكفيلة بعدم قيـام اي تنظيم فدائي جديد .

وما ان انتهى المجلس الـوطني من دورتـه السابعة حتى تحركت السلطـة في الاردن لضرب المقاومة مما دعا اللجنة المركزية لعقد اجتمـاع طارىء اصدرت في اعقابه بيانا دعت فيه المجلـس الوطني الفلسطيني لعقد دورة استثنائية في عمان لبحث الموقف واتخاذ القرارات المناسبة لحمايـة الثورة . وعقدت الـدورة في اب (اغسطس) ١٩٧٠ . واعلن المجلس رفضه للحلول المقترحـة ولمشروع روجرز ولقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢. وكلف المجلس اللجنة المركزية بتشكيل هيئة قيادية شعبية عربية تمثل تحرك الشعب العربي وتقوده

في نضاله ضد « الامبريالية والصهيونية والعملاء». وعهد المجلس الى لجنة مشتركة من اللجنة المركزية ومركز التخطيط لوضع الصيغة التفصيلية لمواجهة جميع الاحتمالات الناشئة عن الوضع الراهن .

احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وانعكاساتها :

يشكل الاردن ساحة اساسية وقاعدة لا غنى عنها بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، وذلك لسببين رئيسيين : ١ — للاردن اطول حدود مع اسرائيل يبلغ طولها نحو ٦٥٠ كيلو مترا فيها مواقع استراتيجية مهمة للعمليات الفدائية القتالية . ٢ — الوضع الديمغرافي للاردن حيث يشكل الفلسطينيون اكثر من نصف سكان البلاد موزعين في جميع المناطق المدينية والريفية . ويمكن ان يضاف سبب ثالث هو العلاقة الخاصة التي نشأت وتطورت بين الشعبين الفلسطيني والاردني اثر الحاق الضفة الغربية بالملكة الاردنية الهاشمية. وهذه الاسباب تحكم بالضرورة مواقف الحكومة الاردنية وحركة المقاومة الفلسطينية على السواء. وقد تميزت العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية منذ نشأتها وبين النظام الاردني بأزمات وتوترات شديدة لان النظام الاردني الرجعي يجري في نجاحات حركة المقاومة بقيادة منظمة التحرير والتفاف الجماهير حولها خطرا يهدد نفوذه ومصالحه المرتبطة بمصالح الاستعمار والامبريالية. وهكذا حاول النظام الاردني دوما تصفية الحركة الفلسطينية . وبلغت محاولاته اشدها في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حين حصل الصدام الدامي الكبير بين قوات السلطة الاردنية وقوات الثورة الفلسطينية .

ونتيجة لمحاولات التصفية في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وفي تموز (يوليو) ١٩٧١ فقدت حركة المقاومة اهم قاعدة لها في منطقة الطوق وانتهى وجودها العسكري والعلني على الساحة الاردنية ولم تعد هناك صلة مباشرة ويومية بين الثورة الفلسطينية وجماهيرها . ومن جهة ثانية كانت تلك المحنة باهظة التكاليف بحيث تأثر عمل الكثير من دوائر المنظمة . وترتب نتيجة لذلك على حركة المقاومة ان تحاول العودة الى الاردن وفي الوقت ذاته تركيز قواها خارجه كي لا يتكرر ما حدث وتستمر مسيرة الثورة بقوة الى امام . ونتيجة لذلك ايضا وردا عليه ازدادت محاولات تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية وحققت انجازات مهمة برزت اثارها على المكتسبات السياسية التي انجزتها حركة المقاومة لاحقا .

المجلس الوطني الثامن : وخلال الفترة ١٩٧١/٢/٢٨ — ١٩٧١/٣/٥ عقد المجلس الوطني جلسته العادية الثامنة في القاهرة مستعرضا الاوضاع العامة للمسيرة الفلسطينية في مجالاتها السياسية والعسكرية والمالية والاعلامية . واتخذ قرارات لقيام الوحدة العسكرية لجميع قوى المقاومة تحت قيادة عسكرية واحدة على اساس وحدة التنظيم والتدريب والتسليح والعمليات . واقر المجلس ان يكون الصندوق القومي الفلسطيني هو صندوق الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية وتوجد فيه جميع الشؤون المالية للنضال الفلسطيني . واتخذ قرارا بتشكيل مجلس وطني جديد من مئة وخمسين عضوا يختارون على اساس الكفاءات الثورية والنضالية والوطنية ومن ذوي الكفاءات الفكرية والاختصاص وتمثيل النقابات والاتحادات المهنية مع مراعاة التمثيل الجغرافي قدر الامكان . واكد المجلس رفضه فكرة قيام دولة فلسطينية .

وفي هذه الدورة دخل المجلس فائق وراد ممثل منظمة الانصار على اساس خاص كما دخله صبري جريس وحبيب قهوجي ومحمود درويش ممثلين عن عرب الداخل الذي بقوا منذ العام ١٩٤٨ ، وهي المرة الاولى التي يمثل فيها هؤلاء في المجلس الوطني .

المجلس الوطني التاسع : وفي تموز (يوليو) ١٩٧١ عقد المجلس الوطني دورته التاسعة في القاهرة . وفي هذا الوقت بدأت القوات الاردنية مهاجمة مواقع الثورة العسكرية في احراج جرش وعجلون بهدف اتمام العملية التي بلغت أشدها في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، مما زاد الدعوة الى الوحدة الوطنية قوة . وقد اشتركت في هذه الدورة جميع فصائل حركة المقاومة اذ حضر ممثلو الجبهة الشعبية الاثني عشر بينما كان حضورها في الدورتين السابقتين رمزيا اذ ارسلت ممثلا واحدا في كل مرة . وشهدت هذه الدورة ايضا زيادة تمثيل الاتحادات من ١٠ الى ٢٥ عضوا ، وهذا على ما يبدو نتيجة لتوجه الثورة الفلسطينية الى التركيز

على ان تلعب الاتحادات دورا أكثر فاعلية وأهمية في صفوف الفلسطينيين في المرحلة المقبلة بعد الانتكاسة العسكرية في الاردن . وركزت هذه الدورة على علاقات المقاومة بالنظام الاردني وعلى ضرورة التزام الاخير باتفاقية القاهرة وبروتوكول عمان . وقد الغيت اللجنة المركزية للمنظمة في هذه الدورة .

المجلس الوطني العاشر : عقدت الدورة العاشرة في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ في القاهرة وسبقها مؤتمر شعبي تألف من خمسمئة عضو يمثلون الفلسطينيين وممثلون عن الاحزاب والحركات الثورية في العالم العربي وذلك كرد على مشروع حسين بن طلال لاقامة المملكة العربية المتحدة . واتخذ المؤتمر قرارات عديدة تبناها جميعها المجلس الوطني في جلسة دامت يوما واحدا فقط. ومن هذه القرارات: رفض مشروع المملكة العربية المتحدة ، تعبئة وتنظيم القوى من أجل حرب شعبية طويلة الامد ، ودمج نضال الشعبين الفلسطيني والاردني في جبهة مشتركة . وفي مجال الوحدة الوطنية أقر المؤتمر توحيد جميع القوات المسلحة لجميع فصائل الثورة في مؤسسة عسكرية واحدة ، وتوحيد جميع مصادر الجباية وجميع مجالات الصرف توحيدا كاملا ضمن الصندوق القومي الفلسطيني ، وتوحيدأجهزة الاعلام ووسائله في جهاز مركزي واحد ووسائل موحدة ، وتوحيد جميع أجهزة العلاقات الخارجية لمختلف المنظمات على ان يستمر تشكيل الهيئات القيادية لمنظمة التحرير على أسس جبهوية . وأقر المجلس توسيع عضويته وتشكيل لجنة من اثنين وعشرين عضوا لمتابعة موضوع الوحدة الوطنية . وقد بدأت الوحدة الاعلامية ووحدة الجباية فور انتهاء المؤتمر . كما شكلت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ « الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية » مؤلفة من الاحزاب والحركات الوطنية والتقدمية في العالم العربي بهدف ربط النضال الفلسطيني بالنضال العربي . وهنا لا بد من الاشارة الى ان لجنة المتابعة من أجل الوحدة الوطنية لم تنجح في مهمتها وانما حققت بعض التقدم على الصعيد الاعلامي(٢١).

المجلس الوطني الحادي عشر : اتسعت عضوية المجلس الوطني الحادي عشر الذي عقد في القاهرة في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ بحيث ضم مئة وثمانين عضوا بينهم الامين العام للحزب الشيوعي الاردني . وقد حضر الدورة ١٤٣ عضوا . وأكد المجلس على الوحدة الوطنية ودعا الى الالتزام بالوحدة الاعلامية وبصدور جميع النشاطات والعمليات باسم القيادة العامة للثورة . وتقرر تشكيل مجلس عسكري أعلى يمثل جميع فصائل المقاومة والكفاءات العسكرية الفلسطينية وتشكيل قيادة عسكرية واحدة في مختلف ساحات العمل الفلسطيني . ويكون رئيس هذا المجلس العسكري هو رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة ويتكون من مسؤول الدائرة العسكرية في المنظمة ومن مندوب عن كل فصيل . وتكون جميع القوات المسلحة تحت امرة هذا المجلس وله الصلاحية الكاملة في تحريك هذه القوات من خلال قيادتها. وأقر المجلس الوطني ضرورة اشتراك جيش التحرير في المجلس العسكري الاعلى والا يتصرف كفصيل سياسي بل كمؤسسة عسكرية . ومن جهة ثانية تقرر تأليف مجلس مركزي مؤلف من ١٩-٢١ عضوا يكون صلة الوصل بين المجلس الوطني واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. ويجتمع هذا المجلس مرة كل ثلاثة شهور ومهمته المتابعة والمراقبة والمساهمة في تنفيذ قرارات المجلس الوطني . ويرأس هذا المجلس رئيس المجلس الوطني . وقد ضم المجلس المركزي ٤ من فتح و ٢ من الصاعقة و ٢ من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و ٢ من الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين و ٢ من جبهة التحرير العربية و ٦ من الاتحادات الفلسطينية و ٥ من المستقلين(٢٢).

المرحلة الثالثة

لم توقف المقاومة الفلسطينية عملياتها العسكرية ضد قوات الاحتلال بل استمرت بها وصعدتها رغم كل ما اعترضها من عقبات على أكثر من صعيد . وقد تميزت الفترة بين حزيران (يونيو) ١٩٦٧ - تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بالمساعي السلمية والحلول المقترحة . ومع ذلك كانت قوات الثورة الفلسطينية تزيد من ضرباتها ضد المواقع الاسرائيلية حتى بدا وكأن الصراع لا يعني الا طرفين هما المقاومة الفلسطينية واسرائيل . واصبح العالم كله تقريبا مسرحا للعمليات والعمليات المضادة بين الطرفين . وركزت العسكرية الاسرائيلية

والدعاية الاسرائيلية على حركة المقاومة الفلسطينية . أما بالنسبة لانظمة الحكم العربية المعنية فقد ساد تلك الفترة ما وصف مرارا بأنه حالة اللاحرب واللاسلم . ولكن جرت في الوقت نفسه استعدادات عسكرية مهمة عربية واسرائيلية.

وفجأة وقعت حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . ولكن حركة المقاومة الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية كانت مستعدة طبيعيا للقتال بسبب استمرار نضالها بكل قوة . وظهر يوم القتال أصدر ياسر عرفات ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ورئيس اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية ، نداء الى جميع المقاتلين داخل الوطن المحتل وخارجه جاء فيه : « ان المزيد من الضربات لخطوط مواصلات العدو ومراكز تجمعاته ومرافقه الحيوية داخل الارض المحتلة وحدودها أمر هام وحاسم خصوصا وانكم تقومون الان بدور الجندي المجهول بكل عظمته الذي يقاتل بصمت ويستشهد بصمت من أجل شعبه وأمته »(٢٣).

وقد تشكلت القوات الفلسطينية المقاتلة في حرب تشرين الاول (اكتوبر) من كوادر الثورة ومناضليها في داخل الارض المحتلة ومن قوات الثورة وتشكيلاتها العسكرية خارج الارض المحتلة وهي فصائل المقاومة وجيش التحرير الفلسطيني . وقد قاتلت هذه القوات وفقا لظروف الجبهات . والى جانب ذلك سخر الاعلام الفلسطيني وسائله في خدمة الحرب طوال نشوبها*. وبعد وقف اطلاق النار بناء على قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ في ٢٢/١٠/١٩٧٣ عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعا طارئا اصدرت في اعقابه بيانا جاء فيه : « ان اللجنة التنفيذية تعلن لشعبنا الفلسطيني والجماهير العربية والقوى الصديقة لنضال شعبنا في العالم ان الثورة الفلسطينية التي انطلقت منذ بداية عام ١٩٦٥ ليست معنية بهذا القرار وهي تؤكد انها ستتابع الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني من أجل تحرير الوطن وحق شعبنا في تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه ... »(٢٤).

وبعد قبول مصر وسورية لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ بدأت الدبلوماسية العربية وخاصة المصرية تعمل بنشاط متزايد في سبيل عقد مؤتمر سلام واجراء تسوية شاملة ونهائية لقضية الشرق الاوسط . وقيل ان مشروع وقف اطلاق النار يتضمن اتفاق الدولتين الكبريين على الخطوط العريضة لتسوية تشمل قضية الشعب الفلسطيني عن طريق انشاء دولة فلسطينية مستقلة من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس العربية(٢٥).

وهكذا نشأ وضع سياسي جديد حرج وجدت المقاومة الفلسطينية نفسها فيه فراحت تجري الاتصالات والمشاورات الواسعة ضمن فصائلها ومع الدول العربية والاتحاد السوفياتي في محاولة للخروج بموقف واضح ومحدد . ولم يصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية بيان رسمي حول الموقف من مؤتمر السلام .

ولا بد ان نلاحظ في هذا الوضع السياسي الجديد ان منظمة التحرير الفلسطينية ، قائدة النضال الفلسطيني ، طرف فاعل ومؤثر في هذا الوضع ولكنها ليست الطرف الفاعل والمؤثر الوحيد . ولذلك لا بد لها من ان تناضل في هذه الظروف الحرجة لانجاز أكبر قدر ممكن من الانجازات دون ان يكون ذلك على حساب الهدف الاستراتيجي للثورة مع ضمان استمرار الكفاح المسلح . وهذا هو الطريق الذي تسير فيه منظمة التحرير الفلسطينية . ولذلك من الضروري الحفاظ على الوحدة الوطنية أكثر من أي وقت مضى من أجل ان تصب الجهود جميعها في صالح الثورة .

المجلس الوطني الثاني عشر : وهكذا انعقدت الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الفترة ١ — ٨/٦/١٩٧٤ في ضوء التطورات السياسية والعسكرية التي حدثت في المنطقة العربية . وصدر عن المجلس بيان سياسي مرحلي جاء فيه*: ١ — رفض قرار مجلس الامن ٢٤٢ . ٢ — قيام السلطة الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الارض الفلسطينية يتم تحريره . ٣ — النضال ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه الاعتراف والصلح والحدود الامنة لاسرائيل والتنازل عن الحق الوطني وحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه في العودة وحقه في تقرير

* لمزيد من التفاصيل راجع : **الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : وقائع وتفاعلات** ، ١٩٧٤، مركز الأبحاث ، بيروت .

* وهو المعروف ببرنامج النقاط العشر .

مصيره فوق ترابه الوطني . ٤ — ان أية خطوة تحريرية تتم هي حلقة لمتابعة تحقيق استراتيجية منظمة التحرير في اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية . ٥ — النضال لاقامة جبهة وطنية اردنية — فلسطينية هدفها حكم وطني ديمقراطي في الاردن يتلاحم مع الكيان الفلسطيني الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال . ٦ — اقامة وحدة نضالية بين الشعبين وبين كافة قوى حركة التحرر العربي المتفقة حول هذا البرنامج . ٧ — تعزيز الوحدة الوطنية والارتقاء بهـا الى المستوى الذي يمكنها من القيام بواجباتها ومهماتها الوطنية والقومية . ٨— تناضل السلطة الوطنية بعد قيامها من أجل اتحاد اقطار المواجهة في سبيل استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني وكخطوة على طريق الوحدة العربية الشاملة . ٩ — تعزيز التضامن مع البلدان الاشتراكية كقوة التحرر والتقدم العالمية لاحباط كافة المخططات الصهيونية الرجعية الامبريالية . ١٠ — على ضوء هذا البرنامج تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم ويمكن من تحقيق هذه الاهداف . واتخذ المجلس قرارا بتوسيع عضوية اللجنة التنفيذية بحيث تضم ١٤ عضوا بينهم ثلاثة ممثلين عن الجبهة الوطنية في الضفة الغربية . واتفق على ان يعقد المجلس في حال حصول تطورات جديدة على الوضع . وهكذا فان المرحلة الراهنة دقيقة جدا وافضل رد عليها هو المزيد من الوحدة الوطنية والمزيد من الوعي للمتغيرات في هذا العالم بحيث نحافظ على مكتسباتنا ونحقق مزيدا منها دون تفريط بمصلحة الثورة على المدى البعيد .

بعد هذا العرض السريع لابرز معالم المسيرة الفلسطينية في السنوات العشر الاخيرة لا بد من الحديث بسرعة عن هيئات منظمة التحرير الفلسطينية وأجهزتها التي عملت ولا زالت تعمل في سبيل تحقيق أهداف الثورة وتنفيذ سياساتها والقرارات الصادرة عن قيادة الثورة . وهنا يجب ان أشير الى ان المحن والازمات التي مرت بها الثورة الفلسطينية أثرت كثيرا على عمل وتنظيم وفعالية هذه الهيئات والمؤسسات. وظروف الشعب الفلسطيني في الشتات جعلت مهمة منظمة التحرير الفلسطينية من أصعب المهمات . ورغم كل ذلك عملت الكثير وحققت نجاحات لا بأس بها .

اللجنة التنفيذية

هي السلطة التنفيذية العليا للمنظمة وهي دائمة الانعقاد واعضاؤها متفرغون للعمل وتتولى تنفيذ السياسة والبرامج والمخططات التي يقرها المجلس الوطني الفلسطيني وتكون مسؤولة أمامه مسؤولية تضامنية وفردية . وتتولى اللجنة التنفيذية تمثيل الشعب الفلسطيني والاشراف على تشكيلات المنظمة واصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم أعمال المنظمة على الا تتعارض مع الميثاق او النظام الاساسي ، وتنفيذ السياسة المالية للمنظمة واعداد ميزانيتها . وتباشر اللجنة عموما جميع مسؤوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني . وقد انشأت اللجنة عدة دوائر أهمها: الدائرة السياسية، الدائرة العسكرية ، الدائرة الاعلامية ، دائرة التنظيم الشعبي ، الصندوق القومي الفلسطيني ، دائرة شؤون الوطن المحتل ، دائرة الشؤون التربوية والثقافية . ولكل دائرة مدير عام والعدد اللازم من الموظفين . ويحدد اختصاص كل دائرة بنظام خاص تضعه اللجنة التنفيذية . وللجنة صلاحية انشاء أي دائرة جديدة ترى ضرورة لها . وتستمر اللجنة التنفيذية في ممارسة صلاحياتها واختصاصاتها ما دامت متمتعة بثقة المجلس الوطني الذي يحق له اعادة انتخابها اذ يتوجب عليها تقديم استقالتها للمجلس الوطني الجديد . ويتكون النصاب القانوني للجنة التنفيذية من ثلثي اعضائها وتتخذ قراراتها بأغلبية أصوات الاعضاء الحاضرين . وقد تراوح عدد أعضاء اللجنة التنفيذية بين ٩ — ١٥ عضوا . أما اللجنة الحالية فتتكون من ١٤ عضوا . وقد اضاف المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الرابعة (١٠— ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨) مادة اضافية الى النظام الاساسي فيما يتعلق باللجنة التنفيذية. وذكرت هذه المادة الجديدة انه اذا شغرت العضوية في اللجنة بين فترات انعقاد المجلس الوطني لاي سبب من الاسباب تملأ الحالات الشاغرة كما يلي : ١ — اذا كانت الحالات الشاغرة تقل عن الثلث يؤجل ملؤها الى اول انعقاد للمجلس الوطني . ٢ — أما اذا كانت تلك الحالات تساوي ثلث الاعضاء او أكثر يتم ملؤها من قبل المجلس الوطني في جلسة خاصة يدعى لها خلال مدة لا تتجاوز ثلاثين يوما . ٣ — واذا تعذر دعوة المجلس الى اجتماع غير عادي في حالة

القوة القاهرة تملأ الشواغر لاي من الحالتين السابقتين من قبل اللجنة التنفيذية ومكتب المجلس الوطني ومن يستطيع الحضور من اعضاء المجلس الوطني وذلك في مجلس مشترك يتم لهذا الغرض ويكون اختيار الاعضاء الجدد بأغلبية أصوات الحاضرين .

وهنا تجدر الاشارة الى ان اللجنة التنفيذية قبل دخول المنظمات الفدائية المجلس الوطني (قبل تموز (يوليو) ١٩٦٨) كانت تتميز بطغيان صلاحيات رئيسها وسلطته(٢٦). أما في المرحلة التالية فقد تغيرت الامور كثيرا بحيث صارت اللجنة التنفيذية تنتخب انتخابا بعد ان كان رئيسها فقط ينتخب ثم هو يعين بقية الاعضاء في اللجنة . وهذا تطور نوعي ملحوظ في العمل الفلسطيني . وصار في الفترة التالية مجال أكبر للحوار والمناقشة حيث أصبح المجلس الوطني واللجنة التنفيذية انعكاسا للقوى الفلسطينية وموازينها .

ومن الناحية العملية فان اللجنة التنفيذية هي التي تضع المشاريع والسياسات وتنفذها وينحصر دور المجلس الوطني بدور المناقش . ان السلطة الفعلية هي في يد اللجنة التنفيذية .

الصندوق القومي الفلسطيني : أنشىء الصندوق القومي الفلسطيني لتمويل منظمة التحرير الفلسطينية. والمجلس الوطني ينتخب رئيس مجلس ادارة الصندوق القومي من بين اعضائه ويعتبر عضوا في اللجنة التنفيذية . ويتألف مجلس ادارة الصندوق من أعضاء لا يقل عددهم عن احد عشر عضوا ، ويعينون بقرار من اللجنة التنفيذية . ومدة عضوية مجلس الادارة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بموافقة اللجنة التنفيذية. واعمال مجلس ادارة الصندوق هي تسلم جميع الموارد المختلفة ، وتمويل المنظمة وجميع أجهزتها وفق ميزانية سنوية تضعها اللجنة التنفيذية ويقرها المجلس الوطني . ومن مهامه ايضا تنمية موارد الصندوق بجميع الوسائل والامكانات المختلفة والاشراف على أوجه صرف النفقات التي تحتاجها دوائر المنظمة ومكاتبها وأجهزتها ومؤسساتها في جميع المجالات المدنية والعسكرية وتنظيم وسائل صرفها ومراقبتها وتدقيق مستنداتها . ومن مهام مجلس الادارة وضع نظام مالي خاص تنظم بموجبه عمليات سحب وصرف الاموال ضمن حدود الميزانية العامة . وله الحق في مراقبة صرف الاموال والمساعدات التي تقررها اللجنة التنفيذية ويقدمها الصندوق الى الهيئات والنوادي والجمعيات والمؤسسات والتحقق من صحة وسلامة صرفها على الاغراض التي قدمت من أجلها .

وتشكل الاستقطاعات من دخول الفلسطينيين العاملين في الدول العربية أبرز موارد الصندوق وهي نافذة في كل من العراق وسورية ومصر وليبيا والكويت وقطر وابو ظبي حيث يجري الاستقطاع اما تنفيذا لتشريعات او تطبيقا لقرارات وزارية صدرت بهذا الشأن . أما في السعودية والجزائر فالاستقطاع من دخول الفلسطينيين يجري بصورة منتظمةوتخصص حصيلته لغير الصندوق . وتعمل مكاتب المنظمة في الكويت وليبيا ومصر على تحصيل ضريبة التحرير من الفلسطينيين العاملين في القطاع الخاص على شكل التزام شهري يكتتب به التجار والملاكون وأرباب المهن الحرة وسائر الشركات والمؤسسات الاهلية . وتجدر الاشارة الى ان الحكومات العربية لا تسدد التزاماتها المتراكمة لصالح الصندوق القومي الفلسطيني ، ولا يخلو تقرير مالي في المجالس الوطنية المختلفة من الاشارة الى هذه الناحية .

الدائرة السياسية : هي من اول دوائر منظمة التحرير الفلسطينية ومهمتها الاشراف على مكاتب المنظمة في مختلف البلدان وحضور المؤتمرات الدولية، والعلاقات السياسية بين الدول والجهات الاخرى ومنظمة التحرير الفلسطينية . والواقع ان المراقب يلاحظ ان اللجنة التنفيذية تقوم عمليا بالكثير من المهمات التي يفترض ان تقوم بها الدائرة السياسية للمنظمة . ويبدو لذلك انها مجرد جهاز تنفيذي وان اللجنة التنفيذية هي التي تتخذ المبادرات مباشرة .

وتشرف الدائرة السياسية على جميع مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في العالم . وللمنظمة مكاتب في كل من غزة (أغلق بعد الاحتلال الاسرائيلي) والقاهرة وبيروت وبغداد ودمشق وطرابلس الغرب والجزائر والكويت وقطر والخرطوم وبلغراد ونيويورك وجنيف ولندن وبرلين الشرقية وبكين وبوخارست وصوفيا وغيرها . الا ان مسألة تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج هي مسألة معقدة للغاية . فهناك مكاتب تقوم بهذه المهمة في انحاء كثيرة من العالم تحت اسم غير اسم منظمة التحرير الفلسطينية . فهناك مكاتب حركة التحرير

الوطني الفلسطيني (فتح) وهناك مكاتب جامعة الدول العربية التي تضم ممثلين عن فلسطين .

وهناك هيئات مهمة تعمل تحت الدائرة السياسية في المنظمة مثل اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان . وهي هيئة ذات صلاحيات كافية وتمثل اللجنة التنفيذية ومقيمة بصورة دائمة في بيروت ، شكلت في ١٩٦٩/١١/١٠ وباشرت مهماتها بعد اسبوع من تشكيلها . وكان الهدف من متابعة تنفيذ اتفاق القاهرة ، الذي وقع بين لبنان والمقاومة في ١٩٦٩/١١/٣ ، فيما يتعلق باوضاع الفلسطينيين المقيمين في لبنان وفيما يتعلق بنشاط الفدائيين في جنوب لبنان. وقد الحق بها سرية من جيش التحرير الفلسطيني مع عدد من الضباط ليتولوا بالتعاون مع مسؤولي المنظمات الفدائية الاشراف على ادارة المخيمات وضبط استعمال السلاح . وقد شكلت الحكومة اللبنانية منذ البداية لجنة برئاسة وزير الداخلية وعضوية كبار مسؤولي الامن العام وقوى الامن وبعض كبار ضباط الجيش لتمثل الجانب اللبناني في الاجتماعات الاسبوعية في ممثلي اللجنة السياسية العليا بهدف وضع الصيغ التنفيذية والاطر التنفصيلية لبنود اتفاق القاهرة والى معالجة المشاكل الطارئة بين الفدائيين والسلطة ولتنظيم علاقة السلطة بالمخيمات الفلسطينية بصورة عامة . وتضم اللجنة الان : ١ ــ مجلس أعلى للميليشيا ، ٢ ــ لجنة فرعية لادارة شؤون المخيمات ، ٣ ــ لجنة فرعية للعلاقات الخارجية والمفاوضات مع السلطة .

دائرة الاعلام والتوجيه القومي : تتولى أمور الاعلام الفلسطيني وقد بذلت مساع كبيرة لتحقيق الوحدة الوطنية على الصعيد الاعلامي . وتشرف الدائرة على برامج اذاعية . واجرت ايضا اتصالات مع الجمعيات والمؤسسات العامة والصحافية لتزويدها بالمواد الاعلامية التي تصدر عن أجهزة الدائرة . ومن مهامها استقبال الوفود الاعلامية والسياسية من صحافيين وباحثين ومؤلفين ورجال دين وصانعي الرأي العام وموجهيه .

وقد ادارت الدائرة في المرحلة الاولى من حياة المنظمة اذاعة خاصة من القاهرة تكفلت المنظمة بتكاليفها للحكومة المصرية . كما أصدرت في غزة صحيفة « أخبار فلسطين » التي توقفت عن الصدور اثر حرب العام ١٩٦٧ .

وأبرز ما يجب الاشارة اليه في هذا المجال انشاء الاعلام الموحد في حزيران (يونيو) ١٩٧٢ . ويرئس مجلس الاعلام الموحد رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي في المنظمة . ويضم هذا المجلس ممثلا عن كل تنظيم يلتزم بالوحدة الوطنية ويمارسها ضمن منظمة التحرير الفلسطينية ، ويضم ايضا مديري مركزي الابحاث والتخطيط وأي كفاءات اعلامية فلسطينية او عربية لا يزيد عددها عن ثلاثة وبموافقة اللجنة التنفيذية .

وللاعلام الموحد وكالة انباء هي « وكالة الانباء الفلسطينية » (وفا) التي استطاعت ان تشد انتباه جميع وكالات الانباء والصحف والاذاعات في العالم بحيث انه لم يعد من صحيفة او اذاعة الا وتنقل اخبارها متخذة اياها المصدر الرسمي والاساسي ليس فقط لاخبار الثورة الفلسطينية وانما ايضا لاخبار الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وفي تجمعاته ومؤسساته ومنظماته الجماهيرية في الخارج .

ويصدر الاعلام الموحد مجلة « فلسطين الثورة »، المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وتطبع المجلة ٢٥٠٠٠ نسخة اسبوعيا توزعها على المقاتلين بدون مقابل ، وتباع في اسواق الدول العربية والاوروبية بسعر رمزي ترويجا للفكر الثوري وتعبئة للجماهير .

ويتبع للاعلام الموحد مؤسسة السينما الفلسطينية التي أنتجت العديد من الافلام حول الثورة الفلسطينية بمختلف جوانبها . وتوزع المؤسسة أفلامها في العالم.

ويتبع للاعلام الموحد كذلك فرقة الفنون الشعبية التي تضم نحو ثلاثين عضوا بين فني واداري . وقدمت الفرقة عددا من العروض الفولكلورية في عدد من البلدان العربية . ومع ذلك تعاني الفرقة من عجز مالي . وهناك ايضا الفرقة المسرحية الفلسطينية التي قدمت مسرحيتين .

وعني بالاعلام الموحد عناية خاصة بالاذاعة التي لا يمكن حجزها عن ان تصل الى حيث يراد لها ان تصل بين جماهير الشعب داخل الارض المحتلة وخارجها . ولقد وسع الاعلام الموحد من شبكة اذاعاته . فبالاضافة الى الاذاعة المركزية في القاهرة فان هناك عدة اذاعات في بغداد والجمهورية العربية اليمنية والجزائر وليبيا والسودان تبث في فترات مختلفة وبمدد زمنية متفاوتة لايصال صوت الثورة

الفلسطينية الى عموم الجماهير والمواطنين في كل مكان . وقد حققت الاذاعات تقدما مهما بحيث ان خدماتها أصبحت تتم بسرعة أكبر من السابق وبحيث انها أصبحت تواكب الحدث حين وقوعه بسبب وجود مكتب للاعلام الموحد يستطيع ان يتابع الحدث بصورة سريعة للغاية ، يسجله ويعلق عليه ويرسله فورا الى الاذاعات كي تذيعه على العالم.

دائرة شؤون الوطن المحتل : مهمتها متابعة الاحداث داخل الوطن المحتل وهذا يشمل التقارير عن اوضاع المواطنين في ظل الاحتلال واجراءات قوات الاحتلال تجاههم ومخططاته السياسية والاقتصادية والاستيطانية ومتابعة المقاومة للاحتلال ومخططاته . وخصصت الدائرة الاموال لدعم صمود الشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال من أجل منع نزوحه وتثبيت المواطنين بالارض .

ولقد كان دور هذه الدائرة ضئيلا بسبب عدم وجود جهاز قوي وفعال للعمل داخل الارض المحتلة في كل منظمة فلسطينية خصوصا القطاع الغربي في فتح . وهناك ايضا سبب آخر هو نقص الاموال المرصودة لهذه الدائرة . وان التركيز على العمل التنظيمي الاحادي عكس نفسه على عدم الاهتمام بهذه الدائرة الاهتمام الكافي .

دائرة الشؤون الثقافية والتربوية : مهمتها معالجة القضايا الثقافية والتعليمية للفلسطينيين في الاقطار العربية المختلفة . وتشترك الدائرة في اجتماعات واعمال اللجان والمؤتمرات التربوية والثقافية في اطار الجامعة العربية . وهي تقوم بتنظيم المنح والبعثات الدراسية التي تتقدم من الحكومات العربية والدول الصديقة لصالح أبناء فلسطين . وقد عنيت الدائرة بمسألة تعليم ابناء فلسطين في الكويت وحققت نجاحا ملحوظا .

وقد عملت الدائرة على تسهيل قبول طلاب الارض المحتلة في الجامعات العربية . وقد درست الدائرة فكرة انشاء جامعة فلسطينية في الارض المحتلة الا انها رأت من الافضل استبعاد الفكرة في الوقت الحاضر .

وقد شاركت الدائرة مشاركة كاملة في اعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وقد طرحت الدائرة عددا من المشروعات والبرامج التربوية والثقافية تخدم ابناء فلسطين وقضية فلسطين وذلك أمام المجلس التنفيذي والمؤتمر العام للمنظمة العربية وقد أقر المؤتمر العام في دورة كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ جميع المشروعات المطروحة وهي : ١ — اصدار دائرة معارف فلسطينية ، بالتعاون بين المنظمة العربية والدائرة وتساهم المنظمة العربية في هذا المشروع بمبلغ اربعين الف دولار خلال سنتي ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ . ٢ — دراسة مشروع انشاء مكتبة الطفل الفلسطيني والعربي ، وستتولى المنظمة العربية وضع الدراسة الفنية لهذا المشروع بالاستعانة بعدد من الخبراء والمختصين . ٣ — دراسة مشروع انشاء المسرح الوطني الفلسطيني ، وستتولى المنظمة وضع الدراسة الفنية لهذا المشروع بالاستعانة بعدد من الخبراء والفنيين المختصين . ٤ — دراسة مناهج التعليم والكتب المدرسية في فلسطين المحتلة . ٥ — دراسة الكتب المدرسية عن فلسطين . ٦ — دراسة مشروع اعداد افلام ثقافية عن فلسطين وقضيتها . ٧ — مشروع محو الامية لابناء فلسطين .

وأما الصعوبات والمشاكل التي تواجه الدائرة فهي : ١ — ميزانية الدائرة هي أقل ميزانية بالنسبة لجميع دوائر المنظمة . ٢ — جهاز الدائرة محدود جدا بسبب عدم وجود مخصصات مالية كافية . ٣ — الازدواجية في العمل وتشابك السلطات والصلاحيات . ويلاحظ ان المنظمات الفلسطينية العاملة ضمن منظمة التحرير تقوم بأعمال واتصالات هي من صلاحيات الدائرة .

الدائرة العسكرية : أقر المجلس الوطني في دورته الرابعة احداث هذه الدائرة التابعة للجنة التنفيذية بعد ان كانت مهماتها قد احيلت الى الجيش في السابق . وقد قامت الدائرة بتجهيز الجيش بالسلاح وتأمين المهمات والاليات بموجب عقود بين المنظمة والجهات المصدرة للسلاح . وقامت اللجنة بالتنسيق بين اللجنة التنفيذية وقيادة الجيش وقوات التحرير الشعبية وبين اللجنة التنفيذية وقيادة الكفاح المسلح .

وهي تشرف على قيادة الكفاح المسلح وتعنى بالشؤون العسكرية الفلسطينية . وأعمال هذه الدائرة هي من أعقد الاعمال . ومن المشاكل الدائمة التي واجهتها هي الوحدة العسكرية

لفصائل المقاومة وجيش التحرير الفلسطيني . ولم يكن في أي مرحلة من المراحل للمنظمة سيطرة تامة على جميع القطعات العسكرية الفلسطينية .

ويتألف جيش التحرير من :

١ ــ قوات الصاعقة (عين جالوت) في مصر .

٢ ــ لواء القادسية في العراق .

٣ ــ لواء حطين في سورية .

٤ ــ قوات التحرير الشعبية وهي القوات غير النظامية التابعة للجيش والتي انشئت لمجاراة الفصائل الفدائية ومشاركتها القتال ضد اسرائيل.

دائرة التنظيم الشعبي : ان مهام هذه الدائرة هي اعتماد اسلوب التنظيم الشعبي القائم على تنظيم القطاعات الشعبية نقابيا ومهنيا وبأي شكل آخر ، ومتابعة تنفيذ مخطط الاتحادات والتنظيمات الشعبية القائم منها والذي سوف يستجد . وتعمل الدائرة على تنظيم صفوف المهنة الواحدة وتأليف اللجان التي تخدم تعبئة جميع جهود ابناء الشعب الفلسطيني . وتعنى الدائرة بالامور الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وشكلت الدائرة المجلس الاعلى للاتحادات الفلسطينية الذي انيطت به المهام التالية : ١ ــ العمل على تنظيم جميع قطاعات الشعب الفلسطيني وتنظيم العلاقة فيما بينها . ٢ ــ رسم السياسة العامة للاتحادات وتنسيق جهودها وتحقيق ارتباطها بالكفاح المسلح وتنظيم العلاقات بالجماهير العربية وغير العربية والقيام بأعمال المساندة المادية والطبية والتربوية والاجتماعية والدعوة للثورة . ٣ ــ حسم ما ينشأ من خلاف بين الاتحادات الاعضاء في المجلس .

وتلتزم الاتحادات بتوجيهات المجلس وبالسياسة العامة التي يضعها . ويكون مقر المجلس حيث تكون اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. ومن مهام دائرة التنظيم الشعبي ايضا تشكيل مجالس شعبية في المخيمات والتجمعات الفلسطينية، والمساهمة مع الامانات العامة للاتحادات الفلسطينية في رسم السياسة لنشاط الاتحادات وتنسيق جهودها وتحقيق ارتباطها بالكفاح المسلح، وتسهم الدائرة في تنظيم العلاقات مع الجماهير العربية والرأي العام الدولي لضمان مساعداتها المادية والمعنوية . وقد قامت الدائرة بنشاطات عديدة كما قامت بالتعاون مع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية بارسال ثلاث دورات للاتحاد السوفياتي للتمريض والتعليم الجامعي والكوموسمول .

وأبرز الاتحادات في المجلس الاعلى للاتحادات الفلسطينية(٢٧): الاتحاد العام لعمال فلسطين ، ولطلبة فلسطين ، وللمرأة الفلسطينية ، وللمعلمين الفلسطينيين ، وللفنانين ، وللاطباء والصيادلة الفلسطينيين ، وللمحامين والحقوقيين الفلسطينيين، وللكتاب الفلسطينيين ، والصحافيين ، وللمهندسين الفلسطينيين .

أما أهم مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية التي تتمتع بدرجة من الاستقلالية فهي : الهلال الاحمر الفلسطيني ، مركز الابحاث ، ومركز التخطيط . ويجد القارىء في نواح مختلفة من هذا العدد الخاص من شؤون فلسطينية بحثا عن كل من هذه المؤسسات الثلاث وعن نشاطاتها بحيث لا نجد ضرورة للتوسع في الكلام عنها في هذا المقال .

---

١ ــ أنظر تقارير المندوب العام لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للامم المتحدة .

٢ ــ الجامعة الاميركية في بيروت، دائرة الدراسات السياسية والادارية العامة ، **الوثائق العربية ١٩٦٤** ، بيروت ، الوثيقة رقم ١٨ ، ص ١٤ .

٣ ــ أنظر : أ ــ منظمة التحرير الفلسطينية : المؤتمر الفلسطيني الاول ٢٨/٥/١٩٦٤ ــ ٢/٦/١٩٦٤ . (لا توجد معلومات اضافية)، النسخة موجودة في قسم الوثائق في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية) ، ص ٤٣ــ٥٦ .

ب ــ وزارة الارشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، **ملف وثائق فلسطين** ، الجزء الثاني ، القاهرة ، الوثيقة رقم ٣١٥ ، ص ١٢٧٥ والوثيقة رقم ٣١٦ ، ص ١٢٨٧ ــ ١٢٩٠ .

٤ ــ **المصدر السابق (أ)** ، ص ٧٧ــ٨٥ .

٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٧ــ١٢ .

٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٥ .

٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٩ .

٨ — أنظر : المواد التالية من الميثاق القومي الفلسطيني : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

٩ — أنظر : **النظام الاساسي** ، المادتان ٣ و٤ .

١٠ — أنظر : منظمة التحرير الفلسطينية ، مكتب دمشق ، **نظام انتخاب المجلس الوطني الفلسطيني** ، دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ٥—٢٣ .

١١ — أنظر : **النظام الاساسي** ، المواد ٥—١٢.

١٢ — منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، **المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الثاني** ، قسم الملفات ، مركز الابحاث ، بيروت .

١٣ — صحيفة **النهار اللبنانية** ، ١٩٦٦/٥/٢٥ .

١٤ — راجع ملف منظمة التحرير الفلسطينية حول تلك الفترة في مركز الابحاث ، بيروت .

١٥ — **المصدر نفسه** .

١٦ — راجع ملف المجلس الوطني في مركز الابحاث ، بيروت .

١٧ — منظمة التحرير الفلسطينية ، **المجلس الوطني المنعقد في القاهرة من ١٠ — ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨** ، موجود في قسم الوثائق بمركز الابحاث ، بيروت .

١٨ — **المصدر السابق** .

١٩ — **المصدر السابق** .

٢٠ — راجع ملف المجلس الوطني في قسم الملفات في مركز الابحاث ، بيروت .

٢١ — أنظر **البلاغ** اللبنانية ، ١٩٧٣/١/١ .

٢٢ — **الدستور** اللبنانية ، ٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٣ .

٢٣ — **فلسطين الثورة — الملحق اليومي** ، ١٩٧٣/١٠/٨ .

٢٤ — وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ، ١٩٧٣/١٠/٢٣ .

٢٥ — **النهـار** اللبنانية ، ١٩٧٣/١٠/٢٩ .

٢٦ — انظر : **المحرر** اللبنانية ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٥ . فيها حديث لعضو اللجنة التنفيذية آنذاك الدكتور فايز صايغ حول صلاحيات رئيس اللجنة وتجاوزاته .

٢٧ — من أجل الحصول على معلومات أساسية عن أهم الاتحادات ، أنظر : يوسف شحادة ، **الواقع الفلسطيني والحركة النقابية** ، مركز الابحاث ، بيروت ، ص ٦٣—١١١ .

تقريران

[١]

الثورة والطفل الفلسطيني

استطاع الطفل الفلسطيني ان « يكبر » في ظل سنوات النزوح والحياة البائسة التي عاشها ، ومواجهة الجوع والمرض وقسوة الطبيعة . انه يعيش واقعه بشكل حاد . وهو مضطر الى ذلك : يعاني ، يتألم ، يقتل ، يسير في الجنازات ، يتدرب على السلاح .. الخ ، وقد أصبح محاطا بجملة رموز وأشياء تشكل مع الخيال الطفلي الجامح ، عالم طفلنا الفلسطيني . فوجود الطفل الفلسطيني في بيوت من التنك الصدىء ، وأزقة مترية ، وأكوام من القاذورات وبرك من الماء ، وملابس ممزقة ، جعلته « يكبر » ويقاتل على امتداد سنوات الاحتلال ، جعلته فتى الثورة وشبابها ورجلها في المستقبل .

وقد لاحظ الاسرائيليون بقلق ان الطفل الفلسطيني في الارض المحتلة يميل في لهوه الى أن يمثل العابا تحكي عن المعارك والبطولات . ولاحظ احد المراسلين العسكريين الاسرائيليين ان الصغار في غزة يشاكسون جنود الاحتلال بطريقة استفزازية وساخرة ،عندما يملأون أكفهم « بحبات الباذنجان » ويقذفونها على سياراتهم بنفس الطريقة التي يقذف بها الفدائيون بقنابلهم على جنود الاحتلال . او يحمل الاطفال في المخيمات قطعا خشبية بشكل بنادق بعضهم يختبىء في خندق ، والبعض الاخر بين البيوت التنكية في وضع استحكام ، البعض الاخر تسلق بعض الاشجار ، واخر برميل النفايات ، والجميع يموهون انفسهم ببعض فروع الاشجار ، وخارج المخيم ، هناك بعض الاطفال يمثلون دور افراد العدو ويحملون قطعا خشبية مختلفة ايضا ويتقدمون نحو المخيم . هكذا يلعب اطفالنا في المخيم ، وهكذا يكبرون ويقاتلون اعداءهم في معارك حزيران في غزة وخان يونس ورفح والقدس والخليل ونابلس وبيت لحم واللد ويافا والنقب .

ولكن الخطر الذي كان يهدد هذا الطفل ، هو محاولة اذابته وصهره في المجتمعات العربية ، وداخل الكيان الصهيوني ، وما كان هذا ليتم الا من خلال تشتيته ثقافيا وفكريا ووطنيا ...الى اخر ذلك من الوان الشتات .

ولقد روى لي أحد ابناء قرية بيت دراس ممن نزحوا في العام ١٩٤٨ الى مدينة رفح في قطاع غزة هذا المشهد قال : « اذكر في العام ١٩٥٢ ، ان مدرستنا كانت عبارة عن عدة خيم كبيرة ، وكنت أقطع مسافة طويلة مشيا على القدمين كي أصل اليها . ولم تكن في الخيمة بالطبع اية مقاعد ، كنا نجلس على الارض وكان المدرس يعلمنا كتابة الحروف على الرمل ، كانت الارض هي اللوح ، واصبع المدرس كان الطباشير . ولم يكن مدرسنا حينذاك يستخدم كتابا وانما كان يعتمد على ذاكرته وكثيرا ما كان يخرج عن الدرس الاساسي ليحكي لنا موضوعا مختلفا غالبا ما يكون عن فلسطين .. وكان لكل مدرس طريقة مختلفة وكل خيمة تختلف الحصص الدراسية فيها عن الاخرى .. »

ولا اعتقد ان الوضع التعليمي في المخيمات الفلسطينية الاخرى بعد النزوح مباشرة يختلف كثيرا عن المشهد السابق فمنذ العام ١٩٤٨ والشعب الفلسطيني يواجه شتاتا ثقافيا وتربويا نتيجة الشتات البشري وتوزعه الجغرافي في ارجاء البلاد العربية .

واذا كان بناء طفل واع مستنير ، يثقف نفسه وامته مسألة ملحة بالنسبة للامة العربية ككل ، فهو مسألة لا غنى عنها بتاتا بالنسبة للشعب

الفلسطيني وتحرير فلسطين . فالتحرير يتطلب جهود اجيال متتالية تمتلك كل الصفات . وهذه الصفات لا يمكن غرسها في نفوس الاطفال الا من خلال تقديم أفضل تربية ممكنة لهم ، تهدف الى تنمية شخصياتهم في كافة جوانبها . وبالتالي علينا ان نتوجه لتربية اطفالنا بشكل علمي ومدروس، لكي نحصل في النهاية على جيل مسؤول وقادر على التصدي للاستعمار المباشر وغير المباشر .

ومن اجل هذا الغرض ، قامت عدة مؤسسات منبثقة عن الثورة او مرتبطة بها . وسنستعرض هنا لمحة موجزة عن كل منها :

قسم التخطيط التربوي والاجتماعي

تم انشاء قسم التخطيط التربوي في تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٧١ ، وحدد القسم مهمته على النحو التالي « اعداد برنامج تربوي وتعليمي يضع حدا للتشتت الفكري والثقافي وفي تثوير اتجاه التربية والتعليم التي يتلقاها الطالب الفلسطيني ، واعتماد الاسلوب الثوري في خلق الجيل الفلسطيني الثوري الجديد المؤهل لتحمل مسؤولياته الوطنية والثورية على مدى المراحل القادمة في حياته » .

ولقد قام قسم التربية في مركز التخطيط بوضع كتيب صغير عن « فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني » وتواجه هذه الفلسفة واقع هذا الشعب ووجوده مشتتا في مجتمعات وبلدان متعددة مما يستلزم ان يتم التعليم في ظروف فريدة واستثنائية حيث لا توجد الاسس المادية لذلك وحيث هناك ضرورة لمعايشة ثقافات سائدة تمتلك الاسبقية والخبرة والسيادة .

ولقد وجد القسم ان المخيمات والتجمعات الفلسطينية تفتقر الى رياض اطفال ، حيث أن وكالة الغوث لا تستقبل الاطفال الا بعد بلوغهم السنة السادسة اي ابتداء من المرحلة الابتدائية . ونتيجة لذلك فان في لبنان حوالي ٧٥٠٠ طفل في عمر ٤ و٥ سنوات لا يلاقون العناية اللازمة بهم ، خاصة وان الاعباء اليومية الملقاة على عاتق الام لا تعطيها الوقت الكافي للاهتمام باولادها ، وحتى لو وجدت الوقت فانها تحتاج الى الكثير من التوجيه لتستطيع العناية بطفلها كما يجب . لذلك فان فكرة انشاء روضة او اكثر في كل مخيم ، يمكنها أن تحل مشكلة الام والطفل نسبيا حيث ان هذا المركز يمكن استخدامه كروضة اطفال صباحية وكمركز نشاط نسائي في فترة بعد الظهر . ويشمل هذا النشاط مشاريع محو امية ، تنمية ثقافية واجتماعية وصحية . ومن المستحسن ان توزع هذه المراكز في عدة اماكن من المخيم بدلا من حصرها في مكان او منطقة حتى يتسنى لاكبر عدد ممكن من الاطفال والنساء الاستفادة منه .

ولقد بدأت فكرة رياض الاطفال تلاقي اهتماما خاصا من قبل العديد من الجهات الفلسطينية بعد الادراك لدى اهمية السنين الاولى من عمر الطفل قبل التحاقه بالمدرسة . حيث ان اطفالنا هم جيل النضال الذي سيصنع التاريخ .

انعاش المخيم الفلسطيني(١)

تأسست جمعية انعاش المخيم الفلسطيني في شباط ١٩٦٩ ، على يد عدد من السيدات اللبنانيات والفلسطينيات اللواتي شعرن ان «واجب الاخوة والتضامن مع ابناء النازحين يفرض عليهن الانتقال الى داخل المخيمات لدرس حاجات أبنائها والمساهمة معهم ضمن امكانياتهن المحدودة في تنمية طاقاتهم الذاتية . وقد ركزت الجمعية جهودها منذ نشأتها على اكثر القطاعات حاجة للدعم والتضامن وانشأت الجمعية حديقة للاطفال قرب مخيم شاتيلا في عقار قدمته جمعية الكشاف المسلم بموافقة جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية يؤمها ٢٠٠ طفل تتراوح اعمارهم بين اربع وست سنوات . فجاءت هذه الحديقة محاولة اولى لانقاذ الاطفال في سن هو غاية في الحساسية لانه بداية تكوين الشخصية والعادات وحرصت الجمعية على أن يعيش الاطفال في جو منسجم في بيئتهم فاختارت لهم معلمات من المخيم نفسه لانهن اكثر ادراكا لعقلية الاطفال واكثر تحسسا بواقعهم من معلمات يجئن من الخارج . لانه من المهم جدا ان يكون معلمات رياض الاطفال من كوادر مسؤولة تلتحم مع الناس وتعيش واقعهم وتساهم في تفسير هذا الواقع وبالتالي تغييره . ان دور المعلمة يجب ان لا يكون وظيفيا بل نابعا من ايمانها بهذا العمل واهميته .

وكخطوة في هذا الطريق ،قام مركز التخطيط — قسم التربية — بتنظيم دورة تدريبية مكثفة لمعلمات رياض الاطفال في صيف ١٩٧٤ ، وهذه الرياض موزعة كالتالي(٢):

الرياض المتوفرة للسنة الدراسية ٧٤ — ١٩٧٥

المكان	عدد رياض الاطفال	عدد المعلمات
البرج الشمالي	١	٢
برج البراجنة	٢	٤
تل الزعتر	٢	٤
النهر البارد	١	٢
شاتيــلا	١	٨
بعلبــك	١	٤
عين الحلــوة	١	٢
الرشيدية	١	٢
اسعاد الطفولة	١	٤
المجمــوع	١١	٣٢

وقد عقدت الدورة التدريبية في مدرسة اسعاد الطفولة للاستفادة من الامكانيات المتوفرة هناك، ولمحاولة تقديم نموذج لما يمكن ان تكون عليه المدرسة . وكان للدورة ثلاثة اهداف : ١) تحضير المعلمة تربويا لتكون قادرة على معاملة الاطفال بالطرق التربوية الحديثة . ٢) تهيئة المعلمة سياسيا لتكون اكثر وعيا وادراكا لمسؤوليتها تجاه الاطفال حيث انهم الجيل الذي سيواصل النضال . ٣) تنمية المعلمة اجتماعيا وثقافيا لتكون أقدر على فهم احتياجات مخيمها وعلى المساهمة في ايجاد حلول للمشاكل التي تواجه الاهل في المخيم .

مؤسسة غسان كنفاني الثقافية

« نظمت المؤسسة من الخامس وحتى الخامس عشر من شهر ايلول ١٩٧٤ مخيمها التربوي للاطفال في احراج ضهر الرملة بالقرب من جزين . وقد ضم هذه السنة ٤٥ طفلا وطفلة تتراوح اعمارهم من ٩ — ١٢ سنة .

وأهداف هذا المخيم السنوي متعددة، فهو يهدف اولا وقبل كل شيء الى الاستفادة من فترة العطلة الصيفية في وضع اطفال الطبقة الكادحة والمخيمات في جو يساعد على توعيتهم قوميا وتطويرهم عقليا وجسديا . وذلك من خلال نشاط تربوي مكثف وفي جو ملائم ينتشلهم ، ولو لفترة قصيرة ، من محيط معيشي مترد فرض عليهم وعلى ذويهم فرضا .

فقد قام المسؤولون عن المخيم بتوفير بعض الامكانيات الضئيلة وتلقوا مساعدات وهبات لتأمين الحاجات اليومية للاطفال ، كما يهدف المخيم الى تثبيت الوعي الثوري في نفوس الجيل الصاعد لكي يكون ذخيرة الشعب العربي في كفاحه المصيري الطويل الشاق .

والنشاطات اليومية تبتدىء من التربية البدنية وتعليم أسس النظافة والقواعد الصحية ، وتتعداها الى النشاطات اليدوية من رسم واشغال والعاب رياضية . والنشاط التثقيفي المكون من محاضرات مرتبطة بوضعهم الطبقي والقومي . واعطي الاطفال مجالا في تكوين مواهبهم الفنية او العقلية بتشجيعهم على تقديم برامج منوعة من تمثيل ورقص وأناشيد ، كان يحضرها احيانا زوار المخيم . كما تم تأمين العناية الطبية للاطفال وتزويدهم بالغذاء الصحيح طوال فترة المخيم(٣).

وكان لنا لقاء مع آني(٤) — زوجة الشهيد غسان كنفاني ومن أسرة مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية حول افتتاح روضة جديدة في برج البراجنة . فقالت : ان المخيمات بحاجة الى روضات. وقد تقبل الاهالي هذه الفكرة بكل سرور. وسنعطي الافضلية للاولاد الذين تعمل امهاتهن ، وذلك لضيق المكان. اذ تتسع هذه الروضة لتسعين طفلا ، يداوم نصفهم في الصباح والنصف الاخر بعد الظهر . ولكن لهذه الروضة ميزة خاصة ، اذ أنها خصصت غرفة خاصة للاطفال المتخلفين عقليا، وتوجيه الاطفال ليتقبلوا رفاقهم هؤلاء . واضافت بأن هؤلاء الاطفال سيتعلمون كل شيء عن فلسطين ولكن من خلال الالعاب والاناشيد والاغاني ، وسنتبع طريقة الحوار والنقد لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تنمي شخصية الطفل .

مدرسة اسعاد الطفولة

تعتبر مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب انجازا فلسطينيا خالصا ، نفخر به ، فلقد ساهمت المدرسة في ايواء عدد كبير من الايتام ومن الاطفال المعرضين للخطر الجسمي والنفسي نتيجة مرض الوالد او الوالدة بالسل . ووجدت الثورة في هذه المؤسسة معينا اساسيا قادرا على استيعاب أبناء شهداء الثورة .

« وجاء هذا الاهتمام بمدرسة اسعاد الطفولة أثر تقييد السلطة الاردنية الرجعية نشاط مؤسسة الشؤون الاجتماعية التابعة لحركة فتح حيث لم يسمح بتوسيع مدرسة بيت المقدس في عمان ، كما جرت ملاحقة الاشبال ومنهم ابناء شهداء. وتعهدت حركة فتح بمساعدة المدرسة وتغطية العجز المادي السابق والتكاليف الاضافية ، من ثابتة ودورية . فتحت المدرسة ابوابها لايواء مئات من ابناء الشهداء والمشردين والاشبال »[٥]. كما قدمت جناحا خاصا للجرحى فجسدت المدرسة بعملها هذا حقيقة مهمة وهي اهمية النظر الى المستقبل وتهيئة مؤسسات قادرة على مواكبة الوحدات واستمرار الثورة .

واجتذبت المدرسة مؤخرا اهتمام القادة الفلسطينيين والعرب التقدميين عامة لانهم رأوا فيها بلورة تربية رائدة تعكس مفاهيم الثورة وارادتها بالنصر . وظهر من جانب المسؤولين من حركة فتح اهتمام كبير بتقييم المدرسة ووضع خطوط جديدة لها تحققت الامال المعقودة عليها . وشجعت الحركة مركز التخطيط الفلسطيني على القيام بتقييم شامل للمدرسة .

وجاء اهتمام مركز التخطيط بالمدرسة لكونها احدى المؤسسات التربوية الفلسطينية الصرفة والاكثر استقلالا تربويا . كما تقع المدرسة في دائرة عمله المباشر ، فيستطيع قسم التخطيط التربوي في المركز تقديم اقتراحاته وخدماته لتحقيق تجربة تربوية رائدة تنبع من مفاهيم فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الموضوعة من قبل المركز ، املا في تقييم كامل لهذه التجربة او بعض جوانبها في حال التوسع في تشييد مدارس لابناء الشهداء او مدارس للثورة عامة . وتغني ، تجربة مدرسة اسعاد الطفولة تصور تربية عربية فلسطينية ثورية .

نظرة احصائية عامة عن المدرسة[٦]: يوجد في مدرسة سوق الغرب ٤٣٩ تلميذا في قسم التعليم العادي و١٥ تلميذا في قسم التعليم المهني اي ما مجموعه ٤٥٤ تلميذا . اما عدد التلاميذ في القسم الداخلي فهو ٣٧٧ ويعمل في المدرسة ٨٤ شخصا بين اداري ومعلم ومشرف وعامل ويقيم منهم ٧٦ شخصا في المدرسة .

يشمل التعليم العادي او الاكاديمي ثلاث مراحل: الروضة والابتدائي والاعدادي او التكميلي . ويبين لنا جدول رقم (١) توزيع التلاميذ على الصفوف والشعب . ويتضح لنا من هذا الجدول ان القسم الاكبر من التلاميذ (٨٣ بالمائة) موجودون في المرحلة الابتدائية ومعظمهم في الصفوف الاربعة الاولى حيث يحتوي كل صف من هذه الصفوف على شعبتين . ونلاحظ من جهة اخرى ان مجموع عدد التلاميذ في المرحلة التكميلية هو ٣٥ تلميذا (اقل من النصف بقليل في الصف الاول تكميلي .)

جدول رقم (١)

توزيع التلاميذ حسب الصفوف والشعب والجنس
في السنة الدراسية ١٩٧٢/١٩٧٣

	ذكور	اناث	المجموع
الروضة	٢٤	١٥	٣٩
المرحلة الابتدائية :			
تمهيدي أ	١٨	١٧	٣٥
تمهيدي ب	١٩	١٣	٣٢
	٣٧	٣٠	٦٧
الاول أ	٢٦	١٧	٤٣
الاول ب	٢٢	٢١	٤٣
	٤٨	٣٨	٨٦

ثاني أ	١٩	١٨	٣٧
ثاني ب	١٨	١٧	٣٥
	٣٧	٣٥	٧٢
ثالث أ	١٣	١٧	٣٠
ثالث ب	١٤	١٦	٣٠
	٢٧	٣٣	٦٠
رابع	٢٩	١٤	٤٣
خامس	١٩	١٨	٣٧
المجموع	١٩٧	١٦٨	٣٦٥
المرحلة التكميلية :			
الاول	١٠	٦	١٦
الثاني	١	٥	٦
الثالث	٣	٥	٨
الرابع	١	٤	٥
المجموع	١٥	٢٠	٣٥
المجموع العـــام	٢٣٦	٢٠٣	٤٣٩

اضافة الى هؤلاء التلاميذ ، يوجد ١٥ تلميذة في القسم المهني حيث يتعلمن خلال دورة مدتهـا سنتان الخياطة والتطريز والتربية المنزلية ورعاية الطفل وثقافة عامة .

ابتداء من العام ١٩٧٠ تولت حركة فتح الممثلة بالشؤون الاجتماعية تمويل المدرسة حتى تتمكن من استيعاب ابناء الشهداء . وحتى ذلك التاريخ كانت المدرسة تضم ١٥٠ تلميذا ، معظمهم من الاناث من بينهم حوالي ٥٠ تلميذة وتلميذا لبنانيا . وكانت المدرسة تحت الاشراف التـام للاتحاد النسائـي الفلسطيني الذي شيد المدرسة . اضافـة الـى اليتامى وذوي الحالات الاجتماعية الخاصة مـن التلاميذ المرسلين من قبل الاتحاد النسائي .

٣ ـ وضع الطلاب الاجتماعي والجهات الموفدة:

يظهر لنا من الجدول التالي توزيع التلاميذ حسب الجهات الموفدة :

توزيع التلاميذ حسب الجهات الموفدة خـلال العام الدراسي ٧٢/٧٣

فتح ـ الشؤون الاجتماعية	٢٨١ تلميذا
(٩ منهم لبنانيون)	
الاتحاد النسائي الفلسطيني	٦٩
مديرية الانعاش الاجتماعي في لبنان	٥٤
الامام موسى الصدر	١٢
مديرية شؤون اللاجئين	٨
اولاد الموظفين	٢٤
يدفعون اقساطا	٦
المجمـــوع	٤٥٤

توزيع التلاميذ الداخليين حسب الجهة الموفـدة والوضع الاجتماعي
خلال السنة الدراسية ١٩٧٣/٧٢

ابناء او اخوة شهداء	١٧٢	١٢٨	٤٤
ابناء اسرى ومقاتلين	١١	٥	٦
حالات اجتماعية خاصة	٥٧	٣٣	٢٤
	٢٤٠	١٦٦	٧٤

نلاحظ من الجداول ان اكثرية ابناء الشهداء هم من الذكور وسبب ذلك وجود قسم من بنات أبناء الشهداء في مدرسة بيت المقدس في عمان .

أطفال بيت اسعاد الطفولة : لو خطوت خطوة واحدة داخل بناء مدرسة اسعاد الطفولة لوجدت لوحة زيتية تترجم كل ما بداخل هذه المدرسة : ندائي يحمل طفلا بيده ، والى جانبه شبل يحمل السلاح ، وفي الخلف تمتد خيام اللاجئين وبخط

كوفي واضح تقرأ على اللوحة نفسها مقطعا شهيرا من أناشيد العاصفة :

والطفل ان قتلوا أبوه/
واجب علينـــا نحضنــــه
والبيت باللـــي يهدموه/
واجب علينـــا نعمره .

تضم المدرسة سبعة أجنحة أطلق على كل جناح اسما لمدينة فلسطينية ، وأصبح يطلق على ساكنيه اسم شعب هذه المدينة . فهناك شعب نابلس ، وشعب طبريه والرمله والقدس وحيفا والناصرة.. وذلك ليبقى بين الطفل وبلاده علاقة يومية ، اذ يعيش معها في ما تعطيـه « فشعب نابلس » — طابق نابلس — يجني ثمر ما يزرع ، وهكـذا بالنسبة الى كل طابق .

كما ويشرف الهلال الاحمـر الفلسطيني علـى الاطفال ، ويزور مندوبـو الهلال الاحمر هـذه المدرسة مرة كل اسبوع .

واذا كان لي من كلمة أخيرة أقولها ، فهي ان المؤسسة كانت تضم — كما قلت — ١٥٠ طالبا فأصبحت بعد أن تسلمتها حركة فتح ، تضم حوالي ٥٠٠ طالب .

والى جانب الدروس والمطالعة ، هناك فرقة الكشاف ، وفرقة الرقص والتمثيل التـي مثلت المدرسة في الصيف الماضي في المانيا الشرقية . ويشهد النشاط الفني حاليا تطورا أساسيا نتيجة توسيع قاعـدة التدريب واضافـة الموسيقـى والكورال . وتستطيع مستقبلا هذه النشاطات رفع اسم المدرسة عاليا وخلق جو فني فلسطيني ثوري مستمر التطور .

وأستطيع القول ان هذه هي المدرسة الوحيدة التي تنفرد بتربية وطنية فلسطينية ثورية . فالطالب يعرف بلاده شبرا شبرا ويحبها ويعتز بها ، برغم بؤسـه .

دار الفتى العربي

بعد فترة عمل استغرقت عامين وجد عدد من الاختصاصيين الفلسطينيين من خبراء وأدباء بأن أكثر أنماط الادب حيوية وامتلاء بالصور الحسية الموحية للاطفال وأقواها جاذبية لهم ومتعة هو « القصة » .

فالقصة تستهوي الطفل في سن مبكرة جدا ، فهو يصغي الى أحاديث أمه وجدته منذ الثانية والنصف من عمره ، وتظل متعة الاستماع الى القصص نامية في نفســه حتى ما بعد مرحلـة المراهقة . « فالقصة « نمطا » كتابيا قادرا على نقل المعرفة التاريخية للاطفال ، كما انها اقدر ألوان الادب على توحيد الاتجاهات المرغوب فيها لديهم ، وترسيخ القيم المعنوية ، وذلك عن طريق استثارة مشاركتهم العاطفية للنماذج من السلوك الانساني العربي التي تقوم بتقديمها وللمـواقف الانسانية العربية التي تصورها »(٧).

هناك اذن مؤشرات تقود الى تحديد الخطوط العريضة لمكتبة الطفل العربي والطفل الفلسطيني خاصة ، سواء من ناحية الشكل ، او المضمون ، أو الفن . اذ لا يمكن ان نصور لهم عالما وهميا يعيشون في وهم الانتصار عليه بالصدفة ، كما هو سائد في كتب الاطفال في العالم العربي . وقد قمت بنفسي في قسم التربية في مركز التخطيط بدراسة حول اوضاع القصص الموجودة في الوطن العربي فوجدت ان مجموعة كبيرة من هذه القصص هي قصص أجنبية مترجمة تتعلق بالسحر والاساطير والبطولات الفردية والجن والعفاريت . كما تركز معظم هذه القصص على حياة افراد ومشاكل الافراد ومغامراتهم ، وهي نادرا ما تهتم بمشكلة جماعة أو شعب او مجتمع ما .

كما ان معظم هذه القصص تنزع الى تبسيط المشاكل التي يواجههـا الانسان واختصارهـا بمشكلتي الاثراء والزواج السعيد . وحتى هاتان المشكلتان تعالجان بشكل سطحي وسهل يجعـل الطفل يعتقد ان مشاكل الحيـاة تحل ببساطة وسهولة او بسحر او بقوة خارجة عن ارادته . كما تحتوي معظم هذه القصص على نزعة طبقية عميقة ، فهي تركز على أفضلية طبقة معينة مـن المجتمع ، وهي طبقة الملوك والامراء والنبـلاء والعائلات الكريمة .

ان هذه الافكار التي ترسخ الطبقية الاجتماعية ضارة بالاطفال ويجب محاربتها لانها افكار سلبية تؤدي الى احداث شعور بالنقص والعجز عنـد الاطفال الذين لا ينتمون الى الطبقات العليـا . الا ان هناك جزءا صغيرا من هذه القصص يحتوي عـلى افكار ايجابيـة وجيدة كالاهتمام بالفولكلور

الشعبي والوطن والارض والعمل الجماعي .

بعد فترة عمل استغرقت عامين ، قرر قسم التربية في مركز التخطيط بمساعدة الدكتور نبيل شعث مدير المركز ، والدكتور احسان عباس ، المستشار الادبي ، انشاء قسم خاص بالطفل العربي وبالطفل الفلسطيني خاصة ، بهدف المساهمة في انشاء دار لنشر كتب وقصص موجهة للاطفال وضمن اطار مبادىء « فلسفة التربية والتعليم للشعب العربي الفلسطيني » . ولقد قطع القسم شوطا جيدا في هذا المجال وتم انشاء **اول** دار في الوطن العربي متخصصة في نشر وتوزيع كتب وقصص وألعاب (وسلايدات) — عن تاريخ وجغرافية فلسطين .

وقد أنتجت « دار الفتى العربي » انتاجها الاول حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤ ، الذي ضم ستين كتابا وقصة من بينها خمس قصص ترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية ، بالاضافة الى اصدار الدار لاول أطلس اطفال في الوطن العربي (أطلس فلسطين).

ان هذا الانتاج من الدار — أول دار في المنطقة العربية متخصصة في نشر وتوزيع كتب اطفال وغيرها من الوسائل والالعاب التعليمية والتثقيفية يستحق وحده ان يكون موضوع حلقة بحث ودراسة يدعى اليها المعنيون بكتب الاطفال والخبراء التربويون والفنانون المتخصصون في جميع البلاد العربية وهو على ما اعتقد ما تعتزم الدار ان تدعو اليه قريبا .

بقي أن أقول ان الكثير من الخطط والمناهج والتجارب التعليمية والتربوية التي توضع للطفل الفلسطيني يصعب تحقيقها بسبب واقع الشتات الذي يعيشه الطفل الفلسطيني . ولا بد بعد ان تم الاعتراف عربيا وعالميا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، ان تتمكن من اداء رسالتها التربوية والتعليمية والتثقيفية والوطنية تجاه الطفل الفلسطيني في أماكن تجمعه .

نبيلة سلباق برير

---

١ — نشرة اعلامية خاصة ، تشرين الثاني ، ١٩٧٤ ، بيروت .

٢ — احصاء ورقة عمل في مركز التخطيط الفلسطيني ، ١٩٧٣ .

٣ — مجلة الهدف ، أيلول ٢١ ، ١٩٧٤ .

٤ — تسجيل خاص مع آني كنفاني ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

٥ — تقرير عن مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب — قسم التخطيط التربوي ، مركز التخطيط الفلسطيني ، ١٩٧٣/٣/٣١ .

٦ — المصدر السابق .

٧ — حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ .

[٢]

الهلال الاحمر الفلسطيني نظـرة في نشـاطـاته

مع تصاعد الكفاح الفلسطيني المسلح ، وازديـاد الجـرحى والمنكـوبين من مقاتلينا وشعبنا نشأت الحاجة الى ايجاد جهاز طبي يتولى العنايـة بهـؤلاء الجـرحى ويـرعى احوالهم الصحية · وفي مطلع العام ١٩٦٩ تأسست جمعية الهـلال الاحمـر الفلسطيني بهدف تقديم المساعـدة لضحايـا الحـرب المدنيين والعسكـريين · ثـم قـرر المجلس الوطني الفلسطيني ان يكون الهلال الاحمر الفلسطيني هو الجهة الطبية الفلسطينيـة التي تمثل منظمة التحرير الفلسطينية فـي مجال الخدمات الطبية ·

النظام الاساسي لجمعية الهـلال الاحمر الفلسطيني : بعد مضي اربع سنوات علـى تأسيس جمعية الهـلال الاحمـر الفلسطيني وضع اول نظام اساسـي لهـذه الجمعية يحتوي على ٤٤ مادة قسمت الـى ثـلاثة ابواب ، الباب الاول منهـا يحـدد تأليف الجمعية وشاراتها واهدافها ، والباب الثاني خصص لمعالجة الشؤون المالية للهـلال اما الباب الثالث فقد نص على شروط العضوية · ونستعرض فيها ابرز مـواد هـذا النظام الاساسي : حددت المادة الرابعة من الباب الاول علاقة الجمعيـة باتفاقـات جنيـف واعترفت بهذه الاتفاقات واعلنـت استعداد الجمعية لتنفيذها والتقيد بهـا حسـب نصوصها · اما المادة السادسـة في البـاب نفسه فقد حددت اهداف الجمعية ورسالتهـا على الوجه التالي : ١ ـ ان تقوم بالاستعداد في زمن السلم والعمل في زمن الحـرب على تقديم المساعدة للمدنيين والعسكريين وجميع المتضررين من الحرب · ٢ ـ تنظيم اعمال الاسعاف الطبي · ٣ ـ توفيـر الاسعافـات العاجلة والضـرورية لضحايـا الكـوارث والنكبات العامة · ٤ ـ النهوض بمهنـة التمريض واعداد هيئة تمريض للمستشفيات· ٥ ـ المساهمة في الخدمـات الاجتماعيـة والانسانية بما يتفق ورسالة الهلال · ٦ ـ المساهمة في تأمين وسائل الاسعاف الاولي في مكان الحوادث ونقل المرضى والمصابين الى مراكز الاسعاف · ٧ ـ توثيق الصلة وتبادل المعونة وبين مختلف جمعيات الهلال والصليب الاحمر الدولي · ونصت المادة السابعة من الباب الثاني على الاستقلال المالي والاداري للجمعية وحددت المادة الثامنـة مصـادر مالية الجمعية التي هي اشتراكات الاعضاء والتبرعات والهبات والوصايا والاوقاف وما يقرره المكتب التنفيـذي · امـا المؤسسـات الدستورية للجمعية فقد حددتها المواد ١٩ ـ ٤٤) علـى الشكل التالي : ١ ـالجمعيـة العمومية تتكون من جميع الاعضاء العاملين المسددين لاشتراكهم السنوي والذين مضـى على عضويتهم عام ميلادي كامل وهي اعلـى سلطة في الجمعية ممثلة في المؤتمر المنتخب من بين اعضائها · ٢ ـ المؤتمر : يتشكل مـن ممثلـي الاقاليم الذين تنتخبهم الجمعيـة العمومية بنسب يحددهـا النظام ، ويعتبـر المؤتمر اعلى سلطة في الجمعية · ٣ ـ المجلس الاداري : وهو اعلى سلطة في الجمعية فـي غياب المؤتمر ويضم اعضاء المكتب التنفيذي والكفاءات المرشحـة مـن المكتب التنفيـذي والمقرة مـن المجلس وامنـاء سر المجالس الادارية للفروع · ٤ ـالمكتب التنفيذي :هـو اعلى سلطة في الجمعية بغياب المجلس الاداري والمؤتمر · ويتكون هذا المكتب مـن تسعـة أعضاء ستة منهم ينتخبهم المؤتمر والثلاثـة الآخرون يختارهم الستة المنتخبون ·

نشاطات الهلال الاحمر المباشرة للشعب الفلسطيني والمقاتل الفلسطيني

الخدمات الطبية : تقوم هـذه الجمعيـة بتقديم الخدمات الطبية للشعب الفلسطينـي والمقاتل الفلسطيني عـن طـريق انشـاء المستشفيات والعيادات الشعبية وغيرها من أوجه النشاطات وبالنظر الى جغرافية مراكز

الهلال نرى انها تقسم الى قسمين :

١ ـ مستشفيات وعيادات ومراكز طبية على خطوط التماس مع العدو · وذلك لتقديم الخدمات الطبية للمقاتل الفلسطيني في اماكن وجوده وايضا تقديم الاسعافات الاولية اللازمة اثناء المعارك · والقيام بعمل العمليات الطارئة والمستعجلة بالنسبة لهذا المقاتل مثل مستشفى جمال عبد الناصر في خربة روحا جنوب لبنان · بالاضافة الى عدة عيادات حدودية مثل عيادة الرفيد وجويا ، وغيرها · هذا في لبنان ، أما في سوريا فان الخدمات الطبية العسكرية التابعة لقوات الثورة الفلسطينية مباشرة تقوم بتأمين الخدمات الطبية للمقاتل الفلسطيني في مكان وجوده وأثناء المعارك ·

٢ ـ أما القسم الثاني فهي المستشفيات والعيادات الطبية وغيرها في اماكن اقامة الشعب الفلسطيني وخصوصا بالمخيمات حيث نجد في كل مخيم من مخيماتنا في كل من سوريا ولبنان عيادة واحدة طبية وتقدم الجمعية خدماتها الى الشعب والمقاتل من خلال عدة اقسام مختلفة وهي : ١ ـ المستشفيات · ٢ ـ الوحدات الطبية · ٣ ـ العيادات الشعبية · ٤ ـ دور النقاهة ·

١ ـ **المستشفيات** : يبلغ عدد المستشفيات التابعة لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني سبع مستشفيات موزعة بين سوريا ولبنان ومصر ويشتمل كل مستشفى على ما يلي : غرفة عمليات ، قسم للاشعة ، مختبر ، عيادة خارجية ، غرفة استقبال الطوارىء ·

وهذه المستشفيات موزعة كما يلي : ١ ـ مستشفى القدس ـ بيروت ـ لبنان · ٢ ـ مستشفى حيفا ـ بيروت ـ لبنان · ٣ ـ مستشفى الجليل الاعلى ـ صور ـ لبنان · ٤ ـ مستشفى جمال عبد الناصر ـ خربة روحا ـ لبنان · ٥ ـ مستشفى غزة ـ صبرا ـ لبنان (يعمل فقط في حالة الطوارىء) · ٦ ـ مستشفى يافا الجراحي ـ دمشق ـ سوريا · ٧ ـ أفرد جناح من مستشفى القصر العيني بالقاهرة ليعمل تحت اشراف جمعية الهلال الاحمر ومستشفى فلسطين بالقاهرة افتتح في العام ١٩٧٣ ·

٢ ـ **الوحدات الطبية المجمعة** : وتشمل الاقسام التالية : ١ ـ قسم العيادة الخارجية ، ويشرف عليها طبيب باطني عام· ٢ ـ قسم عيادة الاسنان ، ويشرف عليها طبيب للاسنان · ٣ ـ قسم المختبر ، ويشرف عليه مساعد فني مختبر · ٤ ـ قسم الصيدلة ، ويشرف عليه مساعد صيدلي · ٥ ـ غرفة غيار وتضميد للجروح ، ويكون فيها ممرض قانوني وثلاثة أو اربعة من مساعدي المرضين · ٦ ـ قسم لتركيب الاسنان ·

والوحدات الطبية المجمعة موزعة بين لبنان وسوريا كما يلي :

١ ـ وحدة دير ياسين العلاجية ـ مخيم شاتيلا ـ لبنان ·

٢ ـ وحدة غزة العلاجية ـ منطقة صبرا ـ لبنان ·

٣ ـ وحدة اليرموك العلاجية ـ مخيم اليرموك ـ سوريا ·

٤ ـ وحدة القسطل العلاجية ـ درعا ـ سوريا ·

٣ ـ **العيادات الشعبية** : يبلغ عدد العيادات الشعبية التابعة لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني خمسا وعشرين عيادة تقريبا : موزعة بين سوريا ولبنان ومصر والسودان وتشتمل العيادة الشعبية على ما يلي : غرفة كشف للطبيب ، غرفة غيار ، وصيدلية ·

وتوزع هذه العيادات على كافة المخيمات الفلسطينية في كل من سوريا ولبنان بشكل خاص كما يوجد في بعض المخيمات اكثر من عيادة كما هو حاصل في مخيم شاتيلا حيث يوجد وحدة دير ياسين في مخيم شاتيلا ووحدة غزة العلاجية في منطقة صبرا وتعتبران في منطقة واحدة ·

اما بالنسبة لعمل العيادات الشعبية فبعضها يعمل طوال أيام الاسبوع وبعضها يعمل يومين أو ثلاثة بالاسبوع حسب الامكانات المتوفرة لدى الجمعية على ان

يكون هناك عيادة شعبية في كل مخيم من المخيمات الموجودة في سوريا ولبنان · وتبعا لذلك نرى أن عدد العيادات الشعبية في **لبنان** يبلغ خمس عشرة عيادة تستقبل في الشهر ١٨٩٤٠ حالة بين علاج وغيار . أما في **سوريا** فعدد العيادات فيها ثلاثة تستقبل في الشهر ٩٠٦٠ حالة بين علاج وغيار · وفي **مصر** يبلغ عدد العيادات فيها ثلاث (لا يوجد احصاء حول عدد المترددين عليها) · وفي **السودان** يوجد هناك عيادة واحدة تستقبل نحو ٥٠ حالة يوميا · اما من جهة الوصفات الطبية التي تصرف من صيدليات الهلال فتصرف لقاء رسم رمزي بمعدل ليرة لبنانية للوصفة في لبنان وليرة سورية في سوريا وما يعادلها في مصر ·

٤ ـ **دور النقاهة** : وهي تستقبل ذوي العاهات المستديمة الذين يحتاجون الى عناية خاصة ومراقبة طبية دائمة كما تستقبل المرضى بعد انتهاء علاجهم في المستشفيات · والغرض من انشاء دور النقاهة هو اعداد المرضى الذين يمرون في آخر اطوار العلاج للحياة الطبيعية · والمرضى هنا يتلقون ثلاثة أنواع من العلاج : العلاج الصحي والعلاج النفسي والعلاج الطبيعي ·

لذلك فان دور النقاهة تضم طبيبا نفسانيا بالاضافة الى طبيب الصحة العامة وقد انشئت دور النقاهة في الاماكن والمخيمات التالية : دار النقاهة في مخيم اليرموك (دمشق) ، دار النقاهة في مخيم درعا ، دار النقاهة التابعة لمستشفى حيفا (مخيم برج البراجنة ـ لبنان) دار النقاهة في القماطية (عالية ـ لبنان) اغلقت في عام ١٩٧٣ ، دار النقاهة في مخيم الرشيدية (صور) ·

احصائيات

نظرا لعدم امكان الحصول على احصائيات كاملة وكافية عن نشاط مراكز جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني وذلك لعدم استعمال التدوين للحالات التي ترد الى مراكز الهلال باستثناء مستشفى القدس في بيروت ولعدم ضبط الارقام في باقي المراكز فأننا نورد هنا ما حصلنا عليه من احصائيات على سبيل المثال لا الحصر ، وهي ارقام وردت في النشرات الشهرية التي تصدرها الجمعية :

اولا : الخدمات التي يقدمها مستشفى القدس

١ ـ قسم العمليات

نوع العملية	العدد في العام ١٩٧١	العدد في العام ١٩٧٢
جراحة القلب والاولية الدموية	٤٤	
جراحة الجهاز الهضمي	٣٢	
جراحة التجميل	٥٠	٧٠
جراحة المسالك البولية	١٢١	٨
الجراحة العامة	٢٢٩	٢١٠
جراحة العيون	٣٧	
جراحة العظم	٣١٠	١٤٧
جراحة الانف والاذن والحنجرة	٤٨	٨١
جراحة الجمجمة	٢	
جراحة الصدر	—	٢٥
المجموع	٧٦٢	٥٤١

٢ ـ **قسم الاشعة** : قام هذا القسم بتصوير ما مجموعه ٢٠٩٧ صورة شعاعية في العام ١٩٧١ و ٢٨١٨ صورة في العام ١٩٧٢ ، ويتقاضى القسم رسما بسيطا عن الحالات المدنية دعما لمالية الجمعية ·

٣ ـ **قسم المختبر** : يقوم هذا القسم بعمل مختلف التحاليل المخبرية ضمن امكاناته المتاحة · وفي العام ١٩٧١ قام القسم باجراء ٩٧٢٣ تحليلا تقع ضمن عشرة انواع من التحليلات ، اما ما يخرج عن نطاق امكانات القسم فيرسله الى المختبرات المدنية وخاصة مختبرات مستشفى الجامعة الاميركية التي تقوم بها دون مقابل · اما في العام ١٩٧٢ فقد اصبح القسم يقوم بـ ٢١

نوعا من التحليلات الطبية المختلفة وقـام في العام نفسه بأكثر من ١٥ ألف تحليـل • وبجانب ذلك فقد استقبل القسم في العـام ١٩٧١ ٢٢٦ متبرعا بالدم اما في العام ١٩٧٢ فقد استقبل١٠٧٦ متبرعا استهلك ما تبرعوا به من دعم داخل المستشفى نفسه •

٤ ـ **قسم الطوارىء** : في العـام ١٩٧٢ كان نشاط قسم الطـوارىء كمـا يلـي :

معاينات : ٤٩٧٢ حالة ، دخـول الـى المستشفى ٣٦٠ حالة دخـول تحت المراقبة ١٦٤ حالة • والمجموع ٥٤٩٦ حالة • امـا العيادات الخارجية فقد استقبلت في العـام ذاته ٢٤١٨ حالة •

ثانيا : العيادات : (١) فيما يلي بيـان بعدد العيادات والمترددين عليها في كـل من الاردن وسوريا ولبنان خلال العـام ١٩٧١ (مع ملاحظة ان الارقام المتعلقة بالاردن هي لغاية شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ حيث اقفلت السلطة الاردنية عيادات الهلال الاحمر الفلسطيني يوم ١٩٧١/٩/٩) •

القطر	عدد العيادات	عدد الحالات
الاردن	٣٠	٢٩٤١٨٢
سوريا	٦	١٨١٩٢٠
لبنـان	١٦	٢٢٣٩٥٢
المجموع	٥٢	٧٠٠٠٥٤

(٢) عيادات الاسنان خلال العام ١٩٧١

اسم العيادة	خلـع	معالجة وحشو	تركيب	عدد اجمالي
وحدة دير ياسين	٢١٤٦	٥٦١٦	٧٧٨	٨٦٤٠
وحدة الشهيد جمال	٥٦٥	١٣٢٠	ـ	١٨٨٥
مخيم اليرموك	١٤٤١	٤٥٠٧	٦٠٣	٦٥٥١
درعـا	١٥١٢	١٠٠٨	ـ	٢٥٢٠
الوحـدات	١٦٤٢	١٢٥٣	٢٥٠	٣٤١٥
المجمـوع				٢٥٠١١

الصحة الوقائية

تقوم جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني • بواجبها لتقديم خدماتها الصحية فـي هـذا المجال حيث ان الصحـة الوقائية هي مـن الضرورات الملحة والواجب القيام بها فـي مراكز تجمـع شعبنا او مقاتلينا • وتقوم الجمعية في حال انتشار اي وباء في العـالم العربي بالاتصالات اللازمـة مـع وزارات الصحة العربية لتأميـن الامصال والادوات اللازمة حيث يقوم العاملون بالهلال بالتطعيم ضد الاوبئة داخل التجمعات السكنية • وفي رأينا يجب على الهلال الاحمـر الفلسطيني القيام بمسح صحي كامل لجميع افراد الشعب الفلسطيني في المخيمات حيث توجـد بعض الاوبئة المنتشرة بين الاهالي ، بشكل مستمر مثل الجرب وغيره :

وبالفعل فقد قامت الجمعية بواجبها هذا• فقـد قامت خلال العام ١٩٧١ بحملـة تطعيم ضد الكوليرا في المعسكرات (المخيمات) وفي القطاعات العسكرية حيث تم تطعيم اكثر من عشرة الاف شخص ضد هذا المرض ويجـري حاليا الفحص الدوري للمقاتلين والقيام بما يلزم من اجراءات وقائية •

كمـا شاركت جمعية الهـلال الاحمر الفلسطيني في حملة التطعيم ضـد الجدري التي بدأت في شهر نيسان ١٩٧٢ فقد قامت بفتح مراكزها الطبية من مستشفيات وعيادات شعبية ومراكز اسعاف لتطعيم ابناء الشعب الفلسطيني والعربي على السـواء ومنحت

شهادات للتطعيم من وزارات الصحة العربية ·

الدورات التدريبية

بموجب المادة السادسة من النظام الاساسي لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني عن تنظيم اعمال الاسعاف الطبي والنهوض بمهنة التمريض والعمل على تدبير المرضين والمرضات وتدريبهم على اعمال المستشفيات والاخصائيين وغيرهم · قامت الجمعية منذ تأسيسها بعمل الدورات التدريبية من دورات اسعافات اولية ودورات تمريض · وكانت اول تجربة في هذا الميدان عام ١٩٦٩ حيث نظمت دورتا تدريب لاعمال الاسعاف الاولي بالاردن لعدد من الشباب والفتيات بلغ عدد الملتحقين بكل دورة واحدا وعشرين شخصا · اما على صعيد دورات التمريض فقد نظمت دورة لهذا الشأن ضمت نحو خمسة عشر شابا وفتاة وكانت مدة الدورة سنتين ، خرجوا عام ١٩٧٢ · والتحقوا للعمل بمراكز الجمعية · كذلك قامت الجمعية بارسال عدة دورات الى دول اجنبية فقد تم ارسال بعثة مكونة من حوالي عشرين فتاة الى بلغاريا لمدة ستة شهور والحقن جميعا بالعمل بمراكز الجمعية · وارسلت دورة اخرى لتدريب المرضات الى لندن · مؤلفة من عشر فتيات وذلك للتدرب هناك ·

نشاطات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني غير المباشرة

المقصود بهذا العنوان النشاط الذي تقوم بها الجمعية لتدعيم مركزها بين شعوب العالم العربي بشكل خاص والعالم الاجنبي بشكل عام · ومنذ تأسيسها وهي تقوم بكل الجهد الممكن لتحقيق هذا الهدف ونظرا لاهمية هذا الموضوع فقد ورد النص عليه في النظام الاساسي · فقد نصت المادة السادسة منه على توثيق الصلة وتبادل المعونة بينها وبين جمعيات الهلال والصليب الاحمر الدولي الاخرى وغيرها من الهيئات المماثلة · ومنذ عام التأسيس قامت الجمعية بمساعدة جمعيات الهلال الاحمر العربية باتصالات لاشراك الجمعية داخل هيئة الصليب الاحمر الدولية · وبتاريخ ١٩٦٩/١/٢٠ ، قبلت الجمعية كعضو مراقب في المؤتمر الاقليمي للصليب الاحمر الدولي · وقد اعترفت اللجنة الدولية للصليب الاحمر الدولي بالجمعية رسميا عندما ارسلت جمعية الصليب الدولي الى الهلال كتابا رسميا تطلب فيه من الجمعية السعي لدى الثورة الفلسطينية بالسماح لزيارة الاسير الاسرائيلي الذي اسر بمعركة المطلة ·

وتعتمد الجمعية لدعم مركزها بين الجمعيات الطبية في العالم على انشاء فروع للهلال الاحمر الفلسطيني في الدول العربية والاجنبية تمد المركز الام بالمساعدات المالية وبالمعونات والتجهيزات الطبية وكذلك بالاخصائيين في الحقول الطبية المختلفة · اما في البلاد التي لا يوجد للجمعية مراكز فيها فتقوم مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية ان وجدت بمهمات فروع الجمعية · وخصوصا في الدول الاشتراكية والدول الاسيوية والافريقية الصديقة · وهناك بعض الفروع التي لها صبغة خاصة في العمل · خصوصا فرع سويسرا حيث يوجد مكتب منظمة الصليب الاحمر الدولي فيناط بممثل الهلال هناك مهمة الاتصال باللجنة الدولية والرابطة الدولية لجمعية الصليب الاحمر الدولي بعد رجوعه للمكتب التنفيذي في كثير من القضايا المكلف بها · ومن ابرز مهمات هذا الفرع متابعة قضية الاعتراف بالجمعية من قبل الصليب الاحمر الدولي لتصبح عضوا عاملا · حيث انها حتى الان تعتبر عضوا مراقبا · كذلك هناك مهمة خاصة مناطة بهذا الفرع نظرا لقربه وسهولة الاتصال مع منظمة الصليب الاحمر الدولي لمتابعة قضايا اسرى الثورة الفلسطينية لدى الكيان الصهيوني ·

اما الدول التي للجمعية فروع ثابتة ودائمة فهي عشرة فروع في الدول العربية وتسعة فروع في الدول الاجنبية ·

فمراكزها في الدول العربية كما يلي : في لبنان لها مركز في كل من بيروت وصيدا ، وفي سوريا لها مركز في كل من دمشق

وحمص وحلب ، ولها مركز في كل من بغداد والجزائـــر وتونس والخرطــوم والكويت والدوحـــة ، امـــا في ليبيـا فلها مركـز في كل من طرابلس الغرب وبنغازي كذلك في مصر لها مركز في كـــل مـــن القاهـرة والاسكندرية ٠

اما في الدول الاجنبية فلها مركز في كل من ايطاليا وفرنســا وسويســرا والمانيـــا (فرانكفورت) والسويد وانجلترة والولايات المتحدة وكندا وبورتوريكو ٠

خسائر جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني خلال عام ١٩٧٠/ ١٩٧١ فـــي الاردن

منذ الحلقة الاولى مـــن سلسلة الارهاب الهاشمي ضد ثورتنا ، قامت اجهزة القمع الاردنيـة باعمال الاجرام فقـد قامت اجهزة الدولـة هناك باطلاق الرصاص على سيارات الاسعـاف في احداث حزيران ١٩٧٠ مما ادى الى استشهاد ثلاثة مـن العاملين ، اثنان منهم من سائقي سيارات الاسعاف ٠ كذلـك نشير الى حادثـة اقدام دورية مدرعـة من حرس الاذاعة الاردنية بالهجوم على سيارة اسعاف تنقـل الجرحى والاجهاز عليها وعلى السائق وعلى المرضى والمرافق لهـــم دون احترام لاشارة الهلال والصليب الاحمر ٠

وقد استمرت السلطة الهاشمية في تدمير منشآت الجمعية هناك في اثناء حوادث ايلول الاسود ودمرت المستشفيات التابعة للجمعية ونهبت محتوياتها ٠ وبعد ذلك اقدمت السلطة على اغلاق جميع مراكزها في الاردن فـــي ١٩٧١/٨/٩ ٠ وفيما يلي تقرير عن الخسائر التي حصلت ٠

١ ــ المستشفيات

أ ــ مستشفى الكرامة الجراحي بعمان : كان مجهزا تجهيزا كاملا ويحتوي على غرفة عمليات وقسم اشعة ومختبر وبنك دم وصيدلية بالاضافة الى اجهزة تخطيط القلب والتصوير والتعقيم ٠ وكـان يتسـع لـ ٥٠ سريرا ٠ تقدر خسائره بحوالي ٧٤ الف دينار ٠

ب ــ مستشفى الشهيد عبد الرحمن عودة (اربد) : قامت السلطة هناك باعتقال جميع الاطباء والمرضين الموجودين في المستشفى واستولت على جميع المعدات ثم دمرت المبنى علما بانه يحتوي على عنابر وغرفة عمليات تحت الارض ، لاستعمالها اثناء المعـارك ٠ الخسائر حوالي ٤٠ الف دينار ٠

جـ ــ مستشفى منطقة الطفيلـة الميداني : استولت عليه السلطات الاردنيـــة ٠ ونهبت محتوياته علما بان الخدمات الطبية المقدمـة من الجمعية يستفيد منها في المقام الاول ابناء العشائر الاردنية في جنوب الاردن الذيـــن كانوا يعانون من عدم توفر اي خدمات صحية في منطقتهم ٠ خســـائره حوالي ١٠ الاف دينار ٠

د ــ مستشفى دبين الميداني : دمر هـــذا المستشفى اثناء مذبحة جرش في تموز عـام ١٩٧١ ٠ ، وقد كان هذا المستشفى يضم غرفة عمليات كاملة وعنابر وجميع الاقسام لهـذا المستشفى موجودة في مغاور تحت سطـــح الارض سلح بناءها بحيث لا يتأثر بالقصف المدفعي ٠ خسائره ٣٠ الف دينار ٠

هـ ــ بالاضافة الى تدمير مستشفى متنقل داخل مخيم الحسين بعمان يضم غرفة عمليات وكامل اقسام اي مستشفى وتقدر قيمته بـ ٣٠ الف دينار ٠

٢ ــ العيادات الطبية : لقد تعرضت جميع عيادات الهلال الاحمر الفلسطيني في الاردن للتدمير والنهب المتعمد وكانت الحصيلة تدمير ١٨ عيادة شعبية ونهب كامل محتوياتهـــا ٠ وتقدر خسائر هذه العيادات بـ ١٠٠ الف دينار وهي موزعة كالاتي : عيادات الهاشمي، الوحدات ، مخيم البقعة ، مخيم الحسين ، مخيم شنلر ، مخيم جبل النصر ، مخيم سوف، مخيم غزة ، اربـــد ، الحصن ، معـان ، الطفيله ، الشوبك ، الكرك ، المفرق ، السلط ، الزرقاء ، جرش ٠

٣ ــ عيادات الاسنان : تدمير ونهب جميع عيادات الاسنان ويبلغ عددها سبعة بالاضافة الى مختبر لعمل الاسنان في اربـــد نهبت محتوياته ودمر بكامله ، هذه العيادات موزعة كالاتي : عمان ، السلط ، جرش ، مخيـــم

البقعة ، اربد ، الطفيلة ، دبين ، تقدر خسائر هذه العيادات بحوالي ١٠ الاف دينار ٠

٤ ـ **الصيدليات والمستودعات** : أ ـ المستودعات الطبية في عمان ، كانت تضم الادوية والاجهزة الطبية والمواد الغذائية للهلال ٠ وقامت السلطة بنهب هذه المستودعات وتدمير بعضها وتقدر خسائرها بحوالي ٢٠٠ر٠٠٠ الف دينار ٠

ب ـ مستودع الادوية في الطفيلة : كان مصيره النهب والتدمير وتقدر خسائره بحوالي ٣٠ الف دينار ٠

جـ ـ مستودع الادوية في اربد : ـ نهب ثم دمر وتقدر خسائره بحوالي ٥٠ الف دينار ٠

٥ ـ سيارات الاسعاف : دمرت السلطات العسكرية في اعتداءاتها على سيارات الاسعاف والسيارات التابعة للجمعية ما مجموعه ٣٤ سيارة ٠ تقدر قيمتها بحوالي ١٠٠ر٠٠٠ دينار ٠

٦ ـ المراكز الاجتماعية والاسعافية :

١ ـ **مركز المرشدات الصحيات** : لقد انشأ هذا المعهد لسد حاجة الجمعية الى كفاءات خاصة من الفتيات المدربات يعملن في حقل الارشاد الصحي والاجتماعي والتمريض والصيدلة والعناية بالامومة والطفولة ٠ قامت السلطات الاردنية بنهب المركز ثم تحويله الى مركز للشرطة العسكرية الاردنية ٠ خسائره حوالي ١٠٠٠ دينار ٠

٢ ـ **مركز ضباط الاسعاف** : كان هذا المركز معهدا يتلقى به الطلبة علم التمريض والصيدلة والارشاد الصحي والاجتماعي وقيادة سيارات الاسعاف تقدر خسائره بحوالي ١٠٠٠ دينار ٠

٣ ـ مركز الجمعية بالزرقاء : نهبت جميع محتوياته من الات خياطة ونسيج واثاث امانات للمقاتلين وتقدر قيمة خسائره حوالي الفي دينار ٠

٤ ـ مركز الجمعية الاسعافية في حالات الطوراىء وعددها ستون مركزا رئيسيا وفرعيا دمرت وتقدر خسائرها بحوالي ٣ الاف دينار ٠

٥ ـ مقر الجمعية في الحسين : نهب ثم دمر بكامله وبجميع محتوياته وتقدر خسائره ١٢ الف دينار ٠

اسعد حموري

اوروبا الغربية والقضية الفلسطينية ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥

الدكتور عدنان العمد

عندما شهد عام ١٩٦٥ ولادة جديدة لحركة التحرر الوطني الفلسطيني كانت اوروبا الغربية* تقف من القضية الفلسطينية موقفا قائما على اساس ان القضية قد تم تصفيتها نهائيا عام ١٩٤٨ ، فقد استطاعت عقدة الذنب الاوروبية تجاه اليهود ان تتغلغل الى صميم المجتمع الاوروبي لدرجة اصبحت فيها كلمة فلسطيني في اوروبا مرادفة لكلمة نازي واختفت القضية الفلسطينية عن الساحة الاوروبية وعن الضمير الاوروبي بعد ان تعرضت منذ الحرب العالمية الثانية الى حملة متواصلة من التضليل الاعلامي والتزييف التاريخي وبدا ان اوروبا الغربية قررت الغاء التعامل مع القضية الفلسطينية واصبحت تنظر اليها كمجرد ملاحظة قانونية على هامش ملف علاقاتها مع اسرائيل وتقلصت القضية اوروبيا الى مشكلة لاجئين تظهر مرة في السنة على جدول أعمال الامم المتحدة كمسألة منبثقة عن النزاع العربي ــ الاسرائيلي . وقد اخطأت الحكومات الاوروبية في تقديرها لمدى ارتباط القضية بهذا النزاع وكلفها هذا الخطأ رصيدا هائلا من نفوذها في المنطقة ، فبالرغم من المركز الذي كانت تحتله القضية الفلسطينية في العلاقات العربية الا انها لم تكن تمثل في العلاقات العربية ــ الاوروبية سوى عامل سلبي (اوروبيا) يشكل عبئا على المصالح الاوروبية وكانت الحكومات الاوروبية تنظر الى هذا العامل بحذر لما يشكله على المدى البعيد من تهديد لاستراتيجية تطويق حركة التحرر العربية ، لهذا فان الكثير من الدعم والتأييد الذي حظيت به اسرائيل كان هدفه منع التفاعل بين حركة التحرر الفلسطينية وحركات

---

* يقتصر البحث على دول المجموعة الاوروبية ، وهي فرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا الغربية (الفيدرالية) وهولندا وبلجيكا والدانمرك ، وايرلندا ولوكسمبرج . وتعتمد الدراسة على الاسلوب التحليلي القائم على تقييم الموقف وتجنب الاسلوب الوصفي في تسجيل المواقف عن طريق الاستشهاد بالبيانات والتصريحات الرسمية . وتهتم الدراسة بالدرجة الاولى بالموقف الحكومي باعتباره الموقف المؤثر قانونيا وفعليا على تطور القضية ، فالقرار السياسي في الدول الديموقراطية يكون عادة نتيجة لتفاعل التيارات والاتجاهات الاجتماعية والسياسية المختلفة . ولا يشمل البحث الدول الاسكندنافية (السويد ، النرويج ، فنلندا ، وايسلندا) التي تنتهج في السياسة الخارجية خطا خاصا ، كما لا يشمل النمسا وسويسرا بسبب حيادهما التقليدي على الرغم من كونهما مرتبطتين اقتصاديا وثقافيا بالنظام الغربي الرأسمالي ، كما لا يشمل اسبانيا والبرتغال واليونان لاختلاف المستوى الاقتصادي والنظام السياسي في هذه الدول من دول الديموقراطيات البرلمانية . أما الفاتيكان فيستثنى من البحث لكونه لا يمثل قوة سياسية مع انه ربما يلعب دورا معنويا في قضية القدس .

التحرر العربية الاخرى في مصر وسوريا والجزائر واليمن خاصة بعد ان تمكنت هـذه الحركات من تسلم الحكم في هذه البلدان .

في عام ١٩٦٥ كانت الدول العربية في مؤتمرات القمة (القاهرة والاسكندرية) قـد اقرت انشاء ودعم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني ، كما أقرت مبدأ معاملة الدول الاجنبية على ضوء مواقفها من القضية الفلسطينية وتنفيذا لهـذا المبدأ اقدمت عدة دول عربية على قطع علاقاتها مع المانيا الغربية بعد ان افتضح أمر امدادها لاسرائيل بالسلاح واقدامها على اقامة علاقات دبلوماسية معهـا . وردت المانيا على هذا الاجراء بتصعيد دعمها السياسي والمالي لاسرائيل وكان هذا الموقـف منسجما مع الموقفين الفرنسي والبريطـاني ومع الاتجـاه العام لمـواقف باقي دول المجموعة . ولم تجد الدول الاوروبية في قرارات مؤتمرات القمة العـربية اي قيمة تستحق اعادة النظر في مواقفها من القضية الفلسطينيـة وظلت تنظر الى القضيـة كملحق « انساني » للنزاع العربي ــ الاسرائيلي حسب تعريفها لهذا النزاع وهـو تعريف لا يشمل القضية الفلسطينية ، ويمكن القول انه عندما حل عام ١٩٦٥ كانـت فلسطين قد تم شطبها نهائيا من الملف الاوروبي حول النزاع ، هذا في الوقت الـذي كانت القضية تشق طريقها عربيا لتصبح قضية العرب الاولى . فبالنسبة لاوروبـا والولايات المتحدة كانت القضية هي تأمين وجود اسرائيل واستمرارها وهذا ما يفسر الاهمال المقصود الذي قابلت فيه المجموعة الاوروبية قـرارات مؤتمر القمة (انشاء المنظمة) والبيان التاريخي الاول عن بدء الكفاح المسلح في المناطق المحتلة من فلسطين الذي اصدرته منظمة فتح . واذا القينا نظرة الى سياسات كل من بريطانيا وفرنسـا تجاه الشرق الاوسط خلال ذلك العام فاننا نجد مثلا أن بريطـانيا التي غرقت حتى اذنيها في التآمر على فلسطين والشعب الفلسطيني كانت منهمكة في توطيد قواعدهـا الاستعمارية في جنوب اليمن والخليج العربي . أما فرنسا التي ربطتها باسرائيل حملة السويس فقد كانت مع بداية العهد الديجولي منهمكة في اعادة تنظيم علاقاتها مع دول العالم الثالث مثقلة بدروس هزائمها العسكرية في فيتنام والجزائـر . وهكـذا يمكن اعتبار عام ١٩٦٥ عام التطابق بين المصالح والاهداف الاوروبية والاسرائيلية وهو ما يفسر ولكن لا يبرر الاهمال والصمت الذي قابلت به دول المجموعة عودة الروح الـى النضال الفلسطيني المسلح .

الموقف اثناء وبعد حرب يونيو ١٩٦٧

اذا كانت حرب يونيو ١٩٦٧ من الناحية العسكرية قد دخلت القضية الفلسطينية من باب الهزائم والمؤامرات فانها من الناحية السياسية سجلـت نقطة التحـول في النظرة العربية والفلسطينية الى ابعاد المعركة مع الصهيونية واسرائيل ، فبجانب البعد الاقليمي للمعركة (احتلال الاراضي العربية) برز بوضوح البعد الـدولي (ارتبـاط اسرائيل بحلف شمال الاطلسي والمصالح التي تحركه) . ودون الدخول في التفاصيل الاستراتيجية لهذا البعد فان حجم الدعم العسكـري والتأييـد السياسي الذي ناله العدوان الاسرائيلي على جميع المستويات الاوروبية قد دل بان اسرائيل كانت تتصرف كجزء من النظام الاوروبي وانها ترتبط بهذا النظام سياسيـا وعسكريا وايديولوجيا وعليه فان المجموعة الاوروبية كانت تنظر لاي تحرك عسكري او سياسي (عربي او فلسطيني) موجه ضد اسرائيل على انه يشكل خطرا على مجمـل نظـام علاقـات المجموعة الاوروبية . ولكن اسرائيل بكل ما تمثله من قوة عسكـرية فعالة لم تكـن تكفي لوحدها لتغطية جميع متطلبات الدفاع عن مصالح المجموعـة في المنطقة لهـذا

فقد ظهرت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ عدة محاولات اوروبية لخلــق علاقات متعادلــة ظاهريا بين المجموعة وطرفي النزاع وكان هدف هذه المحاولات ضمان استمرار فعالية اسرائيل كاداة استعمارية مع اجراء تغيير شكلي على مضمون العلاقات الاوروبية ــ العربية . وكان موقف فرنسا الديجولية عام ١٩٦٧ اوضح المواقف لمفهوم العلاقــات المتعادلة في السياسة الاوروبية(١) وقد تميز هذا الموقف بادانة العــدوان الاسرائيلي وتحذير اسرائيل من عاقبة سياسة التوسع والاحتلال . ان اهمية الموقف الفرنسي هذا لا تقع في ردة الفعل المباشرة التي احدثها سواء في اسرائيل او الدول العــربية او اوروبا الغربية ولكنها تقع في سلسلة المواقف التي اتخذتها الحكومة الفرنسية فيما بعد داخل المجموعة . وبينما اعلنت فرنسا ان موقفها الجديد يشكل قاعدة من قواعد سياستها الخارجية تجاه الشرق الاوسط حرصت بريطانيا على تسجيل موقفها فقط ضمن الصياغة الدولية للقرار ٢٤٢ (نوفمبر ١٩٦٧) . اما المانيا الغربية وايطاليــا وباقي دول المجموعة فقد اكتفت باعلان حيادها السياسي والعسكري تجاه الاطراف المتنازعة وقد حرصت حكومة المانيا بالذات على الاعلان بأن حيادها السياسي لا يعني اي انتقاص لالتزاماتها المعنوية تجاه أمن اسرائيل ومصير شعبها . ولما كان القــرار ٢٤٢ لا يعالج من القضية الفلسطينية سوى ذلك الجزء الاقليمي المتعلق بالانسحــاب من الاراضي المحتلة فان الدول الاوروبية وجدت في القرار افضل حجة للاستمرار في اهمال القضية الفلسطينية كقضية تحرير وطني .

اوروبا الغربية والمقاومة الفلسطينية

كما اوضحت حرب يونيو مدى عمق التحالف السياسي والعسكري بين اسرائيــل واوروبا الغربية لدرجة اعتبرت فيهــا بعض الدول الاوروبية حرب اسرائيل حربهــا هي وبقاء اسرائيل بقاءها وان كانت لاسباب داخلية وخارجية لم تصرح بذلك جهرا ، فان معركة الكرامة (١٩٦٨/٣/٢١) قد اوضحت الطريقة السلبية التي قابلت فيهــا الحكومــات الاوروبيــة المناسبة الاولى للظهــور العلني لحــركة التحرير الوطني الفلسطيني فمن المعروف ان سجلات وزارات الخارجية الاوروبية قد جمعت مــا فيه الكفاية من الوثائــق المتعلقــة بالشعب الفلسطيني ومراحــل النضــال السياسي والاجتماعي التي مر بها منذ عهد الانتداب البريطاني فالمعلومات هي اخــر ما يلــزم الحكومــات الاوروبية لاتخاذ موقــف موضوعي (سلبي او ايجابي) من المقاومــة الفلسطينية لهذا فان الموقف الاوروبي المبدئي في تأييد قيام كيان اسرائيلي على حساب حقوق الشعب الفلسطيني هو الذي املى على الحكومات الاوروبية اتخاذ موقــف معاد لحركة المقاومة الفلسطينية لهــذا فقد شهدت فترة مــا بعد معركة الكرامة على مستوى الحكومات الاوروبية اعنف حملة تشهير وتشويه للمقاومة الفلسطينية الــى درجة ذهبت فيها بعض الاوساط الاعلامية الاوروبية لحد وصف الاحتلال الاسرائيلي بالتقدم والرقي ، وتعطي المانيا الغربية مثالا رائدا عن هذا الموقف اثناء الحملة التــي قام بها السفير الاسرائيلي آشر بن ناتان عام ١٩٦٩ لالقاء المحاضرات في الجامعــات الالمانية منددا ومستهزئا بالمقاومة الفلسطينية ومتهما المدافعين عنها من الطلبة الالمان بالنازيين الجدد . وقد لعبت الصحافة المقربة للدولة او الاحزاب الحاكمة في عدة دول اوروبية دورا هاما في تشويه صورة المقاومة الفلسطينية والتغني بامثولة الاحتــلال الاسرائيلي ومنح هذا الاحتلال التأييد المعنوي في عملية التصفية التي يمارسها ضــد الشعب الفلسطيني (الطرد ، قصف المخيمات ، الاعتقال والعقاب الجماعي ، نسف البيوت) . ووصلت الهستيريا الرسمية وشبه الرسمية ضد الفلسطينيين اوجها على

أثر حادثة الألعاب الاولومبية في ميونيخ (١٩٧٢) فاتخذت جميع هـــذه الحكومـــات اجراءات قاسية ضد المواطنين الفلسطينيين من طلبة وعمال فيها(٢). وبينما كـــانت المقاومة الفلسطينية تكتسب قواعد جماهيريه لدى فئات واسعة من المجتمع الاوروبي (في أوساط الطلبة والعمال والمثقفين) كقضية تحرر وطني وكفاح ضد احتلال اجنبي كانت الحكومات في اوروبا تصنفها بين الحركات الارهابيه ذات الجـــذور الفوضوية بسبب محاربتها « دوله ديموقراطيه ومجتمعا حضاريا » ـــ أي اسرائيل . وقد ادت الحملة الرسمية الموجهة ضد المقاومة الفلسطينية الى تحويل الحركة المعادية للسامية في اوروبا من حركه معادية لليهود الى حركة معـــادية للعرب وأصبح الفلسطينيون وبالتالي العرب هم هدف العداء ، وسبب هذا النوع مـــن التوجيه الفكري « ازمـــة فلســـفية » في أوساط كبار المفكرين في اوروبا الغربية فتبنت مجموعـــة منهم عـــلى راسها رودنسون (اسرائيل واقـــع استعماري) ودويتشر (اسرائيل بروسيا الشرق الاوسط) ورسل وتوينبي (اسرائيل انهيار للقيم الحضارية) وجهـــة النظر المساندة لحق الشـــعب الفلســـطيني في المقـــاومة والتـــحرر بينما اختـــارت فـــئة اخرى على رأسها سارتر (العـــداء لاسرائيل عـــداء للســـامية) واونســـكو ودورنمات وجهـــة النظر المؤيدة لاسرائيل عـــلى أساس انها الحل الوحيد للمســـألة اليهودية ، ويقوم موقف هذه الفئة الاخيرة على الخلط بـــين اسرائيـــل ومعـــاداة الســـامية ، وقد خدم هذا الخلط عملية التمويه التي لجأت الحكومات الاوروبية اليها لتغطية عدائها الاصيل لحركة التحرر العربية واستعمالها لاسرائيل كاداة لضرب هذه الحركة . الا ان المقاومة الفلسطينية التي اقامت نضالها على حسابات غـــير حسابات مواقـــف وسياسات الحكومـــات الاوروبية أظهرت منذ عـــام ١٩٧٠ من قـــوة الاســـتمرار والفعالية ما اكد قدرتها على اخراج قضية فلسطين من زاوية الحجز الاجباري الذي دفعتها اليه مواقف الحكومات الاوروبية . وكان للجو الثوري الذي ساهمت الثـــورة الفلسطينية في خلقه سواء في العالم العربي أو في اوروبا نفسها اثر ملموس في تحريك الموقف الاوروبي تدريجيا نحو فهم اكثر واقعية للعوامل المؤثرة في القضية الفلسطينية واكثر مرونة لطبيعة النزاع العربي ـــ الاسرائيلي(٣).

١٩٧٠ بداية التحول واشكاله

في مطلع عام ١٩٧٠ كانت المقاومة الفلسطينية قد فرضت نفسها على العالم كحركة تحرر وطني في الوقت الذي ظلت الحكومـــات الاوروبية تتجاهـــل وجود الشعـــب الفلسطيني كحقيقة سياسية وكان هذا الموقف قائما على القناعات الاوروبية التالية :

ـــ قرار مجلس الامن ٢٤٢ بتفسيره الاسرائيلي كاف حسب ميزان القوى العربي ـــ الاسرائيلي لحل النزاع او تجميده .

ـــ ان الحياد في النزاع لا يعني الحياد تجاه وجود وامن اسرائيل (وهو الموقـــف الالماني) .

ـــ ان قضية فلسطين تتعلق بعقدة الذنب الاوروبية امـــا قضية الفلسطينيين فهي قضية عربية (اسكان واستيطان اللاجئين في الدول العربية) .

ـــ ان وجود وأمن وضمان حدود اسرائيل مسألة غير قابلة للنقاش .

بناء على هذه القناعات دارت في الاوساط الصحافية والاكاديمية الاوروبية مناقشة كبرى للقضية الفلسطينية وكان محتوى المناقشة التي ادارهـــا اليسار الاوروبي ان الاحتلال الاسرائيلي لا يختلف بدوافعه الايديولوجية عن الاحتلال النازي لدول اوروبية وان المقاومة الفلسطينية تمتلك من الشرعية ما كان للمقاومة الاوروبية (الفرنســـية

والايطالية وغيرها) وكان لا بد لهذه الافكار ان تتسرب الى الاوساط الحاكمة عن طريق الاعضاء الشباب في الاحزاب الليبرالية والاشتراكية الديمقراطية ومنذ عام ١٩٧٠ بدأت بعض الاوساط الحكومية الاوروبية تمهد للاعتراف بالوجود السياسي الفلسطيني وتبحث عن الوسائل والطرق للتعامل مع هذا الوجود ، وكان اساس البحث قناعة خفية بتداخل القضية الفلسطينية بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، ولكن الحكومات الاوروبية فضلت عدم اظهار هذه القناعة لكي تظل منسجمة مع موقفها السابق في الحكم على المقاومة الفلسطينية بمعزل عن دوافعها السياسية ، وبتركيز مبالغ فيه على الناحية الانسانية من القضية الفلسطينية (اللاجئين) وعلى هذا الاساس قامت الدول الاوروبية بعدة مبادرات لتقوية نفوذها في الشرق الاوسط عن طريق لعب دور في القضية الفلسطينية ولكن هذه المبادرات فشلت لسببين : ـ

اولا : حرصت اوروبا الغربية لعب هذا الدور بعيدا عن اي اتصال او احتكاك بالفلسطينيين (منظمة التحرير الفلسطينية) وكانت سياستها قائمة على اساس ان تقوية العلاقات مع بعض الدول العربية المؤثرة في السياسة العربية تكفي لانجاح المبادرة .

ثانيا : اعتبار اوروبا الغربية القضية الفلسطينية خاضعة للاحتكار الدبلوماسي الامريكي والسوفيتي وعلى هذا الاساس منحت الولايات المتحدة مطلق الحرية في التعبير عن سياستها تجاه هذه القضية .

الا ان نجاح المبادرة الفرنسية المؤقت عام ١٩٦٧ والذي كان قائما على نظرية استقلالية الموقف الاوروبي وما حققه هذا النجاح من توازن في العلاقات العربية ـ الفرنسية(٤) قد جعل للموقف الفرنسي وزنا خاصا في المجهودات الاوروبية المشتركة نحو ايجاد مخرج سياسي منطقي من مأزق التناقض بين التأييد المطلق لاسرائيل والالتزام الدولي بقرارات الامم المتحدة .

المواقف المشتركة للمجموعة الاوروبية

لم يظهر اي موقف اوروبي مشترك تجاه القضية الفلسطينية او النزاع العربي ـ الاسرائيلي حتى مطلع عام ١٩٧١ وقد بدأت التمهيدات لاخراج مثل هذا الموقف خلال الاتصالات التي اجراها وزير خارجية فرنسا آنذاك (شومان) مع زملائه في حكومات السوق المشتركة (ولم تكن السوق تضم آنذاك بريطانيا او الدنمرك او ايرلندا) . وقد نتج عن هذه الاتصالات صدور ما تعارف على تسميته « بوثيقة شومان »(٤) وحددت الوثيقة الخطوط السياسية العامة لسياسة دول السوق تجاه مشكلة الشرق الاوسط واكدت ان هذه السياسة تقوم على مبدأين هما وجوب انسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلتها اثناء حرب يونيو ١٩٦٧ وعدم السماح بتحقيق مكاسب اقليمية عن طريق الحرب والمطالبة بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بموجب قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ (العودة او التعويض) واقامة ادارة دولية للقدس . ويلاحظ من صياغة الوثيقة تشابهها مع مشروع روجرز الذي اعلن عنه عام ١٩٧٠ وتطابقها مع العرض الوارد في القرار ٢٤٢ وعدم تضمنها اي عنصر جديد بالنسبة للقضية الفلسطينية . وقد تعرضت الوثيقة بعد صدورها الى عملية المساومة التي تمر بها عادة قرارات المجموعة الاوروبية . فبينما اعتبرتها الحكومة الفرنسية موقفا سياسيا الزاميا اعتبرتها المانيا الغربية مجرد ورقة عمل او توصية غير ملزمة وعملت مع كل من هولندا وبلجيكا فيما بعد على ابطال مفعولها بدليل ان المواقف الاوروبية في

المستقبل لم تتخذ من الوثيقة اساسا لتطوير موقف مشترك أكثر تماسكا والزاما وانما جاء مثل هذا الموقف نتيجة لعوامل خارجية مثل حرب أكتوبر ١٩٧٣ (القوة الذاتيــة للدول العربية) وازمة الطاقة الدولية (استعمال العرب للنفط سلاحا في معركتهم) .

الموقف المشترك بعد اكتوبر ١٩٧٣

كما اظهرت حرب يونيو ١٩٦٧ الابعاد الدولية لطبيعة العلاقــة بــين اسرائيــل والتحالف الاوروبي — الامريكي فقد اظهرت حــرب اكتوبــر ١٩٧٣ طبيعة العلاقة التاريخية والقومية بين الدول العربية وفلسطين وبين حركة التحرر العربية وحركة التحرر الفلسطينية ، فالجيوش العربية التي انطلقت لتحرير الاراضي العربية مــن الاحتلال الاسرائيلي لم تكن من حيث المبدأ تتقيد باندفاعها بأي حدود جغرافية وكانت مصر وسوريا وفلسطين بالنسبة لها ارضا واحدة محتلة من عدو واحد وكان لمساهمة قوات الثورة الفلسطينية في القتال دليل متجدد على التلاحم الذي رافق ارتباط القضية الفلسطينية بمسألة احتلال الاراضي العربية ، كما أكد لجوء الدول العربية المصدرة للنفط الى استعمال النفط كاداة سياسية على مدى تأثير القضية الفلسطينية على نوع القرارات السياسية والاقتصادية للدول العربية . وامام خسائر اسرائيل العسكرية ووحدة الموقف العربي وضغط ازمة النفط تنبهت المجموعة الاوروبية الى تجدد الفعالية والتفاعل بين حركة التحرر العربية وقضية فلسطين فعقد مجلــس وزراء خــارجية المجموعة اجتماعا طارئا في ٦ نوفمبر ١٩٧٣ واصدر بيانا بشــأن النزاع العربي — الاسرائيلي تضمن هذه المرة عنصرين لم يتوفرا في وثيقة شومــان (١٩٧١) العنصر الاول انهاء اسرائيل لحالة احتلال الاراضي العربية والثاني التأكيد على اخذ « الحقوق المشروعة للفلسطينيين بعين الاعتبار لدى اقامة سلام في المنطقة » . وكانت هذه أول مرة تشير بها الدول الاوروبية في بيان مشترك الى القضية الفلسطينية عن طريــق الاشارة الى الحقوق المشروعة للفلسطينيين . وقد فسرت الاوساط الامريكية هــذا القرار بانه تسجيل لصياغة معتدلة المقصود منها ارضاء غرور دول النفط العــربية وانه جاء نتيجة شعور اوروبا لفترة طويلة بفقدان الارادة السياسية بسبب حاجــة اوروبا الغربية الى مظلة الحماية العسكرية الامريكية(٥). ولكن التوسع في متابعــة الموقف الاوروبي بعد صدور هذا البيان لا يؤيد هذا التفســير بل انه يشــير الى ان الحكومات الاوروبية وقفت بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ امام مفترق عدة طرق اختارت منها الطريق الاقصر المؤدي الى ضمان مصالحها في المنطقة وهو طريق التعامل مع النزاع على اســاس الحقائق التاريخية التي تحركه ومن أولى هــذه الحقائق الحقيقــة الفلسطينية .

الحوار العربي — الاوروبي(٦)

لا يمكن اعتبار بدء حوار سياسي — اقتصادي بين مجموعة دول السوق الاوروبية ودول جامعة الدول العربية موقفا أوروبيا من القضية الفلسطينية ولكن متابعة مراحل هذا الحوار منذ مارس ١٩٧٤ (قرر مجلس وزراء السوق الاوروبية الموافقة على اقامة الحوار) تشير الى ان الدول الاوروبية ستحاول توجيه الحوار بعيدا عن القضــايا السياسية (أي القضية الفلسطينية والنزاع العربي الاسرائيلي) بحجة ان معالجة المسائل الاقتصادية تتطلب الابتعاد عن مواقع الحساسيات السياسية وامام هذا المنطق الاوروبي ابدت الدول العربية بأن المصالح الاقتصادية لا يمكن ان تنمو نموا صحيا الا اذا قامت على قاعدة اتفاق مبدئي على مجموعة من القضايا السياسية وأهمها قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلي . وتدل الاتصالات القائمة الان للاعداد للجولة الثانية

للحوار بأن الدول العربية قد اشترطت ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية طرفا عربيا فيه(٧). انه من التسرع الاستنتاج بأن مجرد قبول المجموعه الاوروبية باشراك المنظمة في الحوار سيعني قبول ما تمثله من قيم واهداف سياسية بالنسبه للقضية الفلسطينية ولكن مثل هذا القبول (وهو غير وارد لغاية كتابة هذه الدراسة) اذا حدث مضافا اليه التطورات التي طرأت على الموقف الاوروبي في الاشهر الثلاثة الماضية سيؤدي الى تبلور موقف اوروبي اكثر تقدما نحو تفهم الدور الفلسطيني والاعتبارات الفلسطينية في السياسة الخارجيه للدول العربية . أن محاولة المجموعة الاوروبية قصر الحوار على قضايا امدادات النفط والتعاون الاقتصادي تشير الى ان القوى الضاغطة تجاه اسرائيل في السياسة الاوروبية لا زالت تحتفظ بمركزها القوي .

فرنسا والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية

كما كان موقف ديجول في يونيو ١٩٦٧ منعطفا تاريخيا في الموقف الاوروبي فقد جاء موقف الحكومة الفرنسية في اكتوبر ١٩٧٤ تأكيدا للاستمرار في خط الاقتراب من مواقع الحقيقة في قضية فلسطين . فبعد تمهيد مسبق يعود الى عام ١٩٧٠ أقدمت الحكومة الفرنسية على الاتصال مباشرة بمنظمة التحرير الفلسطينية معتبرة المنظمة التعبير السياسي عن هذه الحقيقة ومخترقة الحاجز التقليدي الذي وضعته اوروبا بينها وبين القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ ، وكان اللقاء الذي اجراه وزير خارجية فرنسا مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت ، اكتوبر ١٩٧٤) تأكيدا وتطويرا للسياسة التي انتهجتها فرنسا منذ عام ١٩٦٧ تدريجيا وعلى المراحل التالية : التشديد على الطابع السياسي للقضية الفلسطينية (منذ ١٩٦٧) ، أي تسوية لنزاع الشرق الاوسط يجب أن تتضمن تسوية القضية الفلسطينية ، وجوب مشاركة الشعب الفلسطيني في أي حل للنزاع (منذ ١٩٧٣) ، تأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة كيان سياسي (وطن وارض) وهو التأكيد الذي أعلنه رئيس الدولة الفرنسية في اكتوبر ١٩٧٤ .

الا ان الموقف الفرنسي هذا لم يتبلور بعد كموقف أوروبي مشترك وربما تمر عدة اشهر قبل ان يتبلور مثل هذا الموقف بسبب ميل كل من المانيا وبريطانيا وهولندا الى تبني الموقف الامريكي ، ولكن هذا لم يمنع القوى الاوروبية المعتدلة من اجراء مراجعة جذرية لمواقفها على ضوء الموقف الفرنسي . ان نتائج هذه المراجعة ستظهر مع التطورات المتلاحقة التي تعيشها القضية الفلسطينية على الصعيد العربي والدولي ويمكن تصور اتجاه هذه المراجعة على الشكل التالي :

مؤتمر القمة العربي والموقف الاوروبي : تأكد بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي الاخير في الرباط (اكتوبر ١٩٧٤) ان القضية الفلسطينية قد عادت الى مرتبة الاولويات في العلاقات العربية ــ الخارجية وقد ادت وحدة الموقف العربي الجماعي في المؤتمر تجاه منظمة التحرير الفلسطينية الى وضع حد لامكانية المناورة في الموقف الاوروبي حيث ان اي تفسير لقرارات المؤتمر لا بد ان يؤدي الى اعتبار القضية الفلسطينية صلب النزاع العربي ــ الاسرائيلي واعتبار اي نظام سلمي في المنطقة يجب ان يقوم على اساس مفهوم السلم العربي والذي يختلف عن مفهوم السلم الاسرائيلي ، فبينما يقوم السلم العربي على اساس حقوق الشعب الفلسطيني بموجب قرارات الامم المتحدة يقوم السلم الاسرائيلي على الغاء هذه الحقوق بموجب القوة العسكرية والامر الواقع . وكان الموقف الفرنسي قد مهد على الاقل في فرنسا والى حد ما في ايطاليا وبريطانيا لخلق جو رسمي متفهم ولكن غير مؤيد لقرارات مؤتمر الرباط ولكن هذا التفهم في حالة ايطاليا وبريطانيا لم يصل الى درجة التجاوب الذي عبر عنه الموقف الفرنسي ، أما في حالة

المانيا وهولندا وبلجيكا فلم يتعد الموقف مجرد العلم بالقرارات . وقد ادى الخوف من الازمة النفطية واحتمال اقدام الدول العربية على اجراءات شبيهة بتلك التي اتخذوها خلال اكتوبر ١٩٧٣ الى تحييد هذا الموقف السلبي ومن ثم تحريكه في اتجاه وضع حد فاصل بين التزام المجموعة « المعنوي » باسرائيل وبين مصالحها الخاصة واحترامها لقرارات الامم المتحدة وارادة المجتمع الدولي . ومن جهة اخرى ادت السياسة العربية المعتدلة التي انتهجتها دول الجامعة العربية بعد حرب اكتوبر والتحسن الذي طرأ على العلاقات العربية — الامريكية الى اقتناع الدول الاوروبية بأن الدول العربية تسعى حقا الى تسوية سلمية ضمن اطار الشرعية الدولية وقائمة على تنفيذ خطوتين: انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . ولما كان الموقف الاوروبي المشترك يتقدم منذ عام ١٩٧٠ باتجاه تأييد الخطوة الاولى (الانسحاب) فانه بالنسبة للخطوة الثانية (حقوق الفلسطينيين) ظل مجمدا عند تأييد قرار مجلس الامن ٢٤٢ . وحتى الموقف الفرنسي المتقدم نسبيا لم يصل لدرجة قطع العلاقات مع اسرائيل وهي حالة توصل اليها الموقف السوفيتي والكتلة الاشتراكية منذ عام ١٩٦٧ (ما عدا رومانيا) والموقف الافريقي منذ عام ١٩٧٢ (ما عدا روديسيا وجنوب افريقيا). فالمجموعة الاوروبية بما فيها فرنسا اكتفت باتخاذ مواقف متقطعة دون تنفيذ المسؤوليات المترتبة على تلك المواقف (مثل قطع العلاقات وايقاف المساعدات) . ويعود هذا التردد في تحمل مسؤوليات الموقف الى عدة ثوابت متأصلة في بناء نظام العلاقات بين اوروبا واسرائيل وهذه الثوابت هي :

١ — اعتبار اسرائيل امتدادا للقيم الحضارية الغربية في مجالات التطور الديموقراطي (!) والتقدم الصناعي .

٢ — اعتقاد اوروبا بأن عدم تأييدها للجانب العربي يضعها في مركز افضل للوساطة على اساس ايجاد توازن دائم بين « مصالح وحقوق الطرفين » .

٣ — ارتباط الامن القومي الاوروبي بنظام الامن في البحر الابيض المتوسط القائم على اساس التفوق الامريكي وما يتطلبه هذا التفوق من ضمانات اوروبية لحفظ التوازن العسكري بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الحليف الاكبر لاسرائيل .

ان هذه الثوابت لا زالت قائمة ومن الخطأ الاعتقاد ان تصميم الدول العربية على تبني الحد الاعلى للمطالب الفلسطينية وتجنيد النفط العربي والقوة العسكرية العربية وراء هذه المطالب كاف بحد ذاته لاجراء تعديل ايجابي على هذه الثوابت لان مثل هذا التعديل متروك لعوامل ذاتية في السياسة العربية وسياسة منظمة التحرير الفلسطينية خاصة وقد دلت هذه السياسات خلال انعقاد الدورة الاخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة (الدورة ٢٩ لعام ١٩٧٤) ، ان مثل هذا التعديل وارد اذا توفرت له عناصر القوة الذاتية (العسكرية والاقتصادية).

الامم المتحدة والموقف الاوروبي : بعد انعقاد الدورة الاولى لمؤتمر جنيف للشرق الاوسط (ديسمبر ١٩٧٣) دون أي حضور اوروبي وجدت المجموعة الاوروبية نفسها بعيدة عن ساحة الاتصالات الدولية الهادفة الى ايجاد نظام امن جديد في الشرق الاوسط قائم على اساس حل سلمي للنزاع العربي — الاسرائيلي . وقد ادى غياب المجموعة الاوروبية عن مؤتمر جنيف الى توجه المجموعة للتعبير عن موقفها الى الامم المتحدة — فانكلترا وفرنسا عضوان دائمان في مجلس الامن — وكان موقف فرنسا في مجلس الامن (اكتوبر ١٩٧٣) قد شدد على اهمية « عدم تجاهل الشعب الفلسطيني في أي تسوية دولية للنزاع » واكد البيان السياسي الاول لحكومة ديستان بعد ذلك بأن « التسوية

السلمية لكي تكون عادلة ودائمة يجب ان تحقق الآمال المشروعة للشعب الفلسطيني »
وقد ترجمت الحكومة هذا البيان بمباشرة الاتصال رسميا معمنظمة التحرير الفلسطينية.
وعندما طرح على الجمعية العامة مشروع قرار ادراج قضية فلسطين كقضية مستقلة على جدول اعمال الجمعية العامة (اكتوبر ١٩٧٤) ودعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشة القضية أيدت كل من فرنسا وايطاليا وايرلندا هذا القرار بينما امتنعت باقي دول المجموعة عن التصويت وعلق المندوب البريطاني على امتناعه عن التصويت بقوله ان دعوة المنظمة يجب ان تقتصر على الاشتراك في النقاش داخل اللجان الفرعية .

أما مندوب المانيا الفيدرالية فقال انه غير واثق من مدى التمثيل الكامل للشـــعب الفلسطيني عبر منظمة التحرير . وتدل نتيجة هذا التصويت الى ان دول المجموعة لم تتخذ موقفا مشتركا من القضية الفلسطينية اثناء طرح القضية في الامم المتحدة . وبعد الخطاب التاريخي الذي القاه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أمام الجمعية العامة بدأت وفود المجموعة الاوروبية تجري اتصالات مع الوفود العربية من أجل استصدار قرار دولي يضم وجهتي نظر الدول العربية ومنظمة التحرير ودول عدم الانحياز من جهة والمجموعة الاوروبية من جهة اخرى وطلبت ان يحتوي القرار بندا خاصا بحق كل دولة في المنطقة في العيش بسلام وضمن حدود آمنة، ولكن مجموعة عدم الانحياز (وهي تضم الدول العربية) رفضت هذا الاقتراح واصرت على ان يركز القرار على التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة استقلاله وسيادته على ارضه.
وعندما طرح هذا القرار على التصويت نال اغلبية ٨٩ ومعارضة ٩ دول (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ٣٧ دولة عن التصويت من بينها دول المجموعة الاوروبية بما فيها فرنسا . وعندما طرح القرار الخاص بمنح المنظمة صفة المراقب في الامم المتحدة نال اغلبية ٩٥ صوتا ومعارضة ١٧ صوتا (من بينها الولايات المتحدة وبعض دول المجموعة الاوروبية مثل المانيا الغربية وهولندا وبريطانيا وايطاليـــا)(٨). ان امتناع دول المجموعة الاوروبية عن التصويت على القرار الخاص بحق الشـــــعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال والسيادة يمكن تفسيره على انه « موافقة سلبية » على محتوى القرار ويؤيد هذا التفسير ما ورد على لسان رئيس الوفد الالماني الغربي عند توضيحه لمعنى تصويته فقد أيد التوضيح حقوق الشعب الفلســطيني (دون تعريفها) ودعا الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية لتمكين الفلسطينيين من اقامة سلطة وطنية عليها ــ الضفة الغربية وقطاع غزة ــ . وقد دلت اتصالات الوفود العربية بوفود دول المجموعة الاوروبية خلال الدورة بأن وجهة نظر المجموعة الاوروبية هي ان أي حل فلسطيني يجب ان يضمن حق العيش والوجود والامن لجميع دول المنطقة بما فيها اسرائيل وتأييد حق الشعب الفلسطيني عن طريق انشاء سلطة سياسية مستقلة له على الاراضي التي ستجلو عنها اسرائيل من الضفة الغربية وغزة ووفق قرارات مؤتمر القمة في الرباط . وتعتبر وجهة النظر هذه بموجب المعطيات والظروف الدولية الحالية أقصى ما يمكن ان يصل اليه الموقف الاوروبي مع الاخذ بعين الاعتبار المسافة بين تسجيل الموقف وتنفيذه فعليا على العلاقات الاوروبية ــ الاسرائيلية.

١٩٧٥ ــ خلاصة واستنتاجات

يمكن تلخيص موقف المجموعة الاوروبية من القضية الفلسطينية في مطلع عام ١٩٧٥ على النحو التالي : الاعتراف مع بعض التحفظ بحقوق الشعب الفلسطيني على اساس قرارات الامم المتحدة . ويعتبر هذا الموقف قياسا الى المواقف السابقة (١٩٦٥ ــ

١٩٧٢) متقدما نسبيا الا انه قياسا مع الاهداف الاستراتيجية لمنظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن اعتباره الموقف المثالي . ومن سلبيات هذا الموقف انه يعتبر الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع هدفا بحد ذاته بينما تعتبرها المنظمة هدفا مرحليا .

الان وبعد ان استطاع الشعب الفلسطيني بكفاحه الطويل ان يعيد القضية الفلسطينية الى اطارها الاقليمي والدولي الصحيح كقضية شعب وارض وتقرير مصير وممارسة سيادة فان منظمة التحرير الفلسطينية (او الحكومة الفلسطينية الموقتة) تجد نفسها أمام موقف اوروبي متأرجح بين تأييد شرعية القوة (اسرائيل) وتأييد شرعية العدل (فلسطين) ومثل هذا الموقف يترك الباب مفتوحا أمام عدة اسئلة فلسطينية موجهة لعنوان المجموعة الاوروبية وفي طليعة هذه الاسئلة مطالبة دول المجموعة باتخاذ خطوات تثبت التزامها بمواقفها المعلنة وباحترامها للارادة الدولية (قرارات الامم المتحدة) وبالمقابل فان منظمة التحرير الفلسطينية بدخولها المعركة الدبلوماسية بجانب المعركة السياسية فانها ايضا تواجه أسئلة اوروبية . وقد لخص الكاتب السويسري أرنولد هوتنجر هذه الاسئلة في تعليقه على خطاب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أمام الجمعية العامة فقد علق بقوله « ان الفلسطينيين عليهم ان يحددوا استراتيجيتهم القريبة والبعيدة المدى كما عليهم ان يحددوا خطواتهم التالية لحصولهم على الضفة الغربية وقطاع غزة فشعار الدولة الديموقراطية الذي طرحوه في نيويورك يتطلب ، وباعترافهم ، تحطيم الدولة الصهيونية على المدى البعيد بينما يتطلب حصولهم على الضفة الغربية وقطاع غزة التزامهم بقبول التعايش والسلام مع اسرائيل كما هي »(٩) .

---

١ — أعلنت الحكومة الفرنسية على لسان الرئيس ديجول بأن اسرائيل قد بدأت بالعدوان على الدول العربية وطالبتها بالانسحاب من الاراضي المحتلة .

٢ — قامت الحكومة الالمانية بمنع نشاط الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين والاتحاد العام لعمال فلسطين في المانيا واعتبرتهما تنظيمين ارهابيين يشكلان خطرا على أمن الدولة .

٣ — لعبت الاحزاب الشيوعية (الفرنسي والايطالي) دورا هاما في هذا التحول ، راجع للمؤلف : « الشيوعية الغربية وقضية فلسطين » ، مركز الابحاث ١٩٧٠ (توزيع خاص ومحدود).

٤ — صدرت هذه الوثيقة في بيان لمجلس وزراء الخارجية في السوق الاوروبية المشتركة في مايو ١٩٧١ .

٥ — من أجل التوسع راجع الفصل الرابع من كتاب Walter Laquer: *Confrontation: The Middle East War and World Politics*, London 1974, pp. 119-158.

٦ — انظر مقالة « لا حوار بدون الفلسطينيين » للمؤلف في « السياسة الدولية » العدد ٣٧ يوليو ١٩٧٤ ، القاهرة ، ص ٦١ .

٧ — انعقدت الجولة الاولى في اغسطس ١٩٧٤ على مستوى وزراء الخارجية في باريس وحضرها عن الجانب العربي الامين العام لجامعة الدول العربية ووزير خارجية دولة الكويت .

٨ — أصدرت المجموعة الاوروبية بيانا (أواخر نوفمبر ١٩٧٤) انتقدت فيه موقف فرنسا التي لم تصوت ضد هذا القرار .

٩ — نيوزيورخر تزايتونغ ، ١٥ نوفمبر ١٩٧٤ .

المقاومة الفلسطينية في الصحافة الفرنسية
(١٩٦٥ ـ ١٩٧٥)

الدكتور فيصل دراج

لم يكن سهلا أن تأخذ المقاومة الفلسطينية مكانا لها في الصحافة الفرنسية ٠ اذ أن القضية الفلسطينية برمتها كانت غائبة في تلك الصحافة ، وعندما كانت تطفو بين الحين والحين على مسرح الأحداث كانت تقدم كقضية « لاجئين » فقط دون القاء الضوء على الاعتبارات التاريخية التي ولدت هذه القضية ٠ ان الفلسطيني وقضيته كانا يغيبان في بحر الصمت والنسيان ، أو بشكل أدق غيبهما الاعلام الصهيوني في بحر الصمت والنسيان ٠

ان غياب القضية الفلسطينية عن مسرح الصحافة ، والصورة السلبية المخالفة للواقع التي كانت تقدم القضية في اطارها ، تعود الى جملة أسباب معقدة متشابكة ٠ فهناك أولا التواجد التاريخي المستمر للمشكلة اليهودية في الغرب ٠ فالأوربي يتعامل مع مشكلة يعرفها وعليه أن يأخذ موقفا محددا منها ، وهذا الموقف كانت تحده قطبية اللاسامية والموالية للسامية ، وفي الحقيقة فان هذا الاختيار كانت تحكمه تناقضات المجتمع البرجوازي والأيديولوجيا المعبرة عن هذه التناقضات ٠وضمن هذا الاطار لم تكن اللاسامية أمرا مشينا يثير الاستهجان خاصة أن الجهاز الاداري للدولة كان يروج لها بحماس في كثير من الاحيان ٠ الا أن الاضطهاد المستمر والمتواتر لليهود دفع بقطاعات كبيرة من المجتمع الى صف الموالاة للسامية ، وهذه الموالاة كانت تأخذ طابعا سياسيا كموقف اليسار ، وتأخذ طابعا أخلاقيا كموقف قطاعات كبيرة من الكاثوليك ٠ وفي فرنسا بالذات أخذت المشكلة اليهودية حيزا واسعا في الحياة السياسية منذ أوائل هذا القرن بسبب ما دعي بقضية دريفوس ، الضابط اليهودي الذي اتهم بالعمالة للألمان ثم ظهرت براءته بعد ذلك ، وقد أثار هذا الحكم الجائر بحق الضابط اليهودي موجة من الاستنكار والسخط لدى قطاع كبير من الشعب الفرنسي ، وقد حمل لواء الدفاع عن اليهود في تلك الفترة قوى اليسار والحزب الاشتراكي بشكل خاص(١)٠ وبعد صعود النازية وما تلاه من اضطهاد لليهود اتسعت الدائرة الموالية للسامية وبالتالي التعاطف مع الحركة الصهيونية التي كانت قد أصبحت حركة نشطة في تلك الفترة ٠ وقد قدمت فرنسا ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها مساعدة متعددة الجوانب للحركة الصهيونية شاركت فيها كل القوى السياسية ٠ وقد تأتى عن ذلك منطقيا حماس ودعم بلا حدود لظهور دولة اسرائيل(٢) فهناك اذن عوامل تاريخية لعبت دورا كبيرا في تأييد الشعب الفرنسي لاسرائيل والصهيونية ٠ ويمكن أن نقول هنا أن كل الشعب الفرنسي (عدا قلة من الكاثوليك) على اختلاف صنوفه السياسية حيا ظهور اسرائيل ، حيث رأى البعض فيها حركة تحرر وطني ، ورأى البعض الاخر تجسيدا حيا للميثالوجيا الدينية ، وحتى القوى الناهضة للسامية فعلت ذلك « للتلخص من الشر » أو كما

يقال عادة « نحب اليهود هناك ، في فلسطين وليس في فرنسا » وهذا يعرف عادة في علم النفس باسم « العنصرية التي تطرد أخرى » ·

ضمن هذا الاطار التاريخي الذي يتضمن النصف الاول من القرن العشرين كان على المواطن الاوربي بشكل عام أن يواجه المشكلة اليهودية ويأخذ منها موقفا ، وقد سهلت النازية بلا حدود اتخاذ هذا الموقف ودفعت به باتجـاه موقف جماعي موحد ، هو ضرورة وجود وطن لليهود ، وبذلك تلاحم موقف من يعتبرون اليهود « فكر الانسانية النقي » مع موقف من يعتبرون اليهود « أصلا للشر »(٣) · وهكذا جثمت القضية الفلسطينية في بحر من الصمت ، فالفلسطيني لا وجود له · ان مركب الإثم الذي أثقل كاهل الانسان الاوربي جعله يقذف بالقضية الفلسطينية الى عالم النسيان ·

لم تكتف الصهيونية بهذا النجاح والتأييد الذي خلقته لها اعتبارات تاريخية معقدة ، بل جندت كل ترسانتها الاعلامية لاعطاء صورة مشرقة لاسرائيل ولتبرير وتمرير كل ممارسات اسرائيل العدوانية ، فكان الاعلام الفرنسي مرتعا بلا حدود لها حتى عام ١٩٥٣ ، حيث أخذت صحافة الحزب الشيوعي تنتقد للمرة الاولى اسرائيل كقاعدة للامبريالية الامريكية ·

لكن صوت الحزب الشيوعي الوحيد والمستحي في الوقت نفسه لم يقلل من سطوة الصهيونية على الاعلام الفرنسي ، فبقيت تسيره وتنمو به بالاتجاه الذي تريد ·

ولا شك أن وسائل الاعلام في بلد متقدم كفرنسا تلعب دورا كبيرا وأساسيا في صياغة الفكر السياسي للمواطن ، فهو يرى الامور ويحاكمها من خلال منطق الاعلام المسيطر ، لذلك فان الفرنسي كان يرى الأمور في الشرق الاوسط من خلال منظور صهيوني ، فاسرائيل غدت بالنسبة له كيانا ثابتا ورمزا للحضارة ، وهي لم (تولد) في عام ١٩٤٨ بل استعادت حقها التاريخي فقط الذي سلبه العرب واغتصبوه خلال قرون عديدة · ان الصراع العربي ــ الاسرائيلي لم يكن يرى الا من منظور واحد فقط هو المنظور الصهيوني ·

أضف الى ذلك أن الدعاية العربية التي أرادت أن تواجه الدعاية الصهيونية في وقت ما ، لم تعط الا نتائج سلبية ، فقد كانت عاجزة عن ايجاد الصيغ الملائمة للتخاطب مع الانسان الغربي ، فخاطبته بمنطقها جاهلة أن بنيان الفكر الغربي لا يماثل بنيان الفكر العربي ، وأن رؤية الاول التاريخية للأمور تغاير رؤية الثاني ، بل يمكن القول أن الدعاية العربية في وقت ما ، خاطبت الانســان الاوربي بمنطق الفصاحة والفروسية بدلا من منطق العقل والعلم · ان الدعاية العـربية بالنسبة للانسان الاوربي لم تكن الا لاسامية جديدة ، أو فاشستية عربية · أضف الى ذلك أن الصهيونية قامت بترجمة كل الخطب والنصوص الداعية الى « ذبح اليهود والقائهم في البحر »(٤)·

الى جانب كل هذه العوامل التي تجعل الانسان في أوروبا يقـف الى جانب اسرائيل ، يجب أن نضيف بعدا اخرا ،ان الاوربي بحكم ثقافته وتاريخه السياسي لم يكن يرى الصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي الا من خلال معادلة منحازة مسبقا ، فالصراع بالنسبة له لا يتم بين شعبين أو أمتين بل بين قادم من **الغرب** (اليهودي) وآخر من العالم الثالث (الفلسطيني) · وبالتالي وبسبب ثقافته التي تجثم فيها حتى اليوم مركبات كولونيالية فانه رأى الصراع يتم بين جزء منه (اليهودي) وجزء خارج عنه (وانسان من المستعمرات) · لذلك فان الكثيرين من المـدافعين عن

اسرائيل يرون في صراعها امتدادا للغزوة الاوروبية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من أجل نشر « الحضارة الاوربية » ٠

ان المحصلة المنطقية لكل هذه الاعتبارات تتمثل في تأييد لاسرائيل ونسيان أو قفز واع أو غير واع عن المشكلة الفلسطينية ٠ ان نشاط أجهزة الدعاية الصهيونية وقنواتها المتعددة الاشكال جعلت للصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي حضورا مستمرا بين أوساط الشعب الفرنسي ، لكن هذا الصراع لم يكن يرى الا من خلال جانب واحد : الجانب الصهيوني ٠ يقول جان وليم لابيير في كتابه « اسرائيل وكبرى الصحف الفرنسية في عام ١٩٥٨ » « ان الشعب الفرنسي يهتم بقضية الصراع في الشرق الاوسط أكثر من بريطانيا والسويد والمانيا الغربية والنرويج وبلجيكا ٠٠٠ والرأي العام الفرنسي بمجمله يقف في صالح اسرائيل »(٥) وقد وصل لابيير الى هذه النتيجة بعد أن قام بدراسة دقيقة لـ ١١٧٠٠ جريدة ٠

ظهور المقاومة الفلسطينية والصحافة الفرنسية

ان تطور حركة نضال الشعب العربي وتنامي التيار الوطني في كثير من البلدان العربية ، وظهور المقاومة الفلسطينية ، قدم معطيات جديدة الى المسرح السياسي في العالم ، فانكسر جدار الصمت الذي اخفى القضية الفلسطينية ، فعادت الى الوجود من جديد ، ولا شك أن العامل المحدد لعودة القضية الفلسطينية كان وما يزال المقاومة الفلسطينية التي لعبت دور طليعة الشعب الفلسطيني والناطق باسمه والباعث والمؤكد لهويته ٠ لم تتلق الصحافة الفرنسية ظهور حركة المقاومة كحركة تحرر وطني ، أو تمرد وثورة ضد ظلم رزح تحته الشعب الفلسطيني طويلا ، بل تلقته كمجرد خبر ، أو بشكل علمي أدق كأمر تجريبي Empirique ، وتلقي الحدث كأمر تجريبي يعني أخذه كخبر يومي بدون تحديد بعده التاريخي ومضمونه القومي والاجتماعي ٠ اذن منذ البدء حاولت الصحافة الفرنسية (باستثناء صحافة الحزب الشيوعي) اجهاض المضمون التحرري لحركة المقاومة ٠ أمر آخر يجب التأكيد عليه ، هو أن هذه الصحافة رأت المقاومة ، من جديد ، من خلال نظارات صهيونية ، فكانت تستعمل في وصفها الالفاظ والنعوت الواردة في الصحافة الاسرائيلية ٠ ولنأخذ مثالا على ذلك ٠

ان المسؤولين في اسرائيل كانوا ينعتون الفدائيين باسم المخربين والارهابيين ، فاسحاق رابين صرح في مقابلة له مع أريك رولو « ان سوريا هي الاب الروحي لحركة فتح التي تضم الارهابيين العرب الفلسطينيين ٠٠٠٠ وان اسرائيل ستقوم بعمليات انتقامية ضد سوريا ضد عمليات التخريب الآتية منها »(٦)٠ ان النعوت : ارهابي ، مخرب ، عمليات تخريب ، تبنتها واستعملتها بغزارة الصحافة الفرنسية ، وهي تعني بذلك الحاق الضرر بدولة شرعية من قبل اناس يكسرون القانون المتعارف عليه في العالم ، أي أن ما هو لا شرعي يسيء الى الشرعي ٠ فصحيفة اللوموند تصف عمليات المقاومة كالتالي « وقع حادث تخريبي في قرية كفر ـ هس قرب تل ابيب ولم تقع ضحايا ٠ويقول المراقبون أن منظمة فتح هي المسؤولة عن الحادث »(٧)٠ وفي مكان آخر تستعمل كلمة اعتداء لوصف العمل الفدائي « اعتداء عربي على الحدود الاسرائيلية ٠٠٠٠ ويقول المراقبون أن منظمة فتح التخريبية هي المسؤولة عن هذا الحادث »(٨)٠ كما تستعمل كلمة ارهابي في مكان آخر « عمليتا تخريب قام بهما الارهابيون داخل اسرائيل ، ونتج عن ذلك خسائر هامة » (٩)٠ وهكذا فان النشاط الفدائي كان يرى كعمل خارج على القانون ، والتطابق هنا ظاهر بين المنطق

الاسرائيلي ومنطق الصحافة الفرنسية ، لذلك فان المناضل الفلسطيني كان يقدم للعيان كارهابي فقط · فقد قدمت اللوموند محمود حجازي تحت العنوان التالي : « محمود حجازي المتهم بالارهاب يشكو من عدم كفاءة المحكمة الاسرائيلية · وهو عضو في المنظمة الارهابية العربية فتح »(١٠) · وعلى الرغم من الحكم الجائر الذي وقع على المناضل حجازي فان صحيفة اللوموند عادت فوصفته من جديد بالارهابي « تخفيف الحكم الصادر بحق الارهابي الاردني حجازي وانزاله من عقوبة الاعدام الى السجن مدة ثلاثين عاما »(١١)·

ان كل الصحافة الفرنسية (ما عدا الاومانيته وشهادات مسيحية) أعطت صورة سلبية للمقاتل الفلسطيني ، وهي عند تقديمها هذه الصورة لم تكن تشير الى ظروف حياته ولا الى حقوقه القومية · فهو بالنسبة لها مجرد معتد « يجتاز الحدود للتخريب » ويلقي « متفجرات فوق البيوت والمزارع الهادئة » ويعرض « حياة السكان الى الخطر » ·أي أن كل الممارسات الثورية للمقاتل الفلسطيني ليست الا انتهاكاً لحرمة دولة ذات كيان ومعترف بها · هذا الوصف للفدائي الفلسطيني كان منتشرا في « فرانس سوار ، الفيجارو ، الأورور ، لا دبيش ، سود ويست ، ··· »

لكن هذا التقديم السلبي للعمل الفلسطيني في الصحافة الفرنسية ، كان يتضمن بشكل لا مباشر أمورا ايجابية ،فهو اشارة لتفجر وضع ، أو علامة لشيء ما يحتاج الى توضيح ومعرفة ، أي أنه بشكل عام مثير للفضول · ذلك أن القارىء الفرنسي المحاصر والغارق في الدعاية الصهيونية بدأ يطرح أسئلة جديدة ، ويرى وجها جديدا للقضية الفلسطينية ، وكان عليه بالتالي أن يفتش ويتلمس صورة الفلسطيني الحقيقية عبر الغيوم والدخان الذي تثيره الأقلام الصهيونية ·

وقد تجلت الظواهر الايجابية ــ والتي مرت بشكل لا مباشر ولا واع ــ من خلال شكلين :

الشكل الاول : أن القضية الفلسطينية حاضرة وذات حركة ، وأنها ليست مجرد « مشكلة لاجئين يمكن حلها بالاحسان الدولي » ، والفلسطيني يطالب بأرضه ، ويشير بأصابع الاتهام الى مغتصبي هذه الارض ويشرع في وجههم البندقية · والفلسطينيون ليسوا كيانا بشريا سلبيا وخاما وصامتا في خيامه ، بل هم يقومون بعمل عسكري ·

وهذا نتج عن الاخبار المتواترة عن أعمال « التخريب » التي يقوم بها « الارهابيون » الفلسطينيون ، وعن ردود الافعال العسكرية التي تقوم بها اسرائيل ضد الفدائيين وضد الدول التي ينطلق منها العمل الفدائي : « غارة اسرائيلية على الاردن للرد على أعمال التخريب التي قامت بها العاصفة » ·(١٢) « الاسرائيليون يلاحقون القائمين بأعمال التخريب « فتح » ويشركون في ذلك عددا من طائرات الهيلوكبتر » ·(١٣) ·

ضمن اطار هذه الصورة المتمحورة حول تخريب ــ ردود أفعال انتقامية بدأت صورة الشعب الفلسطيني تفرض نفسها شيئا فشيئا ·

الشكل الثاني : ان عودة صورة الفلسطيني الى العيان تعود بشكل أساسي الى ظهور المقاومة ، التي أخذت تجذب الانظار الى معنى كيان اسرائيل ودلالاته ، والى معنى نضال الشعب الفلسطيني · لهذا فان ظهور حركة المقاومة كان منشطا ودافعا لحركة الشعب الفلسطيني نفسه من ناحية وللعناصر الاجنبية والعربية المتعاطفة معه من ناحية اخرى · لذلك واكب ظهور المقاومة وتناميها صعودا للعمل الاعلامي المدافع عن فلسطين · وكان هذا وجها آخر للنضال الفلسطيني فرض نفسه

على الصحافة الفرنسية ، أو جزءا منها على الاقل • اذن فصورة الفلسطيني ظهرت بشكل اخر ، فهو ليس ارهابيا ولكنه مدافع عن قضية عادلة • فصحيفة اللوموند نشرت في ١٧ آب ١٩٦٦ رسالة موجهة من مارسيل مانفيل ومكسيم رودنسون ، كلود غاليمان ، ومنظمة طلبة مسلمي شمال افريقيا ، جاء فيها : « منذ عشرين عاما ، ودعاية وحيدة الجانب في أوربا تخفي الوجه الحقيقي للمشكلة المطروحة •ان احدى عشرة منظمة طلابية عربية وافريقية عقدت اجتماعا في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في ٢٥ أيار ١٩٦٦ برئاسة مارسيل مانفيل • ان اهتمام المجتمعين يدور حول فتح حوار ديمقراطي ومنتج مع المنظمات المقتنعة بعدالة القضية الفلسطينية والمطالب العادلة للشعب الفلسطيني »(١٤)•

اذن فالقضية الفلسطينية لم تعد تقدم فقط بشكل سلبي ، بل أصبحت تقدم « كحركة شعب ضد واقع كولونيالي »(١٥)• وقد قام طلاب الغرب بدور بارز في هذا الاتجاه(١٦)• ان تقديم صورة كهذه في الصحافة الفرنسية أمر في منتهى الاهمية ، حيث أن هذه الصورة تقدم صورة شعب له شخصية قومية ويخوض نضالا ضد واقع كولونيالي •

ان الصحافة الفرنسية وحتى عام ١٩٦٨ كانت ترى الفلسطيني من خلال ثلاثة مقولات : اللاجىء والعربي والارهابي • واذا كانت مقولة الارهابي تناط فقط بالعمل الفدائي ، فان المقولتين الثانيتين كانتا مثقلتين بدلالات اجتماعية وسياسية • والكلمات ليست دائما حيادية ، وهنا فان هاتين الكلمتين : لاجىء وعربي تأخذان موقفا واضحا تجاه نضال الشعب الفلسطيني وقضيته •

ان كلمة لاجىء تعني نزع الفلسطيني عن أرضه ، وتركه كذات بدون تحديد حقوقي ، فهو انسان مغترب ليس له لا أواصر جغرافية ولا حقوقية ، وانما انسان ضائع مباح ، أي انسان أقل قيمة من الاخرين • ان الترجمة السياسية لهذا تعني أن مشكلة الفلسطينيين هامشية ، مشكلة لا قيمة لها ، يمكن حلها عن طريق مساعدة الامم المتحدة والدول الخيرة(١٧)•

لذلك فان الصحافة الفرنسية كانت تطرح الامر دائما كمشكلة لاجئين ولاجئين فقط « اللاجئون العرب الفلسطينيون »(١٨)• ان هذا يعني أن المشكلة الفلسطينية سهلة ولا يحتاج حلها الى جهد كبير ، وبالتالي فهي ليست قمينة بالضجة التي يثيرها العرب حولها • وهذا المنطق الحيادي ظاهريا يشكل امتدادا أمينا للدعاية الصهيونية • فروبرت مزراحي يرى « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والاقلية العربية في اسرائيل مشكلة صغيرة تجريبية » (١٩)• وهذا يعني أنه من اللامنطق « تعكير صفو اسرائيل من أجل مشكلة لا شأن لها » •

المقولة الاخرى التي تستعملها الصحافة الفرنسية هي العربي ، أو عرب فلسطين « قام ارهابيون عرب من فتح بوضع عبوات ناسفة في مدينة مارغاليوت القريبة من الحدود اللبنانية ، وأدى ذلك الى خسائر هامة »(٢٠) والفيجارو تجعل من ذلك عبارة نمطية لها « أعمال العرب التخريبية المستمرة على حدود اسرائيل تهدد السلام في الشرق الاوسط »(٢١)• ان استعمال كلمة عربي وليس كلمة شعب فلسطين تعني انكار المميزات الخاصة بالشعب الفلسطيني وانكار حقوقه القومية ، فغولدا مئير تقول « ليس هناك فلسطينيون هناك عرب بشكل عام وللفلسطينيين مكان بينهم »•

الفدائي والصحافة الفرنسية

بعد هزيمة حزيران وتصاعد العمل الفدائي ، احتل النضال الفلسطيني مكانا بارزا في الصحافة الفرنسية ، وأصبحت كلمة فدائي نظيرا للنضال الفلسطيني ،

وعلى الرغم من أن الصحافة اليمينية لم تكف اطلاقا عن تقديم الفلسطيني كارهابي ، فان الصدى الكبير الذي خلقه النشاط الفدائي الفلسطيني ، جعل كلمة فدائي تفرض نفسها حتى على الصحف الموالية للصهيونية • ومعنى ذلك أن الشعب الفلسطيني بدا ككيان متميز يدافع عن قضية محددة وله مسار نضالي واضح المعالـم ، لذلك وجدنا أن بعض الصحف أخذت تتكلم عن واقع الشعب الفلسطيني ، وطموحات هذا الشعب ، وتمرده على شروط حياته البائسة ، أي أن الضوء ألقي بشكل كامل على حدود المشكلة الفلسطينية ومضمونها • وقد ظهر هذا من خلال الشكل الـذي أصبحت تطرح فيه القضية • فالفدائي محرك أساسي في منطقة الشرق الاوسـط « اسرائيل تطلب من لبنان الا تجعل من أرضها قاعدة للعمل الفدائي »(٢٢)و « المقاومة الفلسطينية تزيد من عملياتها في المناطق المحتلة »(٢٣)• ضمن هذه الشروط وجدنا أن كلمة ارهابي توارت من قاموس الصحافة الفرنسية وحل مكانها : فدائي ، المقاومة الفلسطينية ، مناضلو المقاومة الفلسطينية (٢٤)•

وقد واكب الحضور الحار للنضال الفلسطيني في الصحافة الفرنسية ، تغير كيفي وكمي في طرح القضية الفلسطينية ، فأضحت محورا لحوار ونقاش مستمرين • وهذا يعني أنه أصبح ينظر للمقاومة كقوة سياسيـة وعسـكرية مـؤثرة فيمنحى الصراع في الشرق الاوسط ، بل أخذ البعض ينظر اليها كمهدد حقيقـي لسلامة اسرائيل •لم تكن غزارة الحوار بالضرورة لصالح القضية الفلسطينية فقط ، فالاقلام الصهيونية سعرت نشاطها لتظهـر أن أهداف المقاومة الفلسطينيـة خيالية وغير قابلة للتحقيق وهي تهدف في نهاية الامر الى تدمير اسرائيل ، أي أن غزارة الحوار مثلت حملة أيديولوجية هدفها لجم الدعاية الموالية للعرب والاساءة الى جوهر العمل الفدائي • لا شك أنه في حومة هذا الحوار كـان هناك مكـان مـوال للنضال الفلسطيني ، فبالاضافة الى مواقف رودنسون الشجاعة يوجد جاك بيرك وجان جنيه وجان بيير فيجيه ، فيليب سولرز •••••• ان موقف هذا الطرف يرى في اسرائيل كيانا كولونياليا ، وأن السلام لا يمكن تحقيقه في الشـرق الاوسط طالما لم يعـد الفلسطينيون الى بلادهم ، أو طالما يبقون بلا وطن ولا دولة ، وأن البؤس الذي يعيشه الفلسطينيون يشكل أساسا موضوعيا لكل ممارساتهم حتى المستهجنة منها • وقد عبر عن كل هذا بوضوح ودقة جاك ميرسيه (٢٥) •

أما الاطروحات المدافعة عن اسرائيل فقد ارتكزت على مجموعة حجج ذهنية أو غيبية ، وفي كلتا الحالتين يبدو وجه العنصرية فيها بوضوح • ألان رافن يرى التطرف قائما في المعسكرين ، فالمتطرفون الاسرائيليون انصار اسرائيل الكبـرى لا يختلفون عن قادة المقاومة الفلسطينية فكلاهما يرفض أي حل وسطي أو حل قائم على التفاوض المباشر (٢٦) •

أما ناتالي ساروت الكاتبة المعروفة فتقول « ان اسرائيل لم تساعد اللاجئين الفلسطينيين ، وهذا مؤسف ، لكن هؤلاء خرجوا من بلادهم بسبب الخوف وبأمر من زعمائهم • ان اسرائيل دولة ديمقراطية اذا ما قيست بالحكـومات العـربية المحيطة بها ، بل أنها بلد اشتراكي ، للطبقة العاملة فيه دور في منتهى الاهمية • ان اسرائيل بذلك حققت أحلام فوريـيـه • ان منظمة فتح التي تدعي بأنها تمثـل الفلسطينيين ، والمدعومة من قبل ملوك البترول تبغي وتهدف فقط الى قتـل اليهود وتقتيل العرب واليهود معا » (٢٧) •

ومونا القايم تعتقد أن « خطأ فتح يكمن في انها تريد ارجاع اسرائيل الى اقلية

دينية في دولة ديمقراطية • مع أنه من الواجب أن يتم اعتراف متبادل بين الطرفين » (٢٨) •

أما اندريه فونتين ، أحد محرري صحيفة اللوموند ، فهو يغرق محاكمته في بحر من « الانسانية » ، « فموقف فرنسا من اسرائيل يمهد الى أوشفيتس جديدة ، ذلك أن اليهود ، وبسبب اضطهادهم في التاريخ ، أصبحوا لا يثقون بأحد ، كما أن ما يطالبون به في سياستهم الراهنة انما هو نتيجة لسوء ظن مشروع وضروري »(٢٩) اذن فالتوسع والعدوان الاسرائيلي امران مشروعان في رأي فونتين ، اذ أن هذا العدوان يعود فقط الى سوء الظن الذي يزامل اليهودي بسبب تجربته التاريخية • ان الماضي اليهودي يشفع دائما للحاضر •

ان كل هذا الحوار بشكليه المتناقضين انما عبر عن حقيقة واحدة ، هو تحول المقاومة الفلسطينية الى حركة متصاعدة توصل صوتها الى كل أركان العالم • فاللاجىء الذي كان كيانا خاما بلا حراك تحول الى فدائي مقاتل يسمع صوته من كل المنابر الثورية في العالم • « فالمقاومة المناهضة لاسرائيل ستخلق حربا لا نهاية لها بين الفلسطينيين واسرائيل »(٣٠)و « ندوة اليسار الايطالي تستقبل وفد فتح بحفاوة كبيرة ، حيث طرح مندوب فتح شعار منظمته من أجل دولة ديمقراطية »(٣١) « وموسكو ستستقبل عرفات كرئيس دولة »(٣٢)•

وهكذا اختفت صورة الارهابي لتحل محلها صورة ايجابية ، الا أن هذا التغيير في منطق الصحافة لم يكن نتيجة لقناعة ، بل فرض نفسه فرضا ، أي أصبح لها ظاهرة لا مفر منها •

من النزعة الانسانية الى عنصرية بلا قناع

أخذت حوادث الاردن في ايلول طابعا مميزا ، فمقابل المجازر الدموية والتقتيل الذي لحق بالفلسطينيين ، وقفت معظم الصحافة الفرنسية موقفا انسانيا ، أي أنها لم تنظر الى الامر من ناحيته السياسية بل من ناحية انسانية أخلاقية • وقد وقفت صحيفة الاومانيته الناطقة باسم الحزب الشيوعي الى جانب الشعب الفلسطيني ، فتكلمت عن الاسس التاريخية للمأساة الفلسطينية ، كما وصفت جيش الاردن بـ « القطعان الوحشية » ، وأثنت على الدور الطليعي الذي يمثله نضال الشعب الفلسطيني « ضد حكم اقطاعي ملكي »(٣٣)• ولم تر صحيفة الاومانيته في هذا النزاع الدموي نزاعا بين أخوة وأشقاء ، وانما بين الثورة والثورة المضادة • كما حاولت صحيفة اللوموند أن تقوم بتغطية موضوعية للاحداث ، بل أن المنطق الداخلي لكثير من المقالات والافتتاحيات كان يقف الى جانب الشعب الفلسطيني : « الفدائيون يقاومون ببسالة في العاصمة »(٣٤) « ان الحوادث الجارية لا ينظر اليها كمشكلة انسانية ـ مشكلة لاجئين ـ بل هي مشكلة سياسية ، وكل حل للنزاع في الشرق الاوسط لا ينظر اليها بعين الاعتبار سيكون خاطئا » (٣٥)كما افسحت اللوموند صفحات طويلة للتحدث عن الطرق الوحشية التي تميز بها الجيش الاردني في ضربه للفلسطينيين(٣٦) •

أما الصحافة الصهيونية السافرة فقد كانت تشير الى الاسباب التي أدت الى هذا النزاع الدموي ، بل حاولت أن تجعل من قضية خطف الطائرات السبب الاساسي في هذا النزاع(٣٧)• أما الصورة التي أعطيت فتدور حول « الفرق الحضاري بين ملك الاردن والمقاومة الفلسطينية » • فخطف الطائرات وترك ركابها يعانون من الحر والبرد يشكل « انتهاكا للحضارة » • لذلك فان ضرب الشعب الفلسطيني في الاردن أمر مبرر لان باطنه يتضمن الدفاع عن الحضارة •

وقضية خطف الطائرات هذه لاقت استنكارا من قبل كل الصحف الفرنسية · فلم تر في القائمين بالعمل الا « متطرفين لا مسؤولين »(٣٨) واساءة لاناس أبرياء لا علاقة لهم بساحة الصراع · أما ميشيل تانو فرأى فيه « عملا كريها لا انساني ، وان مقارنته بالعمل الثوري في فيتنام أو أمريكا اللاتينية ليس الا ديماغوجيا · وان مثل هذا العمل يظهر أن المقاومة لا تعرف ماذا تريد » (٣٩) ·

أضف الى ذلك أن هذه الممارسات أظهرت المقاومة كحركة لا متجانسة ، وأنها لا تتمتع بأي وحدة حقيقية ، وأظهرت أن القيادة عاجزة عن ضبط كل ممارسات فصائل المقاومة(٤٠)· وقد رأت الصحافة الصهيونية في عدم التجانس هذا وسيلة جديدة يمكن استعمالها ضد القضية الفلسطينية · فعمدت الى أطروحة ليس هناك مقاومة بل مقاومات ، وبين هذه المقاومات لا يوجد أي فرق جوهري فكلها تجعل من الارهاب عمودا فقريا لعملها ·

على الرغم من المسار الصعب الذي سلكته المقاومة بعد حوادث أيلول ١٩٧٠ ، فان أثرها السياسي بقي قائما في الصحافة الفرنسية · الا أن ذلك التواجد أقل بكثير من سنة ١٩٦٩ و ١٩٧٠ حيث بلغ مد المقاومة أوجه · وبقيت المقاومة تمثل حركة طليعية ينبغي الدفاع عنها · وقد تجلى ذلك في بيان وجهه أكثر من ثمانين شخصية من المثقفين الفرنسيين ضد المحاولات التي تقوم بها الحكومة الاردنية لتصفية حركة المقاومة أثناء أحداث أوائل كانون الثاني ، وقد اتهموا في بيانهم « الامبريالية الامريكية والرجعية العربية وحكام اسرائيل المتطرفين » بأنهم وراء المؤامرة · وكان من بين الذين وقعوا هذا النداء عدد من الشخصيات الثقافية والفنية (٤١) ·

وقد وقفت العناصر الديمقراطية الى جانب المقاومة الفلسطينية في أعتى فتراتها ، ومن خلال عملها كانت تلقي ضوءا مستمرا على القضية الفلسطينية سرعان ما ينعكس على الصحافة ، ومثال هذا النداء الذي نشرته لوموند · وهذا النداء الموقع من قبل طائفة من المثقفين ، يتضمن تسعة اقتراحات لحل سياسي للأزمة ، أهمها أن اعتراف اسرائيل بحتمية وجود أمة فلسطينية ، هو ادنى شرط مسبق ، كي يتمكن الفلسطينيون بدورهم من الاعتراف بأمة اسرائيلية (٤٢) ·

بدت المقاومة الفلسطينية في عامي ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ متعبة ، مثخنة بالجروح ، لذلك فان صدى المقاومة الفلسطينية بدا باهتا · الا أن القضية الفلسطينية عادت فطرحت بشكل جديد من خلال عمليات اللد وميونيخ وعمليات خطف الطائرات · ومما لا مراء فيه أن الصحافة الصهيونية أطلقت كل ما في جعبتها لترجع قضية الشعب الفلسطيني الى قضية « قتلة وسفاحين » · وأرادت من وراء ذلك نسف وتشويه سجل المكتسبات الايجابية التي حققتها المقاومة الفلسطينية في فرنسا بشكل خاص والعالم الاوربي بشكل عام ·

فعملية اللد قدمت ضمن اطار مهول يعتمد على قطبين البراءة والوحشية ، وقد قدمت المقاومة الفلسطينية هنا « كعصابة ارهاب دولية »(٤٣) وقد أدانت العمل صحيفة الاومانيته ، ورأت فيه صحيفة لوموند (عنفا أعمى)(٤٤)· واذا كانت الصحف الموالية للصهيونية ترسم العمل كنتيجة لبنيان نفسي متوحش قافزة فوق القضية الفلسطينية ، فان صحيفة الاومانيته ركزت على عدالة القضية الفلسطينية على الرغم من ادانتها « لكل أعمال العنف مهما كان مصدرها » (٤٥) ·

الا أن الحقد العنيف ضد الشعب الفلسطيني لم يأخذ ابعاده اللامتناهية الا

بعد عملية ميونيخ ، حيث لم تقدم الصحف صورة اعلامية عن الخبر ، بل حملة هستيرية عنصرية محرضة ٠

وعلى الرغم من المناخ المهول الذي خلقته أجهزة الاعلام الصهيونية ، فقد ارتفعت بعض الاصوات لتدافع عن قضية الشعب الفلسطيني ٠ فكتب النائب الديغولي لويس تيرنوار في صحيفة لوموند مقالة بعنوان « اليأس لطرف والعار لطرف آخر » جاء فيها « ان هذه العملية جاءت نتيجة سلوك الحكومة الاسرائيلية واعطائها تعليمات ماكرة للبوليس الالماني ، لذلك فان من يجب أن يحاكم هنا هي غولدا مئير »٠ (٤٦)وقد استعملت الصحافة كل النعوت المكنة في وصف الحدث ٠ فهو « مجزرة » (٤٧)و « وحشية مطلقة »(٤٨)و « كابوس وجريمة مرعبة»(٤٩) و « بربرية دموية » ٠

وقد اعتمدت الصحف الصهيونية (فرنس سوار ، الفيجارو ، الأورور) في حملتها هذه على ثلاث مقولات ٠ أولا أن هذا العمل « الوحشي » قد كسر هدوءا ونظاما مسيطرين ، أي أنه اعتداء على تقاليد المجتمع الاوربي ٠ ثانيا : ان هذه العملية قد حطمت مناسبة انسانية للتنافس القائم على المحبة والتواصل الانسانيين ٠ وثالثا : ان هذا العمل هو تعبير عن بنية نفسية متوحشة ٠ وبالتالي فان القائمين بالعمل يجب نفيهم من المجتمع الانساني (٥٠) ٠

ان المنطق النمطي للصحافة الفرنسية ظهر بوضوح ابان اغتيال المناضل محمود الهمشري ، ذلك أن الموقف الذي اتخذته كل صحيفة يعبر بشكل كامل عن موقفها النمطي ، أي عن جوهر منطقها ، اننا نستطيع أن نلم ونستقرىء منطق كل صحيفة انطلاقاً من موقفها ازاء حادث محدد ، ففرانس سوار ترى في الحادث انفجارا حصل نتيجة اللعب أو صنع مواد متفجرة ، وأن التحقيق لم يثبت وجود عملية اغتيال(٥١)٠ أما صحيفة الأورور فقالت : من المحتمل أن يكون الحادث تسبب عن اقتناء الضحية مواد متفجرة في منزله(٥٢)٠ الصحيفة الوحيدة التي أشارت مباشرة بأصابع الاتهام الى الصهيونية هي الأومانيته(٥٣)٠

ان الصحافة الصهيونية لم تكتف بتزوير الحقائق وتشويه صورة الحقيقة ، بل انتقلت لتصبح أداة لتغطية جريمة مكشوفة ٠

الفلسطينيون في الامم المتحدة

مع بداية ١٩٧٤ ، أخذت المقاومة الفلسطينية صورة شبه جديدة في الصحافة الفرنسية ، فالمقاومة أعلنت أكثر من مرة شجبها لعمليات خطف الطائرات ولكل العمليات ذات الطابع الفردي البعيد عن استراتيجية الثورة ٠ وبدت كحركة تستعمل كل السبل المكنة ، العسكرية والسياسية منها من أجل استرجاع حقوقها التاريخية(٥٤)وأنها تعتبر الاسرائيليين ككل أعداء لها بل هي مستعدة أن تناضل بشكل مشترك مع العناصر المناهضة للصهيونية والهادفة الى دولة ديمقراطية(٥٥)٠ وأصبحت بعض الصحف تتكلم عن الواقعية الجديدة في المقاومة ، والتي تعني أن المقاومة أو بعض فصائلها يقبل اقامة دولة على جزء من فلسطين(٥٦)٠ واعتبرت هذا الامر تقدما كبيرا في موقف المقاومة وقدرة على فهم طبيعة الظروف والشروط السياسية والقدرة على الاستفادة منها ٠

ولا شك أن حرب رمضان وما تأتى عنها خلق بدوره مجالا سياسيا جديدا ، في هذا المجال كانت صورة المقاومة متواجدة بأشكال عدة ٠ فقد قدمت أحيانا كقوة

عسكرية هامشية بالنسبة الى الجيوش العربية الاخرى ، وأن دورها في الحرب كان ضئيلا ، وهذا يعني أن طليعتها التاريخية قد توارت بعيدا ، وأنها لم تعد الحركة الشعبية القادرة على أن تستقطب الجماهير حولها(٥٧)ذلك أن حرب أيلول في الاردن جعلتها مهيضة الجناح • وهذه الصورة السلبية الجديدة جعلت من المقاومة طرفا سلبيا في النزاع ، أي طرفا محددا وليس محددا ، لذلك فان التحليل السياسي لمؤتمر جنيف وامكانية اقامة سلام في الشرق الاوسط ، كان يظهر المقاومة كحركة مقادة سياسة وليست سيدة أمرها (٥٨)وهذا التحليل كان أحيانا يسير من أبعد ذلك فهو يتكلم عن مقاومة مروضة •

الا أن النشاط الدبلوماسي الكثيف للمقاومة الفلسطينية عاد فأعطاها صورة أكثر حيوية وديناميكية • وقد ظهر هذا خلال ثلاث مناسبات هي : لقاء عرفات وسوفنيارج ، ثم مؤتمر القمة في الرباط ، وأخيرا دخول القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة •

فقد اعتبرت بعض الصحف أن مقابلة الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لوزير خارجية فرنسا سوفانيارج يعني اعترافا واقعيا de facto بالمقاومة الفلسطينية(٥٩)، وأنه يسيء الى مشاعر اليهود في فرنسا ، وأن في ذلك مباركة سياسية لمنظمات ارهابية ، وذلك بغية استجداء البترول العربي • مهما يكن من أمر فأن هذه المقابلة شكلت نصرا سياسيا هاما للمقاومة الفلسطينية(٦٠) • حيث أن اسرائيل بدت اكثر عزلة من اي وقت مضى • وبدت المقاومة الفلسطينية كحركة تتقد يوما بعد يوم وتنتزع دعم وتأييد الكثير من القوى في العالم وبذلك أصبحت « منظمة التحرير متوجة »(٦١)أي كيانا معترفا به • ثم جاء مؤتمر الرباط « ليكرس حق الفلسطينيين في اقامة سلطة وطنية مستقلة »(٦٢)• وبدا عند ذلك « أن القادة الاسرائيليين سيكونون مجبرين عاجلا أم أجلا على الاعتراف بالواقع القومي الفلسطيني » (٦٣) •

كان لطرح القضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، ووصول عرفات الى نيويورك صدى خاصا ، حيث أن الامر لم يكن عاديا ، والمسار الطويل التي قطعته المقاومة كان يدعو للتأمل ، لذلك فان الصحف الفرنسية ألقت الضوء على اعتبارات ثلاثة :

الاعتبار الاول : هو النجاح التاريخي الذي حققه الشعب الفلسطيني • فمن بؤس المخيم الى الثورة ، ثم الحصار والدخول من جديد الى الامم المتحدة ليعيد طرح قضيته من جديد في ظل ظروف جديدة(٦٤)• والتقدير هذا للنجاح الفلسطيني، جعل بعض المعلقين السياسيين يذهب الى تبرير « عمليات الارهاب » معتبرا أنها كانت انعكاسا موضوعيا للبؤس واليأس اللذين عاشهما الشعب الفلسطيني (٦٥) •

الاعتبار الثاني : هو شخصية ياسر عرفات ، كرجل سياسي ناجح ، استطاع أن يدفع بقضيته الى الامام ، واستطاع أن يفرض نفسه على العالم وعلى حركة المقاومة ، وأنه سلك كل الطرق الصعبة منها والسهلة ليوصل صوت شعبه الى العالم (٦٦) •

الاعتبار الثالث : هو عودة حادة للاطروحات الصهيونية التي كانت سائدة قبل حرب حزيران ، والتي ترى في أي عمل عربي تهديدا خطيرا ضد اسرائيل • فبدأ الكلام عن « مجزرة جديدة لليهود »(٦٧)• وأن الامم المتحدة بقبولها ياسر عرفات تفتح المجال أمام « الارهابيين » والارهاب ، بل أنها تبارك وتعطي صفة حقوقية شرعية للارهاب •(٦٨)وأن هذا الوضع سيدفع باسرائيل لاتخاذ كل الوسائل الممكنة

للدفاع عن وجودها ، وربما دفعتها عزلتها الراهنة وظلم العالم لها الى أعمال خطيرة (٦٩)٠

تتابع القضية الفلسطينية فرض نفسها بسبب نشاط المقاومة من ناحية ، وبسبب الاهمية العالمية لمنطقة الشرق الاوسط التي يدور فيها النزاع من ناحية ثانية ، والصفة الشرعية التي انتزعتها المقاومة بعد صراع طويل ٠ لذلك فان المشكلة الفلسطينية تفرض نفسها الان أكثر من أي وقت مضى ، وهي لا تطرح كمشكلة لاجئين ، بل كمشكلة ذات هدف محدد ، هو اقامة السلطة الوطنية في المناطق المحررة ، كما أن زعامة المقاومة هي زعامة سياسية معترف بها عالميا(٧٠)وليست كتائب ارهاب ٠

ضمن كل هذا المسار الطويل من اللاجىء الى الامم المتحدة ، فان القضية الفلسطينية كانت تفرض نفسها بنضالها ٠ وقد استطاعت أن تظهر واقعية وحكمة ألجمت الدعاية الصهيونية ، أي أنها ألقت بالاعلام الصهيوني في أزمة ٠ فالمقاومة لم تعد ترى كحركة ارهابية بل حركة انسانية ديمقراطية ، وبذلك سحبت البساط من تحت أرجل الصحافة الصهيونية ، لذلك فان صحف أقصى اليمين وقفت متعثرة عاجزة لا تعرف ماذا تقول عند دخول الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة(٧١)بل يمكن أن نقول أن ميزان القوى السابق على المستوى الاعلامي لم يعد ممكنا ، ذلك أن التفوق الاعلامي الصهيوني بني تغلغله ونفوذه بسبب غياب الشخصية الفلسطينية، أما الان فان حضور الشخصية الفلسطينية يرد الاعلام الصهيوني الى أصله ، أي يتركه بلا قناع ، ليبدو مجرد جهاز عملاق هدفه سحق الحقيقة ٠ بل حتى سحق الحقيقة هذا لم يعد ممكنا بسبب نمو وظهور الوجه الانساني والديمقراطي للمقاومة الفلسطينية ـ ان الاعلام الصهيوني في مأزق الان ، وهو يبحث عن صيغ ومقولات جديدة ٠

ملاحظات حول الصحافة الفرنسية

ان الصحف الفرنسية لا تشكل تعبيرا عن الرأي العام الفرنسي ، أي ليست انعكاسا له ، بل دورها ووظيفتها هو العكس ، أي خلق جمهور يقول بأفكارها ومنطلقاتها ، أي وسيلة بث ودعوة لافكار معينة ٠ أو يمكن أن نقول بشكل أدق ، أن كل صحيفة هي أداة أيديولوجية هدفها اعادة صياغة المفاهيم المنتشرة وزرع ونشر مفاهيم جديدة ٠ كانت الصهيونية واعية دائما للدور الفعال الذي يمكن ان يلعبه الاعلام في خدمة أهدافها السياسية ،لذلك فقد عملت لخلق جهاز كثيف متواجد في كل مكان ٠فكل صحف الاقاليم في فرنسا صحف صهيونية ، بل أن رئيس تحرير جريدة (لاديبش) في تولوز عضو في الجمعية الفرنسية ـ اليهودية ، ورئيس تحرير جريدة (سود ويست) في بوردو صهيوني عريق ، ولا يختلف الامر عنه في مدن أخرى ٠

ومن الصحف الخمس الرئيسية في باريس (لوموند ، الفيجارو ، فرانس سوار ، الأورور ، الاومانيته) تمتلك الصهيونية ثلاثة منها بشكل مطلق ، حيث أن الثلاثي (الفيجارو ، فرانس سوار ، الأورور) يبدو كصحف صهيونية فقط ، أي أن موقفه السياسي من الحكومة الفرنسية والتنظيمات السياسية يحكمه فقط موقفها من اسرائيل والحركة الصهيونية ٠ ان هذا الثلاثي مع الصحف الصهيونية الاخرى يمثل الناطق الرسمي باسم المصالح الاسرائيلية في فرنسا ٠

والان سنتعرض بايجاز الى ماهية الصحف الخمس الشهيرة ، كما سنعطي لمحة عن مجلتين تلعبان دورا كبيرا على المستوى الاعلامي هما : نوفيل اوبزفاتور والاكسبرس ٠

لوموند : صحيفة المثقفين والقطاعات المتنورة بشكل عام ، يصل توزيعها الى نصف مليون نسخة يوميا ، وتتميز بامرين أنها تحاول أن تعطي دراسة موضوعية وشاملة عن الموضوع ، كما تطرح كل الاراء الممكنة حول القضية المدروسة ، فتعرض الرأي وتفسح المجال لذكر نقيضه · بالنسبة للقضية الفلسطينية لم يكن موقفها مطابقاً لهذا بالضبط · ففي البداية كانت تعطي وجهة النظر الصهيونية فقط ، لكن نمو المقاومة جعلها تأخذ مواقف أكثر موضوعية · وعلى الرغم من ادانتها المستمرة للعمليات الخارجية فانها لم تتخل تماما عن موضوعيتها · وهي بشكل عام تمثل التيار الليبرالي ، أقرب الى اليسار منها الى اليمين · ويعود لها الفضل الاكبر في الاعلام عن القضية الفلسطينية ، فهي انطلاقا من حرصها على دراسة شمولية وتغطية كل ما يجب ، كانت تترك مكانا لكل ما يتعلق بالعمل والنضال والاعلام الفلسطيني · ويجب أن نركز هنا على أمرين أولهما أن فسح المجال للآراء المدافعة عن الموقف الفلسطيني لم يكن موازيا ذلك المعطى للطرف الصهيوني ، فمقابل كل مقالة تلتزم بالطرف الفلسطيني كان هناك مقالتان تلتزمان بالطرف الاسرائيلي ،(٧٢)(٧٣)الامر الاخر أن صحيفة لوموند تضمنت مئات الدراسات الوثائقية عن وضع الشعب الفلسطيني ومسار حركته الثورية · فمنذ بداية عام ١٩٦٦ وجدنا فيها وصفا هاما وايجابيا للواقع الفلسطيني « اللاجئون العرب الفلسطينيون يخلقون وعيا تعيسا ومرارة للعالم ، حيث أن شعبا بأكمله يعيش في المنفى وفي ظروف لاانسانية ، ويعتمدون في عيشهم على احسان وهبات الامم المتحدة ، وهم لا يظهرون أية علامة تكامل واندماج مع المجتمعات المضيفة لهم ، وما زالوا يظهرون حنينا وارتباطا ببلادهم ، وينظرون بشغف الى اليوم الذي يرجعون فيه الى بلادهم »(٧٤)· كما أشارت الى وضع الفلسطينيين في الاردن والامكانية الثورية التي يتميزون بها « الحنق يزداد بين الفلسطينيين في الاردن بعد الغارات الاسرائيلية في ١٣ تشرين الثاني · وكل فلسطيني يقول « كل منا مقاتل ، وسوف نقاتل هذه المرة فعلا ، فحماسنا ليس كلمات فقط بل سيتحول الى فعل مشخص » · والشعب الفلسطيني يظهر حماسا منقطع النظير للعمل الفدائي · والفدائي الذي يستشهد يقابل بكل آيات الحفاوة والتبجيل »(٧٥)· وقد تحدثت الصحيفة نفسها عن دلالة المقاومة الفلسطينية عند العرب خاصة بعد هزيمة حزيران ، فهي تمثل « شرف الانسان العربي وقدرته على المجابهة والصمود ، وهي لا تقاتل فقط من أجل فلسطين وانما من أجل كرامة الامة العربية قاطبة ، لذلك فان دعمها واجب وطني ، وعدم دعمها خيانة وطنية »(٧٦)(٧٧)·

ان افراد الصفحات الطويلة لهذا الشأن له دلالة ايجابية على المستوى الاعلامي ، فهو يظهر الظروف التي دفعت الفلسطينيين الى القتال ، ويظهر المقاومة كحركة شعبية وليست حركة معزولة منبوذة من قبل الجماهير · لا شك أن هذه المقالات كان يغلب عليها الطابع الاخلاقي المتوج بمسحة انسانية ، ولم تكن دائما مقالات ذات مضمون سياسي محدد · مع ذلك ، فان صحيفة لوموند شكلت بشكل أو بآخر منبرا يمكن التكلم فيه عن القضية الفلسطينية ·

فرانس سوار ، الفيجارو ، الأورور :

لهذه الصحف الثلاثة حوالي مليوني قارىء ، وتتسم أيديولوجية هذه الصحف بامرين ، أنها من ناحية أيديولوجية عرقية عنصرية كارهة لكل ما هو عربي ولكل ما هو آت من العالم الثالث · وأنها من ناحية أخرى منابر اعلام اظلامية موالية للصهيونية حتى النهاية · لذلك فان « أوربية » المشكلة اليهودية و « حضارة »

الحركة الصهيونية تعتبران من أطروحاتها الرئيسية . وهي في موقفها من القضايا العربية بشكل عام تمثل أيديولوجية القرن الثامن عشر الكولونيالية ، أي التي تقسم العالم الى فصيلتين ، احداهما متحضرة والاخرة متخلفة ، وواجب الاولى أن تعلم الثانية وتقيم معها علاقة الاعلى بالادنى . أما بالنسبة لدورها الصهيوني فيتألف من حزم ثلاث : ١ ـ تبرير كل ممارسات الحركة الصهيونية واسرائيل ، ٢ ـ تشويه وتزييف كل نضال فلسطيني ، ٣ ـ القيام بدور تحريضي من أجل مساعدة اسرائيل ، والتهجم على الحكومة الفرنسية عندما ترفض منطق السياسة الاسرائيلية . ومنذ حرب حزيران دأبت هذه الصحف الثلاث على مهاجمة السياسة الخارجية الفرنسية باستمرار .(٧٧)وقد لعبت دورا تحريضيا كبيرا عند أزمة صفقة الميراج بين فرنسا واسرائيل ، كما سعرت أوار هجومها عند صفقة الميراج الليبية . كما أن منطقها لم يختلف عن ذلك اجتماع ياسر عرفات وسوفنيارج . وعند كل تقارب عربي ـ فرنسي تطلق هذه الصحافة جملتها الشهيرة « ان فرنسا تضرب بعرض الحائط مشاعر وأحاسيس يهود فرنسا من أجل بعض المكتسبات الاقتصادية » وليس معنى ذلك أن اختيار هذه الصحف السياسي مشروط فقط بالموقف من اسرائيل . اذ أنها تمثل سياسيا موقف أقصى اليمين الفرنسي ، لذلك فانها وقفت الى جانب جيسكار في الحملة الانتخابية الاخيرة ، وهاجمت باستمرار فرنسوا ميتران كالعوبة بيد الشيوعيين . وبذلك فان فكرها الايديولوجي الاظلامي يتوافق تماما مع موقفها السياسي .

وفي حقل الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي فان هذه الصحف الثلاث تركز على امور ثلاثة :

١ ـ التهديد المستمر الذي يجثم فوق صدر اسرائيل . فهذه الاخيرة مهددة بالفناء في كل لحظة ، وكل حرب لها هي دفاع عن النفس فقط . لذلك فان كل عناوينها الرئيسية تسير بهذا الاتجاه . ففي حرب حزيران كان عنوان الفيجارو « مصر تجاه اسرائيل »(٧٨)، أما عنوان فرنس ـ سوار فكان « المصريون يهاجمون اسرائيل »(٧٩) . وعند استشهاد الرفيق الهمشري كانت عناوين هذه الصحف « موت ارهابي فلسطيني وهو يلعب بالمتفجرات » .

٢ ـ الحماس والفخار بقوة اسرائيل ، وتفوقها العسكري وقدرتها في الهيمنة على الشرق الاوسط ، لذلك فعناوينها تكون دائما على الشكل التالي « اسرائيل تضرب بقوة » ، « الجيش الاسرائيلي يقوم بعمل خارق »(٨٠).

٣ ـ الامر الثالث الذي يردد أحيانا في هذه الصحف هو : موقف انساني غائم من « اللاجئين الفلسطينيين » . اذ تتكلم أحيانا عن عذابات وبؤس الشعب الفلسطيني . وهي بذلك تحاول أن تعطي لنفسها مسحة موضوعية حتى تعطيها سهولة أكثر في الدفاع عن اسرائيل ، فهي تبدو هكذا مدافعا عن كل المضطهدين على السواء . لذلك فصحيفة الفيجارو تقدم وصفا يثير الشفقة عن شعب غزة « شعب عار ، جائع ، يبحث عن الخبز ، وعن وطن »(٨١).

ان سقوط هذه الصحافة أو صعودها منوط بحركة القوى الرجعية الفرنسية . الا أنه تجب الاشارة الى أن هذه الصحف تجد الان نفسها عاجزة ، ذلك أنه أصبح صعبا تقديم الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بشكله السابق . وهذا يعني سقوط الدعاية الصهيونية بشكلها الكلاسيكي ، والحاجة الى شكل جديد من الدعاية .

الأومانيته : الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي ، توزع حوالي ٢٥٠ ألف

نسخة يوميا ، وانتشارها ينحصر بشكل عام في أوساط الطبقة العاملة · وموقفها السياسي يعكس بالطبع موقف الحزب الشيوعي · وقد بدأت هذه الصحيفة في مهاجمة سياسة اسرائيل منذ عام ١٩٥٣ ، ثم زاد هجومها على اسرائيل بعد حرب السويس · وقد كانت الصحيفة الوحيدة التي دافعت عن العرب في حرب ٥ حزيران · وهي الوحيدة التي كان لها موقف مبدئي من الصراع العربي ـ الاسرائيلي · فهي تقول بوجود شعبين : اسرائيلي وفلسطيني وكل منهما له الحق في البقاء وتقرير المصير ، وهي تشير دائما الى قرار التقسيم لسنة ١٩٤٧ كأساس لحل النزاع الدائر · وقد وقفت بشكل حازم الى جانب الشعب الفلسطيني عند صراعه مع السلطة الاردنية · كما كانت الوحيدة التي حملت الحكومة الفرنسية مسؤولية اغتيال المناضل الهمشري ، بل أشارت الى تواطؤ البوليس الفرنسي مع الصهيونية· وقد هاجمت هذه الصحيفة وأدانت كل العمليات الخارجية وخاصة حادثة ميونيخ · الا أن ادانتها هذه لم تمنعها من التمييز بين هذه العمليات وعدالة القضية الفلسطينية · كما اعتبرت دائما أن هذه العمليات تسيء الى عدالة القضية الفلسطينية ·وقد حملت اسرائيل مسؤولية الوضع المتأزم الحالي في الشرق الاوسط ، ومسؤولية تشريد وتهجير الشعب الفلسطيني ، كما جعلت من صفحاتها مجالا لادانة كل الممارسات الارهابية داخل اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني · كما أفرد محررها جاك كوبار المختص بشؤون الشرق الاوسط مقالات عديدة عن العسف والارهاب داخل فلسطين المحتلة · وهي تعتقد أن الحل السلمي في الشرق الاوسط المنبثق عن قرارات الامم المتحدة يشكل أساسا متينا لحل شامل لقضية الشرق الاوسط ، اذ أنه يفتح المجال لحوار بين العناصر الديمقراطية العربية والاسرائيلية · ويشكل هزيمة تاريخية للحركة الصهيونية ، وانتصارا تاريخيا للشعب الفلسطيني والقوى الديمقراطية في اسرائيل ·

نوفيل أوبزرفاتور والاكسبرس أو الصهيونية المقنعة

هاتان المجلتان لا تتطابقان سياسيا ، فالاولى مجلة يسارية تلتزم عمليا (ولو بشكل غير رسمي) بخط الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وهي قريبة جدا من ميتران · أما المجلة الثانية أي الاكسبرس فهي ذات اتجاه يميني داع للتكنولوجيا الاميركية ، وصاحبها جان جاك سرفان شرايبر زعيم الحزب الراديكالي صهيوني حتى العظم ، وهو لا يترك مناسبة صهيونية الا ويشارك فيها بشكل فعال ·

أما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فلها نفس المنطق تقريبا : فلآلام الشعب الفلسطيني مكان واسع في صفحاتها ، وهما يعتقدان بضرورة حل لمشكلة الشعب الفلسطيني ، بل حقه في أرض مستقلة ودولة مستقلة ، لكن على شرط أن لا يمس هذا الكيان الاسرائيلي الراهن · فارض اسرائيل وحدودها شيء مقدس لا يحق التصرف فيه ·

انطلاقا من هذا المفهوم المنحاز مسبقا ، فان طريقتهما في عرض المشكلة يثير الانتباه ، فهما يقومان بتشويه وتزييف لصورة الواقع ، بل يحاولان أن يستخلصا نتائج ودلالات لا تسير لصالح العمل الفلسطيني ·

ولننظر الان الى بعض النماذج من طرائق تحليلها السياسي · رئيس تحرير مجلة « نوفيل اوبزرفاتور » له باع طويل في تشويه الحقائق أو تقديمها ضمن أطر مشوهة · ففي العدد ٩ ـ ١٩٧٠/٢/١٥ نجد ما يلي : « ان المقاومة أصبحت ورقة رهان في يد موسكو » وهو يعني بهذا أن حركة المقاومة لم تعد مستقلة سياسيا بل

أصبحت أداة في يد « الامبريالية السوفيتية » وبالتالي فانها في صراعها ونضالها الراهن « لا تخدم مصالح الشعب الفلسطيني ، بل أداة لقوى كبرى في العالم »(٨٢)٠ وفي مكان اخر نجد «فتح لا تريد الاطاحة بنظام الملك حسين بل تريد ان تقف وجهـا لوجه أمام اسرائيل ، ومعنى ذلك أن فلسطين أولا ثم الثورة »(٨٣)٠ وهذا الكـلام يعني سياسيا أن المقاومة مجرد حركة قومية ، وهـي ليست ثـورة لانها لا تريد الاصطدام بالنظام الاردني ٠ ولو كانت ثورة حقيقية لاطاحت بالملك حسين أولا ٠ وتعتقد المجلة أن ثورة الفلسطينيين يجب أن تتجه الى العالم العربي وليس ضد اسرائيل ، « فمستحيل تحرير تل أبيب ما لم يتم تحرير عمان »(٨٤)بالاضافة الى هذه الاطروحات ، تذكر المجلة أمورا عديدة كي تسيء الى المقاومة بشكل مباشر مثل: تغلغل العناصر الاسرائيلية في حركة المقاومة ونقص كفاءة الفدائيين القتالية ، وارتفاع كفاءة الجيش الاردني ٠

ويقول جان دانييل : ان الفلسطينيين ليسوا فقط ضحايا الـواقع الاسرائيلي الذي لا يمكن دحضه ، بل ضحايا نفاق الحكومات العربية أيضـــا ٠ ان خـلاص الفلسطينيين لا يتم عن طريق محاربة اسرائيل ، ولا عن طريق اتبـــاع سياســة الحكومات العربية ، ولكن في الحصول على أرض وتشكيل حكومة(٨٥)٠ ان رئيس تحرير نوفيل اوبزرفاتور يقدم هنا حزمة من الافكار المضللة ، فهو يدافع عن الواقع « القومي » الاسرائيلي كمسلمة لا تحتاج الى برهان ، فهي حق شرعي لا يدحض ، وليست واقعا كولونياليا مشروطا بالامبريالية العالمية ٠ كما يدعو الى ايقاف العمل العسكري لانه غير مجد ، ذلك أنه من العبث محاربة اسرائيل ، ففي ذلـك مجزرة للفلسطينيين أنفسهم ٠ ان منطق دانييل يدعو الى السلام والسلام فقط ، أي قبول الواقع الاسرائيلي كما هو وبشكله الصهيوني والكولونيالي أيضـا ٠ وفـي مكـان آخر من مجلته يقول « ان الفلسطينيين أخوة لليهود ، أخوة في التعاسة والمعاناة ٠ ولكن هل يفهم الاسرائيليون شعور هؤلاء الذين هجرهم الجميع »(٨٦)٠ ان دانييل يستجدي شفقة ورحمة الاسرائيليين للشعب الفلسطيني فهذا ربما يعطي حلا في رأيه، لكنه ضد القتال المسلح الذي ينتزع الحق بالقوة ٠

كان هذا منطق نوفيل اوبزفاتور منذ أربع سنوات ٠ واليوم لم يتغـير هـذا المنطق وانما أخذ شكلا آخر ، أكثر مرونة ، بل أخذ محاكمة ملونة ذات طابـــع « اشتراكي » انساني مهموم في البحث عن السلام لتفادي حرب خامسة ٠ولكن ضمن أي منطق ؟

جوزيت آليا ، أحدى محرري هذه المجلة ، تدعو الى ايقاف الحرب ، ولكن عن طريق قبول اسرائيل وعدم اثارتها ، ذلك أن اسرائيل المعزولة الان والتي هجـرها أصدقاؤها تقف في واقع حرج بل خانق ، لذلك فهي مهووسة « بفكر شمشون الذي هدم المعبد على نفسه وأعدائه » (٨٧)٠ ومعنى ذلك أنه يجـب قبول اسرائيل ، وهـي أن حاربت ، فحربها مبررة مسبقا وعدوانها كذلك ٠

وفي مقال آخر تحاول المجلة رفع العزلة الاعلامية عن اسرائيل ، بحجة أن هناك الكثير من الاسرائيليين الكارهين للحرب والتواقين الى السلام ، وهؤلاء الاسرائيليون تسميهم المجلة ، « اسرائيليو الصمت »(٨٨)، أي الذين لا يتفقـون مـع السياســة الاسرائيلية ولا يصل صوتهم الى العالم ٠

لكن هذا المنطق يشير بوضوح الى شيء جديد ، هو افـلاس وجـه الدعايـة

الصهيونية القديم ، وحاجتها الى مساحيق وأطـروحات جـديدة · أن النضـال الفلسطيني قذف بالدعاية الصهيونية الى باب مسدود ·

مجلة الاكسبرس لا تبتعد كثيرا عن منطق نوفيل اوبزرفاتور ، لكن منطقها أقل ذكاء ومرونة وبريقا ، لذلك فهي لا تستطيع أن تجد الصدى الذي تجده مجلة جان دانييل ، ذلك أن هذا الاخير يتوجه الى الكثير من صفوف المثقفين واليسار ، في حين أن الاكسبرس لا تستطيع ذلك بسبب فكرها اليميني الموالي « للثقافة الامريكية » ·

والاكسبرس تتناول الامور بشكل اعلامي بارد ، عندما تكون الامـور لصالح اسرائيل ، فتتكلم عن احتلال سيناء وامكـانية استغلالها(٨٩)دون أن تقـدم تحليلا للدلالة العدوانية لهذا الامر · وربما ترى في ملاحقة السكان في المناطـق المحتلة ، واطلاق الكلاب البوليسية وتفتيشهم أمرا عاديا يستلزمه واقع الاحتلال(٩٠)· ترى كل ذلك وترسمه بشكل بارد دون أن تمس الجوهر السياسي لهذا الامر ·

ولكن عند تعرض اسرائيل للخطر ، أو عند تراجع سياسي لها فان الاكسبرس تترك لغة « الحيـاد » الباردة ، لتتكلم بشكل حار وحاد · فالاكسبرس ترى اليوم اسرائيل « يتيما هجره الجميع حتى الاصدقاء » ، وترى في اسرائيل بلـدا يجتـر العزلة والمرارة وظلم الاخرين (٩١)· كما تعتقد أن المقاومة حتى بعد انتصارها المدوي، لم تقدم تنازلات أو عروضا تسمح بحل سليم للصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي ·(٩٢) اذن فالازمة السياسية الراهنة ليست وليدة للسياسة الاسرائيلية ·

لا شك أن هذا المنطق يتفانى في خدمة اسرائيل والصهيونية ، لكن الامور الان ليست كما كانت عليه من قبل فحقوق الشعب الفلسطيني حقيقة راهنة يقبل بهـا الجميع ، ما عدا الصهيونية والقوى الموالية لها ، لذلك فان الصحافة الصهيـونية تنتقل من الهجوم الى الدفاع ، وهذا نصر كبير للقضية الفلسطينية ·

مما لا مراء فيه أن المشكلة الفلسطينية وجدت مكانا لها في كل الصحف والمجلات الفرنسية ، وحتى المجلات الثقافية المتخصصة افسحت صفحاتها لذلك ، فنحن نجد دراسات حول القضية في « النقد الجديد »(٩٣)ومجلة « اسبري »(٩٤)ومجلة برومس والكثير غيرها ·

ان الذي أبرز الوجه الفلسطيني على السطح لم يكن عاطفة الاخرين وحرارة قلوبهم ، ولكن بندقية الانسان الفلسطيني ، كما أن ممارسة الانسـان الفلسطيني وقدرته على تملك الواقع بشكل علمي جعلته يعثر على الصيغ الملائمة للتوجه الى العالم ·

---

١ ــ مايكل ماروس ، **يهود فرنسـا في فـترة دريفوس** ، كالمان ليفي ، ١٩٧٢ ·

٢ ــ دافيد لازار ، **الراي العام الفرنسي عنـد ولادة اسرائيل** ، كالمان ليفي ، ١٩٧٢ ·

٣ ــ **ديالكتيك العقل** ، ماركس هوركايمر، تيودور أدورنو ، جاليمار ١٩٧٤ ·

٤ ــ جان بيير فاي ، **حكاية الهجرة اليهودية** ، بلفوند ، ١٩٧٤ ·

٥ ــ **اسرائيل والصحف الفرنسية الكبرى في عام ١٩٥٨ ، ١٩٦٦** C.N.R.S.

٦ ــ **لوموند** ، ١٩٦٨/٢/٢٩ ·

٧ ــ **لوموند** ، ١٩٦٥/٣/٢ ·

٨ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٦٥/٣/٢٦ ·

٩ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٦٥/٣/٣ ·

١٠ ــ **المصدر نفسه** ، ٦ــ١٩٦٦/٣/٧ ·

١١ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٦٦/٥/٦ ·

١٢ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٦٥/٩/٧ ·

١٣ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٦٧/٣/١٨ ·

١٤ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٦/٨/١٧ .
١٥ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٦/٨/١٧ .
١٦ ـ المصدر نفسه ، ١٧ـ١٨/٤/١٩٦٦ .
١٧ ـ فرانس سوار ، ١٩٦٧/٦/١٣ .
١٨ ـ لوموند ، ٢١ـ١٩٦٥/٢/٢٢ .
١٩ ـ لوموند ، ١٩٦٧/٦/٢ .
٢٠ ـ لوموند ، ١٩٦٦/٧/٢١ .
٢١ ـ الفيغارو ، ١٩٦٦/٧/٢٣ .
٢٢ ـ لوموند ، ١٩٦٩/١١/٦ .
٢٣ ـ الاومانيته ، ١٩٦٩/٤/٨ .
٢٤ ـ لوموند ، ١٩٧٠/٩/١ .
٢٥ ـ لوموند ، ١٩٧٠/٩/١ .
٢٦ ـ لوموند ، ١٩٧٠/٩/١ .
٢٧ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٩/١١/١١ .
٢٨ ـ المصدر نفسه ، ٥ـ١٩٧٠/٣/٦ .
٢٩ ـ المصدر نفسه ، ٥ـ١٩٧٠/٣/٦ .
٣٠ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٩/١١/٥ .
٣١ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٩/١١/٣٠ .
٣٢ ـ نوفيل اوبزرفاتور ، ٩ـ١٩٧٠/١/١٥ .
٣٣ ـ الاومانيته ، ١٩٧٠/٩/٢٠ .
٣٤ ـ الاومانيته ، ١٩٧٠/٩/١٩ .
٣٥ ـ لوموند ، ١٩٧٠/٩/٢٦ .
٣٦ ـ لوموند ، ١٩٧٠/١٠/٦ .
٣٧ ـ الفيجارو ، ١٩٧٠/٩/١٨ .
٣٨ ـ لوموند ، ١٩٧٠/٩/٨ .
٣٩ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٩/١١ .
٤٠ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٩/١٧ .
٤١ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧١/١/٦ .
٤٢ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧١/٢/٥ .
٤٣ ـ الفيجارو ، ١٩٧١/٦/٣ .
٤٤ ـ لوموند ، ١٩٧٢/٦/٢ .
٤٥ ـ الاومانيته ، ١٩٧٢/٦/٣ .
٤٦ ـ لوموند ، ١٩٧٢/٩/١٣ .
٤٧ ـ الفيجارو ، ١٩٧٢/٩/٧ .
٤٨ ـ الاورور ، ٩/٦ و١٩٧٢/٩/٩ .
٤٩ ـ باري ماتش ، ١٩٧٢/٩/١٦ .
٥٠ ـ كونترادكسيون ، عدد ٣ كانون الثاني ـ حزيران ١٩٧٣ . Contradiction
٥١ ـ فرانس سوار ، ١٩٧٢/١٢/٩ .
٥٢ ـ الاورور ، ١٩٧٢/١٢/٩ .
٥٣ ـ الاومانيته ، ١٩٧٢/١٢/١١ .
٥٤ ـ لوموند ، ١٩٧٤/٢/١٧ .
٥٥ ـ الاومانيته ، ١٩٧٤/٢/١٨ .
٥٦ ـ لا كوتيديان دو باري ، ١٩٧٤/٦/١٨ .
٥٧ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/٦/٢٤ .
٥٨ ـ الاومانيته ، ١٩٧٤/٦/٢٨ .
٥٩ ـ لا كوتيديان دو باري ، ١٩٧٤/٧/١٦ .
٦٠ ـ لوموند ، ١٩٧٤/١٠/٢٢ .
٦١ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٢٣ .
٦٢ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٣٠ .
٦٣ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٣٠ .
٦٤ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٤ .
٦٥ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٧ .
٦٦ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٦ .
٦٧ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٦ .
٦٨ ـ الفيجارو ، ١٩٧٤/١١/١٧ .
٦٩ ـ الاورور ، ١٩٧٤/١١/١٦ .
٧٠ ـ الاومانيته ، ١٩٧٤/١١/٢٧ .
٧١ ـ الفيجارو ، ١٤ـ١٩٧٤/١١/١٧ .
٧٢ ـ لوموند ، ١٩٧٠/١٠/٦ .
٧٣ ـ لوموند ، ١٥ـ١٩٧٠/٣/١٦ .
٧٤ ـ المصدر نفسه ، ٢١ـ١٩٦٦/٢/٢٢ .
٧٥ ـ المصدر نفسه ، ٢٧ـ١٩٦٦/١١/٢٨ .
٧٦ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٦/١١/٣٠ .
٧٧ ـ الفيجارو ، ١٩٧٢/٤/٢٩ .
٧٨ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٥/٦/٥ .
٧٩ ـ فرانس سوار ، ١٩٦٥/٦/٥ .
٨٠ ـ الفيجارو ، ١٩٧٢/٩/١٣ .
٨١ ـ المصدر نفسه ، ١٩٦٧/٦/١٣ .
٨٢ ـ لا نوفيل اوبزرفاتور ، ٩ـ١٩٧٠/٢/١٥ .
٨٣ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٢/٢٣ .
٨٤ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٦/٢٠ .
٨٥ ـ المصدر نفسه ، ١٤ـ١٩٧٠/٩/٢٠ .
٨٦ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٩/٢٠ .
٨٧ ـ المصدر نفسه ، ١٨ـ١٩٧٤/١١/٢٤ .
٨٨ ـ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٢/٨ .
٨٩ ـ الاكسبرس ، ٢٣ـ١٩٦٧/١٠/٢٩ .
٩٠ ـ المصدر نفسه ، ٣ـ١٩٦٨/٧/٩ .
٩١ ـ المصدر نفسه ، ١٨ـ١٩٧٤/١١/٢٤ .
٩٢ ـ المصدر نفسه ، ٤ـ١٩٧٤/١١/١٠ .
٩٣ ـ النقد الجديد La Nouvelle Critique عدد ١٩٧١/٤٤ .
٩٤ ـ اسبري ، الفصل الاول ، ١٩٧٤ .

الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية
١٩٦٥ وحتى ١٩٧٥

رفعت ابو عون

لا بد من المرور بسرعة بتطور العلاقات بين العالم العربي من جهة ، وبين الاتحاد السوفياتي من جهة اخرى ، وذلك من اجل وضع موضوعنا في اطاره التاريخي .

بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ في روسيا القيصرية ، قامت أول حكومة سوفياتية بقيادة لينين مباشرة بفضح المؤامرة الاستعمارية السرية ضد منطقة الشرق الاوسط والمتمثلة باتفاقية « سايكس — بيكو » حول تقسيم العالم العربي لمناطق نفوذ ومستعمرات لفرنسا وبريطانيا ، ومن هنا كشفت ثورة اكتوبر في روسيا اسرار وعد بلفور الذي قطعته بريطانيا على نفسها من اجل اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . قبل قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية كان لينين قد سبق وحذر من ايديولوجية الحركة الصهيونية التي كانت تعارض بشدة دعوة لينين من اجل ان ينصهر اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ومن اجل ان يناضل العمال اليهود بجانب الطبقات العاملة في تلك المجتمعات في سبيل انتصار الثورة الاشتراكية في العالم ، ودعا لينين لمحاربة أفكار الحركة الصهيونية معتبرا اياها افكارا شوفينية لا تستند لاي منطق علمي وبالتالي فان الحركة الصهيونية حركة رجعية شوفينية يجب فضحها ومحاربتها.

وعلى صعيد العالم العربي انذاك فلقد حاولت اول حكومة سوفياتية برئاسة لينين الاتصال بالعديد من الدول العربية ولكنها لم تجد اي تجاوب من جانب الانظمة العربية انذاك والتي كان طابعها أقطاعيا برجوازيا .

وفي مطلع العشرينات من هذا القرن تأسست احزاب شيوعية في كل من فلسطين ، مصر ، سوريا ، لبنان ثم تلا ذلك تأسيس احزاب شيوعية في العراق والسودان وغيرها من الاقطار العربية ، الا ان هذه الاحزاب لم تستطع في تلك الايام احداث تغييرات جذرية في الوطن العربي او التأثير الفعلي في مجريات الامور السياسية في المنطقة .

وبقيت صلات الاتحاد السوفياتي لفترة غير قصيرة مع الوطن العربي ضعيفة وشبه مقتصرة على الاحزاب الشيوعية تقريبا .

وبعد الحرب العالمية الثانية وعلى الرغم من الانتصار العسكري الذي حققه الاتحاد السوفياتي ، الا أن امكانياته كانت منهكة حيث انه كان قد تحمل المسؤولية الاساسية في صد العدوان النازي — الفاشي عن اوروبا وصد الامبريالية اليابانية وكبح اطماعها في اسيا . وعندما طرحت قضية تقسيم فلسطين امام الامم المتحدة صوت الاتحاد السوفياتي لجانب قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ثم اعترف بدولة اسرائيل بعد اعلان قيامها في ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ . وعلى الرغم من أن قرار التقسيم كان اكبر خطأ ارتكبته الامم المتحدة في تاريخها وكان قرارا غير عادل ، وبغض

النظر عن الظروف الدولية والمنطلقات التي انطلقت منها السياسة السوفياتية في ذلك الحين ، فان هذا ليس موضوع بحثنا ، اذ ان تغييرات أساسية بدأت تطرأ على السياسة السوفياتية في المنطقة خاصة في اواسط الخمسينات ، حيث حققت حركة التحرر العربية انتصارات في كل من مصر وسوريا ثم تلتهما العراق في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، وهنا لا بد من الاشارة الى المواقف الحاسمة الداعمة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا التي وقفها الاتحاد السوفياتي الى جانب الشعوب العربية سواء ابان معركة مصر السياسية يوم تأميم قناة السويس ام ابان العدوان الثلاثي الذي أعقب التأميم والذي حسمه التهديد السوفياتي الموجه لكل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل سنة ١٩٥٦ من اجل وقف العمليات العسكرية ضد مصر والانسحاب الفوري من الاراضي المحتلة . وكذلك التحذير الموجه من قبل موسكو سنة ١٩٥٧ لتركيا واسرائيل عندما بدأت هاتان الدولتان الحشود على الحدود السورية بأمر من الولايات المتحدة وذلك للضغط على سوريا لجرها لحلف بغداد ، ثم التحذير السوفياتي لسحب الاسطول الامريكي والمظليين الانجليز من كل من لبنان والاردن سنة ١٩٥٨ ، ثم دعم ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق والوقوف بحزم لجانب ثورة الشعب الجزائري من اجل طرد المستعمرين الفرنسيين ، وغير ذلك من مواقف الدعم والتأييد لحركة التحرر العربية ، اضافة الى الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع معظم الدول العربية وتصنيع مصر بشكل خاص .

ننتقل الان لموضوعنا الاساسي وهو كيف تطورت العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية ؟ وللاجابة عن هذا التساؤل بشكل علمي وسليم سنقسم هذه العلاقات الى خمس مراحل :

١ ــ العلاقات بين الاتحاد السوفياتي من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها من جهة اخرى منذ تأسيس المنظمة وحتى سنة ١٩٦٨ .

٢ ــ العلاقات وتطورها في الفترة ما بين سنة ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٠ .

٣ ــ تطور العلاقات من سنة ١٩٧٠ وحتى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

٤ ــ ما بعد حرب اكتوبر .

٥ ــ كيف قدمت الصحافة السوفياتية القضية الفلسطينية للقارىء السوفياتي في مختلف المراحل المشار اليها .

اولا : العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها منذ تأسيس المنظمة وحتى سنة ١٩٦٨ .

منذ الاعلان عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية في ٢٨ أيار ١٩٦٤ بدأت المنظمة تجري اتصالات مع موسكو ، وتمت لقاءات واجتماعات بين مسؤولين من اللجنة التنفيذية للمنظمة وبين مسؤولين سوفيات من الصف الاول في قيادة الحزب والحكومة ، الا ان نظرة موسكو للمنظمة كانت متحفظة ، وكانت كل الاتصالات تتم بصورة سرية جدا دونما اي اعلان او اشارة لتلك الاتصالات او اللقاءات . وفي كل مرة كان يتم فيها لقاء او يجري اتصال كان السوفييت يعدون بدراسة امر الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والبت بذلك في الوقت المناسب .

وفي اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٦٥ اعلنت القيادة العامة لقوات «العاصفة» عن عمليات عسكرية داخل عدة مناطق في فلسطين المحتلة ، وكانت تلك هي الشرارة الاولى التي قالت للعالم بأن شعب فلسطين وان شرد ، فانه لم يمت ولم يقبل واقع

الهزيمة .. وكان رد الفعل العربي الرسمي (الحكومي) سيئا ، وبدات اجهزة المخابرات في بعض الدول العربية تطارد شباب العاصفة ، وصار الشغل الشاغل لتلك الاجهزة شبح العاصفة ، لانه كان يمثل المارد الفلسطيني الذي انتفض في وجه العالم ، (هنا لا بد من استثناء الجزائر التي احتضنت الثورة منذ بدأ التحضير الجدي لها) . حتى أن بعض الاحزاب والحركات الوطنية والتقدمية انساقت وراء الانظمة وبدأت حملات تشكيك ضد العمل العسكري لقوات العاصفة ، ومن الطبيعي ان مثل هذه المواقف العربية لا بد وان تنعكس على الموقف السوفياتي نفسه وذلك لما يربط موسكو من علاقات قوية مع عدة انظمة عربية وحركات واحزاب ، لكن موسكو لم تتخذ موقفا عدائيا ، بل كان موقفها متحفظا ازاء ما يشاع ويكتب عن التنظيم المسلح الذي برز على المسرح العربي والفلسطيني بشكل مميز . وكانت قيادة منظمة التحرير في ذلك الوقت ضد الكفاح المسلح الذي طرحته العاصفة انسياقا منها وراء بعض الاجهزة العربية ، وفي الوقت الذي كانت فيه منظمة التحرير غير قادرة على طرح القضية باسلوب علمي امام الرأي العام العالمي ، كانت الحركة الصهيونية تنشط مستغلة تصريحات هذا المسؤول الفلسطيني او ذاك القائد العربي لتقول للعالم « انظروا ها هم العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ، من هنا كان الموقف السوفياتي الرسمي والشعبي يتصدى بشدة لمقاومة الدعاية الصهيونية ودحضها ، منددا بها على اعتبار انها ادعاءات كاذبة من اجل طمس جوهر المشكلة وهو عدوانية اسرائيل وتنكرها لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والعودة لبلاده . ويستطيع المراقب ان يستنتج ذلك من قراءة ما كان يرد عن مشكلة الشرق الاوسط في البيانات الرسمية التي كانت تصدر اثر زيارات الوفود العربية لموسكو ، فمثلا البيان المشترك الذي صدر في اعقاب زيارة الرئيس الراحل عبد الناصر لموسكو في اواخر اب — أوائل ايلول سنة ١٩٦٥ يتطرق لقضية فلسطين قائلا : « وتدين حكومتا الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة السياسة الاستعمارية في الشرق الاوسط ، ويعرب الاتحاد السوفياتي عن تأييده التام لنضال الشعوب العربية ضد هذه السياسة ، ويؤيد تأييدا كاملا الحقوق المشروعة التي لا تتجزأ لعرب فلسطين . ويستنكر الطرفان ذلك الدور الذي تلعبه حكومة المانيا الاتحادية بتزويد اسرائيل بالاسلحة لاستخدامها في الاغراض العدوانية ضد الدول العربية ، ويطالب الطرفان بتصفية القواعد العسكرية الاجنبية التي تستخدم في تهديد الشعوب وحركات التحرر المناضلة ضد الاستعمار ، ولما تشكله هذه القواعد من تهديد للسلم والامن الدولي »(١). وفي بيان مشترك عن محادثات وفدين حكوميين من الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٦ جاء عن فلسطين ما يلي : « ويساند الجانب السوفياتي تماما الحقوق المشروعة والتي لا نزاع حولها للعرب الفلسطينيين ، وهو يساند نضال الدول العربية وكل ما تبذله من جهود ضد مؤامرات القوى الامبريالية التي تطمع في استغلال مشكلة فلسطين لزيادة حدة التوتر في الشرق الاوسط »(٢).

وفي اعقاب زيارة وفد من حزب جبهة التحرير الجزائرية لموسكو في ايار سنة ١٩٦٥ ورد في البيان المشترك حول القضية الفلسطينية ما يلي : « تضامن الحزبين مع عرب فلسطين وتأييدهما لحقوقهم المشروعة ونضالهم الحق ضد الصهيونية التي تستعملها القوى الاستعمارية لزيادة التوتر في الشرقين الادنى والاوسط »(٣). وفي اعقاب زيارة قام بها رئيس وزراء الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٦٦ تضمن البيان المشترك الصادر في١٢ نيسان تأييدا واضحا لحقوق الشعب الفلسطينيوضرورة تطبيق قرارات الامم المتحدة وأعلن : « تأييد الاتحاد السوفياتي لشعب فلسطين الذي

يسعى لاستعادة حقوقه من الصهيونية التي يتوسلها الاستعمار لتنفيذ مخططاته في الشرق الاوسط »(٤).

واثناء انعقاد ندوة فلسطين العالمية الاولى سنة ١٩٦٥ التي نظمها الاتحاد العام لطلبة فلسطين ارسلت موسكو وفدا يضم ممثلين عن عدة منظمات اجتماعية جماهيرية ولعب الوفد السوفياتي دورا بارزا في الندوة تمثل هذا الدور باقناع عدة وفود من اوروبا وامريكا اللاتينية بضرورة ادانة اسرائيل والحركة الصهيونية والوقوف بحزم بجانب كفاح الشعب الفلسطيني من أجل العودة لوطنه وتقرير مصيره بنفسه . وشهدت الفترة ما بين سنة ١٩٦٥ وسنة ١٩٦٨ نمو علاقات صداقة قوية بين المؤسسات الجماهيرية والشعبية الفلسطينية ونظيراتها السوفياتية وكان من ابرز هذه الاتحادات التي وثقت علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، الاتحاد العام لعمال فلسطين ، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية . ثم الاتحادات الشعبية الاخرى فيما بعد . وتلقت الاتحادات المشار اليها مساعدات مادية كبيرة من نظيراتها السوفياتية على شكل منح دراسية في المعاهد العليا السوفياتية ومنحا تدريبية في المعاهد التكنيكية ، ومنحا نقابية من أجل اعداد كوادر نقابية . ونالت الاتحادات الفلسطينية من السوفياتية الدعم السياسي في المحافل والمؤتمرات الدولية وكان ابرز اشكال هذا الدعم هو طرد اسرائيل من اتحاد الطلاب العالمي بتاريخ ٢٦ آذار — ٨ نيسان ١٩٦٧ — قبل عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ — وذلك اثناء مؤتمر اتحاد الطلاب العالمي الذي عقد في منغوليا — وسنة بعد سنة كان الدعم السياسي السوفياتي والدعم المادي للاتحادات الفلسطينية يزداد وينمو . وعلى الرغم من أن هذه الاتحادات الفلسطينية كانت تعتبر نفسها قواعد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الا أن الموقف السوفياتي لم يكن واضحا حيال المنظمة ، كما أن موقف المنظمة لم يكن واضحا بالنسبة لامور سياسية متعددة اهمها الهدف الاستراتيجي للعمل الفلسطيني — لم تكن المنظمة تطرح شعار الدولة الديمقراطية — . وفي هذه الفترة لم تتوان اجهزة الاعلام السوفياتية عن فضح الحركة الصهيونية ومحاربتها وكشف أساليبها ومخططات اسرائيل التوسعية والتي قد تؤدي الى حرب في المنطقة ، ففي شهر ابريل سنة ١٩٦٧ مثلا استدعت وزارة الخارجية السوفياتية سفير اسرائيل في موسكو وسلمته تحذيرا شديد اللهجة لحكومته من جراء تكرار اعتداءاتها على سوريا وتصريحات قيادات اسرائيل حول الحرب والانتقام من سوريا وجاء في البيان : « ان الحكومة السوفياتية لم يكن في استطاعتها تجاهل الاحداث المسلحة التي جرت في ٧ نيسان ١٩٦٧ بين اسرائيل وسوريا ، التي سمح الجانب الاسرائيلي لنفسه أثناءها بالقيام باعمال عسكرية سافرة ضد الجمهورية العربية السورية بما في ذلك استخدام الطيران والدبابات والمدفعية .. الخ . ويذكر البيان انه نتيجة للهجوم المسلح على سوريا يوم ٧ نيسان ، فان الحكومة السوفياتية ترى انه من الضروري أن تنذر حكومة اسرائيل من أن السياسة المغامرة التي تتبعها اسرائيل على مدى سنين عديدة تلفها الاخطار ، وتقع مسؤوليتها بالكامل على عاتق الحكومة الاسرائيلية »(٥). وفي اواخر ايار سنة ١٩٦٧ وعلى اثر تفاقم الوضع في الشرق الاوسط ، اذاعت الحكومة السوفياتية بيانا رسميا تحذر فيه اسرائيل من اية مغامرة عسكرية قد تشنها ضد سوريا وتحمل اسرائيل المسؤولية الكاملة للاوضاع المتردية في المنطقة . جاء في البيان « ومن الواضح تماما ان اسرائيل لم تكن لتستطيع ان تتصرف بهذا الشكل ، ما لم تكن متمتعة بالتشجيع المباشر وغير المباشر على موقفها هذا من جانب دوائر امبريالية محددة تطمع في اعادة حالة القهر الاستعماري الى

الاراضي العربية » . ويتابع البيان « ويثور سؤال يقول : اي المصالح تخدم حكومة اسرائيل عندما تتبع تلك السياسة ؟ فاذا كانوا في تل ابيب يظنون ان بامكانهم القيام بدور حارس الرقيق الاستعماري للدول الامبريالية ضد شعوب الشرق العربي ، فان حقائق العصر كافية بذاتها لاثبات خطأ هذا الظن ، وذلك اننا في عصر القت فيه شعوب قارات باكملها عن كاهلها قيود النير الاستعماري واخذت في بناء حياة مستقلة »(٦).

من هنا يتضح ان الحكومة السوفياتية لم تتساهل بمواقفها المتشددة ازاء اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل . وفي اعقاب حرب حزيران سنة ١٩٦٧ مباشرة قامت المؤسسات الجماهيرية السوفياتية بنشاط واسع لفضح السياسة العدوانية لاسرائيل، وكانت موسكو ومعظم المدن السوفياتية الرئيسية تعج باجتماعات التضامن مع العرب واستنكارا لسياسة تل ابيب وكان الخطباء من مثقفين وعمال وعلماء يدينون وبشدة الحركة الصهيونية ويفضحون اساليبها الفاشية ضد العرب .

وعقدت الاحزاب الشيوعية اجتماعا في موسكو ٦٧/٦/٩ شارك فيه كل قادة دول حلف وارسو وقادة يوغسلافيا على اثره قامت هذه الدول بقطع علاقتها باسرائيل وتعهدت بتقديم الدعم للشعوب العربية ضحية العدوان . وجاء في البيان : « وتعرب البلدان الاشتراكية لدول الشرق العربي في هذا الوقت العصيب الذي تمر به ، عن تضامنها الكامل مع نضالها العادل وتؤكد انها سوف تقدم للدول العربية المساعدة اللازمة لصد العدوان وللدفاع عن استقلالها الوطني ووحدة اراضيها . وتطالب الدول المشتركة في الاجتماع اسرائيل بان تكف وعلى الفور عن الاعمال العسكرية ضد البلدان العربية المجاورة وأن تسحب كل قواتها من اراضي البلدان العربية الى ما وراء خط الهدنة .

واذا لم توقف حكومة اسرائيل عدوانها ، ولم تسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة ، فسوف تعمل الدول الاشتراكية الموقعة على هذا البيان ، كل ما يلزم من اجل مساعدة شعوب البلدان العربية في التصدي الحاسم للمعتدي ، وفي الدفاع عن حقوقها المشروعة ، وفي اخماد اتون الحرب في الشرق الاوسط واعادة السلام الى تلك المنطقة »(٧).

واثناء الحرب وبعد وقف اطلاق النار كانت بيانات الحكومة السوفياتية تصدر تباعا وكذلك المذكرات التي يتم تسليمها لحكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من اجل ان تبذل الدول الكبرى جهودها لايقاف الهجوم الاسرائيلي ضد البلاد العربية. ومما جاء بمذكرة الحكومة السوفياتية الموجهة لحكومة اسرائيل بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩٦٧ : « واذا لم توقف اسرائيل الاعمال العسكرية فورا وبلا توان ، فسوف يتخذ الاتحاد السوفياتي بالاشتراك مع الدول الاخرى المحبة للسلام العقوبات تجاه اسرائيل ، مع كل ما يترتب على ذلك من عواقب . وتعلن الحكومة السوفياتية ، انه نظرا لاستمرار العدوان من جانب اسرائيل ضد الدول العربية ، ونظرا لمخالفتها الصريحة لقرارات مجلس الامن ، فقد قررت حكومة الاتحاد السوفياتي قطع العلاقات الديبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل »(٨).

وكان خطاب اليكسي كوسيغن رئيس مجلس الوزراء السوفياتي في الدورة الاستثنائية للجمعية العمومية للامم المتحدة ١٩ حزيران سنة ١٩٦٧ بداية جديدة في السياسة السوفياتية في المنطقة ، اذ ان رئيس الوزراء السوفياتي أوضح للعالم سياسة اسرائيل العدوانية التوسعية على حساب شعوب المنطقة موضحا كيف قامت اسرائيل بالتوسع

عام ١٩٤٨ ـــ ١٩٤٩ محتلة بذلك اراضي عربية فوق الاراضي التي اعطاها اياها قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ والذي على اساسه اعترف الاتحاد السوفياتي باسرائيل ، وطالب بتطبيق قرارات الامم المتحدة بخصوص فلسطين . وجاء في الخطاب : « واخيرا مـــا حقيقة سياسة دولة اسرائيل ؟ مما يؤسف له ان الدوائر الحاكمة في اسرائيل قد اتبعت على مدى الجزء الاكبر من تاريخ اسرائيل سياسة الغزو والتوسع في اراضيهـــا على حساب اراضي الدول العربية ، متبعة في ذلك سياسة طرد السكان الاصليين من تلك الاراضي او حتى القضاء عليهم . هكذا كان الوضع في عامي ١٩٤٨ ـــ ١٩٤٩ عندما استولت اسرائيل بالقوة على الجزء الاكبر من اراضي الدولة العربية ، التي نص قرار هيئة الامم على تكوينها . وسلبت ما يقارب المليون شخص اراضيهم ، وحكمت عليهم بالجوع والفقر والعذاب . وعلى طول تلك السنين يعيش هؤلاء الناس مشردين ، دون وطن أو وسيلة للعيش »(٩).

وبعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ شقت الثورة الفلسطينية طريقا نضاليا جديدا اذ ظهرت كحركة مقاومة مسلحة علنية بعد ان كانت سرية ومطاردة في كل ارجاء الوطن العربي .

وبدأت اتصالات الثورة الفلسطينية مع الاتحاد السوفياتي تأخذ طابعا اكثر جدية وتأثيرا ، خاصة بعد الزيارة السرية التي قام بها القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية الاخ ابو عمار لموسكو والتي لعب في ترتيبها دورا كبيرا القائد الراحل الرئيس جمـــال عبد الناصر في تموز سنة ١٩٦٨ .

ثانيا : العلاقات وتطورها ما بين ١٩٦٨ ـــ ١٩٧٠

شهدت هذه الفترة بالذات تغيرا ملموسا في موقف الاتحاد السوفياتي من الثورة الفلسطينية ، اذ تمت زيارة سرية قام بها الاخ ابو عمار لموسكو وزيارة علنية بدعوة رسمية من لجنة التضامن الافروآسيوي السوفياتية ، وفي هذه الفترة بالذات انتقلت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لايدي قادة حركة المقاومة المسلحة ، وصار واضحا بأن السوفييت لديهم رغبة اكيدة في تطوير العلاقات مع الثورة الفلسطينية اذ اصبحت لديهم قناعة بأن الافق السياسي لحركة المقاومة الفلسطينية بات يتخذ شكلا علميا قادرا على تحديد مهام الثورة في كل مرحلة من مراحل نضالها ، وقادرا على تحديد الهدف الاستراتيجي للثورة . وبالطبع فان هذه القناعة لدى الاصدقاء السوفييت لم تـــأت اعتباطا ، بل ان الزيارة السرية الاولى للاخ ابو عمار لموسكو اعطت نتائج ايجابية ، فقد طرح امام السوفييت الامور الهامة التالية :

أ ـــ استطاع ان يبين وجهة نظر الثورة من جميع القضايا المطروحة على الساحة العربية وأن يعطي تصورا علميا لخط الثورة وهدفها الاستراتيجي واسلوبها للوصول الى الهدف النهائي .

ب ـــ أوضح للسوفيات بأن حركة المقاومة الفلسطينية هي جزء من حركة التحرر العربية وليس بديلا لها .

جـ ـــ اكد القائد العام بأن القاعدة الشعبية من جماهير المخيمات الفلســـــطينية المسحوقة مصممة على النضال من اجل التحرر من القهر القومي والاجتماعي .

د ـــ اكد بأن حركة المقاومة الفلسطينية بطبيعتها حـــركة مناهضة للامبريـــــالية والصهيونية ، وذلك بحكم العلاقة العضوية التي تربط اسرائيل بالامبريالية العالمية ،

وكونها مخفر الامبريالية المتقدم لضرب حركة التحرر العربية وفي سبيل الحفاظ على المصالح الاقتصادية للامبريالية في المنطقة .

هـ ــ اكد بأن الثورة الفلسطينية ترى في التضامن الاممي مع جميع حركات التحرر العالمية والمنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي قوة اساسية في النضال ضد الامبريالية والصهيونية ومن أجل التحرير .

و ــ أكد بأن الصداقة الفلسطينية ــ السوفياتية هدف استراتيجي ، وليس من أجل احراز النصر فقط بل ومن أجل تحمل مسؤوليات المستقبل على الصعيدين العربي والعالمي .

اذن لعبت الزيارة السرية الاولى للاخ ابو عمار دورا أساسيا في وضع حجر الاساس الذي ستقوم عليه العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية ، وبعد هذه الزيارة تميزت الفترة ولغاية سنة ١٩٧٠ بمميزات أهمها :

١ ــ الاهتمام البارز الذي باتت توليه أجهزة الاعلام السوفياتية لحركة المقاومة الفلسطينية والدفاع عنها بصفتها تخوض نضالا عادلا ضد سلطات احتلال اجنبية .

٢ ــ التحقيقات الصحفية التي باتت تنشرها الصحف والمجلات السوفياتية ــ وهذا ما سنتطرق له لاحقا ــ .

٣ ــ دعوة وفد من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير برئاسة الاخ ياسر عرفات في شباط ١٩٧٠ لزيارة الاتحاد السوفياتي .

٤ ــ تقديم مساعدات مادية كبيرة على شكل ملابس للمقاتلين وتجهيزات طبية وسيارات ومواد غذائية وتجهيزات لمدارس ابناء الشهداء ، وارسال جرحى الثورة للمعالجة في المستشفيات السوفياتية وزيادة المنح الدراسية بشكل واسع .

٥ ــ تقديم مساعدات عسكرية مختلفة ، وارسال كوادر عسكرية للتأهيل والتدرب في الاتحاد السوفياتي .

٦ ــ ابراز الوفود الفلسطينية في اللقاءات والمهرجانات الدولية التي أقيمت في الدول الاشتراكية ومن أهمها مهرجان الشباب التاسع الذي اقيم في صوفيا عاصمة بلغاريا في آب ١٩٦٨ حيث شاركت في المهرجان وحدات من قوات الثورة الفلسطينية المسلحة.

وكانت ابرز المواقف السوفياتية التي تؤيد نضال الشعب الفلسطيني، وتدين سياسة اسرائيل ما جاء في القرار الصادر عن أجتماع التضامن مع الشعوب العربية في مهرجان صوفيا ، آب ١٩٦٨ : « اننا نحن المشتركين في هذا الاجتماع نطالب بتصفية كل آثار العدوان الاسرائيلي ، ونلح بشكل خاص على ضرورة الانسحاب غير المشروط من الاراضي التي احتلت نتيجة عدوان ٥ حزيران . . . اننا نحن المشتركين في هذا الاجتماع نبعث بتحياتنا للقوى الفلسطينية المناضلة ونؤيد كفاحها المسلح ضد القوات الاسرائيلية »(١٠).

وفي البيان السياسي الصادر عن المهرجان يوم ٦ آب ١٩٦٨ جاء : « . . . وقد عبرنا ايضا عن تضامننا النضالي مع الشعوب العربية ، وطالبنا بالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة وايدنا نضال شعب فلسطين من أجل حقوقه المشروعة »(١١).

ومن ابرز المواقف السوفياتية ادانة لاسرائيل في هذه الفترة بيان وكالة تاس حول احراق المسجد الاقصى ٢٨ آب ١٩٦٩ : « ولقد اثارت هذه الجريمة موجة من الغضب

والاستياء الشديد في بلدان الشرق الاوسط وفي آسيا وافريقيا . ولا تستطيع الحكومة الاسرائيلية والدوائر الامبرياليه المؤيدة للعدوان الاسرائيلي ان تتملص من مسؤوليتها عن هذا العمل الهمجي » . ويتابع البيان « ويشارك الرأي العام السوفياتي الشعوب العربية في سخطها المشروع على الاعمال الوحشية من جانب السلطات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة »(١٢).

وفي ٢٦ اكتوبر ١٩٦٩ استنكرت الحكومة السوفياتية تحركات السفارة الاميركية في بيروت من أجل احداث فتنة في المنطقة(١٣) وكان أول تأييد رسمي وعلني للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني تذيعه الحكومة السوفياتية والحزب الشيوعي السوفياتي ما جاء في البلاغ المشترك الذي اذيع اثر انتهاء محادثات الحكومات والاحزاب الشيوعية والعمالية لدول حلف وارسو تحت عنوان « بيان حول الموقف في الشرق الاوسط » . فبعد تحليل للاوضاع الناتجة عن العدوان الاسرائيلي يقول البيان « ويتطلب الوضع الخطير الحالي في الشرق الاوسط ، اتخاذ اجراءات عاجلة . وعلى شعوب العالم ان تجبر اسرائيل على سحب قواتها من الاراضي العربية التي استولت عليها . وبدون ذلك فانه لن يكون هناك سلام عادل وطيد في هذه المنطقة . وبجانب المسائل الاخرى ، فانه يجب التوصل الى حل عادل لمسألة ضمان الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي في فلسطين ، الذي يقوم بنضال بطولي قومي تحرري معاد للامبريالية »(١٤).

وكذلك بدأ السوفييت يكثرون الحديث عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بعد ان كانوا في السابق يرددون عبارة « حقوق السكان العرب في فلسطين » ، فجاء في الرسالة التي وجهها نيكولاي بودغورني واليكسي كوسيغن لمؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٩ ما يلي : « ومن البديهي ان تسوية مشاكل الشرق الاوسط يجب ان تتضمن حلا لمشكلة ضمان الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني »(١٥).

ثالثا : تطور العلاقات في الفترة من ١٩٧٠ وحتى حرب اكتوبر ١٩٧٣

تعتبر هذه الفترة من أصعب وأدق الفترات التي مرت بها حركة المقاومة الفلسطينية ، اذ أنها تعرضت لمحاولة تصفية جسدية في الاردن ، قدمت حركة المقاومة والشعب الفلسطيني فيها ما يزيد عن العشرين ألف قتيل وجريح وانتهى وجود المقاومة العلني في الاردن . وقامت السلطات الاردنية بزج الآلاف من ابناء الشعب الفلسطيني في السجون ، وبعد هذه المجزرة التي تعرضت لها الثورة الفلسطينية واجهت الاحتلال الاسرائيلي لمناطق في جنوب لبنان وقاتلت وصمدت ، ثم شنت اجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية هجمة جديدة مستعينة بكل عملائها من أجل اغتيال قادة وكوادر حركة المقاومة ، كما واجهت المؤامرة التي دبرتها أجهزة المخابرات الامريكية بالتعاون مع بعض الاجهزة العميلة في لبنان من اجل تكرار ما حدث في الاردن . ورغم كل هذه المؤامرات ، ورغم قساوة الظروف ، استطاعت الثورة الفلسطينية الخروج من كل هذه الازمات الحادة . وفي مثل هذه الظروف شهدت الثورة الفلسطينية مواقف تأييد ودعم من قبل الاتحاد السوفياتي بشكل لم تشهده من ذي قبل ، فوزارة الخارجية السوفياتية اذاعت في ٢٤ أيلول ١٩٧٠ بيانا « حول أحداث الاردن ، وأعلنت وزارة الخارجية انها أجرت اتصالا مع الرئيس جمال عبدالناصر كما حذرت أمريكا وبريطانيا من اية محاولة للتدخل وحذرت اسرائيل من محاولة استغلال الظروف »(١٦). وأشار الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف في خطاب القاه في باكو عاصمة جمهورية أذربيجان السوفياتية « ناشد فيه وقف الصراع في الاردن ، وطالب فيه بوقف الهجمات على فصائل حركة المقاومة الفلسطينية »(١٧). ونددت أجهزة الاعلام والصحافة

السوفياتية بجرائم اسرائيل البربرية عندما قامت أجهزتها السرية باغتيال عدد من قادة وكوادر حركة المقاومة الفلسطينية في بيروت وبلدان أوروبية معتبرة ذلك ارهابا فاشيا ضد مفكرين ومناضلين من أجل حقوق شعبهم أمثال غسان كنفاني ، كمال ناصر ، كمال عدوان ، أبو يوسف ، محمود الهمشري ، وائل زعيتر ، باسل الكبيسي ، وغيرهم وهذا ما سيأتي الحديث عنه لاحقا .

وفي آذار ١٩٧٣ أرسل الرئيس نيكولاي بدغورني — رئيس مجلس السوفيات الاعلى — رسالة الى الملك حسين يطالبه فيها بالافراج عن أحد قادة المقاومة الفلسطينية المناضل ابو داوود ورفاقه المعتقلين ، حيث كان المناضل ابو داوود وبعض رفاقه يواجهون حكما بالاعدام أصدرته بحقهم السلطات الاردنية .

وأثناء أزمة أيار ١٩٧٣ في لبنان قام السفير السوفياتي في بيروت آنذاك سرفار عظيموف بتسليم الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير — القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية — مذكرة من حكومته ، وكذلك بتسليم الرئيس سليمان فرنجيه مذكرة أخرى يؤكد فيهما على « حرص الاتحاد السوفياتي على المقاومة الفلسطينية ودعمها »(١٨) .

اذن يتضح مما سبق أن المواقف السوفياتية من حركة المقاومة الفلسطينية باتت تتخذ شكل الدعم القوي ، وفي هذه الفترة برزت عدة ظواهر تشير الى أن الاتحاد السوفياتي أصبح يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية دونما اعلان رسمي عن ذلك ، اذ أن دعوة الاخ ياسر عرفات كضيف الشرف الاول على مهرجان الشبيبة العاشر في برلين في أوائل آب ١٩٧٣ والصورة التي استقبل بها ومحادثاته مع كبار المسؤولين في الحزب والدولة في جمهورية المانيا الديمقراطية ، وافتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في برلين الشرقية كل ذلك يشير الى انه ما كان ليحصل دون التشاور بين برلين وموسكو حيث أن دول حلف وارسو تتشاور باستمرار حول تنسيق مواقفها وسياستها الخارجية والمسائل الهامة الاخرى ، وكذلك دعوة الاخ ياسر عرفات كضيف الشرف على المهرجان الرياضي لشباب الجامعات في العالم في موسكو في النصف الثاني من آب ١٩٧٣ والطريقة التي استقبل بها بعاصفة من التصفيق والهتاف في استاد لينين ، مما جعل اسرائيل تعتبر ذلك موقفا موجها ضدها .

وفي هذه الفترة قام رئيس اللجنة التنفيذية الاخ ياسر عرفات على رأس وفود من قيادة الثورة بحوالي خمس زيارات رسمية للاتحاد السوفياتي وازداد دعم موسكو المادي والعسكري للثورة الفلسطينية فقد اعرب الاخ ابو عمار اثناء زيارته لموسكو في آب ١٩٧٣ « من جانبه عن الامتنان العميق للشعب السوفياتي والشبيبة السوفياتية على دعم الشعوب العربية والتضامن مع نضال شعب فلسطين وشبيبتها من أجل الحقوق الوطنية المشروعة »(١٩) .

وهكذا أصبح الاصدقاء السوفيات يؤكدون في كل المناسبات الرسمية على ضرورة الاخذ بعين الاعتبار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، ففي البيان الذي أصدرته اللجنة الاستشارية لدول حلف وارسو المنعقد في برلين ديسمبر ١٩٧٠ جاء ما يلي : « ويؤكد المشتركون في الاجتماع على استعدادهم دوما لتقديم المساندة الحاسمة لنضال الشعوب العربية العادل ، بما في ذلك الشعب العربي الفلسطيني ضد السياسة الامبريالية للعدوان الاسرائيلي في الشرق الاوسط »(٢٠) .

من هنا يتبين ان هذه الفترة امتازت بالمواقف الحاسمة من جانب الاتحاد السوفياتي تجاه الثورة الفلسطينية وبزيادة الدعم والمساندة في مختلف المجالات لمنظمة التحرير

الفلسطينية . وكان للوحدة الوطنية الفلســطينية والتي تجسدت في اشتراك جميع المنظمات في اللجنة التنفيذية، وصمود المقاومة في وجه التحديات والمؤامرات، وفعاليتها العسكرية في الداخل ، والنضج السياسي لدى قيادتها ، أثرها في تسهيل اتخاذ هذه المواقف ، خاصة وأن السوفيات كانوا دائما يطرحون قضية الوحدة الوطنية كشرط أساسي للانتصار على الاعداء ولتفويت الفرصة عــلى كل المتآمرين ضــد الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة .

رابعا : الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣

خلقت حرب اكتوبر أوضاعا جديدة في المنطقة العربية ، وبغض النظر عن التفسيرات المختلفة لنتائج هذه الحرب ودوافعها ، الا ان ايجابيات حرب اكتوبر ١٩٧٣ تعرضت ولا زالت تتعرض لعملية تجيير لصالح امريكا واعداء الامة العربية مــن قبل بعض الانظمة ، خاصة وانه بعد الحرب مباشرة علت أصوات تنادي بالصداقة مع امريكا وتحاول ان تصور بأن الحل بيد امريكا ، وذهب البعض من أصحاب هذه الاصوات الى حد وضع الاتحاد السوفياتي بمستوى أمريكا بالنسبة للصداقة مع العرب . من هنا فان طابع العلاقة بين الثورة الفلسطينية والاتحاد السوفياتي في هذه المرحلة بالذات اتسم بجدية وتعاون لم يسبق لهما مثيل في المراحل السابقة . وقبل الحديث عن الموقف الفلسطيني في هذه المرحلة والموقف السوفياتي من منظمة التحرير الفلسطينية لا بد من الاشارة السريعة لبعض الامور فمثلا في الوقت الذي استنفرت فيه الولايات المتحدة قواتها العسكرية استعدادا منها للتدخل لصالح اسرائيل قام الاتحاد السوفياتي باقامة جسر جوي بين دمشق ــ موسكو والقاهرة ــ موسكو لامداد الجيوش العربية بكل ما ينقصها من معدات وذخائر ، كمــا كانت موسكو « علــى استعداد للتدخــل العسكري »(٢١)، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الثورة الفلسطينية تنفذ عملياتها بنجاح خلف خطوط العدو الصهيوني ــ ما يزيد عن مائتي عملية اثناء فترة الحرب فقط(٢٢)، كانت فرق جيش التحرير الفلسطيني المتواجدة في مصر وسوريا تساهم مع قوات البلدين في القتال. من هنا فان المساهمة الفلسطينية القوية في هذه الحرب أعطى الثورة امكانية التحرك ضد كل حملات التشكيك بالصداقة العربية السوفياتية .

وفي هذه المرحلة الدقيقة لا بد من التطرق للموقف الفلسطيني والموقف السوفياتي كل على حدة .

الموقف الفلسطيني : منذ ان ارتفعت أصوات التشكيك بالصداقــة السوفياتية ــ العربية محاولة المساواة بين الموقف السوفياتي الصديق من جهة وبين الموقف الامريكي العدو من جهة اخرى قامت مختلف أجهزة الثورة الفلسطينية بالتصدي لهذه الاصوات بمختلف الوسائل ، اجهزة الاعلام التابعة للثورة أخذت تدافع بقوة عن المواقف المشرفة لاصدقائنا السوفيات من مختلف القضايا العربية ، في كل الندوات والمهرجانات كان قادة حركة المقاومة الفلسطينية يحذرون بشدة من مغبة الاعتماد على امريكا والغرب وباستمرار يؤكدون على الدور الحاسم الذي لعبه الاتحاد السوفياتي قبــل حرب اكتوبر واثنائها ، وينوهون باستمرار لمواقف اصدقائنا في المعسكــر الاشتراكي وفي طليعتهم الاتحاد السوفياتي . كان الاخ ياسر عرفات القائد العــام لقوات الثــورة الفلسطينية باستمرار وفي كل المناسبات يشيد بالدور السوفياتي وبمواقف كل الدول الاشتراكية ، ففي حديث ادلى به للتلفزيون الالماني الديمقراطي قال الاخ ياسر عرفات: « ان شعبنا يجابه اليوم بثبات المؤامرات الامبريالية ــ الصهيونية ، مستندا بذلك على مساندة وتضامن ودعم البشرية المحبة للسلام والعدالة الانسانية في العــالم أجمع ، والذين يشكل المعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفياتي طليعة هؤلاء الاصدقاء

المخلصين في العالم »(٢٣)، وعن السلاح السوفياتي قال الاخ ابو عمار : « ان حرب تشرين الاول سنة ١٩٧٣ قد برهنت على ان الجندي العربي بمقدوره ــ بفضل مساندة الاصدقاء المخلصين ــ ان يستخدم اسلحة حديثة متطورة تكنيكيا وقد أعطانا الاتحاد السوفياتي الصديق هذا السلاح »(٢٤). كما بعث الاخ ياسر عرفات ببرقية للامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف يشكره على مواقف الاتحاد السوفياتي الداعم لنضال شعبنا بقوة ، مشيرا للخطاب الذي القاه بريجنيف في جمهورية مولدافيا السوفياتية جاء فيه: «لقد كان لهذا الخطاب أبلغ الاثر فينفوس جماهير شعبنا المناضل، حيث عبرتم كعهدكم دائما على تأييدكم لنضال شعبنا في سبيل اقامة كيانه الوطني»(٢٥). وحول نتائج زيارته للاتحاد السوفياتي ودول اخرى من دول المعسكر الاشتراكي ، آب ١٩٧٤ ، قال الاخ ياسر عرفات في كلمة القاها في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني للاتحاد العام للمرأة الفلسطينيــة : « ان زيارتنا كانت ايجــابية للغاية وفــاقت كل التوقعات »(٢٦).

كما ان الاخ فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير اشــار في أكثر من مقابلة صحفية وأكثر من تصريح لوكالات الانباء بالمعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفياتي وندد بالمشككين بصداقتنا مع السوفييت ، وأوضح أكثر من مرة خطورة المنزلقات الى اولئك الذين يحاولون تصوير امريكا وكأنها صديقة للعرب . وكذلك معظم قادة الثورة الفلسطينية وقفوا المواقف نفسها المشار اليها سابقا ، وعلى صعيد التنظيمات الشعبية الفلسطينية فانها ، وفي كل مؤتمراتهــا كانت تقدر عاليــا الموقف السوفياتي من شعبنا وثورته المسلحة .

الموقف السوفياتي : ازداد موقف الاتحاد السوفياتي من الثورة الفلسطينية قــوة ووضوحا وبات أمر الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية مفروغا منــه ، حيث ان السوفيات قدروا عاليا نشاط المقاومة اثناء حرب تشرين الاول ١٩٧٣ على الصعيدين العسكري والسياسي وتأكد لهم بأن المقاومة تزداد نشاطا وبأسا يوما بعد يوم ، ولم تستطع القوى الامبريالية ــ الصهيونية والرجعية من النيل من حركة المقاومة على الرغم ان هذه الدوائر العدوة حاولت بكل الوسائل وبشتى الطرق وكان النصر دائما حليف المقاومة مدعومة من الجماهير الفلسطينية والعربية والقوى الصديقة في العالم.

وقد حرص السوفيات بعد حرب تشرين الاول مباشرة على التعامل معمنظمة التحرير بأسلوب جديد ، فعندما زار اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتية المنطقة العربية اجتمع مرتين مع الاخ ياسر عرفات ووجه له دعوة رسمية لزيارة الاتحاد السوفياتي على رأس وفد من اللجنة التنفيذية ، وكانت هذه اول مرة يتلقى فيها الاخ أبو عمار دعوة رسمية من الحكومة السوفياتية ، علما بأن زياراته السابقة أسفرت عن مقابلة رسميين سوفيات على الرغم انها كانت تتم بدعوة من لجنة التضامن الافرواسيوي السوفياتية . كما ان السوفيات حرصوا بعد حرب تشرين الاول على التشاور مع الاخ ابو عمار في كل الامور السياسية التي تهم المنطقة العربية واكثر من مبعوث سوفياتي زار الدول العربية يحمل رسائل من القادة السوفيات ويتشاور معه حولموقف المنظمة. وفي زيارته في آب ١٩٧٤ حيث صدر اثرهابلاغ مشترك وقابل خلالها « شخصية قيادية هامة »(٢٧) فقد حرص السوفيات على ان يرأس المحادثات باريس بناميريوف العضو المرشح للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي ومسؤول العلاقات الدوليــة وسكرتير اللجنة المركزية للحزب كما شارك في المحادثات شخصيات حزبية وحكومية على جانب من الاهمية ، وتباحث الاخ ابو عمار اثنــاء هذه الزيارة مــع نائب وزير

الخارجية السوفياتية ، ومثل هذه اللقاءات لها دلالات خاصة وتؤكد اعتراف السوفيات بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، وأعلن الاتحاد السوفياتي رسميا اثناء هذه الزيارة على موافقته على افتتاح مكتب تمثيلي لمنظمة التحرير في موسكو اذ جاء في البيان المشترك : « وقد وافق الجانب السوفياتي اثناء المباحثات وبناء على طلب اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على اقامة مكتب تمثيلي للمنظمة في موسكو »(٢٨).

كما ان ليونيد بريجنيف اشار في خطاب القاه يوم ١١/١٠/٧٤ في جمهورية مولدافيا السوفياتية للحقوق القومية للشعب الفلسطيني ولكيانه الوطني قائلا : « من الضروري أخيرا تنفيذ قرارات الامم المتحدة وضمان تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل والاستجابة للمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في كيانه القومي»(٢٩).
هذا وان الدعم العسكري والمادي والسياسي السوفياتي لمنظمة التحرير الفلسطينية قد ازداد حجما ونوعا ، والتحرك السياسي الاخير لمنظمة التحرير في الامم المتحدة لاقى دعما سوفياتيا كبيرا من أجل مواجهة الضغوط والمناورات الامريكية في المنظمة الدولية، ولعب الاتحاد السوفياتي دورا هاما اثناء المناقشات من أجل اقرار القرارين التاريخيين الداعمين لحقوق الشعب الفلسطيني من أجل تقرير مصيره بنفسه ومساندة كفاحه بكل الطرق التي يراها مناسبة ، ومن أجل اعطاء منظمة التحرير صفة العضو المراقب في الامم المتحدة .

وجاءت الزيارة التي قام بها الاخ ياسر عرفات على رأس وفد من قيادة المنظمة لموسكو والتي انتهت يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٤ تكريسا للموقف القوي الذي تقفه موسكو بجانب منظمة التحرير في النضال ضد الاحتلال الصهيوني ، اذ جاء في البيان المشترك : « واكد البيان ان الاتحاد السوفياتي يساند وسيواصل مساندة النضال الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني من أجل الحصول على حقوقه المشروعة ، بما في ذلك حقه المؤكد في تقرير المصير واقامة وطنه القومي الخاص الى حين تتسنى له اقامة دولته . وأوضح البيان انه خلال الزيارة التي قام بها ياسر عرفات للعاصمة السوفياتية اجتمع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مع اليكسي كوسيغن رئيس الوزراء السوفياتي وبوريس بونوماريوف سكرتير الحزب الشيوعي السوفياتي واندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتية . واضاف البيان : ان الجانبين قدرا كثيرا القرارات التي اتخذها بالاجماع مؤتمر القمة العربي الذي عقد اجتماعاته في الرباط والتي تربط المشكلة الفلسطينية مباشرة بتسوية مشكلة الشرق الاوسط في مجموعها . كما أعربا عن ارتياحهما لان جميع المشتركين في هذا المؤتمر قد اعترفوا بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني »(٣٠).

خامسا : كيف قدمت الصحافة السوفياتية القضية للقارىء السوفياتي ؟

من المعلوم ان الصحافة في الاتحاد السوفياتي ملتزمة بالخط السياسي العام الذي ترسمه الدولة وفق مقررات مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفياتي ، وهذا لا يمنع مطلقا ان تنشر الصحافة مقالات او تقارير لمراسليها او لمعلقين او مراقبين سياسيين تعبر عن آرائهم ولكن شريطة ان لا تتعارض هذه المقالات او التقارير بجوهرها مع الخط السياسي العام للدولة .

من هنا فان الصحافة السوفياتية لم تكن تولي اهتماما كبيرا قبل سنة ١٩٦٨ لقضية نضال الشعب الفلسطيني ، بل كانت ملتزمة بالكتابة وبشكل مكثف عن ازالة آثار عدوان ١٩٦٨ وفق قرار مجلس الامن المشهور ٢٤٢ ، وكانت هناك مقالات

تظهر حول ايديولوجية الحركة الصهيونية وممارساتها الخطيرة في العالم من أجل حمل اليهود على الهجرة لاسرائيل . كانت تركز على البيانات الرسمية السوفياتية حول الاوضاع في الشرق الاوسط خاصة في الفترة التي سبقت حرب حزيران . وكذلك بعد حرب حزيران ركزت الصحافة اهتمامها حول نشر أخبار اجتماعات التضامن والتأييد الجماهيرية للدول العربية ومن أجل ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، وفي الفترة ما بين أواخر ١٩٦٨ وحتى اوائل ١٩٧٠ بدأت الصحافة تركز اهتمامات كبيرة في الكتابة عن قضية الشعب الفلسطيني ومنظمات المقاومة المسلحة ، وتناول عدد من المعلقين السياسيين بالتحليل المفصل كل المنظمات المسلحة ، وفي هذه الفترة كتب المعلق فاسيليف في جريدة برافدا بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٦٩ تحت عنوان « السلام الوطيد والعادل في الشرق الاوسط مطلب ملح » يقول : « ان تنفيذ قرار مجلس الامن — وهو مفتاح الحل السلمي في الشرق الاوسط . ومن المفهوم ان احلال السلام في هذه المنطقة يجب ان يقوم على أساس احترام الحقوق المشروعة للشعوب العربية ، بما فيها السكان العرب الفلسطينيون . ان الطرق المحددة لتحقيق القرار هي الشيء الرئيسي الذي يجب ان تتركز عليه جهود جميع من يرغب حقا في احلال السلام العادل الوطيد ». ويتابع المعلق فاسيليف تعليقه شارحا ضرورة انجاح مهمة يارنغ ومتصورا الانسحاب الاسرائيلي يجب أن يتم على مرحلتين ثم تأتي قوات دولية فيما بعد لتفصل بين الجيوش العربية واسرائيل .

وبتاريخ ٤ اكتوبر ١٩٦٩ تكتب البرافدا بقلم « معلق صحفي » تحت عنوان « يجب اجبار اسرائيل على تنفيذ قرار الامم المتحدة » قائلة : « ما هو السبب في زيادة تعقد الموقف في الشرق الاوسط ؟ يجب البحث عن السبب فيالنهج السياسي المغامر الاسرائيلي من جهة ، اذ يزداد المتطرفون في تل ابيب صفاقة بمضي الزمن . ومن جهة اخرى ، فان من الواضح تماما ان اسرائيل ، في تنفيذها لهذا النهج الطائش ، تجد مساندة نشيطة من جانب دوائر معينة في الولايات المتحدة الامريكية ، الامر الذي توضحه المحادثات التي تمت مؤخرا بين جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل والرئيس الامريكي نيكسون».

وبعد ان يشرح المعلق الصحفياساليب الولايات المتحدة المخادعة ، اذ انها تشارك بمشاورات الامم المتحدة من أجل حل سلمي لأزمة الشرق الاوسط وفي الحقيقة تقدم الدعم العسكري والمالي لاسرائيل يقول في مقاله : « ولم تخف الصحافة الامريكية ان جولدا مائير قد حضرت الى الولايات المتحدة لا من أجل البحث عن مساعدة واشنطن في حل مشاكل الشرق الاوسط سياسيا ، ولا لاحلال السلام في الشرق الاوسط . اذ كتبت صحيفة « النيويورك تايمس » صراحة « ان السيدة مائير وصلت الى الولايات المتحدة بهدف الحصول على اسلحة اضافية » ، ويضيف المعلق قائلا : « ان مائير قد طلبت من رئيس الولايات المتحدة الامريكية مبلغ مليار دولار على هيئة معونة اقتصادية » . وبعد ان يشرح أن مثل هذه المعونة تخصص لتسديد ديون أسرائيل للدول الاجنبية والمتراكمة على اسرائيل بسبب شراءها الاسلحة منها يقول : « وعلاوة على ذلك فلقد تقدمت مائير الى البيت الابيض لطلب تزويد اسرائيل بدفعة جديدة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك ».

ويتابع المعلق الصحفي قائلا : « ويثور هنا تساؤل قانوني : هل هناك رغبة عند طرف ما في استخدام بعض الكواليس الدبلوماسية بهدف تغطية تأييده لاسرائيل ولاعمالها العدوانية ؟ اذ كيف يمكن الجمع بين التصريحات حول البحث عن حل سياسي مع تزويد الدولة المعتدية والمستمرة في استفزازاتها ضد البلدان العربية ، بدفعات كبيرة وجديدة من السلاح ؟ ».

وبعد ان يتطرق باسهاب لموقف الولايات المتحدة ودعمها لاسرائيل يخلص للقول : « ان هيئة الامم المتحدة تمتلك القوة اللازمة لاجبار اسرائيل على تنفيذ قرارها . وهي ان لجأت الى فرض العقوبات ، فان هذه المنظمة الدولية موضع الثقة تكون قد أدت واجبها أمام الشعوب المهتمة بالاسراع بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط » .

وكتبت البرافدا تحت عنوان « يجب اعادة السلام الى الشرق الاوسط » بتاريخ ٣ آذار ١٩٧٠ تقول : « وتلجأ الدوائر الحاكمة في تل ابيب الى أبشع الوسائل ، وتطبق سياسة اغتصاب الاراضي العربية المحتلة التي تمارس فيها أنظمة ارهابية بشعة ، فهي تطرد السكان العرب ، وتنسف المساكن ، وتلقي بكل من يقاوم اجراءاتها غير الانسانية الى السجون والمعتقلات ، وتقيم مستعمرات عسكرية اسرائيلية في الاراضي العربية ، وبالاختصار فانها تحاول الاسراع في استعمار الاراضي التي استولت عليها . ويشعل صهاينة اسرائيل وافراد طغمتها العسكرية نيران دعاية شوفينية مفضوحة في البلاد زارعين العداوة والكراهية ضد الشعوب العربية محاولين ان يغرسوا في نفوس كل السكان روح التفرقة العنصرية المتطرفة » . وتواصل البرافدا شرحها لطبيعة العلاقات الامريكية الاسرائيلية قائلة : « ولقد أعلن في الايام الاخيرة ان واشنطون تبحث خطط تزويد اسرائيل بدفعات جديدة من الاسلحة ، بما في ذلك الطائرات من طراز « سكاي هوك » و « فانتوم » كما انهم يواصلون تقديم الطائرات المتفق عليها في الصفقات السابقة . ولن يتمكن القائمون على الدعاية في واشنطون والذين يتلاعبون بالالفاظ حول « ميزان القوى » في الشرق الاوسط من اخفاء حقيقة ان التسليح يتم بغرض مواصلة العدوان » .

وتواصل البرافدا في مقالها هذا فضح الولايات المتحدة والمانيا الغربية والحركة الصهيونية في دعمهم المالي الضخم لاسرائيل والذي توظفه اسرائيل من اجل تكديس السلاح ، وعن الحركة الصهيونية وطبيعتها العدوانية تقول البرافدا : « ان الصهيونية المعاصرة هي ايديولوجية للبرجوازية اليهودية الكبيرة المتعاونة مع الدوائر الاحتكارية في الولايات المتحدة الامريكية والدول الامبريالية الاخرى ، وهي شبكة من المنظمات البرجوازية والتي تمارس سياستها . ان المحتوى الاساسي للصهيونية هو الشوفينية المحمومة والمعاداة الهدامة للشيوعية ، ولقد وظف الصهاينة دولة اسرائيل في خدمة الامبريالية » .

وتواصل شرحها لاهداف الصهيونية وتعاونها مع الامبريالية ، وتقول البرافدا : « ان الشعوب العربية عازمة على ردع المعتدين الاسرائيليين واسيادهم الامبرياليين ، اذ ان اسرائيل تتكبد خسائر متزايدة في حرب الاستنزاف التي يكثر عنها الحديث في تل ابيب ، كذلك فان حركة المقاومة الفلسطينية تقوى وتتدعم » . وتتابع البرافدا : « ان الاعمال الاجرامية للطغمة العسكرية الاسرائيلية تقابل بالاستياء والغضب والادانة الحاسمة من جانب الراي العام المحب للسلام والذي يطالب بوضع حد للحملات المسعورة لتل ابيب » .

اما في الفترة ما بين اوائل ١٩٧٠ وحتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ فان الصحافة السوفياتية نشطت بشكل ملحوظ جدا في الكتابة الدائمة عن حركة المقاومة الفلسطينية وعن ازمة الشرق الاوسط وبدأت تظهر مطالبة المعلقين بتطبيق قرارات الام المتحدة ، ثم كثر حديث المراسلين والمعلقين عن قرار التقسيم ١٩٤٧ وعن جرائم اسرائيل وعن جرائم الحركة الصهيونية ، والتعاون بين الصهيونية والامبريالية وهذا ما سنراه بعدة نماذج

من صحف مختلفة صدرت في هذه الفترة ، تقول البرافدا بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ تحت عنوان « نحو سلام عادل » : « ويعتبر انه من الضروري توافر العدل في اي حل لأزمة الشرق الاوسط ، وذلك ليس من أجل اعتبارات معنوية فقط ، على الرغم ان العامل المعنوي يتمتع بأهمية بالغة . وانما لانه بدون توفر العدالة ، اي بدون ازالة آثار العدوان الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة ، وليس فقط بانهاء حالة الحرب ، وانما باحلال حالة السلام بين دول تلك المنطقة ايضا ، وكذلك بدون الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني فانه لن يكون هناك حل ثابت ايا كان هذا الحل . لقد كتب فريدريك انجلز ان اغتصاب الالزاس ولو تاريخيا قد حول الحرب الى عامل ثابت في السياسة الاوروبية ، أليس ذلك مشابها تماما للقول بأن الاغتصاب من جانب اسرائيل للاراضي العربية يحول الحرب الى مستقبل لا مفر منه في الشرق الاوسط ؟ ». وبعد ان يشرح المقال المقترحات السوفياتية لحل ازمة الشرق الاوسط يأتي الى القول عن السياسة الاسرائيلية بالنسبة للاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ قائلا : « وكثيرا ما تتلاعب القيادة الاسرائيلية بالاقوال حول ما يسمى « بالحدود الامنة » . لكن واقع الامر يخفى تحت ستار التظاهر بالسعي لضمان « حدود آمنة » أطماع اسرائيل الجامحة في التوسع ، فمثلا تمادى رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي في الحديث الى درجة أنه قال ان « الحدود الامنة » بالنسبة لاسرائيل هي نهر الاردن ».

وتقول البرافدا في عرضها لما جاء عن الشرق الاوسط في بيان المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي تحت عنوان « من أجل سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧١ : « لقد دخل نضال القوى المحبة للسلام ضد العدوان الاسرائيلي الان مرحلة تميزت بالفضح التام للنوايا التوسعية للدوائر الحاكمة الاسرائيلية والاوساط الصهيونية » . وتتابع البرافدا قائلة بعد شرحها لمرونة الموقف الرسمي العربي من الحل السلمي : « أما الرفض العنيد من جانب الحكام الاسرائيليين لسحب قواتهم من الاراضي العربية التي اغتصبتها فليس الا تحديا سافرا للرأي العام العالمي ولقرارات الامم المتحدة » . وتنهي البرافدا عرضها قائلة : « ويعلن المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ان الاتحاد السوفياتي ، بتطبيقه الثابت للسياسة اللينينية للسلام والصداقة بين الشعوب ، سوف يواصل على الدوام مساندته للقضية العادلة للشعوب العربية ، ضحايا العدوان الاسرائيلي ، ولجهودها الموجهة لاستعادة الحقوق السليبة ومن اجل ضمان حل سياسي عادل في الشرق الاوسط وفي دفاعها عن الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ».

وفي آب ١٩٧٢ اصدرت وكالة انباء نوفستي كراسا يحتوي على مقالات ظهرت في الصحف السوفياتية في آب ١٩٧٢ تتناول العدوان الاسرائيلي ، وحركة المقاومة الفلسطينية ، والمحاولات الامبريالية لجر الدول العربية للقبول بالحلول الجزئية المنفردة مع اسرائيل ، يقول « ميدفيدكو » المعلق في صحيفة البرافدا تحت عنوان « النشاط التخريبي للامبريالية والرجعية ضد المصالح الوطنية للبلدان العربية » المنشور نقلا عن برافدا في منشورات وكالة نوفستي ص ١٣ ، يقول : « وتشوه الدعاية الامبريالية والصهيونية الوقائع تشويها صارخا في حملتها الافترائية والحاقدة التي تهدف للنيل من سمعة الاتحاد السوفياتي وسياسته الخارجية . ولكن هل يمكن اجبار العرب على نسيان من سلح الصهاينة الاسرائيليين واثار مرارا عديدة الاعتداءات ضد البلدان العربية ؟ » ويتابع « ميدفيدكو » مقاله في البرافدا قائلا : « ومن الذي اثار العدوان الاسرائيلي ضد البلدان العربية سنة ١٩٦٧ ؟ واية طائرات قصفت مدنا وقرى عربية ؟ ومن هم الطيارون القادمون من العالم الجديد كمواطنين اسرائيليين يقضون خدمتهم

العسكرية في القوات الجوية الاسرائيلية ؟ ومن الذي يوظف رساميله في اقتصاد اسرائيل مساعدا اياها على استثمار الاراضي العربية المحتلة ، ومن الذي يغتني من النفط العربي ؟ » .

أما « كودريافتسيف » فتحت عنوان « مكائد الاستعمار الجديد في الشرق الادنى » فيقول في ازفستيا ــ منشورات نوفستي ، آب ١٩٧٢ : «وتشاهد الاصابع الاستعمارية الجديدة للولايات المتحدة الامريكية بوضوح في أحداث الاردن ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ . ان محاولة القضاء على حركة التحرر الوطني للشعب العربي الفلسطيني لا يمكن ان يبتهج لها سوى المعتدين الاسرائيليين وأصحاب الاستعمار الجديد ». وتتابع ازفستيا بقلم معلقها قائلة : « ان الخلافات حتمية بين البلدان العربية ولا سيما بين الدول ذات الاتجاهات المختلفة في الانظمة الاجتماعية والسياسية وفي مطامحها السياسية ؛ لكن المصالح العربية المشتركة يجب ان تكون فوق كل خلاف . وهذه المصالح هي في ايامنا تكمن في الازالة السريعة لآثار العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، وفي اعادة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، الذي هو جزء لا يتجزأ من الشعوب العربية والذي يخوض نضالا بطوليا الى جانب كل حركات التحرر الوطني لشعوب آسيا وافريقيا » .

والمعلق بولشاكوف من البرافدا يستهل مقالته الواردة في منشورات نوفستي نقلا عن برافدا ، آب ١٩٧٢ ، ص ٢٥ ، قائلا : « في وقت من الاوقات كان الايديولوجيون الصهيونيون المتطلعون الى ان يدعم الرأي العام العالمي فكرة انشاء « دولة يهودية » يقولون : « نحن لا نحتاج الى شيء ما سوى رقعة أرض يمكن ان تصبح ملكا لنا . . »، وحتى اللحظة التي أقرت فيها منظمة الامم المتحدة في ١٩٤٧ مشروع تقسيم فلسطين الى دولة اسرائيلية ودولة عربية ، كان الصهاينة يخفون بعناية أنهم كانوا بحاجة الى « رقعة ارض » هذه كمحتشد أسلحة للتوسعات الاقليمية . وهذا ما أكدته الاعمال الارهابية للعصابات الصهيونية التي كانت تدمر الاماكن التي يقطنها عرب فلسطين من أجل طردهم منها ، الامر الذي ادى الى الحرب العربية ــ الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ ».

ويتابع بولشاكوف تحليله في برافدا للطابع العدواني لدولة اسرائيل ويتطرق للمناورات العسكرية واستعدادات اسرائيل لشن حرب خاطفة ثم يتطرق لميزانية الدفاع التي بلغت خلال ست سنوات ستة مليارات دولار وستبلغ خلال الست سنوات القادمة عشرة مليارات دولار . ثم يتحدث عن الزيادات التي تخصصها الميزانية العامة للدولة لاغراض التسلح وعن دعم الولايات المتحدة يقول بولشاكوف : « واذا كانت المساعدة الرسمية الامريكية لاسرائيل قد بلغت مليارا و ١٠٠ مليون دولار من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٨ ، ففي ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ فقط منحتها الولايات المتحدة مليار دولار من القروض العسكرية . وارتفعت كثيرا ايضا في الوقت ذاته تبرعات المنظمات الصهيونية الى اسرائيل . وقد أعلن منذ مدة قريبة رئيس منظمة « النداء اليهودي الموحد » ان ٢٧٠ مليون دولار من التبرعات قد جمعت في هذا العام وحده لصندوق مساعدة اسرائيل » .

ثم تتابع برافدا بقلم « بولشاكوف » شرح اساليب التعاون العلمي والتقني بين المؤسسات العسكرية الاسرائيلية والمجموعة الصناعية العسكرية الامريكية في سبيل انتاج صواريخ وأسلحة متطورة ، ثم يتابع بولشاكوف فيتحدث عن التعاون في مجالات التجسس والاستخبارات بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والاستخبارات الاسرائيلية قائلا : « ويلاحظ « تكامل » مماثل في الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية .

وصرح دافيد ثيس القائم بأعمال الولايات المتحدة سابقا في القاهرة : « ان التعاون الامريكي مع اسرائيل لم يسبق له مثيل في حقل تبادل المعلومات الاستكشافية » .

ويتابع بولشاكوف قائلا : « إن المعطيات الاستكشافية التي كانت تطلبها واشنطون من السفارات الامريكية ووكالة الاستخبارات المركزية وموظفي الاستخبارات العسكرية في الشرق الادنى كانت توضع بعد ان تؤخذ بعين الاعتبار حاجات اسرائيل وليس المصالح الامريكية فقط » .

والمعلق « ديمتشنكو » يكتب في برافدا وتنقله نوفوستي في منشوراتها، آب ١٩٧٢، تحت عنوان « المقاومة الفلسطينية ومكائد الرجعية » ، يقول في مطلع مقاله : « بعد انشاء دولة اسرائيل في ١٩٤٨ انما ولدت المقاومة الفلسطينية . ومنذ ذلك الوقت ارتكبت الصهيونية احدى جرائمها الاكثر عارا حين طردت مئات الوف العائلات العربية من ديارها . وكان ذلك يجري بشكل مدبر ، محسوب ، بوسائل وحشية شرسة ، وفقا لخطط وضعتها المنظمات الارهابية اليهودية في فلسطين » .

وتتابع برافدا بقلم معلقها المذكور : « واصبحت أكثرية الفلسطينيين خارج بلادها دون عمل ودون وسائل معيشة . ومنذ البداية اضطر أكثر من ٧٠٠ الف شخص الى العيش عيشة رهيبة مكدسين في مخيمات أنشئت خصيصا وفي بؤس مخيف » .

وبعد ان يتحدث عن أوضاع الفلسطينيين الحياتية فيمختلف الدول العربية وتركيبتهم الاجتماعية وبروز منظمة التحرير الفلسطينية وبعض النقد لبعض قادتها الاوائل ، يتحدث عن المنظمات الفدائية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ قائلا : « وهذه المنظمات التي انتقلت من حيث الاساس الى الاردن حيث يشكل الفلسطينيون زهاء٦٠ ٪ من السكان، بدأت باعداد وشن عمليات فدائية ضد المحتلين . فهل ينبغي الاستغراب اذا كانت الفصائل الفلسطينية قد أصبحت موضع اعتزاز في كل العالم العربي وشعاع أمل الفلسطينيين المنكوبين ؟ لدى زيارة مخيمات اللاجئين يرى المرء ان كل شاب يتطلع الى ان ينضم الى فصيلة مقاتلة » . وبعد ان يذكر « ديمتشنكو » بتحليله أسماء المنظمات وقدراتها نسبيا يتطرق للاحداث ١٩٧٠ — ١٩٧١ في الاردن محملا المسؤولية للرجعية العربية ، منوها لتصرفات غير مسؤولة من بعض المنظمات ويقول : « وينبغي القول ان الرجعيين العرب ، والعملاء الامبرياليين والاسرائيليين ، قد تصرفوا دائما بصورة مشتركة ضد الفلسطينيين ودفعوهم الى التطرف من أجل تصوير الفدائيين بمثابة ارهابيين بنظر الرأي العام العالمي ، ومن أجل تقويض علاقاتهم بالتالي مع الجماهير العربية وحرمانهم من الدعم العالمي ، وقد بذلت تل ابيب وكذلك الاوساط الرجعية في عدة بلدان عربية الكثير من النشاط لمنع اتحاد المنظمات الفلسطينية ، وهي تخشى من أن يصبح الفلسطينيون ، اذا اتحدوا ، قوة فعالة في الشرق الادنى » . وبعد أن يتحدث عن المؤامرات الرجعية والصهيونية التي قد تتعرض لها المقاومة يأتي لنهاية مقاله : « وفي تموز ١٩٧٢ زار الاتحاد السوفياتي وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات رئيس لجنتها التنفيذية . وخلال المحادثات أعلن ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية ان صفوف المقاومة الفلسطينية تستمر في التوحد ، وان وحدتها تتعزز على اساس تقدمي معاد للامبريالية . وذكر وفد منظمة التحرير الفلسطينية ان قوى الامبريالية والرجعية تنشط في الشرق الادنى من أجل نسف حركة التحرر الوطني العربية وتصفية حركة المقاومة الفلسطينية » .

وفي هذه الفترة وقبل حرب اكتوبر ، تعرضت بعض المخيمات — البداوي ، نهر البارد لعمليات اجرامية صهيونية ، ووقفت الصحف السوفياتية بقوة تدين هذه الاعمال

البربرية متهمة اسرائيل بالفاشية والنازية ، ثم غطت الصحف انباء اعتقال المناضل أبو داوود في الاردن ، ولم تكد تخل أخباره يوم واحد ولمدة تزيد عن اسبوع من البرافدا، ازفستيا ، النجم الاحمر وغيرها من الصحف . ثم كانت جريمة الصهاينة يوم اغتالوا كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف ، نشرت الصحافة الاخبار بشكل مثير ثم اوردت تعليقات لمعلقين سوفيات فمثلا المعلق « بالشاكوف » يكتب تعليقا سياسيا في البرافدا يوم ١٤ نيسان ١٩٧٣ تحت عنوان « على طرق واساليب المافيا » ، يقول في التعليق : « ان الجريمة الجديدة التي ارتكبتها العسكرية الإسرائيلية ونفذتها في لبنان وادت الى مقتل ثلاثة من عناصر القيادة البارزين في حركة المقاومة الفلسطينية بطريقة بربرية بشعة وادت ايضا الى مقتل مواطنين لبنانيين ابرياء في صيدا وبيروت ، كل هذا أكبر دليل وشاهد على ان سياسيي تل ابيب وحكامها لا زالوا سائرين ومصممين على السير في خط سياسي ارهابي ضد الدول العربية المجاورة » . ويتابع المعلق « بالشاكوف » تحليله لسياسة تل ابيب الارهابية ثم يتطرق ليربط بين أعمال اسرائيل الارهابية ضد قيادات وكوادر المقاومة وبين ممارستها في الداخل قائلا : « وفي هذا الوقت الـذي تقوم فيه اسرائيل بتصعيد عملياتها الارهابية المجرمة ، تعتمد تل ابيب سياسـة استعمارية استيطانية في الارض المحتلة وذلك باقامة مستعمرات سكنية في اراضي العرب للمهاجرين اليهود الجدد من أجل توطين اليهود في الاماكن التي يسكنها العرب ، وهكذا فان اسرائيل تسعى من وراء اعمالها هذه ان تضع المجتمع الدولي تحت الامر الواقع وتريد من العالم ان يجيز لها السرقة والاختلاس بحجة حقها التاريخي الـذي لا يناقش .

ثم يستطرد المعلق ليشير الى جرائم اسرائيل في اوروبا قائلا: وحتى في دول غير دول الشرق الاوسط ، بدأت اسرائيل تمارس سياسة ارهابية وتنفذها عن طريق عملائها ضد دبلوماسيين عرب وضد ممثلين فلسطينيين في عدة دول اوروبية ».

ويزيد في الشرح واعطاء الامثلة على جرائم اسرائيل وطغمتها العسكرية الحاكمة ، ثم يضيف الكاتب : « من دبر هذه العمليات في اوروبا ؟ بالتأكيد أجهزة المخابـرات الاسرائيلية وعملاؤها في العواصم الاوروبية لأنهم قتلة ومجرمون ولا تستـهويهم غير مثل هذه الاعمال » .

ويواصل المعلق ليعطي مثالا على استنكار الراي العام العالمي لمثل هذه الاعمـال قائلا: « النائب الانجليزي الليبرالي « كريستوفر ميهيو » قال وهو يخطب أمام الحكومة البريطانية : « الجرائم الاخيرة التي ينفذها عملاء اسرائيل من المحتمل جدا بل ومن المؤكد انها ستصل الى لندن وسينفذ منها جزء في لندن » . وطالب النائب المذكـور حكومته بأن تعلن عن احتجاجها الشديد ضد السياسة الارهابية لحكومة تل ابيب ».

وفي سياق عرضها للاحداث الدولية « العالم في اسبوع » تقول البرافدا يوم ١٥/ ١٩٧٣/٤ : « ان الدوائر الصهيونية في الدول الغربية ، والجهات المؤيدة لها ، تقف بوقاحة لتدافع عن عملية اسرائيل معتبرة اياها على لسان صحيفة «غارديان» وصحف اخرى بأنها سياسة مقاومة الارهاب، وسياسة مقاومة الجريمة التي تنتهجها اسرائيل. ولكن هذه السياسة هي سياسة اللاخجل واللامبالاة في محاولة فلسفة امور واضحة وجرائم مدانة من كل العالم ، فالارهاب هو سياسة معتمدة عند الصهاينة منذ نشأتهم ، وهم الذين مارسوه ضد عرب فلسطين على يد عصابات يهودية قبل قيام دولة اسرائيل. ولكن جعل الارهاب جزء اساسي من سياسة دولة اسرائيل ، هذا ما يدعو الى محاسبة هذه الدولة وادانتها بشدة ومحاكمة موجهي سياستها ».

أما مجلة « آسيا وافريقيا » والتي تهتم بشؤون دول العالم الثالث فقد كتب فيهـــا المعلق س. أستاخوف تحت عنوان « من بواطن جنة اسرائيل » بتاريخ ٦ حزيران ١٩٧٣ ، يقول « أستاخوف » بعد اعطاء صورة عن الاوضاع الاقتصادية المتردية في اسرائيل وعن اضرابات العمال المتزايدة واجراءات الحكومة في قمع الاضرابات وتواطؤ قيادة الهستدروت مع الحكومة وسن قانون يعتبر الاضراب عمل مخل بالامن مع ضمان اقرار هذا القانون حيث أغلبية الكنيست من اليمين ، بعد هـــذا يقول : « وحتى في السنوات الاربع الاخيرة فان اوضاع الفرد المعيشية تسير الى الاسوأ ، وحسب ما تكتبه الصحف البرجوازية الفرنسية « فيجارو ، كومبا وغيرهما » فان حوالي ٨٥٠ الف مواطن في اسرائيل تلزمهم المساعدة الضرورية وهذا الرقم ثلث سكان البلاد تقريبا وحسب أرقام واحصاءات حكومية للشؤون الاجتماعية عام ١٩٧٢ فان ربع أطفـــال اسرائيل تقريبا حتى سن ١٤ سنة لا يجدون التغذية الاساسية بل ان معظمهم يعاني من الجوع ». وبعد ان يتطرق « استاخوف » لعدد الاضرابات والمضربين يقول حـــول حضارة اسرائيل : « كتب الشاعر الاسرائيلي « حاييم ناحوم بياليك » بأن لا يمكن تسمية اسرائيل دولة عصرية الا اذا لم يكن فيها مكان للجريمة ، واذا انطلقنا من هذا المنطق فلنرى كيف ومتى يمكن تسميتها دولة عصرية ، ففي عام ١٩٧١ ارتفع عدد القتلى الناتج عن الجرائم ارتفاعا كبيرا ، وارتفعت عمليات السطو والسرقة بالقوة مع الحاق الضرر مرتين ونصف بالمقارنة مع ١٩٧٠ ، فقط لمدة تسعة أشهر من ١٩٧٢ ارتفع عدد القتلى مرتين عن عددهم سنة ١٩٧١ كاملة . وبالذات فان الجرائم ترتكب بشكل أكثر من غيره في مدينة تل ابيب ، ففي شهري اكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٧٢ تمت في تل ابيب عمليات سطو على ما يزيد عن عشرة بنوك » . ثم يتطرق الكاتب كيف ان ديان يضطر ان يسحب بعض جنوده الذين تعودوا على ضرب الفلسطينيين في غزة من أجل تهدئة الوضع في تل ابيب .

وفي هذه الفترة ازدادت الكتابة عن اليهود الهاربين من اسرائيل ومعظمهم من اليهود الشرقيين فمثلا جريدة ترود الناطقة باسم النقابات السوفياتية تورد رسالة ١٠/٤/ ١٩٧٣ لمهاجر يهودي هرب من اسرائيل ويتحدث عن التمييز العنصري والبطـــالة والرشوة وفساد أجهزة الدولة ووعود غولدا مائير الكاذبة للشعب من أجل رفـــع مستواه ومن أجل تحسين أمور القادمين الجدد .

تقول الرسالة في ختامها : « ما هي اسرائيل اليوم ؟ انها دولة لا معنى فيها مطلقا ، لا معنى فيها للمثل العليا ، للصداقة ، للعلاقات بين الناس ، وعن أية علاقة يمكن الحديث بين شخص يملك مصنعا وقصرا جميلا و٣ او ٤ سيارات وبين يهودي من المغرب او العراق يعيش في حي فقير . وعن أية علاقة يمكن الحديث بين بيروقراطي في ادارة عامة من جهة وبين مهاجر من جهة اخرى يأتي عشرات المرات لمقابلته وفي كل مرة يقال له : الصبر ، كل شيء على ما يرام . ويتشبث الموظفون بعملهم ، ويحاول التجار خداع الجميع للكسب ، والسياسيون يعملون في السياسة والمال ، والجميع هنا يعملون من اجل المال !! وتسيطر الرشوة على كل جهاز الدولة » .

وصحيفة ترود يوم ١٩٧٣/١٠/٩ تقوم بعرض مراجعة لكتاب صدر حول «القرصنة الصهيونية الدولية » قام باعداد المراجعة فيكتور بلينوف ، يستعرض تاريخ الحركة الصهيونية الاجرامي ثم انتهاكاتها لكل قرارات الامم المتحدة منذ سنة ١٩٤٨ وحتى اليوم وسياسة اسرائيل التوسعية وعلاقاتها مع الامبريالية الامريكية ، ثم يتعرض لحادثة الطائرة الليبية ولقصف المخيمات الفلسطينية والارهاب الصـــهيوني في مختلف دول العالم .

اما موقف الصحافة السوفياتية وكيفية عرضها للقضية في الفترة التي أعقبت حرب اكتوبر ١٩٧٣ فقد قامت « شؤون فلسطينية » بعرض هذا الموقف في اعدادها ٢٧، ٢٩، ٤٠ . ففي عدد ٢٧ كان التركيز اثناء عرض الصحف لقضية حرب اكتوبر ، يدور حول الموقف السياسي للاتحاد السوفياتي اثناء الحرب والتعليقات التي سبقت الحرب مباشرة والتي نشرت بعد الحرب ، وفي العدد ٢٩ من الشؤون تم معالجة تأثير النفط العربي على الغرب كما عرضته الصحافة السوفياتية ، اذ ان استعمال النفط بشكل محدود كسلاح لاول مرة كان له تأثير ايجابي لصالح العرب وذلك بالتأثير على مواقف سياسية اوروبية غربية الى حد ولو بسيط .

والعدد ٤٠ من الشؤون قدم عرضا لكيفية معالجة الصحف السوفياتية للقضية بعد النشاط السياسي الملحوظ لمنظمة التحرير ، ثم قرار مؤتمر الرباط باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني والدعوة لاقامة سلطة وطنية على الاراضي التي ستنسحب عنها القوات الاسرائيلية ، جولة كيسنجر في الوطن العربي والمقترحات الامريكية لحل ازمة الشرق الاوسط ، مؤتمر جنيف وضرورة الاسراع بعقده لمتابعة بحث تسوية ازمة الشرق الاوسط ، السياسة النفطية العربية واثرها على الغرب من أجل ايجاد حل لازمة الشرق الاوسط ، واخيرا تركيز بعض الصحف ووكالات الانباء على التعليقات التي تدين الحركة الصهيونية ونشاطاتها التخريبية والمشبوهة في افريقيا ، وارتباطاتها مع هتلر اثناء فترة حكم من أجل تهجير اليهود الى فلسطين .

---

١ — جريدة **الاهرام** ، الخميس ٢ ايلول ١٩٦٥، ص ٧ ، عدد ٢٨٧٥٥ .
٢ — جريدة **البرافدا** ، ١٤ مايو ١٩٦٦ ، « عن منشورات نونستي » .
٣ — الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥ ، ص ٥١٨ ، نقلا عن **السياسة الدولية** عدد ١١٧ ، ١٩٦٩ .
٤ — **المصدر السابق نفسه** .
٥ — جريدة **البرافدا** ، ٢٧ نيسان ١٩٦٧ .
٦ — جريدة **البرافدا** ، ٢٤ ايار ١٩٦٧ .
٧ — جريدة **البرافدا** ، ١١ حزيران ١٩٦٧ .
٨ — **المصدر السابق نفسه** .
٩ — جريدة **البرافدا** ، ٢٠ حزيران ١٩٦٧ .
١٠ — مجلة **الطليعة** المصرية الشهرية عدد ٩ ايلول ١٩٦٨ ، ص ١٢٨ .
١١ — **المصدر السابق نفسه** ، ص ١٢٩ .
١٢ — جريدة **برافدا** ، ٣٠ آب ١٩٦٩ .
١٣ — جريدة **برافدا** ، ٢٦ اكتوبر ١٩٦٩ .
١٤ — جريدة **برافدا** ، ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ .
١٥ — جريدة **برافدا** ، ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩ .
١٦ — جريدة **برافدا** ، ٢٤ ايلول ١٩٧٠ .
١٧ — جريدة **برافدا** ، ٣ اكتوبر ١٩٧٠ .
١٨ — **وكالة الانباء الفلسطينية وفا** ، ١٠ ايار ١٩٧٣ .
١٩ — جريدة **فلسطين الثورة** ، ٢٢ آب ١٩٧٣ ، عدد ٥٧ ، ص ٤ .
٢٠ — جريدة **برافدا** ، ٤ ديسمبر ١٩٧٠ .
٢١ — تصريح اللواء مصطفى طلاس لصحيفة **النهار** اللبنانية .
٢٢ — **شؤون فلسطينية** ، مركز الابحاث الفلسطيني — نوفمبر ١٩٧٣ ، عدد ٢٧ .
٢٣ — مجلة **فلسطين الثورة** ، ١٤ آب ١٩٧٤ ، العدد ١٠٥ ، ص ٦ .
٢٤ — **المصدر السابق نفسه** .
٢٥ — مجلة **فلسطين الثورة** ، ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٤ ، عدد ١١٥ ، ص ٥ .
٢٦ — **المصدر نفسه** ، ٢٣ ، ٢٤ .
٢٧ — مجلة **فلسطين الثورة** ، ٢٨ آب ١٩٧٤ ، عدد ١٠٧ ، ص ١٢ .
٢٨ — **المصدر نفسه** ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ .
٢٩ — مجلة **فلسطين الثورة** ١٦ تشرين الاول ١٩٧٤ ، عدد ١١٤ ، ص ٥ .
٣٠ — جريدة **المحرر** اللبنانية ، ١ كانون الاول ١٩٧٤ ، ص ١٦ .

شركة الاستثمارات الوطنيـة

شارع الفاتح من سبتمبر – ٢٢ رواق الكرامة
هاتف ٤٣٠٣١ – ص.ب ٤٥٣٨
طرابلس – الجمهورية العربية الليبية

مضى على تأسيس شركة الاستثمارات الوطنية ثلاثة اعوام زخرت بالحركة المستمرة والعمل الدؤوب الجاد الذي كانت حصيلته العديد من المشروعات التي جرى ويجري تنفيذها الآن سيرا على طريق تحقيق اهدافها المرسومة ...

وشركة الاستثمارات هي شركة مساهمة ليبية اخذت على عاتقهـا مهمـة الاضطلاع بمختلف الوان النشاط الاستثماري فيداخل البلاد وخارجها لتكون نواة لحركة استثمارية وتنموية ضخمة على الصعيدين المحلي والعالمي .

لقد جاءت فكرة قيام هذه الشركة والاهداف المرسومة لها انطلاقا من المفهوم الاقتصادي العلمي للاستثمار من جهة ومن حاجة البلاد الى مؤسسة قوية تقوم بمختلف عمليات الاستثمار المباشر من جهة اخرى على ان تمتد رقعة هذا العمل لتشمل قاعدة عريضة من الانشطة في معظم القطاعات الاقتصادية .

وقد انيطت بهذه الشركة مهمة الاستثمار في المشروعات الاسكانية وغيرها ، وتجميع مدخرات الافراد وتوجيهها نحو الاستغلال الامثل لها ، كذلـك انيطت بالشركة مهمة التخصص في دراسة امكانيات الاستثمار في الاقتصـاد الليبـي وتقديم المشورة الفنية في هذا المجال .

ففي حقل الاسكان فقد تعاقدت الشركة حتى الآن على اقامة اكثر من ٨٠٠ وحدة سكنية بمختلف المحافظات ، وتصل قيمة تلك التعاقدات الى اكثر مـن ٧ ملايين دينار ، هذا كما طرحت الشركة ايضا عطاءات لاقامـة حوالى ٦٠٠ وحدة سكنية اخرى تصل قيمتها الى حوالى ٥ ملايين دينار .

وفي مجال المساهمة في تأسيس وتمويل الشركات المحلية ساهمت شركـة الاستثمارات الوطنية في ٦ شركات تضطلع بنشاطات اقتصادية مختلفة .

.. وفي مجال تدعيم المدخرات القومية حققت الشركة انجازا كبيرا بتنفيذها لمشروع شهادات الاستثمار . وتظهر اهمية هذا المشروع فيما احدثه من زيادة في عدد الاوعية الادخارية والاختيارية بالبلاد وما سوف يترتب عليه من زيادة في حصيلة مدخرات الافراد وتقدم للوعي الادخاري نتيجة للنشاط الاعلامي الـذي تمارسه الشركة فيهذا الخصوص وللمزايا والميزات التي تتمتع بها تلك الشهادات والتي تتفوق على اي وعاء ادخاري آخر .

... وبالنسبة لادارة ممتلكات الغير ، فقد تولت الشركة بنجاح ادارة ممتلكات غرغور المؤممة وحصص الحكومة في بعض الشركات الهامة .

وتسعى الشركة الآن لتوسيع دائرة هذا النشاط في حقل الاستثمارات المالية وفي تقديم المشورة الفنية للغير . اما بالنسبة للاستثمارات الخارجية فقد امتد نشاط شركـة الاستثمارات الوطنيـة ليشمل كل من تونس ومالطا ولوكسمبرج وفرنسا ولبنان ، عن طريق مساهمتها فيشركات ومؤسسات وصلت قيمة تلك الاستثمارات الى اكثر من ٣ ملايين دينار .

اننا اذ نعرض تلك الصورة المتواضعة لمنجزات الشركة فاننا لعلى يقين بأن ما تحقق حتى الآن ما هو الا بداية لنشاط اوسع واشمل ستأتي به حصيلة السنوات القليلة القادمة باذن الله ...

الشركة الليبية للالكترونات

شارع بغداد ـ عمارة الاندلس

هاتف ٣٦٧٢١ ـ ص.ب ٣٦٨٠

طرابلس ـ الجمهورية العربية الليبية

برقيا : (اليكترونكـو) طرابلس

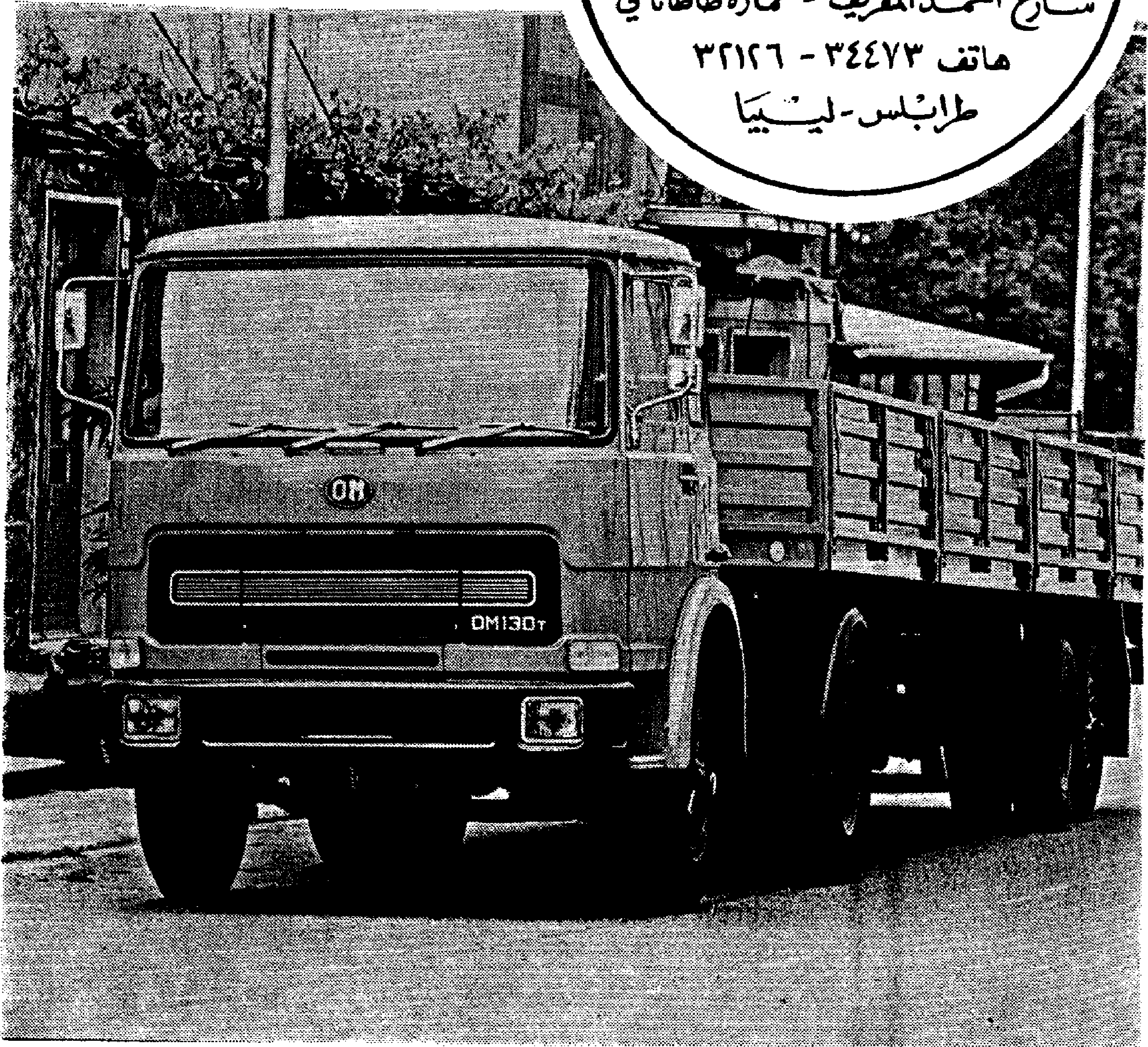

OM
OM130T

بمناسبة عيـد الاضحى المبـارك يتقدم جميع العاملين بشركة الواحات الليبية للنفط (اويزيس) بأجمل التهاني واطيب التمنيات الـى الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيـادة الثورة والشعب العربي الليبي العظيم وكافة الشعوب العربية والاسلامية آملين من الله أن يعيده على الجميع باليمن والخير والبركات .

شركـة الواحات الليبية للنفط (اويزيس)

الجمهورية العربية الليبية ـ طرابلس ، شارع عمر المختار

هـاتف ـ ٣١١١٦ ـ ص.ب ٣٩٥

بمناسبة عيـد الاضحى المبـارك

يتقدم جميع العاملين في الشركة الوطنية للادوية
في الجمهورية العربية الليبية

بأجمل التهاني واطيب التمنيات الى الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيـادة الثورة والشعب العربي الليبي العظيـم وكافـة الشعوب العربية والاسلامية آملين من الله ان يعيده على الجميع باليمن والخير والبركات .

الشركـة الوطنية للادويـة

الجمهورية العربية الليبية ــ طرابلس
شارع جـلال بيـار رقـم ٢٠
هـاتف ٤٤٥٣٤ ــ ص.ب ٢٢٩٦

النهضـة المعمـارية

اخوان السوس وشريكهما ــ شركة بمسؤولية محدودة

طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

هندسة وتعهدات عامـة

طرق ، ابنية وجميع الاشغال الهندسية

توريـد وتصـدير

سجل تجاري ٧٠٦

عمارة طاطاناكي ــ الطابق الثالث ــ طرابلس

هاتف ٣٣١١٦ ــ ص.ب ٣٠٩

برقيـا ــ سوس طرابلس

شركة الصابون والمواد الكيماوية

تأسست شركة الصابون والمواد الكيماوية عام ١٩٦٢ م كشركة وطنية .

يوجد مصنعان تابعـان للشركة .. مصنع لصنـاعة المنظفات التركيبية مسحوق الصابون (تايد) والاخر لصناعة صابون الرائحة .

تبلغ طاقة مصنع المنظفات التركيبية حوالى ٤ الاف طن سنويا .

جهز المصنع بأحدث الالات التي تعمل تقنيا ويدير المصنع مجموعة من أكفأ الفنيين والخبراء الوطنيين الذين أرسل عدد كبير منهم في بعثات للتدريب بالخارج .

يبلغ راسمال الشركة ٤٠٠ الف دينـار ليبي ويبلغ عدد المساهمين ٣٥٠ مساهما .

يقوم المصنع بصناعة صابون التايد تصنيعا محليا ١٠٠ ٪ بأيدي وطنية .

يبلغ عدد العاملين بالمصنع (٧٥) عاملا واداريا .

تدار الشركة بواسطة مجلس ادارة وجمعية عمومية .

كانت الشركة في مقدمة الشركات التي قامت بتوزيع نسبة مـن الارباح على العاملين وبلغ نصيب العاملين من الارباح نقدا (٢١) الف دينار ليبي ممـا ساعد على اقبال كثير منهم على شراء أسهم بالشركة عندما طرحت أسهم جديدة وكان للعمال أولوية في الحصول على هذه الاسهم بقيمتها الاصلية تشجيعا لهم .

يتمتع العاملون بالمصنع بالرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية .

يتمتع المصنع برعاية الدولة وتشجيع وزارة الصناعة .

تتجه النية الى توسيع المصنع لزيادة الطاقة الانتاجية علـى مراحل كما تجري الاستعدادات لاعادة تشغيل مصنع صابون الرائحة لسد حاجة البلاد .

وتقوم وزارة الصناعة بتذليل كافة العقبات حتى يتم اعادة تشغيل هذا المصنع .

يلاقي انتاج الشركة صابون (التايد) اقبالا منقطع النظير في الاسواق ويغطي الانتاج كافة انحاء الجمهورية .

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

الاخ الهادي المجراب والعاملون في مصانع الكبريت الليبية ومصنع النهضة الزراعيـة للمعلبات الغذائيـة يقدمون اجمـل التهاني للاخوة رئيس واعضاء مجلس قيـادة الثورة في الجمهورية العربية الليبيـة ويتمنـون للشعب العربي الليبي العظيـم وللشعـب العربي والاسلامي ان يعيد الله هذه المناسبة عليهم باليمن والخير والبركات ٠

شركة البريقة لتسويق النفط

تهنىء الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية بمناسبة حلـول

عيد الاضحى المبارك

اعاده الله على الامة العربية والاسلامية بالخير والبركة والنصر المبين

شركة البريقة لتسويق النفط ــ ش.م.ل.

الجمهورية العربية الليبية ــ طرابلس

هاتف ٣٠٠١٤ ــ ٣٠٠١٩

ص.ب ٤٠٢

التـــا

الوكالة الليبيــة للنقـــل الجــوي

مؤسسة سنة ١٩٥٣ سجل تجاري ٤٠٠

AGENCE LIBYENNE DE TRANSPORTS AERIENS

FONDEE 1953 — ENREGISTREE R.C. No. 400

المكتب الرئيسة : ١٢٤ ــ ١٢٦ شارع امحمد المقريف ص.ب. ٩٧٧

الهاتف ٣٢٢٩٩٠ ــ ٣٥٩٩٠ ــ ٣٧٥٠٠ ــ ٣٥٦٨٦

طرابلس ، ليبيا ــ مطار طرابلس الدولي برقيا « التـــا »

الفرع : ١٠ شارع الفتح ــ ص.ب. ٢٤٩٠

الهاتف ٤٤٦٤ ــ ٤٩٤٣

بنغازي ، ليبيا ــ مطار بنينة الهاتف ٢٧ ــ ٦٩ برقيا « التا »

وكــلاء عموميــون

الخطوط الجوية الالمانية لو فتهانزا

الخطوط الجوية الجزائرية

السعــودية

الخطوط الملكية المغربية

مؤسسة عاليه

الخطوط الجوية الملكية الاردنية

شركة الطيران العربية السورية

الخطوط الجوية السودانية

الخطوط الجوية البلغارية

بلكان اير ــ بوليس

الخطوط الجوية التشيكوسلوفاكية

شركة الحفر الوطنية ش٠م٠ل٠

المكتب الرئيسي طرابلس

ص.ب ١٤٥٤ ، هاتف ٣٣٣٧٧ ، تيلكس ٦١٥٠٨ ، العنـوان البرقي : استمرار

سجل تجاري ٦٦٦٣

مكتب بنغازي :

ص.ب ٢١٤٠ ، هاتف ٦٨٧٥ ، سجل تجاري ٤٥١٣

الجمهورية العربية الليبية

شركة الحفـر الوطنية

اعـلان توظيف

يسر شركة الحفر الوطنية ان تعلن عن شغل بعض الوظائف الفنية بملاكها .
شروط القبول :

١) ان تتوفر في المتقدم الشروط المبينة قرين كل وظيفة .
٢) ان يقبل العمل في اي مكان بالجمهورية العربية الليبية .
٣) ان يتقن اللغة الانجليزية بجانب لغته الاصلية .
٤) المرتب والعلاوات حسب المؤهل والخبرة .
٥) ترسل الطلبات الى مقر الشركة الرئيسي بطرابلس .

ص.ب. ١٤٥٤ طرابلس ــ الجمهورية العربية الليبية

مدير عمليات عدد واحد (١)

يجب ان يكون خريج في مجال هندسة الحفر او الجيولوجيا او الهندسة الجيولوجية ويكون قد تقلد منصب قيادي في مجال الحفر لمدة لا تقل عن ٥ سنوات وله خبرة بمجال حفر آبار النفط وما يتعلق بها لا تقل على ١٥ – ٢٠ سنة – يجب ان تكون له خبرة في التخطيط والاعداد لعمليات الحفر وكذلك له شخصية تساعده في حل المشاكل مع الآخرين وان يعمل على وضع برامج تدريبية للفنيين الوطنيين – وله خبرة ليست بالقصيرة بالاعمال الادارية اليومية وان يتقن اللغة الانجليزية كتابة وقراءة ومحادثة بجانب اللغة العربية ويفضل من يتقن لغة اخرى .

مشرف حفر عدد اثنين (٢)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل جامعي في هندسة الحفر وله خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات في مجال حفر آبار النفط وله خبرة في الاشراف على جهاز الحفر والاعداد للعمليات واعطاء الاوامر والنصيحة عند الطلب ويعمل على تدريب العناصر الفنية – يجب ان يكون يتقن اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثة الى جانب اللغة العربية ويفضل من يتقن لغة اخرى .

مشرف حفارة عدد خمسة (٥)

يجب ان يكون خريج جامعة او معهد فني راقي وان تكون له خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات في مجال حفر آبار النفط والاشراف الكامل على الحفارة والمستخدمين وله خبرة في اعداد جداول المناوبة للفرق والعمل على مضاعفة الانتاج وتدريب العناصر الوطنية ويتقن اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثة الى جانب اللغة العربية ويفضل من يتقن اي لغة اخرى .

مساعد رئيس حفارة Tool Pusher عدد (١٠)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل فني جامعي او معهد راقي ، كما يجب ان تكون له خبرة في مجال حفر آبار النفط لا تقل عن ٥ سنوات ويتقن اللغة الانجليزية الى جانب العربية .

حفارين عدد خمسة عشر (١٥)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل فني وله خبرة في مجال حفر آبار النفط لا تقل عن (٥) سنوات كحفار ويتكلم اللغة الانجليزية الى جانب العربية .

رئيس ميكانيكيين عدد خمسة (٥)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل من معهد فني وله خبرة في اصلاح الحفارات وجميع الاعمال الميكانيكية المتعلقة بها كما يجب ان يقوم بالتنسيق بين الميكانيكيين العاملين بالحفارة او الحفارات بالمنطقة ويقوم بتدريب العناصر الوطنية في مجال عملــه .

خبير مواد Material Man عدد (١)

يجب ان يكون مؤهل من معهد فني وتكون له خبرة بأعمال المخازن وطلــب واصدار المعدات وطريقة تخزينها وكذلك عمليات جرد المواد وحفظ كروت لهــا وتكون خبرته لا تقل عن (٥) سنوات في هذا المجال ، كما يقوم بتدريب العناصر الوطنية على هذا العمل يجب ان يتقن اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثــة بدرجة ممتازة بجانب اللغة العربية ويفضل من له المام بلغة اجنبية اخرى .

مخزنجي عدد (١) Warehouse Man

يجب ان يكون مؤهل فنيا وله خبرة في اعداد وتخزين واصــدار المــواد واعداد بطاقات صرف واستلام لها وله معرفة كافية بأعمال الجرد وتصنيف المواد ويتبع البرنامج المعد من قبل الشركة والخاص بالمعدات والمخازن وتكون له خبرة لا تقل عن خمسة سنوات في مجال عمله .

مهندس ميكانيكي عدد واحد (١)

يجب ان يكون خريج كلية هندسة قسم ميكانيكا وله خبرة وفهم باعــداد مخطط وبرامج لاصلاح الحفارات والقيام باعداد الحفارات للعمل واعداد برنامج لتدريب العناصر الليبية .

كهربائيين عدد (٥)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل فني وله خبرة لا تقل عن (٥) سنوات في اصلاح واعداد المحركات والكهرباء الخاصة بالحفارات واجراء الاعمال الخاصــة بالمحولات وما يتعلق بالكهرباء سواء بالحفارة او المعسكر .

مهندس طينة عدد (٢) Mud Engineers

يجب ان يكون خريج هندسة بترولية او حفر او قسم جيولوجيا وله خبرة طويلة في اعداد طينة الحفر وعمليات حفر آبار النفط لمدة طويلة .

الحاج عبد الله الهمالي

الجمهورية العربية الليبية ـ طرابلس

شارع بن غشير ـ هاتف ٣٦٠٣٦ ، ص.ب ٩٣٦

مقاولات عامـــة

التأمين ضد الحريق

وسيلة لتحقيق الحماية الأكيدة والطمأنينة

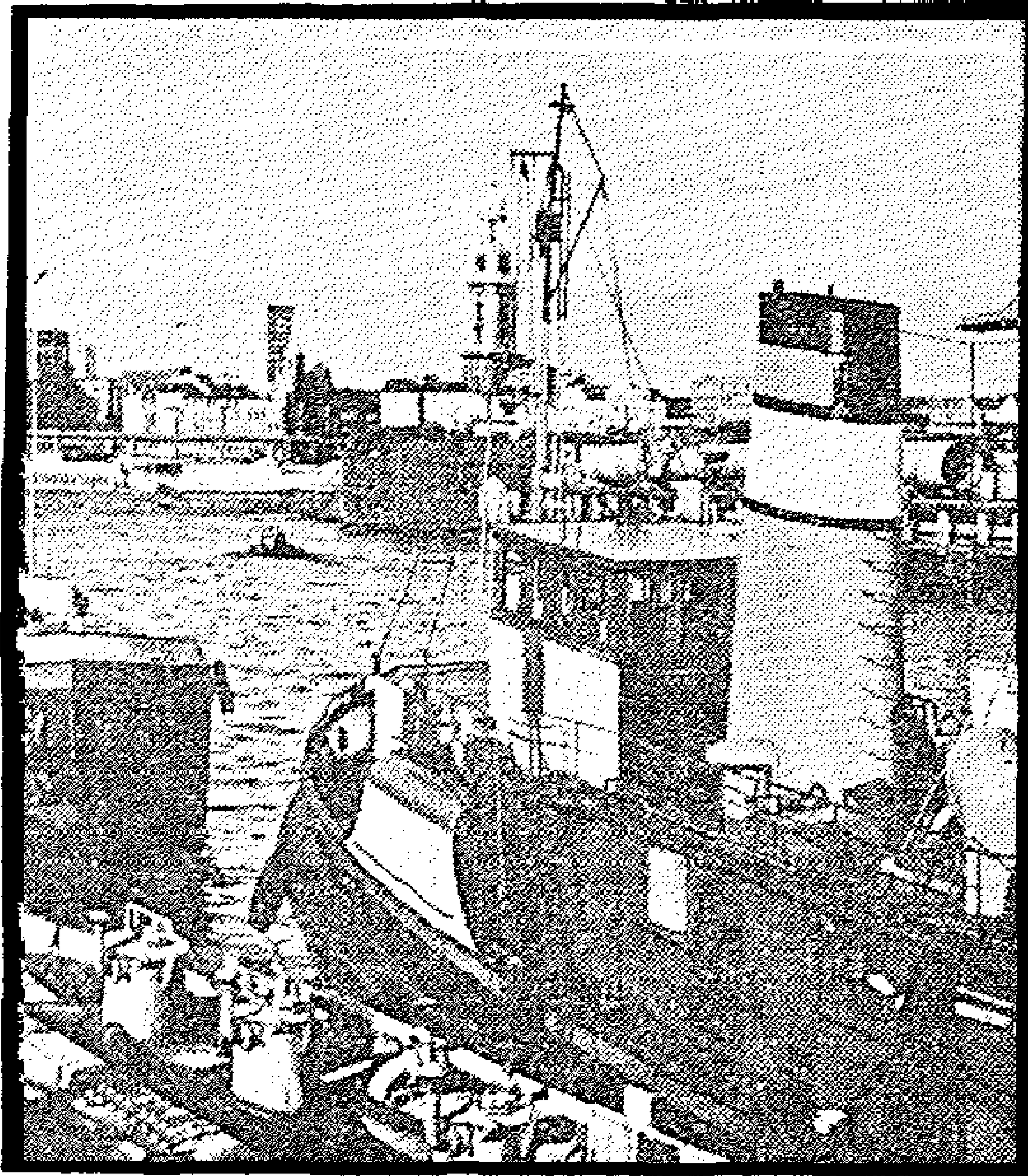

التأمين البحرى

حصن أمان للتجارة البحرية

القيادة... فن ... وذوق وأخلاق

حماية الاسرة ومسكنها

وثيقة تأمين فريدة من نوعها

ضد اخطار عديدة باسعار زهيدة

- الحوادث الشخصية
- الحريق
- السطو

تذكر إبنك عند الاقتراب من إبنى

أخى السائق

لا تلقى بفضلات لفائف التبغ أو غيرها فى الطريق العام
لا تترك مركبتك على الأرصفة بوجه يعيق حركة المرور
أترك مسافة كافية بينك وبين السيارة التى أمامك
حزام الأمان يقيك من الإصابة

شركة المختار للتأمين

■ المركز الرئيسي

إنك فى منزلك تتمتع بالراحة من جميع نواحيها لأنها متوفرة لك
وكذلك فإنها متوفرة فى السيارة الفولكس واجن باسات
السيارة الباسات فولكس واجن تمتاز باتساعها فى الداخل
وبمقاعدها الوثيرة وفرشها الأرضى من السجاد لاتشعر بالحر صيفاً
ولا بالبرد شتاء أما أجهزة التكييف تعطيك الجو الذى تختاره

شركة الراحلة المحدودة

طرابلس : صالة العرض : شارع امحمد المقريف هاتف ٣٨٢٤٠ / ٣٧٤٨
بنغازى : صالة العرض : شارع عبدالمنعم رياض هاتف ٩٤٤٣٧
وطريق طرابلس . هاتف ٨٧١٨٣/٨٧١٨٤/٨٧١٨٥

شركة

الراحلة

المحدودة

طرابلس ـ ليبيا

تقـــدم

جولف

الانتاج الجديد للفولكس واجن

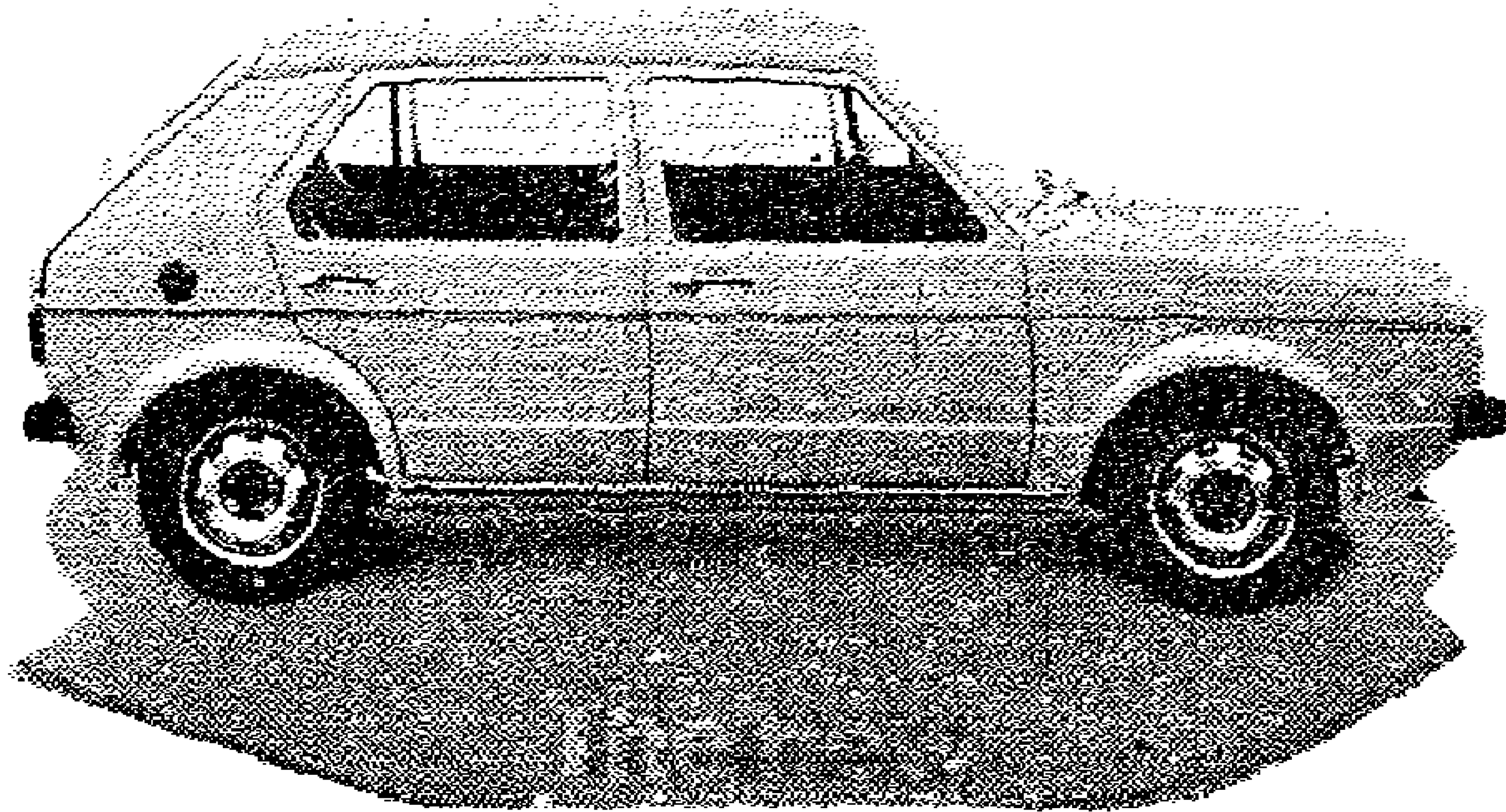

تجمــع بــين
الاقتصـــــاد
والمتـــانـــة
والأنـــاقـــة

مريحة وممتعة في كل شيء :

- فـي القيـادة
- في نقل ما تريده من عفش
- في اصطحابك للأسرة
- في الشكل والجوهر

ومميزاتها عـديدة أهمها :

- محرك رياضي متين اربعة سلندر بقوة ٥٠ حصان ، ٧٠ حصان
- استهلاكها من البنزين قليل للغاية ٨ لتر للمحرك قـوة ٥٠ حصان ، ٥ر٨ لتر للمحرك قوة ٧٠ حصان
- حجم غرفة العفش ٣٥٠ لتـر ويمكـن زيادته للضعف بثني الكرسي الخلفـي .

أليست السيارة « جولف » كما قلنا متعة في كل شيء !!

للاستعلام والحجز : طرابلس شارع محمد المقريف هـ/٣٨٢٤٠

وبنغازي شارع عبد المنعم رياض وطريق طرابلس هـ/٩٤٤٣٧

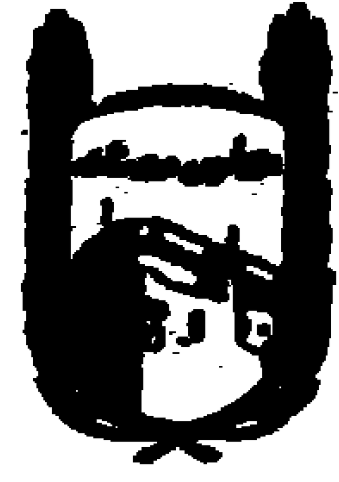

شركة ليبيا للتأمين

شركة مساهمة ليبية

خاضعة لأحكام القانون رقم ١٣١ لسنة ١٩٧٠

س. ت. ٢٧٦٨

تأسست في ١٩٦٤

رأس المال المدفوع ٢٥٠٫٠٠٠ دينار

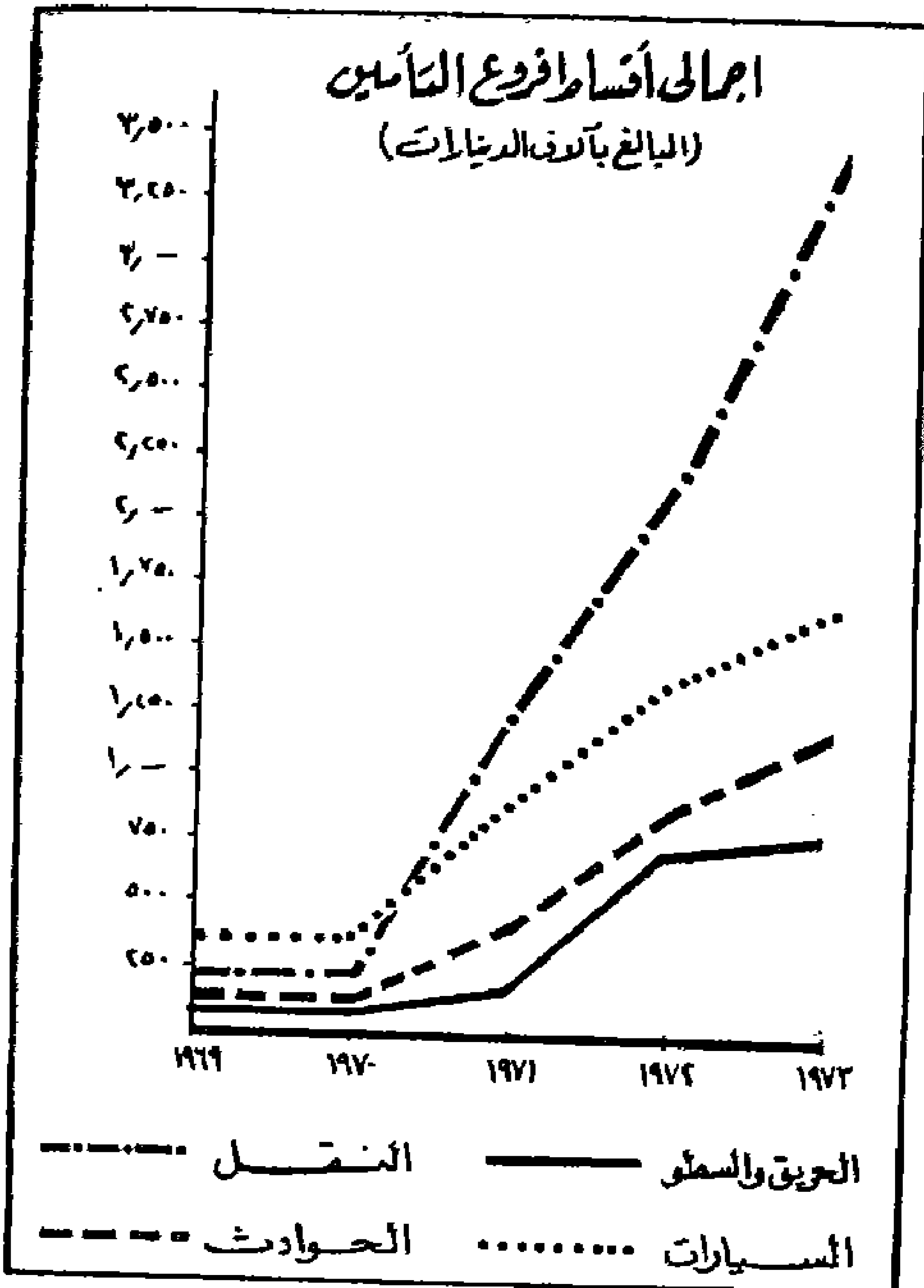

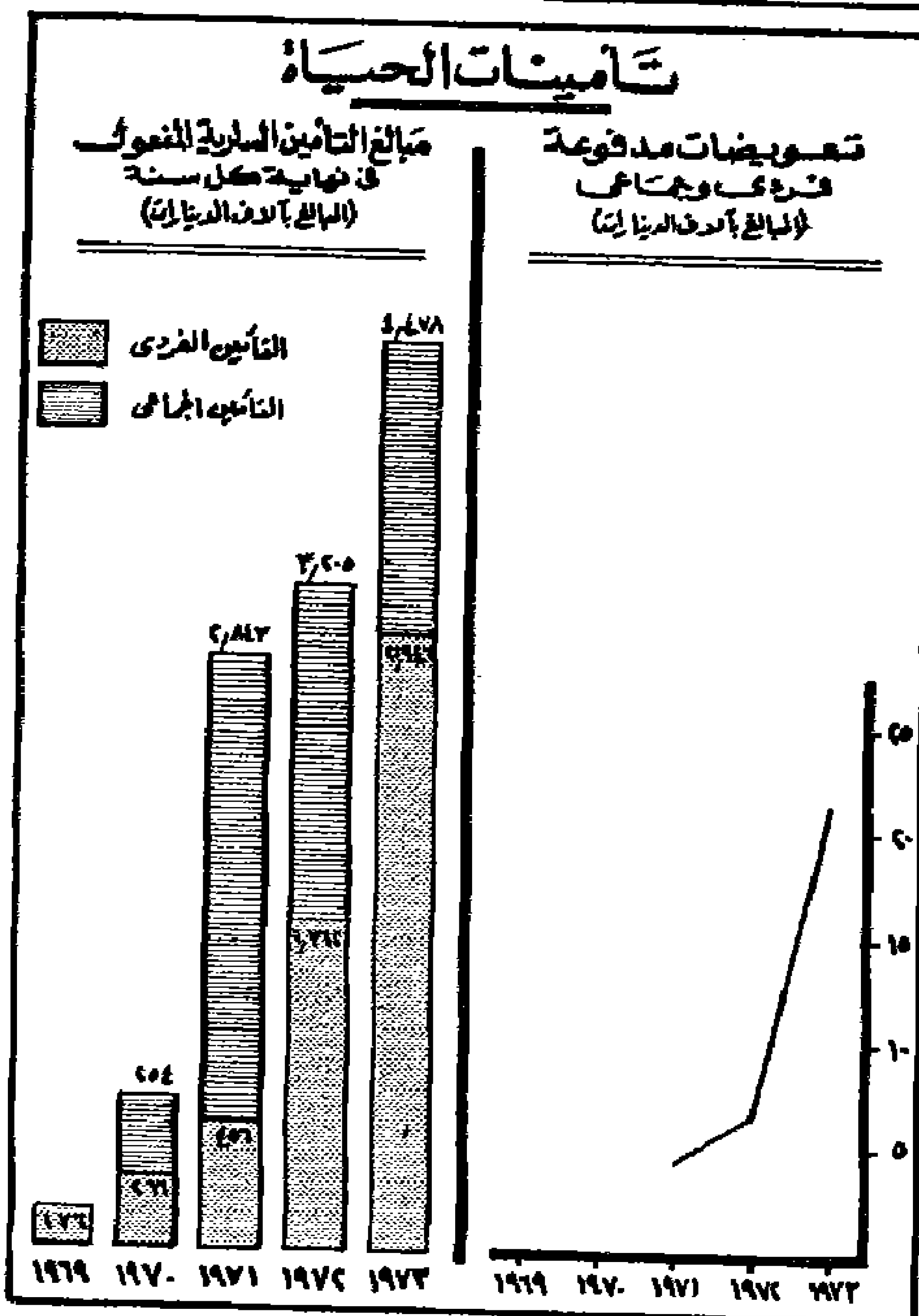

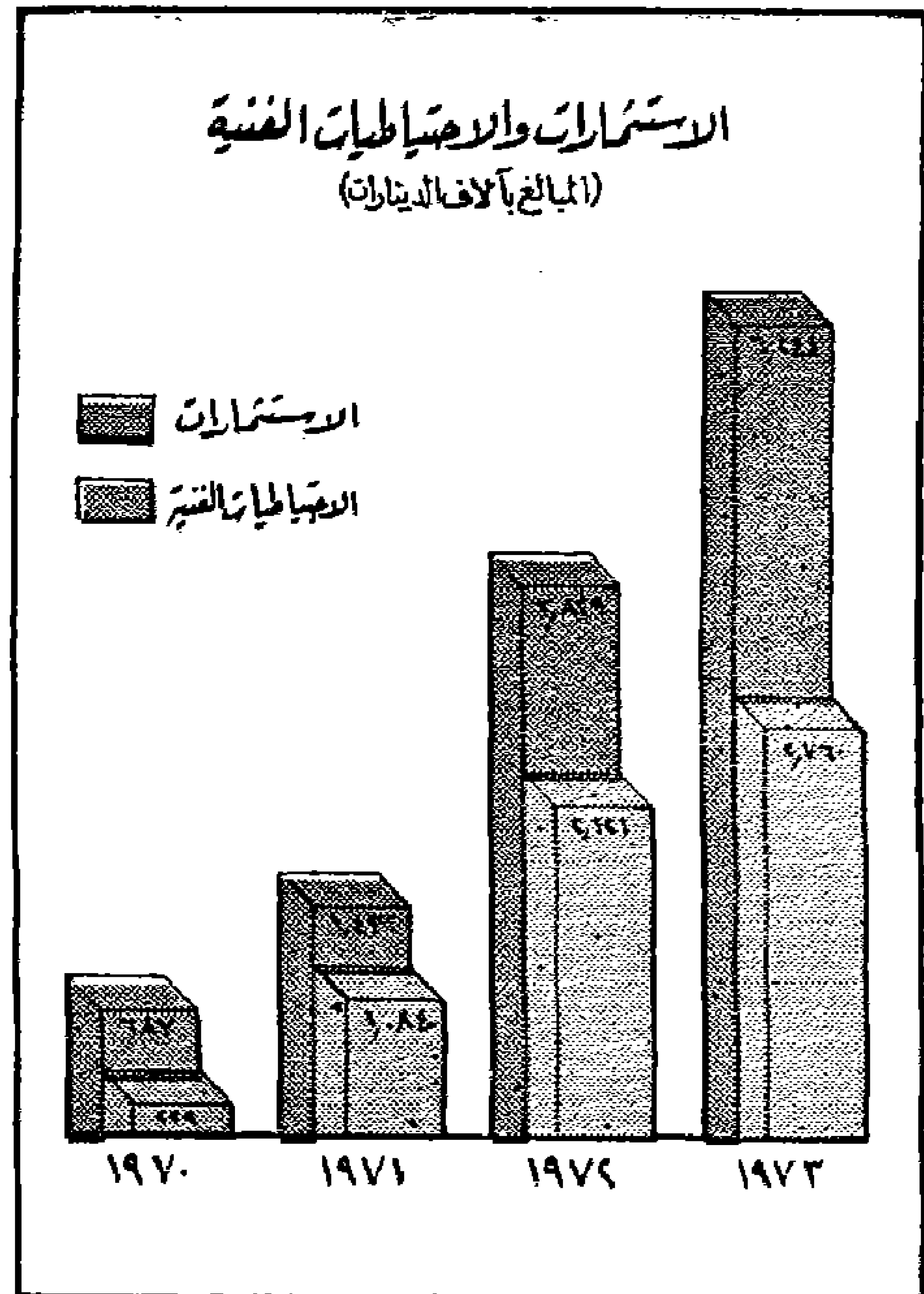

المركز الرئيسي :

عمارة اسامة
شارع اول سبتمبر – طرابلس
هاتف ٤٤١٧٤ – (خمسة خطوط)
العنوان البرقي : ليبنشور – طرابلس

فرع بنغازي :

عمارة التحرير
شارع عمر المختار – بنغازي
هاتف ٩٥١٣٢ (ثلاثة خطوط)

الفروع الاخرى :

الميدان	طرابلس
سبها	ص.ب. ١٠٨
مصراتة	ص.ب. ٦٤٥
درنة	ص.ب. ٤٨٦
غريان	ص.ب. ٢٦٧

الشركة العامة لحفر آبار المياه — ش.م.ل. ، تأسست بموجب قانون رقم ١٠٠ لعام ١٩٧١ براسمال ٣ مليون دينار. تقوم الشركة بحفر وتعميق وصيانة آبار المياه على مختلف الاعماق — للقطاعين العام والخاص .

طرابلس — طريق السواني كم ١١/٢

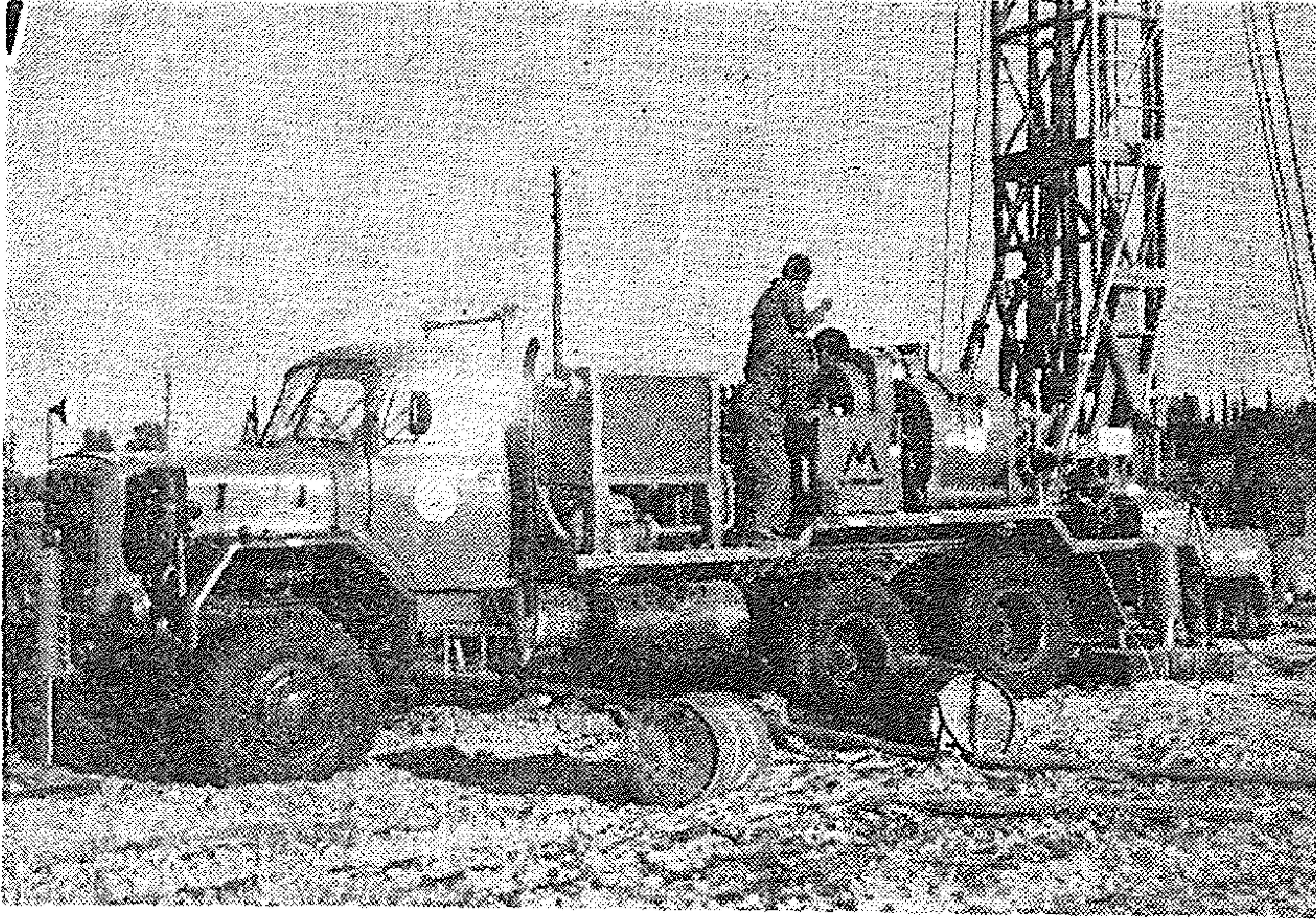

احدى الآلات (مسارتين سوبر) ذات المدى المتوسط تصل الى عمق ٥٠٠ متر .

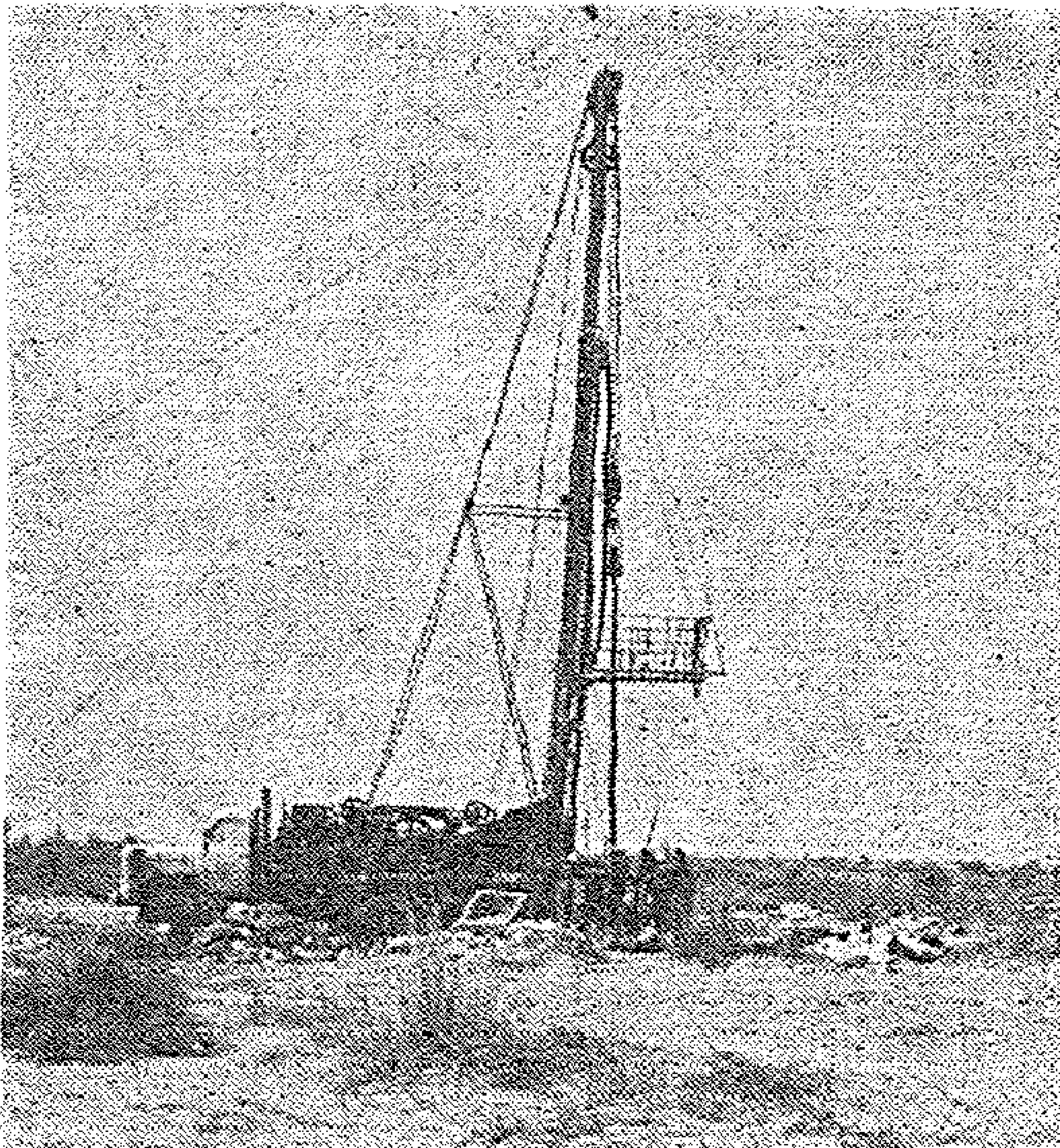

احد الآلات (مارين) ذات المدى المتوسط تعمل بطريقتين : الخبط والرص ، تصل الى عمق ٤٥٠ متر .

H-CV 713

قضايا اسرائيلية

ملف يعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية

يصدر مرة كل اسبوعين ، ابتداء من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤

« قضايا اسرائيلية » ملف اخباري تحليلي ، يتابع الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، الداخلية والخارجية ، مع امتداداتها وابعادها داخل اسرائيل وداخل الحركة الصهيونية ، وفي العلاقات بين اسرائيل ودول العالم ، وتأثير كل ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .

« قضايا اسرائيلية » يقدمه قسم الدراسات الاسرائيلية والصهيونية في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، من خلال متابعته لكل ما يصدر في اسرائيل من صحف يومية ومجلات ودوريات متخصصة ونشرات وكتب، باللغة العبرية او بغيرها ، وما تبثه الاذاعة الاسرائيلية من اخبار وبرامج ، وكذلك ما يصدر خارج اسرائيل وله علاقة بالشؤون التي يهتم هذا الملف بمعالجتها .

تقرأ في العدد الخامس :

اسرائيل تعارض قرارات الامم المتحدة بشأن الفلسطينيين وتتمسك بموقفها ــ انتفاضة شعبية في المناطق المحتلة تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية ــ اسرائيليون يدعون الى تغيير سياسة حكومتهم ــ اهداف الخطة الاقتصادية الجديدة : توفير العملة الصعبة ، منع البطالة وخفض مستوى المعيشة ــ ارتفعت نسبة المتصلبين في حكومة رابين وتجددت المطالبة بحكومة تكتل وطني .

وتقرأ في العدد السادس :

الاسرائيليون يستمرون في عرض مواقفهم من القضية الفلسطينية ــ العرب في اسرائيل يعربون عن تأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية ــ حملة من اجل حكومة تكتل وطني ... وحملة مضادة ــ اسرائيل ترد على قرارات الرباط والامم المتحدة بتقوية الاستيطان في المناطق المحتلة .

رئيس التحرير : صبري جريس

العنوان : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت ــ لبنان ، تلفون ٣٥١٢٦٠/١
بدل الاشتراك السنوي : للحكومات ٩٠ ل.ل. ، للمؤسسات ٦٠ ل.ل. ، للافراد ٣٠ ل.ل.

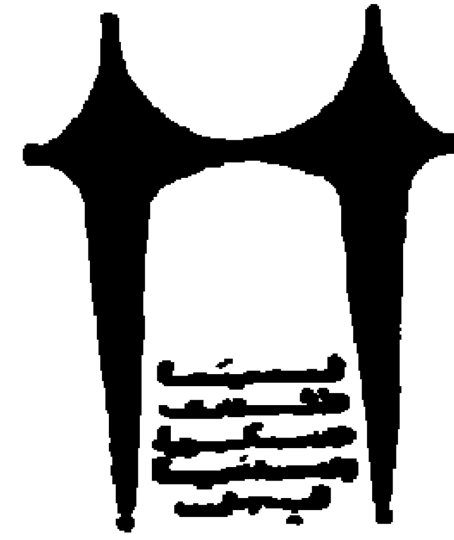

شركة الانشاءات العسكرية والمدنية
ش. م. ل.

هاتف ٤٤٧٥٦ ـ ٤٤٧٥٧ ، ص.ب ٨١٨٥

طرابلس ـ الجمهورية العربية الليبية

الشركة الليبية العامة لانشاء وصيانة الطرق

هاتف ٣١٠١٧ ـ ص.ب ٢٦٧٦

شارع الجمهورية ـ طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

شركة حقبق لتوريدات حقول البترول

تهنىء الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية بهذه المناسبة كما تهنىء الشعب الليبي والشعب العربي والاسلامي وتتمنى من الله ان يعيده عليهم بالخير واليمن والبركات .

شركة حقبق لتوريدات حقول البترول

شارع عمر المختار ــ عمارة بن ساسي
هاتف ٣٠٦٠٢ ــ ص.ب ٢٤٢١

طرابلس ــ الجمهورية العربية الليبية

شركة أم الجوابي للنفط

تتقـدم بأحـر التهاني والتبريكات

الى الشعب العربي الكريم بمناسبة عيد الاضحى المبارك اعاده الله على الامة العربية جمعاء بالخير واليمن والبركة كما تنتهز مناسبـة اعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية لتهنيء الاخوة المسيحيين متمنية لهم دوام الصحة والسعادة .

شركة أم الجوابي للنفط ش.م.ل.

ميدان غزوة الخندق ـ طرابلس
الجمهورية العربية الليبية

شركة أم الجوابي للنفط

شركة مساهمـــة ليبية

نبذة عن هيكل الشركة والنشاطات التي تقـوم بهـا

انشأت الشركة بموجب قانـون التأميم رقم ١١ لسنة ١٩٧٤ م وحلت محل شركة الزيت الامريكية العاملة نيابـة عـن شركتي تكساس اويل كومباني وستاندرد اوف كاليفورنيا وكانتا تملكان عقود الامتياز المؤممة مناصفة وتديرها باسميهما شركة الزيت الامريكية عبر البحار وهي مملوكة ايضا لنفس الشركتين، عدد عقود الامتياز ١٤ عقدا منها حقلين منتجين بعد عمليات استكشافية تمت في اغلب عقود الامتياز بصفة اولية . الحقول مجهزة لانتاج مـن ٣٥٠ر٠٠٠ الـى ٤٠٠ر٠٠٠ برميل يوميا .

وعدد العاملين في الشركة حوالي ٩٣٤ موظفا منهم حوالي ١٨٤ اجنبيا ، يعمل منهم في الحقول ٤٠٩ عمال وموظف مـن الوطنيين و ٨٨ اجنبيا والباقـي بمكاتب وورش الشركة في المركز الرئيسي بطرابلس .

ويقدم للعاملين بالحقول خدمات مختلفة من طبية وتعليمية واجتماعية كما تقدم لهم الوجبات على حساب الشركة علما بأن الشركة تقوم بنقل هؤلاء العمال والموظفين من طرابلس والعكس على طائرات مؤجرة لهذا الغرض .

الادارة :

يدير الشركة الآن مجلس ادارة مكوّن من رئيس وعضوين يتبعهم جهـاز اداري مكوّن من الادارات الآتية :

الادارة القانونية ـ ادارة الهندسة ـ ادارة الاستكشـاف ـ ادارة الانتاج ـ ادارة الخدمات الفنية ـ ادارة الممتلكـات ـ ادارة الخزانـة ـ ادارة التخطيط والاقتصاد ـ ادارة شؤون الموظفين ـ ادارة التدريب والتطوير ـ ادارة تنسيق المعلومات ـ قسم المراجعة الداخلية وقسم الامن والسلامة .

ادارة التدريب والتطوير

انشئت هذه الادارة حديثا بعد ان كانت مجرد قسم يتبـع لادارة شؤون الموظفين نظرا لأهمية التدريب في تكوين وخلق العناصر المدربة والكفؤة لاحلالهـا محل الاجانب مستقبلا في تشغيل وصيانة وادارة الحقول وقـد وجـد مجلس الادارة ان انشاء هذه الادارة امر ضروري للتركيز على التدريب ، والتدريـب يشمل التدريب المهني بالاضافة الى ايفاد بعثات تعليميـة في الكليات المختلفـة والجامعات وفي مختلـف التخصصات كهندسة البترول والجيولوجيا وهندسة الانشاءات وغيرها من التخصصات ، هـذا بالاضافة الى برنامـج محو الاميـة والاشراف على برامج تعليم اللغة الانكليزية .

الامــن والسلامة :

يشرف القسم على سلامة الحقول من جميع الاخطار المتعلقة بالمعدات الفنية والانابيب وغيرها المعرضة للحرائق بسبب طبيعة المادة المنتجة وهي النفط والغاز.

عدد الحقول التي تمتلكها الشركة كما سبقت الاشارة ١٤ منطقة امتياز منها منطقتان منتجتان حاليا وهما منطقة النافورة ومنطقة البيضاء .

وتنوي الشركة استئناف العمليات الاستكشافية في مناطق الامتياز الاخرى في المستقبل القريب كما ان الشركة تدير حقل انتاج مشترك هو حقل (النافورة أوجلة) مع شركة اوكسدنتال وحقل انتاج مشترك هو حقل (الدور منصور) مع مجموعة شركات تملك حقل المنصور منها شركة أكيتان والشركة الاسبانيــة للبترول . وشركتان أخريان .

النشاطات بعد التاميم :

كان التركيز منذ التأميم للشركة قائما على المحافظة على برامــج الانتــاج القائمة وصيانة وتشغيل المعدات الموجودة في الحقول والمحافظة على مستــوى الانتاج وكفاءة عمليات التشغيل المختلفة بالاضافة الى اعادة تنظيم الشركة اداريا للتمشي مع خطط التوسع المستقبلية .

الخطط المقبلة للتوسع والتطور :

بالاضافة الى برامج الاستكشاف والحفر التي تنوي الشركة القيام بها في عدة مناطق امتياز ، تعمل الشركة على اعداد الخطط الخاصة بتطويــر المناطــق المكتشفة والحقول المنتجة لزيادة تطورها ، كما ان هناك خططا لاستكمال المعدات والآلات اللازمة لتطوير المناطق المنتجة حاليا .

التصرف في الغاز المنتج :

يعاد حقن جزء من الغاز المنتج ويستعمل جزء من المتبقي لتشغيل بعـض المعدات اما الباقي فينقل عبر انابيب خاصة الى مصنع الغاز الذي تملكه شركة اسو .

شركة ام الجوابي للنفط ، ش.م.ل.

ميدان غزوة الخندق ــ طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon L L 40, Syria S L 50, other Arab countries LL 50 or equivalent, Africa and Europe LL 65,/elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address*: P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

سعر هذا العدد الخاص : ٧ ل.ل. في لبنان

٨ ل.س. في سوريا

٩٠٠ فلس في الكويت والعراق .

٩ ل.ل في سائر الاقطار العربية

خاص بالمشتركين

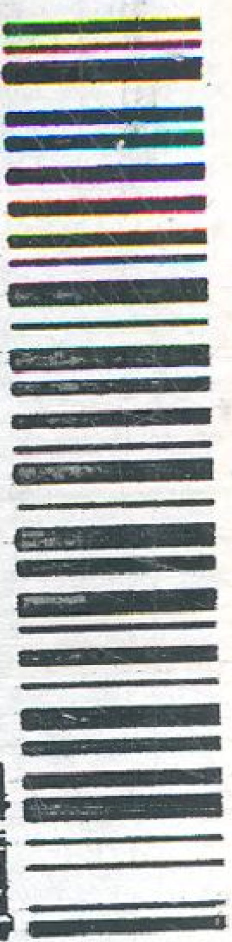
Bibliotheca Alexandrina
0535859